الموقف اليمني
من الحكم العثماني الثاني

للعلامة علي بن عبد الله الإرياني



دراسة وتحقيق
أمة الملك إسماعيل قاسم الثور

الموقف اليمني من الحكم العثماني الثاني

مع تحقيق مخطوطة الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور محمد بن يحيى بن حميد الدين

للعلامة علي بن عبد الله الإرياني

تحقيق ودراسة

أمة الملك إسماعيل قاسم الثور

الإهداء

إلى أعز الحبايب والدتي

وإلى زوجي الغالي وأولادي

مقدمة

أصبح التراث والتاريخ العربي في العصر الحديث يحوز على اهتمام كبير خاصة في السنوات الأخيرة، وقد طالعنا العديد من الكتب التاريخية التي تناولت مختلف المواضيع التاريخية ومفرداتها. لكن التاريخ اليمني لم يلق ذلك الاهتمام إلا في السنوات الأخيرة، حيث لازال يكتنفه بعض جوانب من الغموض، ولازالت هناك أحداث تاريخية لم يتم البحث فيها. ولم تظهر سوى مواضيع محدودة خاصة فيما يتعلق بالدراسات العلمية الأكاديمية، واقتصر الاهتمام العام على طبع ونشر بعض كتب التراث.

وكواجب وطني من أجل إحياء التاريخ والتراث اليمني كان لزاماً علينا أن نكشف بعضاً من جوانب الأحداث التاريخية التي مازالت مجهولة وغير معروفة للكثير. ولذا وقع اختياري على إحدى مخطوطات التاريخ الحديث الموجود في دار المخطوطات التابع للجامع الكبير بصنعاء، وهي (الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، للعلامة علي بن عبدالله الإرياني) . وتتناول أحداث هذه المخطوطة أهم مرحلة من مراحل تاريخ النضال للشعب اليمني ضد الوجود العثماني الثاني في اليمن، في بداية القرن الرابع عشر الهجري نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وتكشف لنا أحداثاً تاريخية عسكرية واجتماعية واقتصادية قد نقف عليها للمرة الأولى، وخاصة الأحداث التاريخية المتعلقة بالحروب والوقائع العسكرية الذي خاضها الشعب اليمني ضد الاحتلال العثماني في اليمن. وتكشف لنا الحوادث والأبعاد التاريخية لهذه الحروب العسكرية وأسبابها ونتائجها والمشاركات الفعَّالة التي حرص على المشاركة فيها أغلب أبناء اليمن في كل المدن والقرى والجبال والوديان. وأظهرت الجوانب الإيجابية والسلبية لتلك الحوادث، وعرضت لنا أدق التفاصيل عن تلك المرحلة. وتعكس الأحداث التي تضمنتها المخطوطة صورة صادقة لفترة عايشها مؤرخنا وعاصر أحداثها وسجل اتجاهات الحكم العثماني في اليمن ومواقف اليمنيين من هذا الحكم سلباً وإيجاباً.

وقد حاولت وبجهد متواضع أن ألتزم المنهج العلمي الحديث، وأن أتبع الخطوات المتعارف عليها في منهج التحقيق العلمي، مع تحري الأمانة العلمية، وإخراج النص كما أراده مؤرخنا القاضي العلامة علي بن عبدالله الإرياني.

ومثل أي عمل علمي أكاديمي لم يخل من بعض الصعوبات والعراقيل، إلا أنني استطعت بالمثابرة والاطلاع وبفضل توجيهات ونصائح أستاذي الدكتور سيد مصطفى سالم، أن أتجاوز أغلبها.

ونتيجة لأهمية الموضوع والحدث التاريخي، ومحاولة مني لإبراز المواضيع المختلفة التي تطرقت إليها المخطوطة، وباعتبار أن هذا العمل لم ينشر بعد، فقد حرصت على استغلال الأحداث التاريخية التي تطرقت إليها المخطوطة ولذا فقد قمت بإعداد فصول خاصة لإبراز هذا العمل. وتمت الاستعانة -إلى جانب الحقائق التاريخية الواردة في المخطوطة- بالوثائق العربية والعثمانية لاستكمال الصورة عن هذه الفترة التاريخية. وقد كان للمواضيع والأحداث التي وردت في الوثائق أهمية بالغة فقد أضاءت بعض الجوانب التي لم تذكرها المخطوطة حيث أبرزت هذه الوثائق الأحداث التاريخية من الجانب العثماني والذي لم تتطرق إليه المخطوطة. وتم شرح مفهوم وانطباع الجانب العثماني من الثورات في اليمن، وإبراز وجهة نظر مخالفة عما ورد في المخطوطة. ولذا فقد عنونت الرسالة بتالي (الموقف اليمني من الحكم العثماني الثاني لليمن مع تحقيق مخطوطة الدر المنثور للإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين)

وتم تقسيمها على النحو التالي:

الباب الأول ويتكون من:

الفصل الأول بعنوان (عودة الحكم العثماني وظهور حركة المقاومة اليمنية).

تناولت في هذا الفصل لظروف المحلية والدولية التي مهدت لعودة الأتراك العثمانيين

إلى سواحل اليمن سنة ١٨٩٤م، وفشلهم في الاستيلاء على المناطق الشمالية. ثم أبرزت الظروف المحلية والدولية التي ساعدت على نجاح محاولتهم الثالثة في الدخول إلى المناطق الشمالية ومنها العاصمة صنعاء سنة ١٨٧٢م.

وعمدت إلى إبراز الظروف العامة التي مكنتهم من إحكام سيطرتهم وتوسعهم في كل مناطق اليمن. واعتبرت الخوض في دراسة هذه الفترة تمهيداً للدور الذي قامت به حركة المقاومة اليمنية و بمختلف صورها الرسمية والشعبية. وتطور تلك المقاومة من أجل زعزعة الوجود العثماني في اليمن بزعامة الأئمة.

الفصل الثاني وعنوانه: بروز شخصية الإمام.المنصور بن محمد يحيى حميد الدين ودوره السياسي.

في هذا الفصل تناولت بالدراسات شخصية الإمام المنصور باعتباره صاحب السيرة التي تناولتها المخطوطة بالشرح المفصل -كسيرة لحياته الخاصة- والمراحل التاريخية والعسكرية التي تزعمها في تلك المرحلة من أجل محاربة الحكم العثماني في اليمن، ودعمت تلك الدراسة إلى جانب الأحداث التاريخية التي وردت في نص المخطوطة بالوثائق العثمانية التي تناولت بالشرح والتفصيل كل الأحداث التي جرت في اليمن.

وكذلك بالوثائق العربية وبرسائل الإمام المختلفة. وشرحت بالتفصيل الدور السياسي الذي اضطلع به الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين في هذه الفترة بكل سلبياتها وإيجابياتها العامة والخاصة.

الفصل الثالث: (موقف القوى اليمنية والعربية من الحكم العثماني الثاني لليمن).

في هذا الفصل حرصت على إبراز عدة نواحٍ تاريخية، وهي إبراز القوى الاجتماعية

المحلية التي قامت مع الإمام وساندته في ثورته ضد الأتـراك، وأبـرزت دور تلـك الفئـات الاجتماعية بمختلف طبقاتها وفئاتها ومنها المؤيدة والمعارضة. وقمت كذلك بتوضـيح دور الفئات العربية التي حاولت دعم الإمام من خلال إرسال الرسائل والأشعار المؤيدة لدوره القيادي ضد الأتراك.

الباب الثاني من هذه الرسالة وهو ينقسم إلى فصلين:

الفصل الأول: دراسة تمهيدية عن المخطوطة التي كانت محور الدراسة.

وشرح المواضيع التي تناولتها، مع توضيح منهج التحقيق والنـشر الـذي اتبعتـه أثنـاء دراستي لها. وكذلك قمت بترجمة مفصلة لحياة المؤرخ العلامـة عـلي بـن عبـدالله الإريـاني، وتناولت بالشرح كل ما يتعلق عن حياة مؤرخنا وأسلوبه في كتابة هذه المخطوطة.

الفصل الثاني: تحقيق متن المخطوطة.

قمت بتحقيق ودراسة المتن التاريخي للمخطوطة وإثبات الهوامش وتحقيقها كما يتطلبه التحقيق العلمي المتبع.

وقد واجهتني الكثير من الصعوبات أثناء نسخ المخطوطـة وإثبـات الهـوامش، وأهمهـا الكم الهائل من أسماء المدن والقرى والجبال والحصون التي وجدت صعوبة كبـيرة في تتبـع مواقعها والتعريف بها، نتيجة لتشابهها في كل مناطق اليمن، وصعوبة تحديـد مواقـع كثـيرة من تلك القرى والعزل. وقد حاولت من خلال المراجع التي بين يـدي أن أتـرجم لـبعض الشخصيات وإهمال ما صعب عليَّ إيجاد ترجمة لها، إلى جانب الكثير من الصعوبات التـي لا يتسع المجال هنا لطرحها، وقد شرحتها بالتفصيل في منهج التحقيق والنشر.

ولمَّا كان الهدف من هذه الدراسة هـو إبـراز المـادة التاريخيـة اليمنيـة والعثمانيـة إلى حيـز الوجود، فقد قل اهتمامي بالمراجع الأجنبية لأنها لم تتناول هذه الفترة إلا لماما، حيث لمـست ذلك فيما وقع بين يدي من هذه المراجع.

وختاماً أخص بالشكر والعرفان أستاذي الدكتور سيد مصطفى سالم فقد أولاني باهتمامه وسمح لي بملازمته ومنذ اليوم الأول لتسجيل هذه الرسالة، وكان كما اعتاده الجميع المربي الفاضل والعالم الناصح والأب الروحي الذي لم يبخل عليَّ وقدم لي الكثير من علمه وخبرته وتوجيهاته ونصائحه الدائمة دون كلل أو ملل. وقد نهلت مالا أستطيع وصفه فجزاه الله خيراً عني وعن جميع طلاب الدراسات التاريخية في جامعة صنعاء.

كما أوجه شكري وتقديري البالغ لأستاذي الدكتور حسين بن عبدالله العمري لتشجيعه وتقديمه العون العلمي الدائم.

وأقدم الشكر إلى أستاذي الدكتور محمود عامر أستاذ التاريخ الحديث في جامعة دمشق الذي ساعدني في ترجمة الوثائق العثمانية. وأشكر أيضاً كل من ساعدني من موظفي مكتبة كلية الآداب في جامعة صنعاء، ومكتبة دار المخطوطات لما قدموه لي من مساعدات.

وأتمنى من خلال هذا العمل العلمي المتواضع أن أكون قد أضفت شيئاً من الحقيقة القيِّمة في صورة مجملة مفيدة للقارئ المهتم بالتاريخ العربي عامة واليمني بوجه الخصوص.

أسأل الله التوفيق والسداد.

الفصل الأول
عودة الحكم العثماني وظهور حركة المقاومة اليمنية
[١٢٦٥-١٢٨٩هـ /١٨٤٩-١٨٧٢م]

الظروف المحلية والدولية التي أدت إلى عودة العثمانيين إلى اليمن:

كان للوضع الداخلي في اليمن ظروف سياسية مختلفة، أدت إلى عودة حكم العثمانيين لليمن للمرة الثانية. فمنذ خروج العثمانيين من اليمن سنة (١٠٤٥هـ ١٦٣٥م) . تولى حكم اليمن العديد من الأئمة فترة قرنين من الزمن -وهو ما سمي بعصر الاستقلال- وتقلبت في تلك الفترة الأوضاع من عصر القوة والازدهار، إلى عصر الضعف والفوضى، وصراع الأئمة الضعفاء من آل القاسم فيما بينهم، مما ساعد على عودة العثمانيين إلى اليمن في سنة (١٢٦٥هـ١٨٤٩م) .

لكننا سنلاحظ في البداية كيف عملت الظروف المحلية على عدم قدرة العثمانيين على التوغل إلى داخل البلاد، واقتصرت مناطق نفوذهم على المناطق الساحلية فقط. وسيتضح لنا كيف ساعدت الظروف السياسية المحلية بعد ذلك على توغل العثمانيين إلى الداخل، وكيف مهدت الأحداث على مد نفوذهم إلى المناطق الشمالية في سنة (١٢٨٩هـ١٨٧٢م) .

وسأحاول أن أشير إلى الأحداث والظروف الدولية التي ساعدت على ظهور الوجود المصري في الجزيرة العربية، وبالتالي دخول المصريين إلى اليمن.

وسنرى كذلك أن كل الأحداث السياسية التي حدثت في اليمن، كانت نتيجة تراكمات دولية، وظروف خاصة بالسلطنة العثمانية. وسوف أتدرج بذكر تلك الأحداث التاريخية حسب ترتيبها، وبحسب أهميتها وتدرجها الزمني، لكي أصل إلى الهدف الذي من أجله

سيكون موضوع الدراسة، وهو الظروف المحلية والدولية التي أدت إلى عودة العثمانيين.

ولن يغيب عن بالي أن هذه الأحداث التاريخية سبق لبعض المؤرخين أن تطرق إليها بالبحث والدراسة، خاصة فيما يتعلق بالسلطنة العثمانية. لكن هذه الدراسة تعتبر تمهيداً لإبراز الدور الذي قامت به حركة المقاومة اليمنية بمختلف صورها الرسمية والشعبية، وبالتالي تطور تلك المقاومة بمرور الوقت من مقاومة شعبية وقبلية غير منتظمة إلى حروب قوية شرسة تزعمها الأئمة من أجل زعزعة الوجود العثماني في اليمن.

كانت اليمن قد بدأت تشهد عصر الضعف والفوضى، وتولى الحكم أئمة ضُعفاء، وتقلص نفوذ الدولة، واقتصرت على العاصمة صنعاء في معظم الأحيان. وتهافتت القبائل على الحروب والسطو ومحاصرة المدن ونهبها . وقد ظهر الضعف والفوضى منذ عهد المنصور علي بن المهدي عبدالله (١٢٥١هـ-١٨٣٥م) ، والذي صاحب فترة حكمه بداية الحكم المصري في اليمن.

وكان المنصور علي قد تولى الحكم للمرة الأولى في صنعاء -وهو الذي سيتولى الإمامة ثلاث مرات كما سنرى- بعد وفاة والده المهدي عبدالله وقد كان أضعف من أن يتحمل أعباء الحكم، «وبدا ضعيفاً كمثل عصره». ودخلت اليمن حقبة تاريخية اتصفت بالصراع الدائم والتنافس الداخلي بين الأئمة، والتسابق الاستعماري العثماني والأوروبي على العالم العربي بما في ذلك اليمن[1] .

ولم يمض على حُكم الإمام المنصور علي بن المهدي عبد الله -في فترته الأولى سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م- سوى عام وثلاثة أشهر، تخللتها الفوضى وضياع هيبة الإمام والدولة.

وتولى الحُكم بعده الناصر عبد الله بن حسن ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٧م الذي اشتهرت فترة حُكمه بالعديد من الصراعات والحروب التي قامت في عهده، منها التوسع المصري في تعز وإب والعدين، وكانت قوات محمد علي قد وصلت إلى السواحل اليمنية -للمرة الثانية- فقد سبق للمصريين أن دخلوا اليمن في ظروف سابقة عندما قاموا بتتبع فلول الوهابيين

(١) د.حسين بن عبدالله العمري: مائة عام من تاريخ اليمن،ص ٢٤٥.

والقضاء على الدولة السعودية الأولى ودولة الشريف حمود وأتباعه في عسير والمخلاف السليماني سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. وتمت مراسلة الإمام المهدي عبد الله في سنة ١٢٣٤هـ١٨٧٣م وتسليمه حُكم تهامة على أن يدفع للسلطان مقداراً من البُن ومبلغ من المال سنوياً [١] . وأحكم الإمام سيطرته على تهامة حتى جد في الأمر جديد. فقد هرب أحد القادة الأتراك من الحجاز إلى اليمن سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م يقود عصياناً بحجة تأخر مرتباتهم وتقدم إلى تهامة ودخل زبيد وحيس والمخا وعاث في الأرض فساداً [٢] . فأرسل محمد علي والي مصر فرقة عسكرية تم لها القضاء على هذا التمرد وتعزيز التواجد المصري في السواحل اليمنية واتخاذ الحديدة مركزاً للإدارة المصرية منذ عام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م[٣] .

وفي هذه الأثناء كانت تشتعل حروب الناصر الدائمة ضد القبائل الثائرة، ومنها قبائل (يام) الدائمة الثورة، وعرف عنه الظلم وتنكيله بالعلماء المخالفين له في تشيعه وأهوائه النفسية المتقلبة [٤] وكانت نهايته بالقتل على يد أفراد من المكارمة في وادي ضهر، بعد أن حكم مدة ثلاث سنين وأربعة اشهر، ومع نهاية حكم الناصر كانت هناك بوادر انسحاب محمد علي من الجزيرة العربية، وتولى الحُكم من بعده الإمام محمد بن المتوكل أحمد الذي تلقب بالهادي [٥] .

كانت فترة حُكم الهادي محمد قصيرة تخللتها بعض الإجراءات السياسية، لكي يقرب إليه أعداءه السابقين من أنصار سلفه الناصر، وواجه طغيان القبائل، وثورة الصوفي الفقيه سعيد بن صالح ياسين العنسي في اليمن الأسفل [٦] . وعند وفاته تسلم الإمامة علي بن المهدي للمرة الثانية، وكان قد قضى فترة حكم عمه الإمام الهادي في سكون، ولم يرد له أي مشاركة في الحُكم، وقد يكون ذلك بمحض إرادته. ولم يكد علي بن المهدي يوطد حكمه حتى ظهر له على الساحة الطامح الجديد القادم من تهامة وهو محمد بن يحيى بن المنصور

(١) د.العمري: مائة عام،ص ٢٢١.
(٢) د.العمري: حوليات النعمي، ص١٠٠.
(٣) د.العمري:مائة عام،ص٢٢٨.
(٤) مجهول: حوليات يمانية، تحقيق عبدالله الحبشي،ص٦٦٦٨.
(٥) د. العمري:مائة عام،ص٢٨٨.
(٦) مجهول :حوليات يمانية:تحقيق الحبشي،ص٩٠.

علي [١] . الذي غادر والده -يحيى بن المنصور علي عم المهدي عبد الله- صنعاء غاضباً من ابن أخيه بسبب موقف شخصي بينهما، والتجائه إلى تهامة، ولم يرد أي ذكر له، لكن ولده محمد بن يحيى قام بعد ذلك بدور هام [٢] .

وسنرى لاحقاً معاونة الشريف حسين بن علي بن حيدر، لمحمد بن يحيى بن المنصور علي، والدور الذي قام به الأخير لعزل الإمام علي بن المهدي في صنعاء. وهكذا يتضح بشكل سريع وضع الإمامة التي كانت تمثل الحكومة المركزية، ولنا أن نتصور كيف كانت أوضاع باقي أجزاء البلاد وما أصابها من تفتت وانقسام. فتهامة بما فيها الموانئ والمدن الهامة كانت واقعة تحت يد الشريف حسين بن حيدر. والمنصور علي بن المهدي عبد الله في فترة حكمه الثانية يقوم من وقت لآخر بطلعات عسكرية لقمع ثورة القبائل المستمرة في يريم حتى وصل إلى قعطبة، والأحوال الاقتصادية سيئة في كل أنحاء اليمن من جراء انقطاع الواردات والتجارة. فأدى ذلك إلى الفوضى والانقسامات. وأصبحت الأمور مهيأة لمحمد بن يحيى حين تسلم الإمامة من المنصور علي بن المهدي عبدالله [٣] .

وإذا ما انتقلنا إلى الوضع السياسي الخارجي والظروف الدولية التي ساعدت على عودة العثمانيين إلى اليمن، فسنجد أنها قد مرت بعدة مراحل لأسباب عديدة سوف أحاول أن أستعرضها بإسهاب، لكي أوضح الظروف المختلفة التي أجبرت العثمانيين على اتخاذ كل الخطوات الممهدة لعودتهم إلى اليمن.

مع بداية القرن التاسع عشر كانت السلطنة العثمانية قد وصلت إلى درجة من الضعف العام الذي دب في أوصالها نتيجة لعدة تراكمات.وبمرور الزمن استشرى ذلك الضعف مما أدى إلى تقلص نفوذ هذه الإمبراطورية، واقتسام تركة الرجل المريض بين الدول الأوروبية التي كان لها الدور الأكبر في تقلص وضعف هذه الإمبراطورية الكبيرة.

وإن تطرقت إلى الأسباب التي أدت إلى ذلك التدهور فلن يكفي المجال هنا لذكرها

---

(١) د.العمري: مائة عام، ص٣٠٨.

(٢) العمري: مائة عام،ص٢٣٤.

(٣) العمري: مائة عام،ص٣٠٦٣١٣.

بالتفصيل، ولكن سأحاول أن أطرح نقاطاً عامة عن ذلك الضعف الذي نخر في عظام هذه السلطنة، حتى تم الإجهاز عليها في نهاية المطاف.

من أهم تلك الأسباب اختلال نظام الإنكشارية، فقد كان لهذا الجيش ماكان له من مزايا، ثم تحول إلى معول هدم وفساد وفوضى، وانتصر دور الإنكشارية في نهاية الأمر على استلام المرتبات، وكثرت حوادث تعديات الضباط والجنود على الأموال والأرواح، وتحولوا من ضباط أمن ودفاع إلى آلات شر وفساد[1].

وقد كانت الانكشارية ومن ورائها رجال الدين الذين لا يخدمون إلا السلطة يمثلون قوة رجعية عملت على هدم أركان الدولة لبنة لبنة، وساعد على ذلك ضعف السلاطين العثمانيين خاصة بعد السلطان سليمان القانوني، حيث بدأ الفساد يدب في الإدارة المركزية والمحلية[2]. وكان للانكشارية اليد الطولى في دعم الاضطرابات، وانعدام الاستقرار السياسي حتى وصلت الإمبراطورية إلى درجة كبيرة من التخلف الصناعي، باعتبار أن تقدم الصناعة أساس الحضارة والمجتمع الغربي[3]. وقد استغل الأجانب هذا الضعف فتدخلوا في شؤون الدولة، وحصلوا على حق حماية الرعايا المسيحيين في السلطنة. إلى جانب ذلك كانت مالية الإمبراطورية العثمانية نفسها كانت تعاني من نقص في الإيرادات وسوء تدبير المصروفات[4].

واتفق كثير من المؤرخين على أنه حين استشرت مساوئ الإدارة العثمانية، وانهار الاقتصاد، وتفاقمت الفوضى السياسية التي تمثلت في ظهور المحسوبية، وبالتالي انتشار الرشوة، وبيع الوظائف الإدارية والقضائية والدينية، كل ذلك كان له انعكاسات مباشرة على المجتمع في العالم العربي في أواخر القرن الثامن عشر، ومطلع القرن التاسع عشر.

وليس من بين العوامل التي عملت على تدهور السلطنة العثمانية عامل يضاهي تأثير

---

(١) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية،ص٤٧٤٨.

(٢) د.محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي،ص١٦٧.

(٣) د.سيد مصطفى سالم:تكوين اليمن الحديث،ص٤٢٤٣.

(٤) أ.د.سيد مصطفى سالم: نفس المصدر. ص٤٢، محمد جميل بيهم:فلسفة التاريخ العثماني،ج٢،ص٧٩.

رجال البلاط، وحريم السلطان في تقرير هذا المصير. واستشرى تزايد نفوذ الحاشية المحيطة بالسلطان بمختلف أنواعها وطبقاتها والتي عملت على عزل السلطان عن شؤون السلطنة[1].

ومن الأسباب التي أدت إلى تدهورها هو شيوع وازدهار الوهابية في نجد، ومثيلاتها السنوسية في ليبيا والمهدية في السودان. حيث كان للوهابية تأثيرها المباشر على الجزيرة العربية واليمن خاصة. وهو الموضوع الذي نحن بصدد البحث عنه. وسنرى الدوافع التي أدت إلى نمو قوة محمد علي ودخوله الجزيرة العربية واليمن لمطاردة الوهابيين.

كما ساعدت الظروف الدولية على ضعف السلطنة، وبالتالي تأثر العالم الغربي والإسلامي بذلك الضعف. فقد أدت الثورة الصناعية والازدهار الصناعي في العام العربي إلى التنافس التجاري، خاصة بعد اكتشاف الطرق البحرية المختلفة، واكتشاف القارات التي لم تكن معروفة لأوروبا من قبل، فأدى ذلك إلى التنافس بين الدول القوية من أجل الحصول على نقط ارتكاز، وموانئ تجارية وتزعمت بريطانيا تلك المنافسة، التي ما فتئت تتحين الفرص لكي تسيطر على الطرق البحرية التجارية، ولكي تؤمن سير أسطولها التجاري إلى جنوب شرق آسيا والهند خاصةً.

وازداد ذلك التنافس ضراوة مع افتتاح قناة السويس في سنة ١٨٦٩م، المعبر الرئيسي الدولي الذي يربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط[2].

ومن العوامل الخارجية التي ساعدت على انهيار السلطنة، وتدهور حكمها ظهور الحركات الوطنية، وارتباط كل ذلك بتطور الرأسمالية في أوروبا[3]. وقد أجمع كثير من المؤرخين على أن التخلف الصناعي والاقتصادي في السلطنة قد لعب دوراً هاماً في تأخرها عن باقي الدول الصناعية الأوروبية، فالحروب الكثيرة التي خاضتها الدولة العثمانية

---

(١) محمد بيهم: فلسفة التاريخ، ج٢، ص٥٣.

(٢) يمكن الرجوع إلى د.أنيس: الدولة العثمانية والمشرق العربي، أو ساطع الحصري: البلاد العربية والدول العثمانية. أو فاروق أباظة: الحكم العثماني لليمن.

(٣) محمد أنيس: الدولة العثمانية، ص١٦٥.

والهزائم المتكررة التي مُنيت بها، شغلت السلطنة عن اللحاق بباقي الدول الأوروبية في التطور الصناعي[1].

وقد نادت أوربا بمبدأ التوازن السياسي، وحرصت على المحافظة على السلطنة، وكانت إنجلترا في القرن التاسع عشر تتزعم كتلة المحافظة، ولكن ما إن اطمأنت إلى تأمين طريق الهند إثر محالفة بينها وبين روسيا في مؤتمر برلين ١٨٧٨م، حتى تخلت عن ذلك المبدأ بمجرد تحقيق مآربها الاستعمارية[2]. وأدت تلك الأطماع الأوروبية والحروب المستمرة والحركات الوطنية في داخل السلطنة إلى البُعد عن الأخذ بأسباب التمدن الحديث والقيام بأي إصلاح و تجديد.

وقد حاولت السلطنة العثمانية القيام بعدة إصلاحات لعلها تنقذ مايمكن إنقاذه من سمعة الإمبراطورية، والمحافظة على بعض أملاكها في المشرق العربي. فقد كانت أولى الخطوات التي قام بها السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) الذي يُعتبر أول سلطان عثماني مُصلح في فترة التنظيمات، هي إصدار سلسلة من التنظيمات والتشريعات، وكانت رغبته محددة ومركزه حول إصلاح الجيش، وإنشاء جيش جديد يحل محل الإنكشارية[3]. ثم تلاه السلطان محمود الثاني(١٨٠٩-١٨٣٩م) ، الذي تخلص من الفرق الانكشارية وأبادهم، وعمل على تنظيم الجند النظامي. وفي عهد السلطان عبد المجيد محمود تم سن القوانين المتتابعة، متمثلاً في «خط كلخانه»و«خط همايون»، المتضمنين الأوامر والوعود من أجل القيام بإصلاحات في السلطنة[4].

وأصدر السلطان العثماني الكثير من القوانين المقتبسة من الغرب ظناً منه أن هذه الفرمانات قد تنقذ الإمبراطورية من الهلاك والضياع. ولذا فقد أطلق الكثير من المؤرخين على القرن التاسع عشر الميلادي بالنسبة للدولة العثمانية بأنه عصر التنظيمات[5].

---

(١) نفس المصدر،ص١٧١.

(٢) بيهم: فلسفة التاريخ، ج٢، ص٨٠.

(٣) إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني،ص٨١.

(٤) بيهم: فلسفة التاريخ ،ج٢،ص٥٠.

(٥) أ.د. سالم: وثائق يمنية،ص١٣٦.

لكن رغم كل ذلك، لم تستطع السلطنة مسايرة الانقلاب الصناعي في أوربا، والنهضة العلمية العالمية، وقد قيل في ذلك: «إن بقاء الدولة العلمية لا يتطلب قوة السلاطين العظام فحسب، بل ويتطلب أن تُدرك السلطنة أنها لابد أن تكون في مستوى قوة الدول الأوربية المعاصرة، فإذا لم تكن السلطنة تملك قوة إنجلترا المالية، وقوة فرنسا العلمية، وقوة روسيا العسكرية، فلا سبيل إلى سلامتها»(١).

ويتضح مما سبق درجة الضعف العام الذي وصلت إليه السلطنة العثمانية حين ظهرت الدعوة الوهابية في نجد، إذا لم يجد السلطان تحت يده القوة اللازمة للقضاء على الوهابيين، مما اضطره إلى أن يلجأ إلى والي مصر محمد علي باشا للقيام بهذه المهمة العسكرية، حرصاً منه على المحافظة على جزيرة العرب، رغم أنها لم تكن من المناطق الغنية. إلا أن الدولة العثمانية حرصت على الشكل العام في حكمها حتى لا يقع الشك في مقدرتهم على حماية الحرمين الشريفين، خاصة أمام الممالك الإسلامية الأخرى وغير الإسلامية. فالولاء الذي يكنه العالم الإسلامي للسلطان العثماني -بدءاً بالحجاز إلى آخر صقع يقع تحت سيطرة الأتراك- لا بد أن يتأثر بالأحوال والثورات في مناطق أخرى. فالتمرد في اليمن يكون نذيراً بتمرد آخر في عسير ثم تمرد آخر في الحجاز -وبالتالي ينتقل الولاء من السلطان العثماني- الذي يتم له الدعاء في كل مساجد الحجاز إلى أحد أشراف مكة. وهو شريف مكة. ولن يتوانى المسلمون من تأييد هذا الجامح العربي الجديد، وتمكينه من حكم الأراضي العربية المقدسة(٢).

إلا أن اليمنيين أنفسهم كان لهم موقف خاص ومعادٍ للدعوة الوهابية -حسب رأى بعض المؤرخين المتأخرين- التي توسعت دعوتها، واستولت على جبال عسير، وجعلتها قاعدة لنشر أفكارها، مما دعى بإمام صنعاء إلى الاستنجاد بالسلطان العثماني وبوالي مصر القوي محمد علي لصد الزحف الوهابي عن اليمن(٣) وهكذا سنحت

---

(١) بيهم: المصدر السابق، ج٢، ص٧٩.

Harris: Journey through the Yemen; p٩٣٩٤.(١)

(٢) فاروق أباظة: الحكم العثماني لليمن،ص٣٤.

الفرصة لمحمد علي، وأصبحت جزيرة العرب أول ميدان للتوسع، واستطاعت قوات محمد علي أن تهزم الوهابيين وتتبع فلولهم، مما أدى إلى الزحف جنوباً ناحية اليمن واحتلال الموانئ الرئيسية، مثل: اللحية والحديدة والمخا، وتقدمت براً واستولت على بيت الفقيه وزبيد، وتم لها وضع حاميات قوية في كل منها[1]. وتمكنت القوات المصرية -نتيجة لعدة أسباب محلية- من الاستيلاء على تعز وما حولها من اليمن الأسفل.

وبالرغم من جلاء العثمانيين عن اليمن منذ القرن السابع عشر الميلادي، إلا أنهم ظلوا متمسكين باليمن من الناحية النظرية. وقد واتتهم الفرصة حين سمحوا لمحمد علي بحكم اليمن تحت السيادة العثمانية، لكن نجاح الحكم المصري وتغلغله إلى مختلف المناطق في اليمن، واستغلالهم لتجارة البن في البحر الأحمر، أدى ببريطانيا إلى تزعم حملة شعواء ضد محمد علي للحد من توسعاته، خوفاً على الطريق التجاري إلى الهند الذي تسيطر عليه بريطانيا، خاصة بعد أن أصبحت تجارة المخا تسيطر عليها أمريكا، ولم تترك لبريطانيا أي مجال للمنافسة، ولذا فقد بدت عدن أكثر ملاءمة لبريطانيا لاستخدامها كمحطة تجارية[2] ومن ثم خططت بريطانيا للوصول إلى هدفها، ولم تعدم الوسيلة للاستيلاء على ميناء عدن سنة (١٨٣٩م) لتأمين حركة المواصلات البحرية التجارية من وإلى الهند. وكانت نهاية تلك الأطماع الدعوة إلى عقد اجتماع لندن سنة (١٨٤٠م)، الذي كان من نتائجه، إجبار محمد علي باشا على الانسحاب من البلاد العربية ومن اليمن خاصة، حيث تم تسليم تهامة للشريف حسين بن علي بن حيدر[3].

لكن الوضع لم يكن مستقراً في اليمن خاصة بعد تسليم الشريف حسين بن حيدر لحكم تهامة، فقد رأى الإمام محمد بن يحيى أنة صاحب الحق الشرعي في حكم هذه المناطق، ولذا فقد أرسل إلى البريطانيين في عدن طالباً مساندته ليتمكن من حكم تهامة. وقد حاول مراراً معهم، لكنهم لم يعطوه أدنى اهتمام. وزاد الأمر تفاقماً أن أرسلت السلطنة أمراً

(٣) د. حسين العمري: مائة عام من تاريخ اليمن،٢٥٨.
(٥) إريك ماكرو: اليمن والغرب، تعريب: د. حسين العمري،ص٦٩.
(٣) لمزيد من التوسع يمكن الرجوع إلى د. العمري: مائة عام،ص٢٦٧-٢٧٥.، إريك ماكرو: اليمن والغرب، ص٧٣، يعقوب، هارولدف: ملوك شبة الجزيرة العربة، ص٤٨، أباظة:الحكم العثماني،ص٤٢.

بتنصيب حسين بن حيدر والياً على تهامة مقابل مبلغ من المال يدفعه للقسطنطينية[1].

وقد قام محمد بن يحيى بمحاولات أخرى لكي يصل إلى مناله -وهو حكم اليمن- فقد سافر إلى مصر لمقابلة محمد علي باشا محاولاً الحصول على مساندته للوصول إلى ما يطمع إليه، لكن محمد علي أكرم وفادته، ولم يجبه إلى مطلبه[2]. نظراً لظروف محمد علي في مصر بعد ١٨٤٠م.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فلم يسلم الشريف حسين بن حيدر من الصراع الدامي المستمر بين الأئمة المتنافسين في صنعاء، فقد لجأ إليه محمد بن يحيى يرجو مساندته للاستيلاء على الحكم، وإزالة الإمام الموجود في صنعاء وهو الإمام المنصور علي بن المهدي عبدالله. وقد تحين الشريف حسين بن حيدر الفرصة لتحقيق أهدافه التوسعية في المنطقة الجبلية، ولذا جند قواته لمساعدة محمد بن يحيى حتى تمكن الأخير من الانتصار على الإمام المنصور على بن المهدي عبدالله في صنعاء وسيطر عليها. وبعد أن حصل محمد بن يحي على مآربه تنكَّر للاتفاق بينه وبين الشريف حسين بن حيدر حليف الأمس، وأراد السيطرة على تهامة، التي تقع تحت يد الشريف، وذلك لأنه كان يرى بأنها جزء من اليمن، وأنه صاحب الحق الشرعي في حُكم هذه المناطق. فاتفق مع القبائل المناوئة لحسين بن حيدر، وحاربه حتى هزمه، وأسره. فتنازل هذا بدوره عن تهامة لقاء تأمينه وإطلاق سراحه.

لكن هذه الأحداث أثرت في نفسية الشريف حسين ابن حيدر -كما يقول صاحب كتاب المخلاف السليماني- خاصة بعد حادثة جحود الإمام محمد بن يحيى، وخيانة القبائل، فزهد في مُلكه المضطرب، ورأى أن يستنجد بالسلطان العثماني وطلب إرسال حملة تتسلم حكم تهامة التي اعتبرها أمانةً في عنقه[3]. فاستغل السلطان العثماني الفرصة واعتبرها فرصة لاستعادة حكم العثمانيين لليمن، وصدرت الأوامر بسرعة التحرك إلى اليمن على رأس قوة

(١) ماكرو:نفس المصدر، تعريب: د. العمري، ص٧٤.

(٢) أحمد عبدالله الجنداري: الجامع الوجيز،ق١٩١،(مخطوط).

(٣) محمد أحمد العقيلي: المخلاف السليماني،ج١،ص٥١٣-٥٢١.

عثمانية ضاربة، أبحرت من ميناء جدة، واتجهت إلى الحديدة حيث استقبلها الحسين بن حيدر مرحباً مُبشراً وكان ذلك في سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م[١].

ويرجع السبب الرئيسي في محاربة الإمام محمد بن يحيى للشريف حسين بن حيدر في تهامة، رغم التحالف الذي كان بينهما، وعلاقة الود التي تربطهما، أن المتوكل محمد بن يحيى وجد نفسه محكوماً بظروف اقتصادية صعبة سببها خواء خزينته، ونضوب مصادر الدخل لسيطرة الشريف حسين بن حيدر على موانئ تهامة خاصة ميناء المخا الذي كان مصدراً أساسياً لصنعاء، وقد حاول الإمام محمد بن يحيى مراجعة الشريف حسين في بعض الموانئ إلا أن الشريف حسين بن حيدر امتنع، فما كان من حليف الأمس إلا أن شمر ساعده لمحاربته، وذلك للحد من تلك الأطماع التي استحوذ عليها الشريف حسين[٢].

وما أن دخلت القوات العثمانية إلى الحديدة بمساعدة الشريف حسين بن حيدر، حتى سارع الإمام محمد بن يحيى إلى إرسال الرسائل للعثمانيين يطلب منهم القدوم إلى صنعاء، ومساعدته من أجل قمع القبائل الطامعة. والحد من ثورات الأئمة المتنافسين الطامحين. وقد رأى من ذات نفسه أن لا تكون مبادرة الاتصال بالعثمانيين فقط من ناحية الشريف حسين بن حيدر، حين استقدم العثمانيين إلى تهامة، بل وسولت له نفسه أنه باللجوء إلى العثمانيين يزداد قوة وشرفاً و يتمكن من السيطرة على نِصاب الأمور في صنعاء.

وتمكن العثمانيون من القدوم إلى صنعاء (١٢٦٥هـ ١٨٤٩م) ، بعد أن مَهَدَ لهم محمد بأن يحيى الطريق واستقبلهم هو وحاشيته وأدخلهم إلى صنعاء، «وانخلع عن الخلافة ومكنهم من كل شئ وأظهر الانعزال بالكلية[٣]».

لكن أهالي صنعاء لم يستسلموا للأمر ، ولم يرضهم دخول العثمانيين مدينتهم، فقاموا قومة رجل واحد، وحاصروا العثمانيين في القصر، وتزعم تلك الثورة المنصور علي بن المهدي، الذي تولى الإمامة للمرة الثالثة ثم ترأس بالتالي المفاوضة مع العثمانيين على الخروج

(١) د.العمري: مائة عام من تاريخ اليمن، ص٣٣٤.
(٢) نفسه:مائة عام،ص٣٣٠،٣٢٠.
(٣) مجهول:صفحات مجهولة من تاريخ اليمن، تحقيق السياغي، ص٢٣.

من صنعاء، وتعهد بحمايتهم حتى تهامة[1]. وقد قام المنصور علي بـن المهـدي بـالقبض عـلى محمد بن يحيى ثم صـدر أمـراً في سـنة ١٢٦٦ هــ بقتلة،لأنـه أعتـبر خائنـاً وكـاد أن يمكـن العثمانيين من حكم صـنعاء. وبعـد هـذه الحادثـة انحـصر حكـم الأتـراك العثمانيـين عـلى السواحل فقط، حتى مكنتهم الظروف الدولية مرة أخرى من الاستيلاء على صنعاء.

أما المناطق الشمالية وخاصة صنعاء، فقد عاد إليهـا الـصراع والتنـافس والفـوضى بـين الأئمة، واستشرى وهزل مركز الإمامة، وازداد بالتالي هجوم القبائل عـلى المـدن، وأصـبح النهب والسلب لتلك القبائل هو الشاغل الدائم، وأصـبحت القبائـل التـي حـول صـنعاء تتخذ من الصراع بين الأئمة ومناصرتهم وسيلة للفـوضى. وقـد تبلـور رأى أهـالي صـنعاء باختيار أحد مشائخهم للخروج من تلك الفوضى والقضاء عليها. وجعلوا بيد هذا الـشيخ السلطة الفعلية، حتى اصبح من سلطته إدخال إمام وإخراج آخـر. وأصـبح دور الإمـام في نهاية المطاف هو إقامة صلاة الجمعة، ومن ثم علية الخروج من صنعاء والإقامة في قرية مـن القرى خارج صنعاء[2].

وكان أبرز من ظهر في هذه الفترة من المشائخ هو الحاج أحمد الحيمـي الـذي أجمـع عـلى تنصيبة أهل صنعاء سنة (١٢٧٠هـ-١٨٦١م) . وبات الحيمي متنفذاً لحكم صنعاء وإخـراج الأئمة منها، ويظهر في هذه الفترة أكثر من إمام، مـنهم الإمـام المنـصور محمـد بـن عبـدالله الوزير في آنس ثم السر، والإمـام المتوكـل المحـسن بـن أحمـد الـشهاري في بـلاد كحـلان. والإمام الهادي غالب بن محمد بن يحيى في تهامة، والإمام حـسين بـن محمـد بـن الهـادي في حصن القرانع في الطويلة[3].

وقد تفاقمت الفتن في صنعاء في عهد الشيخ الحيمي حيـث كـان أهلهـا يعطـون البيعـة لأكثر من إمام ثم لا يلبثون أن ينقضوها. ومن هذه نقـضهم المبايعـة التـي بايعوهـا للإمـام المحسن بن أحمد الشهاري، وبعد أيام أعطـوا بيعـتهم لغالـب بـن محمـد بـن يحيـى الملقـب بالهادي، الذي بدوره انتزع المبايعة انتزاعا بعد أن هدد شـيخ صـنعاء أنـه إذا لم يعـين إمامـاً

(١) عبدالواسع الواسعي: تاريخ اليمن ص٢٤١.

(٢) الحرازي: فترة الفوضى وعودة الأتراك إلى اليمن، تحقيق د.العمري، ص٢٦.

(٣) والحرازي: فترة الفوضى وعودت الأتراك إلى اليمن، تحقيق د. العمري، ص ٢٦

لصنعاء فسوف يستولي على أملاكه في الحيمة، وقد رضخ الحيمي لهذا التهديد، وبايع غالب بن محمد بن يحيى الملقب بالهادي، وبالتالي تبعه أهل صنعاء في تلك البيعة. لكن الأيام كشفت ستارها عن الإمام الهادي (غالب بن محمد بن يحيى) . الذي دفعه جشعه وطمعه إلى أن يكون له دور بارز في تسهيل مهام قدوم العثمانيين إلى صنعاء[1] .

ومن ناحية أخرى فقد أدت أعمال الحيمي السيئة في صنعاء وتحكمه في أهلها، إلى أن تكون نهايته السجن وبقى به حتى توفي.

ومما سبق يتضح لنا كيف صارت الأمور داخل صنعاء، وبالتالي يحق لنا أن نتخيل الأحداث في باقي مناطق اليمن، وما عاناه أهلها من جراء تلك الفوضى والفتن، وأصبحت مجريات الأمور في داخل صنعاء بيد المشائخ. وبعد ذلك تولى المشيخة في صنعاء الشيخ محسن معيض (٢٨ القعدة ١٢٧٧هـ-١٨٦٠م) . بعد صراع مرير بينه وبين آخرين طامحين في هذه المشيخة، وولاه أهل صنعاء أمرهم، «وجعل منهم قوة قوية مُدافعة حاملة للسلاح ضد هجمات القبائل الشمالية»[2] .

أما تهامة فقد كان الأتراك يحكمون السيطرة عليها، وحاولوا من وقت لآخر مد نفوذهم إلى المناطق الوسطى، فاستولوا على تعز والحجرية، وعلى جبل رأس في العدين[3] .

وقد فكر أهل صنعاء بزعامة شيخهم محسن معيض بأنهم في حاجة إلى إمام عندما شعروا بازدياد خطر المكارمة على صنعاء. الذين استولوا على الحيمة القريبة منها، فجددوا البيعة للإمام المحسن بن أحمد الشهاري، وقرر أهالي صنعاء ومعهم بعض العلماء على محاربة المكارمة. وعرضوا القيادة على المحسن بن أحمد الشهاري ووعدوا بإعانته بالمال والرجال، فقبل هذا العرض وبدأ يحرض الناس على القيام بالحرب، وقاد الجيش في الحيمة[4]. وحين انتهى دوره القيادي حينذاك انزوى في قرية سناع خارج صنعاء، لأن أهلها التفوا إلى إمام آخر برئاسة شيخهم محسن معيض، ممن كانت مصلحتهم معه، وخاصة إذا كان ضعيف

---

(١) نفس المصدر،ص٢٨.

(٢) مجهول: صفحات مجهولة من تاريخ اليمن، تحقيق: السياغي، ص٧٨.

(٣) محمد بن لطف قاضي: الروض البسام،ص١٤٩.

(٤) الواسعي: تاريخ اليمن،ص٢٥٧.

الشخصية منقاداً «والشيخ محسن على حاله لا يقع إصدار وإيراد إلا برضاه»[1].

وأصبحت الفوضى مستشرية في هذه الفترة بسبب الاضطرابات وضياع الأمن والأمان، وساءت أحوال الناس، فكانت الفرصة مواتية لعودة الأتراك إلى صنعاء، خاصة بعد أن سارع بعض الأئمة المتنافسين، بالاستنجاد بالعثمانيين، ودعوتهم إلى صنعاء، منهم الإمام غالب بن محمد بن يحيى، الذي كرر دور أبيه، والشيخ محسن معيض الذي ساعد على تنفيذ هذه المهمة، وكان على رأس الممهدين لعودتهم إلى صنعاء[2]. وقد سبق لمحسن معيض أن قام بعدة إجراءات ممهدة لدخول الأتراك، فكتب (قاعدة) أي (اتفاقية) تقضي بجعل رؤساء القبائل المجاورة لصنعاء يوقعون عليها لإثبات موافقتهم على قدوم العثمانيين الأتراك إلى المناطق الشمالية ومنها صنعاء. وتم إرسال الإمام غالب بن محمد بن يحي إلى تهامة لتسليم الأتراك تلك الاتفاقية، واصطحابهم إلى صنعاء[3].

وسنحت الفرصة للأتراك لكي يتم لهم تنفيذ مآربهم التوسعية بسبب الظروف الدولية التي تفاقمت وتوسعت.وكان لابد للأتراك من ترسيخ أقدامهم في اليمن، خاصة بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م.

وكانت أولى خطواتهم التوسيعية أن توجهوا نحو مناخة، وتم لهم قمع المكارمة في حراز وقتل زعيمهم[4]. وبعد ذلك توجهوا نحو الحيمة التي كان مشائخها قد وصلوا إلى أحمد مختار باشا القائد العثماني، وقدموا الطاعة والرضوخ للسلطان العثماني[5].

وتابعت الحملة العثمانية قدومها نحو صنعاء، وعند جبل عصر تم استقبالهم من قبل السادة العلماء والأشراف، ووجهاء وعلية القوم في صنعاء، وكان في حسبان هؤلاء جميعاً أن الأتراك سوف يقومون بدور محدد في تربية العُصاة من القبائل وترتيب أمور صنعاء، ومن ثم يرحلون عنها، لكن الباشا -كما يذكر لنا الواسعي- هز لهم رأسه وتكلم بكلمات لا

---

(١) مجهول: صفحات مجهولة، تحقيق: السياغي،ص١٠٢.
(٢) الحرازي:فترة الفوضى، تحقيق: د.العمري،ص٢٨.
(٣) الحرازي:فترة الفوضى، تحقيق: د.العمري:ص١٧٥.
(٤) الواسعي: تاريخ اليمن،ص٢٥٩.
(٥) الحرازي: فترة الفوضى،تحقيق: د.العمري،ص١٧٨.

يفهمونها فظنوا أن الأمر كما يريدون[1].

وعند دخول الأتراك إلى صنعاء قاموا ببعض الإجراءات الإدارية لكي يثبّتوا أقدامهم، وتكون لهم اليد الطولى في السيطرة على صنعاء وما جاورها، فاستولوا على المعاقل والحصون المحيطة بصنعاء، ونزلت عساكرهم في قصر غمدان، وتم لهم قمع وقتل الثائرين الذين حول المدينة، ثم عمدوا إلى محاصرة الدفعي الذي تمرد في منطقة شعوب وقتله[2]. وتم مهاجمة العذري في أرحب الذي سبق أن حرض القبائل على محاربة الأتراك، وتم قمع قبائل حاشد الثائرة[3].

ومن خلال استعراضنا للأوضاع الداخلية في اليمن. التي سهلت دخول الأتراك العثمانيين إليها، فإننا نجد أن الأمور كانت مهيأة للحكم العثماني -كما سبق أن ذكرنا- ونتيجة لكل ذلك فقد قام الأتراك بإجراء العديد من الخطوات الإصلاحية في اليمن فحاولوا قمع الثورات التي قامت ضدهم، لكنهم واجهوا عدة من الصعوبات على مستوى جهات اليمن. فقد قامت ضدهم العديد من الثورات تحت زعامة الأئمة، ومنذ اللحظات الأولى التي دخلوا إلى صنعاء (١٨٧٢م) استولوا على عمران وكوكبان وشبام وريمة، وافتتحوا طريقاً من الحديدة إلى صنعاء وأسسوا البريد إلا أنه وبالرغم من ذلك استمرت الثورات[4]، ويذكر الدكتور أباظة أن أسباب نجاح الحكم العثماني لليمن، يرجع إلى أن اليمن كانت أسلس قيادة للعثمانيين من ذي قبل، وذلك لأن الإدارة المصرية في اليمن كانت قد قامت بعدد من الإصلاحات والتنظيمات في أثناء وجودها في اليمن[5]. لكنني أختلف مع هذا الرأي. فهناك فرق واختلاف بين الفترة التي دخل فيها محمد علي إلى اليمن وبين الفترة الزمنية التي دخل فيها الأتراك. فتواجد محمد على كان مقتصراً على السواحل، وإذا جاز الأمر فقد تمكنت بعض قواته من مد نفوذها إلى مدينة تعز وما حولها، ولم تساعده الظروف السياسية على مد نفوذه إلى المناطق الشمالية ومنها عاصمة اليمن صنعاء. أما العثمانيون فقد

---

(١) الواسعي: تاريخ اليمن،ص٢٥٩.
(٢) الحرازي: فترة الفوضى، تحقيق: د.العمري،ص١٧٨.
(٣) الواسعي: تاريخ اليمن،ص١٧٤.
(٤) أ.د. سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث،ص٣٢.
(٥) أباظة: الحكم العثماني في اليمن،ص٣٢.

استطاعوا إحكام سيطرتهم والدخول إلى المناطق الشمالية ومنها عاصمة اليمن. وقد ساعدهم على ذلك الظروف السياسية. والفوضى المحلية التي كانت تمر بها اليمن في ذلك الحين. ونتيجة للتنافس المتنامي والظروف الدولية -التي سبق أن أشرت إليها- وخاصة أن الأتراك كانوا جادين هذه المرة في الاستيلاء على اليمن، لكي يغرسوا لهم موطئ قدم على سواحل جنوب البحر الأحمر، وحتى يحكموا سيطرتهم على المناطق الشمالية من اليمن المكملة لها، لحماية الأراضي المقدسة، وللوقوف أمام الأطماع الإنجليزية الذين كانوا قد سيطروا على عدن حينذاك؛ فقد حاول الأتراك حكم اليمن حكماً مباشراً، فعملوا على تضييق الخناق على الأئمة، الذين رفضوا بدورهم الخضوع للحكم العثماني. وكانت لهم أدوار ومصادمات مع الأتراك، ورفضوا الخضوع والاعتراف بالزعامة العثمانية[1]. وقد كان الأتراك أحد أسباب هذه الثورات التي ما فتئ الأئمة أن نددوا بها. فقد عمد الأتراك ومنذ اللحظة الأولى على تحديد حركاتهم وعزلهم، وحصر مناطق نفوذهم، ومحاربتهم ومحاربة دعاتهم، وإيقاف عوائد الزكاة التي كان الأئمة يرون أنها من حقهم.

كذلك قام الأتراك بفرض قوانين ضريبية ورسوم جمركية. كانت تُعد من الأمور المستحدثة التي فُرضت على اليمنيين، وبالتالي ندد بها الأئمة، وحاربها اليمنيون كافة، لكن استمرار تلك الحروب كانت سبباً في تدفق الغنائم التي كان القبائل يهتبلون من أجل الحصول عليها، واعتبرت القبائل نهب المدن والعساكر العثمانيين من أحب الأعمال التي كانوا يطمحون إليها.

ويتضح لنا وطأة الحكم العثماني في اليمن، من خلال الشكاوي التي كان المشائخ يقومون بإرسالها إلى السلطنة -خاصة مشائخ اليمن الأسفل، وهي المناطق الخصبة- وقد قاموا بعرض شكاويهم المختلفة التي كانوا يعانون منها من جراء أنواع المظالم المختلفة، التي يتلقونها من الموظفين الأتراك على اختلاف مناصبهم في كافة مناطق اليمن. فقد كان هؤلاء الموظفون يُعرضون الأهالي لشتى أنواع المظالم والقسوة، منها مصادرة الأموال، وتخريب الدور، وقلع الأشجار إلى جانب الرسومات والضرائب المختلفة، التي كانت تفرض على المزارعين الفقراء باسم القانون، ونتيجة لقسوة تنفيذ هذه القوانين قام الأهالي بإرسال

(١) إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي، ص٢١٧.

شكاويهم المختلفة إلى السلطنة[1].

كل هذه الإجراءات أدت إلى انتعاش الإمامة، وأوجدت المبرر للاتصال بالقبائل والقوى الاجتماعية المختلفة في اليمن،لإثارتهم وإثارة حفائظهم الدينية ضد العثمانيين.

وتحول الأمر في اليمن من مجرد منافسة على السلطة إلى وجود قضية عامة كبيرة دعا إليها الأئمة، والتف حولهم اليمنيون وآمنوا بهذه القضية على مختلف مستوياتهم. وأفرزت هذه الأحداث زعامات محلية متعددة، استطاعت أن تخوض هذه الأحداث وتؤثر فيها تأثيراً إيجابيا[2].

وقد ساعد على قيام تلك الثورات ليس في اليمن فقط وإنما في مناطق أخرى يحكمها الأتراك. عدة أسباب ولكل منطقة دواعيها التي من أجلها قامت الثورات، ويرجع كل ذلك إلى أن الأتراك أنفسهم لم يدرسوا بتمعن دواعي وأسباب تلك الثورات. ونظروا إلى كل ذلك بمنظار سطحي، رغم أن السلطنة كانت تبذل الكثير من الضحايا، لكن كل ذلك لم يؤد إلى نتيجة محققة. وكان الأهالي بدورهم ينظرون إلى السلطنة بأنها قوة مسلحة تهمل حقوقهم، وتحاول أن تسيطر على معظم المناطق بالقوة، إلا بعض الطفرات والإصلاحات البسيطة التي حاول العثمانيون إدخالها وإصلاحها في المناطق التي حكموها لكي يوطدوا نفوذهم فيها[3].

كل ذلك أفرز زعامات محلية -كما أشرنا- منها الإمام المحسن بن أحمد الشهاري، والإمام الهادي شرف الدين، وتبلورت تلك الزعامات بقوة أكبر في قيام الإمام المنصور محمد بن يحي حميد الدين.

وسأحاول إبراز دور كل واحد من هؤلاء فيما بعد لكي نتبين دور كل هؤلاء في معارضة الوجود العثماني في اليمن.

---

(١) وثيقة رقم: ملف ٤٣، سرة١١٦، وثيقة ١/ ٣.

(٢) أ.د.سيد سالم: وثائق يمنية،ص١٣٩.

(٣) مجلة العرب: مقال،ص٨٤٩.

الإمام المحسن بن أحمد الشهاري

(١٢٧١-١٢٩٥هـ/١٨٥٥-١٨٧٨م)

حياته ودوره السياسي في الحياة العامة :

كان المحسن بن أحمد الشهاري من الشخصيات المعروفة في ذلك الحين، وكان قد تولى عدة مناصب قبل اختياره للإمامة، منها أنه كان قاضياً على ناحية عفار. وحين استشرت الفوضى، وتفاقمت الفتن في صنعاء وزادت الأمور اضطراباً خاصة بعد انسحاب الإمام محمد بن عبدالله الوزير إلى هجرة السر، مال أهل صنعاء إلى مبايعة المحسن بن أحمد الشهاري، لشغل هذا المنصب[١]. لكن الأمور لم تصفُ للإمام المحسن بن أحمد، ولم يسبق لأي إمام أن امتُحِن وامتُهِن في حياته مثله، فقد عارضه الكثير من الأئمة في هذه الفترة على عكس ما ذكره الواسعي بأن جميع الأئمة أجمعوا رأيهم على تنصيب إمام واحد وإعانته. فحين تمت مبايعة الإمام المحسن بن أحمد الشهاري خرج إلى حدة القريبة من صنعاء، ودعا الآخرين وهم غالب بن محمد بن يحيى، والعباس بن المتوكل وأحمد بن عبد الله أبو طالب، وطلب منهم أن يتعهدوا «على مبايعة إمام واحد وإعانته»[٢].

وقد كان هؤلاء ممن أثاروا الفوضى والفتنة في عهدهم فقد كانوا في نفس الوقت أضعف من أن يديروا شؤون الدولة، لذا فقد رجعت الأمور إلى ماكانت عليه من الفوضى، واستشرت القلاقل القبلية في معظم أنحاء اليمن. ونتيجة لتذبذب أهل صنعاء وما جاورها في ولائهم لهذا الإمام أو لذلك، فقد رغب الإمام المحسن بن أحمد، أن يكون مقر إقامته في بيت سبطان جنوب صنعاء، خاصة بعد أن رأى من أحوال أهالي صنعاء ما رأى، فأزمع على الخروج من صنعاء بعد توليته الإمامة بثلاثة أيام[٣]. لكنه تعرض لهجوم القبائل التي

(١) مجهول: صفحات مجهولة من تاريخ اليمن، تحقيق: السياغي،ص٦٢.

(٢) الواسعي: تاريخ اليمن،ص٢٥١.

(٣) مجهول: حوليات يمانية،ص٢٤٢.

حول صنعاء، وهاجموه في مقر إقامته في بيت سبطان، ففر ولجأ إلى صنعاء، إلا أن أهلها رفضوا فتح الأبواب، مبررين ذلك بأنهم خائفون من الإمام غالب بن محمد بن يحيى الذي سيطر على صنعاء في هذه الفترة(١).

ورغم ذلك فحين تفاقمت الأمور في صنعاء وخارجها، نتيجة لضعف الأئمة المتنافسين، وحين سيطر المكارمة على الحيمة -كما سبق أن ذكرنا- ووجل الناس من اقتراب نفوذهم إلى صنعاء وما جاورها، اتجه الرأي بعد مشاورات بين علماء صنعاء و مشائخها، أن يجددوا البيعة للإمام المحسن بن أحمد، فسُكَّت عملة باسمه، وطلبوا منه أن يتزعم حملة لمحاربة المكارمة في الحيمة، التي امتد نفوذهم من حراز إليها. وقد قَبِلَ المحسن بن أحمد عبء هذه المهمة وحشد الناس للقتال، وتقدم بجيشه لقتال المكارمة في الحيمة وما جاورها، يعاونه في تلك الحملة السيد محمد بن يحيى حميد الدين -وهو الإمام المنصور صاحب السيرة فيما بعد- وما أن كاد يهزمهم ويشتت جموعهم، حتى لعبت الخيانات القبلية دورها، وقام المكارمة بإغراء القبائل المصاحبة للإمام بالأموال على أن يكفوا عن القتال. وأظهرت القبائل عجزها للإمام المحسن، فلم يجد بُداً من الرحيل بعد أن تهاونت القبائل عن النصر والجهاد، ووصل إلى صنعاء، وصلى الجمعة في نفس اليوم، ثم رحل إلى الغراس ومنها إلى كحلان(٢). وكان الإمام المحسن من وقت لآخر يرسل الرسائل إلى صنعاء ليذكر الناس ببيعته، رغم عدم استقرار الناس على رأى بالنسبة لتلك البيعات.

وكما سبق أن ذكرنا فإنه عندما تقدم الأتراك سنة ١٨٧٢م، كان الكثير من أهالي صنعاء وأشرافها وعلمائها، وعلى رأسهم شيخ صنعاء في ذلك الحين محسن معيض، والإمام غالب بن محمد، وحسين الهادي، في استقبالهم، وهيأوا لهم كل الأمور التي ساعدتهم على دخول صنعاء، وتوطيد نفوذهم. لكن الإمام المحسن عارض دخول الأتراك إلى صنعاء، فمنذ الوهلة الأولى التي أشرف الأتراك على أبواب صنعاء غادر الإمام المحسن مقر إقامته متوجهاً إلى أرحب، وهناك حاول استنفار الناس للقتال ومحاربة الأتراك. وكانت له مواقف

(١) مجهول: حوليات يمانية، ص٢٤٤٢٤٧.

(٢) مجهول: صفحات مجهولة، تحقيق السياغي، ص٩٤.

عديدة ضد الوجود العثماني في اليمن، فراسل العلماء في صنعاء وألب الناس والقبائل كافة، واستجابت القبائل لـدعوة الإمـام المحـسن وشـاركته في الجهـاد. فقامـت بقطـع أسـلاك التلغراف، وفجرت بيوت الموظفين الأتراك بالبارود، وكما قامت هذه القبائل الموالية للإمام المحسن بمحاصرة الأتراك في «قرية السنتين» من حاشد، لكي يستولوا عـلى المـدفع الـذي بصحبة تلك الفرقة وقامت معركة بين الطرفين، استماتت فيها الأتراك لكي لا يقع المـدفع في يد القبائل،لكن القبائل احتشدت من كل صوب وناجزت الأتراك بـالقفز والطعـن، حتـى تمكنت من الاستيلاء على المدفع وجره إلى مقر الإمام[1].

وكان الإمام المحسن يجمع القبائل ويحثها على «الجهاد والطعان» «فتجتمع ثم لا تلبث أن تتفرق» وقد « انتقل الإمام إلى خمر ومنها إلى حوث وهو يحثهم على جهاد العجم، وكلـما اجتمعوا افترقوا، لما داخلهم من الفشل»[2].

وقد عاصر الإمام المحسن الوالي أحمد مختار، وأحمد أيوب ومصطفى عاصم، وكان لـه مع الأخير العديد من المواقف والحروب، وكثيراً ما قامت القبائل بتحين الفرصة، وإعـلان العصيان بسبب قسوة حكم مصطفى عاصم، الذي حكم اليمن لمدة ست سـنوات، وكـان له العديد من المواقف ضد الإمام المحسن وكل من تعاطف معه، فقد عمد إلى القبض عـلى العديد من علماء صنعاء وتجارها، ممن لمس مساندتهم للإمام وتعاطفهم معه، بعـد أن ذاقـوا من قوة وبطش الحكم العثماني الأمرين، وتم إرسالهم إلى سجن الحديـدة، ومـنهم العلامـة السيد محمد بن يحيى حميد الدين صاحب السيرة. وقام الوالي بمطاردة الإمـام المحـسن مـن منطقة إلى أخرى، وأحرق كل القـرى التـي كـان الإمـام يلجـأ إليهـا[3]. واسـتمرت تلـك الحروب ضد الإمام ودعوته حتى وفاته سنة (١٢٩٥هـ١٨٧٨م) .

---

(١) مجهول:حوليات يمانية، تحقيق: الحبشي، ص٣٣٦.

(٢) الجنداري: الجامع الوجيز، ق٢٠١.(مخطوط)

(٣) محمد بن محمد زبارة:أئمة اليمن،ص١٥.

الإمام الهادي شرف الدين

(١٢٩٦-١٣٠٧هـ/١٨٧٩-١٨٨٩م)

وتكررت تلك الصورة في إمام آخر عمل بجد وثبات، وحمل عبء المقاومة ضد الأتراك. وكان يمثل صورة أخرى فقد نصب نفسه إماماً وكان يرى أن عليه واجب (الجهاد) كما كان متعارفا عليه حينذاك، وهذه الصورة تتمثل في الإمام الهادي شرف الدين، الذي كانت دعوته عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م بعد وفاة الإمام المحسن بن أحمد. نشأ في صنعاء وتلقى علومه في أحد مساجد صنعاء، وكان له عدد من الأساتذة العلماء الذي نهل على أيديهم جل علومه الدينية، وقد قيل عنه: (كان عالماً فاضلاً ورعاً تقياً عابداً بعيداً عن أرباب الدنيا) . وكان قد تولى القضاء في عهد الإمام المحسن بن أحمد بمدينة السودة، ثم في ظفير حجة[١].

وقد حاول الإمام الهادي مراجعة جُل علماء عصره للقيام بالإمامة قبل إشغاله لها، لكن الكل امتنعوا[٢].فلم يسعه إلا أن أعلن لنفسه البيعة والإمامة، بعد أن أيده العلامة أحمد بن قاسم حميد الدين، والإمام محمد بن عبدالله الوزير، ويرجع سبب ذلك إلى خوف جميع هؤلاء من قوة الأتراك وبطشهم، خاصة بعد أن قام الأتراك بسجن مجموعة كثيرة من علماء صنعاء كما سبق أن ذكرت.

وقد مهدت الأوضاع السياسية الداخلية، الظروف أمام الهادي للقيام بدعوته، لأن الأتراك مارسوا أنواعاً قاسية من الحكم في اليمن كالبطش وحرق القرى وسجن العلماء وملاحقة المشائخ إلى جانب مساوئهم المالية والإدارية، كل هذه الظروف خلقت جواً مناسبا للثورة ضدهم وأعطت للأئمة مبرراً عقلانياً، ومتنفساً قوياً ساعدهم على الدعوة، وبالتالي التفاف الناس بمختلف طبقاتهم حولهم وموالاتهم.

---

(١) زبارة:أئمة اليمن، ص١٥.

(٢) زبارة:أئمة اليمن، ص٩.

وقد مورست هذه القسوة مع بعض اليمنيين الذين ساندوا الوجود العثماني، وساعدوهم في ترسيخ حكمهم، ومنهم على سبيل المثال الشيخ محسن معيض، الذي كان له دور بارز في دخولهم صنعاء، وتوطيد حكمهم داخل صنعاء وخارجها، ولكنهم في نهاية المطاف سجنوه وصادروا أمواله حتى مات والحسرة والخوف يملآن نفسه، من الإجراءات التي قام بها الأتراك تجاهه[1].

وتكررت هذه الصورة مع أحد الشخصيات اليمنية البارزة التي ساعدت الأتراك وهو الشيخ عبدالله أحمد الضلعي، الذي عمل مع المشير مصطفى عاصم والمشير محمد عزت. وكانت نهاية الضلعي أن تم حبسه، وصودرت أمواله ومن ثم نفي إلى عكا وبقى فيها حتى مات هناك[2].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد قام الأتراك بمصادرة أموال السيد يحيى المجاهد التعزي، مفتي الديار التعزية، وكان من الشخصيات التي لاقت الأمرين من معاملة الوالي وأعوانه.

ونتيجة لكل ذلك أصبحت الأرض خصبة لقيام دعوة الإمام الهادي، فكانت بداية دعوته في الأهنوم، وحين قوي ساعده وتمكنت شوكته، انتقل إلى قفلة عذر ثم إلى حوث. وظل الإمام الهادي ينتقل من قرية إلى قرية، ومن منطقة إلى أخرى، يحارب العثمانيين، ويحرض عليهم القبائل وعامة الناس، ويحمل راية الحرب بكل الوسائل الممكنة، كقطع الطريق على الأتراك ونهب أموالهم وأسلحتهم، وإحراق دورهم بالبارود.

وفي سنة ١٢٩٨هـ، نقل الإمام الهادي مقر إقامته إلى صعدة، البعيدة عن أيدي ونفوذ الأتراك، واستمرت الحروب سجالاً فيما بين الإمام والأتراك في مناطق حجة والظفير وخولان العالية، حتى قدوم الوالي الجديد أحمد فيضي باشا في ولايته الأولى لليمن سنة (١٣٠٢هـ) ، حيث اتصف بالقوة والبطش، وتحصيل الأموال والضرائب بالقوة، لذا خافت القبائل وتوانت عن الحرب، لكن الإمام الهادي استمر في دعوته للحرب، خاصة

---

(١) نفسه: ص٢٢.

(٢) نفسه: ص٩٥.

حين استقرت له الأمور في صعدة وما حولها[1]. وقد لجأ إليه عدد من العلماء والفقهاء هروبا وخوفاً من بطش الاتراك[2].

والملاحظ أنه حين سكن الإمام الهادي مدينة صعدة توقف أعوانه عن شن الغارات والحروب ضد الأتراك خاصة مع مطلع عام ١٣٠٥هـ، فقد سكن الجميع عن الحرب، وانتهجوا طريق السلامة، حتى وفاة الإمام الهادي شرف الدين سنة ١٣٠٧هـ، وقد يكون ذلك بسبب سياسة القوة والبطش التي اتبعها فيضي باشا، وأيضاً قد يكون نتيجة لبعد المنطقة -أي مدينة صعدة- عن أيدي الأتراك ونفوذهم.

والغريب أن الأتراك انتهجوا في هذه الفترة سياسة فيها شئ من اللين مع بعض القبائل وبعض الشخصيات اليمنية البارزة، التي لو انضمت للإمام الهادي، لكان لها دور بارز في زعزعة الوجود العثماني. منها على سبيل المثال السيد غالب بن محمد بن يحيى الذي كان له، ولوالده من قبل دور بارز في دخول الأتراك إلى صنعاء، وتم تعيينه من قبل الأتراك عاملاً على مدينة خمر[3]. وكذلك أبناء الإمام المحسن بن أحمد (محمد وعبدالله) . الذي تم إدخالهما إلى صنعاء، وقرر لهما الأتراك معاشاً شهرياً سواءً في مقر إقامتهما في صنعاء أو في قرية الخمري مقر استقرارهما[4].

وبذلك نرى وبوضوح أن الفترة التاريخية التي قام فيها الإمامان المحسن بن أحمد الشهاري، والإمام الهادي شرف الدين، تمثل الدور الأول للمعارضة ضد الوجود التركي في اليمن، أو بالأحرى الدور التمهيدي الذي هيأ الطريق لاستمرار الثورة تحت قيادة الإمام المنصور محمد بن يحي حميد الدين صاحب السيرة.

---

(١) زبارة: أئمة اليمن،ص٧١.
(٢) نفسه: ص٩٤.
(٣) زبارة: أئمة اليمن: ص١٦.
(٤) نفسه:ص١٢٣.

الفصل الثاني
بروز شخصية الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين ودوره السياسي

اتضح لنا من خلال الفصل السابق، الذي تناولنا فيه إرهاصات الحكم العثماني الثاني في اليمن ودوره، والأسباب المحلية والعربية والدولية التي أدت إلى دخول الأتراك إلى اليمن للمرة الثانية. وتم توضيح الظروف والملابسات التاريخية التي صاحبت تلك الأحداث.

وإذا ما تناولنا أهم شخصية برزت في تلك المرحلة التاريخية الهامة -وهي المرحلة التي اتضحت من خلالها المقاومة اليمنية بصورها المختلفة- فسنرى أنها شخصية السيد العلامة محمد بن يحيى حميدالدين الذي لعب دوراً هاماً حينذاك، ولذلك يمكننا تسجيل سيرة حياته الخاصة والعامة والدور السياسي الذي لعبه في ذلك الوقت.

ترجمة حياته

هو محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين وينتهي نسبه إلى الإمام القاسم بن محمد بن علي بن الرشيد، مؤسس الأسرة القاسمية في اليمن[1]. وكأبناء عصره فقد حرص على تلقي العلم على يد شيوخ عصره وعلمائها، ممن كان لهم شهرة في ذلك المجال. فكانت أولى خطواته العلمية في مراحلها الأولى هو حفظ القرآن الكريم، وانتقل بعد ذلك إلى المراحل العلمية التالية، وهي تلقي العلوم النقلية والعقلية على يد مشائخ عصره وعلمائها، حتى وصل إلى درجات مرموقة من العلم ساعدته على تلقي الإجازات العلمية المختلفة[2].

وقد ساعده غزارة علمه على خوض غمار العمل السياسي منذ وقت مبكر من مراحل حياته.

---

(١) علي بن عبدالله الإرياني: النص (الدر المنثور)، ق١٦أ.

(٢) النص: ق١٦أ.

وليس لنا أن نغفل بعض صفاته الشخصية التي أطنب في ذكرها مؤرخنا الإرياني، منها «حُسن الخُلق التي قربت إليه الصغيروالكبير وأزالت وحشة الغريب»[1] وقد اتسم بجودة الرأي التي أقر له بها العدو والصديق. وأيضاً لا ننكر فصاحته وبلاغته فقد ظهر ذلك في الرسائل المختلفة، وخطبه السياسية العديدة، وقصائد شعره الكبيرة والبليغة، التي كتبها طوال فترة تسلمه للإمامة. وقد ذكر الإرياني مدى قدرته على كتابة الكثير من الرسائل والرد عليها، وعلى قيامه بتنفيذ الكثير من الأحكام الشرعية، إلى جانب قيامه بالكثير من الأعمال الإدارية «كتفقد بيوت المال والنظر في جميع الأحوال، وفي مؤنة الوافدين والمهاجرين والمجاهدين»[2].

ولم يغفل مؤرخنا الإرياني أن يذكر ثبات القلب والشجاعة التي اتسم بها ابن حميد الدين طوال حياته العلمية والعملية والسياسية والعسكرية. فمن يحمل زمام الإمامة ويقوم بالدور الذي قام به، لا ريب أن تكون شجاعة اتسم بها في عصره[3].

نشاطه السياسي قبل الإمامة

كان للسيد محمد بن يحيى حميد الدين نشاطه السياسي الخاص، ومارس عدة من الأعمال المختلفة التي كان لها تأثير مباشر في تأهيله فيما بعد لتولي الإمامة. ففي عهد الإمام المحسن بن أحمد الشهاري (١٢٧١-١٢٩٥هـ/ ١٨٥٤-١٨٧٨م) حين استشرى خطر المكارمة وامتد نفوذهم من الحيمة حتى مشارف صنعاء، وَجِلَ علماء صنعاء وأهاليها من الخطر المحدق بهم، وتشاوروا في الأمر مع الإمام المحسن بن أحمد، الذي بدوره تزعم الدعوة لحرب المكارمة في الحيمة. ومن الواضح أن محمد بن يحيى حميد الدين كان شخصية مرموقة في حينها، ومن المقربين للإمام المحسن بن أحمد، ولذا فقد أسند إليه مركزاً قيادياً[4]. فتولى

---

(١) النص: ق٢١أ.

(٢) النص: ق١٩أ.

(٣) النص: ق٢١أ.

(٤) النص: ق١٦أ.

عندئذ قيادة الجيش في معركة الزيلة خارج صنعاء، وقام بتأدية مهمته العسكرية تلك كما فرضتها الظروف السياسية آنذاك[1].

وبرزت أعماله السياسية بعد ذلك حيث تقلد عدداً من المناصب في صنعاء، فقد قام بحكم مناطق الصافية بالنيابة عن الأمام المحسن وتولى نيابة حكم قرية الجزية وقرى بلاد البستان القريبة من صنعاء. وتولى حكم بلاد آنس في ذمار نيابة عن الإمام المحسن بن أحمد الشهاري ومكث بها حتى قدوم الأتراك إلى صنعاء[2].

ولما استقر الأتراك في صنعاء، قام الوالي أحمد مختار باشا العثماني بتكليف محمد بن يحيى حميد الدين للقيام بأمر الحكومة في قضاء حجة وما حولها[3]، ولم يستقر له المقام في حجة، فاستقال من منصبه هذا، بعد أن تبين له «أنهم من أهل البغي والفساد، ونظر في أمورهم وتدبر أحوالهم وزاحمهم في الإصدار والإيراد، فاعتزل في بيته ناشراً للعلوم، فاصلاً للقضايا فيما بين الخصوم، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر»[4].

واستمر محمد بن يحيى حميد الدين على حاله تلك في القيام بالأعمال الخاصة -كما سبق أن ذكرنا- متحاشياً الاحتكاك بالأتراك، ومتقرباً من عامة الناس،حتى وفاة الإمام المحسن بن أحمد الشهاري، وقيام الإمام الهادي شرف الدين بالإمامة.

ولم تُظهِر لنا المصادر التاريخية التي بين أيدينا الأعمال أو المهامات الرسمية التي كُلِّفَ بها محمد بن حميد الدين. ولكن ما نستشفه من خلال الأحداث التاريخية التي صاحبت فترة قيام الإمام الهادي شرف الدين، هو أن السيد محمد بن يحيى حميد الدين كان له نشاط ودور بارز قام به لدعم دعوة الإمام الهادي في داخل صنعاء. يتضح ذلك من خلال الأحداث التي وقعت حينذاك، فحين تم تعيين الوالي مصطفى عاصم باشا (١٢٩٤-١٢٩٧هـ)

---

(١) حسين بن أحمد العرشي: بلوغ المرام في شرح مسك الختام،ص٧٤. وللمزيد يمكن الرجوع إلى الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص٢١٧. زبارة: ائمة اليمن، ص٦؛ الحرازي: حوليات يمانية، ص٢٩٥.

(٢) محمد بن محمد زبارة: ائمة اليمن،ص١٥١.

(٣) نفس المرجع:ص١٥١.

(٤) النص: ق١٦أ، ١٧ب.

والياً في اليمن، بادر بالقبض على عدد من علماء صنعاء ووجهائها، ومنهم السيد محمد بن يحيى حميد الدين، وآخرون ممن رأى أو نُقل له بأنهم متعاطفون مع حركة الإمام الهادي شرف الدين. وتم إرسالهم إلى سجن الحديدة، ومكثوا به مدة سنتين، حتى تم إطلاقهم من السجن في عهد الوالي التالي إسماعيل حقي باشا(١).

هذه الحادثة تظهر لنا بجلاء الدور الخفي الذي كان يقوم به السيد محمد بن حميدالدين، -في عهد الإمام الهادي- شرف الدين، وتعاطفه الشديد مع دعوة الهادي، وعمله سراً على نشرها. وقد كان كذلك وبطرق سرية ممن يجمع الزكاة لصالح دعوة الهادي، وما أن تم إطلاق سراحه من سجن الحديدة حتى «عكف على التدريس في فنون العلوم وفصل النزاع بين الناس، ومطارحة العلماء والأُدباء بأنواع المنثور والمنظوم»(٢)، وربما كان ذلك لإخفاء نشاطه السياسي السري كما سنرى.

واعتزل ابن حميد الدين الحياة السياسية ظاهرياً، لكي يتجنب ما قد يلحق به من أذى من قِبل الأتراك العثمانيين. وقد سكن تارةً صنعاء، وتارةً أُخرى بير العزب، أما في موسم الخريف فقد كان يفضل السكن في قرية القابل(٣). وقد حرص الأتراك على أن يبقى محمد بن يحيى حميد الدين تحت أنظارهم وتحروا عن تحركاته، وراقبوا أعماله. وهذا ما يزيد ترجيحنا بأنه كان على صلة وثيقة بالحياة السياسية في عهد الهادي. منها ما رواه أحد النجارين، وكان جاراً لابن حميد الدين، من أن عيون الأتراك كانت دائمة التحري والسؤال عن أحوال السيد ابن حميد الدين في عهد الإمام الهادي أي قبل تقلده الإمامة، لكنه أخبرهم بأن السيد محمد بن يحيى حميد الدين «عاكف على تدريس العلم للطلبة في مسجد الخراز، ويعمل على فصل الخصومات لمن اختصم إليه»(٤).

وما أن وصلت الأخبار بوفاة الإمام الهادي شرف الدين في قلعة السنارة بصعدة، حتى توالت الرسائِل العديدة إلى السيد محمد، لحثه على الوصول إلى صعدة قبل أن يصل خبر

---

(١) عبدالواسع الواسعي: تاريخ اليمن، ص١١٥، محمد بن محمد زبارة: أئمة اليمن، ص١٥٢.

(٢) محمد بن محمد زبارة: أئمة اليمن، ص١٥٢.

(٣) النص: ق١٧أ.

(٤) النص: ق١٧ب.

وفاة الهادي إلى مسامع الأتراك[1].

لم يكن ابن حميد الدين خلال الفترة السابقة مجرد موظف أو مدرس وعالم في صنعاء، -كما سبق أن ذكرنا- ولكنه كان يقوم بنشاط سياسي خفي، مما هيأ له فرصة البروز والوصول للإمامة من بين السادة العلماء من أبناء أسرة القاسم.

وتشاور السيد محمد بن يحيى حميد الدين وأخذ الرأي والنصيحة من علماء عصره، وأساتذته في صنعاء ممن أولاهم ثقته. ثم بادر بتحين الفرصة والرحيل عن صنعاء قبل أن يفطن الأتراك إلى هذا الخبر.

وخرج الإمام المنصور من أحد أبواب صنعاء، موهماً حراسها بأن خروجه لم يكن إلا لغرض النزهة. ومِن ثَمَ لحقه ابنه يحيى بأغراضه الشخصية[2]. ولم يفطن الأتراك لرحيل السيد ابن حميد الدين إلا بعد يومين «وسقط ما في أيدي العجم، وعضوا أناملهم من الندم»[3]. وقد حاول الأتراك اللحاق بابن حميد الدين، ولكن دون جدوى، فقد حث الخطا حتى وصل إلى صعدة.

وما أن وصل إلى صعدة حتى اجتمع إليه لفيف من علمائها، ودارت المناقشات«حول علوم الدين معقولها والمنقول». وكنتيجة لتلك المناقشات تم اختياره للإمامة[4]. وذلك كما كانت العادة عند اختيار إمام جديد.

وكما سبق أن ذكرت فقد كان السيد محمد حميدالدين من المقربين من الإمام المحسن ثم الإمام الهادي شرف الدين، إلى جانب أن مقر سُكناه كان في صنعاء، مما هيأ له دراية بأحوال الأتراك، وأكسبه ذلك خبرة وممارسة عملية للنشاط السياسي في تلك الفترة، جعله أقدر من غيره على تحمل أعباء الإمامة.

---

(١) زبارة: أئمة اليمن، ق١٥٤.

(٢)زبارة: أئمة اليمن ، ق١٥٥.

(٣) النص: ق١٧أ.

(٤) زبارة: أئمة اليمن، ق١٥٥.

وهكذا انتقل السيد محمد بن يحيى حميد الدين إلى مرحلة جديدة من النشاط السياسي العلني بعد مبايعته بالإمامة، فتزعم لواء محاربة الوجود العثماني في اليمن.

نشاطه السياسي بعد المبايعة

تقلد السيد محمد حميد الدين الإمامة وتلقب بالمنصور بالله، ومارس مهامه السياسية. فقام بتعيين من يراهم أقدر على تقلد المناصب، من نواب وحكام له في المناطق المختلفة التي كانت تقع تحت نفوذ الإمام الهادي[1]، والتي استلم إدارتها بعد موته. ويؤكد تلك الحقيقة قوله «وقد أنفذنا العمال والحكام في جميع بلاد الشام»[2]. ويقصد بها المناطق التي تقع ضمن المناطق الشمالية وهي صعدة وما حولها من المدن والقرى. ثم انتقل الإمام المنصور من صعدة إلى الأهنوم ليكون أكثر قرباً من مناطق نفوذ الأتراك حول صنعاء، وبدأ بإرسال الرسائل للتبليغ بالدعوة والجهاد. ففي إحدى رسائله إلى مشائخ بني منصور يقول: «وصدورها من قرية الرأس لمحروس جبل الأهنوم، بعد وصولنا من بلاد الشام، وقد بحمد الله صلحت أحوالها وانتظمت أمورها وترتبت معاقلها والمنةُ لله»[3].

وسأقوم بتوضيح مراحل دعوة الإمام المنصور محمد بن يحيى حميدالدين، ومدى اتساع نفوذه، والهدف الذي يدعو إليه. كما سنتفحص الأهداف العامة التي استند إليها المنصور لضمان اتساع نفوذه، وتعاطف اليمنيين معه.

وإذا ما استعرضنا الرسائِل التي تظهر لنا مراحل دعوة الإمام المنصور محمد منذ بدايتها، نلاحظ أن الرسائل تنقسم إلى نوعين: النوع الأول هي رسائل الدعوة، ومن سماتها أنها بدون ختم خاصة في بداية مراحلها. والنوع الثاني هي الرسائل التي يمكن تسميتها برسائل الإعلام -كما سيتضح لاحِقاً-.

ولعل أهم ما يلفت الانتباه إليه هو المنشور العام الذي قام الإمام المنصور بنشره في جميع

(١) محمد بن محمد زبارة: أئمة اليمن، ص١٦٥.

(٢) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{17}$

(٣) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{17}$

البلاد، ليبلغ ويوضح فيه دعوته، وأسبابها ودواعيها، ويورد الكثير من الآيات والأحاديث النبوية التي تقوي مركزه، ويضمن بها تعاطف اليمنيين معه. وقد وجه هذا المنشور إلى جميع اليمنيين كافة وبدأت بعبارة «عباد الله». ولقد بيَّن فيه أهدافه العامة التي من أجلها تحمل زِمام الأُمور، وحمل راية الحرب ضد الأتراك، محاولاً إحياء العاطفة الدينية في نفوس الناس باستخدامه أدلة القرآن والسنة النبوية(١) . وحرص على دعوة الناس عامتهم قبل خاصتهم، دون أن يخصص اسماً بعينه.

وتظهر لنا رسائل الدعوة العديدة إلى رؤساء ومشائخ القبائل وعقالها المختلفة عبارات الترغيب والترهيب، مؤكداً فيها بأن الناس استجابت لدعوته وأتته «فوج وراء فوج» . وكان يخصص بعض رسائله إلى قبائل بعينها مثل مشائخ «آل العزيني، ومشائخ بني الغشمي» . ويؤكد في البعض الآخر على أخذ الرهائن من القبائل التي يشك الإمام في عدم ولائِها له منها قبائل سحار التي لمس منها الدسائس. أما قبائل خولان (صعدة) ورازح، فقد أظهرت الطاعة والانقياد للإمام، ولذا فقد تم تعيين العمال والحكام من قبله لتأمين ترسيخ حكمه في تلك المناطق(٢) .

ومما حرص الإمام عليه كتابة رسائل عديدة إلى كل مناطق اليمن المختلفة للإعلام بانتخابه واختياره للإمامة بعد موت الهادي من ذلك «فلما اختار الله للإمامة الهادي رضي الله عنه الانتقال إلى دار كرامة»، ويدلل على أن اختياره تم بإجماع العلماء فيقول«فاجتمع طايفة من العلماء العاملين والسادات الأكرمين وأجمعوا على تحتم الوجوب علينا، وتوجيه الخطاب من الله إلينا».

ويؤكد في رسائل الدعوة تلك على ثقل المهمة التي سيتحمل عبئها «فلم نجد بداً من الإجابة، وركوب مطية الإصابة، وتحمل جسيم الأعباء، ورفع ما عظم من الأنباء». ثم يشرح في رسائله الصعاب التي سيتحملها من جراء ذلك بقوله «وأزمعنا على الرحيل ومفارقة الوطن وهجر أطيب المساكن صنعاء اليمن». ثم يصرح بما يدعو إليه، ومدى

(١) وثيقة عثمانية برقم: ٤٥/ سره١٠٧/ وثيقه٤.

(٢) وثيقة عثمانية برقم: ٤٥/ سره ١٠٧/ وثيقه٣.

استجابة الناس لدعوته فيذكر «ودعونا الناس دعوة جامعة، ووجدنا الآذان لدعوتنا سامعة، وأنا أدعوكم إلى الطريق السوي، والمنهج الواضح القوي». ثم يورد منهجه في الدعوة وشروطها فيؤكد بأنه يدعو «إلى كتاب الله وسنة رسوله، وسيرة أئمة الهدى مصابيح الدجى، والأمر بالمعروف والعمل به والنهي عن المنكر والتجنب عنه، وإلى الجهاد في سبيل الله، وإعزاز دين الله». ونراه يؤكد حقيقة يعرفها سائر اليمنيين فيذكر «وقد علمتهم ما باليمن من المنكرات، وما قد أصاب أهله من التغيرات». ويدلل كل أقواله بآيات من القرآن الكريم. ليحرك في أنفسهم العاطفة الدينية والحمية والغيرة القبلية، ويؤكد شرعية مطلبه. ويعلمهم عما سيجد من الأمور «وعن قريب إن شاء الله، وقد أظلمت على العدو الجوانب، وانتوشته أيدي أجناد الحق بكل سيف قاضب». ثم يطلب منهم الإعانة لنا بالنفوس والأموال».

ونلاحظ في تلك الرسائل أن الامام يفتخر بانضمام حاشد وبكيل إليه، وهي من القبائل المشهورة في اليمن. فيقول «وقد أجابنا بحمد الله حاشد وبكيل الذين هم رؤساء المحافل وقواد الجحافل وغيرهم من ساير البلاد الساكنين في الأغوار والأنجاد». ويظهر الإمام في رسائل الدعوة بأن زمام الأمور أصبح بيده، وقد خضعت له الكثير من المدن والقرى والعزل في سائر المناطق فيقول «وقد أنفذنا العمال والحكام في جميع بلاد الشام». ويحذرهم من مغبة المراوغة أو عدم الاستجابة فيذكر «فأصلحوا نياتكم بنفوس أبيه، وغيرة على الدين وحمية» . ومن ثم نلاحظ أنه يظهر أمام تلك القبائل مدى ثقته وامتداد نفوذه، وقوة مركزه ويطلب من الجميع الوصول إليه للتشاور والتباحث في جديد الأمور[1].

وفيما يلي توضيح لأهم الأهداف التي دعا إليها الإمام:

١- الدعوة إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله.

٢- الدعوة إلى الجهاد وإعلاء كلمة الله.

(١) قام الإمام المنصور في بداية الدعوة، بكتابة العديد من الرسائل ذات الفكرة والموضوع الواحد مع تغيير اسم المرسل إليه، وهي الرسائل التي تم استعراضها سابقاً وكلها وثائق عثمانية تحمل الأرقام التالية: $\frac{34/11}{34}$، $\frac{34/11}{15}$، $\frac{34/11}{22}$، $\frac{34/11}{21}$، $\frac{34/11}{19}$

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- الإقتداء بسيرة أئمة الهدى.

٥- التخلص من الظلم والمنكر بتطبيق الشريعة الإسلامية.

٦- محاربة القوانين الوضعية التي فرضها الأتراك في اليمن.

٧- الدعوة إلى بذل النفوس والأموال.

٨- الاجتماع للتداول في كافة الأمور.

٩- النية الصادقة من جميع القبائل.

ولا يفوتنا أن ننوه أن تلك البنود والأهداف التي كان الإمام المنصور يدعوا إليها، قد كررها في الرسائل العديدة التي أرسلها إلى كافة من قاموا بالوساطة بينه وبين الأتراك. وكذلك في الرد على الرسائل التي وصلت اليمن من الهيئات الاستكشافية[١].

ولم يفت الإمام في رسائله أن يظهر أسباب ثورته على الحكم العثماني، ويعدد مساوئه وما هي المظالم التي يشكو منها أغلب اليمنيين خاصة ما يحرك فيهم العاطفة الدينية، والحمية القبلية، ولذا فهو يعددها كالتالي «وقد علمتم ماباليمن من المنكرات وما قد أصاب أهله من الظلم والتغيرات»[٢] . ويؤكد ذلك بقوله«وقد نال العرب من الظلم والإهانة وهدم المناصب»[٣]. ويعدد مساوئ الأتراك التي منها «هدم الشريعة بالقانون، وأخذ الأموال قهراً»[٤] . ويؤكد من وجهة نظره في أن أهم سبب دعاه لتحمل القيام بالثورة هو أنه رأى «مضلات الفتن، وموبقات المحن وظهور المنكرات» وأيضاً «أخذت الأموال قهراً وزويت

---

(١) للمزيد يمكنك الرجوع إلى النص من الأوراق التالية: ق٣٩أ، ق٤١أ، ق٤٣ب، ق٧٧أ، ق٧٨ب، ق١٠١ب، ق١٣١ب.

(٢) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{18}$

(٣) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{7}$

(٤) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{10}$

(ابتعدت) الزكوات عن مصارفها الثمانية القرآنية، وتبديل الشريعة بالقانون»[١] .

وكانت هذه الأسباب -من وجهة نظر الإمام المنصور- مدعاة للثورة لكل مسلم غيور على دينه ووطنه، وأن يحمل لواء المقاومة ضد من يقوم بتغيير هذه العادات والقيم التي نشأوا عليها. ولذا حرص الإمام أن يُفند مساوئ الأتراك ويعددها فيقول «فقد طال ما عصوا وبغوا وطغوا، إتخذوا عباد الله دولاً، وأموالهم خولاً، واسترقوا الأحرار، وهدموا الشرائع، وفشى (فشا) فيهم المنكر»[٢] .

وكما نرى الإمام في بداية دعوته، قد حرص على إظهار التودد والتقرب إلى رؤساء القبائل ونقبائها، ووجهاء القوم وقضاته، لكي يجذبهم إلى دعوته، وبالتالي فقد عمل على إستخدام الألقاب مثل «الهمام الأمثل صفي الإسلام أحمد بن صالح العنسي»[٣] «الشيخ المحب الأكمل بن مقبل»[٤] «النقيب الأجل الهمام عبدالله بن محسن الشايف»[٥] . «الشيخ الماجد الأجل عبدالجبار بن قاسم» [٦] «الشيخ المحب الأكمل عبدالوهاب بن محمد»[٧] .

ونلمس كثيراً من عبارات التودد والتقرب في رسائله إلى المشائخ منها «وأنا أدعوكم أيها الأحباب، وأستنجدكم أيها الأصحاب على جهاد أعداء الله»[٨].

ولم يفت الإمام أن يلزم القبائل بالمساندة والمساعدة، خاصة عند تأكيده على انضمام أغلب القبائل الكبيرة مثل حاشد وبكيل فيقول «وقد وجبت عليكم الإعانة لنا بالنفوس والأموال». «وقد أجبنا بحمد الله حاشد وبكيل الذين هم (الذينهم) رؤساء المحافل وقواد الجحافل، وغيرها من ساير البلاد الساكنين في الأغوار والأنجاد»[٩] .

---

(١) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{2}$
(٢) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{16}$
(٣) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{18}$
(٤) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{18}$
(٥) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{15}$
(٦) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{22}$
(٧) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{22}$
(٨) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{16}$
(٩) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{24}$

ونرى الإمام في هذه الفترة كثيراً ما يؤكد على القبائل أن يجمعوا الكلمة للجهاد، فيذكر في إحدى الرسائل التي بعث بها إلى القاضي علي بن عبدالله العنسي «فحثوا قبائل تلك الجهات»(١) . ويكرر ذلك بقوله «فهذا إليكم إلى كافة قبايلكم الخاص والعام»(٢) . وفي نفس الوقت يبث الطمأنينة في نفوس اليمنيين، فيقول «وقد تسهلت الأمور، وكثرت الخيرات، وانتشرت رايات الجهاد»(٣) . ولم تقتصر رسائل الإمام إلى رؤساء القبائل ونقبائها، بل وقد عمد على بث رسائله إلى كل اليمنيين بكافة طبقاته، وإلى شخصيات بعينها كان يرى -من وجهة نظره- أن لها نفوذاً وقوةً، منهم القاضي محمد بن يحيى المجاهد(٤) .

أما المرحلة الثانية من الدعوة فهي الإعلام، فمما لاشك فيه بأنه في هذه الفترة تغيرت الظروف التاريخية خاصة بعد توطيد نفوذ الإمام، وانضمام الكثير من اليمنيين إليه، بعد أن لمسوا مساوئ الحكم العثماني في اليمن.

ويظهر لنا من خلال النوع الأول من الوثائق، أي (الرسائل الأولى) أنها لم تكن تحمل ختم الإمام، ولكن في المرحلة الثانية نلاحظ أن الإمام استخدم ختمه الخاص في صدر الرسالة. وأصبحت الرسائل تحمل في طياتها عبارات مختلفة عما سبقها، فقد تغيرت عبارات الرسائل من عبارات التقرب والتودد والدعوة، إلى عبارات الإعلام والإخبار والأمر. ونراه في إحدى الرسائل يذكر سبب انتقاله من صعدة إلى الأهنوم خاصة بعد أن «صلحت أحوال تلك البلاد، وانتظمت أمورها وترتبت معاقلها»(٥). ويعلل سبب انتقاله من صعدة إلى الأهنوم لنقل «ساحة الجهاد وإصلاح حال العباد»(٦) . ثم يكرر «ولا نزال نحث على الأقصى والأدنى ونشحذ همتهم، ونقيم الحجة عليهم» (٧) . ونلاحظ تكرار طلب

---

(١) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{16}$

(٢) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{10}$

(٣) الوثيقة نفسها.

(٤) الوثيقة نفسها.

(٥) الوثيقة نفسها.

(٦) الوثيقة نفسها.

(٧) الوثيقة نفسها.

وصولهم إليه «لمراجعة في النفوس» [1] . وربما يكون طلب الإمام بوصولهم إليه لغرض إقناعهم بالاستمرار في وقوفهم إلى جانبه في محاربة العثمانيين، أو لمدهم بالتعليمات والأموال والسلاح.

وهناك نوع آخر من الرسائل هي الرسائل السرية، التي حرص الإمام على عدم ذكر أسماء أصحابها، فقد استخدم الألقاب المتعارف عليها بين اليمنيين. ففي إحدى الرسائل الموجهة من الإمام إلى «الرئيس الأوحد الشرفي وكافة المحبين الكرام» [2] . وتارة أُخرى يذكر «وقد وصل إلينا السيد الهمام، وأخبرنا بما تخابرتم به، وإن شاء الله لا بد يصلكم ما تعتمدوه» [3].

وبسبب سرية الموقف أو المهمة حرص الإمام على عدم ذكر الأسماء، لكي يجنب اليمنيين ما قد يصيبهم من البطش فيما إذا وقعت هذه الرسائل في أيدي العثمانيين.وفي رسالة أُخرى نلاحظ تكرار السرية فيذكر «من الإمام المنصور محمد بن يحيى إلى الأشراف خلاصة بني عبد مناف، وكافة النقباء الأماجد»[4] . كما نرى أن الإمام كان حريصاً على الرد على رسائل معاونيه وإبلاغهم بما جد من الأمور فيقول «ولابد نكتب إليكم بما تقرر لدينا من جهة الإعلام والأخبار» و «ثمة ناقل لها من جماعتكم فلا يكون الضرر بسبب ذلك»[5].

وتغيرت الظروف السياسية على الساحة اليمنية بشكل عام، ولم يقتصر الأمر على الدعوة والإعلام، بل انتقل الإمام وأصحابه والقبائل الموالية له إلى المرحلة العسكرية. وهي المرحلة الحاسمة في تاريخ الحرب ومقاومة الوجود العثماني، فقد تعاطف الكثير من اليمنيين والقبائل مع الإمام، وقامت كثير من المعارك بين الطرفين في عموم مدن وقرى وعزل اليمن، خاصة حين لمسوا مساوئ الحكم العثماني.

---

(١) الوثيقة نفسها.

(٢) وثيقة عثمانية برقم: . $\frac{34/11}{4}$

(٣) الوثيقة نفسها.

(٤) الوثيقة نفسها.

(٥) ملف ٥٢، سرة ٦٣،وثيقة١.

ومما يجدر الإشارة إليه أن أولى المعارك التي قامت بين الطرفين، هي معركة الـشاهل [1]، التي لم تغفل الوثائق التركية أيضاً عن الإشارة إلى تلك الحادثة. ففي الثاني عشر مـن شـوال ١٣٠٨هـ (يونيو ١٨٩٠م) تقدمت قوات الأتراك إلى قرب الشاهل بكل عتـادهم وقـوتهم لمحاربة أصحاب الإمام المتمركزين في تلك المناطق، وكانت المعركة في نهاية الأمـر لـصالح اليمنيين، وانتهت بمقتل القائد العثماني محمد عارف بك[2].

وفي المقابل أبرز الإمام المنصور هذه الحادثة في رسالته التي أرسلها إلى مـشائخ الطويلـة وبني الخياط، والظلع، والتي أطلعهم بماجد مـن الأمـور، ويـبلغهم بأخبـار قواتـه. وهـذه الرسالة تكاد تكون أشبه بمنشور عام إلى جميع القبائل، يتفاخر فيها بانتصاره، ومـدى قوتـه وسيطرته، ولذا فهو يُعِّرف القبائل بقوله «صدورها بعد أن منَّ الله وله الحمد لما يحق لأجله أن توقد النيران شهراً وتخر الأذقان ساجدة شكرا»[3] ثم يورد الأسباب فيذكر «الذين بـدلوا أحكام الله وشرعوا لهم من الدنيا مالم يأذن به»[4] ثم يعدد عيوب العثمانيـين ومـا إقترفـوه في حق الناس فيذكر «أنهم تابعوا المقادم والتعدي على مدينة الشاهل» [5]. و يـسترسل في سرد حادثة اقتحام العثمانيين العقبة (الجبـل الـصغير) «فتواثبـت علـيهم أنـصار الحـق تواثـب الأسود واستقام الضرب والطعن» [6]. ومن ثم يشرح حادثة مقتل محمد عارف وكيف تـم الفتك به. وَيُنَوِّه الإمام المنصور إلى أن هذه الحادثة تُعتبر فرصة سانحة لمرحلة الانتصارات، وبالتالي يطلب من القبائل المجاورة التحرش بالعثمانيين «ونرجو منكم ومـن المجـاورين في الطريق تخطفهم ليلاً ونهاراً» [7]. ولم يقتصر الأمـر عـلى ذلـك، بـل ويطلـب إمـداده بالمـال والمؤن، خاصة وأن ذلك يعتبر من وجهة نظره واجب دينـي ووطنـي عـلى الجميـع تأديتـه فيقول «ونلزم كل مكلف بإعانتنا بالمال، وما يقـدرون عليـه مـن النكـال لأعـداء الله ذوي

---

(١) الإرياني: النص، ق٢١ب.

(٢) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/5}{4}$ ؛ الجرافي: حوليات العلامة الجرافي، تحقيق: د. العمري، ص٣٤.

(٣) وثيقة عثمانية برقم: $\frac{34/11}{23}$

(٤) الوثيقة نفسها.

(٥) الوثيقة نفسها.

(٦) الوثيقة نفسها.

(٧) وثيقة رقم: $\frac{34/11}{23}$

الضلال فالتكليف عام، والإمام فرد من أهل الإسلام» [١] .

ونلاحظ أن نتائج هذه المعركة كان لها دور إيجابي في استجابة القبائل، والقدوم إليه من كل منطقة، وطلب الانضمام إلى أصحابه المقاتلين[٢].

وكان للجانب التركي موقف من جراء تزايد قوات الإمام، واستفحال خطره، فقد توالت البرقيات والرسائل إلى السلطنة لطلب المزيد من القوات، خاصة بعد أن انضمت الكثير من المدن إلى سيطرة الإمام منها حجة والقفلة والظفير وما حولها. وقد تكبد الأتراك خسائر فادحة، أدى إلى تناقص قواتهم إلى الثلث من جراء حرب الشاهل، وما حولها. لذا فالوالي إسماعيل حقي باشا، يستنجد بالسلطنة، ويرسم الحالة المعنوية المتدهورة التي وصلت إليها قواته[٣] . كان الأتراك يستعينون ببعض الجنود من اليمنيين، الذين يسمون بالقوات الاحتياطية فقد كان هؤلاء في هذه الفترة منشغلين بجمع الموسم الزراعي، ولذا فقد تحين الإمام هذه الفرصة وعمل على تجميع قواته ومباغتة الأتراك في ثكناتهم[٤].

وقد كانت الحماسة والثورة تملأ نفوس اليمنيين، وعملوا على تشتيت قوات الأتراك في أكثر من مكان، فبينما المعركة تَسْتَعِرُ حماها في الشاهل، كان بعض اليمنيين يشنون هجوماً مباغتاً على القوات التركية في الزيدية، وأخرى تحاصر بعض الجنود في القفلة.. وهكذا، ولذا نرى الوالي يستنجد بقوله «فإن قواتنا عرضة للدمار والفناء»[٥].

ولن نغفل التقارير المتواليه التي تشرح الوضع العسكري في الجانب التركي في ذلك الحين، وتعطى صورة عن الحالة في اليمن. ومن أمثلة ذلك التقرير الذي أرسله الوالي إسماعيل حقي باشا في التاسع عشر من محرم لسنة (١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م) إلى السلطنة يعدد الأسباب الناتجة عن تلك الحروب، والوالي يطرح عدداً من الحلول الممكنة لتهدئة الأوضاع في اليمن. فيذكر بأن معظم أهالي اليمن يمارسون الزراعة كمهنة رئيسية، ولذا يمكنهم

---

(١) وثيقة رقم: $\frac{34/11}{23}$

(٢) الإرياني: النص، ق٢١ب؛ الجرافي: الحوليات، ص٣٧.

(٣) وثيقة رقم: $\frac{34/5}{4}$

(٤) [ملف ٥٢/ سره ٦٣/ وثيقة١].

(٥) وثيقة رقم: $\frac{34/5}{4}$

إستغلال هذا المصدر لصالح الدولة. ويقتضي منهم الإعتناء بهذه الولاية والسعي على إعمارها، وتخفيض الضرائب الزراعية لتشجيع الأهالي على السعي للإعتناء بالزراعة. ويقترح الوالي معاملة الأئمة وأبنائهم بنوع من اللطف ومنح المرتبات والمعاشات لذوي المكانة منهم، فالمذهب الزيدي الذي يعتقد فيه معظم أهالي اليمن يتطلب وجود إمام يجمع فيما بينهم. ولذا فالوالي يرى بأن الصراع القبلي والتفاف القبائل إلى جانب الإمام يرجع إلى انتشار المذهب الزيدي بين أبناء اليمن[1] .

وفي تقرير آخر أرسله أحد الموظفين العثمانيين المكلفين باستكشاف الأوضاع في اليمن، وعن تلك الأحوال والأوضاع العسكرية، ويطلب تزويد الجيش بالعديد من الأفراد الاحتياطية والألبسة والأحذية والخيام والبنادق والمدافع. ويصور حالة الحرب التي تعم مناطق كثيرة والتي حالت دون إرسال البرقيات بسبب المناوشات وقطع الطرق وقطع السلك (أي البرق)[2] .

ومنها ما ذكره قائد الجيش العثماني في اليمن من أن قواته تعرضت لهجوم مباغت في تهامة، ويستنكر وقوع مثل هذه الحوادث في تهامة، لأن أهلها عُرف عنهم بأنهم مطيعون للدولة العلية، ولذا قامت القوات بتحركاتها ليلاً، بسبب شدة الحرارة، وتفادياً لهجوم مباغت آخر. والملاحظ أنه لا تخلو وثيقة عثمانية من طلب المساعدة وتزويدهم بالمؤن والمدد[3] . وهذا دليل واضح على شدة الحرب في تلك الفترة ورجحان كفة الإمام ضد الأتراك.

ومن ثم نرى تدفق القبائل العديدة على الإمام المنصور لطلب انضمامهم إلى قوات الإمام، خاصة بعد أن تناهى إلى أسماعهم ورأوا بأعينهم الانتصارات التي أحرزها الإمام وأصحابه وهم قبائل أرحب (شمال صنعاء) وعيال سريح (جنوباً) وجميع القبائل المجاورة[4].

وبدأ الإمام المنصور يوجه تلك الجموع الغفيرة من القبائل، بكل اتجاهاتها ودوافعها

(١) [ملف٤٥/ سره١٠٧، وثيقه ٥،ورقه١،2] .
(٢) [ملف٥١/ سره ٥، وثيقه2] .
(٣) [ملف ٥٢/ سره ٦٣/ وثيقه1] .
(٤) الإرياني: النص، ق٢٣ب، الجرافي: الحوليات، ص٤٩.

العسكرية والسياسية لحصار صنعاء المركز الرئيسي للأتراك، ومركز قوتهم وقواتهم، وبالتالي فقد حرص الإمام على توجيههم إلى تلك الغاية، ولذا فقد قامت القبائل بإشعال النيران على قمم الجبال[1] .

وقد كانت هذه الطريقة متبعة بين القبائل كشفرة اتصال فيما بينها في ذلك الوقت. وقد اهتبلت القبائل الطامحة في السلب والنهب هذه الفرصة، لكي تنال مبتغاها من حصار صنعاء.

الملاحظ في هذه الفترة التاريخية أن الامام المنصور، ومن انضم إليه من القبائل، كان قد وصل إلى الغاية التي كان يدعو إليها وهو زعزعة الوجود العثماني في اليمن. غير أن الأتراك حاربوا بقوة، نظراً للإمكانيات العسكرية الكبيرة التي كانت تتدفق إلى اليمن من السلطنة إلا أن الكفة في هذه الفترة كانت راجحة ناحية الإمام، فتوالي البرقيات والرسائل من قبل حسن أديب باشا تفيد بوصول الحرب حتى بلاد البستان القريبة من صنعاء[2] .

ومما يلفت النظر إلى هذه الفترة أن الحروب كانت شبه عشوائية من قبل الإمام ومن انظم إليه من اليمنيين، يتضح لنا ذلك من أنه حين كان يتناهى إلى أسماع القبائل أخبار انتصارات الإمام، كانت تعلن العصيان في مناطقها، وتقوم بأي عمل تنكيلي ضد الجنود الأتراك، منها ما قام به أهل منطقة الشغادرة، حين ثاروا وقاموا بأعمال تخريبية ضد الأتراك[3] . وفي أثناء حصار صنعاء قام أهالي ذمار ويريم، بإرسال الرسائل إلى الإمام يعلنون تأييدهم لهذه الحرب[4] .

وتتوالى أعمال التأييد من قبل اليمنيين ضد الأتراك وكانت هذه الأعمال تظهر بأشكال مختلفة وبوسائل متعددة، منها الأعمال التي قد تضر الأتراك ضرراً مباشراً، ككسر أعمدة خطوط التلغراف، ومنع وصول البريد إليهم[5] .

---

(١) الإرياني: النص، ق٢٤ب، الجرافي: الحوليات، ص٥٢.

(٢) وثيقة رقم: $\frac{34/15}{13}$

(٣) وثيقة رقم: $\frac{34/15}{12}$

(٤) النص: ق٢٨أ.

(٥) وثيقة رقم: $\frac{34/15}{11}$ ؛ الجرافي: حوليات الجرافي، تحقيق د. العمري، ص٤١، ٥٠.

وانتشرت الحرب في عموم اليمن أثناء حصار صنعاء فقد وصلت الحرب إلى (الجـراف) و (حدة) وهي مناطق مجاورة لصنعاء، وأصبحت الآن من ضواحيها.

وقد كان الوضع العسكري واضحاً بالنسبة للطرفين أثناء حصار صنعاء في سنة (١٣٠٩هـ-١٨٩١م) ، يتضح ذلك من خلال الوصف الذي أطنب فيه مؤرخنا الإرياني، فقد كان الجنود الأتراك يرمون القبائل المحاصرة لصنعاء من صوامع المساجد،ووصل تمركز القبائل حتى جبل نُقُمْ المطل على مدينة صنعاء[١] .

وإذا ما رجعنا إلى النص في المخطوطة، يتضح لنا مدى قوة وشدة الحصار الذي واجهه أهل صنعاء والحامية التركية المتمركزة داخل المدينة. أما الجانب التركي فقد توالى إليهم المدد والعُدد، واهتمت السلطنة بإرسال أحمد فيضي باشا للمرة الثانية لقدرته العسكرية ومهارته السياسية في حسم مثل هذه المواقف.

وقد رسم لنا الكاتب الإنجليزي هاريس الوضع العسكري داخل صنعاء وما حولها أثناء الحصار: فقد كانت صنعاء وعمران والمدن الأُخرى في حالة حصار شديد، وقد عانى سكان المدينة من جراء ذلك الحصار الشيء الكثير. فقد عايش الكاتب الأوضاع داخل صنعاء، ووصف ذلك الوضع بدقة، ولم ينس أن يصف حالة الحامية التركية في صنعاء، وما لاقته من أهوال من جراء ذلك الحصار. وعقب مستطرقاً: لو كان المحاصرين لصنعاء يملكون مدفعية، لتمكنوا من فتح فجوة في سور المدينة، وتمكنوا من دخولها والاستيلاء عليها، نتيجة للأعداد الهائلة من القبائل المحاصرة للمدينة، وتمركزها على قمم جبل نُقُمْ المطل على المدينة[٢] .

وإذا ما تطرقنا إلى أحد العوامل التي ساعدت الإمام وأصحابه على حصار الأتراك في المدن المختلفة، وبالتالي انتصاراته المتكرره في هذه الفترة، سنجد أن ذلك يعود إلى أن العثمانيين كثيراً ما قاموا بإعلان حالة الإستنفار في البلاد العربية، خاصة مع إعلان القانون

---

(١) الإرياني: النص، ق٢٨أ، الجرافي: الحوليات، ص٤٤.

(٢) Harris: journey throgh the yemen, p١٠٦ .

العثماني وهو تطبيق قانون الخدمة الإجبارية لكل مواطني السلطنة العثمانية أتراك وعرب. فقد لجأ العثمانيون إلى إتباع سياسة الكذب والتمويه على المسلمين العرب من وجهة نظر الإرياني وأعلنوا في العالم الإسلامي بأن الحروب في اليمن ستكون ذات تأثير سيئ على الأماكن المقدسة في مكة والمدينة، ولذا استطاعوا كسب تعاطف كثير من العرب المسلمين للانخراط في الجندية، ولكن ما إن يصل الجندي إلى اليمن حتى تتضح له الحقيقة. من ذلك ما ذكره لنا مؤرخنا في مخطوطته: «قامت السلطنة بإرسال ألوف مؤلفة من العساكر بقيادة عبدالله باشا، ووقع الإشعار في بلاد الشام، والنفير في سائر تلك الديار، بالبدار البدار لاستنقاذ بيت الله الحرام، فمقصد صاحب اليمن تخريبه، كما سمعنا من هذه العساكر، فانزعجوا لهذا الأمر المهول، وركبوا من أجله الصعب الذلول»[١] . وعند قدوم الجنود إلى اليمن فوجئوا بالكثير من المصاعب والمتاعب، منها قطع الرواتب والأرزاق، ونجد الكثير من الجنود الأتراك يقومون ببيع ما يملكه من سلاح ليتسنى له العيش والفرار من الجندية [٢].

وعامل آخر هو الأسلحة التي كثيراً ما نوهت إليها التقارير العثمانية أن الإمام يملك أسلحة كثيرة وحديثة ومدفعية ميدان[٣] . فالعثمانيون يتهمون الإمام المنصور بأنه يتلقى معونة أسلحة من السفن الفرنسية المرابطة بالقرب من سواحل البحر الأحمر[٤] . لكن الإمام يدحض تلك الادعاءات، ويبرر موقفه بأنه تم شراء تلك الأسلحة من بعض الرعايا اليونانيين الذين كانوا في حرب مع السلطنة، ولذا ونكاية في تصرف السلطان، قام هؤلاء ببيع الأسلحة للإمام قبالة السواحل اليمنية، وبأسعارمنخفضة أغرت الإمام على شراء تلك الأسلحة[٥] . وربما عمد الإمام إلى إيراد ذكر اليونانيين في هذه الفترة لكي يثبت لليمنيين بأن السلطنة في حرب دائمة مع رعاياها في كل مناطق السلطنة وذلك يرجع لسوء الحكم العثماني.

---

(١) الإرياني: النص، ق٦٦أ.
(٢) عبد الله محيرز: الأداب المحققة، ص٣٤.
(٣) وثيقة رقم: $\frac{34/5}{4}$
(٤) الارياني: النص، ق٨١ب.
(٥) نفسه: النص، ق٨١ب.

ورغم الإجراءات التي اتبعها الأتراك لمنع تهريب الأسلحة إلى داخل اليمن مثل مراقبة الطرق ومداخل المدن وتفتيش الحمائل. إلا أن الإمام استطاع إيجاد طرق مختلفة للحصول على الأسلحة والبارود منها على سبيل المثال، استخدام الطرق البرية والصحراوية، فقد أرسل أحد أعوانه إلى (مكة) و (جدة) لشراء أحمال من الأسلحة والرصاص المطلوب(١) .

ولم يعدم الإمام المنصور الوسيلة للحصول على الأسلحة، فقد قامت قبائل بني مروان التهامية بتهريب البنادق الفرنسية إلى شمال اليمن، وقامت السفن الفرنسية بترويج هذه الأسلحة قبالة السواحل، وساعدتها على ذلك بريطانيا، لأسباب منها الأرباح الهائلة والسريعة التي كان يجنيها التجار الفرنسيون، وأيضاً لإحراج موقف العثمانيين بإدخال تلك الأسلحة إلى اليمن(٢) . ومنها أيضاً الصداقة والتعاطف التي كانت تجمع بين الإمام المنصور والسلطان أحمد فضل العبدلي، التي أدت إلى تولي السلطان تهريب الأسلحة المختلفة إلى شمال اليمن ضمن زكائب التنباك(٣) .

لكننا ومن ناحية أخرى يمكننا القول بأن الإمام وفي وضع عسكري كهذا، كان لابد له من البحث عن مصادر تمويل للحصول على الأسلحة، خاصة في هذه الفترة، والثورات تشتعل في كل مناطق اليمن، ورؤساء القبائل يتوافدون طالبين حمل «راية الجهاد» وإمدادهم بالمؤن والأسلحة اللازمة(٤) .

ومن العوامل التي شجعت القبائل على الالتفاف حول الإمام هو مالمسوه من سوء حكم وتصرف المأمورين في اليمن، فقد كانت العساكر العثمانية، تدخل المدن والقرى، وتأكل وتشرب وتسكن مجاناً دون مراعاة لفقر الأهالي، وقامت الطوابير العسكرية المنتشرة في المدن بجمع ثروات متفاوتة خاصة الضباط ذوو الرتب العالية الذين يقومون بأعمال مخالفة للشرع، وتطبيق قوانين جديدة على الأهالي خاصة عند جباية الضرائب(٥) .

---

(١) نفسه: النص، ق١٩أ.

(٢) عبدالله محيرز: الأداب المحققة، ص٤٩.

(٣) نفسه: ص٥١.

(٤) الارياني: النص، ق٣١أب،٣٢أب.

(٥) [ملف٤٥/ سره ١١٩/ وثيقة ١/ ورقه 7].

ومما نوهت إليه الرسائل العثمانية في هذه الفترة، طلب المزيد من المدد والتحذير من تأخر إرسال الرواتب، والأرزاق، لأن ذلك يؤدي إلى ميل العساكر لارتكاب الفساد، فكثيراً ماقام الجنود الأتراك بإجبار الأهالي على القيام بالأشغال الشاقة، وتسخيرهم للخدمة الإجبارية، لكن ذلك حال دون خضوع اليمنيين للأتراك، لأن اليمني بطبعه يرفض الظلم والانصياع إلا لشيخ القبيلة، وبالتالي يؤدي ذلك إلى نفورهم من الحكم العثماني، وإنضمامهم إلى الإمام، وممارسة أعمال النهب والسلب ضد القوات العثمانية[1] . وقد كانت القوات العثمانية تعاني انهياراً عاماً مادياً ومعنوياً في مختلف المناطق[2] .

كل تلك الأسباب والأعمال مهدت وساعدت على قيام الثورات في كل مناطق اليمن والالتفاف حول الإمام، وتحريض الناس على البطش بالأتراك، وشن الغارات، وقيام أعمال السلب والنهب في الطرقات[3].

وقد تغيرت الظروف العسكرية والسياسية لكلا الطرفين الإمام والأتراك. عندما قامت السلطنة بتغيير الوالي فقد أرسلت السلطنة الوالي أحمد فيضي باشا للمرة الثانية، الذي اشتهر بقوته وشدة بطشه. وكان قد سبق له حكم اليمن من قبل، في سنة (١٣٠٢١٣٠٤هـ) (١٨٨٥-١٨٨٧م) . ولمس اليمنيون قوة حكمه وجبروته، وما أن دخل صنعاء وتسلم الحكم حتى فرت القبائل من حول المدينة المحاصرة كما قيل: «فلما علموا أن لاطاقة لهم وأن جميع من بقى من القبائل قد فروا عنهم»[4] . ويقال أيضاً: «ولم تزل العرب في قلة وتتابعت الهزيمة» [5] .

وقد اتبع أحمد فيضي باشا العديد من الإجراءات السياسية القوية التي ساعدته على إمساك دفة الأمور بيده، وتنوعت مابين اللين والشدة. فقد قام بنفي عددٍ من اليمنيين إلى جزيرة رودس بعد فك حصار صنعاء بلغ عددهم أربعة وخمسين يمنياً[6].

---

(١) [ملف ٥٣/ سره ٢٣/ وثيقه 1] ، [ملف ٤٦/ سره ١١٩/ وثيقه ١/ ورقه7] .

(٢) وثيقه رقم: 34/5

(٣) الإرياني: النص4،ق٣٣أ، الجرافي: حوليات العلامة الجرافي، ص٧٥، ٧٦.

(٤) نفسه: النص، ق٣٤ب.

(٥) نفسه: ق٣٥أ، الجرافي: الحوليات، ص٦٧،٦٦،٦٥،٦٤.

(٦) الجرافي: الحوليات، ص١٠٠، $\frac{34/5}{4}$.

وفي المخطوطة يذكر الإرياني تلك الحادثة بقوله: «وفي هذه المدة أعني بعد عودة فيضي باشا إلى صنعاء، قبض على جماعة من أهل صنعاء وغيرهم، بعضهم من الشيعة، وبعضهم ممن ركب القبايح الشنيعة، وداهن العجم في كل فظيعة، فلما أجتمعوا في القصر قريباً من مائة وخمسون، أُرسل بهم إلى الحديدة ثم منها إلى استانبول» [1] .

ومن بين الإجراءات التي قام بها فيضي باشا لكسب اليمنيين، أنه حين دخل ذمار ويريم كانت المدينتان خاليتان من السكان، فقد فروا خوفاً من بطش فيضي. «وفيها عزم فيضي بعسكر عظيم قاصداً ذمار ويريم، فلما وصل ذمار فر أهلها أشد الفرار ولم يبق منهم ديَّار (ساكن) إلا نحو أربعين نفراً» [2] . إلا أنه أعلن الأمان لجميع الناس، لكي ترجع إلى ديارها، وبالتالي فقد فر عُمال الإمام من المدن «وأما عمال الإمام ففروا من كل مقام من ذمار ويريم وإب وقعطبة»[3].

و بدأت كفة الميزان تميل ناحية الأتراك بقيادة فيضي باشا، وبدءوا بشن الحروب والغارات على القبائل الموالية للإمام المنصور، وبدأت الهمم تفتر مما حذا بأحد أعوان الإمام البارزين وأحد قادته، وهو السيد أحمد بن قاسم حميد الدين، بنظم قصيدة شعرية كبيرة، يستحث فيها الناس للجهاد، ويشكو فتور الهمم خاصة بعد قدوم فيضي، وقام بإرسالها إلى جميع رؤساء ونقباء القبائل [4] . أما مؤرخنا الإرياني فيفسر ذلك الموقف من العرب بمفهومه الخاص الإسلامي البحت بقوله «ولما تفرقت تلك الجموع، وخفض من أعلامها كل مرفوع، اشتد الخطب على العرب، وأيقنوا بالهلاك والعطب، وما علموا أن لكل شيء سبب»[5].

وقام فيضي باشا ببعض الإجراءات التي عملت على تقريبه من بعض قبائل حاشد،

---

(١) الإرياني: النص،ق٥٥ب.

(٢) الإرياني: النص، ق٣٧أ.

(٣) نفسه: النص، ق٣٧أ.

(٤) نفسه: النص، ق٣٧ب.

(٥) الإرياني: النص، ق٣٧أ.

وأغراهم بالمال لكي يتوقفوا عن مشاركة الإمام في تلك الحروب[1] .وقـام بـإطلاق رهـائن بعض القبائل «التي كانت قد سبق لها أن رهنت لدى الأتراك» تقرباً مـنهم، وقـام بتوزيـع عدد من الأبقار والأغنام والحبوب لكي يكفوا عن تلك الحـروب[2]. وقـام بتوزيـع بعـض الدراهم على مشائخ القبائل الذين أطاعوه عند دخوله الشاهل[3] . وقد استطاع أحمد فيـضي باشا استمالة بعض القبائل إلى جانبه ليتمكن من إطلاق الأسرى الأتراك الـذين بحـوزتهم، فتعاونوا معه وسهلوا له سبل إطلاق الأسرى من جنده مقابل مكافأة مالية مجزيـة[4] . كـان لهذه الحادثة أثر سيء على الإمام وأعوانه المقـربين، ممـا حـذا بالإمـام بتـسجيلها في قـصيدة شعرية كبيرة، وقام بالتخميس فيها الفقيه الصفي أحمد بن عبدالله الجنداري[5] .

ومن الإجراءات السياسيه التي قام بها فيضي باشا تمكنه من استمالة قبائل حاشد بزعامة الشيخ ناصر مبخوت الأحمر، ودفع لهم أحد عشر ألفاً من الريالات مقابـل خـروجهم مـن حصن الظفير، الذي يعد من أهم معاقل الإمـام. ولقـد بـررت حاشـد موقفهـا هـذا، بـان الأتراك هددوهم بهدم جميع بيوت قرية الخمري الخاصة بهم[6] .

وفي نفس الوقت أراد أن يكسر شوكة بعض القبائل، فقام بانتزاع بعض الرهائن مـنهم، لكي يأمن شرهـم وعـدم مـشاركتهم للإمـام، منهـا قبائـل (خـارف) و (بنـي صريـم) و (خيار)[7] .

و بينما كان فيضي يقوم بإجراءاته الحربية والسياسية في اليمن، توالت الرسل إلى الإمـام من السلطنة ومن ينوب عنها، بغرض إيقاف الحرب، وعرض الصلح[8] . ونلاحظ تقلـص نفوذ الإمام وهروب القبائل «وصار الإمام يتنقـل في الجبـال والـشعاب متـوكلاً عـلى رب

(١) نفسه: النص، ق٥٠أ.
(٢) نفسه: النص، ق٥٠ب.
(٣) نفسه: النص، ق٥٥ب.
(٤) الإرياني: النص، ق٥٣أ.
(٥) نفسه: النص، ق٥٣أ، ب، ٥٤أ.
(٦) نفسه: النص، ٥١أ،ب.
(٧) الإرياني: النص ، ق٥١أ،٥١ب.
(٨) نفسه: النص، ق٣٩ب،ق٤٠ب.

الأرباب»[1]. ومن الطريف أيضاً أن سيف الإسلام يحيى بـن الإمـام المنـصور، هـو الآخـر استأذن والده لكي يتفرغ لتحصيل بعض العلوم التي أراد تحـصيلها[2] . ومـن خـلال هـذه الحادثة، نتوصل إلى الوضـع العـام الـذي وصـل إليـه الإمـام وأصـحابه في تلـك الفـترة، واستمرت تلك الأوضاع حتى نهاية عام١٣١٠هـ-١٨٩٢م.

والملاحظ أن فيضي بعد أن توصل إلى مراده، وحقق كل أهدافـه، وتمكـن مـن إخـضاع معظم القبائل، وفتح المدن، عمل على تقليص نفوذ الإمام المنـصور، لكـي يظهـر لـه مـدى قوته، وبالتالي يستطلع منه أهدافه، وماهي الطرق الممكن التوصل إليها لعقد الصلح[3] .

والملفت للانتباه أن الإمام المنصور في جوابه على فيضي باشا، كـان متجاوبـاً مـع بعـض مطالب فيضي مبرراًذلك بقوله «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» . ولكنـه يـضع شروطـاًمن وجهة نظره لابد أن تتناسب مع مطالبه الشرعية والتي يرى أنها حق له لابد من تنفيذها[4].

و ربما يرجع تراخي الإمام مع الأتراك إلى الوضع الذي كان قد وصل إليه، وهو تقلـص نفوذه. يتضح ذلك من خلال الرسالة التي أرسلها إلى أحد أتباعه في تعز ليثير لديه الحماسـة الدينية، وعدم التعاون مع العثمانيين، ويمعن كثيراً في إظهار الود والتقرب[5] . وكرر الإمـام ذلك، عندما أرسل لأحد أعوانه، لكي يقوم بتحريض الناس على الحرب ومناجزة الأتراك، لكن الناس في هذه الفتره قد كمنوا في مدنهم وقراهم، ورفضوا المشاركة كـما في الـسابق[6] . لكننا في الوقت نفسه نلاحظ تعاطف بعض المشائخ مع الإمام، مثل صاحب حصن حـب، وتسليمه إدارة هذا الحصن الاستراتيجي الهام[7] . ومنها حين قام بعـض أعيـان مدينـة تعـز بإرسال معونة مالية إلى الإمام. وبذا نرى الإمام يشكره على تعاطفـه، وإثبـات صـدق نيتـه بعدم التعاون مع الأتراك، وعلى وقوفه معه في حربه ضد الأتراك[8].

---

(١) الإرياني: النص، ق٥٥أ، الجرافي: الحوليات،ص٩٤.
(٢) الإرياني: النص، ق٥٥ب، الجرافي:الحوليات،ص١٢١.
(٣) الإرياني: النص، ق٥٦أ.
(٤) الإرياني: النص، ق٥٧ب، الجرافي: الحوليات،ص١٢٦.
(٥) د/ سيد مصطفى سالم: وثائق يمنية،ص١٤٠.
(٦) الإرياني: النص، ق٥٨أ.
(٧) نفسه: النص، ق٥٨أ.
(٨) د/ سيد مصطفى سالم: وثائق يمنية، ص١٤٧.

وتستمر الأحداث داخل اليمن، ولكنها في صالح الأتراك، فقد سكنت الحروب، ووقفت رحاها إلا من بعض المناوشات البسيطة والقصيرة التي اقتصرت على ملاحقة بعض القبائل الثائرة، والعمل على الحد من نشاط أصحاب الإمام وأعوانه، وملاحقتهم في المدن والقرى المختلفة[1] .

وكان أصحاب الإمام قد قاموا ببعض الإجراءات العسكرية البسيطة لإقلاق راحة الأتراك، وتعريفهم بأنه يوجد بعض النشطاء الذين يكنون الإخلاص والمحبة للإمام ولرسالته ودوره القيادي[2] . وبعد ذلك تغير الوضع السياسي على الساحة اليمنية، إلى حالة جديدة، يتضح ذلك بتعيين الوالي الجديد حسين حلمي باشا، الذي اشتهر بالعدل واللين والسياسة المعتدلة الحكيمة، وحزم الأمور، وقام بعدد من الإجراءات الإدارية والسياسية التي عملت على تقرب الكثير من اليمنيين إليه، وبالتالي فقد تمكن من سحب البساط من تحت أرجل الإمام المنصور لأنه حارب الظلم والفساد اللذين تفشيا في اليمن، وهو الأمر الذي كان الإمام يوصم به سياسة الأتراك، ويعطيه المناخ الملائم لنشر دعوته[3] .وقد عملت الدولة العثمانية على تحسين الأوضاع داخل اليمن من خلال واليها الجديد حسين حلمي باشا فقد قامت بإرسال مواد غذائية كمعونه لأهالي اليمن وإرسال سفينة من الحبوب إلى ميناء ميدي للمساعده في المجاعة المتفاقمة في تهامة وقام الوالي بعزل الموظفين الأتراك الذين إشتهروا بالظلم والرشوة، وعمل على توزيع الصدقات على فقراء مدينة صنعاء، وإقراض الأموال لمن يريد[4] .

ونلاحظ توقف الكثير من الحروب في فترة حسين حلمي باشا التي كانت تقوم من وقت لأخر وكمنت القبائل في قراها، والإمام بدوره ركن هو الأخر، وتوجه إلى الإصلاحات في جهة نفوذه، فقام بعمارة بعض الحصون في شهارة والأهنوم[5] . وفي المقابل

(١) الإرياني: النص، ق٥٨ب.
(٢) الإرياني: النص، ق٥٨ب؛ الجرافي: الحوليات، ص١٤٣، ص١٥٣.
(٣) د/ سيد مصطفى سالم: وثائق يمنية، ص١٧٢.
(٤) الجرافي: حوليات العلامة الجرافي، ص١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٢.
(٥) الإرياني: النص، ق٦٢أ،ب.

اقتصر دور الحاميات التركية في هذة الفترة، على القيام ببعض الاستطلاعات العسكرية في مختلف المناطق مع قيامهم ببعض المناوشات والحروب البسيطة[1] . ومن جانب آخر قامت بعض الحروب بشكل متقطع ونسبي في المناطق الآنسية، وقد يرجع ذلك إلى تزعم أحد الثائرين تلك الحروب ضد الأتراك، وأحد أعوان الإمام وهو الشيخ علي المقداد، رغم أن فيضي باشا كان قد أصدر أوامره بتوقيف الحروب في تلك المناطق، وأمر بعدم التعرض لليمنيين[2] .

و نلمس في هذه الفترة توالي إرسال الرسل والهيئات الاستكشافية من السلطنة للاستطلاع عن أحوال اليمن وإرسال التقارير عن الوضع العسكري في اليمن[3] . وفي نفس الوقت تم إرسال شخصيات يمنية كانت تعمل مع الأتراك منهم السيد أحمد محمد الكبسي[4] . وتلاه إرسال رسالة من الوالي حسين حلمي باشا. ورسالة من المشير عبدالله باشا[5] . كل هذه الرسائل سترد في السيرة ولكن رغم ذلك تقوم بعض المناوشات العسكرية في المحابشة. وانتشار بعض الرتب العسكرية التركية في كثير من المناطق، ولكن دون أن يتصدى لها اليمنيون[6] . وانتقل الإمام بدوره إلى بعض الجبال والعمل على تحصين بعض مناطق نفوذه، مخافة هجوم الأتراك عليه بعد أن تقهقر وانحسرت مناطق نفوذه[7] .

وبحلول عام (١٣١٧هـ-١٨٩٩م) كانت الرؤيا واضحة في عموم اليمن، فقد أصبحت الأحوال هادئة وتوقفت معظم الحروب، وانحصر دور الإمام من الإدارة العسكرية، إلى القيام بإجراء بعض الشئون الإدارية لكي يؤكد مركزه، منها استقبال العقال والمشائخ، وتعيين بعض الحكام والعمال في مناطق نفوذه[8] . وكان أهم حدث له وَقْعٌ سيئ

---

(١) الإرياني: النص، ق٦٣ب، ٦٤ب.

(٢) نفسه: النص، ق٧٦أ.

(٣) نفسه: النص، ق٧٥ب.

(٤) نفسه: النص، ق٧٦ب.

(٥) نفسه: النص، ق٧٨ب،٧٩أ.

(٦) الإرياني: النص، ق٧٩ب.

(٧) نفسه: النص، ق٨٨ب، ق٩١ب.

(٨) نفسه: النص، ق٩٥ب.

على الإمام والأحداث حينذاك، هو تصالح الشيخ علي المقداد مع الأتراك، بعد أن يئس المقداد من تلك الحروب، وقوي عضد الأتراك، وبالتالي فترت همم الناس عن الحرب. وقد قام الأتراك بمنحه مكافأة مالية كبيرة، وقرروا له مرتب شهري[1] .

ويمكننا في هذه الفترة أن نلخص الأحداث السياسية والعسكرية التي قامت فيها اليمن، إما من جانب الإمام أو من جانب الأتراك كما يتضح من خلال«السيرة» التي بين أيدينا فقد اقتصر الوضع على إيراد أخبار متفرقة عن أخبار القبائل والولاة في اليمن[2] ومن وقت لآخر تقوم بعض المناوشات بين القبائل نفسها، أو بين أعوان الإمام والأتراك، وفي نفس الوقت يقوم الإمام بإرسال رسائل إلى بلاد الشام[3] . يوضح فيها أهدافه من قيام تلك الحروب، مع بعض الجنود الهاربين من الخدمة في اليمن[4] . ومن حين لآخر تصل إلى الإمام رسالات تأييد للإمام من شخصيات عربية، أو شخصيات مرسلة من السلطنة لوضع حلول مناسبة قد ترضي الطرفين، لتوقف تلك الحروب في اليمن، ولكن تلك المراسلات والهيئات الاستكشافية لم تنجح في التوصل إلى حل لتهدئة الأوضاع في اليمن. واقتصر دور الإمام في هذه الفترة على استقبال الوفود، والرسائل الرسمية والرد عليها حتى وفاته في سنة في سنة (١٣٢٢هـ-١٩٠٤م) . ولكننا لن ننكر بأن فترة الإمام المنصور وماصاحبها من حروب قوية، عملت على زعزعة الوجود التركي في اليمن، ونجحت في إقلاق مضاجعهم. وقد كانت لهذه الفترة التاريخية دور هام فقد كانت مقدمة للأحداث القادمة وهي فترة قيام الإمام يحيى وحروبه المستمرة مع الأتراك حتى عقد صلح دعان عام (١٣٢٩هـ-١٩١١م) .

---

(١) نفسه: النص، ق٩٥ب.

(٢) نفسه: النص، ق٩٦أ.

(٣) نفسه: النص، ق١٠٢ب.

(٤) نفسه: النص، ق١٠١ب.

الفصل الثالث
موقف القوى اليمنية والعربية من الحكم العثماني الثاني

بعد أن استعرضنا الدور السياسي الذي قام به صاحب السيرة وهو الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، والأبعاد التاريخية التي مهدت لقيام دوره القيادي ضد الوجود العثماني في اليمن، سأحاول في هذا الفصل إبراز موقف القوى اليمنية من الحكم العثماني ومن الإمام، واتجاهات هذه القوى، وأيضاً معرفة الموقف العربي المؤيد لهذا الدور التاريخي الذي قام به الإمام المنصور محمد وحوله جمع غفير من القوى اليمنية المختلفة.

وإذا ما تطرقنا إلى موقف القوى الاجتماعية المقصودة في هذا الفصل فهي الفئات الاجتماعية بمختلف طبقاتها التي آمنت بدعوة الإمام المنصور محمد، وحاربت معه وساندته، أو تلك التي عارضته ولم تستجب لتلك الدعوة بل وفضلت البحث عن مصالحها الخاصة بعيداً عن نفوذ الإمام المنصور محمد، وفي بعض الأحيان عملت تحت إمرة ونفوذ الأتراك.

ولذا يمكننا أن نتعرف على القوى الاجتماعية وهي القوى المؤيدة والقوى المعارضة.

القوى المؤيدة تشمل عدة فئات منها:

أبناء الأئمة وأبناء الأسر الكبيرة من السادة.

القضاة والفقهاء والتجار.

فئات مختلفة من القبائل سوى رؤسائها أو أبنائها.

وقد كان لبعض هذه الفئات مشاركات فعالة وقوية مادية ومعنوية، وحرصوا على تحقيق هدف عام واحد هو محاربة الأتراك وزعزعة وجودهم في اليمن، أما القبائل فقد كان

لبعضها مواقف متذبذبة من تلك المشاركات إما سلباً أو إيجاباً.

أما القوى المعارضة فقد كانت تشمل عدة فئات من المجتمع منها:

١- الأئمة الذين عارضوا وانتقدوا الإمام المنصور محمد.

٢- البعض من أبناء الأسر الكبيرة.

٣- بعض القوى القبلية وأبنائها.

وكل من هؤلاء يتبع مصالحه الخاصة الذي يرتضيه لنفسه.

استلم الإمام المنصور محمد الإمامة بعد موت الإمام الهادي شرف الدين في صعدة كما سبق أن وضحت واضطلع بمهام هذا الدور التاريخي، وكان على ثقة بأن كل اليمنيين مؤيدون ومشاركون له، خاصة وأنه كان قريباً من كثير من الشخصيات اليمنية البارزة في صنعاء كما سبق أن شرحت وربما كانت تلك الظروف هي التي جعلته واثقاً من أن جهوده لن تذهب سدى. وكان على يقين من مشاركة كل اليمنيين له في دوره القيادي هذا، خاصة وأنه تعرض لمواقف سياسية سابقة متعددة، أعطته الخبرة في خوض غمار هذه المغامرة.

وتعتبر الفترة التاريخية التي تولاها الإمام المنصور أقوى من سابقاتها كما سبق أن نوهت مقارنة بالدور التاريخي الذي اضطلع به الإمام المحسن بن أحمد الشهاري والإمام الهادي شرف الدين. ولذلك تُعتبر هذه الفترة التاريخية أقوى ضراوة ومقاومة للعثمانيين، كما سبق الإشارة.

ولم يكن الإمام المنصور محمد بقادر على تحمل تلك المقاومة بمفرده، وأن كل ذلك النجاح دون مساندة ومآزرة من شخصيات يمنية بارزة وقوية. وكان لمجموعة من الشخصيات اليمنية والقادة من أبناء الأسر الكبيرة ومن أبناء الأئمة ورؤساء القبائل، وفئات أخرى من طبقات الشعب، دور فعَّال في نجاح ثورة الإمام المنصور محمد، وإحرازه الانتصارات المتعددة ضد الأتراك وإقلاق مضاجعهم، وتكبيدهم للكثير من الخسائر المادية والبشرية.

فنلاحظ ومنذ اللحظة الأولى لاختيار الإمام المنصور محمد، أن بعض الشخصيات القوية من أبناء الأئمة السابقين له تقف إلى جانبه. فقد قاموا بجهود كبيرة لترشيحه كإمام لكي لايفقدوا مجدهم التاريخي السابق، وارتباط ذلك بمصالحهم السياسية والمادية، يعاونهم في ذلك أبناء الأسر الكبيرة من السادة والقضاة، وأبناء القبائل الشمالية الذين تضررت مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية نتيجة للوجود العثماني في اليمن.

يتضح ذلك في مواقف متعددة أظهرت وأبرزت مواقف هؤلاء. فعند وفاة الإمام الهادي شرف الدين، قام ابنه سيف الإسلام محمد وكان يلقب بأبو نيب بإرسال الرسل والرسائل المُتتابعة إلى السيد محمد بن يحيى حميد الدين، لحثه على الوصول إلى حصن السنارة لانتخابه للإمامة وتسليمه ذلك الحصن، مقر قيادة الإمام الهادي، مع أنه كان مؤهلاً للقيام بالإمامة بعد والده، لكنه رأى بأنه ينقصه أهم شرط من شروط الإمامة وهو عامل الاجتهاد لذا لم يتوان بأن قلد الإمامة لمن هو أهل لها، وتجتمع فيه كل الشروط[1] وبعد أن استجمع المنصور محمد بن حميد الدين كل قواه، وبدأت طلائع قواته تُهاجم الأتراك وتحاربهم في كل مناطق اليمن، كان محمد ابن الإمام الهادي شرف الدين أحد الرموز القيادية الهامة وأحد قادته (مقادمته) البارزين، فقد حارب مع الإمام وشارك في كل الأعمال الحربية التي نظمها الإمام وأصحابه ضد الأتراك[2].

ولم يتوان أبناء الإمام المحسن بن أحمد الشهاري (محمد وعبد الله) عن مساندة الإمام المنصور فقد كانا يُعتبران من قادة الإمام البارزين وممن كان ينوط إليهم بقيادة الجيوش ضد الأتراك، وكان يُطلق عليهم سيوف الإسلام[3]. باعتبارهم أبناء أئمة سابقين. ومن الشخصيات اليمنية البارزة من أبناء الأسر الكبيرة المشهورة العلامة أحمد بن قاسم حميد الدين، الذي كان له دور بارز في مساندة المنصور محمد، والقيام بالمهام العسكرية المختلفة. ولانغفل أيضاً قصائده الشعرية الحماسية التي كان يشحذ فيها همة القبائل المتوانية عن القتال[4].

---

(١) الشماحي، عبد الله بن عبد الوهاب: اليمن الإنسان والحضارة، ١٦٣.
(٢) للمزيد يمكننا الرجوع إلى النص الذي نحن بصدد دراسته، وتحقيقه.
(٣) النص: ق٥٨ب، ٩٢ب، ٩٦أ.
(٤) النص: ق٣٧أ، ٩٠أ، ٩٣ب، ٦٠أ.

فنراه في إحدى المناسبات يقول:

تخاذل أهل الدين عن نصر دينهم وأجمع أهل المنكرات على النكر
فيا معشر الإسلام مالي أراكم غفولاً عن الفضل المضاعف والأجر[(١)]

ولن نغفل دور رجال وشخصيات بارزة أدَّوا دورهم القيادي بكل صدق، وساندوا الإمام المنصور محمد في حشد الجيوش، وخوض غمار المعارك وهم القادة العسكريين من أبناء الأسر الكبيرة المؤيدة. ومن أبرز هؤلاء السيد أحمد بن مثنى عنتر[(٢)]، والسيد أحمد بن محمد الشرعي الذي كان له مواقف عديدة وصادقة ضد الأتراك وحاربهم بقوة وشراسة حتى قُتِل. وقد رثاه كاتب السيرة العلامة القاضي علي بن عبد الله الإرياني بقوله:

العين في أرق والدمع في قلق والقلب في حرق والدهر في جزع
لموت نجم المعالي وابن نجدتها غيث الخليقة في صيف ومرتبع[(٣)]

ورثاه القاضي العلامة حسين بن أحمد العرشي بقوله:

أبا الدهر والأيام ياصاح تغتر
وتفتر إن هي صاحبتك وتستر

حتى يقول:

ومن ينظر الدنيا بعين احتقارة
لهان عليه الأمر ولو عظم الأمر
لكل زمان ملبس لا كملبس
وكرب وتفريج وعسر به يُسر[(٤)]

ومن القادة المؤيدين البارزين من أبناء الأسر الذين عملوا مع الإمام المنصور محمد، وحاربوا الأتراك بقوة وشراسة حتى توفي متأثراً بجراحه، هو السيد محمد بن حسين بن

---

(١) النص: ق٣٨أ.
(٢) النص: ق٩٩ب.
(٣) النص: ق٣٣ب.
(٤) النص: ق٣٣ب.

عباس الشهاري[1] وقد رثاه القاضي العلامة حسين بن أحمد العرشي بقوله:

أفيضي بدمع وامزجيها بعندم

عيوني فماذا الحال حال التكتم[2]

ومن الذين أيدوا وحاربوا الإمام في كل جبل ووادي السيد محمد بن أحمد الشامي، نراه تارة قائد (مقدمي) يُسيّر الجيوش وتارة يعينه الإمام كحاكم بالنيابة عنه في منطقة ما هو وعدد من أفراد أسرته[3].

ومن الأسر المؤيدة للإمام المنصور وكان لها دور في هذه المرحلة هي أسرة آل الوزير، فقد أحبت المشاركة ولو بدور محدود بأن قامت بترشيح قائد من قبلها يمثل آل الوزير، وانضم إلى الجيوش كمقدمي إلى جانب أصحاب الإمام السيد أحمد بن محمد الوزير[4].

ولا نغفل دور الكثير من القادة اليمنيين المؤيدين على اختلاف فئاتهم من أبناء الأسر الكبيرة من السادة والقضاة وغيرهم، ممن آمنوا بدوره في تلك المرحلة، وكان لهم أدوار عسكرية بارزة ضد الوجود التركي منهم السيد محمد بن عبد الله الشرفي[5]. والسيد يحيى بن قاسم عامر وولده محمد بن يحيى عامر[6]. والصفي أحمد بن قاسم حجر، والسيد أحمد بن يحيى المتوكل، والسيد حسين بن قاسم عامر[7]. والشيخ ناجي بن عبد الوهاب الشايف الذي رافق الإمام في مختلف تنقلاته، وأحب مشاركته في تلك الحروب ضد الأتراك، لكنه قُتل في أحد المعارك. وقد رثاه الإمام ومجموعة من شعراء العصر[8]. من ذلك:

من حلحل عسعس الديجور في الظلم

وانهد ركن العلا والمجد والكرم

---

(١) النص: ق٤٥أ، ٤٨أ.

(٢) النص: ق٥٤أ.

(٣) النص: ق٣٠أ.

(٤) النص: ق٦٤ب.

(٥) النص: ق٤٥أ.

(٦) النص: ق٤٥أ.

(٧) النص: ق٣٥ب، ٥١ب، ٨٣ب، ٨٥ب.

(٨) النص: ق٦٤أ.

بمـــــوت مـــــن رفـــــض الـــــدنيا وزينتهـــــا

ولم يخـــــف ســـــطوات القـــــوت والعـــــدم

وأحب أن أوضح بأن تلك المشاركات القيادية من أبناء الأسر الكبيرة، ورؤساء القبائل وأبنائها لم تكن إلا بدافع الإيمان بالدور الذي اضطلع به الإمام المنصور محمد، وإيـمان هـذه الشخصيات بمساوئ الحكم التركي في اليمن، على مختلف مراحله، وخاصة تلـك الفئـات التي تضررت مصالحها العامة بوجود الأتراك، ولذا فقـد شـاركوا بـدافع الحميـة الوطنيـة والقبلية والدينية، وإلا لما بذلوا كل غال من أجل أرضهم ومبادئهم التي آمنوا بها، واقتنعوا بالدور الذي يقومون به لزعزعة الوجود العثماني.

وقد حرص الإمام أن يقرب إليه مجموعة مـن العلـماء والأدبـاء والـشعراء، فقـد كـانوا بمثابة وسائل دعاية وإعلان لسياسته، ولذا فقد قام بتأسيس الهجر العلمية وبعض المدارس الدينية في قرى مختلفة، حرصاً منه أن يخلق جيلاً من اليمنيين الـذي يـساند ثورتـه وغـرس مبادئ المذهب الزيدي في نفوس هؤلاء، وبالتالي عمد على كشف ظلم الأتراك والممارسات الخاطئة التي يرتكبونها في اليمن وتكفير أعمالهم وسياستهم.

وقد وفد إلى مقر إقامة الإمام المنصور محمد العديـد مـن العلـماء والمـؤرخين والـشعراء الذين تعاطفوا مع دعوته وآزروه وساندوه، ومنهم على سبيل المثال القاضي علي بن عبد الله الإرياني كاتب السيرة[1] والقاضي حسين بن أحمد العـرشي الـذي أصـبح أحـد المقـربين إلى الإمام، وكاتب رسائله، وله سيرة عن حياة الإمام المنصور محمد تـسمى «الـدر المـنظم فـيما جرى بين الإمام المنـصور والعجـم» . وللعـرشي قـصائد شـعرية سـجل فيهـا الأحـداث التاريخية في مناسبات عديدة، وهذه المخطوطة التي نحن بصدد دراستها زخرت بالكثير من هذه القصائد، التي حرص الإرياني على تسجيلها، ومنها:

وفي الـــــشاهل المعـــــروف جالـــــت فـــــوارس

عليهـــــــا إذا حـــــــان الطعـــــــان دروع

(١) يمكننا الرجوع إلى ترجمته كاملة في مقدمة المخطوطة من ق١ إلى ق١٣.

وظلـــت ســـيوف المـــؤمنين كأنهـــا
قبـــايس نـــار والرجـــال نهيـــع

وفي مناسبة أخرى يقول:

الله أكـــبر جـــاء الفـــتح واقتربـــا
واســـترجع الـــدهر مـــن غـــيظ الـــذي وهبـــا

وفي إحدى مناسبات انتصار الإمام يقول العرشي:

طربـــت ولي قلـــب عـــن اللهـــو عـــازب
ســـواه لغـــيري حـــين تبنـــى المـــذاهب[1]

وهناك الكثير من القصائد الشعرية التي كتبها العرشي، وسجلها الإرياني في المخطوطة، وتحوي بين ثناياها الكثير من الأحداث التاريخية والعسكرية، وتعتبر سجلاً متكاملاً لتلك الأحداث والمعارك التي دارت في تلك الفترة، وقد يكون ذلك بحكم قربه من الإمام ومن الأحداث التي قامت في تلك المرحلة.

وهذا السيد العلامة إسماعيل المرتضى المحطوري في إحدى المناسبات يقول:

ففـــي الـــشرف الـــشريف وفي ظفـــيره
ونجـــرة والـــشغادر قـــوم حمـــرا
وكـــم مـــن غـــارة يرســـل بهـــا في
صـــميم العـــزم للطـــاغين تـــترا
وكـــم غـــزوات تـــسرع في نكـــال
لعلـــج الـــروم لا يجـــدون أزرا
فـــأول صـــدمة في الـــترك كانـــت
ببلـــدة شـــاهل قـــتلا وأسرا[2]

---

(١) النص: ق٢٢أ، ٢٨أ، ٥٤أ، ٦٧أ.

(٢) النص: ق٧٠أ.

ومنهم الأديب الشاعر عبد الله بن يحيى الخاشب، وهو أحد شعراء مدينة حجه الـذين سجلوا الأحداث التـي دارت بـين أصـحاب الإمـام والأتـراك، والـذي يقـول في إحـدى المناسبات:

وعطـــر بــــذكر الـــسيد الماجـــد الـــذي

بحاشـــــد أنـــــصار الأئمـــــة قـــــد سرى

وهزبـــر الـــوغى عـــز الهـــدى جـــاء غازيـــاً

فـــــصبح في حـــــصن الظفـــــير مظفـــــرا[1]

ولم يتوان أحد الشعراء أن يرسل التهاني للإمام، عند انتصاره، وليعبر عن شـعوره تجـاه تلك الأحداث وهو القاضي الشاعر الأديب محمد بن أحمد بن إبراهيم الحضراني فيقول:

طيـــور القنـــا غنـــت عـــلى كـــل دوحـــة

بأفـــصح قـــول والعُـــلا والمـــسرات[2]

أما الشاعر محمد بن عبد الله الخزان فقد عبر عن مـساندة الإمـام، ودوره القيـادي ضـد الأتراك في مناسبات عديدة، وأرسل الكثير من القصائد الشعرية التي تعبر عن ذلك، منها:

أرى بـــارق الـــيمن الـــيماني خـــاطرا

شرى في ســـحاب الجـــود بـــالخير مـــاطرا

علـــوت عـــلى العليـــاء يـــا بـــن الأكـــارم

ورثـــت مـــن الآبـــاء كـــل المكـــارم[3]

وأرسل شيخ الإسلام علي بن علي اليماني إلى الإمام إحدى قصائده ليعبر له عن تعاطفـه ومساندته بالكلمة وهي:

تـــأس يـــابن رســـول الله بالرســـل

وبـــالوصي أمـــير المـــؤمنين عـــلي

---

(١) النص: ق٢٣أ.

(٢) النص: ق٣٢أ.

(٣) النص: ق٧٠ب، ق٨٢ب.

وبالأئمـــــــة مـــــــن أبنـــــــاء حيـــــــدرة

شُـــــم العـــــرانين ضرابـــــين للقلـــــل[1]

ولا نغفل المؤرخ الشاعر العلامة أحمد بن عبد الله الجنداري، الذي شارك الإمام في كـل المواقف، وكتب العديد من القصائد الشعرية التي تؤيد موقفه، ومنهـا قـصيدة التخمـيس التي دمجها مع قصيدة الإمام حين قامت قبائـل ذو غـيلان بتـسليم الأسرى لفيـضي باشـا. فقال:

نـــــسيم الـــــريح أم بـــــرق العـــــشية　　　أم الطـــــير الخفـــــاف الأقدميـــــة

أريد لبث ما تحوي الطوية

عـــــلى دقـــــساء عنقـــــا شـــــدقمية　　　صـــــلخدم عيـــــدهور أعربيـــــة[2]

ومما نلاحظه أيضاً حِرص بعض أشراف وشعراء مدينـة صـعدة عـلى إرسـال الرسـائل المؤيدة، والقصائد الحماسية التي تُظهر تعاطفهم مع الإمام وأصحابه، وأدوارهم العـسكرية مع الإمام وهو العلامة أحمد بن إبراهيم الهاشمي فقد عبر بقوله:

لله در العـــــالم الحـــــبر الـــــذي　　　قـــد ســـاغ نظـــماً ذاقـــه العُـــرّاف

فلقـــد حـــوى علـــم البـــديع مكمـــلاً　　　حتـــى غـــدا الكرويـنـــا كـــشاف

فبـــذا البـــشاير والهنـــا لإمامنـــا الـــ　　　ـمنـــصور مـــن دانـــت لـــه الأشراف[3]

وكباقي اليمنيين الذين ساعدوا الإمام، وعبروا عن موقفهم ولـو بالكلمـة، فقـد عمـد الكثير من الشعراء والأدباء على إرسال القصائد الشعرية من مختلف مناطق الـيمن ليعـبروا عن مساندتهم وتعاطفهم، وبات ذلك واضـحاً في مختلـف المناسـبات الدينيـة والعـسكرية والاجتماعية، وربما يرجع ذلك أنهم رأوا في الدور الذي يقوم به الإمـام وأصـحابه مُتنفـساً وخلاصاً من السياسة العثمانية القاسية التي مارسوها في اليمن.

وبعد الحديث عن بعض الأدباء والشعراء والعلـماء الـذين جنـدوا أنفسهم إلى جانـب

---

(١) النص: ق٥٠أ.

(٢) النص: ق٥٣أ،ب، ٥٤أ.

(٣) النص: ق٨٥أ،ب.

الإمام من أجل القضية اليمنية، ننتقل إلى الحديث عن فئة أخرى من الفئات الاجتماعية لنرى موقفهم من الحكم التركي لليمن ومن القضية اليمنية بوجه عام وهي فئة التجار.

ولا شك أن هذه الفئة قد تضررت كثيراً أثناء الوجود العثماني، لما كانوا يفرضونه من ضرائب، ولما كانوا يتبعونه أحياناً من طرق مختلفة لجبايتها، فقد كانوا يتبعون طرقاً غير إنسانية، ويغالون في مقدار تلك الضرائب، واستحداث قوانين جديدة، وفرضها على التجار اليمنيين الذين كانوا على عهد جديد يمثل هذه القوانين. كل هذه الأعمال والتصرفات من قبل الموظفين الأتراك دفعت هذه الفئة إلى التعاطف مع الإمام وأصحابه، ومحاولتهم تقديم العون والمساعدة ولو مادياً لكي يستمر الإمام وأصحابه في محاربة الأتراك.

وقد عمد الإمام المنصور محمد بدوره، أن يتقرب من التجار الذين يرى بأن لهم نفوذاً اقتصادياً معين قد يعود عليه بالفائدة، ولذا نراه يقوم بمنح أسرة آل الربيدي في صنعاء امتيازاً اقتصادياً خاصاً في أسواق صنعاء، لكي يضمن وقوف هذه الأسرة معه واستمرار مساعدتها له، وبالتالي يمكن لهذه الأسرة أن تقوم ببعض الدعاية في داخل صنعاء لصالح الإمام، بالرغم من أن مدينة صنعاء بالذات لم تكن تقع بعد تحت سيطرة ونفوذ الإمام. لكن ذلك لم يثنه أن يوجه تعليماته للتجار لصالح آل الربيدي، لكي يضمن ولاءهم، واستمرار مدهم له بالمساعدات، وهي الزكاة التي كان التجار اليمنيون المتعاطفون مع الإمام يحرصون على إرسالها للإمام كدليل على مشاركتهم له معنوياً ومادياً[1].

ونستنتج من ذلك أن الإمام لم يتم إرسال تلك الوثيقة لآل الربيدي في داخل صنعاء إلا لأنهم قد سبق وأن تعاملوا معه وبطريقة ما. ولذا فكثير من التجار كان لهم دور إيجابي في مساندة الإمام ضد الأتراك. من تلك الفئات المتعاونة والمؤيدة التي حاولت التقرب من الإمام حسب استطاعتها، منها على سبيل المثال مايذكره لنا الإرياني بأن الفقيه أحمد بن محمد المحني «خرج من صنعاء وصحبته كسوة ومحتاجات» [2] للإمام.

---

(١) أ.د سيد مصطفى سالم: وثائق يمنية، ص١٦١.
(٢) النص: ق١١٧أ.

ومن خلال مواقف أخرى مؤيده للإمام من بين هذه الفئة، نرى المساعدة المادية التي قام بإرسالها أحد أعيان مدينة تعز ومن أسرة آل الوادعي. وقد كانت تلك المساعدات المادية التي يقدمها التجار للإمام أحد أهم مصادر موارده في تلك الفترة[1] كان الإمام حريصاً من وقت لآخر أن يكتب إلى هذا وذاك ممن يرى بأن لهم نفوذاً أو مالاً، ويذكرهم بالدور والواجب الذي يمكن أن يقوموا به، وطرح مبدأ الواجب الديني والوطني، محاولة منه لتجميع العناصر المناوئة للعثمانيين، لكي يكسب مساندتهم ومساعدتهم[2].

وحين ننتقل إلى جانب آخر من الفئات الاجتماعية المؤيدة للثورة والتي كان لها مشاركات فعالة إلى جانب الإمام وبطرق مختلفة، فإننا نقف عند أبناء القبائل المختلفة في المدن والقرى، لنعرف موقفهم من الحكم العثماني لليمن. وسنرى بأن القبائل في عموم مناطق اليمن قد اتخذت أكثر من موقف. ونلمس ذلك من خلال مواقفهم المتذبذبة فلم تكن مؤيدة دائماً للثورة، كما لم تكن دائماً معارضة لها. فقد كانت تتغير من موقف إلى آخر طبقاً للظروف والمتغيرات السياسية والحالة الاقتصادية والاجتماعية العامة.

في بداية الثورة نلاحظ قوة الاندفاع والحماس الشديد إلى جانب الإمام وخاصة عند تحقيق الانتصارات المتتالية. كما كانت هناك عناصر من تلك القبائل كان هدفها الوحيد هو تحقيق مصالحهم الشخصية فمنها من كان مؤمناً بقضية الإمام، ويريد التخلص من ظلم الأتراك، ومنهم من لايسعى إلاَّ للحصول على الغنائم. وتختلف مواقف تلك العناصر القبلية، فعند ظهور والٍ قوي واشتداد قبضته مثل أحمد فيضي باشا فإننا نجد أن درجة التذبذب واضحة عند القبائل المختلفة، فمنهم من يواصل وقوفه إلى جانب الإمام وبشيءكبير من القوة والاستبسال، ومنهم من يركن إلى الهدوء والاستكانة، بل هناك من ينحاز إلى الجانب التركي أي الجانب الأقوى في تلك الفترة إما خوفاً أو طمعاً لتحصيل مكاسب شخصية مثل الحصول على المكافآت المتمثلة في الوظائف أو الغنائم.

ويتضح موقف القبائل وأبناءهم من خلال شخصيات نطرحها هنا كأمثلة، ليظهر لنا

(١) أ.د سيد مصطفى: وثائق يمنية، ص١٤٣، ١٤٦.

(٢) أ.د سيد مصطفى سالم: وثائق يمنية، ص١٤٠.

مدى تجاوب وانضمام بعض الشخصيات كأفراد من عامة الناس مع الإمام، ويختلف ذلك وحسب الظروف العامة المحيطة. ونلاحظ أن هناك كثيراً من الأهالي عبروا عن مواقفهم وتعاطفهم مع الإمام وأصحابه وحاولوا مساعدته إما بالانظمام إلى جيوشه كما سنرى أو بإرسال المساعدات المالية والعينية تعبيراً عن مساندتهم له في تلك المرحلة.

ومن الشخصيات البارزة والمشهورة في ذلك الحين الشيخ علي المقداد. فقد كان في السابق يعمل لدى الأتراك لكنه تعرض للإهانة من قبل أحد الضباط الأتراك لاتهامه بأنه يخفي لنفسه جزءاً من الضرائب التي كان يجمعها، وقام بربطه إلى عجلة المدفع وجره وأهانه أشد الإهانة، فما كان من الشيخ علي المقداد إلا أن تحين قيام الإمام المنصور محمد بثورته ضد الأتراك، حتى أعلن ثورته ضدهم وأقسم على محاربتهم وإقلاق مضاجعهم. وقد أطلق عليه الإمام لقب نصير الدين، فقد حارب الأتراك، وحمل لواء المقاومة في ذمار وآنس وما حولها، وكانت له صولات وجولات ضدهم والسيرة التي بين أيدينا تسجل كل الأحداث العسكرية التي قام بها المقداد، وأفراد آخرون من أسرته[١]. وقد تعمد الأتراك إرهابه ليكف عن محاربتهم، بأن قاموا بخراب بيته في آنس، لكن ذلك لم يثنه عن ما عزم عليه. وقد أعطانا المؤرخ الجرافي صورة لهذا الأمر بقوله: «إلا أنهم وغيرهم إنما يطيعون في الظاهر، وقلوبهم مع الإمام مع ما قد جرى عليهم من ظلم المأمورين»[٢].

ومن خلال الوثائق يتضح لنا أن هناك ثمة مشاركات ذاتية وفعالة قام بها أفراد من ذات أنفسهم يتضح ذلك من خلال المشاركة المالية التي قام بإرسالها أحد المشائخ للإمام وحرص الإمام على أن يبعث له بالشكر والثناء على البذل والعطاء. ومن خلال هذا الموقف نلاحظ الثقة والتعاون الذي حرص اليمنيون عليه، وأصبح أغلبهم يعدون الإمام الزعيم الروحي والدنيوي لهم[٣] وذلك رغم الإجراءات الإرهابية التي قام بها الأتراك، فقد قاموا بنفي جماعة من المشائخ والفقهاء الذين يشكون بميلهم وتعاطفهم أوتعاونهم مع الإمام[٤].

---

(١) النص: ق٩٦أ، ق١٠٤ب، ق١١٣أ؛ أ.د سيد مصطفى سالم: وثائق يمنية ص٣٨٦.

(٢) الجرافي: حوليات العلامة الجرافي، تحقيق: د. العمري، ص٨٢.

(٣) أ.د. سيد مصطفى سالم: وثائق يمنية، ص١٦٩.

(٤) الجرافي: الحوليات، ص١٠٠.

وسوف أحاول أن أطرح بعض الأمثلة لتلك الفئات الاجتماعية التي كان لها دور هام على الساحة اليمنية، لنرى تذبذب مواقفها تجاه الإمام أو مع الأتراك. وعلى الرغم من أن القبائل كانت لهم مواقف مختلفة ومتباينة من حروب الإمام ضد الأتراك. إلا أننا لا ننكر بأنه كان لهم دور فعال في تلك الحروب التي خاضها الإمام ضد الأتراك وكان الإمام يعتبرهم الساعد الأيمن لكل حروبه. فقد كانوا على درجة كبيرة من الحماس والإيمان بالدور الذي يضطلع به الإمام وأصحابه، ولذا فقد قامت كثير من القبائل ببذل أنفسهم وأبنائهم والتخلي عن أموالهم وقراهم، في سبيل تحقيق الهدف الذي آمنوا به. ودفعتهم العاطفة الدينية التي تربط أغلب اليمنيين بالإمام، حيث يمثل للكثير منهم الزعيم الروحي. لكن لم يخل الأمر من تذبذب مواقف هذه القبائل إما سلباً أو إيجاباً، ومحاولتها في كثير من الأوقات البحث عن مصالحها الخاصة. وقد يعود ذلك إلى الظروف الاقتصادية والسياسية التي كانت تتحكم في حياة هذه القبائل.

فنلاحظ عند ظهور دعوة الإمام، وبداية حروبه ضد الأتراك قيام القبائل معه وساندته وآمنت بالدور الذي يقوم به وأعلنت تأييدها المطلق لتلك الحروب وحاصرت المدن والقرى بشراسة[1]. لكن الإمام كان يتوجس خيفة من هذه القبائل ومن تقلباتها، وكان مؤرخنا الإرياني كثيراً ما يذكر ذلك في سياق السيرة بقوله: «ولقد سمعنا الإمام يتبرى من أفعال العرب في أحواز صنعاء، وأنهم لم يحسنوا في ذلك صُنعاً، وإنما وقع من الخذلان، كان بسبب المخالفة والعصيان»[2].

لكن الملاحظ أن تلك القبائل وفي السنوات الأولى من مقاومة الإمام للأتراك، تحمست للأوضاع، واعتبرت هذه الفتر فترة ازدهار وقوة عسكرية لنفوذ الإمام وفترة ضعف بالنسبة للولاة الأتراك في صنعاء، حتى قدوم أحمد فيضي باشا إلى اليمن، واختلفت الأوضاع ما بين مد و جزر بالنسبة للطرفين كما سبق أن شرحت.

ومن خلال مواقف القبائل المتذبذب نلاحظ تغيَّر اتجاهها وتأييدها الذي يخدم

---

(١) الجرافي: الحوليات، ص٣٧.

(٢) النص: ق٣٧أ.

مصالحها، وبالتالي وظَّفَتْه لخدمة هدفين، فإلى جانب الهدف الذي سبق أن شرحته هو الإيمان بدور الإمام، لكن الهدف الآخر والذي سعت من أجله القبائل هو الغنائم والمكاسب الذي تطمح من أجله. إتضح ذلك جلياً من خلال حادثة تسليم حصن الظفير للأتراك بمساعدة قبائل حاشد، فقد قام الشيخ ناصر مبخوت الأحمر بإخراج المحاربين من الحصن، وتسليمه للأتراك مقابل ما بذلوه من أموال مغرية لهذه القبيلة، أدى إلى غضب الإمام لأنه فقد معقلاً من أهم معاقله التي كان يدخرها لمهاجمة الفرق العسكرية التركية. أما قبيلة حاشد فقد بررت موقفها هذا بان الأتراك كانوا يتهددونهم إذا لم يسلموا الحصن فسوف يقومون بهدم منازلهم في قرية الخمري. وقد عبر مؤرخنا الإرياني عن استيائه تجاه هذا التصرف بأن علق حول هذا الحادث بقوله: «فذلك عذر كاذب فاسد، وإنما السبب في ذلك حب الفلوس ورغبة في حطام الدنيا المنحوس»[1].

وتكررت مثل تلك المواقف من القبائل حين قام رؤساء قبائل برط وذو محمد وباتفاق مع مشائخ قبائل حاشد بمراوغة أصحاب الإمام، وتسليم الأسرى الأتراك الذي كان الإمام قد أوكل إليهم حراستهم حتى يحين الوقت المناسب كي يستخدمهم الإمام كورقة رابحة في مفاوضة الأتراك. وتم تنفيذ ذلك المخطط مقابل مبلغ من الدراهم بذله فيضي باشا لهذه القبائل[2].

ويعلق الإرياني على ذلك الموقف بقوله: «وصلت الأخبار إلى الحضرة الشريفة أن حاشداً قد نافقوا وأطاعوا العجم، ونقضوا العهود التي حكيناها فيما تقدم، وقبضوا منهم رشوة»[3].

لكننا نلاحظ تغير موقف تلك القبائل بحسب الموقف الذي ترتضيه والظرف الذي تمر به، فقد قامت قبائل حاشد بإرسال الرسائل إلى الإمام يعرضون مساعدتهم ومشاركتهم في تلك الحروب وبغيتهم هي «إرضاء الرب الأكرم، فأسعد لهم الإمام فيما أرادوه خشية الوقوع في التقصير» . ولكنهم قلبوا للإمام ظهر المجن وظهرت كوامن نفوسهم، فحين

---

(١) النص: ٥١ب؛ زبارة: أئمة اليمن، ص٢٤٥؛ الجرافي: الحوليات، ص٩١.
(٢) الجرافي: الحوليات ص٩٤.
(٣) النص: ق٥٠أ، ق٥٣أ.

علموا بقدوم قافلة عفش الوالي القادم إلى صنعاء، تفرقت تلك الجموع كل يحاول الاستحواذ على مغنم من تلك الأحمال «ولم يتم أمر الجهاد، وتفرقت تلك الجموع، ومصارع العقول تحت بروق الأطماع»[1].

وهناك مثال آخر، فقد تكرر الموقف مع قبائل غيلان حين أرسلوا إلى الإمام يتوددون محاولين التقرب إلى الإمام، لينوط إليهم بأمر الحرب تكفيراً عن موقفهم السابق عندما ساعدوا على إطلاق الأسرى الأتراك، فيعلق الإرياني بقوله: «يطلبون من الإمام أمراً بالجهاد، وأنهم تائبون إلى رب العباد عما سلف»[2].

وقد كان لمؤرخنا رأي يطرحه في مثل هذه المواقف فيقول: «وأنه لم يكن لأولئك الأقوام نيَّة خالصة في تحصيل المرام إلا في جمع الحطام، فلا حول ولا قوة إلا بالله»[3].

وقد كان الإمام يتعامل مع هذه القبائل بحذر، لأنه في حقيقة الأمر كان محتاجاً لعونهم البشري والعسكري، وفي نفس الوقت نراه يبث هواجسه ومخاوفه من مواقف هؤلاء القبائل، فنجد مؤرخنا الإرياني يذكر ذلك بقوله: «ولقد سمعنا الإمام يتبرى من أفعال العرب في أحواز صنعاء، وأنهم لم يحسنوا في ذلك صُنعاً»[4]. وأيضاً «وقد كانوا قبل ذلك نهبوا سوق الروضة، وأكثروا الفساد، ولم يراقبوا رب العباد، وتبين أنهم لم يكن لهم نية صادقة في الجهاد إلا تحصيل الأطماع»[5].

وقد كان الإمام يُحذر القبائل بعدم التعدي على أموال الناس، وأن لا يلحقوا الأذى بالمواطنين فيقول: «وكان الإمام يتبرم من المجاهدين وأفعالهم ويقول أنه لايتم المرام والأفعال هكذا»[6]. ويكرر تحذيره لتلك القبائل بقوله: «واشترط عليهم (أي الإمام) أن لايتركوا الضرر إلا في أعداء الله وأعوانهم، وحذرهم من الظلم والتعرض للضعفاء»[7].

---

(١) النص: ق٧٢ب.
(٢) النص: ق٨٠ب.
(٣) النص: ق٧٢ب.
(٤) النص: ق٣٧أ.
(٥) النص: ق٧٣ب.
(٦) النص: ق١٩ب.
(٧) النص: ق١١٨ب.

ومن المواقف السلبية التي قامت بها القبائل أثناء تلك الحروب؛ نهب القرى التي كان يتم الاستيلاء عليها من أيدي الأتراك، فهناك على سبيل المثال ما قامت به حاشد من نهب لقرية «قُرُف» «ونهب من كان من حاشد ما قدر عليه من القرية وعزموا بلادهم»[1]. وهناك مثال آخر يوضح مثل تلك التصرفات السلبية وهو أن بعض القبائل التي كانت تهزم الأتراك وتستولي على الغنائم، فما تلبث أن تختلف فيما بينها على تقسيم الغنائم منها ما حدث في موقعة بني جل «لما استولت العرب على البنادق والبغال وجميع الأثقال، وقعت الفتنة فيما بينهم في تقسيمه، فوقع بينهم الحرب والمخاصمة»[2].

لكننا لن نغفل مواقف بعض قبائل عانت الأمرين حيث كانت أمام خيارين صعبين، إما الإنضمام إلى الإمام والحرب معه، وبالتالي تتعرض للتنكيل من قبل الأتراك، وإما الانظمام إلى الأتراك وبالتالي ينتقم منهم الإمام وأصحابه. وهناك الكثير من تلك الصور التي وضعتها بين أيدينا هذه المخطوطة. منها أن أهالي عر بني إسماعيل رضخوا للإمام وأصحابه. ولكنهم رفضوا تسليم رهائن كما هي عادة الإمام مع القبائل لكي يضمن ولاءهم ومشاركتهم له ودفاعاً عن النفس بادروا بإطلاق النار على أصحاب الإمام، فهجمت عليهم القبائل من كل صوب وسلبوهم كل ما يملكون، ويعلق مؤرخنا قائلاً: «وتفرق القوم بذلك الحطام، وكل واحد موقر»[3].

ومنها أن أصحاب الإمام طلبوا من أهل قرية بيت الطوقي أن يعسكروا داخل القرية لعدة أيام لكنهم بادروا بالرفض بقولهم: «لانقبل عسكر منكم ولا من العجم»[4]. وقد كان رفضهم ذلك ناتج عن خوفهم من المعاناة التي كانوا يتلقونها من الطرفين.

ومنها حادثة بني جبر، فقد أرسلوا إلى أصحاب الإمام يطلبون النجدة خوفاً من هجوم مباغت يقوم به الأتراك، لكنهم علموا بطلان ذلك الخبر، وأن الأتراك لن يقوموا بأي هجوم، ولذا فإنهم أرسلوا إلى أصحاب الإمام والقبائل الموالية له يرجون عدم قدومهم إلى

(١) النص: ق١٠٩أ.
(٢) النص: ق٦٥أ.
(٣) النص: ق٧٥أ.
(٤) النص: ق٢٧أ.

القرية «فحينئذٍ كتبت بنو جبر إلى صفي الإسلام يطلبون ترك الوصول، وأنه قد حصل لهـم المرام» [1]. أما موقف أهالي قرية بني سويد، فقد طلبوا من أصحاب الإمام والقبائل الموالية له أن يرحلوا عن قريتهم، خوفاً من انتقام الأتراك منهم، إذا قـدموا مـساعدتهم لأصـحاب الإمام. «وقد عقر (ذبح) عندهم أهل المحل أن ينتقلوا منها إلى قرية بوقه»[2].

و نستنتج من خلال تلك الحوادث، ومخاوف الأهالي من انتقام الأتراك أن ذلـك يرجـع بصفة خاصة إلى الفترة التي تولى فيها أحمد فيضي باشا، فقد مارس الشدة والقوة والانتقـام، وخراب وإحراق القرى مع كل مـن يحـاول مـساعدة الإمـام وأصـحابه، ومـارس أنواعـاً مختلفة من السياسة التي سبق أن شرحناها أجبرت الأهالي على الركون للسلامة وتحاشي مـا قد يلحق بهم من أضرار[3].

وكنتيجة حتمية لذلك فقد لجأت بعض القبائل إلى الأتراك لحمايتها منها على سبيل المثال ما قام به أهالي (عُتْمَة) ، بعقد اتفاق مع الأتراك، والاستنجاد بهم، وأن يقدموا لهم المساعدة في حالة هجوم القبائل الموالية للإمام عليهم[4].

لكن الصورة تختلف بمثال آخر، فحين دخل أصحاب الإمـام والقبائـل الموالية لـه إلى الروضة، رفض أهاليها أن يفتحوا لهم الأبواب «فـضربوا الأبـواب بـالفؤوس والأحجـار ودخلوها بالكره والإجبار»[5].

وتتضح الصورة جلياً في إحدى الرسائل التي يقـوم الإمـام بإرسـالها إلى أحـد العقـال، ويستعرض فيها مواقف الناس والقبائل منه ومن الأتراك. وقد كان الإمـام المنـصور محمـد على دراية كاملة بمواقف هذه القبائل، لذا فقد حاول استمالتهم إليـه للوقـوف إلى جانبـه. منها حين تناهى إلى مسامعه أن أحد العقال يقلل من عزيمة الناس، فقد حـرص الإمـام أن يذكر له ذلك بقوله: «وقد بلغ وصولك، وشاع الخبر أن فلان خرج لتخذيل النـاس» ولـذا

(١) النص: ق٦١أ.
(٢) النص: ق١١١أ.
(٣) الجرافي: الحوليات، ص٦٦، ٧١.
(٤) النص: ق١١٠ب.
(٥) النص: ق٧٣أ.

يتدارك الإمام الأمر، وبحنكة سياسية يقول: «ونحن نعلم أنك من أهل العقل والمحبة لآل محمد خصوصاً القائم منهم» . ويحاول الإمام أن يوضح حالة الوضع حينذاك. ويؤكد في هذه الرسالة على إعطائنا صورة واضحة لمواقف القبائل المتذبذب من الأحوال والأوضاع القائمة، ويحذره من الوقوع في الخطأ «فالقصد إنك: احفظ ما بينك وبين الله يحفظك» ويكرر قوله بحقيقة متعارف بها فيما بينهم وهي تذبذب مواقف قبائل حاشد فيقول: «وأنت عارف أن حاشد يخالف الولد على أبيه فضلاً عن العقال».

ولذا فالإمام يبادره بالقول «وقد نبهناك بهذا وأنت حليم»[1] وتلك كانت وجهة نظر الإمام الخاصة في القبائل، وخاصة أثناء فترة حرجة من تاريخه وهي فترة الحرب مع الأتراك.

وربما يرجع سبب ذلك التصرف من القبائل، ناتج عن الأهوال والكوارث التي قد تلحق بهم إذا ما قدموا أدنى مساعدة للإمام وللقبائل الموالية له. ومارس الأتراك ضدهم أنواعاً مختلفة من الأعمال القمعية التي أخافت الناس، ومؤرخنا الإرياني يورد لنا الكثير من تلك الصور، فقد قام الأتراك بإحراق قرى بوسان والمشامين[2]. وأيضاً نهب وخراب وإحراق قرى مغربة العنب وقرية بني جحدب[3].

وقد كان لتلك السياسة القمعية التي مارسها الأتراك ضد الأهالي نتائج عكسية في نفس الوقت، فقد دفعت الناس إلى الانضمام للإمام، وممارسة أعمال انتقامية ضد الأتراك. ولنا أن نطرح بعض الصور البسيطة. فإلى جانب المشاركات الفعّالة التي قام بها الأهالي والقبائل كما سبق أن أوضحنا إلا أن أفراداً آخرين اتبعوا أعمال انتقامية منها قطع أسلاك البرق، وقطع أخشاب السلك، والاستيلاء على البريد القادم للأتراك (البوستة) ، ونهب الإمدادات الغذائية التي كانت السلطنة ترسلها للعساكر في اليمن، وتفجير بيوت الموظفين الأتراك ومن يعمل معهم، ومقار حكومتهم في المدن المختلفة، وتغيير وتسميم مياه الآبار كي لايستفيد منها الأتراك. وقد استعرض لنا صاحب الحوليات الكثير من تلك الأعمال

---

(١) وثيقة من الأرشيف العثماني رقم: $\frac{34/11}{8}$

(٢) النص: ق١١٣أ، ق١١٤أ.

(٣) النص: ق١٠٨أ، ق١١١أ.

الانتقامية إلى جانب ماتم سرده في خلال المخطوطة التي نحن بصدد دراستها[1].

أما القوى الاجتماعية الأخرى فهي القوى المعارضة للإمام ولنا أن نتبين أسبابها ودوافعها. فقد ظهرت فئة عارضت وجود الإمام المنصور وأنكرت بيعته ولم تعترف به، وفئة أخرى رفضت العمل والمشاركة مع الإمام، رغم الإغراءات التي حاول الإمام منحها لهم، لكن رفضهم القاطع حال دون ذلك وفضلوا العمل مع الأتراك.

ومن المعارضين لدعوة الإمام المنصور محمد، الإمام محمد بن قاسم الحوثي، أعلن دعوته في عهد الإمام الهادي شرف الدين ولقب بالمهدي، وعارض الهادي وجرت بينهما حروب بسيطة واستمر حتى وفاة الهادي، وعند تولية المنصور محمد الإمامة عارضه الإمام المهدي الحوثي ورفض تقديم البيعة واعتبر من المعارضين للمنصور محمد ولسياسته، حتى توفي[2]. ثم ظهر السيد حسن بن يحيى القاسمي واعتبر من المعارضين للإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، وقد التف حول القاسمي جمع من القبائل، ويرجع السبب في ذلك إلى أن السيد القاسمي كان ينتقد الإمام المنصور محمد ويعيب عليه بعض أعماله، وعدم اهتمامه بالفقراء والمساكين من الناس، ولذا فقد قام الإمام المنصور بالرد عليه مبرراً أفعاله وأقواله. فما كان من السيد القاسمي إلا أن ركن إلى الدعة والسكينة في مدينة ساقين، خاصة بعد أن أرسل له الإمام المنصور مجموعة من أصحابه المقادمة ليقيموا الحجة عليه. ويعلق مؤرخنا الإرياني بقوله: «فلما وصل الجواب سقط ما في يد السيد حسن القاسمي، ورجع عن مقصده، وعاد إلى وطنه مُلازماً لسكنه، والأعمال بالنيّات، وعلى ذلك ترتب الثواب والعقاب»[3].

ومن القوى الاجتماعية المعارضة التي فضلت العمل مع الأتراك، ولم تستجب للإغراءات التي كان يقدمها الإمام. القاضي عبد الرحمن أحمد المجاهد الذي تم أسره من قِبل أصحاب الإمام، وقد كان يعمل مدير وقاضي للأتراك في منطقة الحيمة، وتم ترحيله

(١) النص: ق٤٤أ، ٦١أ، ٦٤أ، ٦٧ب، ٦٨أ؛ الجرافي: الحوليات، ص٤١، ٥٠، ٨٠، ١١١، ١١٦، ١١٨.
(٢) النص: ق١١٦أ،ب.
(٣) النص: ق١١٨أ،ب.

إلى مقر إقامة الإمام. وحاول الإمام استمالته واستقبله بالإجلال والإكرام «وأعطاه شيئاً من الحطام تأنيساً له ولغيره» ثم عينه قاضياً من قبله على مدينة الطويلة، وأجزل له العطاء. لكن القاضي تنكر لذلك، وحين واتته الفرصة فر من العساكر الذين كانوا بصحبته، وقفل راجعاً إلى صنعاء[1].

ومن الشخصيات الاجتماعية الهامة التي حرص الإمام على تقريبه إليه القاضي محمد بن يحيى المجاهد، فقد حاول الإمام استمالته وإغراءه بالانضمام إلى المقاومة اليمنية، ورسم له الواجب الديني والوطني الملقى على عاتقه وأظهر له مساوئ الحكم التركي، وحرص الإمام أن يرسل له رسالة خاصة به مثل رؤساء وأعيان المشائخ لكي يرغبه بالانضمام إلى المقاومة اليمنية[2]. وكانت تلك إحدى وسائل الإمام الإعلامية كما رأينا في بداية الدعوة. لكن موقف القاضي المجاهد لم يتضح لنا من خلال الوثيقة التي بين أيدينا.

وتتكرر الصورة مع إحدى الشخصيات اليمنية وهو الشيخ حمود بن مسعد أبو غانم أحد «عرفاء» أرحب[3]. فقد كتب للإمام المنصور محمد يستطلع منه الأمور الجارية والأخبار، ويبث له ببعض هواجسه وحيرته، وربما خوفه من الأتراك، وما قد يلحق به من الأذى نتيجة انضمامه أو مساعدته للمقاومة اليمنية وكما يبدو، ومن خلال رد الإمام، يحاول استمالة هذا العريف إليه، وبدبلوماسية يرغبه ويحببه في المشاركة بقوله: «....صدورها بعد وصول كتابكم المستطلع، لما نظن فيكم من التمسك بأهداب العترة الزكية» . لكن الإمام يحذره من مغبة الوقوع في الخطأ وهو مساعدة الأتراك، ولكي يزداد هذا العريف ارتباطاً به حاول إخافته من الأتراك، وبأنهم يتربصون به الدوائر فيقول: «ولقد استولى على بعض العقلاء (الإياس) عن زوال العجم، وصاروا يشربون معهم نقيع العلقم، ويصبرون على المذلة، ويخوفون الناس بكل علة، ويظنون أن العز في سلامة البيوت من الخراب، وفي التذلل للعجم بخفض الجناب» . لكن الإمام يتدارك الأمر، ويقوي عزيمته قائلاً: «وليس كذلك فلا يهرع إلا من لانت لهم قناته، ولايعز ويرفع إلا من صلحت أعماله، وإنا نحب

(١) النص: ق٣٠ب، الجرافي: الحوليات، ص٥٠، ص٧٠.

(٢) الأرشيف العثماني: وثيقة رقم: 34/11

(٣) العريف: جمعها عرفاء، أي العالم بالشيء، القيم بأمر القوم وهي رتبة عسكرية (وقد سبق شرحها في المتن) .

لكم معالي الأمور، وطلب حسن الخاتمة قبل حلول القبور، وأنت من ذوي العقول الراجحة فاختر لنفسك ما يحلو»[1].

كانت تلك صوراً تُظهر بجلاء حالة الوضع العسكري والسياسي في تلك الفترة، وهي فترة أحمد فيضي باشا. وكما سبق أن أوضحنا معالم السياسة القاسية والقوية التي اتبعها ذلك الوالي في اليمن، فقد عملت على إخافة اليمنين بكل فئاته، وركنوا إلى السلامة والبعد عما قد يلحق بهم من أذى وأعمال قمعية.

وفي فترة حكم الوالي حسين حلمي باشا التي سادها الهدوء وتوقفت الحروب بين الإمام والأتراك على عكس ما كان في عهد فيضي باشا، سنرى أن هذا الوالي قد قام بإجراء العديد من الأعمال القمعية منها نفي رؤساء القبائل، وحبس مجموعة من أهالي صنعاء، ومعاقبة من سمع بتعاونه مع الإمام. وقد كان لذلك تأثيره القوي في نفوس اليمنيين، ودفعهم ذلك الإجراء إلى الهجرة من المدن إلى القرى هرباً مما قد يلحق بهم من أذى[2].

وبالرغم من أن مؤرخي هذه الفترة قد أجمعوا على أن الوالي حسين حلمي باشا قد اشتهر في فترة حكمه بالعدل والسياسة المعتدلة، إلا أنه تعرض لمحاولة اغتيال في باب دار الحكومة بصنعاء وكرد فعل وانتقام من بعض الموظفين الأتراك ممن يسمون بالمأمورين والذين كان قد عاقبهم وعزلهم. مما أثار حفيظتهم وحفزهم للتآمر ضده وبمحاولة اغتياله.

وقد طرح لنا المؤرخ الإرياني العديد من الصور لفئات اجتماعية معارضة للإمام والمقاومة اليمنية، ووقفت بشدة مع الأتراك مثل موقف القاضي محمد بن محمد جغمان مفتي الولاية للمذهب الحنفي من قبل الأتراك، فقد حاول الإمام استمالته إلى جانبه لكنه رفض التعاون وفضل العمل مع الأتراك. وكان الإمام حينذاك قد رأى أن يرسل من قبله من يقوم بقتله في داخل الجامع، لأسباب أوردها المؤرخ الإرياني، فقد رأى أنها حتمية فيقول: «إن الشقي محمد بن محمد جغمان، لما صدر منه التفوه في جانب الإمام السوي، وأهل البيت النبوي، و إظهار المحبة للعجم، والمعاونة لهم باللسان والقلم، حتى ران على قلبه، واستولى

(١) النص: ق١٤أ.

(٢) الجرافي: الحوليات، تحقيق: د. العمري، ص١٥٠، ١٦٥، ١٠٠، ٢٣٠.

الشيطان والهوى على عقله ولبه»[1].

ومن المعارضين الذين كان لهم دور مخالف لم يرضه الإمام المنصور محمد ولا أصحابه، ابن قنبع فقد حاول في بداية الأمر التقرب إلى الإمام، مُبدياً استعداده لمحاربة الأتراك، وتأييده للدور الذي يقوم به الإمام وأصحابه. لكن ذلك لم يدم طويلاً، فسرعان ما تغيَّر موقفه وتمكن من الفرار من إحدى المعارك في جبل اللوز، وانحاز إلى الجانب التركي، مُتباهياً بما استطاع الاستحواذ عليه من السلاح الذي منحه إياه الإمام. وعندئذ تربص به الإمام وأرسل من يقوم بملاحقته حتى تم قتله انتقاماً من أفعاله تلك[2].

وقد كان للإمام وأصحابه وجهة نظر لمثل هذه الحوادث فحواها: أن التعاون مع العدو -أي الأتراك- يُعد ذنباً فاحشاً يقترفه الفرد، ويستحق عليه العقاب وبأي نوع من أنواعه ومنها القتل، والقتل بأي شكل من الأشكال. ولا ينفذ فيه هذا الحكم إلا بعد محاولات لاستمالته وإغرائه بعدم التعاون مع العدو والتعاون مع الطرف الآخر أي الإمام[3].

وهناك صور متفرقة لبعض المواقف الفردية لفئات اجتماعية متعارضة من عامة الناس، أوردها لنا المؤرخ الإرياني، وأطلق عليهم أعوان العجم. والذين عمدوا على الاستيلاء على بعض رسائل أرسلها بعض المؤيدين من مناطق «الشِعْر و العَوْد» يذكرون فيها تأييدهم المطلق للدور الذي يقوم به الإمام وأصحابه، ويعلنون تأييدهم ومساعدتهم له بشتى الأساليب، وقد قام هؤلاء الأعوان بتسليم تلك الرسائل للوالي أحمد فيضي باشا، تقرباً وتزلفاً منه، ولكي يقوم بالبطش بمثل هؤلاء المؤيدين، وقد ينزل بهم وبقراهم شتى أنواع الانتقام[4].

وقد كان للحكم العثماني مساوئه في اليمن التي نفر منها أغلب اليمنيين، واتضح ذلك من خلال المشاركات الفعَّالة التي قاموا بها إلى جانب الإمام ضد الأتراك. لكن ظهرت حينها فئات اجتماعية مختلفة استحسنت العمل مع العثمانيين الأتراك، وقد يكون لهؤلاء

---

(١) النص: ق٦٨أ؛ الجرافي: الحوليات، تحقيق: د. العمري، ص١٥٤.
(٢) النص: ق٦٨أ.
(٣) النص: ق٧٣أ.
(٤) النص: ق٥١أ.

المنحازين للأتراك أسبابهم الخاصة، منها الإغراءات المادية، أو العائد المعنوي الذي حاول الأتراك منحه لكل من يعمل لديهم، لكي يكون لهم موطئ قدم راسخة في البلاد.

ومن الشخصيات اليمنية البارزة التي عملت مع الأتراك في هذه الفترة، لكنه لم يظهر عداءه للإمام، ولم يخن القضية والمقاومة اليمنية بل وعمل جاهداً من أجلها. وهو العلامة السيد أحمد بن محمد الكبسي، فقد عمل مع الأتراك في مجلس الولاية، وتم منحه نيشاناً تقديراً لخدماته لهم[1]. وقد قام العلامة الكبسي بدور الوسيط بين الأتراك والإمام وراسله إلى مقر إقامته يدعوه إلى الصلح، والكف عن تلك الحروب[2].

وقد كان للسيد الكبسي دور متعاطف مع اليمنيين الذين قام الأتراك بأذيتهم، ولذا قام بدور الوسيط وكف أيدي الأتراك عن هؤلاء الناس، ومحاولة التدخل وإصلاح ذات البين، ورغم عمله الرسمي معهم لكنه عارض أحمد فيضي باشا حين قام بحبس جماعة من أهالي صنعاء واحتج وأبدى استياءه من تلك الأعمال، وحرص على التدخل حتى تمكن من إطلاق سراحهم[3]. وكان له دور إيجابي، عندما نشب نزاع بين الإرياني كاتب السيرة وبين أحد المشائخ المغرضين، الذي قام بعرض قصيدة تأييد للإمام كان الإرياني قد كتبها، وتم عرضها على الوالي حسين حلمي باشا. وكاد الأمر أن يؤدي إلى معاقبة الإرياني وحبسه، لكن العلامة الكبسي تدخل لمحاولة الإصلاح، وهدأ من غضب الوالي وتمكن من تأخير موعد الشكوى إلى اليوم التالي، وبذا تمكن الإرياني من الفرار من صنعاء إلى مقر إقامة الإمام في القفلة، والتخلص من الحكم والانتقام الذي قد ينزل به[4].

وهناك الكثير من اليمنيين الذين تعاونوا مع الأتراك وشاركوا في عملياتهم العسكرية ضد الإمام. وقد أطلق عليهم الإرياني أعوان العجم منهم على سبيل المثال الشيخ مقبل بن يحيى فارع، والشريف الشويع والشيخ علي البليلي[5]. وقد كان لهؤلاء وأمثالهم صورة بشعة

---

(١) الجرافي: الحوليات، ص٦٦.

(٢) النص: ق٧٦ب.

(٣) الجرافي: الحوليات، ص١٦٥.

(٤) النص: ق٦أ.

(٥) النص: ق٢٧ب، ٥٠ب، ٢٦أ.

في نظر الإمام وأصحابه، واعتبرهم الإمام إحدى وسائل الأتراك الإرهابية التي مارسوها ضد اليمنيين أنفسهم. وقد حرص مؤرخنا الإرياني على ذمهم وإطلاق شتى أنواع الألقاب المشينة في حقهم.

وقد تتغير الصورة لفئات اجتماعية أخرى إما سلباً أو إيجاباً إما إلى جانب الإمام، أو الانحياز إلى جانب الأتراك لتحاشي الضرر والإساءة الذي قد ينزل عليهم، وكل موقف من تلك المواقف لها ظروفها وأسبابها، ولذا فقد انحاز بعض اليمنيين إلى جانب العثمانيين الأتراك وعملوا معهم، وتقلدوا مناصب سياسية وإدارية في صنعاء وخارجها، فمنهم من عمل في مجلس الولاية وفي دار الإفتاء أو كحكام لمدن ونواحي اليمن المختلفة[1].

ونصل إلى نتيجة هامة من خلال استعراضنا لكل تلك الأحداث التاريخية واختلاف المشاركات فيها، وانحياز القبائل مع طرف ضد الطرف الآخر إما سلباً أو إيجاباً. فقد كان لهذه الحروب الطويلة والمستمرة أسبابها فكثير من القبائل انضمت إلى الإمام خوفاً مما قد يتعرضون له من الإجراءات الانتقامية وهي إما أخذ الرهائن لكي يضمنوا ولاء هذه القبيلة أو تلك، أو نتيجة لعمليات التحصيل التي مارسها الأتراك والعثمانين أي جباية الضرائب الدائمة والمتكررة التي عانى منها اليمنيون بكل فئاتهم في المدن والقرى والسهول والجبال، ومارس الموظفون الأتراك ضدهم أنواعاً مختلفة من التنكيل والقسوة لكي يصلوا إلى مرادهم. ولذا فمن الناحية الاقتصادية فضل المشائخ الانضمام إلى الإمام هرباً من الضرائب الباهظة، وبالتالي بانضمامهم إلى الإمام ضمنوا نوعاً من الغنائم الدائمة التي كانت القبائل تحصل عليها من العساكر العثمانية. ولذا فالناحية الاقتصادية كان لها دور كبير في انضمام هذه القبائل ومشائخها إلى جانب الإمام، ورغم ذلك لن ننكر أدواراً بطولية لأشخاص وقبائل انضموا للإمام عن قناعة وإيمان، ومنهم الشيخ علي المقداد ورجال من أفراد أسرته كما سبق أن شرحت.

وهناك الكثير من الشكاوى والمظالم التي قامت القبائل بعرضها على السلطنة، واستعرضوا فيها مظالم الموظفين الأتراك وكيف يتم تحصيل الضرائب، وجشع المأمورين

---

(١) الجرافي: الحوليات، ص١١٥، ١٣١، ١٣٢.

وطمعهم، وصور التنكيل والقسوة التي مارسها الموظفون الأتراك. فقد قام مشائخ إب والعدين وتعز وكل عزلها وقراها بكتابة الشكاوي المتكررة إلى السلطنة ومنذ وقت مبكر للحكم التركي في اليمن. واستعرضوا كل المظالم التي كانت تقع على كاهلهم، وهي قتل النفوس وأخذ الأموال، وقطع الأشجار، وإدخال الرعب في نفوس الأهالي وتشريدهم، وفرض الرسوم الضريبية المختلفة والمتعددة وفرضها على المزارعين الفقراء دون وجه حق وباسم القانون، وإذا ثاروا ورفضوا الدفع تم حبسهم دون وجه حق، مما حذا بالأهالي ومشائخهم إلى إرسال الشكاوي المختلفة إلى السلطنة عساها تلبي، وتحل بعض مطالبهم[1].

ومن صور التنكيل والقسوة التي مارسها الأتراك ضد اليمنيين أن قاموا بإحراق قرية جدر وقرية غيمان وقرى متعددة من بني بهلول[2]. وكانت تلك ضمن الإجراءات العسكرية التي اتبعها فيضي باشا عند قدومه اليمن ليبث الرهبة والخوف في نفوس الأهالي. ورغم أن السلطنة حاولت في إحدى الفترات، وهي فترة حكم حسين حلمي باشا أن تحسن من صورة الحكم التركي في اليمن، وقام الوالي ببعض الإجراءات الإدارية والسياسية وتقديم المساعدات العينية للأهالي كما سبق أن شرحنا لكن مؤرخنا الإرياني يعلق على ذلك بقوله: «وفي هذا العام (١٣١٦) أظهرت العجم العدل وعزلوا المشائخ ونصبوا عقالاً في كل قرية، ثم أن الرعايا من سوء حظهم صاروا ينوهون بما جرى لهم من المظالم مع المشائخ، حتى أنهم صاروا يأخذون الريال للدولة وعشرة لهم، فبعد أن تمكنوا مما أرادوا في نصب العقال، قلبوا ظهر المجن للرعايا وطلبوا العشرة الريال التي كانوا يسلمونها للمشائخ، وأعادوا بعض المشايخ، فظهر ذلك عدم العدالة، وأن الظلم بأدمغتهم راسخ»[3].

وقد عانى اليمنيون من جور السياسة التركية الكثير، فقد قامت العساكر التركية بالعديد من الإجراءات العسكرية التي نفرت منها الناس وهي أخذ الرهائن، وخراب

(١) الأرشيف العثماني وثيقة رقم (ملف رقم ٤٣/ سره١١٦/ وثيقة رقم ١)، (٤٣/ سرة رقم ١١٦ / وثيقة رقم: ٣، ٣). ١ ٢

(٢) الجرافي: الحوليات، ص٦٦، ٧١.

(٣) النص: ق٩٤ب.

الدور والاستيلاء على الأموال والمزروعات[1].

ونخلص إلى بعض الاستنتاجات التي تم ذكرها ومن خلال سياق السيرة التي نحن بصدد دراستها

ومن الاستنتاجات التي استخلصتها من خلال سياق السيرة التي نحن بصدد دراستها أن الحالة الاقتصادية كان لها دور فعَّال في انضمام كثير من القبائل وعامة الناس إلى جانب الإمام، وخاصة في مواسم القحط والجفاف الذي عانى منه اليمنيين. وقد دفعتهم تلك الظروف إلى اللجوء إلى الحرب والنهب وسلب الغنائم كما سبق أن أشرنا أما في أوقات مواسم الزراعة الزاخرة وتفرغ الناس لأحوالهم المعيشية لم يكن يسلم اليمنيون من الضرائب التي فرضها الأتراك خاصة في المناطق الوسطى من اليمن.

الدور العربي:

وقبل أن أنهي هذا الفصل لابد لي أن أوضح الموقف العربي المتعاطف مع الإمام المنصور محمد وثورته ضد الأتراك، ولذا فقد حشد صاحب السيرة عدة رسائل وأخبار وصلت للإمام من شخصيات عربية مختلفة فقد لفتت أحداث اليمن ومواقف أبنائها العسكرية، ضد الحكم التركي اهتمام بعض مؤرخين وشعراء وشخصيات بارزة من خارج اليمن، تعاطفوا مع الإمام ومع الأحداث القائمة آنذاك، ولذا فقد أرسلوا له الرسائل والقصائد التي تشجعه على المضي على نفس المنوال والاستمرار في نفس المنهاج. وقد يرجع ذلك إلى أن العالم الإسلامي والعربي خاصة آنذاك، كان يرزح تحت نفس الظروف السياسية، ولذا رأوا في الحروب القائمة في اليمن بقيادة الإمام المنصور محمد متنفساً لهم وقبساً قد يحذوه الكثير في العالم العربي للتخلص من هذا الحكم. وربما كان دافع هؤلاء تسرب الأفكار القومية إلى داخل الوطن العربي، ونتيجة لاشتداد الروح القومية عند بعض رجال الدولة العثمانية.

من تلك الشخصيات العربية الهامة التي كان لها الدور السباق في مراسلة الإمام،

---

(١) الجرافي: الحوليات، ص١٥٠، النص: ق٥٠ب، ٦٥أ، ١١٥ب.

السيد الأديب جعفر الحلي أحد سادات النجف في العراق. وقد كتب إلى الإمام يعبر له عن كوامن عواطفه تجاه ما يقوم به ضد الأتراك فيقول: «ما زلنا عن أخباركم وحسن آثاركم، ولازالت أخباركم تسر سادات العراق»[1]. ويقول شعراً:

مُــــرْ وانــــه واحكــــم فأنــــت اليــــوم مُمتثــــل
والأمــــر أمــــرك لا مــــا تــــأمر الــــدول

ويوالي السيد جعفر الحلي إرسال تأييده في العام الذي يليه، ويرسل قصائده الحماسية للإمام والافتخار بالدور الذي يقوم به فيقول:

انــــشر لــــواءك مؤيــــداً منــــصورا
حيــــا الإلــــه لــــواءك المنــــشورا[2]

ومن الشخصيات العربية التي تعاطفت مع الإمام؛ الأمير محمد بن رشيد؛ سلطان نجد الذي أرسل إلى الإمام رسالة تأييد وافتخار بدوره العسكري، ثم ما لبث أن وصل بنفسه إلى مقر إقامة الإمام بغرض المشاركة في تلك الحروب. وقد كان لـه مشاركات فعَّالة فقد أمَّرَه الإمام على المناطق التهامية بالقرب من عسير ووادي ضمد وصبيا وعريش[3].

ومن المؤيدين والمتعاطفين مع الإمام؛ الأمير محمد بن علي عايض العسيري الذي أرسل رسالة تأييد وتشجيع للإمام وأصحابه، وقد كان ممن يقوم بحملات عسكرية قوية ضد الأتراك في عسير وأبها، ولذا فتعاطفه هذا نابع من الظروف التي يعانيها في عسير وما يتكبده من إجراءات السياسة العثمانية. وقد قام الإمام بالرد عليه وبث الحماس والتشجيع في نفسه قولاً وشعراً[4].

ولابد أن نشير إلى أهمية المفكر عبد الرحمن الكواكبي في حركة القومية العربية التي كانت في طور الظهور والنمو حينذاك. ولابد أن ضخامة الثورة اليمنية بقيادة الإمام

(١) النص: ق٥٨ب.

(٢) النص: ق٦٢ب.

(٣) النص: ق٥٦أ؛ زبارة: أئمة اليمن، ص٢٦٩، ٣١٩.

(٤) النص: ق١٠٣ب؛ زبارة: أئمة اليمن، ص٣١٦.

المنصور محمد بن يحيى حميد الدين حينذاك هي التي لفتت نظر ذلك الزعيم القومي الإسلامي الكبير الذي كان يحلم ببؤرة ثورية تظهر في العالم الإسلامي للتخلص من الحكم العثماني. فهو صاحب كتاب (أم القرى) الذي انتقد فيه الشعوب الإسلامية وأسباب تخلفهم. وكتاب (طبائع الاستبداد) الذي نقد فيه الحكومات الإسلامية وخاصة الدولة العثمانية. ولذا كانت آخر رسائل التأييد والتشجيع رسالة من الكاتب عبدالرحمن الكواكبي، وتتضمن رسالته تأييد الإمام على الدور الذي يضطلع به ويعتبره من القلة في العالم الإسلامي الذين يحاربون من أجل القوانين الشرعية والشريعة المحمدية، وقد حرص الكواكبي أن يزود الإمام ببعض النصائح، منها أن يجمع حوله جيش قوي ومدرب ليكون له كبطانة، وأن يوالي إرسال الرسائل إلى أمصار العالم الإسلامي، ليوضح للمسلمين أهدافه، ولكي يدحض الإدعاءات العثمانية ضده. وينصح بطبع مؤلفات الأئمة من آل البيت، ويعرض مساعدته للإمام أن يرسل له مطبعة ليتمكن بواسطتها من طبع كتب «المذهب الشريف» ونشر أهدافه. وحرص الكواكبي على إرسال كتابان مطبوعان للإمام هما (أم القرى) و (طبائع الاستبداد) . فيذكر الإرياني قائلاً: «وصدر كتابان تُدخلكم في الحكمة السياسية، لأنكم عرفتم الحكمة العلمية، ولم تعرفوا الحكمة السياسية»[1].

ومما يعرف عن الكواكبي في كتاباته أنه كان ممن ينادي بحفظ الإسلام من الفساد، ولذا فقد دعا إلى خلافة عربية، ونقل ميزان القوة من الديار العثمانية إلى الجزيرة العربية. ووجه فكرة الإصلاحي الديني بشكل يتفق مع الفكر القومي العربي. ودعا إلى إقامة خلافة عربية تقوم مقام الخلافة العثمانية، وأظهر تلك الدعوة في كتابه أم القرى الذي صدر في مصر باللغة العربية باسم مستعار هو السيد الفراتي، ويشير الكواكبي إلى أنه ألف هذا الكتاب بدافع البحث والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الإسلامية[2].

وإذا كنا قد استعرضنا موقف الجانب العربي من هذه الثورة، وأنها قد لفتت هذه الأحداث أنظار الكثير في تلك الفترة. فعلينا أن نشير إلى الموقف التركي تجاه هذه الثورة باعتبار أنهم طرف آخر في هذه الثورة. ونظراً لكثرة الدراسات التي نُشرت من قبل حول

(١) النص: ق١١٨ب، ق١١٩أ.

(٢) ابراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ص٣٧٧.

هذا الموضـوع عـن موقـف الـسلطنة العثمانيـة وكبـار مـسؤوليها مـن وزراء وعـسكريين. سنقتصر هنا على الموقف التركي في اليمن مـن خـلال مـا ذكـر في سـياق الـنص والوثـائق المتوفرة لدينا.

ولنا أن نتصور ردود الفعل من الجانب الآخر، وهو الجانب التركي وموقفـه مـن تلـك الثورات التي قام بها الإمام المنصور محمد، يناصره في ذلك أغلب اليمنيين. فقد طرحت لنا الوثائق التركية الكثير من الآراء والاستنتاجات والأسباب والحلول التي ساعدت على قيام تلك الثورات كما سبق أن أشرنا وماهي ردود الفعل لدى السلطنة ومـن يقـوم بمقامهـا في اليمن، فنلمس ذلك من خلال التقارير العثمانية التي تم إرسالها إلى السلطنة موضـحة فيهـا المدن التي قامت القبائل بمحاصرتها والالتفاف حولها والحـماس الـذي تـستند عليـه تلـك القبائل وماهي الخسائر الفادحة التي تتكبدها القوات التركية في اليمن[1].

ونلاحظ مدى التذمر والخوف الذي كان يعتري العثمانيين عنـدما يحـاصرهم اليمنيـون وينتصرون عليهم في إحـدى المعـارك، فنجـد الـولاة والقـادة العـسكريين، مـا يلبثـون إلا ويرسلون التقارير والبرقيات لشرح حالة الوضع، ويستنجدون لطلب المزيد مـن الـسلاح والمدد. وكان الأتراك العثمانيـون في تقـاريرهم يطلقـون عـلى الإمـام وأصـحابه أصـحاب الشقاوات. ونلاحظ أن السلطنة كانت قد تكبدت الكثير من الخسائر في الأرواح والأموال في سبيل احتفاظها باليمن، وحرصت كل الحرص على إبقاء هيمنة الـسلطنة العثمانيـة عـلى هذه الأراضي ولذا تعمدت توالي الإرساليات والهيئات الاستكشافية المتعددة كـما سـبق أن وضحنا إلى اليمن للبحث عن الأسباب المؤدية إلى تلك الحروب.

وحرص الـولاة في الـيمن أن يراسـلوا الإمـام بـدءاً مـن أحمـد فيـضي باشـا (١٣٠٩-١٣١٥هـــ/ ١٨٩١-١٨٩٨م) وحـسين حلمـي باشـا (١٣١٦ -١٣١٨هـــ/ ١٨٩٨-١٩٠٠م) وعبد الله باشا (١٣١٨-١٣٢٠هـ/ ١٩٠٠-١٩٠٢م)، كـل مـنهم يـستعرض قدراته السياسية والعسكرية، وما هي القوة التي تمكنهم من دحر قوات الإمام، منهـا حـين تقدم فيضي باشا إلى القفلة مقر إقامة الإمام، وعمد على إحراقها وإرهاب القبائل. ثم راسل

(١) وثيقة رقم: (٥٣/ سره٢٣/ وثيقة١).

الإمام وحاول التودد والتقرب، ولكنه في نفس الوقت هدد وتوعد. فبالرغم من أن كفة الأمور كانت في يده في هذه الفترة، إلا أنه حرص أيضاً على تقديم الإغراءات المادية والمعنوية للإمام، كي يتوقف عن تحريض القبائل وشن الغارات على العساكر العثمانية(١).

وتتضح الصور جلياً من خلال التقارير والبرقيات التي حرص قواد الجيش على إرسالها إلى السلطنة، وعرض الخسائر العسكرية التي تلحق بجيوشهم، وبالرغم من تجهيز الطوابير وإرسالها إلى مختلف المدن والمناطق للتصدي للهجوم القبلي، إلا أننا نلمس فيما توفر لدينا من وثائق أنها لاتذكر إلا الاستغاثة في تلك البرقيات، وكذلك نلحظ الشكوى من تعدد مراكز تجمع القبائل، والمناطق التي يتمركز فيها الإمام وأصحابه، وكما جاء في إحدى الوثائق توالي الهجوم المباغت من اليمنيين على العساكر العثمانية، نتيجة لتفرق العساكر العثمانية في مناطق مختلفة، أدى ذلك إلى نجاح الإمام وأصحابه والقبائل الموالية له من توالي الهجوم ودحرهم وإلحاق الكثير من الهزائم والخسائر في الأرواح والأموال. ويذكر في هذا التقرير عدد الشهداء والجرحى وماهي الإمدادات العسكرية والغذائية التي يطلبونها لكي يتمكنوا من صد هجوم قوات الإمام وإيقاف الهجمات المباغتة عليهم. ومن ثم يستعرض الظروف التضاريسية في اليمن والصعوبات التي تواجههم، والبعد الجغرافي وقسوة التضاريس التي تُحبِط من همة الجنود الأتراك، وبالتالي تساعد على نجاح الهجوم القبلي عليهم(٢).

وتتوالى التقارير التي تذكر الأضرار المادية والبشرية التي كانت تتكبدها القوات العثمانية في اليمن. وماهي الصعوبات الجغرافية والمعنوية التي يقاسونها. وبالتالي كانت ورقة رابحة في أيدي الإمام وأصحابه والقبائل الموالية له(٣).

والمخطوطة التي نحن بصدد دراستها تستعرض لنا الكثير من الخسائر المادية والمعنوية والبشرية التي كان الأتراك يخسرونها في خلال المعارك العديدة التي خاضوها في جبال ووديان وقرى ومدن اليمن المختلفة. وبالرغم من المبالغات التي سبق أن شرحناها والتي غلفها مؤرخنا الإرياني، إلا أننا نستخلص الحقيقة التاريخية من خلال تلك الأحداث،

---

(١) النص: ق٥٦أ،ب.

(٢) الأرشيف العثماني: ملف رقم ٥٠/ وثيقة رقم ٩٧.

(٣) الأرشيف العثماني: ملف رقم ٥٣/ سره٢٣/ وثيقة٢/ ورقة١،٢.

ونصل إلى نتيجة أخيرة وهي أن العثمانيين خسروا الكثير من الأرواح في اليمن، ناهيك عن الأسلحة والأموال. وفقدوا الكثير من سمعتهم التاريخية في العالم العربي والإسلامي باعتبار أنهم كانوا يحملون شعار حماية الإسلام والمسلمين في العالم. ونلاحظ أن العثمانيين أنفسهم نفروا وتهربوا من الجندية ولجأوا إلى وسائل مختلفة للتهرب من الجيش، لكي لا يُرسلوا إلى اليمن، لذا فقد لجأت السلطنة إلى سياسة الجندية الإجبارية في الولايات العربية، وإرسالهم إلى اليمن، وكذلك كانوا يرسلون الجنود المغضوب عليهم إلى اليمن. وكانت النتيجة ضعف معنويات الجنود الأتراك واغتنامهم الفرص للاستيلاء على الأموال واقتراف المظالم والهروب من الجندية والفرار من اليمن.

دراسة تمهيدية
عن المؤرخ الإرياني ومخطوطته الدر المنثور

التقديم

لعل أول مايتعين علينا، ونحن بصدد الشروع في تحقيق هذه المخطوطة هو إبراز القيمة الموضوعية والمنهجية التي تتخذها بوصفها موضوعاً للتحقيق، الأمر الذي ينطوي على أهمية التعريف بما يتميز به مُصنفها من حيث مكانته العلمية، ومدى علاقته بمجال مَوضوعها، والمنهج الذي اتبعه في تصنيفها، وكذلك الأُسُس التي انطلق منها في طرحه لمختلف القضايا الواردة فيها، سواءً من حيث مواقفه من أحداثها أو من حيث الأهمية التي تتخذها الأحداث في نظره.

هذه المسائل وغيرها مما تتطلبه طبيعة التحقيق العلمي نحاول طرحها من خلال هذه الدراسة التمهيدية التي حاولت فيها أن أقدم ترجمة خاصة لمصنف المخطوطة المؤرخ اليمني القاضي العلامة علي بن عبدالله الإرياني (١٢٧١-١٣٢٣هـ/ ١٨٥٤-١٩٠٥م)، متوخية في ذلك طرح جُل مايتعلق بحياته من حيث نشأته وتعليمه وشيوخه، وكذلك إبراز مواقفه من أحداث عصره، بوصفه واحداً من أبرز العلماء والمثقفين في ذلك العصر.

كما حاولت أيضاً أن أتتبع الخطوات المنهجية التي اتبعها في تصنيفه لهذه المخطوطة، وكذلك أُسلوبه في طرح مختلف القضايا التي حفلت بها المخطوطة .

ثم انتقلت بعد ذلك إلى وصف المخطوطة الأم التي اعتمدت عليها في التحقيق. وعمدت إلى توضيح أهمية المخطوطة وإبراز موضوعاتها المختلفة من كل الجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكما سنرى فحولياتها وما حوته من تفصيلات يومية دقيقة أحياناً تُعطينا صورة تنبض بالحياة لتلك الفترة التاريخية، ربما لانجدها في مصادر أخرى.

وقد اختتمت الدراسة بالفصل الخاص بمنهج التحقيق والنشر، حيث حرصت على توضيح الخطوات التي اتبعها عند التحقيق، وكذلك التصحيحات والإضافات التي إقتضتها طبيعة التحقيق، على الرغم من حرصي الشديد على الأمانة العلمية التي تقتضي أن تُنشر المخطوطة، وعلى الصورة التي أراد مؤلفها أن تظهر بها. وشرحت جميع تلك الخطوات مفصلاً إتماماً للفائدة.

ونرجو من الله التوفيق ....

ترجمة حياة المؤرخ الإرياني

قبل أن أبدأ بالتعريف بمؤرخنا الإرياني، لابد لى من الإشارة إلى أن المذكور لم يُتَرجم لـه سوى القليل من المؤرخين، رغم مابذلته من جهد في البحث الطويل عن ترجمة لـه في كتـب التراجم المعروفة التى اهتمت بجمع ترجمات الفترة التاريخية نفسها، مثـل مخطـوط الجـامع الوجيز للعلامة أحمد بن عبدالله الجنداري، وكـذلك فى مخطـوط اللطـائف الـسنية للعلامـة محمد بـن إسـماعيل بـن محمـد الكبـسى، وفي مخطـوط نـشر الثنـاء الحـسن لإسـماعيل بـن محمد الوشلي.

ومع مانجده من ترجمات طويلة لكثير من الشخصيات التي عـاصرت الإريـاني في كـل هذه الكتب، فإننا لم نجد لمؤرخنا ترجمة بين أوراقها. وكان أول من ترجم له العلامـة محمـد بن محمد زبارة في كتاب (نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر) . وثمة ترجمة له نجدها في كتاب (مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن) . لعبدالله الحبشي . وقد وجدنا أن هـاتين الترجمتين قد تم اقتباسهما من الترجمة التي أوردها عبدالله بن محمد العيزري في مقدمة كتاب الإرياني نفسه (الدر المنثور) وهو ماسنحاول إيضاحه فيما بعد.

ولم يكن مؤرخنا الإرياني غير معروف في ذلك الحين،. فقد كان مؤرخاً وشـاعراً وأديبـاً وفقيهاً شرعياً يرجع إليه الخاص والعام، مما جعله علماً من أعلام عصره. ولعـل الـسبب في عدم سوق ترجمة له في تلك الكتب هو اكتفاؤهـا، بـما قدمـه العيـزرى مـن تعريـف طويـل بالمؤرخ الإرياني، في تقديمه لكتاب (الدر المنثور) .

وبالإضافة إلى الجانب العلمي فقد كان شخصاً مرموقاً لكثرة ملازمته للإمـام المنـصور محمد، حيث كان من كُتابه ومن المرافقين له في تنقلاته كما يتضح من خلال الـسيرة نفـسها. ويمكننا القول إنه كان شاهد عيان لهذه الفترة التاريخية، فقد عاصر أحداثها وعايـشها عـن كثب، وعبر عنها بمفهومه الخاص، وهذا هو سبب الاهتمام به وبمخطوطه.

نسبه:

لعل فيما تقدم مايبين من أن ما أورده العيزري في تقديمه كتاب (الدر المنثور) هو أهم مايمكن الرجوع إليه بشأن الترجمة لمؤرخنا، ومن ثم فلا مندوحة لهذه الدراسة في تتبعها لهذه المسألة أن تعتمد في المقام الأول على ما أورده العيزري، بالإضافة إلى ماجاء فى متن المخطوط ذاته مما يتعلق بهذا الشأن. فمؤرخنا من أسرة آل الإرياني التي اشتهرت بالعلم والأدب،. وبحسب العيزري (هو القاضي العلامة الأديب الشاعر البليغ الكاتب المشهور على بن عبدالله بن علي بن علي بن حسين بن جابر بن محمد بن صلاح ابن الوجيه عبدالواحد بن الصديق بن محمد الإرياني) . من مواليد إريان في ذي الحجة (١٢٧١هـ-١٨٥٤م) . وقد نشأ بها نشأة علمية في بيت علم، مما كان له أثره في اهتمامه بالاتجاه العلمي، حيث اهتم بالعلم مُنذ بداية نشأته، حتى وصل إلى «أن شُهِدَ له بعلو طبقته»[1]. وقد توفي مؤرخنا ٧ ربيع الأول سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) في جبل غربان.

صفاته:

كان حريصاً على العلم وصحبة العلماء، ونشر الشريعة المطهرة، مما أدى إلى ارتفاع درجته العلمية فاشتهر بأنه (حاكم تراضي) يُقْصَدُ لفض المنازعات والخصومات بين الناس، وإرشاد العامة، وقد حاز على ثقة الجميع في أحكامه المنبثقة من الشريعة الإسلامية، ويرجع ذلك إلى ماكان يتسم به من القناعة والعفاف،. فقد كان يرضى بأقل القليل من الأجرة.

ولقرب العيزري من الإرياني فقد كان يعرف الكثير عن أخلاقه وصفاته لذا نجده أطنب كثيراً في هذا الجانب ومن ذلك قوله: «كان حسن الأخلاق، تظهر عليه دلائل التواضع النابعة من بساطته في الملبس، أما الذكاء فقد كانت علاماته بارزة على محياه، كان كثير الرأفة على الضعفاء والمساكين كثير الصدقة لاسيما في سنوات الشدائد»[2].

---

(١) عبدالله بن محمد العيزري: مقدمة الدر المنثور،(المخطوط) ، ق١أ.

(٢) عبدالله بن محمد العيزري: مقدمة الدر المنثور،(المخطوط) ، ق١أ،ب.

شيوخه:

وقد تلقى مؤرخنا العلم على أيدي أساتذة عصره منهم (المجتهد المحقق يحيى بن حسن بن قاسم المجاهد) و (القاضي يحيى بن على الإرياني) الذي رافقه ونهل من علمه لمدة خمسة عشر سنه[1]. حيث نهل منهم الكثير من العلوم الدينية والفقهية والعربية التي كانت أبرز علوم الطلب السائدة في عصره.

كما نال مؤرخنا العديد من الإجازات العلمية من قبل الكثير من علماء عصره منهم (السيد العلامة الحافظ محمد بن أحمد عبدالباري الأهدل) ، و (السيد العلامة سليمان بن محمد بن عبدالرحمن أبن سليمان الأهدل) في المراوعة، كما نال إجازة من (السيد داود بن حجر القديمي) في زبيد، والتقى علماء زبيد عند عودته من الحج عن طريق تهامة، حيث كان حريصاً على الالتقاء بهؤلاء العلماء، وقد جرت بينه وبينهم الكثير من المناظرات والمباحثات[2].

وكما نال الإجازات من بعض علماء اليمن فقد عمد أيضاً إلى نيل الإجازات من بعض علماء مكة المكرمة، ذلك أنه كان من عادة اليمنيين أثناء أداء فريضة الحج خاصة الموسرين منهم الحرص على أن ينهلوا من الثقافات المختلفة، والالتقاء بعلماء البيت الحرام والأخذ والاستزادة من علومهم. وقد نحا مؤرخنا هذا المنحا عند ذهابه لأداء فريضة الحج في سنة (١٢٩٤هـ١٨٧٧م) . هو وصنوه العلامة عز الاسلام محمد بن عبدالله الإرياني، حيث التقى بكثير من العلماء والفقهاء منهم (السيدالعلامة أحمد زيني دحلان) مفتي الشافعية والمؤلف المشهور، وجرت بينهما مذاكرات ومحاورات كثيرة ثم أجازه إجازة عامة في جميع مروياته ومسموعاته ومؤلفاته[3].

---

(١) نفسه: ق١أ.

(٢) عبدالله بن محمد العيزري: مقدمة الدر المنثور،(المخطوط): ق٢ب.

(٣) العيزري: مقدمة كتاب الدر المنثور، ق٢ب.

مؤلفاته:

كانت مؤلفات مؤرخنا الإرياني كثيرة واهتماماته العلمية واسعة، وذكر في سياق ترجمته أن له الكثير وجدت لدى المقربين منه. فله رسائل وجوابات فقهية وأدبية وشعرية كثيرة نظماً وشعراً، لكن لم يعمل على جمعها في كتاب، يتضح ذلك من السيرة ومن الترجمة التى وردت للمؤرخ في مقدمة كتابه، فقد ظلت مؤلفاته متناثرة فى أوراق متعددة وأفكار مدونة في حواشي الكتب التي كان يقتنيها، أو التي كان يهديها لأصدقائه وقد تكون محفوظة في بعض مكتبات آل الإرياني.

وعلى حد معلومنا أن أهم كتاب قام مؤرخنا بتأليفه وجمعه هو مخطوط (الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور) . وسيتم وصف هذا الكتاب لاحقاً تحت عنوان (وصف المخطوطة) . وسيتضح المحتوى العام للمخطوطة من خلال التحقيق والدراسة الواردة لا حقاً.

أما اهتماماته العلمية الأخرى، وكما سبق أن ذكرنا أنه كان شاعراً أديباً، فقد نظم قصيدة طويلة، ترجم فيها لعلماء عصره منذ بداية القرن الثالث عشر وما قبله بقليل، وشملت تلك التراجم علماء من عدة جهات منها ضحيان، والأهنوم، وصنعاء، وذمار، واليمن الأسفل وزبيد. واستخرج منها العظات القيمة وأخبار تلك الأيام[1]. وقد كان عازماً على إتمامها ولكن الأجل حال بينه وبين ما أراد.

وقد ذكر الحبشي في كتابه (مصادر الفكر) أن مؤرخنا له منظومة شعرية في الفقه تتكون من ألف وخمسة وثلاثون بيتاً، مُرتبة على مقدمة في أصول الدين، وخاتمة في علم النحو. وذيلها بخاتمة في علم التصوف الذي أجازته الشريعة الإسلامية. ولم يقتصر اهتمام الإرياني على التاريخ والفقه والشريعة، بل تطرق إلى مواضيع مختلفة، فقد أشار الحبشي بأن له رسالة في أحكام التجارة وآدابها[2]. وزاد العيزري على ذلك فذكر أن لمؤرخنا رسالة في الفقه سماها (كشف الهالة عن مسألة الإقالة). ضمن مجموع في الجامع الكبير، لم يتح لنا الوصول إليه،

(١) العيزري: مقدمة كتاب الدر المنثور، ق٢ب.

(٢) عبدالله الحبشي: مصادر الفكر العربي الاسلامي، ص٢٥٠.

نتيجة لعدم وجود الفهرسة العلمية الصحيحة. أما في التفسير، فقد أشار العيزري إلى أن للإرياني رسالة في التفسير، جمع فيها تفسير قوله تعالى ﴿**إن الله يأمُرُ بالعَدلِ والإِحسان**﴾[1]. من مختلف التفسيرات لكثير من المُفسرين وأضاف العيزري إلى جانب هذا وذاك، أن له منظومة في الآداب النبوية والحكم الشرعية سماها (تُحفة الندماء في سيرة الحكماء) .

ومن مؤلفاته الأدبية والشعرية، قصيدة بعنوان (الإفادة في ذكرى الأئمة السادة). وناسخ السيرة يستطرد في وصف شعر مؤرخنا الإرياني ويصفه «بأنه في الذروة العليا بل السهل الممتنع»[2]. وتحوي السيرة الكثير من القصائد التي ألفها الإرياني في مناسبات عديدة. فقد كان يقرض القصائد في الحماسة والهزليات والمداعبات، والحث على محاربة الأتراك، إلى جانب قصائده الدينية التي سبق أن أشرت إليها.

وبحسب ناسخ السيرة العيزري فإنه لو جُمع كل ماكتب الإرياني لكان مُجلداً ضخماً، فقد كان مؤرخنا لإرياني يقرض الكثير من الشعر ويرسله إلى العيزري، بحكم صداقتهما ورفقتهما الدائمة، فما من رسالة إلا وفيها أبيات من شعره «ينشئه حالاً من غير تكلف ولا تجشم»[3] لكنه لم يكن يكترث (بجمع ذلك في كتاب) مما أدى إلى ضياع معظم تلك القصائد.

البحث عن نسخ المخطوطة واختيار النسخة الأم:

عندما فكرت في تحقيق مخطوطة تاريخية، كان اهتمامي منصباً على فترة تاريخية حديثة أو معاصرة، لاتصال ذلك باهتمامي وتخصصي، ومن ثم اطلعت على فهارس دار المخطوطات في الجامع الكبير بصنعاء، واستقر رأيي في نهاية الأمر على مخطوط (الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور) للعلامة على بن عبدالله الإرياني على اعتبار أنها تمثل الفترة التاريخية موضوع اهتمامي.

---

(١) سورة النحل: أية رقم ٩٠، تكملتها(وإِيتآء ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرْ وَالبَغْي يَعِظْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونْ) .

(٢) العيزري: مقدمة كتاب الدر المنثور،ق٢ب.

(٣) نفسه: ق٣أ.

وقد حاولت بقدر ما أتيح لي من إمكانات، اتباع الخطوات المنهجية التي تقتضيها طبيعة التحقيق العلمي السليم، وكانت الخطوة الأولى هي البحث عما إذا كان ثمة نسخ أخرى للكتاب غير هذه النسخة. وبعد مراجعة جميع فهارس دار المخطوطات، توصلت إلى أن مخطوطة (الدر المنثور) يوجد منها نسختان في الدار. وكانت الخطوة التالية هي البحث في الفهارس العربية المختلفة، وفي المكتبات الخاصة في اليمن، لعلي أجد نسخاً أخرى لهذه المخطوطة، ولكن وبعد الاطلاع على جميع الفهارس، وبعد البحث الطويل في المكتبات الخاصة لدى الأسر اليمنية، كانت النتيجة وبحسب ماتوصلت إليه هو أن النسختين الموجودتين في الدار هما النسختان الوحيدتان المتوفرتان حتى الآن.

وكانت البداية أن قُمت بتصوير هاتين النسختين من دار المخطوطات التابع للمكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء، وكما سنرى، فإن ثمة اختلافاً بين النسختين لعله يعود في المقام الأول، إلى اختلاف الناسخين. النسخة الأولى تحمل رقم ٨١٢٥٣٤ وهي عبارة عن (١٣٤) ورقة. والنسخة الثانية تحمل رقم ٨٢٢٥٤٣ وهي عبارة عن (١١١) ورقة .

والمخطوطتان مُرقمتان بترقيم الجهة المحفوظة بها وهي دار المخطوطات بصنعاء، وكلتا المخطوطتين ورقهما قديم، وفي حالة جيدة، ومجلدتان تجليداً سميكاً، ويمتد من الغلاف الأول لكل منهما لسان مثلث سميك ليلتف حول المخطوطة إكمالاً لحفظها. على نحو ماكانت عليه طريقة التغليف القديم.

وبعد المقارنة بين النسختين رجح لدي أن المخطوطة ٨١٢٥٣٤ هي النسخة المنقولة عن نسخة المؤرخ بحيث يمكن اعتبارها المخطوطة الأم طالما لم أعثر على النسخة الأصلية وسأطلق عليها النسخة (أ) وسأطلق على النسخة الثانية النسخة (ب) ، وذلك لعدة أسباب أهمها:

أن المخطوطة (أ) يوجد في أولها ترجمة طويلة لحياة المؤرخ الإرياني، كتبها العيزري نفسه، ناسخ سيرة الإرياني، وأن الناسخ نفسه كان معاصراً للمؤرخ الإرياني ومن أصدقائه وكثيراً ماأشار إلى ذلك.وهذا يعني أن العيزري كان معاصراً للفترة التاريخية نفسها، ومن ثم فقد تكون هذه المخطوطة نقلت عن مسودة المؤرخ، ويرجح ذلك أن الناسخ كان يورد

ملاحظات في الحاشية بقوله (تم نقله من الأم صح)[1] أما المخطوطة (ب) فلا يوجد بها أية ترجمة أو إشارة للناسخ. ومن ناحية أخرى توجد بالمخطوطة (أ) بعض الكلمات غير المقروءة، أو كلمات ساقطة، وبعض الأخطاء اللغوية والإملائية، وقد لاحظنا أنها مكررة في النسخة (ب) ، مما يرجح أن المخطوطة (ب) تم نقلها بكل علاتها من النسخة (أ) ، إذ يبدو أن الناسخ كان يرسم شكل الكلمة كما وردت في (أ) حين لم يكن يتبين له معناها.

ونلاحظ كذلك أن المخطوطة (أ) لايوجد بها أي نقص، فالأحداث مسلسلة حتى نهايتها، في حين أن المخطوطة (ب) ناقصة من بداية ورقة ٩١ب، ويترك الناسخ حوالي (٢٢) ورقة بيضاء في النسخة الثانية، فالناقص كان حوالي (١٥) ورقة عما هو موجود في المخطوطة (أ) .

الوجه الآخر من المقارنة يتمثل في مانلاحظه من أن المخطوطتين مبتورتان في نهايتهما من حيث الحدث التاريخي. فالمخطوطة (أ) تنتهي أحداثها عند نهاية سنة ١٣٢١هـ، ثم ترد قصيدة لولى العهد يحيى ابن الإمام المنصور. ولم يضع المؤرخ أو الناسخ بعد القصيدة أية عبارة تدل على الانتهاء من كتابة هذه المخطوطة كما هو المتعارف عليه في كتابة المخطوطات، ليتحدد أمامنا إذا كان المؤرخ قد أتم مايريد من كتابه، وقد يكون السبب المرض الذي ألم به في نهاية حياته وأعاقه عن إكمال كتابة هذه المخطوطة. أما المخطوطة (ب) فهي مبتورة بتوقف واضح في أحداثها التاريخية حيث انتهت عند عبارة معينة هي (كان قد استولى عليها الجهال وحصل فيها التصرف والانتقال وكادت أن تنطمس) . وقد أهمل الناسخ سرد بقية الحدث، وأيضاً القصيدة التي أرسلها سيف الإسلام يحيى.

الملاحظ أيضاً أن المخطوطة (أ) واضحة في أغلب الأحيان ماعدا بعض الكلمات والمعاني، وقد كان الناسخ دقيقاً متأنياً أثناء نسخه للمخطوطة ولم تسقط عليه كلمات كثيرة، وقلت لديه الملاحظات.

وكان إذا اقتضى منه الأمر إضافة اسم أو توضيح معنى يفعل ذلك في الحاشية

(١) علي بن عبدالله الارياني: الدر المنثور،(النص) ق١٢٠ب،١٢١أ.

وباستعمال السهم المقلوب (٧)[1] أو هاتان الإشارتان (✓) [2] . وكل منها تشير إلى الشرح إما ناحية اليمين أو ناحية اليسار.

أما المخطوطة (ب) فقد كُتبت الأوراق الأولى منها بخط رقعة واضح، أما من الورقة (٨٣ب) فقد تغيرت طريقة النسخ، ونرجح أن الناسخ أصبح على عجل من أمره، فلم يعد حريصاً على التزيين ورسم الكلمات، وتلوين الأحاديث والعناوين، كما كان حريصاً عليها في البداية، وبدأ الخط يختلف ويسوء، وبدأ الناسخ يعمل على تصغير الخط، ومن ثم تضيق الأسطر بحيث لايكاد السطر يُقرأ. وتختلف شكل الحروف من ورقة إلى أخرى، مما يوضح أن النسخة (ب) قد كُتبت من قِبل أكثر من ناسخ. والشيء الواضح في المخطوطة (ب) أن بعض الأسطر أو بعض الأسماء كانت تسقط على الناسخ، فيعمل على إضافتها بين الأسطر أو الحاشية.

ومن الملفت للنظر أن الناسخ في المخطوطة (ب) ترك حوالي (٢٢) ورقة بيضاء في آخر المخطوطة كما أشرنا ونرجح أن الناسخ كان ينوي تكملة السيرة، ولعل الفرصة أو الوقت لم تواتيانه بعد ذلك. بعد هذه المقارنة يتعين علينا وصف المخطوطة (أ) على اعتبار أنها النسخة الأم من الناحية الشكلية : سبق أن ذكرنا أن العيزري كان من المقربين من الإرياني، وأنه قد وضع ترجمة طويلة في بداية الكتاب، ثم وضع السيرة نفسها التي كتبها الإرياني مؤرخاً للإمام المنصور محمد حميد الدين ودولته. ويبلغ طول المخطوطة وعرضها ٣٤×٢٤سم، ومتوسط عدد اسطرها مابين ٢٨ ، ٢٩ سطراً. ويتضح من خلال التعليق الوحيد الموجود على ورقة العنوان للمخطوطة، أن الكتاب كان ضمن محتويات الخزانة المتوكلية التابعة للإمام يحيى بن حميد الدين، ومن ثم انتقل إلى دار المخطوطات التي سبقت الإشارة إليها.

وتتميز هذه النسخة من المخطوطة بأنها كُتبت بخط جيد ومعجمة.

في بداية المخطوطة كُتبت البسملة، وفي السطر نفسه بدأ الناسخ في كتابة الترجمة لحياة

---

(١) علي بن عبدالله الارياني: الدر المنثور،ق٨أ،١٢٠أ،٢٤أ،٢٦أ.

(٢) نفسه: ق١٨أ، ٢٦أ، ٣٤ج.

المؤرخ الإرياني، وتقع من ورقة (١أ) إلى ورقة (١٤ب) ومن ورقة (١٥أ) يبدأ الناسخ في كتابة سيرة الإمام المنصور محمد يحيى حميد الدين.

وقد استخدم الناسخ الفواصل والنقاط بالحبر الأحمر خاصة في الترجمة. وفي الأوراق الأولى من السيرة. كما نلاحظ أيضاً كتابة الأعلام بالحبر الأحمر والأزرق، والسرد التاريخي بالحبر الأسود، وعمل على وضع تسطير واضح في الجوانب الأربعة للورقة بقلم خفيف، وهو ماكان يتبع أحياناً عند بعض الناسخين.

حرص الناسخ عند كتابة عنوان أوبداية سنة، أو فصل، أو حدث مهم، على أن يعمل على توضيحه بخط كبير وباللون الأحمر، وكذلك كتب الناسخ عنوان السيرة في الورقة رقم (١٤ب) بخط نسخ كبير وبالألوان الأسود والأحمر على شكل مثلث. ويبدأ سرد السيرة من ورقة (١٥أ) وفي رأس الورقة كُتبت البسملة بخط نسخ كبير وجيد. أما الورقة الأخيرة وكما سبق أن ذكرنا فهي مبتورة، وتنتهي الورقة ببيت شعر هو:

يبلغـان خـير النبـي المعـالي وكـذا الآل أطهـر النـاس فعـلا

كما حرص الناسخ على أن تكون العناوين بارزة وواضحة خاصة عناوين الوقعات والرسائل والسنوات. وكذلك عمد الناسخ إلى إبراز الأحداث الهامة بلون غير لون الحبر المستخدم في كتابة السيرة.

وقد حرص الناسخ كذلك على عدم الإكثار من الحواشي سوى إثبات ماسقط سهواً أثناء النسخ، ذلك أنه أي الناسخ كان،كما رجحنا، قد قام بنقل هذه النسخة من المخطوطة الأصل، وإن اضطر إلى ذلك فهو لتوضيح معنى، أو لتصحيح اسم، أو لإثبات عنوان[1]، واستخدم الاشارات الدالة على ذلك مثل السهم المقلوب (٧) كما ذكرنا. أما علامات الترقيم فقد عمل الناسخ أحياناً على فصل الجمل بفواصل، خاصة الجمل السجعية، وحرص على وضع الهاء للدلالة على نهاية الجمل أو الفقرة. وكذلك عمل على وضع إشارات مختلفة للفصل بين شطري الأبيات الشعرية مثل (،) أو (٠٠).

(١) الإرياني: الدر المنثور،ق٤٥أ، ٦ب، ٦٦ب، ٩٩ب، ١٢٠ب.

وقد حرص الناسخ أحياناً على استخدام الإشارات الدالة على الحروف غير المعجمة، فالسين والصاد والعين، وضع فوقها هذه الإشارة (٧) تجنباً للالتباس في شكل الحروف غير المنقوطة، كذلك الحاء والدال والطاء وضع تحتها هذه الإشارة (~) للدلالة على أنها غير منقوطة، لكن الناسخ لم يتبع هذا التقليد في جميع مراحل المخطوطة.

وقد أغفل الناسخ وضع الهمزات الإ نادراً باعتبار أن المخطوطة كانت أغلبها باللهجة العامية، خاصة عند سرد الوقائع الحربية وسيتم شرح ذلك مفصلاً في منهج التحقيق والنشر.

ومما حرص عليه الناسخ هو وضع كلمة (صح) عند تصحيح أو إضافة الكلمات في الحاشية أو في نهاية الجملة. والواضح من خلال المخطوطة، وبحكم ثقافة العصر استخدام الناسخ للرسم القرآني في كتابة بعض الكلمات (الصلوة، الزكوة، سبحنه، سموات) . وقليلاً ماحرص على وضع التشكيل في النسخ، إذا استثنينا اهتمامه بوضع الشدة على بعض الكلمات.

وبذلك اتضح لنا الوصف العام للمخطوطة، وما اتبعه الناسخ خلال نسخه لها.

منهج المؤرخ:

وإذا ماانتقلنا إلى منهج المؤرخ وأسلوبه، فمؤرخنا اتبع أكثر من منهج في كتابة هذه المخطوطة، فنجده يتبع أحيانا المنهج الإسلامي المعروف وهو منهج الحوليات، ولكننا نراه في الغالب يركز على سرد الوقائع أو الوقعات، كما يطلق عليها.

وقد يكون لهذا أهمية باعتبار أن المخطوطة من كُتب السير، ولذا فإنه اهتم بتفاصيل الوقائع المختلفة، وتابعها متابعة دقيقة، وقد يكون هذا ما ينطبق على منهج السير.

وقد يبدو هذا للوهلة الأولى مدعاة للملل، رغم تصوير الإرياني لهذه الوقائع الكثيرة والتي كانت تعبيراً صادقاً عن أهم أحداث تلك الفترة بحكم معاصرته لها. أما ما ورد من المبالغات التي وردت في هذه المخطوطة فهو أمر غير مُستغرب قياساً إلى ما كان سائداً

بالإضافه إلى أن بعض هذه المبالغات قد تكون قريبة من الحقيقة، التي ساعدت على تكرار الانتصارات. حيث كانت كفة الأمور راجحة إلى حد ما ناحية الإمام ومن معه من اليمنيين المحاربين.

وكما نلاحظ فإن المخطوط لم يخل من التعصب والانحياز إلى جانب الإمام، فبالإضافة إلى ما ذكرناه من المبالغات، نجد المؤرخ يبالغ في وصف قوة اليمنيين واستبسالهم وصلابتهم في كثير من المواقف، ويتضح ذلك في قوله أن المجاهدين كانوا يتلقفون الرصاص الذي يقع بين أيديهم، وقد تنفجر لكنها لا تضر أحداً، وقد يستخرجون البارود من داخلها[1].

أما منهج الحوليات فله بعض المواصفات والقواعد، ويبدو أن الإرياني حاول التمسك بمنهج الحوليات إلا أنه لم يلتزم به باستمرار، فمنهج الحوليات يقتضى اتباع الترتيب الزمني وتنظيمها، ولكنا نرى أحياناً بعض المؤرخين من اتبع اسلوب الكتابات الحولية أي تسجيل الأحداث حسب السنين وقد ظهر مثل هذا النوع من الكتابة لدى مؤرخي العصور الوسطى من الأوربيين. ومشكلة هذا المنهج أنه يقسم الأحداث التاريخية بعضها من بعض لأن المؤرخ الحولى يجمع أحداثاً متفرقة لايربطها سوى عقد الزمن أي السنة أو الحول، وإذا كانت للحادثة بقية فإن على القارئ أن يتبع الحادثة سنة بعد سنة أخرى في الكتاب، مما يشتت ذهن القارئ وبالتالي ينعدم الترابط والتسلسل للأحداث. وهناك جهابذة من المؤرخين العرب أمثال الطبري وابن الأثير الذين كتبوا حسب الحوليات[2].

ورغم محاولات الإرياني الالتزام بهذا المنهج إلا أننا نجد أحياناً اضطراب في التواريخ، وخلط في الأحداث خاصة في بداية الكتاب، وربما كان يكتب أحداث هذة الفترة من الذاكرة ولبعد الحدث عن وقته، لذا لم يدقق في ذكر الأشهر، وكثيراً ما يذكر (وفي هذه المدة)[3]. و من سنة ١٣٠٩هـ نلاحظ بداية ضبطه للأحداث، وتدقيقة للتواريخ، ومحاولته

(١) الإرياني: الدر المنثور، ق٢٩أ.(النص) .

(٢) محمد زيان: دراسات تاريخية،ص٦٤ .

(٣) الإرياني: الدر المنثور،ق٣٩أ.

إثباتها، ولكنه بين الحين والآخر يقدم أحداث الشهر الأخير على ماقبله من الأشهر، وذلك راجع لأهمية المعركة أو الحدث التاريخي[1]. وأحياناً تصله أخبار متأخرة، أو تكون معلومات ساقطة متأخرة، فنراه يعتذر عن ذلك و يقول (اعتذر عن التفريط)[2]. و من ذلك أيضاً الرسالة التي وصلت من «عبدالرشيد بك» فقد ذكرها ضمن أحداث وقائع ١٣١٨هـ، أما تاريخ تحرير الرسالة ففي سنة١٣١٩هـ.

ولكن لم يكن اهتمام مؤرخنا منصباً على ذكر الوقعات ونتائجها، والسخط على العثمانيين ونعتهم بمختلف النعوت مثل (العجم، أعداء الله، أقماهم الله) بل نراه في أماكن مختلفة يسخط على اليمنيين الذين يقومون بمساعدة العثمانيين، فيطلق عليهم بأعوان العجم، ويدعو لهم أحياناً بالهداية وأخرى يدعو عليهم ويستقبح أعمالهم تلك، حتى لوكان مجرد موظف مدني يعمل لدى العثمانيين.

وقد حاول مؤرخنا استخدام منهج الضبط والتوقيت أحياناً كما حدث حين ذكر أخبار المقدمي محمد حسين وجيه، فيقول «وسيأتي خبر وفاته»[3]. وقد ينحو منحا الدقة في تحديد السنوات والأشهر فيتبع أسلوب الإحالات، فيذكر في وقعة الشاهل بعض الأخبار لكنه لم يكملها بل يذكر «وسيأتي بقية خبرهم إن شاء الله»[4]. وحين أورد خبراً عن حصار صنعاء وأخبار القبائل المحاصرة لها في زمن «أحمد فيضي باشا» نجده في نهاية الخبر يقول «وسيأتي تفصيل هذا والحديث ذو شجون»[5]. وحين يأتي ذكر خبر صلح الشيخ على المقداد مع العثمانيين، نراه يرجع بنا إلى الخلف، ويسترجع أخبار حروبة للعثمانيين، وأسباب ذلك، وكيف وصل به الحال إلى مصالحتهم، وكأنه يذكر القارئ بأخباره السابقة ومن ثم يبرر أسباب صلح المقداد مع العثمانيين[6].

(١) نفسه: ق٧٦أ.

(٢) نفسه: ق١١٣ب.

(٣) الإرياني: الدر المنثور، ق٥٣أ.

(٤) نفسه: ق٤٥ب.

(٥) نفسه: ق٢٩ب.

(٦) نفسه: ق١١٢ب.

وقد حرص الإرياني كذلك على أن يوثق معلوماته ليؤكد صحتها، فإلى جانب احتكاكه بالإمام وبأخباره، نجده يذكر مصدر تلك الأخبار بعبارات تدل على ذلك مثل (فقد أخبرني من الثقات) أو (أخبرني من أثق به) أو (أخبرني من كان حاضراً تلك الواقعة).

ومع أن مؤرخنا قد حرص على ذكر الوقائع العسكرية الحربية للإ مام، واهتم بإظهار هذا الجانب، فإننا نلاحظ أنه لم يكن حريصاً على ذكر كل التراجم كمن سبقه أو عاصره من المؤرخين، فقد اقتصر على تراجم بعض الشخصيات الهامة والبارزة في عصره، وأثبت ذلك في سنته وحينه.

ونلاحظ كذلك أن مؤرخنا في هذا الكتاب عرض كثيراً من الرسائل التي وردت للإمام من قبل الولاة، أو من ينوب عنهم، وكذلك الرسائل التي أرسلها الإمام للولاة أو إلى وسطاء الصلح من قبل السلطنة العثمانية، ولا نغفل قيمة هذه الرسائل فهي وثائق مدونة تبرز أفكار الإمام ودعوته وأخباره، وكذلك تعطينا صورة واضحة ومختلفة للجانب الآخر وهي الدولة العثمانية وجيوشها، ومن يمثلها من الولاة والموظفين في اليمن.

والشيء المميز أيضاً أن مؤرخنا الإرياني اتبع المنهج الإسلامي في الاستشهادات المختلفة التي أوردها في كتابه هذا، فقد حرص كأبناء عصره على الاستشهاد بالقرآن والحديث والشعر والأمثال المختلفة.

أما مايتعلق بالشعر فإننا نلاحظ أن مؤرخنا بوصفه شاعراً وأديباً قد حرص على إدراج القصائد الشعرية الكثيرة، فلم تكن تمر مناسبة دون أن يذكر فيها قصيدة من إنشائه أومن إنشاء أدباء عصره وشعرائه.

أما أسلوب المخطوطة، فقد حرص مؤرخنا على استخدام السجع والمترادفات إلى جانب العامية التي غلبت على لغة المخطوطة ، أما بالنسبة للمترادفات فيكثر من استعماله لها جاء ذلك خلال سرده لمعظم أحداث المخطوطة، أما السجع فقد حرص مؤرخنا على استعماله بوصفه تقليداً متبعاً من بداية العصور الإسلامية. وأكثر من الجمل الدالة على السجع المتكلف.

إضافة إلى ذلك فقد كانت العامية هي الغالبة في أكثر سطور المخطوطة فنراه كما يتكلم يكتب مثل «الأئمة بيت القاسم يرتبونها»[1] وأيضا تقديم المفعول على الفاعل مثل (دبرت الحيلة العجم)[2] وهناك الكثير من الأمثلة التي تحويها المخطوطة كما سنرى.

وثمة وجه آخر من العامية البارزة عند مؤرخنا، هو أنه استخدم الكثير من الألفاظ العامية المستعملة حتى الآن في اليمن مثل (يُسَلْطِنْ) التي جاءت في عبارة (ولم تُسَلْطِنْ منهم إلا أهل الغي والفساد)[3] والملفت للانتباه هو أن مؤرخنا يكثر من استخدام (ثم) للربط بين الأفكار والجمل (ثم مازالوا ...)[4].

والشيء المميز الذي حرص عليه مؤرخنا هو استخدام المصطلحات اليمنية المتعارف عليها وهي (الصفي، العزي، الجمالي، الشرفي) ، وسيرد توضيح مفصل في الهوامش لكثير من الأسماء والمصطلحات.

ويتضح من خلال كتابات مؤرخنا أنه تأثر أيضاً بالوجود العثماني في اليمن، فنراه يستخدم كثيراً من الألقاب العثمانية مثل (مدير، باشا، بوش، رديف، أفندينا).

ومما يلفت الانتباه أنه استخدم كلمات حديثة لم تكن متداولة بكثرة في اليمن وهي (جاسوس)[5] وكلمة (زمزمية)[6].

ونظراً لثقافة مؤرخنا المحدودة نجده يفسر الأحداث والأخبار التي تصله، بثقافته المحلية الضيقة، وأحياناً لم تكن له دراية كافية بالتفسير العلمي الحقيقي لهذه الأخبار لذا حين كانت تصله بعض الأخبار الخارجية ولم تكن موثقة فيهرب من صحة الخبر بقوله (كما قيل لي من بعض الثقات)[7] من ذلك أخبار السلطان عبدالحميد الثاني حين يقول «ومن عظايم جرايم هذا السلطان أنه رهن بلاد مصر من الانقليز قران (التحالف) من قرانات

---

(١) الإرياني: الدر المنثور، ق٥٩ب.

(٢) نفسه: ق٤٥أ.

(٣) الإرياني: الدر المنثور، ق٧٩ب.(على وزن يُدَسْتِرْ و يُجَمْهِرْ وهي مستعملة في اليمن) .

(٤) نفسه: ق٨٥ب.

(٥) نفسه:ق٩١أ.

(٦) نفسه: ٩٢ب. (قربة ماء) .

(٧) الإرياني: الدر المنثور، ق٨٢أ،ب.

النصارى ومكنهم من قلاعها وحصونها»[1] فلم يكن لـدى مؤرخنـا مـصادر تاريخيـة عـن السياسة الخارجية، والتنافس الأجنبي في البلاد العربية، خاصة مصر وما هي دواعي ذلـك التنافس الذي مكن بريطانيا من فرض حمايتها على مصر، وأيضاً أخبار الطلبة المهـاجرين في مصر، والظاهر من خلال النص إصابتهم بمرض معد، لكـن الإريـاني ونتيجـة لمعلوماتـه المحدودة وعدم إلمامه بالنواحي الصحية الحديثة فقد ذكر رأيه في الحجر الصحي الذي أقيم لكي يمنع انتشار الأمراض بين الحجاج، وكذلك رش المبيدات أو ماشابه ذلك من الوقايـة الصحية لتفادي انتشار الأمراض بين الحجاج. ونراه في مكان آخر يـشرح لنـا عمليـة نقـل الدم، ولكن ونتيجة للأسباب السابقة التي سـبق عرضـها أبـدى مؤرخنـا اسـتنكاره لهـذه الممارسات الصحية الحديثة. غير أنـه في مكـان آخـر يبـدي إعجابـه الـشديد ودهـشته مـن اللاسلكي والشفرة فتراه حريصاً على شرح جهاز اللاسلكي والشفرة وبالتفصيل مع رسـم جدول توضيحي بذلك[2].

ولا نغفل أيضاً شرحه المفصل لكتاب الكواكبي (أم القرى) وكـذلك إعطاءنـا فكـرة موجزة عن كتاب (طبائع الاستبداد) الذي أرسله الكواكبي للإمام.

وطبقاً للمفهوم الإسلامي العام فقد بنى مؤرخنا كتابه هذا للعظة والاعتبـار، ونلمـس هذا عند استطراده في سرد الأحداث والإخبار، وتشيعه للإمام وسرد النـصائح والعظـات والجمل الدالة على ذلك. لقد أوضح وبشكل جلي أن هذا الكتاب ماهو إلا لذوي الاعتبار، وتتضح هذه الفكرة في أكثر أحداث الكتاب[3].

المبالغات والكرامات:

تعد المبالغات وذكر الكرامات والعجائب التي وردت في المخطوطة صفة من صـفات الإرياني، وهو أمر ليس بالمستغرب بالنسبة لمؤرخنا نتيجة للفكر والثقافة السائدة في عصره، وهو أيضاً أسلوب خاص تميز به كُتاب ومؤرخو العصر.

---

(١) النص نفسه: ق٨٢ب.
(٢) الإرياني: الدر المنثور،ق٢٦أ،١٢٧ب،١٢٨أ.
(٣)الإرياني: الدر المنثور، ق١٧أ،١٨ب.

ورغم أن مؤرخنا فقيه وأديب ويعتبر من رجال الفكر في ذلك الوقت، لكننا نراه يُـزحم المخطوطة بهذه المبالغات بدءاً بكرامات الإمام، وانتهاءً بكل مايتعلق بالإمام مـن الجيـوش والأعداد والانتصارات والبركات. ويظهر جلياً مدحه لصاحب السيرة وللشخصيات التي يوردها وكأحد كُتاب السيَّر المعاصرين نلمس تحيـزه الواضـح في كـل سـطور المخطوطـة، ويبالغ في وصفه للحدث، ومع أننا لا نقلل من قيمة المخطوطة من حيث مـا ورد فيهـا مـن الأحداث الهامة والحية التي صورها لنا المؤرخ، والكم الكبير من المعلومـات التـي يجهلهـا الكثير، فإننا لانتفق معه في تلك المبالغات التي أوردها.

في البداية نجده يصور الأحلام والمنامات التي صاحبت بيعة الإمام، فيرسم لنـا صـورة أسطورية حول هذا الموضوع، شأنه في هذا شأن الكثير مـن أصـحاب الـسيَّر المعـروفين في تلك القرون[1] ثم يسرد كرامـات الإمـام المختلفـة، فيـشرح لنـا القـصص المختلفـة حـول كراماته، ومنها كيف أهلك الله العثمانيـين في عهـد (فيـضي باشـا) ، ونـراه يبـالغ في أعـداد الجيوش التي دخلت اليمن، وكذلك التي أُصـيبت بـأمراض الطـاعون التـي ابتلاهـا الله[2] وبعض هذه الكرامات لايمكن تفسيرها لولا ثقافة العصر، مثل (وباء القفلة)[3] فقد كانـت هذه القرية شبه خالية وحين استوطنها الإمام وأصـحابه اختفـت تلـك الأمـراض، وربـما كانت تكثر فيها المستنقعات التي ساعدت على انتشار الأوبئة والأمراض، ولعل أبرز مثـال على ما أورده من الأساطير ماتم سرده عن الرجل الذي اختبأ داخـل حفـرة في جبـل نُقـم، وتم له خلال ثلاثة أيام اقتناص وقتل العديد من العثمانيين، وفي نهاية تلك القـصص يـذكر لنا المؤرخ أنه قيل له إنه (من خيار الجن الصالحين)[4] ويمكن تفسير هذه الحادثة بشكل آخر وهو أن جبل نقم كان أكثر ارتفاعاً عن صنعاء ولذا أمكن أحد المحاربين الاختباء في داخـل الحفرة وإصابة هدفه بمهارة في مكان أكثر ارتفاعاً عن صنعاء.

ولم تخلُ كتابات الإرياني من التعصب ليس للإمام فحسب وإنما لليمنيين بـصفة عامـة

---

(١)الإرياني: الدر المنثور (النص) : ق١٩أ،ب،٢٠أ،ب.

(٢) النص:ق١٩أ.

(٣) النص: ق٢٠ب.

(٤) النص: ق٢٧ أ.

أيضاً، فيبالغ في صلابتهم واستبسالهم في الحرب، وأكبر مثال على ذلك قـصة البنـادق (أبـو فتيله حين طفيت من المطر) .

بالرغم من أن تلك البنادق لاتعمل إلا بإشعال الفتائل ومع سقوط المطر تنطفئ الفتيلـة ويبطل مفعول البندقية، ومـع ذلـك يـصور لنـا الاتـصار الكبـير والهزيمـة التـي مُنـي بهـا العثمانيون[1] وكذلك يرسم لنا صورة غريبة عن انفجار رصاص المدفع بين أيدي المجاهدين دون أن تضرهم، ومع ذلك يفرغونها مما بها من الرصاص[2] ويبالغ أيضاً في قوة المجاهـدين حين يذكر لنا أن كل مجاهد يواجه بُلكاً من العثمانيين[3].

وكثيراً ما يسترسل المؤرخ في المبالغـات ويظهـر واضـحاً التحيـز الواضـح دون إظهـار الحقيقة خاصة في عدد القتلى والجرحى من قبل الطرفين[4] وقد يكون هناك شيئ من الحقيقة كما سبق أن نوهت على اعتبار أن اليمنيين على دراية كاملة بجبالهم الوعرة وطبيعـة بلادهـم القاسية، ولأنهم يحاربون عـلى أرضـهم ويـدافعون عـن مبـادئ آمنـوا بهـا، وفكـرة سـعوا من أجلها.

أما القصص العادية التي اعتبرها مؤرخنـا مـن كرامـات الإمـام، قـصة هـروب البغـل المحمل بقرب الماء، من معسكر الأتراك المحاصرين، ودخوله القرية التي كـان المجاهـدون محاصرين بها، فقد اعتبرها الإرياني من كرامات الإمام أن أرسل الله لهـم هـذا البغـل لكـي يشرب منه المجاهدون[5].

وفي الورقة نفسها يسرد لنا الإرياني قصة هطول المطـر في إحـدى الوقـائع، حيـث كـان المجاهدون يكادون يهلكون من العطش، واعتبرها من كرامات الإمام.

لكننا لن نحكم على هذه الأحداث بالقياس وبالنظرة المعاصرة لنا، ومـا هـذه القـصص سوى جزء يسير من الأفكار السائدة في ذلك العصر، ونتيجة حتمية للبيئة والنشأة التي نشأ

(١) النص: ق٣٠ب.
(٢) النص: ق٢٩أ.
(٣) النص: ق٩٢،١١٧أ.
(٤) النص:ق١١٠ب، ١١١أ، ١٠٨أ، ٧٦أ.
(٥) النص: ق١٠٨أ.

عليها مؤرخنا ومن عاصره، ولم يقتصر مؤرخنا على النوع الأول من المبالغات في أعداد القتلى والجرحى والبطولات وماشابه ذلك من القصص، بل تطرق إلى نوع آخر من الكرامات الغيبية، منها على سبيل المثال: قصة هروب الشيخ يحيى دوده، وكيف استطاع الخروج من بين أيدي العثمانيين وأمام أنظارهم دون أن يتنبهوا له، ويرجع ذلك إلى أنه (هتف حينئذ باسم الإمام)[1] وتتكرر القصة ولو بشكل آخر، منها قصة الفقيه أحمد المحني، وتتلخص قصته أنه حين سلبه جماعة من أهل ضحيان ماكان يحمله للإمام من كسوة، ومن ثم يسرد لنا ماحاق بهم من الوبال بسبب فعلتهم تلك[2].

ومن القصص التي يمكننا تفسيرها بشكل آخر على سبيل المثال: قصة الرجل الذي انضم إلى العثمانيين، ولكن العثمانيين راودهم الشك في أمره فتم حبسه «وساموه سوء العذاب»[3] وأرجع مؤرخنا تلك الحادثة إلى أن الله ابتلاه بذلك العذاب لأنه تخلى عن مناصرة الإمام،ولكن قد تكون هذه القصة والكثير من مثيلاتها نتيجة حتمية للوضع العام والكساد الاقتصادي الذي عانى منه اليمنيون نتيجة لكثرة الحروب وانتشار المجاعة، فقد استعر بنار تلك الحروب الكثير من اليمنيين التي دارت بين العثمانيين والإمام ولوحاولوا أن يجنحوا إلى السلم.

وكما كان المؤرخ يمدح المجاهدين، فقد غالى في سب من انحاز إلى العثمانيين من اليمنيين ونعتهم بأعوان العجم، وهناك صور كثيرة تمتلئ بها المخطوطة، ومن هذه الصور قصة أسر الشيخ البليلي وهو من الشخصيات اليمنية التي كانت تعمل وتحارب مع العثمانيين فقد جعل مؤرخنا من قصة أسره واتخاذه رهينة، واستعماله ورقة رابحة للمفاوضات لدى المجاهدين، حتى يرحل العثمانيون من منطقة ذمار وما جاورها وأرجع نجاح تلك المفاوضات إلى أنها من كرامات الإمام[4].

ويسرد لنا المؤرخ حوادث تاريخية وإن كانت عواقبها سيئة بالنسبة للعثمانيين، فمردها

(١) النص: ق٩٢أ،٦٤أ.

(٢) النص: ق١١٧أ.

(٣) النص:ق٨٤أ.

(٤) النص: ق٣٩ب.

أنها من كرامات الإمام وخاصة مايصيبهم من الكوارث والأمـراض، مـن ذلـك أنـه حـين أرسلت الدولة العثمانية الكثير من الـدقيق إلى ميناء الحديـدة، ونتيجـة للقحـط والمجاعـة وهلاك الدواب، ولم يجد العثمانيون من يحمل تلك المعونات إلى المدن المختلفـة وخاصـة إلى صنعاء، فتلفت تلك المعونات نتيجة للأمطار والرطوبة وسبخة البحر التي كانـت الحديـدة تشتهر بها، لكن مؤرخنا أرجع ذلك إلى أنه من كرامات الإمـام[1] ويوجـد الكثـير مـن هـذه الصور التي أوردها مؤرخنا في المخطوطة، لكن وللأمانـة التاريخيـة حرصـت عـلى ذكرهـا والتعليق على بعضها، ولو أنها من السمات والأساليب التي تعود إلى طبيعـة العـصر الـذي ساده التخلف والخزعبلات.

أهمية المخطوطة وأبرز مواضيعها :

ترجع أهمية هذه المخطوطة إلى الفترة الزمنية والأحداث التاريخية التي سـجلها المـؤرخ، ذلك أن تلك الحقبـة الزمنيـة تعتـبر فـترة مقاومـة يمنيـة ضـد الوجـود العـثماني في الـيمن (١٣٠٧-١٣٢٢هـ) (١٨٨٩-١٩٠٤م) . لذا فأحداث هذه المخطوطة تعبير صـادق عـن فترة تاريخية لازال يكتنفها بعض الغموض، خاصة الأحـداث الاقليميـة المحليـة. وهنـاك مؤرخون سجلوا أحداث هذه الفترة التاريخية كل من وجهة نظره الخاصة وعـلى اعتبـار أن مؤرخنا كان شاهد عيان كما سبق أن نوهت حيث كان من المقربين من الإمـام، ومـن كُتابـه والمصاحبين له في رحلاته، ومن الشخصيات الأدبية البارزة في ذلك الحين. فإن المخطوطـة تعطينا تصوراً واضحاً عن حياة (الإمام المنصور محمد يحيى حميد الدين) الخاصة والعامة.

يسجل المؤرخ في بداية المخطوطة حياة الإمام ونسبه، وتعليمه، وشيوخه، ومحل إقامتـه، ومشاركته في الحياة العامة حتى دخول العثمانيين اليمن، ومن ثم يورد كيفيـة خروجـه مـن صنعاء واجتماع رأي العلماء على اختياره للإمامة، وما كـان ينـسب إليـه مـن كرامـات. ولم يقف المؤرخ عند هذا الحد بل شملت المخطوطة موضوعات أخرى هامة تتعلـق بـالنواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية. فلم نهتم بهذه المخطوطة لمجرد أنهـا بطـولات

---

(١) النص: ق٩١ب.

ووقائع حربية فحسب، بل من خلال هذه المواضيع والنواحي التي أشرت إليها. يتضح لنا الوضع في اليمن أثناء الحكم العثماني، بالإضافة إلى أن هذه الوقائع في حد ذاتها لاتظهر لنا موقف الأئمة واليمنيين من العثمانيين فحسب، بل وتوضح طبيعة العلاقات بين اليمنيين بعضهم مع البعض وبين العثمانيين واليمنيين أنفسهم، وعلى بيئة اليمن وكيف استفاد اليمنيون منها. وقد قام مؤرخنا بسرد الكثير من الوقائع العسكرية التي تكاد أحداثها تطغى على أي حدث آخر. فقد حرص مؤرخنا على أن يسجل تنظيم قوات الإمام، وقادتها وتمويناتها وتحركاتها، والحروب والمعارك المستمرة التي دارت بين الإمام وأتباعه من جهة، وبينهم وبين العثمانيين من جهة أخرى. ونراه يوافينا بأخبار تلك المعارك من قرية إلى قرية ومن جبل إلى جبل، وأغلب الأحيان نجده يبرز انتصارات أصحاب الإمام، وانهزام العثمانيين. أو تقهقرهم، رغم ما امتازوا به من تنظيمات عسكرية متقدمة إذا ماقورنت بقوات الإمام العسكرية المتواضعة، وقد يكون هناك جانب من الحقيقة على اعتبار أن اليمني أعرف بجبال بلاده ودروبها الجبلية الوعرة(١). ويظهر ذلك جلياً في مواقف عده لأحمد فيضي منها عند حربه في بيت الحسام(٢). ولم يغفل مؤرخنا الأخبار التي كانت تصله من الولاة الذين تم تعيينهم في اليمن، فقد سجل أخبار الوالي إسماعيل حافظ وموته(٣) وأخبار متفرقة عن فيضي باشا(٤) وسجل أخبار وصول الوالي حسين حلمي(٥) باشا.

وربما كانت الرسائل التي حرص المؤرخ على تسجيلها من أهم النقاط التي زادت من قيمة المخطوطة فقد أسهمت في إبراز الرسائل التي وصلت إلى الإمام إما من قبل الولاة العثمانيين في صنعاء، أو الوسطاء الذين تم إرسالهم من قبل السلطنة للكشف عن أسباب الثورة في اليمن(٦). ووضع بين أيدينا بالتالي كل الردود التي كتبها الإمام عن هذه الرسائل، والتي أظهرت بجلاء موقف العثمانيين، وموقف الإمام من الوجود العثماني في اليمن،

---

(١) الإرياني: الدر المنثور،ق٧٤ب.(النص) .

(٢) نفسه: ق٣٤أ.

(٣) نفسه: ق٢٤أ.

(٤) نفسه: ق٦٧أ،٥٥أ.

(٥) نفسه: ق٧٢ب.

(٦) نفسه: ق٣٩أ، ق٤٢ب، ٧٦ب، ٧٨ب، ٧٩أ.

وكذلك المفاوضات المختلفة والعروض التي بذلها العثمانيون، والتي تتنوع مابين عهود ووعود، للترغيب والترهيب ويتضح لنا من خلال تلك الرسائل والرسل دوافع الإمام، والأسباب التي دعته إلى تزعم تلك المقاومة ضد العثمانيين. ومنها القوانين التي كان العثمانيون يطبقونها في اليمن، وهي ماأطلق عليها الإمام ب(القوانين الوضعية)[1] وأن هذه القوانين لا تتناسب مع الفكر الإسلامي السائد في اليمن.

ومما سبق يتضح لنا أن المخطوطة تُبرز أسباب الحروب والثورات، وسياسة العثمانيين غير الحكيمة في اليمن، وقوانينهم وكيفية تطبيقها، ومن ثم فرض سيطرتهم بالقوة العسكرية.

ولم تقتصر المخطوطة على تسجيل الرسائل المتبادلة بين الإمام والولاة العثمانيين، لكنه اهتم أيضاً بإبراز الرسائل التي تم تبادلها بين الإمام، وبعض الأمراء والشخصيات البارزة العربية، ولعل أبرز مثال على ذلك الأمير (محمد بن رشيد)[2] أمير نجد، وأمير عسير (علي بن محمد عايض)[3] وجعفر الحلي أحد سادات النجف[4] وقد حظي بتأييدهم وتعاطفهم، خاصة وأن العالم العربي كان يرزح تحت ظروف سياسية متشابهه.

ورغم ذلك لم يخل الأمر من المعارضين للإمام، أو لبعض سياسته، من ذلك معارضة (الإمام محمد بن قاسم الحوثي)[5] . والسيد (حسن بن يحيى القاسمي)[6] لكنهما في نهاية الأمر سكنا وانعزلا كل في موطن رأسه.

أما إذا ما انتقلنا إلى موضوع مواقف القبائل بمختلف اتجاهاتها وهو أحد المواضيع التي طرحتها المخطوطة وعبرت عنها بإسهاب شديد فسنجد بأن تلك المواقف كانت متقلبة مابين الإمام والعثمانيين. إما الوقوف مع الإمام ومساندته وتحقيق الهدف العام الذي من

---

(١) الإرياني: الدر المنثور،ق٥٧أ. (النص) .

(٢) الإرياني: الدر المنثور، ق٥٦أ.

(٣) نفسه: ق١٠٣ب.

(٤) نفسه: ق٦٢ ب.

(٥) نفسه: ق١١٦أ،ب.

(٦) نفسه: ق١١٧ب،١١٨أ،ب.

أجله يقوم اليمنيون بمحاربة العثمانيين، أو اتخاذ اتجاه مخالف لهذا الهدف. وقد اختلفت تلك المواقف من قبيلة إلى أخرى، ومن فترة زمنية إلى أخرى. فحين تلمس تلك القبائل قوة الدولة العثمانية وبطشها، تتوانى عن مشاركة الإمام في حروبه[1]. وقد يخضعون لأقل الإغزاءات التي يُلوِّح بها العثمانيون من صنعاء[2]. نلمس ذلك في فترة حكم (أحمد فيضي باشا) فقد اشتهر هذا الوالي بالقوة والدهاء، واستطاع بوسائل مختلفة إخضاع الكثير من القبائل تحت سيطرته، إما بأخذ الرهائن من القبائل أو بالإغراءات المادية[3]. ولكن لن ننكر ولن نهوِّن من أدوار بطولية خاصة وعامة ساهمت مع الإمام وآمنت بدوره من أجل مقاومة الوجود العثماني وإزالته من اليمن، وأبرز مثال على ذلك المجاهد (علي المقداد)[4] وكثير من الشخصيات البارزة. والقبائل المختلفة، والتي لم تبخل بتقديم العون والنفس والمال من أجل تحقيق رسالة آمنوا بها وهدف سعوا من أجله.

وحرص مؤرخنا على ذكر بعض الأخبار الخارجية التي كانت تصله، وعرض وجهة نظره من أن العثمانيين كما ذكرنا سمحوا للإنجليز (بإحكام قبضتهم على مدن مصر وقلاعها)[5]. وسجل أسباب اتصال الإمام بالسفن الفرنسية في البحر الأحمر، وكيف تم له الحصول على الأسلحة الفرنسية. وتطرق إلى مشكلة الحدود مع بريطانيا بالقرب من عدن والمفاوضات التي جرت في ذلك الحين[6]. وذكر الأخبار التي وصلته عن انتشار بعض الأمراض في طلبة العلم المهاجرين في مصر[7]. وكيف حاولت السلطات في مصر إخراج هؤلاء الطلاب من البلاد، والتعاطف العام الذي قام به الشعب المصري من أجل الحيلولة دون ذلك، ومن ثم موقف السلطان عبدالحميد من تلك الحادثه، وانصياعه للنفوذ الأجنبي في نهاية المطاف وأسهب في ذكر الهجوم البحري الذي قام به الإيطاليون على ميناء ميدي والقرية التابعة لها، وأسباب ذلك الهجوم[8].

---

(١) علي بن عبد الله الإرياني: الدر المنثور، ق٥٧ب،٥٨أ.
(٢) نفسه: ق٥٠أ،ق٥٥ب.
(٣) نفسه: ق٣٩ب،٥٣أ،٥١ب،ق٨٠ب.
(٤) نفسه: ق١٠٤ب.(النص)
(٥) نفسه: ق٨٢أ.
(٦) نفسه: ق١٣٠أ،ب.
(٧) نفسه: ق٨٢أ.
(٨) علي عبد الله الإرياني: ق١٣٠ب.

وسـجلت المخطوطـة رأي الإمـام في الحجـر الـصحي وهـو مـايطلق عليـه بـ (الكرنتنية) ، وقد اعتبر الإمـام هـذا الإجـراء مـن العوامـل التـي دفعـت العثمانيـين إلى الرضوخ والانصياع للتدخل الأوربي، وأنها إحدى مؤامرات الأوربيين لمنـع الحجـاج عـن أداء فريضة الحج، ولم يكن لديه الخلفية العلمية للأسباب النافعة من الحجر الصحي المتبـع، والغاية من وراء إخضاع الحجاج للفحوصات الطبية لتفادي انتشار الأمراض المعديـة بـين الحجاج، والمستشفى الذي أقيم في مكة لعلاج الأمـراض التـي قـد تنتـشر بـين الحجـاج[1] وكذلك عملية نقل الدم إذا دعت الحاجـة إلى ذلـك. وقـد فـسرها المـؤرخ بثقافتـه المحلِّيـة البسيطة دون أن يكون لديه الخلفية العلمية الحديثة الحقيقية.

كـما تـابع اخبـار الـولاة في صـنعاء والوفـود التـي تـصلهم منهـا: الرديـف والهيئـة الاستكشافية[2] وأخبارهم الداخلية وتحركاتهم داخل صنعاء وخارجها، فنجده عـلى سـبيل المثال يرصد تحركات الوالي (فيضي باشا) في جولاته داخل اليمن[3]. ولقد أوضـح مؤرخنـا أن الإمام كان حريصاً على الاطلاع على الصحف العربية التي كانت تصله مـع الحجـاج أو من عدن، ليستشف منها السياسة الخارجية تجاه العالم الإسلامي خاصة إنجلترا[4].

ومن المواضيع الاقتصادية التي أوردها مؤرخنا الإرياني الوضـع الاقتـصادي للـيمن في هذه الفترة فالمخطوطة تصور ذلك بوضوح. فقد تدهورت الزراعة في اليمن في تلك الفـترة وذلك يرجع إلى الحروب القائمة آنذاك. ومن المعروف أن اليمن بلد زراعي، وأغلب أهـالي اليمن يمارسون الزراعة بوصفها حرفة أولى في اليمن، معتمدين في المقام الأول على الأمطار الموسمية، ونتيجة للحروب الكثيرة التي قامت بين اليمنيين والعثمانيين، اضـطر الكثـير إلى ترك حرفة الزراعة إما للانضمام إلى الإمام ومحاربـة العثمانيـين، وإمـا للهـروب مـن قـراهم وعزلهم هرباً من هذه الحروب، وكثيراً ما تطرق المـؤرخ إلى انتـشار القحـط والأمـراض[5].

---

(١) نفسه: ق٨٢أ.

(٢) نفسه: ق٧٦أ.

(٣) نفسه: ق٦٧ب، ٥٥أ،١٠٢ب.

(٤) علي عبد الله الإرياني: ق١٢٩ب.

(٥) نفسه: ق١١ب.

وارتفاع الأسعار و(هروب الناس من بلاد إلى بلاد لطلب الزاد)(1). حيث لم يكن يمر عام دون أن يصيب اليمن القحط والمجاعة، وقد حرص المؤرخ على ذكر كل ذلك في سنته وحينه(2). وقد كان نتيجة لذلك أن تآلبت القبائل على الحروب والغزو، أحياناً إيماناً بدعوة الإمام وأحياناً أخرى للسلب والنهب، والمخطوطة تعطينا الكثير من هذه الصور(3).

ونتيجة لتلك الثورات التي عمت اليمن كانت السلطنة ترسل الكثير من الجنود مصحوبة بالمعونات الغذائية إلى اليمن، غير أنهم لم يجدوا في حينها من يحمل تلك المعونات من الموانئ إلى المدن، بسبب القحط المنتشر الذي (أهلك الدواب)(4). وقد ربط مؤرخنا بين هذا الابتلاء بالقحط أو المرض، وعدم الإيمان بالإمام وبدوره، والظلم المتفشي بين الرعية والأتراك. ونتيجة لكل ذلك رخصت الأسلحة والذخائر وكثر تداولها في أيدي اليمنيين(5).

ومن الأسباب الاقتصادية المتدهورة التي عانى منها اليمنيون أن العثمانيين كثيراً ما اتبعوا سياسة إفساد الزراعة على القبائل أثناء حصادها، خاصة تلك القبائل التي تقف إلى جانب الإمام، أو يقوموا بنهب الحبوب وإحراق المنازل الخاصة بمن يمد يد المساعدة للإمام وأصحابه(6). وقد أسهمت المخطوطة في طرح عدد من التعاملات الاقتصادية في اليمن خاصة مايتعلق منها بالضرائب والزراعة(7) والقوانين والتنظيمات التي وضعها العثمانيون، وكذلك الإمام كل في مناطق نفوذه(8). وعلى الرغم من هجوم المؤرخ المستمر على العثمانيين، فإنه لم ينس أن يذكر ماقام به العثمانيون من تنظيمات اقتصادية وإصلاحات عمرانية خاصة في فترة الهدنة. مما يتيح لنا فهم سياسة العثمانيين في اليمن على نحو أكثر وضوحاً مع أن المؤرخ أورد ذلك في سياق القدح.

---

(1) نفسه: ق٦٥ب.

(2) نفسه: ق٦١أ،٧٢ب،٩٥أ.

(3) نفسه: ق١١ب،ق٦٥ب.

(4) نفسه: ق٩١ب، ق٧٥ب.

(5)علي عبد الله الإرياني: ق٩٥ب.

(6) نفسه: ق١١٤أ.

(7) نفسه: ق٦ب،١٩أ،٤٠أ،٩٦،٨١ب.

(8) نفسه:ق٤٠أ.

ولعل أبرز تلك الإصلاحات ماقام به الوالي حسين حلمي من استحداث عدد من الإدارات والتنظيمات، حيث نظم تجارة الجلود وفرض العديد من الضرائب على تجار السوق[1]. وأنشأ العديد من (المدارس الرشيدية) للأطفال كما أسس مكتب المعارف والإعدادية والصنايع ومكتب العربية[2]. وكذلك الإصلاحات التي قام بها (أحمد فيضي باشا) حيث عمل على بناء الحصون والقلاع حول صنعاء، وتجديد وإصلاح باب اليمن، وتعبيد الطرق المختلفة لتسهيل تسيير الجيوش إلى المدن المختلفة[3]. وفي فترات السكون من الحرب ذكر قيام الإمام أيضاً ببعض الإصلاحات، فقد عمل على بناء الحصون مثل حصن سعدان[4]. وتحصين مدينة شهارة، وبناء المنازل للطلبة والمهاجرين في قرية المدان[5].

ومع أن المخطوطة في مُجملها سرد للأحداث السياسية، والوقائع العسكرية لتلك الفترة كما أشرنا آنفاً فإنها لا تخلو من الإشارة إلى بعض الأوضاع الاجتماعية التي استقرأناها من بين السطور. ومن أهم تلك الصور الاجتماعية، أسماء القبائل والعشائر والبطون والفروع المختلفة، والتقسيمات القبلية المتعارف عليها بين تلك القبائل وموطن كل منها. والتي قد لا يعرفها كثير من المتعلمين الآن. بالإضافة إلى ذلك نلاحظ من وقت إلى آخر أن مؤرخنا لم يغفل المصطلحات العامية الواردة في المخطوطة التي تتميز بالخاصية اليمنية، والتي تعمل على إثراء التراث الشعبي واللهجة العامية في اليمن من ذلك مصطلح (الدوشان)[6] و (التنصيره)[7]. كما ذكر عدداً من الأسماء والمصطلحات مثل القَضَاضْ، الجُعْل، اَلْسَبَارْ، الْعُلُوجْ، النَاظِرْة، أَسْعَدْ عَزَمْ، تَحِيرْ، غَايِراً. وغيرها من المسميات التي قد تُمحى من ذاكرة المجتمع لدى الأجيال القادمة مع تقادم الزمن[8] . كما نجد في المخطوطة بعض الأخبار

(١) نفسه: ق٦ب.
(٢) نفسه:ق١٠٣أ.
(٣) علي عبد الله الإرياني: ق٥٥ب،٥٦أ.
(٤) نفسه: ق٥٦أ.
(٥) نفسه:٥٦أ.
(٦) نفسه: الدر المنثور، ق١٠٥أ.
(٧) نفسه:ق ٢٧ب.
(٨) سوف أقوم بشرح معاني الكلمات العامية والمصطلحات في هوامش الرسالة، ووضع قوائم تشمل تلك الكلمات والمصطلحات في نهاية الرسالة.

الاجتماعية المتفرقة عن العادات والتقاليد التي كانت مُتبعة في البيع والشراء والصراب (الحصاد) ومواسم الأعياد، كما نجد بعض الأخبار عن الحرائق، مثل حريق السماسر. كذلك أبرزت المخطوطة، وبشكل واضح، علاقة الإمام باليمنيين على اختلاف مستوياتهم، وكيفية بسط نفوذه بين القبائل، وتنظيم العلاقات بين القبائل بعضها ببعض عن طريق إبرام مايسمى (بالقاعدة)[1] وهو مايشبه الاتفاقية، أو باتباع سياسية الوعد والوعيد، وفي أوقات كثيرة اتبع سياسة اللين والترغيب بالغنائم. ونظراً لغلبة البنية القبليَّة في المجتمع اليمني نجد أن الرابطة الاجتماعية فيما بينهم قوية، وتحكمها عادات وتقاليد متوارثة ومعروفة.

أما مايتعلق بالظواهر الطبيعية، فانه يتضح لنا من خلال ماسجلته المخطوطة أن اليمن كان في هذه الفترة يعاني من القحط والجفاف خاصة في السنوات الأولى من الحكم العثماني، فأسهمت المخطوطة بسرد العديد من تلك الظواهر، فعند خسوف القمر، نرى المؤرخ يربط ذلك (بأن العوام تفاءلوا بذلك)[2].

ولم يفت المؤرخ أن يذكر الأمراض التي أصابت الأتراك العثمانيين في تلك الفترة مثل مرض الطاعون الذي نظر إليه المؤرخ على أنه ابتلاء من الله لهولاء القوم، لأنهم يحاربون الإمام[3] ونتيجة للفكر السائد حينذاك، فقد عمد مؤرخنا إلى ربط الظواهر الطبيعية بالأحوال السياسية[4].

ولم يغفل مؤرخنا الإشارة إلى طرح العديد من الأخبار المناخية التي حدثت في تلك الفترة، فنراه في بعض المواضع، يسجل أخبار الأمطار الغزيرة والبَرَدْ (الثلوج)، ويصور لنا السيول الضخمة التي دخلت صنعاء، وكمية البَرَدْ التي سقطت على الجبال المرتفعة التي تقع حول صنعاء، ومنها جبال حضور[5]. ومن الأمثلة البارزة أيضاً مانجده بشأن سقوط

(١) علي بن عبدالله الإرياني: الدر المنثور، ق٤٩ب،٤٧أ.
(٢) نفسه:ق١٢٤،٤٤أ.
(٣) نفسه: ق٦٤أ.
(٤) نفسه:ق٢٣ب،٢٤أ.
(٥)علي بن عبدالله الإرياني: الدر المنثور، ق٩٦ب.

المطر يوم العيد حيث يقول «وفي ليلة عيد الفطر وقع (مطر ديمه) أي (مطر هادئ) عم الأرض جميعاً»[1].

ومن المواضيع العلمية التي حرص مؤرخنا على تسجيلها، مع أن همه كان في المقام الأول، هو التركيز على سيرة الإمام العسكرية إلا أننا نلاحظه من وقت لآخر يذكر لنا بعض الأخبار العلمية مثل شرحه للآلات التي دخلت اليمن، وكان اليمنيون حديثي عهد بها مثل (السلك) أي التلغراف. وكيف يقوم مؤرخنا بشرح تلك الآلة وكأنها إحدى غرائب العصر[2]. كذلك الشفرة وكيف يتم التعامل بها، وشرح الجدول الموضح لهذه الشفرة والتي أسماها (الجفرية) . ولم يغفل أن يذكر لنا الجريدة التي كان العثمانيون يصدرونها في صنعاء في ذلك الحين، فيقول (وذكر ذلك العجم في جرايد الأخبار)[3]. ومثل باقي مؤرخي التاريخ الإسلامي فقد اهتم مؤرخنا بترجمة حياة بعض علماء عصره ممن كان لهم دور بارز في حياة الإمام، وذكر المدارس العلمية التي أقامها الإمام في شهارة والمدان. ولم يتوقف عند هذا الحد بل سجل لنا رسالة الكواكبي التي أرسلها للإمام، وشرح لنا بتفصيل كبير الكتابين المطبوعين اللذين أرسلهما الكواكبي للإمام[4].

منهج التحقيق والنشر:

لقد حاولت قدر المستطاع أن التزم المنهج العلمي واتباع الخطوات المتعارف عليها في المنهج العام عند التحقيق، أي الطريقة العلمية. فقد حرصت عند نسخ المخطوطة على ضبط النص كما أراده المؤرخ دون تغيير أو تبديل. فالمخطوطة منقوطة في أغلب الأحيان ولكن هناك كلمات أغفل مؤرخنا تنقيطها. ونرجح أن سقوط هذه النقط قد وقع أثناء النسخ أو أن الناسخ قد اعتقد أن مثل هذه الكلمات تعرف بمجرد رسمها. وقد عملت على إضافة النقاط للكلمات غير المنقوطة، خاصة في الكلمات والمعاني التي توصلت إلى معرفتها،

---

(١) نفسه: ق٨٣أ.

(٢) نفسه: ق٢٦ب.

(٣) نفسه: ق٢٤أ.

(٤) نفسه: ق١١٩أ، إلى ١٢٨ب. (يوجد توضيح مفصل عن دور الكواكبي في ص ٨٠، ٨١)

أما الكلمات التي لم أتمكن من قراءتها فقد أثبتها كما هي، مع الإشارة في الهامش إلى أنها وردت هكذا في الأصل. وحرصت كذلك على وضع النقاط على التاء المربوطة التي كثيراً ما أغفلها الناسخ. أما الهمزات فهي قليلة، خاصة وأن هذه المخطوطة أغلب لغتها هي العامية، ومن خصائص العامية في بعض جهات اليمن تخفيف الهمزات. كما هو السائد في أغلب مناطق الجزيرة العربية. وقد حافظت على أغلب هذه الكلمات والأفعال دون تهميز؛ وذلك حفاظاً على لغة المخطوطة مثل (الوقايع، الصنايع، الفرايض، الرسايل، المشايخ، الطايف) . لكنى أضفت الهمزة في كلمات لابد من إثبات الهمزة عليها، مثل الهمزة التي على نبرة أو التي فوق الألف أو التي في نهاية الكلمة. ونجده أحيانا يُهَمِزَّ بعض الكلمات وأحيانا يتركها دون همزة أو تنقيط مثل (القبائل) فيتم إثباتها بالطريقة الصحيحة. وهناك كلمات تركها الناسخ بدون همزة في آخرها مثل (العلماء، الضعفاء، صنعاء، ماء، سماء) وقد حرصت على وضع الهمزة في مكانها المناسب.

وبحكم أن المخطوطة قريبة العهد فهي إلى جانب أنها منقوطة فقد حرص الناسخ على وضع بعض علامات التشكيل خاصة في الترجمة التي كتبها الناسخ عن حياة المؤرخ، أما في السيرة ذاتها فلم يشكل سوى بعض الكلمات. ولذا فقد تحريت وضع التشكيل لكل الكلمات والمعاني خاصة الكلمات التي لا يتضح معناها إلا بإثبات التشكيل عليها ومنها أسماء المدن والقرى والأعلام والمناطق ذات النطق الخاص مثل (نُقُمْ، قَفْلَةْ عِذَرْ، ذِيبَين، شِبَامْ).

ومن الخطوات الرئيسية التي قمت بها أثناء النسخ، إثبات الملاحظات والإضافات والكلمات التي كتبها الناسخ في حواشي المخطوطة،تم إضافتها إلى متن الكتاب في موضعها.

وقد حرصت على التصحيحات اللغوية والإملائية وكتابتها في متن المخطوطة دونما إشارة إليها في الهامش ، على اعتبار أن هذه الخطوات بديهية في اللغة العربية مثل (هذا) كتبها (هذى) و (يسمى) كتبها (يسما) و (يسأله) كتبها (يسئله) و (أثناء) كتبها (أثنى).

ومن الأخطاء التي وقع فيها الناسخ وضعه الألف بعد الواو. في بعض الكلمات مثل

(يدعو) (ذو) وقد قمت بتصحيح مثل هذه الكلمات.

وقد لاحظت أيضا أن الناسخ لا يفرق بين التاءالمفتوحة والتاء المربوطة وقد عمـدت إلى تصحيح مثل تلك الأخطاء. كما لاحظت أيضاً أن الناسخ كان يسرد الأحداث دون توقـف ودون اتباع علامات الترقـيم الحديثـة المتعـارف عليهـا. وتـسهيلاً للقـارئ قُمـت بوضـع الفواصل وعلامات الاستفهام، وعلامات الجمل الاعتراضـية، والأقـواس المختلفـة عنـد تنصيص الآيات والأحاديث والشعر والأمثـال والأقـوال. وكـل الكلـمات التـي تتطلبهـا قواعد الكتابة الحديثة.

لكن الشيء المعتاد في هذه المخطوطة أن ناسخها حرص مثل أبناء عصره على رسم كثـير من الكلمات على الرسم القرآني للكلمات، وذلك نتيجة للثقافة الإسلامية السائدة حينـذاك، ولذا فقد رأيت التخفيف من ذلك وكتابة الكلمات بما يتفق مـع الرسـم الحـديث للأحـرف والكلمات مثل (الكافرين، الصلاة، الزكاة، سبحانه) . حيث كان يكتبها عـلى النحـو التـالي (الكفرين، الصلوة، الزكوه، سبحنه).

وبحكم أن المخطوطة قريبة العهد، نلاحظ استخدام الناسخ، للاختصارات المتعـارف عليها في اليمن حتى الآن مثل (تعـلى، ص، صـلعم) ، ومـن ثـم كتابتهـا بطريقـة واضـحة مقروءة عربياً وهي (تعالى، صلى الله عليه وآله وسلم).

وممـا يلفـت الانتبـاه في هـذه المخطوطـة أن المـؤرخ زحـم المخطوطـة بكـل الأعـلام والشخصيات البارزة والمعروفة وغيرهم ممن شارك في الأحداث التاريخية، ولـذا فقـد أورد إلى جانب أسماء العلماء و القادة والولاة الكثير ممن التف حول الإمـام مـن المـشائخ وعامـة الناس، وقد حاولت إيجاد ترجمة لهم، فكان أن وجدت ترجمات لبعضهم، والبعض الآخر لم أعثر له على ترجمات رغم ما عانيته من بين كتب التراجم المعروفة في تلك الفترة.

أما أسماء المواضع مثل المدن والقـرى والعـزل والحـصون والقـلاع والجبـال والوديـان والقيعان، والكثير مما أورده المؤرخ في المخطوطة، بحكم أن معظم أحداثها عسكرية، ولـذا فقد اضطر إلى متابعة هذه المعارك من منطقة إلى أخرى، وبالتالي فقد ذكر لنا كَـمٌ هائـل مـن

هذه الأسماء، وحاولت توضيح المواقع الجغرافية لهذه المناطق وشرحها، من الكتب الجغرافية المتعارف عليها مثل (اليمن الكبرى) لحسين بن علي الويسي وكتاب (مجموع بلدان اليمن وقبائلها) لمحمد الحجري و (معجم البلدان والقبائل) للمقحفي. ومن مجلدات الإحصاء المختلفة لسنة ١٩٨٦. ولكني تركت بعض هذه المواقع دون تعريف، لأنني لم أعثر على تعريف لها في المصادر التي بين يدي، وقد يكون ذلك راجع إلى تغيير اسم المنطقة أو اندثارها بعامل مرور السنين أو تشابه اسم قرية للعديد من القرى الأخرى.

ولما كانت المخطوطة ترتكز أحداثها على الوقائع العسكرية والسياسية فالكتب المذكورة فيها قليلة إلا ما ورد طارئاً عند ترجمة بعض العلماء، وقد حاولت إيجاد تعريف لهذه الكتب.

وقد حرصت أثناء نسخ المخطوطة على تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بما يتفق مع الأصل الصحيح، كما حرصت على تصحيح الآيات القرآنية في المتن ذلك أن أكثر المؤرخين والكُتاب في تلك الفترة.كانوا يكتبون من الذاكرة مما كان ينتج عنه أحيانا السهو والوقوع في الخطأ، ودرءاً لهذه المسألة فقد تحريت تخريج هذه الآيات خالية من الأخطاء حيث قمت بضبطها على نحو ماهي عليه في القرآن الكريم. وتشكيل حروفها كما جاء فيه ووضعها داخل أقواس أما الأحاديث فقد عمدت إلى تصحيحها في الهامش قدر الإمكان. ومن المعروف أن هناك أحاديث موضوعة، وأحاديث مدسوسة، وحيث أن المجال هنا لا يتيح لنا فرصة التحقيق، فقد اكتفيت بالإشارة إلى أهم مراجع الأحاديث التي وجدتها في الهامش بمجرد لفت النظر، على أن يقوم المهتمون بتحقيق صحتها من عدمه، خاصة وأنني هنا لست بصدد تحقيق الأحاديث، ولكن الواجب علي ذكر مصدرها فقط، وهناك مراجع متأخرة سوف أشير إليها في الهوامش لأنها أقل أهمية من الكتب الستة الصحيحة، إذ كان همها جمع تلك الأحاديث أكثر من تحقيقها ومنها على سبيل المثال (موسوعة أطراف الحديث النبوي).

أما الأمثلة الواردة في المخطوطة فليست بالقليلة خاصة وأن مؤرخنا حاول إدخال تلك الأمثلة في السياق التاريخي بوصفها واحدة من محسِّنات الكتابة العربية وفنونها، وبقدر

الإمكان سأثبت كل (مثل) على حده في الهامش، وتصحيحه أو إكماله إن كان ناقصاً في الهامش.

والطريف والمميز في هذه المخطوطة استخدام مؤرخنا لكثير من الألفاظ العامية، والمصطلحات الشعبية الغريبة التي قد يكون أغلبها غير معروفة للقارئ العربي الحديث مثل (الكرنتينة، القرانات، الناظرة، التنصيرة) وقد حاولت إيجاد تعاريف لكل هذه الكلمات والألفاظ في الهامش. أما الكلمات العربية القديمة غير المعروفة لكثير من الناس لعدم تداولها حاليا مثل (الخندريس صلخدم) والتي ترد في المخطوطة، خاصة في القصائد الشعرية الكثيرة، فبقدر الإمكان حاولت إخراج معانيها من المعاجم العربية المختلفة.

وقد أورد المؤرخ التاريخ الهجري طوال أحداث المخطوطة نتيجة للثقافة والمنهج الإسلامي السائد، ولذا فقد عمدت إلى إثبات ما يقابله بالميلادي في الهامش. وتسهيلاً للقارئ قمت بكتابة أرقام أوراق المخطوطة فيما بين القوسين (ق ...) للاستدلال على بداية كل صفحة من المخطوطة.

وفي نهاية هذا التوضيح لكل الأساليب المتبعة في التحقيقات العلمية أتمنى أن أكون بعملي المتواضع هذا قد أخرجت هذا المخطوط على النور بما ينفع القارئ الكريم ويسهل له الإطلاع عليه، وأن أكون توصلت إلى الهدف الذي من أجله كان مبتغاي.

نص المخطوط

«ق٢أ» بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الجامع لهذه السيرة المنصورية

هو القاضي العلامة حجة الإسلام علي بن عبدالله بن علي بن حسين بن جابر بن محمد بن صلاح بن الوجيه عبد الواحد بن الصديق بن محمد الإرياني.

المولد والدار إرْيانْ مِنْ مغارب يَريم[١] بقدر نصف مَرْحلة[٢] وهو محل مشرف على اليمن الأسفل والأعلى[٣] ووصاب[٤] وعتمة[٥] وسائر تلك الجهات إلى حدود زَبْيد[٦] وحيس[٧] وأول من سكنها بَعد خرابها الصدَّيق بن محمد المذكور، واختطها، وَسبب تَخريبَها وتخريب حصنها مَذْكور في قُرة العيُون للعلامة الديبع[٨] رحمه الله، وكانَت من محلات

(١) يريم: اسم مشترك بين بلدتين إحداهما يريم في بلاد الشاحذية في الطويلة، والمقصود: يريم يحصب جنوب صنعاء، ويريم حصن باليمن في جبل تيس وهو المعروف بجبل حبش في الطويلة (الحجري: المجموع، ج٤، ص٧٧٩) .

(٢) المرحلة: مفرد مراحل، والمرحلة أي المنزلة يرتحل منها، وما بين المنزلتين مرحلة. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص١١٤٣) .

(٣) اليمن الأسفل والأعلى: مصطلح معروف يستعمله اليمنيون، فيقال اليمن الأسفل من إب، إلى ما جاور عدن، واليمن الأعلى من ذمار، حتى صعدة وكل المناطق الجبلية.

(٤) وصاب: منطقه جنوب غرب صنعاء، وتنقسم إلى ناحيتين وصاب العالي مركزها "دَنّ وصاب"، وناحية وصاب السافل مركزها الأحد. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٧٦٧) .

(٥) عُتُمَة: مدينة مشهورة جنوب غرب صنعاء، وتنقسم ناحية عتمة إلى خمسة مخاليف، ولكل مخلاف يشمل عدة عزل وقرى، ويتكرر اسم عتمه لكثير من القرى والعزل ، عتمه: عزلة من بلاد سارع في المحويت، وعتمه: قريه في بعدان من محافظة إب. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٧٦) .

(٦) زَبِيْد: اسم وادي من أشهر أودية اليمن في تهامة ويصب في البحر الأحمر، وبه سميت مدينة زبيد، وكانت تسمى قديماً الحصيب، واشتهرت قديماً بالعلم (الحجري: المجموع، ج٣، ص٣٨١) .

(٧) حَيْس: مدينة مشهوره من تهامة جنوب زبيد. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٠١) .

(٨) ابن الديبع: صاحب كتاب قرة العيون (٨٦٦٩٤٤هـ/ ١٤٦١١٥٣٧م) وهو عبدالرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزبيدي الشافعي وجيه الدين، مؤرخ محدث من أهل زبيد في اليمن. من كُتبه "بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد" ، "الفضل المزيد في تاريخ زبيد" ، "قرة العيون في أخبار اليمن" ، "تيسير الوصول إلى جامع الوصول من حديث الرسول" ثلاثة أجزاء، "أحسن السلوك فيمن ولي زبيد من الملوك" ، "تمييز الطيب من الخبيث". (الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٩٢) .

اَلباطِنَّيه[1] وهي من أعدل البلاد هواءً وأحسنها مَنظراً.

ونسبه في حِمْير وقد كان جَاور بمكة زَماناً، واتفق بالشيخ الفَاضل جَمال الدين محمد بن علي بن ميمون الأندلسي، خارجاً من بلده الأندلس بعد استيلاء النصارى عليهاَ، فترافقا وخرجا إلى اليمن واستوطنا الهجرة المذكورة، وكان الشيخ جمال الدين صاحب كرامات، ومات بالهجرة المذكورة إريان، وقبره هنالك مشهورٌ مزور وعليه أوقاف واسعة ثم تبعه الشيخ المذكور واقتفى طريقته، وكانا في محلهما ملجأً للمريدين، كذا ذكره بعض المؤرخين.

وصَاحب الترجمه هو الإمام العلامة المجتهد المطلق حجة الإسلام، مولده في ذي الحجة الحرام سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف[2] وهو ممن برع في جَميع العلوم، الكتاب والسنه، وحقق الأصولين[3] والعربية والمعاني والبيان والحديث والتفسير والفرائض والحساب. وَأخَذ في جمَيع ذلك على شيخه القاضي العلامة إمام المعقول والمنقول يحيى بن علي بن عبدالله بن علي بن حسين الإرياني[4] رحمه الله تعالى ولا زمه خمسة عشر سنه لا يفارقه إلا في الليل، وكان شيخه المذكور يَطلع كل يوم من إريان إلى الحصن وبينهما عقبه قدر ميل. وبه تخرج وانتفع، وأخذ في النحو والقراءة على الشيخ محمد الطايفي وكان أحد الوافدين إلى القُضاه وبقى لديهم مدة، وكان محقق وقته في علم النحو وله منظومَات ومؤلفات تَدُل على تحقيقه، ثم رحل هذا الشيخ إلى تهامه وتوفى بها.

لا يخفى أن القرائح مُختلفَه وَالفطن مُتَفَاوِته، والأفهام مُتَبَاينَة فمنهم من يبلغ الذروة

---

(١) الباطنية: هم الإسماعيليه، ولهم دعوة في كل زمان ومقالة جديدةبكل لسان، وأشهر القابهم الباطنيه، وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويل ولهم ألقاب كثيرة فيسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية والتعليمية والملحدة، وهم يقولون عن أنفسهم الإسماعيلية لتميزهم عن فرق الشيعة. (الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٩١) .

(٢) ١٢٧١هـ١٨٥٤م.

(٣) الأصولين: هما أصول الدين وأصول الفقه.

(٤) هو القاضي العلامة الشاعر الأديب يحيى بن علي بن عبدالله الإرياني مولده ١٢٤٠هـ. من أساتذته القاضي محمد بن يحيى بن السماوي الملقب بالبحر، والقاضي عبدالملك بن حسين الآنسي الصنعاني، ومن أهم تلامذته القاضي علي بن عبد الله والحسين بن عبدالله الإرياني والقاضي عبدالله بن محمد العيزري الذماري. (زباره: أئمة اليمن، ص٣٧٠) .

العليا بأيسر مدة﴿ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ﴾[1] ومنهم مَن لايفَارقُ الحضيض مع طول المدة، وهَذا أمرٌ مشاهد.

وقد بلغ صاحب الترجمة إلى غاية من التحقيق، فمؤلفاته ورسائله وَجَواباته نظماً ونثراً شاهِدُ صِدقٍ على عُلو طبقته، وارتفاع دَرجته فهو إنسان عين هذا البيت القديم البناء الرحيب الفِناء، وأهل هذا البيت مُقَيَّدون بالعلم بنصوص الأدلة ومعتمدون على ما صح في الأمهات الحديثة، وما يلحق بها من دَوَاوين الإسلام المشتملة على سُنَّةِ سَيّد الأنام صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين. ولا يشوبون دينهم بشيء من البدع التي لايخلوا أهل مذهب من المذاهب بشيء منها، بل هُم على نمط السَّلفِ الصالح في العمل بما يَدل عليه كتاب الله وَسُنة رسوله، قد سبطت لحومهم ودماؤهم بمحبّة الآل، والموالاة لهم في جميع الأحوال، ومستأمون بقراءة مؤلفاتهم. فهولآء هم الموافقون للإمام الشافعي[2] رضي الله عنه ممن عرف الأفعال «ق٢ب» والأقوال، لاما عليه سائر المنتسبين الذين ليس لهم من إلانتساب غير الدعوى. ولم يزل المذكور لازماً للدرس معتمداً على شأنه حتى فاق أقرانه، إلى أن دَخَلت سنة ١٢٩٤هـ[3] أربعة وتسعين ومائتين وألف، فرحل إلى مكة المشرفة لأداء فَرِيضَة الحج، هُو وصنوه[4] العُلاّمة عزالإسلام محمد بن عبدالله[5] أطال الله بقاه، واتفق هنالك بالسيد

(١) سورة الجمعة، آيةرقم ٤ وتمامها ﴿وَالله ذُو الْفَضْلِ العَظِيمِ﴾ .

(٢) الإمام الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شاوع الهاشمي القرشي المطلبي، أبوعبدالله أحد الأئمة الأربعه عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة، ولد في غزة بفلسطين، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين وقصد مصر حتى توفي بها وقبره معروف في القاهرة، كان من أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات. حذق بالرمي واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والدين وأفتى وهو ابن عشرين سنة وكان ذكياً مفرطاً، له تصانيف كثيرة أشهرها (الأم) ، (المسند) ، (أحكام القرآن) ، (السنن) ، (الرسالة في أصول الفقه) ، (اختلاف الحديث) ، (السبق والرمي) ، (فضائل قريش) ، (أدب القاضي) ، (المواريث) . للمزيد الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٢٤٩.

(٣) ١٢٩٤هـ١٨٧٧م.

(٤) الصنو: هو الأخ.

(٥) محمد بن عبدالله الإرياني: مولده بمدينة يريم في شعبان ١٢٥٥هـ، تلقى تعليمه على يد القاضي يحيى بن علي الإرياني ومن السيد أحمد بن زيني دحلان الذي أجازة هو والعلامة أحمد بن محمد الكبسي، توفي في رمضان ١٣٢٣هـ في هجرة إريان. (زباره: نزهة النظر: ص٥٦١) .

العلامة أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية[1] وصاحب التأليفات المشهورة، وجَرت بينهما مذاكرات ومحاورات. ثم أجازه إجازةً عامّة في جميع مَسْمُوعَاتِهِ ومَرْويّاته ومؤَلفاته. ثم في رجوعهِ اتفقَ بالسيد العلامة الحافظ محمد بن أحمد عبدالباري الأهدل[2] في المراوعة[3] . وبالسيد العَلامة سليمان بن محمد بن عبدالرحمن بن سليمان الأهدل[4] وبالسيد العلامة داود بن عبدالرحمن حجر القُديمي[5] في زبيد، وسائر تلك الطبقة. وجرت بينه وبين من ذكرنا مباحث ومُناظرات وَمُذاكرات ينشرح لها الصدور، وأجيز من جميع من ذكرنا هُو

(١) أحمد زيني دحلان: مفتي الشافعية (١٢٣٢١٣٠٤هـ) (١٨١٧١٨٨٦م) فقيه مكي مؤرخ ، ولد بمكه، وتولى فيها الإفتاء والتدريس وفي أيامه أنشئت أول مطبعة بمكة، طبع فيها كتبه، مات في المدينه، من تصانيفه (الفتوحات الإسلامية) (الجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية) (خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام) (المفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل النبوة الطاهرين) (السيرة النبوية) (رسالة في الرد على الوهابية) . (الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٢٥) .

(٢) العلامة الحافظ محمد بن أحمد عبدالباري الأهدل: الحسيني التهامي، شيخ الإسلام مولدة ١٢٤١هـ، حفظ القرآن، وتلقى جميع أنواع فنون العلم، التقى بالكثير من علماء مكة وتهامة، ألف الكثير من المؤلفات منها (حاشية على القطر، وحاشية على الجامع الصحيح للبخاري سماها "سلم القارىء وهداية العقول إلى ذرية الوصول، (وشرح على الخصائص الصغرى) للسيوطي، (ونشر الاعلام على البيان والأعلام في الفقه، (وتدريب المحتاج على المنهاج ومنحة الوهاب) نظم، (تنقيح اللباب وكشف الهم، ومدح الفتاح بأركان عقد النكاح، وتبصرة المحتاج وخلاصة الموسوم والنفحة العطريه، وتنقيح الفوائد على أبيات الشواهد، وفتح الفتاح العليم بشرح بسم الله الرحمن الرحيم، وتوقيف النظار على حكم ما ينبت في الأرض الموقوفة من الأشجار، ودفع الوصمة عمن ثبت له العصمة، وتهذيب المقالة في أحكام الإقالة، وغيرها الكثير من الحواشي والشروح، توفي في محرم ١٢٩٨هـ. (زبارة: نيل الوطر،ج٢، ص٢٢٤) .

(٣) المراوعة: من قرى تهامة شرق الحديدة (الحجري: المجموع، ج٤، ص٧٠٤.

(٤) السيد العلامة سليمان بن محمد بن عبدالرحمن سليمان الأهدل: الحسيني التهامي الزبيدي، من أساتذته والده والسيد حسين بن طاهر الأنباري والفقيه أحمد بن محمد بن ناصر وغيرهم. عمل بالتدريس والإفتاء بعد والده، فكان جبلاً من جبال العلم، إمام في التحقيق والإتقان والتفنن كان طويل النفس في البحث، مولعاً بتحصيل كتب القوم النافعة توفي في ذي الحجه ١٣٠٤هـ. (زبارة: نزهة النظر،ص٣١٠) .

(٥) داود بن بن عبد الرحمن حجر القديمي: الحسيني اليمني الزبيدي. نشأ بزبيد، من أساتذته السيد محمد طاهر الأنباري، والسيد عبدالهادي بن ثابت النهاري، والشيخ محمد بن أحمد المشرع الزبيدي، والسيد حسين بن طاهر الأنباري، والسيد محمد بن عبدالرحمن الأهدل، وعن السيد الإمام محمد بن ناصر بن حسين الحازمي، والقاضي الحافظ المحدث محمد بن علي بن حسين العمراني الصنعاني. وقد أتقن علوم الآلات على اختلاف أنواعها، وتولى منصب القضاء بمدينة زبيد، ومن تلامذته ابنه محمد بن داود والقاضي علي بن عبدالله الإرياني وأخوته محمد وحسين، ومات صاحب الترجمة سنة ١٣١٣هـ في زبيد. (زبارة: أئمة اليمن، ص٣٧٨) .

وصنوه العلامة محمد بن عبدالله، ثم وصَل إلى بيته وبعد أيام نزل إلى جبلة[1]، واتفـقَ ببقيـة المجتهدين والأئمة المحققين يحيى بن حسن بن قاسـم المجاهـد رحمـه الله، وأجـازة إجـازة عامة في جميع مروياته ومسموعاته. ولم يزل المذكور لازماً لتلـك الطريقـة مـن ذكـر العلـم ونشر الشريعة المطهّرة، وإرشاد العامة، وكان مقصوداً من جميع تلك البلاد. وكان قـد رُزق حظاً وافراً مع كمال الأهلية، مع القناعة والعفاف، فقد كان يـرضى مـن الأجـرة بأقـل مـن القليل. وكان كثير الرأفة على الضعفاء والمساكين كثير الصَّدقة، لمن عَـرف ولمـن لم يعـرف، سيَّما في السنين الشديدةَ، حسن الأخلاق مع تواضع غير متكلفَّ، بذاذةٍ[2] في الملـبس، عليـه بلاهةُ الأذكياء ظاهرةٌ، ما رآه أحدٌ إلاَّ أحبَّه، وله مُؤلفات مفيدة ورسائل عَديدة نظـماً ونثـراً فمنها في التاريخ السّيرة المنصورية[3] وهي من أصَح التواريخ وأثبتها، مُتوسطة بـين الإيجـاز والإطناب،قَد احتوت على غرائب وعجائب، وتجنب فيها السَّجع المتكلـف إلا في مواضـع يَسيرة، وذكر فيها من الرسائل والفوائد جُملة وافرة، ومَا وقع من الحـروب والـزلاَزِل التـي تضَمنتها تَلك الأيام. وَلَه منظومةٌ في الفقة وغَالبِهـا مـن الـدرر، فَـيْما صَـح دَلْيْلـه واتَّـضح سَبِيله، وهي ألف بيت وخمسة وثلاثون بيتاً، ورتبها على مقدمة في أصُول الدين، ومَـا يجـب على المرء معرفته جملة، وخاتمة في علم النحو، ذيَّلهـا بخاتمـة في التَّـصوف الـذَّي نَـدب إليـه الشارع ورغب فيه، ورتب عليه الجَزاء والفوز العظيم، وهي في غاية الإفـادة، وَمَـا أحـسن قوله رحمه الله في المقدمة بعد الخطبة والثناء على الله ما هو أهلُه والصلاة والسلام على النبـي وآله صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

وبَعـــــدُ إنَّ هـــــذه الألفيـــــة ... في نظـــمِ فقـــه الـــسُّنَّة المـــضيَّة
عُـــض عَليهـــا ويَـــديك فاشـــدُدِ ... والـــزم سَـــبيلَ المـــنهج المحمـــدي
فـــإن مَـــنْ يَـــسلك نَهـــج الـــسَّنْة ... قَـــدْ أفَلَـــوُا في هـــذه الدجنَّـــة

---

(١) جِبْلَة: مدينة في جنوب غرب مدينة إب، وتسمى جبلة ذات النهرين، وكان أول من اختطها عبـدالله بـن محمـد الصليحي سنة٤٥٨هـ. (الحجري: المجموع، ج١،ص٣٤) .

(٢) بذاذة في الملبس: غير متكلف، البذاذة رثاثة الهيئة في الحديث عن النبي(ص) البـذاذة مـن الإيـمان، والبـذاذة أن يكون يوماً متزيناً ويوماً شعثاً، ويقال ترك مداومة الزينة. (ابن منظور: لسان العرب المحيط،ج١، ص٨٠) .

(٣) السيرة المنصورية: هي المخطوطة التي نحن بصدد دراستها.

وَأصْبَحوا في ذا السَّواد الأعظم	مُشبهين بالغراب الأعصم
وارتَبَك الناسُ نيل البدع	وخَبَطُو خَبْطاً وكُل يَدَّعي
وَالخيرُ كل الخير في اقتفا الأثر	وإتّباع هَدْي سيّد البشر
فإنه الصراط والميْزان	وكل عَملٍ به يُزَانُ
فما أتى مُوافقاً فلا يرُد	وَكلما خالف هَديه فَرَدْ

وقوله رحمه الله:

واعلم بأنَّ العلمَ ليس يُقْصَدُ	لذاته وَانه لُمرشِدُ
وإنما المقصُود بالعِلْم العَمل	الصَّالح النافع إن وَافَى الأَجل

ثم ذكر مايجب اعتماده وهو حديث جبريل عليه السلام المشهور في تعليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قال «ق٣أ» رحمه الله:

ياربَّنا مِنا فَخذْها جُملاً	ولا تُطالِبَنا بأن نُفَصِّلاَ
فإنه يا ربّ لا عِلْمَ لنا	إلاَّ الذي تَفَّضلاً علَّمتَنا
فَهذه الأبيات في العقيدة	نافعة للأنفْسِ الرشيْدة
وهي التي أنبا بها الرسُول	حين أتى يسأله جبريل
لو فَرَض الله علينا أكثرا	مِنَ الذي أتى به لأخبرا
فَما عَدى مُبتَدَع ومخْترَعْ	والوَيل كُله لمن قد ابتدع
فَمن أراد الابتدَاع قُلْ له	قولك مَردودٌ عليك كلَّهُ
والله قَد أكملَ للأنامِ	دِينَهم فَاشكرُ لذي الأنْعام
فَهَذه الأركان للإيمانِ	كَاملةٌ فالحمد للرحمن
والعِلْم نُقْطَةٌ كما يُقَال	وإنما كَبَّرها الجهَّالُ

وقوله رحمه الله في الخاتمه «ق٣أ» فيما ينبغي للمرء اعتماده:

وإن تُرِد أَن تَبلغَ المأمولا	فيما مضَى فاستحضر الأصولاَ

أَوَلُهَا بأنه لا ضَرر … كلاًّ ولا نَفعٌ علَيه يُقْدر

إلا من الله وإن قدرا … رزقاً ونفعاً شدةٌ وضررا

وَذاك واصلٌ بلا مُحالَه … إليك فاترك هذه البَطَالَة

وإن جرى على يدي إنسان … فَهو بتقديرٍ من الرحمن

واثنان مما جاء في التَّأصيل … إنك عند الملك الجليل

مالك في نفسك من تصرف … بل كله لله ذي اللطف الخفي

وأنه مستقبحُ أن تكرها … ما فعل المولى وإن لم يُشتَها

فهو الذي من والديك أشفق … ومنهما فيك تعالى أرْفَقُ

وهو الحكيم في جميع ما فعل … ولم يرد بذلك الذي وَصَل

اليك إلاَّ النَّفع والصَّلاَحَا … وسوف تحمد السُّرى صباحا

ثالثها الدنيا جميعاً فانية … زائلةٌ والدار الاخرى آتية

باقية وأَنْتَ في ذا الدار … مُسَافِرٌ وصاحِبُ الأَسفارِ

لابد يوماً ينتهي به السفر … حتى يحط الرحل في ذلك المقر

فيستقر ويطيب المستقر … فاحتمل الزاد لذلك السفر

واجتهدن يا صاح بالإصلاح … للدار الاخرى تحظ بالفلاح

وما قصدت جمعَه قد تما … فالحمد للرحمن مولى النِّعْما

فهب له ياسيدي قبُولاَ … وابلغ به طالبهُ المأمُولاَ

وأيها الناظر في نظامي … وسائر الأخوة في الإسْلامِ

اذا رأيتم في النظام خلَلاَ … فأسْبِلوا عَلَيه[٢] سِتراً جَلَلاَ

فإن من خلائق الكرامِ … أن يستروا معائب الأنام

وياعظيم المن والإحسان … اختم لنا بالعفو والإيمان

من علينا منك بالقبول … وجد لنا يارب بالمأمول

نشكو إليكَ ذرب اللسان[1] وَدَرن الذُنوب والعصيان

وقلة الطعم من الحلال وكثرة الحرام والأوجال

وكثرة الجور وإحداث الفتن وَغربة الإسْلام في هذا الزمن

فهب لنا يارب منك رحمه تكشف بها كل بلا وغمه

فما لنا إلا إليك الإلتجا فاجعل لنا من كل ضيق مخرجا

وأهدنا إلى سواء السُّبُلِ واختم بخيرٍ في وفاء الأجل

وصَل دائماً مع السلام على النبي سيد الأنام

وآله من بعده والصَّحب والله في كل الأمور حسبي

وأقول حسْبُه الله وكفى، فلقد أحسن وأبدع وشفى. ولما وقف على هذه المنظومة شيخ الناظم الحافظ اللافظ إمام المعقول والمنقول يحيى بن علي الإرياني استحسنها واستجادها فأنشأ مادحاً لمنشئها ومُقرضاً لها فقال رحمه الله تعالى:

الحمد لله تعالى حَمدَا مكرراً فلَيس يحصى عدا

مَنْ مَنَّ في بعثة خير الخَلْق ليَهْدي الأنَام سُبْل الحَقّ

فأتقن الإحكام بالأحكامِ وشيد السُنَّه بالحسَام

أرسله بذكره والسَّنَّة وَحَثنا على اقتفا ما سَنَّه

ففازَ من يتبعه بالحبَّ من ربنا سبحانه والقرب

فالازم العلوم باتِّباع فالخير كل الخير للتُّباع

والويل كله لمن قَد ابتَدع فما لنا غير النبي قد شرع

شر الأمور محدثات البدعة وكلما خالف نهج السنة

أحمدُه وهو ولي الحمد والحمدُ أعلى خلُق للعبد

---

(١) ذرب اللسان: الذَّربُ الحاد من كل شيء، ذرب الرجل اذا فصح لسانه، ولسان ذرب حديد الطرف (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص١٠٦١).

(٢) فأسبلوا عليه: أسبل إزاره أرخاه، وأسبل الفرس ذنبه أرسله، وأسبل ثيابه إذا طولها وأرسلها إلى الأرض، والمقصود هنا إسباله بالستر. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٩٢).

ثم صلاة الله والسلام ... على الذي للأنبيا ختام
وآله وصحبه الكرام ... ما أضحك الروضَ بكا الغمام
وبعده .... الفريدة ... منظومة عقودها نضيدة
كروضة برية ندية ... زاهرة زاهية عذية[2]
فائقة في الحسن والإحسان ... صحيحة الألفاظ والمعاني
«ق٣ب»للعالم العلامة النبيل ... مُتبع السنة والتنزيل
من فاق بالتحقيق والإتقان ... عليّ المدعو بالإرياني
بلغه يا ربنا الأماني ... مصاحباً بالأمن والإيمان
فيالها قصيدة مفيدة ... ودرة يتيمة فريدة
جامعة أحكام سيد البشر ... فايقة نظم الدراري والدرر
يا طالبون للحديث النبوي ... والمذهب المدني إلى الرب القوي
عليكم بهذه الأرجوزة ... فإنها جوهرة عزيزة
ولا تقل شهادة من والدٍ ... فالشمس لاتخفى بجحد الجاحدِ
عظوا على ذا النظم بالنواجد[1] ... لأخذه من أشرف المآخذ
إن رُمتم المشي على خير سنن ... فلازموا الذي أتاكم في السنن
وما خلى فالمجتهد مُصيبُ ... كُلٌّ له من أجره نصيب
إن الحديث علمه قد انطوى ... بِسَاطه وقد ذهب منه الروى
وفي هذه الأعصار والأمصار ... لم يبق إلا الفرد في الأقطار
ولم نجد في عصرنا والقطر ... مُعترفاً من فيض هذا البحر
سوى عَليٍّ زاده الله عُلا ... مُنَوهاً بفضله بين الملأ
يامن له كل سَنَاء وسنا ... ومن على فوق المحامد والثنا

---

(١) عَذِيَّةٌ: أي طيبة (المنجد: ص٤٩٤) .

(٢) النواجذ: أقصى الأضراس وهي أربعة في أقصى اللسان بعد الأرحاء وتسمى ضرس الحلم لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل. (ابن منظور: لسان العرب ج٣، ص٥٨٤) .

وعالم الإسرار والإعلان احفظ علينا فطرة الإيمان

قد سَآئت الأمور والأحوال وخابت الظنون والآمال

فرج على العباد والبلاد ومَزِّقَن عصابة الفساد

أنشده ذو العجز والنسيان يحيي سليل على الإرياني

أمده الرحمن بالتوفيق ليسْلكنَّ واضح الطريق

يا ربنا فامنن بحسن الخاتمة فهو الذي نفسي عليه حالمه

حرر هذا في ربيع الأولِ شهر تشرف بالنبي المرسل

في عام سبع وثلاث عشرة سنين تمت من لدن الهجرة

وأفضل الصلاة والسلام على الذي طاب به ختام

محمد والآل والأصحاب ومقتفي السنة والكتاب

وقد قرض هذه المنظومة غير من ذُكر، تركتها اختصاراً واكتفيت بهذا التقريظ فهو أعْدل شاهد في هذا الإمام الناقد. وله منظومة في الآداب النبويَّة والحكم الشرعية سماها (تحفة الندماء في سيرة الحكماء) أولها:

أحمد من شرفنا بالحكمة وخصنا فضلاً بخير قسمة

وهي في غاية الإفادة. وله قصيدة بليغة سماها الإفادة في ذكر الأئمة السادة أولها:

تالله ما حلتُ لكم عن وداد لو قطعوا جسمي وصَالا وداد

ياآل بيت المصطفى حبكم قصدي ومطلوبي وكل المراد

أعيش ما عشت محباً لكُمْ وبعد موتي حبكم خير زاد

إلى أن قال:

فرأسهم يعسوب أهل التقى عَليٌّ الكرّار يوم الجلاد

المرتضى صنو نبي الهُدى وَصّيه حيدرة[1] خير هاد

---

(١) حيدرة: هو اسم من أسماء الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه. وحيدرة اسم من أسماء الأسد. فقد قيل عن الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه أنهم سمعوه يوم خيبر ينشد: =

ثم ذكرهم إماماً إماماً إلى أن ذكر إمام عصره المنصور بالله قدس الله سره آمين.

والختم بالعُمْدة في عصرنا	عماد دين الله وابن العماد
إمامنا المنصور غوث الورى	وَمَلْجَأ الخلق إذا الخطب ماد
قد جدد الدين وأعلامهُ	وأوضح الحق سُبْل الرشادْ
وجمع الدين وقد أصْبَحَتْ	شرائع الدين بداد بداد[1]
فاتَّبِعُوه واقتَفُوا أثره	ولو إلي ما خلف بَدل العماد
ولازموا طاعته تَسْعدوا	وناصروه كي تنالوا المراد
فإنه حُجّة رَبِّ السّما	ومن أبى فلينتظر ريح عاد
وعن قريب تذكرون الذي	قلت لكم فانتظروا للحداد

وله مرثية بليغة وموعظة حسنة للعلماء الذين وقعت وفاتهم في ابتداء القرن الرابع عشر وقبله بيسير، فشرع[2] بعلماء ضحيان[3] ثم الأهنوم[4]ثم صنعاء[5] ثم ذمار[6] ثم اليمن الأسفل ثم زبيد، وكان عازماً على شرح أحوال من تضمنته تلك المرثية فجاءه الأجل.

«ق٤أ» وأولها:

حزن يطول وعَبره لاتُقلعُ	ونوائبٌ في كل حين تُفزعُ

أنا الذي سمتني أُمي حيدرة كليث غابات كريه المنظره

علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي: ترجمة حياة الإمام علي، تحقيق الشيخ محمد باقر، ص٣٠) .

(١) بداد بداد: أي واحداً واحداً. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص١٧٢) .

(٢) فشرع: أي بدأ وهي عامية.

(٣) ضحيان: هجرة مشهورة من بلاد جُماعة في مدينة صعدة. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٥٢) .

(٤) الأهنوم: ناحية معروفة شمال غرب صنعاء. وهي همدانية حاشدية وأشهر مدنها هجرة مَعْمَرة وعُلمان والمدام وشهارة الأمير. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، ج١، ص٩٥؛ المقحفي: المعجم، ص٦٠) .

(٥) صنعاء: عاصمة اليمن وأكبر مدنها، وهي مدينة تاريخية هامة. ويصل تعداد سكانها حوالي نصف مليون نسمة، وتقع وسط الهضبة اليمنية على ارتفاع حوالي ٢١٥٠ متراً. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٥٨٣) .

(٦) ذَمّار: مدينة مشهورة جنوب صنعاء، ترتفع عن سطح البحر بحوالي ثمانية آلاف قدم. (الحجري: مجموع بلدان اليمن،ج٢، ص٣٤١) .

مَاتَ الذين هُمُ بدورٌ في الورى ونجومُ علمٍ في البَرِيّة تَسْطَع
بكتِ السماء عليهم والأرض قد أمست لأجل فراقهم تتوجع
والعين بعدهم كأنَّ حداقها سُملت بشوك فهي عورا تدمع
أهَلَ المدَارسِ والمعَالم من بهم كان البلاء عن البرية يُدفَعُ
وراث علم المصطفى خير الورى منهم رئيس العالمين الأبرع
العنتري الحبر مصباح الدجى بحرٌ خِضمٌ بالفضائل مترعُ

إلى أن قال رحمه الله:

هذا هو الخطب الجليل بلا مِرَا منه القلوب جميعها تتقطع
صدق الرَسولُ بما يقول وأنه لابد أن العلم حقاً يُرفع
لم يُبق هذا الدهر غير حثالةٍ مالوا إلى حب الحطام وأجمعوا
فإذا دعى داعي الإله تثاقلوا وإذا دعى داعي الدنية أسرعوا
قد رقعوا دنياهم فتمزقت بهُم الحياةُ تَمزقاً لا يُرْقَعُ
فالعَالِمِ النحرير فيهم تايهٌ متكبّرٌ متجبرٌ مُتَصِنّعٌ
والزاهد الصوفي فيهم راغبٌ يسعى لتحصيل الدني ويجمع

وله رسالة مفيدة في أحكام التجارة وآدابها تغني عن مجلدات. وله رسالة مفيدة في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[1] ثم نقل كلام المفسرين وتعقبهم كل منهم، وأتى بكلام في غاية التحقيق والوضوح. وهو إذا تكلم في أي بحث كان لم يَحْتَج الناظر إلى غيره. وله رسالة سماها (كشف الهالة عن مسألة الإقالة) وله رسائل عديدة وجوابات مفيدة، ولكنه كان لا يكترث بجمع ذلك بل يُلقي متساقط في غير محل الحفظ، وشِعْرهُ في الذروة العليا بل السهلُ الممتنع، ولو جُمع لكان مجلداً ضخماً، وله في الهزليات والمداعبات ما يفوت الحصر ولو جَمعتُ ما كَتَبَ إليَّ لكان شيئاً كثيراً، فما من كتاب إلا وفيه قطعة من شعره ينشئه حالاً من غير تكلف ولا تجشم، فمما كتبه إليَّ. وقد أهديت إليه

(١) سورة النحل آية رقم٩٠ وتمامها ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

بكتاب: «الفوائد المجموعة في الآحاديث الموضوعة»[1]، قوله:

خــل عــن ذكــر الغــزالِ الأحــور	وأَدِرْ ذكــر الحبيــب الأكــبر
عَلَــم الأعــلام والطــود الــذي	ظهــرت أنــواره في البــشر
صــاحبي في الله حقــاً وأخــي	وحبيــي نــور عينــي بــصرى
فخــر الاســلام وشــمس الــدين مــن	جــده الحــبر الهــمام العيــزري
حفــظ الله تعــالى رُوحــه	ووقــاه مــن جميــع الــضرر
ثــم لازال محيــاً دائــماً	بــسلام بالثنــاء العَطِــرِ
ورعــا أخلاقــه الغــر التــي	عَرفهــا أزرى بمــسك إذفــر
حــين وافــاني كتــاب مــنكم	مُخــبراً لي بجميــل الخــبر
بأيــادٍ منــك قــد أسـديتها	شــكرها يلــزم بــاقي عمــري
صــار مكتوبــاً يــأتي عنــدكم	مثــل نقــش في صــميم الحجــر
وبيــوم الحــشر يُرجــا أجــركم	مــن كــريم عَــالمٍ مقتــدر
يــأخي أوصــيك بالــصبر عــلى	صَرْفِ دهــرٍ ولــع بــالغير
والــزم الــسُنة لا تتركهــا	وعليهــا دائــماً فاصــطبر
ثــم لازلــت بعــيش نــضر	لــيس يــسقى صــفوه بالكــدر
وعلــيكم دائــم نازلــة	بركــاتٌ مثــل غيــثٍ ممطِــرِ

قلت وفيها غلوٌ اللهم غفران. وما أحسن قوله رحمه الله مرثياً لشيخه العلامة يحيى بـن علي الإرياني المتوفي في شهر شعبان سنة ١٣١٣[2]:

ألا أي خطــب جــلّ فــامتنع الغمــض	وأضـلمت الأكـوانُ والطـولُ والعَـرضُ
ونــادى المنــادي في البلائــد كلهــا	كـذلك مــن أطرافهـا تـنقص الأرضُ
لمــوت الــذي أحيــا العلــوم بأسرهــا	وتـم لــه التحقيــق والكــرمُ المحــضُ

(١) "الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضـوعة" اسـم كتـاب لـشيخ الإسـلام القـاضي العلامـة محمـد بـن عـلي الشوكاني، المتوفي سنة ١٢٥٠هـ (الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج الثاني، ص٢١٩).

(٢) ١٣١٣هـ-١٨٩٥م.

«ق٤ب»

أبعــد عــماد الــدين يــدعى مُجّمــعٌ وقـد شـهدت كـل الـورى أنـه محـض

فقــل لفنــون العلــم تبكــي دماءهــا فقـد نالهـا مـن بعـد إبرامـه الـنقضُ

عليـه مـن الرضـوان أفـضل مَلْـبَسٍ إلى أن يكـون الحـشر والنـشر والعـرضُ

وقوله رحمه الله في الوصايا الحكيمة والحث على مكارم الأخلاق وترك مالا يعني:

مــآل ماتــشتهيه الأنفــس التلــف ولا يــرد عليــك الفائــت الأســفُ

وبــالتقى يبلــغ الإنــسانُ مأرَبَــهُ وبــالقنوع يُنــالُ العــز والــشرف

واحـرص عـلى العلـم إن العلـم مكرمـة واحــذر بــأن تَعْــدُ عــما قالــه الــسَّلف

واحــذر طريقــة أهــل الابتــداع ومــن عن مـنهج العـدل والتقـوى قـد انحرفـوا

ولا تــسبن قومــاً بالهُــدى ســبقوا فكلهـم عنـد ربَّ العـرشِ قـد وقفـوا

فالمحــسنون ســيجزيهم بــما صــنعوا والمــذنبون ســيجزيهم بــما اقترفــوا

وبــاب مــولاك فــالزم قرعــه أبــدا فــما مــن الله إن ضــيعته خَلــفُ

ولا تغرنــك الــدنيا وزخرفهــا فَإنهــا بــسراب القــاع تَتَّــصِفُ

وقوله رحمه الله وقد بلغـه تحـرك الفـرنج خـذلهم الله مـن الـضالع[1] إلى الجليلـة وجبـل جحاف والعجة من جهة بلاد الشرف، قلت وخبر هؤلاء الفرنج[2] أنهم قد تحيلوا على أخـذ بلاد الإسلام شيئاً فشيئاً من دون حرب بنوع من الشطارة، يدفعون البراميل إلى المجـاورين لهم من ولاة العجم ويكتبون بالشكايا إلى السلطنة لمشاورة أوليـائهم في محـل المملكـة بأنـه مضيَّق عليهم في مرافقهم ومناهلهم من جهة والي اليمن، فتخرج الكـشَّاف لنظـر الحـدود، والكشاف من ذلك الطراز، فيعطون أميال من الأرض وتوضع الأعلام وتضرب الحـدود، ثم يستقروا مدةً ويتحركوا، ثم كذلك فضحت الخليقـة المجـاورة لهـم، وغـيرهم مـن هـذا الصنع، حتى اضطر العجم إلى إظهار العداوة الصورية، وأظهروا الغيرة وحـشدوا مـشايخ اليمن وأتباعهم، لمّا أخذ الفرنج الجليلة بالحرب فلما تراءى الجمعان حـصل الوفـاق ووقـع

(١) الضالع: مدينة في ردفان جنوب قعطبة تبعد عن عدن حوالي ٩٦ميل. (الحجـري: مجمـوع بلـدان الـيمن، ج٣، ص٥٥١؛ المقحفي: معجم البلدان، ص٤٠٤) .

(٢) الفرنج: المقصود هنا هم الإنجليز الذين كانوا يحكمون عدن والمحميات الجنوبية.

القبض على الشيخ محمد ناصر وأُطلع إلى صنعاء مضيقاً عليه. وأخبرني الشيخ عبدالواحد بن محمد بن قاسم، أنه من جملة النازلين للجهاد ومعه جماعة وافرة من العسكر، ولا يظن إلا أنه الجهاد. فلما رأى ذلك الصنع خاف على نفسه وأَسَرَّ إليه بعض رؤساء العجم أن سبب القبض على المذكور ترويعه الدولة الفخمة، (قح) [1] يبقى الخاص والعام أنهم شيء واحد وأن قصارى أمرهم الخباثة ورأس مالهم الدياثة، ثم أنهم ألزموا سائر مشائخ تلك الجهات بأنه إذا صار منهم أدنى حركة نالهم ما نال المذكور فأماتوا قلوب العرب، واستجلبوا مابه العَطَب، وقد مهدوا لهم غاية التمهيد فترى رعية الدولتين طرفي نقيض. هولاء قد سُلبوا أموالهم، وهولاء ليس عليهم غير الطاعة بل لهم «ق٥أ» مقررات فانظر إلى هذا الصُنع، والقصيدة أنشأها رحمه الله من باب تجاهل العارف، وعمَّ أهل الإسلام قاطبة ومنهم العثمانية، وهي:

علام يلام الدمع إن صار سائلا ... وفيم يلام القلب إن ظل ذاهلا
وقد أصبح الإسلام في كل بلدةٍ ... غريباً وحيداً موحش الربع خاملا
تناوشه الأعداء من كل جانب ... فهم دائماً يبغون منه الغَوائلا
أرادوا معاذ الله هدم بنائه ... وأن يقفروا منه الرّبا والمنازلا
ولم يبق من أعوانه غير فرقةٍ ... عثاء غُثا القطر إن بات سائلا
فما رفعوا رأساً لنصرة دينهم ... ولاقوموا منه الذي صار مائلا
وما همهم غير الحُطام وجَمعِه ... يرون البخيل الخب شهماً وفاضلا
فيَاويح أهل العلم كيف تغافلوا ... وصاروا يريدون الدنية عاجلا
رضوا بهوان لا يزول وذلة ... وأصبح جيد الدين والعلم عاطلا
لقد دَاهنوا أهل المَعاصي ورخّصوا ... لهم حُرمات الله جل تَسَاهُلا
فمن شاء منهم يستحل محرماً ... أقاموا على ماقد أقام الدلائلا
فهذا هو الداء العُضال الذي غدا ... به غصن دين الله في الناس ذابلا
فقل لبني الإسلام في كل منهل ... أفيقوا فإن الخطب قدصار هائلا

(١) (قح) : هكذا وردت، واحتمال أن تكون هي كلمة (صح) المعروفة، ونرجح أن تكون هنا(حتى) .

أقلــوا أقلــوا واذكــروا الموقــف الــذي	تلاقونـــــه يـــــوم القيامــــة آجــــلا
لعمــري لقــد أيقــضت كــل موفــق	ونبهــت في ذاالقــول مــن كــان غــافلا
مِــن العــرب العربــاء والــسَّادة الأولى	بنــصرتهم قــد أصــبح الــدين كــاملا
مـــــن زمـــــرِ الأروام قـــــومٌ اعِـــــزَّة	هُــمُ النــاس كــل النــاس حزمــاً ونــائلا
جحاجحـــة مـــن آل عـــثمان مجـــدهم	عــلى هامــة الجــوزاء قــد صَــار طــائلا
فـــما زال مـــنهم ماجـــدٌ بعـــد ماجـــدٍ	يكـــون لـــدين الله كهفـــاً ونـــائلا
ولكـــنهم قـــد داهنـــوكـــل كـــافِرٍ	وصــاروا حمــاً للملحــدين وســاحِلا

ولما وقف عليها الإمام المنصور بالله قدس الله سره أستجادها وزاد البيت الأخير. قلت: يرحم الله المنصور ما كان أغيره في ذات الله وأصدعه بالحق ولنرجـع إلى صـاحب الترجمـة فنقول: لما وقع الحصار على صـنعاء سـنة١٣٠٩هــ(١) وأُخِـذ جميـع المـأمورين مـن العجـم وأتباعهم من ذمار ويريم(٢) وضوران(٣) وغير ذلك، إلى أن بلغ الحـصار عـلى إِبْ(٤) وخطـب للإمام المنصور في جميع هذه المدائن كما هو مشهورٌ ومذكور في السِّيرة.

وفَدَ صاحب الترجمة على الإمام هو وصـنوه شرف الإسـلام حـسين بـن عبـدالله(٥) فقـابلهم الإمام بأحسن قبول، وكان الإمام إذ ذاك بجبل الأهنوم ومكث لديه أياماً قلائل وعـاد إلى بيتـه. ولم تزل الهجرة ومرافقة الإمام نصب عينيه ولم يطب له عيش، وكان كثير اللهج بـذكر ذلـك، لا جرم حقق الله أمله وبلغه أمنيته، فهاجر وتمم الله هجرته، ومات مهاجراً حميداً فقيداً، مع أنه كان في بيته في عزٍ وجَلال وثروةٍ من المال. فكان من أسباب الهجرة أن صاحب الترجمة لما بلغه خروج

---

(١) ١٣٠٩هـ ١٨٩١م.

(٢) يريم: هي يريم يحصب جنوب صنعاء، وفيها بلاد خبان والكثير من القرى والعـزل (الحجـري: مجمـوع بلـدان اليمن، ج٤، ص٧٧٩).

(٣) ضوران: مدينة مشهورة في جبل آنس محافظة ذمار (الحجري: مجموع بلدان اليمن، ج٣، ص٥٥٤).

(٤) إب: مدينة مشهورة جنوب غرب صنعاء وتشمل العديد من المخاليف. (الحجري: المجموع، ج١، ص٣١).

(٥) حسين بن عبدالله: الإرياني (شرف الإسلام) أي أخو كاتب السيرة مولده سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م درس على يد مجموعة مـن علماء عصره أشهرهم القاضي العلامة يحيى بن علي الإرياني، والسيد محمد بن أحمد بن عبدالباري الأهدل، والـسيد سـليمان بن محمد، والسيد داوود حجر القديمي، والسيد زيني دحلان، اشتهر بالتفنن الذكاء، ولـه شـعر حـسن، هـاجر مـع أخيـه القاضي العلامة علي بن عبدالله الإرياني إلى الإمام المنصور. (زباره: نزهة النظر، ص٢٦٤).

سيدي العلامة «ق٥ب»أحمد بن قاسم حميدالدين[١] والسيد الماجد محمد بن المتوكل[٢] بجيش كثيف من حاشد[٣] وبكيل[٤] في شهر صفر ١٣١٦هـ[٥]، وكان خروجهم إلى الروضة[٦] وأخذهم شيخ بني الحارث مقبل دغيش والقصة مشهورة. كتب قصيدة بليغة إلى سيدي أحمد بن قاسم ودفعها إلى الرسول وحذره دخول يريم، فسمع بطلوع الرسول بعض الحثالة من قرابة صاحب الترجمة، فكتب إلى الشيخ أحمد البحم إلى يريم مخبراً له بطلوع الرسول، وكتب مع الرسول وأمره أن يدخل يريم، فدخل الرسول يريم فاعترضه بعض أعوان الشيخ أحمد وأخذ القصيدة، وخلاّ سبيل الرسول فعرف أنه قد تشوّر فيه[٧]. وكان هذا

---

(١) أحمد بن قاسم حميدالدين: شاعر ومقدمي من أسرة آل القاسم، ولد في قرية القابل في صفر ١٢٧٧هـ، من أساتذته الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد، والسيد أحمدبن محمد الكبسي، عاصر الإمام المحسن بن أحمد، والهادي شرف الدين، والإمام المنصوربالله، والإمام يحيى بن الإمام المنصور وعاضدهم وساندهم جميعاً، ويعتبر من أهم المقادمة العسكريين في عهد هؤلاء جميعاً، وفي عهد الإمام يحيى تولى الكثير من المناصب الإدارية في رداع وآنس. وحارب مع الجيش اليمني أثناء الحرب اليمنية السعودية. كانت وفاته في قرية القابل ١٢ ربيع الأول١٣٥٣هـ. (زباره: نزهة النظر، ص١٢٠، أحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى حميدالدين: نظم أجود الأحاديث المسلسلة، ص٣٤، تحفة الإخوان: عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، ص٥٣).

(٢) السيد الماجد محمد بن المتوكل: هو ابن الإمام المحسن بن أحمد بن المتوكل وأحد قادة الإمام المنصور محمد بن يحيى حميدالدين، يعتبر من ذوي الوجاهة والمكانة وجمع ثروة عظيمة كان أديباً شاعراً حكيماً كريماً. ينتهي نسبه إلى المتوكل على الله المطهر بن يحيى، ولد في حصن ذي مرمر سنة ١٢٨٠هـ حفظ القرآن ومن أساتذته محسن شمار، والقاضي سعد بن محمد الشرقي والسيد حسن بن علي ساري، والإمام المهدي محمد بن قاسم الحوثي، حارب المكارمة في عهد والده، وتولى قيادة الجيوش وحاصر الأتراك في كل جبل ومنطقة، وفي عهد الإمام يحيى عمل عاملاً على مدينة رداع مدة، ثم ترك الوظيفة واستقر في مستقر رأسه في مدينة السودة وأحياناً في قرية الخمري في حاشد. توفي فجأة في تاسع محرم ١٣٥٢هـ، عن أربع وسبعين سنة. (زبارة: نزهة النظر، ص٥٧٤).

(٣) حاشد: من قبائل همدان، وحاشد هو أخو بكيل، وأول بلد حاشد من الجراف والرحبه وذهبان فعُشر فعلمان إلى حدود حاز والخشب، وحاشد تنقسم إلى أربع بطون صريمي وخارفي وعصيمي وعذري. كلها شمال صنعاء، وتشمل العديد من القرى والعزل والمدن. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، ج٢، ص٢١٣).

(٤) بكيل: من قبائل همدان، بنو بكيل بن جشم سأو حاشد بن جسم وبلاد بكيل ما بين صنعاء وصعدة، في الجانب الشرقي. من نواحيها أرحب وبرط، ونهم والجوف وهمدان الشام ومرهبه وناحية عيال سريح وريده وجبل عيال يزيد، وأصل قبائل بكيل أربع كما سجله أهل الأنساب. ١أرحب ٢نهم ٣مرهبه ٤شاكر. (الحجري: المجموع، ج١، ص١٢٥).

(٥) ١٣١٦هـ ١٨٩٨م.

(٦) الروضة: اسم مشترك بين عدد من الأماكن في اليمن، أشهرها روضة أحمد شمال صنعاء، وتدعى روضة حاتم، وهي احدى ضواحي صنعاء. (المقحفي:معجم البلدان، ص٢٨٤،الحجري: المجموع،ج٢،ص٣٧٣).

(٧) هكذا وردت.

الشيخ أحد العتاة الظلمة.وكان القضاة قد نصبوه شيخاً عليهم استكفاء للأذية، فأظهر في ابتداء أمره الرفق والعدالة حتى إذا تمكن، أظهر من الجور مالا مزيد عليه.وكان يقبل شفاعة صاحب الترجمة ويمتثل أمره، فسعى بالوحشة بينهما بعض الحثالة أيضاً، فوافقت غرضاً للشيخ، فتفاحش ظلمه ولم يسمع لأحد قولاً وكاد أن يستأصل القضاة، فضلاً عن الضعفاء والمساكين فكان من الطاف الله بصاحب الترجمة مباينة هذا الظالم الغشوم فالشر كل الشر في مخالطة هؤلاء العرفاء[1] . والخير كل الخير في مباينتهم، فجُلّ أمورهم جارية على غير الحق ومن يسد البحر إذا انبثق.فظن هذا المخذول أنه بقبضه القصيدة قد بلغ مأربه، مع أنه قد أودع صاحب الترجمة أوراق ومكاتبات من المنصور بالله فكان كالمحال عند صاحب الترجمة إظهار القصيدة، فغلب طبعه الوخيم وعنصره اللئيم إلا إظهار ذلك، وأخذ شواهد ومضابط من أعوان الظلمة وأهل يريم ، أنه خط صاحب الترجمة وإنشائه. فقيل لصاحب الترجمة ألا تجازيه بإظهار مالديك من الأوراق، فقال هيهات«أدّ الأمانَةَ إلى من ائتَمَنَكَ ولا تَخُنْ مَنْ خانك» [2] . ولم يزل يتهدده بالقصيدة وأنه سيطلعها إلى الباشا. وفي أثناء هذه الأيام وصل الشيخ عبد الله بن حسين بن أحمد صلاح وصحبته جماعة للمراجعة وإصلاح ذات البين، وكنت إذ ذاك هنالك في إريان وعفا صاحب الترجمة عن جميع مطالب العجم فلم يساعده إشفاقاً على الضعفاء. ومرام الشيخ استئصالهم. ورجع الشيخ المذكور إلى يريم. ثم بعد أسبوع أقبل الشيخ البحم بقضه وقضيضه[3] من العرب والعجم يريد الأذية لصاحب الترجمة فتنحّا إلى بني عمر منتظراً مايؤول إليه الأمر.ولما علم البحم برحيل القاضي من بيته، رجع إلى يريم ثم شاعت الأخبار بوصول حسين حلمي باشا[4] من السلطنة والياً على

(١) العرفاء: مفردها عريف: القيِّم بأمر القوم أي النقيب من دون الرئيس أي قائد عشرة، وهي رتبة عسكرية (المنجد،ص٥٠٠) .

(٢) حديث (سنن أبي داود،الجزء الثاني،ص(٢٦٠) .

(٣) بقضه وقضيضه: أي جاؤا بجمعهم لم يدعوا وراءهم شيئاً ولاأحداً (ابن منظور:لسان العرب،ج٣،ص١١٠) .

(٤) الوالي حسين حلمي باشا: قدم إلى صنعاء عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م وكان من الولاة الأكفاء، متضلعاً في العلوم والمعارف، مشجعاً للعلم، وعلى إثر وصوله إلى صنعاء قام بتوزيع الصدقات التي حملها من السلطان، من أهم أعماله عزل الموظفين المرتشين، استقبال الشكاوي وازالة المظالم حرص على سجن الياور محمد هاشم ومرزاح ثم ترحيلهما إلى سوريا. أسس إدارة مستقلة للمعارف ، وعمل على انشاء المدارس الابتدائية والثانوية ومكتب الصنايع، أخذ في تقريب أهل العلم والفضل. وكان له مجلس استشاري، من سياسته التقرب إلى الشعب =

اليمن. ووصلت الإعلانات منه إلى جميع المحلات بأنه يريد إزاحة أهل اليمن عن جميع المظالم، وليس عليهم سوى الحقوق الشرعية والعفوعن أهل الجرايم، وعن جميع مطالب الدولة. فلما رآها صاحب الترجمة بادر بالطلوع إلى صنعاء، طمعاً بالعدالة والنصفة واغتراراً بذلك السراب، فلما علم الشيخ المذكور بذلك استصحب معه القصيدة والمضابط[1] وطواها إلى صنعاء في يومين واتفق الجميع بصنعاء «ق٦أ» فحضروا لدى الباشا ووقعت المشاجرة فدفع الشيخ القصيدة إلى الباشا فلما قرأها استشاط غيظاً وأمر صاحب الترجمة أن يكتب في أسفلها لينظر شبه الخط، فكتب وقد عرف أنه الكاتب والمنشئ، وعلى المريب شواهد لاتُدفع، وكان صاحب فراسة خارقة، فبينما هم حال المخاصمة إذ بدخول السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي[2] رحمه الله فتكلم على البحم بكلام فظيع والتفت إلى الباشا وقال إن هذا مفتر كذاب وأن القضاة بمعزل عن هذا، فقلل من سَوْرة عدو الله أن يأخذه بسرعه. وقال ليستريحوا إلى غد ويعودوا إلى المحاكمة إجلالاً لسيدي أحمد ولطفاً بصاحب الترجمة فانه خرج من لهوات الأسد[3] ، ثم إنه حضر بينهم عقيب الخروج من يريد الإصلاح فأنعم الشيخ وطلب الإذن من الباشا فقال أما في هذه المادة فلابد من المحاكمة وهو عازم على حبس صاحب الترجمة، فجاء إليه من أنذره وقال أن (الملا) [4] فخرج من

لاستمالة عواطفه، فقد أمر الموظفين بلبس العمائم، عزل عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م (محمد أحمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني/ ج الأول/ ص٤٨٩) (الجرافي: ملحق لحوليات الجرافي تحقيق د.حسين العمري،ص٢٣٧) .

(١) المضابط: كشوفات خاصة بالمقررات الشهرية التي كان الإمام يقررها لأصحابه.

(٢) السيد أحمد بن محمد الكبسي: مولده بصنعاء (١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م) أخذ علومه من والده ومن علماء عصره حتى صار مرجعاً ورئيساً للعلماء، وقد ترجم له معاصره القاضي الحافظ الحسن بن أحمد عاكش التهامي الضمدي في كتابه (عقود الدرر) ،كانت له أياد بيضاء في حل المشاكل في صنعاء، وكان ممن جمع العلماء والناس في حرب الباطنية في عهد المحسن بن أحمد الشهاري، في بداية حكم الأتراك لليمن حاول مقاومتهم، لكنه آخر الأمر ركن إلى الدعة ودخل صنعاء بعد ان قرر له الأتراك مرتباً شهرياً واستقر في صنعاء ناشراً للعلم والوعظ والإرشاد، وقد كان ممن سجن في عهد الوالي مصطفى عاصم. حتى تم إطلاق سراحه فعكف على احياء العلم حتى وفاته في ذي القعدة ١٣١٦هـ (زبارة:نزهة النظر ، ص١٤٣؛الجرافي: الحوليات،ص٢١١.

(٣) لهوات الأسد: اللهوات أي اللحمة المشرفة على الحلق، والمقصود هنا أنه أُخرج من حلق الأسد، أي كان وضعه محرج وفتاك.(ابن منظور:لسان العرب، ج٣،٤٠٦) .

(٤) الجملة ناقصة ومبتورة في الأصل.

فوره إلى القرية هو وصنوه الشرفي على تخوف من دون راحلة قائلاً: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [1] ثم خرج من القرية [2] وأمسى بالمنجدة[3] من طرف البون[4] بعد نصب شديد لعدم الراحلة[5] وما يحتاج إليه ، ثم إلى ريدة[6] ثم إلى خمر[7] ، مع أن الشيخ الذكور قد وضع عليهم العيون فأعماهم الله وعمّا عليهم الأخبار، ثم أني وصلت إلى صنعاء وصحبني ضياء الإسلام حمود بن حسين بن عبد الله يوم خروجهم من صنعاء، فأما حمود فوجد الراحلة والأثاث ورجع فوراً إلى أهله،وبقيت في صنعاء نصف شهر، وكتبت إلى صاحب الترجمة إلى خمر علماً مني أنه لايتعدى تلك الجهة فأجاب عليّ أنه قد عزم على الهجرة واللحوق بالإمام. فحمدت الله على ذلك وعلى سلامته من تلك المهالك.

وفي خلال هذه الأيام تردد إليّ جواسيس الشيخ، وأكثروا من السؤال عن القاضي ظناً منهم أنه مستخفٍ، ثم سألني بعض خواص الشيخ عن مستقره فقلت لعله نزل إلى إريان ليأتي بالأوراق الوديعة للشيخ عنده ليطلع الباشا على ذلك، فأُخبِر الشيخ بذلك، فضاقت عليه الأرض بما رحبت وبقي قدر أسبوع لاينام في ليل ولايهدأ في نهار، حتى ظهر به آثار السوداء ، ثم بعث رسالة إلى جميع المحلات التي هي مظنَّة وجود صاحب الترجمة فيها حتى أُخبرأنه في خمر، فهان عليه الخطب بعد خوف شديد.

---

(١) سورة القصص، آية رقم٢١.

(٢) القرية : المقصود بها قرية القابل، وهي قرية من قرى بني الحارث أسفل وادي ضهر القريبة من صنعاء.(الحجري:المجموع،ج٤،ص٦٤١) .

(٣) المنجدة : قرية من عزلة خميس القديمي، ناحية خارف، محافظة صنعاء(التعداد،ص٢٤١) .

(٤) البون :حقل زراعي واسع في هَمْدان شمال صنعاء، ويشمل العديد من القرى والمزارع أشهرها رَيْدَه وعمران.(الحجري، المجموع،ج١،ص١٣٠) .

(٥) لعدم الراحلة : والمقصود عدم وجود الراحلة، وهي إحدى حيوانات الركوب.

(٦) رَيْدَه : اسم مشترك بين قرى كثيرة منها ريدة الصعر في حضرموت، وريدة العُبّاد، وريدةالحَرَمية، وريدة وريد عزلتان في ذي سفال،وريدةجبل في يريم، والرّيدوذي الريد من قرى خبان. والمقصود هنا ريدة البون وهي شمال صنعاء.(الحجري: المجموع: المجموع، ج٢، ص٣٧٤) .

(٧) خمر : مدينة مشهورة من حاشد شمال صنعاء.(الحجري،ج٢،ص٣١٠) وهي ناحية تشمل العديد من العزل والقرى ضمن محافظة صنعاء. (التعداد العام للسكان لسنة١٩٨٦م، ص٢٠٤) .

قلت : وأما صاحب الترجمة فوصل إلى الإمام إلى القفلة[1] فأكرمه غاية الإكرام وألحقه بالخاصة حتى غبطهم الخاص والعام كيف لا:

قوم هم الناس لا يشقى جليسهم ... فانزل بهم أن تُرد أن تعرف الناس

ملوك مناخ العز في عرصاتهم ... ومثوى المعالي بين تلك المعالم

وبقي هنالك هو وصنوه العلامة شرف الإسلام في عز وجلال ورفعة واحترام، وأما بيوتهم فحفظها الله بحفظه وكلاها بوقايته بعد أن جد الشيخ المذكور واجتهد في تخريبها فمنعه الله. وسألني بعض عيون هذا الباشا عن حال المذكورين فأخبرته أنهما في سكون ماسكنت عنهم الدولة فألقاها في أذن واعية.

وبذكر هذا الباشا نشير إلى طرف من أحواله فنقول: لما دخلت سنة ستة عشر وثلاث مائة وألف(١٣١٦) [2] واضطربت فيها أحوال اليمن واشتعلت فيه نيران الفتن، كما هي عادته من قديم الزمان، وذلك بسعي الإمام المنصور قدّس الله سره وأشرف أمر العجم على الذهاب حسبما قدمنا ذكره. وكان القحط قد عم سهل اليمن وجبلها حتى بلغ قيمة القدح الطعام ثمانية ريال، وهلك من العرب بشر كثير، لأن العجم سلبوهم مابأيديهم وادّخروه، فانتخب السلطان لليمن أحد رجال الدولة ودهاتها حسين حلمي باشا المذكور، وأصحبوه ستة أنفار[3] المسمون بالهيئة الإصلاحية ولهم رئيس ذو لحية بسيطة، ودعوى في العلم عريضة، وله حرص على شراء الكتب بأبلغ قيمة حتى حصل له بهذه الأفعال الامتداح ببعض المتورعين من أهل صنعاء. وجعلوا لهؤلاء من المعاشات ماستغرق جل متحصلات اليمن، وأظهر عند وصوله وحال الاضطرابات تلك الإعلانات التي تقدم ذكرها. فلما

---

(١) القَفْلَة :قرية عامرة في عِذَرْ من حاشد، ويقال لها قَفْلَة عِذَر، سكنها الإمام المنصور محمد وجعلها مقر دولته، وهناك قرية أخرى تحمل نفس الاسم وهي قفلة كُشر شمال حجه. (الأكوع:هجر العلم،ج٣،ص١٦٩٣؛ المقحفي: المعجم ص٥٣٥) .

(٢) ١٣١٦هـ ١٨٩٨م.

(٣) ستة أنفار : النفير القوم والجماعة من الناس، والجمع من كل ذلك أنفار.(ابن منظور:لسان العرب المحيط،ج٣،ص٦٨٧) .

تمكن أظهر من قبح السيرة وخبث السريرة ما قصر عنه الأولون والآخرون. ولم يف بـشيء مما وعد سوى عزل المشايخ حرصاً على إحراز مايقبضوه من الرعايا، ثم وضع ثمانية أقلام[١] مضافة إلى الأقلام المتقدمة تركت ذكرها خشية الإطالة، وزاد في معاش المأمورين وظـن أن هذه الأقلام ستفي بالمعاش وتُذهب قوة العرب، فلم تجد شيئاً، حتى لقد وضع من الأقلام مايستحي منه أراذل السوق مثل جلـود الـضحايا، ومـشاركة أهـل الـصلح[٢] في الأسـواق ،(فاتسع الخرق على الراقع) [٣] ، ثم أصحبته الدولة من الأقوال وسائر المحتاجات ماضاقت به البنادر[٤] ، ومن العساكر أُلُوف مؤلفة رئيسهم عبـد الله باشـا[٥] .ووقـع الإشـعار في بـلاد الشام والنفير في سائر تلك الـديار بالبـدار البـدار[٦] ، لاسـتنقاذ بيـت الله الحـرام، فمقـصد صاحب اليمن تخريبه كما سمعنا من هذه العساكر، فانزعجوا لهذا الأمر المهول وركبـوا مـن أجله الصعب والذلول، وهو غير بعيد من هذه الحثالة الذين صار الغدر دثارهم، والبهـت شعارهم، ثم أمر الملوكية[٧] بلبس العمائم ظناً منه أن التشبيه من الأسـباب المـسكنة لثـوران العرب.وأخرج جملة وافرة من المصاحف والسيرة النبوية للنبهاني وأهداها إلى جميـع أعيـان اليمن، تمويهاً على العامة وإيناساً للخاصة، ثم فكر ودبر وأجمع راية ومن معه من الهيئة عـلى إنشاء مكاتب في جميع مدن اليمن وسائر قراها المتسعة، ووضعوا في عمارتها ومحتاجها قلـما[٨] مثل ريع الحاصل من اليمن.وأنه سينشأ في هذه المكاتب من لايعـرف غـير الدولـة ومحبتهـا لازمة لهم طبعاً، ويكون دخول هذه النشأة قبـل سـن البلـوغ. فمـن كـان مجـاوزاً لـه فقـد استحكم فيه الداء. ونتيجة هذه المكاتب إنما يكون بعد خمسة عشرة سنة.

---

(١) وضع ثمانية أقلام : أي استحدث إدارات جديدة.

(٢) أهل الصلح : هم السماسرة الذين يقومون بالوساطة بين الفلاحين وبين تجار السوق.

(٣) مَثَل، والمقصود به أنهم أفسدوا ما كانوا يأملون في إصلاحه.

(٤) البنادر : جمع بندر وهي ميناء ومدينة ساحلية، كلمة معربة.(المعجم الذهبي:محمـد التـونجي (عـربي، فـارسي) ص١٢٢) .

(٥) عبد الله باشا : كان والياً على اليمن من سنة ١٣١٨١٣٢٠هـ/ ١٩٠٠١٩٠٢م) .

(٦) بالبدار البدار : بدرت إلى الشيء، أبدر بدوراً أسرع، وتبادر القوم أسرعوا، والبـدار أي الـسرعة.(ابـن منظـور: لسان العرب،ج١،ص١٧٤) .

(٧) الملوكية : المقصود هنا الموظفين العثمانيين التابعين للسلطنة.

(٨) قلما : المقصود هو إدارة مختصة بالتعليم.

وأما سائر الفقهاء والعلماء المجاوزين لهذا السن المسمون «باعدالأغوى فبالتوظيف أو الإعدام»[1]، وتوسل في إصلاح مادبر بكل وسيلة ونصب، يسلب أموال المسلمين(بكل)[2] حيلة، وبث العيون والجواسيس لأهل الحق في جميع البلاد وأملا الحبوس[3] وأنفذ منهم جمله إلى ردوس[4]، وكتب إلى السلطنة بالبشائر أنه قد أمسك رؤساء العشائر لايفرق بين دنيئ وشريف، وقوي وضعيف تايهاًفي عُجبه يتشدق بملاءفِيْه، أنه العفيف عن أموال الرعية، والجاري على طبق الإرادة السنية، فَبَعُد مرماه وأخفق مسعاه، ثم(إنماع ذلك التدبير كما ينماع الملح في الماء)[5]، وعُزل بعد أيام وباء بإثم ماوضع من الأقلام، وخرج بوزر وعاد بأوزار.

قلت: فكانت هذه القصيدة كشعلة نار وقعت في جوفه ولاعليه، فإنها قد كشفت عوار تلبيسه وهتكت ستر تمويهه، وعارضته بنقض قصدة. وقد سمع بذكرها من لم يكن قد سمعها فلابأس بذكرها.

الله أكبر زال الهم والكدر	وأصبح النصر موصولاًبه الظّفَرُ
وأصبح اليمن الميمون في فرح	يهتز كالأرض إن وافى لها المطرُ
وأشرقت ظلمات الأرض قاطبة	وازدادت الشمس في الإشراق والقمرُ
وأصبحت ملة الإسلام شاكرة	والشرع مرتفعٌ والعدل متشرُ
والبيضُ والسمر في شوقٍ وفي جدلٍ	مُذ أصبحت للحوم العجم تبتدرُ
جَدْعاً لهم فتية قام الضلال بهم	سُحقاً لهم ولأعوانٍ لهم فجروا
قد صار دينهم القانون ماعرفوا	سواه والشرع عند القوم محتقرُ

(١) هكذا وردت، ولم يتضح لنا المعنى.

(٢) تم إضافتها ليستقيم المعنى.

(٣) الحبوس: أي السجون.

(٤) رودس: جزيرة جبلية يونانية في بحر ايجه، احتلها سليمان الثاني سنة١٥٢١م. وكان الأتراك يقومون بنفي المغضوب عليهم إليها. (المنجد).

(٥) حديث: ويميع: ذاب وجرى، والمقصود أن كل جهوده ذهبت أدراج الرياح(ابن منظور: لسان العرب،ج٣، ص٥٥٦). والحديث عن عائشة قالت سمعت سعداً رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه واله وسلم يقول(لايكيد لأهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء) (سنن البخاري، المجلد الأول، ص٢٧).

قــل للكماةِمـــن الأبطـــال تُـــصدقهم بالــضرب والطعــن إن القــوم قــد كفــروا
ونـــازلوا القـــوم إن القـــوم حـــل بهـــم طيــف مـــن الـــذل لايبقـــي ولايـــذرُ
لاتمهلــوهم ولـــو يومـــاً فقـــد ظهـــرت لـــوائح النـــصر فيهـــا ســـاعد القـــدرُ
قــد كــان قبــل دخــول الــروم في ســفر والآن آب وأجـــلى رجـــسهم صَـــفَرُ
وعـــن قريـــب يـــزول الهـــم أجمعـــه وترجـــف الارض بالبـــاقين فـــانتظروا
لله در أنـــــاس جَاهَـــــدوا طمعـــــاً بالحُــسنيين وبــالمطلوب قــد ظفــروا
نـــالوا مـــن المجـــد أعـــلاه وغايتـــه فليمــنهم مــن عظــيم الفخــر مــافخروا
قــد أحــرزوا قــصبات الــسبق مُــذ تبعــوا هـــذا الإمـــام وفي أقوالـــه ائتمـــروا
طـــوبى لهـــم وهنيئـــاً طـــاب فعلهـــم هــم جاهــدوا وإمــام الحــق قــد نــصروا
هـــو الإمـــام الـــذي جـــاد الزمـــان بـــه وصـــار فيـــه عـــلى الأزمـــان يفتخـــروا
وأنـــه النعمـــة العظمـــى التـــي ادخـــرت للآخـــرين ونعـــم الكنـــز يُـــدَّخَرُ
مُتـــيم بـــالعُلى والمجـــد يألفـــه ومـــا مـــشى في نـــواحي خـــده الـــشعرُ
قـــد قـــارع الـــدهر حتـــى لاح مقتلـــه مااستقبح الــروع حتــى استحــسن الظفــرُ
والآن نعـــم مقيـــل التـــاج مفرقـــه ونعـــم مغنـــى العـــلى أيامُـــه الزهـــر
يـــابن الـــذي قـــد أتانـــا في مـــدائحهم نَــص الرســول وفيــه تُــدْرَسُ الــسّورُ
لمـــا ســـمعنا بجـــيش أنـــت قائـــده ياحبـــذا الليـــل وافى وهـــو معتكـــرُ
كـــادت تطـــير إلى لقيـــاك أنفـــسنا شــوقاً لأنــك أنــت الــسمع والبَــصَرُ
وكيـــف أنـــسى وداداً غـــير مُنكـــتم ولاتغـــــيره الأيـــــام والغِـــــيَرُ
يـــا آل بيـــت رســـول الله حـــبكم ذخـــري فلـــيس لنـــا في غـــيره وطـــرُ
أنـــتم مـــلاذي وملجـــاي ومعتمـــدي غـــوث الخليقـــة حـــين النـــار تـــستعرُ
إليـــك يـــابن رســـول الله قـــد وردت والمـــاء تخبرنـــا عـــن وِردِه الـــصُّدرُ
إن تقبلوهـــا ففـــضل مـــن مكـــارمكم أو لا فمنـــــشئها في باعـــــهِ قِـــــصَرُ

وانضَاف إلى هذا أن منشئها ممن يُنسب إلى الطائفة الشافعية[1] ممن انقطعت عنهم الأطماع، ولم ينتفعوا بنص ولا إجماع، فقد حكى العلامة المقبلي[2] رحمه الله نقلاً وعزاه إلى بعض حثالة متأخريهم أنه انعقد الاجماع على تحريم الخروج على أهل الجور، يعنى وأما في وقت الحسين وأهل الحرة[3] ونحوهم، فلم يكن إجماع فحين لم يشفهم سَبَّ ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتباعهم أخرجوهم من أمة محمد لأن كل من صدق عليه أنه من أمة محمد، فهو مُعتبر في الاجماع عند من عَقِل معناه الشرعي.إن هؤلاء النوكي[4] يُصرحون أن معرفة الكتاب والسنة قد استحالت، فكيف يكون الإجماع مِنَ الجهَّال، ظلمات بعضها فوق بعض. أَمَا أراد أن يجيبوه صلى الله عليه وآله وسلم حين قال«إني تارك فيكم الثقلين ما

---

(١) الطائفة الشافعية : مذهب الشافعي ثالث المذاهب الأربعة الكبرى من حيث التسلسل التاريخي، إذ سبقه مذهب الإمام أبي حنيفه ببغداد المتوفي عام ١٥٠هـ، وهو تاريخ مولد الشافعي، ومذهب الإمام مالك بالمدينة والمتوفي ١٧٩هـ، وقد تتلمذ الشافعي على مالك، كما خالط أصحاب أبي حنيفه، فجمع بين خصائص المذهبين وخرج بالمذهب الذي ينتسب إليه. ويتميز بمدرسة الفكر الإسلامي، واجتمع للشافعي علم أهل الحديث وهم المالكية، وعلم أهل الرأي وهم الحنفية، ويلخص الشافعي مذهبه بقوله: الأصل قرآن وسنه، فإن لم يكن فقياس عليهما.(أحمد عطية الله:القاموس الإسلامي، المجلد الرابع، ص١٨) .

(٢) المقبلي : هو صالح بن مهدي بن علي بن عبد الله بن سليمان المقبلي الصنعاني ثم المكي. ولد سنة ١٠٤٧هـ في قرية المقبل في كوكبان، أخذ علمه عن جماعة من أكابر علماء اليمن، برع في جميع علوم الكتاب والسنة وحقق الأصولين والعربية والمعاني والبيان والحديث والتفسير ومؤلفاته يستحج بها العلماء. ومن مؤلفاته، حاشية (البحر الزخار) للإمام المهدي المسماه بالمنار، ومنها (العلم الشامخ) ، اعترض فيه على علماء الكلام والصوفيه، ومنها في الأصول(نجاح الطالب على مختصر ابن الحاجب) ، وفي التفسير(الإتحاف لطلبة الكشاف) ،(الأرواح النوافخ) ،(الأبحاث المسددة) . وقد ارتحل من صنعاء إلى مكة بعد أن جرت بينه وبين بعض العلماء مناظرات علمية، ولكن حدة طبعه دفعت به إلى منافرة العلماء، فقد كان يدعو إلى ماتقتضيه الأدلة، وعدم الالتفات إلى التقليد. وقد استقر بمكة حتى وفاته سنة ١١٠٨هـ. (محمد بن علي الشوكاني:البدرالطالع،ج١،ص ٢٨٨-٢٩١) .

(٣) أهل الحرة: هي حَرَّةُ واقِم، إحدى حرتي المدينة وهي الشرقية سميت برجل من العماليق يسمى واقم، وفي هذا المكان كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية في سنة ٦٣هـ، وأمير الجيش من قبل يزيد هو مسلم بن عقبه المُرِّي، قدم المدينة فنزل حرة واقم، وخرج إليه أهل المدينة يحاربونه فهزمهم، وقتل من الموالي ثلاثة آلآف وخمس مائة رجل، ومن الأنصار ألفاً وأربعمائة، ومن قريش ألفاًوثلاثمائة، ودخل جنده المدينة فنهبوا الأموال، وسبوا الذرية، وكانت بعد مقتل الحسين رضي الله عنه، ورمي الكعبة بالمنجنيق. (ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج٢،ص٢٤٩) .

(٤) النُوكي: النوك بالضم الحُمُق، والأنوك الأحمق وجمعه النوكي.(ابن منظور:لسان العرب،ج٣،ص٧٤٦) .

إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي»[1] ورواته مع شواهده متواترة معنى، فأجاب هؤلاء نخلفك شر خلافه من قدر على السيف فبسيفه، ومن لم يقدر فبلسانه وقلبه ومن تأخر زمنه كتاريخنا تناوله بعداوته الأولين والآخرين، فكان زعمهم جناية والله المستعان..انتهى.

قُلت: ويرحم الله المقبلي وزمنه فلو عاش إلى زمننا لنادى بأعلى صوته حَيْهلا بهذه القاعدة ولكنها قد أضحت من القواعد، فلايرجى نكاحها فكيف تنتج فرعاً في الشاهد، فإنهم قد تركوا الخروج مع الكفر البواح والرد الصراح فإنا لله وإنا إليه راجعون، والله المستعان، فتأمل بعين فكرك، واسمع بأذن بصيرتك، أين ذهب عقل هذا الرجل وفطنَتُه ولم يفكر ويعتبر هو وهيئتهُ بمن سلف قبله من رؤساء دولته فَضْلاً عمن تقدمهم من الدول جاهِليَّه وإسلام. إنه لايجامع الصَّلاح بعض هذه الأقلام، فكيف رام هذا المغفل أن يُجمع بين الماء والنار، لاحكم في القضايا ولاعَدل في الرعايا، وطمع بالصَّلاح بما هو عَين الفساد وسببه، بإجماع الخاص والعام وغَرهُ ما رأى في نفسه من القوة فسُلب العقل والحياء والمروءة، حتى طمحت به الآمال الفاسدة، وتفوه بالمقالات الكاسدة، حين وصلت عساكره إلى مَحل الإمام إنها ستتم ولايته على تلك البلاد على أتم نظام، فلم يُفجأه إلا وصول عساكره إليه راضين من الغنيمة بالإياب، ولم يقدروا على الوقوف قدر أسبوع. فَبهُتَ لَّما رأى ذلك، كما بَهُتَ الذي كَفَر، وطَاح تدبيره الذي دَبر، فهلاَّ سأل من قبله عن أحوال اليمن، ومايُصْلِحهُ ويفسده من قديم الزمان. فإنما شفاء[2] العي السُّؤَال فَهْوَ لايَعدم مَنْ يُجيبُ عليه، بأنَّها لاتَعرِف غير الأحكام القرآنية والشَّريعة المحمدية، وإن وقعت بها فترة في بعض الأزمان، فهي سريعة العَود إلى الأمان، فالحكمة يمانيَّة والإيمان يمان.قَول الصادق المصدوق سيما هذه القطعة الحقيرة من أرض همدان، ومأوى ذرية سيد ولد عدنان، ومن إليها ساق حديث «إني لأجد نفس الرحمن (من قبل اليمن) التي عجزت عن تملكها حمير»[3] وقد ملكوا الأرض بطولها والعرض، ورضوا منهم بقطع الإتاوة ولا مرمى سجد صلى الله

---

(١) الحديث في كتاب(الهندي: كنز العمال، المجلد الأول، ص١٧٢) ويرد عنده كالتالي(إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود مابين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض) .

(٢) كان الناسخ قد كتب شفى ثم صححها فوقها بشفاء وقد أثبتها.

(٣) أخرجه الإمام أحمد وهو من الأحاديث الضعيفة ٢١٦.

عليه وآله وسلم لله شكراً لإسلامهم، وقال السلام على همدان فالحديث من أعلام نبوءته، وقد نالت هذه القبيلة بركتهُ.فهم أوفى الناس بذمام، كما قال سيد الأنام فكيف يطمع من نبذ السمع بل السياسة العقلية بتملك من عجز عنه من هو أشد منه قوة، ولقد مضى أسلاف هؤلاء الملوك، وإن غلب عليهم العمل بالقوانين في أكثر تصرفاتهم وأحوالهم، ولم يبلغ بهم الجور إلى هذه الغاية التي ليس وراها غاية.وكانوا معض الأركان قائمين كما هو مذكور في تواريخهم «ق٨أ» ولو لم يكن لهم إلا الاستقلال بأنفسهم، وسدَّ الثغور بالجهاد لكانت كافية، وفي الشرخيار، إلى أن زعق الزمان الكنود بسلطنة محمود فضم الوادي على القرى، ووضع عنه تاج الإسلام وشعاره، واستبدل العز بالهوان، لأمور يطول شرحها.

قال السيد أحمد زيني دحلان في الفتوحات[1] ، وليته لم يفعل أو معناه وحَصَل الامتزاج بينه وبين سائر الدول، وحكَّموا الدستور فيما دق وجل والاشتراك في جميع الإصدار والإيراد، حتى في المجالس الشرعية والمدارس العلمية، والقيام بأجمعهم في وجه هذه الشريعة بالسيف والسنان. وحَذا حَذْوهم حذوا النعل بالنعل والقذة بالقذة[2] ، لايخالفوهم في شيء مع السخرية البالغة لما جاء عن الله وكتبه ورسله والتشبه في الملبس والمأكل والمشرب واتخاذ الكلاب والخنازير، حتى بلغت بهم العداوة والسخرية إلى تقبيح الكحل والدهن والطيب وإعفاء اللحية، وأخذ الشارب ورد السلام، وجميع ما فعله صلى الله عليه وآله وسلم وسنته، وإني لأكثر التعجب من جميع أهل الملة المحمدية، ومن أهل ولايتهم، ومن غيرهم كيف وقع السكوت، وما الحامل على ذلك وتركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجميع أنواعه مع كثرة العلماء، كثرة تجاوز الحد وإتساع الأمصار، وتباعد الأقطار، وتباين المذاهب مع أنسهم بهذا الدين، ومعرفتهم بشروطه ومكروهاته ومستحباته وأركانه وشُعبه، فلا تسمع بآمر بمعروف ولاناهٍ عن منكر، والحال ماترى مع

---

(١) أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية (١٢٣٢١٣٠٤هـ/ ١٨١٧١٨٨٦م) ، فقيه مكي مؤرخ، ولد بمكة وتولى فيها الإفتاء والتدريس من تصانيفه (الفتوحات الإسلامية) (الجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية) (خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام) (الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل النبوة الطاهرين) (السيرة النبوية) (رسالة في الرد على الوهابية) .(الزركلي:الأعلام،ج١،ص١٢٥) .

(٢) وحذا حذوهم النعل بالنعل والقذة بالقذة: مثل، والمقصود به، تقليد الغرب في كل شيء الحسن والسيء.

هذا الرد الصّداح والكفر البواح، والمروق من الدين كما تمرق السهم من الرمية، والمسألة من مسائل الاجماع، وانقلب الناس بأجمعهم همج ورعاع، ولم يبق لهؤلاء من الإسلام غير الدعوى، وكأن الوجوب لم يتحتم إلا على هذه العصابة من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعهم، قلت هذه الدعوى هي الداهية الدهياء، والطامة الكبرى، والمصيبة العظماء، التي عم بلاها الأقصى والأدنى، وهي الحاملة على السكوت. وقد قام بنصرتها رجال من علماء السوء وأبناء المكاتب وحثالة المِلَل، فترسلوا وقاموا على المنابر، وطلبوا الدنيا بالدين والجاه بالمخالطة والتسويد، فنالوهما وتداولوه، واستعانوا بجند إبليس وتم لإبليس ما أراد، وتمزق الدين كل ممزق. وهذه الأمور لاتقبلها فطرة سليمة، ولايؤتى مرتكبها من قبل جِهَةَ الشُبهة فهي أوضح من شمس النهار إنما تدرجت قليلاً قليلا، وشيءاً فشيءا، ونشأ قوم لايعرفون غير هذا. وقد صار المنكر عندهم معروفاً والمعروف منكراً، ثم عبد الآخرون ما عبد آباؤهم، كما وقع في عبادة الأصنام، فاستحكم الداء وعز الدواء، وصار عضالٌ لايرجى له زوال، فمن نازع أو أنكر صار دِعاراً وشَقَاوَة يرضى صاحبها بالسلامة من الهلاك، وبهذا الاشتراك والاختلاط نجح النصارى في كيدهم للإسلام، ونقضهم له عروة عروة، حتى غُصت البنادر المجاورة للحرمين بالقزالات الكفرية[1] وبلغوا مآربهم بالصد عن سبيل الله باسم الكرنتينه[2] وتم الدست[3] على هؤلاء الأعلاج الطغام «ق٨ب» كأنهم لم يسمعوا قوله صلى الله عليه وآله وسلم (لاعَدْوى ولا طيرة في الإسلام) [4] وجلبوا المسكرات المتنوعة إلى جميع ديار الإسلام ومنعوا بيع الرقيق لينقطع الزيادة في الإسلام، مع التجاهد بسب الإسلام وذويه، والابتهاج بأهل الكفر ومنتحليه، فلا تسمع بإقامة حد من حدود الله في جميع ديار الإسلام. فغمس الناس أيديهم في الدماء وسائر المحرمات فلا يمر العام إلا وقد سالت فيه بحارٌ من الدِّمَاء، دع عنك سائر الظلمات لارتفاع العقوبات الشرعية، وعدم الالتفات إلى الزواجر الإلهية. وَلِمَ بين ما يثلج له الصدر

---

(١) القزالات الكفرية :ربما تكون السفن الأوروبية. (عامية) .

(٢) الكرنتينه : أي الحجر الصحي، وتِكَرْتَنْ أي أحتجز صحياً. وهي عامية. وقد اتخذ الأتراك جزيرة كمران محجراً صحياً للحجاج.

(٣) هكذا وردت ولم نستطع تبين معناها.

(٤) الحديث (لاعدوى، وطيرة، ولاصَفَر ، ولاهامةَ) . سنن أبي داود ، الجزء الثاني، ص٣٤٣.

وينشرح له القلب، سوى الثقة بوعد الله الذي لا يخلف من قوله تعالى:﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [1] وقد أحببتُ أن أُذيل هذه الجملة المعترضة بكلام شيخ الإسلام[2] فله إلمام بها ذكرنا تتميماً للفائدة فأقول قال: في عُقود الجُمان مالفظه: من تأمل أحوال سلف هذه الأمة، ومن خَلَفَها إلى عصرنا هذا وجَدَ التدبير بالقوانين الشرعية ماكان ببلدٍ إلا وكانت من الأمن والدعة بمحل لايساويها فيه غيره ومن شك في هذا فليتدبر ماكان في هذه الدول الإسلامية منذ أيام النبوة إلى الآن. فإنك لاترى ملكاً من الملوك ولاأميراً من الأمراء، ولاإماماً من الأئمة يوصف بالعدل وحسن السيرة وإقامة حدود الشريعة كما هي، إلا ورأيت بلاده ورعيته من النظام واستقامة الأمور وصلاح أحوال العامَّة والخاصة، وأمن السُبُل وذهاب التظالم بالكلية، ماتعلم به أن تدبير الشارع هو التدبير المشتمل على مصالح المعاش والمعاد، وبعكس هذا من خيَّل له الشيطان أن تدبير الممالك وصلاح الأمة بالقوانين الشيطانية والرسوم الطاغوتية أصلح لها. وأول مَنْ أدخل هذه القوانين الكُفرية إلى الممالك الإسلامية جنكيز خان ملك التتر[3] فإنه لما كان هو وأهل مملكته لايرجعون إلى شريعة من الشرايع، ولاينتمون إلى دين من الأديان، اخترع لهم كتاباً من عند نفسه سماه إلياسا، ذكر فيه أموراً من التدبيرات للخاصة والعامة، ومراسيم الملوك والرعية، وألزم رعيته بها وحملهم عليها بالسيف ثم إنه أسْلَم بعض ذريته وبقى فيهم الملك في أرض الإسلام حتى انقرضوا وانتقل عنهم إلى غيرهم من ساير بطون التتر ومن

---

(١) سورة غافر،آية رقم ٥١.

(٢) المقصود هو الشيخ العلامة محمد بن علي الشوكاني المتوفي سنة ١٢٥٠هـ. وكتابه "هو عقود الجمان" في شأن حدود البلدان، وما يتعلق بها من الضمان.

(٣) التتر : اسم أطلق على شعب خليط من عدة قبائل بدوية تسكن شمال سلسلة جبال آسيا الوسطى وتشمل أنحآء من سيبريا والتركستان و بلاد القرغيز، وبعض البلاد المجاورة لشمال الصين، وتختلف حياتهم عن حياة الشعوب المستقرة المتمدنة كالصينيين، وأهل بلاد ماوراء النهر. لذا أطلق الصينيون اسم التتار على الشعوب البدائية المتنقلة، التي كانت تعيش في شمال أسوارهم، ويعتبر التتار خليطاً من الشعوب المغولية والتركية واشتركوا في فتوحات جنكيز خان، واتسع مدلول هذا الاسم فشمل المغول أنفسهم.(أحمد عطية الله:القاموس الإسلامي،المجلد الأول،ص٤٤٠) .

الجراكسة[1] وأشباههم فعملوا جميعاً بهذا الكتاب في الأمور المتعلقة بالملك، مع إسلامهم وعملهم في غير ذلك بأحكام الشريعة المطهرة، والسبب في ذلك أن الشيطان سَوَّلَ لهم أن المُلك لايصلح بالتدبيرات الشرعية، ولايقوم بغير تلك الرسوم الكفرية، كما ذكر ذلك غير واحدٍ من المتاخمين لتلك الدول، كالمقريزي في الخطط والآثار[2] وغيرذلك. ثم إن عامة مصر أدخلوا على ذلك الكتاب سِيناً مهملة فقالوا سِيَاسَا، وبعضهم يقلب الألف الاخرة هآءً:فيقول سياسة كما هو المعروف الآن. ثم تزايد الشر وَوَجد الشيطان المجال لما يرومه من الإضلال. فلم يدع مملكة من الممالك، ولاقطراً من الأقطار إلا وفيه من هذه القوانين الكفرية نصيب. ومن عرف الأمور كما هي عرف ماوصفناه«ق٩أ» وإذا أنكر العالم شيءاً من تلك القوانين الطاغوتية على ملك أو أمير، أجابه هؤلآء أن هذه قوانين سُلطانية، أو قواعد مُلوكية، أو مراسيم دولية، وكأن[3] هذه الشريعة المحمدية لم تَرِدْ إلا لتدبير الناس فيما يرجع إلى دينهم دون دنياهم، ولو علموا يقيناً أن صلاح أمور الدين والدنيا كُله في الهدي المحمدي والشرع المصطفوي، وانظر ما وقع من واضع كتاب إلياسا من التدبير الذي هو التدمير لأكثر العالم خصوصاً هذه الأمة المرحومة، فإن جنكيزخان لعنه الله كاد أن يستأصل الإسلام، ولمحو آثار أهله فإنه خرج من بلاده إلى ما ورآء النهر[4] كبخارى[5] وخوارزم[6]

---

(١) الجراكسة : هم الذين حكموا مصر من سنة ١٣٨٢م١٥١٧م، فالجراكسة عبيد يُجلب الواحد منهم إلى سوق الرقيق وبعد حين يصير ملكاً كبيراً وسلطاناً جليلاً. (الشوكاني:قطر الولي على حديث الولي أو ولاية الله والطريق اليها، تحقيق ابرهيم ابراهيم هلال،ص٢٦١) .

(٢) المقريزي : خطط المقريزي موسوعة في وصف مصر، وهو الاسم الشائع لكتاب "المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار"، لتقي الدين أحمد المقريزي المتوفي عام ٨٤٥هـ،١٤٤١م.(أحمد عطية الله:القاموس الإسلامي، المجلد الثاني، ص٢٥٩) .

(٣) وردت في الأصل كان.

(٤) بلاد ما وراء النهر: هي البلاد التي تقع وراء نهر جيحون بخراسان.(البلاذري: فتوح البلدان، القسم الثاني، ص٧٧٥) .

(٥) بخارى: مدينة كبيرة في التركستان على المجرى الأسفل لنهر زرافشان. (دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثالث، ص٤٠١) .

(٦) خوارزم: اقليم يشمل الحوض الأدنى لنهر أموداريا (جيحون) ودلتاه التي تصب في بحر آرال (بحر الخزر) وخوارزم عاصمة هذا الإقليم، فُتحت خوارزم على يد قتيبه بن مسلم عام ٩٣هـ/ ٧١٢م. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، المجلد الثاني، ص٢٩٣) .

وسمرقند[1] وسائر تلك المدائن العظام، فكان يقتل الرجال والنساء والصبيان حتى لايبقى من أهل البلد صغير ولا كبير، ثم يخرب الدور ويغور النهور ويقطع الشجر ويهدم المساجد والبِيَع والكنايس، فلا يخرج من بلد من البلدان أو مدينة من المدن إلا وقد صارت خاوية ليس بها منزل ولا نازل. ثم استمر على هذا الأسلوب حتى دمر أكثر الأرض بطولها والعرض، خصوصاً بلاد الإسلام ثم وافاه الحمام وأراح الله منه أهل الإسلام، فلزم طريقته الملعونة وتدبيره المشئوم[2] ولده المتملك بعده المسمى: هولاكو[3] فإنه وصل إلى بغداد[4] وقتل من فيها من الإمام والمأموم، والخاص والعام، إلا من تأخر أجله ففر بنفسه أو اختفى، ثم اقتفى هذه الطريق القبيحة، والتدبير الكفري تيمورلنك[5] فإنه كان لا يعمل في تدبير مُلْكِهِ بغير كتاب إلياسا، فدمر جميع الممالك التي وراء النهر وأستأصل بالقتل أكثر أهلها، ثم عطف على ممالك الشام والعراق والروم والهند، وكثير من البلاد، ففعل تلك الأفاعيل، وكان من مرسومه إذا فتح قطراً من الأقطار، أو مدينة من المدن الكبار، يُهدي إليه كُل فرد من أفراد جنده رأسين من رؤس بني آدم، بعد أن يقطعها، وجنده نحو ثلثمائة ألف وقد تزيد على ذلك. فكانوا يعطفون على من تحت أيديهم من الأسرى والضعفاء وسائر من بقى، فيقتلون في ساعة من نهار ستمائة ألف نفس، وهذا بعد تأمينه البلد الذي يفتحه وخروجه منه، وأما عند فتحه وقبل تأمينه فلا تزال السيول جا رية من دماء المسلمين، وتيمور هذا هو أعظم الملوك المقتدين بأحكام إلياسا، وقوانينه، فانظر ما فعله

---

(١) سمرقند: اسم إقليم ومدينة بجمهورية أوزبكستان السوفيتيه، تقع سمرقند المدينة قرب نهر زرافستان قرب طشقند، وقد اشتهرت سمرقند بوقوعها على طريق الحرير التجاري بين أوربـاء والصين، وفتحها سعيد بن عثمان بن عفان صلحاً ثم أعاد فتحها قتيبة بن مسلم، وأصبحت سمرقند بعد ذلك من أهم مراكز الثقافة الإسلامية في آسياء. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، المجلد الثاني، ص٤٩٢) .

(٢) وردت في الأصل (المشوم) .

(٣) وردت في الأصل (هلاكو) .

(٤) بغداد: عاصمة الجمهورية العراقية تقع على نهر دجلة في موقع متوسط بين البصرة في الجنوب والموصل في الشمال. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، المجلد الأول، ص٣٢٩) .

(٥) تيمورلنك: أو تيمور كوجان، إمبراطور مغولي مسلم إمتد سلطانه في الثلث الأخير من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) فشمل الإقليم من الأناظول غرباً إلى نهر الكنج شرقاً. وإلى ما يعرف بالتركستان الصينية شمالاً، وهو تيمور بن ترغاي حفيد جنكيز خان ولد عام ٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م. (عطية الله: القاموس الإسلامي، المجلد الأول/ ص٥٢٥) .

واضع هذا الكتاب من إراقة الدماء وهتك الحُرم، وتخريب الديار، وتغوير الأنهار، وقطع الأشجار، وتعميم جميع الأقطار بالمخاوف الكبار، حتى انقطعت السُّبُل، وتعطلت المدن، وفقد أكثر المعالم، وما نشأ عن تدبيره من المصائب، وما لقى منه العباد من المتاعب، وكيف صارت الأرض وأهلها بسببه في أمر مريج. ثم انظر ما فعله المقتدون من بعده كأولاده وأحفاده وتيمور والجراكسه وأشباههم، فإنها صارت الفتن تغلي المراجل ولم يأمن «ق٩ب»أحد من الناس في الغالب على دمه ولاعرضه ولاماله، ثم انظر كيف كان نظام العالم بالتدبير المحمدي، وكيف كانت الأيام النبوية التي هي منشأ الأحكام الشرعية، ثم كيف كان الصحابة ومن بعدهم من المقتدين بشرعه صلى الله عليه وآله وسلم إلا من خرج عن ذلك إلى السّيَاسَة الكفرية. والحَاصِل إنه من يتأمل الأمور حق التأمل فيما يرى ويسمع عَلِم عِلْماً لايخالطه شك ولا يخالطه شبهة. أن السياسات والتدبيرات النَّبويَّة هي أصل صلاح الدين والدنيا، ومنبع كل خير من خيري الدارين، وأن غيرهما أصل فساد الدين والدنيا، ومنبع كل شر من شر الدارين ..انتهى.

وهذا عارض من القول اقتضاه ما قدمنا، فلنرجع إلى مانحن بصدده من ترجمة هذا الحجة فنقول: لما اطمأن واستقر به الحال وبقى لدى الإمام، كان في صُحبته إلى جبل كوكب[1] منه نزول العجم إلى القفلة[2] غره شهر الحجه الحرام سنة ١٣١٦[3] ولم يكن إلا قدر أسبوع . ورجع الإمام إلى القفلة وعَيَّد الأضحى في القفلة، ولم يحصل تغيير من أعداء الله لسرعة انقلابهم. قال رحمه الله: فكان نزولهم من مزيد ألطاف الله بنا، فيه عرفنا قدر نعمة الأمن والدعه، وحبب إلينا سكون تلك الجهة، وبقى على تلك الحال سنتين ونصف حتى اقترح عليه الإمام بالتَّأَهْل فأنعم، وبذل الإمام جميع ما يحتاج إليه وَخيّره في السكون في أي

---

(١) جبل كوكب: هي جبال كوكب وغنامه، في عزلة برواش، ناحية حوث، محافظة صنعاء، (التعداد العام لسنة ٨٦م، ص٢٤٠) .

(٢) القفلة: وتسمى قفلة عذر، ناحية خمر، محافظة صنعاء. (التعداد العام لسنة ١٩٨٦م، ص٢٠٦) ، (المقحفي: المعجم، ص٥٣٥) .

(٣) ١٣١٦هـ١٨٩٨م.

موضع شاء من بلاد الإمام، فاختار السكون بذي بين[1]، ووقع الترويح[2] هنالك، وبقيتُ هنالك قدر نصف شهر ثم رحلتُ عنه وصحبتي صنوه العلامة شرف الإسلام حسين بن عبدالله، ثم بقي هنالك أياماً على أحسن حال، وأنعم بال حتى عم القحط تلك الجهات، وانقطعت المياه فرحل إلى حبور[3] ولم يناسبه سُكُونها ثم انتقل إلى غربان[4] فاستوطنها وبقى هنالك إلى أن توفاه الله بها. وكان أكثر أيامه في صحبة الإمام، وقد زرته مرتين بعد هذه المرة مرة إلى ذي ذيبن، وَمرَّة إلى غُربان بعد وفاة المنصور بالله، فوجدته بعد مرضه وفيه غاية الضعف وفيه حُمَّى يومي لا يقدر على القيام وصلواته بالتراب، وقد أبقى الله له قلبه ولسانه فهو دائم الذكر راضٍ بقسمة الله على جميع أحواله، وأظنها سرت إليه بركة هذا الإمام فإنه لازمه في السَّرَّاء والضرَّاء، وقام معه في جميع حالاته لمحض النُّصح الذي لايشوبه غش مع العفاف والصَّبر على مُقاسات تلك الأشغال، وعلى أهل الوقت الذي به تظهر جواهر الرجال.

وكانت زيارتي له إلى غربان غرة شهر جماد آخر ١٣٢٢هـ[5]، وقد استبشر بوصولي وسُر غاية السرور وبقيتُ لديه عشرة أيام يحدثني بما حَدث في ذلك العام من مرض الإمام المنصور بالله، وتوارد الشدايد، وعموم المرض على أهل المقام. فمما حدثني به رحمه الله قال: لما كان شهر الحجه الحرام سنة ١٣٢١هـ حصل الإذن من الإمام بالفسح للتعييد كما هي العادة المألوفة فوصلتَ إلى غُربان إلى نعمة جليلة من برد«ق١٠أ» الهوى وأناقة العيش والاجتماع بالأهل، ونعمة الفراغ مع الكفاية التامة والاشتياق إلى المطالعة، ثم خطر في بالي ما عليه الإمام من تحمل المشاق ومزاولة تلك الأشغال والمقاساة لتلك الأعمال التي لايقدر

---

(١) ذي بين: هي ذيبين ناحية وتشمل العديد من القرى والعزل. في محافظة صنعاء (التعداد العام لسنة ١٩٨٦م، ص١٧٨؛ الحجري: المجموع، ج١، ص١٣٦/ ٣٥١) .

(٢) الترويح: كالإراحه، أراح الرجل إراحةً، وإراحاً اذا راحت عليه ابله وغنمه ولا يكون ذلك إلا بعد الزوال. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١٢٥١) .

(٣) حبور: قرية مشهورة من ناحية ظليمة، محافظة صنعاء (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٢٧) .

(٤) غُربان: قرية في حاشد، يسكنها الأشراف بنوالغرباني (الحجري: المجموع، ج٣، ص٦٢٢) .

(٥) ١٣٢٢هـ ١٩٠٤م.

على القيام ببعضها إلا العدد من كُملاء الرجال، مع الشيخوخة والضعف وعدم المعين على حسب ما يريد، فبادرت النزول في أثناء العيد فلم يفاجأ[1] الإمام إلا دخولي عليه فَسُرَّ غاية السرور ورأيتُ منه من البُشر و الدعاء ما لا يساوي عندي ماطلعت عليه الشمس. وقد تفرس سبب مبادرة نزولي وأقول هكذا فليكن التوفيق.

ثم ذكر ابتداء مرض الإمام إلى دخول شهر ربيع الأول والمرض في زيادة إلى أن احتجب الإمام عن الخروج، مع التجلد والمباشرة لتلك الأعمال، وربما أسْمَع الناس صوته فيحصل الأنُس. ووقع الخلق في أمر مريج فوقع الكتبُ إلى الإمام المتوكل[2] والحث بالمبادرة، وكان إذ ذاك في جبل الأهنوم خوفاً من مفاجآت[3] الأمر المحتوم، والأمر المهول، فوصل ووقع الكتب أيضاً لأعيان السادة الكرام والعلماء الأعلام، وقد اشتد المرض على الإمام إلى الليلة المسفرة عن يوم الخميس لعلَّه ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ فخرج الإمام المتوكل إلى أهل المقام وأخبرهم بموت الإمام. فيالها من رزيَّة طاشت عندها الأحلام، ومصيبة عظيمة نزلت بالمسلمين والإسلام لولا أن الله سدَّ ثلمة المصاب، وخلة الاكتئاب، بقيام نجله عماد الإسلام[4] المتوكل على الله أطال الله بقاه وحفظ على الدين والدنيا بهاءَه وسناه لا تسع القول بعظم هذا المُصَاب. فكان من ألطاف الله وعنايته اجتماع العلماء والأعلام، والسادة الكرام، فَوَجّهوا خطابهم إليه وألزموه الحُجة بتحتم القيام، علما منهم بأنه رجل العالم وواحد الدهر. فلم يجد بداً من الإسعاد، بعد إباء ليس عليه مزيد. قال: رحمه الله، فداخلني من الخوف من امتناع الإمام ماكاد به يذهل عقلي علماً مني أنهم إذا تفرقوا على غير بيعةٍ لم يقم لهذه الفئة راية، فجمع الله شمل الإسلام ولَمّ شعثه بمبايعة هذا الإمام.

فتى تردَّا رداء المجد أجْمعه ... وَرَدّ منه على العليا صوانفه

قد تشرفت به الخلافه ولم يتشرف بها، وتكنَّى بالمتوكل على الله فكان اسماً طابق معناه، وكانت بيعة إجماع لم يختلف فيها اثنان. وكان لصاحب الترجمه القيام التام، فجزاه الله خيراً

---

(١) وردت في الأصل (يفجأ) .

(٢) الإمام المتوكل : هو ابن الإمام المنصور محمد يحيى بن محمد.

(٣) وردت في الأصل (مفاجئات) .

(٤) عماد الإسلام: لقب متدوال في اليمن لكل من كان أسمه (يحيى) .

عن المسلمين والإسلام.

وكان نشر الدعوة الميمونة لَعَلَّه ١٩ شهر ربيع الأول سنة١٣٢٢هـ[١] . ثم أُخرج الإمام المنصور على سريره للصلاة عليه فارتفعت الأصوات عند مشاهدته وعظم الضجيج، وأخذ الناس في البكاء والعويل، وقد غُصت تلك الديار بالخلق من كل قاصٍ ودان، وكان يوماً مشهوداً ثم حُمل على سريره إلى حوث[٢] بعد المشاجرة في موضع قبره، فحكَّموا القرعة الشرعية، وقبر هنالك جوار الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد[٣] رضي الله عنه.«ق١٠ب» فكأنما عَناه شيخ الإسلام بقوله:

لقد فجع الدين الحنيف بمفرد ... تناهت به غاياته ومواكبه
قضى جده المختار في مثل يومه ... بشهر ربيع واهب الفضل سالبهُ
وما ذاك إلا أنه في جواره ... بجنة عدن وهو فيها مُصاحبه
وما مات من أبقى لنا كل سَيِّدٍ ... تزاحم هامات السماك مناكبه
ميامين سباقين في كل غاية ... بهم خضعت من كل صعب مراكبه
نجوم سماءٍ كلما انْقَض كَوْكَبٌ ... بدا كوكَبٌ تأوي إليه كواكبه

فرحم الله المنصور وتغمده بجميل رضوانه، وأسكنه فراديس جناته، رحمةً تبرد ضريحه وتقدس روحه، وعُرف له مساعيه في الذب عن دين الله والسعي في سبيل الله، فلقد جاهد في الله وجد، وقام مقاماً لايقومه أحد، حتى لحق بالأئمة الهادين المجدّدين للدين، ثم جلس الإمام المتوكل للعزاء، وأقبلت الوفود من جميع البلاد حتى ضاقت تلك البقاع، وكان

(١) ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ

(٢) حوث :هجرة عامرة في منطقة العصيمات إحدى بطون قبيلة حاشد، وتقع في منتصف الطريق ما بين صعدةشمالاً وصنعاء جنوباً، وهي من اشهر الهجر العلمية مزدهرة بالعلم والعلماء. (القاضي إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج١، ص٤٩١، الحجري: مجموع بلدان اليمن،ج٢،ص٣٠٠) .

(٣) المتوكل على الله المحسن بن أحمد: ينتهي نسبه إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين.كان إماماً عالماً عاملاً تقياً ورعاً زاهداً، تلقى علومه في مدينة شهارة، وعن علماء صنعاء، تولى بعض المناصب في كحلان، وفي سنة (١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م) بويع للإمامة. وعند قدوم الأتراك إلى اليمن حاربهم وعارض دخولهم وحُكمهم لليمن، توفي في حوث في رجب سنة (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م) (زباره: نيل الوطر في تراجم رجال القرن الثالث عشر، ج الثاني، ص١٩٤، القاضي حسين بن أحمد العرشي: بلوغ المرام، ص٧٩) .

محتاجهم من الذبايح والكفايات مالايأتي عليه الحصر، ثم ذكر رحمه الله عموم المرض لأهل المقام حتى مرض الإمام، فنزل بنا من الخوف والإبلاس[1] مايقصر عنه حَدَّ الوصف حتى شفاه الله فحمدنا الله على ذلك وهان الخطب.

قلت: ثم مرض صاحب الترجمة مرضاً شديداً حتى زال عقله وانتُظر لموته. أخبرني بذلك سيدي العلامة لطف بن علي ساري[2] أطال الله بقاه، وقام بممارضته من ادخر الله له الأجر، فأمر الإمام بحمله على سرير إلى غُربان إلى أهل بيته، فَوفدت عليه إلى هنالك حسبما شرحته سابقاً، وكان هذا المرض سبب موته، إلا أنه طال. ثم فارقته وهو على تلك الحال. ووفدت على الإمام إلى القفله، ثم طلع الإمام إلى جبل الأهنوم لتفقد الأحوال وبقي مدة يسيرة وكنتُ صحبته، وقد استنفر حاشد وبكيل وسائر المجاهدين فأقبلوا إليه من كل أوب، فَقُرِرَّت القواعد وقد استعد وأخرج خزائن السلاح وما يحتاج إليه من الخزنات و الأموال، وقد شمر ساق الجد والاجتهاد في قصد منابذة أعداء الدين، واجتمعت إليه العساكر المتفرقة، وخرج من القفلة يوم الربوع لعله بضع وعشرين من شهر رجب سنة ١٣٢٢هـ معتمداً على الله ومتوكلاً عليه الناصر لدينه العاصي على الكفرة بتوهينه وَصَحبتُه إلى أثناء الطريق. وكانت طريقه إلى السوَدة[3] وَطَلَعْتُ إلى غُربان إلى صاحب الترجمة وأخبرته بحركة الإمام فسر غاية السرور لأنه لم يكن في حُسبانه. وأطلعت صحبتي جزأي ضوء النهار[4] بدلاً عن نسخه وهبها للإمام، فكان لذلك عنده موقع عظيم، وقد انتقل إلى حصن الصّبه طلباً للصحة وبرد الهوى، وقد نَقه من مرضه وبَقيتُ عنده ثلاثة أيام، ثم

---

(١) الإبلاس: السكوت على ما في النفس من الحزن.

(٢) لطف بن علي ساري: كان مشاركاً في فنون العلم معاوناً للأئمة، عمل عاملاً للإمام المنصور محمد علي بلدة ظَلَيم حتى توفي سنة (١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) . (أحمد بن عبد الله الجنداري: الجامع الوجيز، ق٢٢٢، مخطوط) .

(٣) السودة: مدينة شمال غرب عمران وتعرف بسودة شطب، وتقع على ذروة جبل تطل على وادي أخرف وعصمان الشهيرين بالبن الجيد، وهناك الكثير من المدن التي تحمل نفس الاسم منها قرية السودة في أرحب، والسودة من ناحية قطابر بصعدة، وقرية في خمر، وقرية في خبت المحويت. (المقحفي: معجم البلدان، ص٣٣٨) .

(٤) ضوء النهار: للحسن بن أحمد الجلال مولده سنة ١٠١٣هـ وفاته ١٠٨٤هـ (الأكوع: هجر العلم، ج١، ص٣٤٥) .

رحلتُ عنه ودخلتُ صنعاء ثم نزلت إلى ذمار، وقد رجفت الأرض بطولها والعرض ونزل على أعداء الله من الرعب ما منعهم «ق١١أ» القرار، ثم نزلت إلى اليمن الأسفل وبقيتُ فيه إلى سلخ القعدة(١)، وعيَّدتُ الأضحى في إريان وطلعتُ غُرة محرم الحرام، وقد فُتحت يريم وذمار وضوران وعمران(٢) وسائر الجهات، ووقعت فيها من الإمام والحروب ما يستدعي في وصفه مُجلداً، ومن الغنايم ما عم القاصي والداني فائدته، وشمل الحاضر والبادي عائدته، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٣) وَوَفَدتُ على الإمام يوم دخوله مدينة ثُلا(٤) وقد ضاقت البقاع بكثرة الوفود، وكَتَبْتُ إلى صاحب الترجمة بوصولي إلى حضرة الإمام، وبما تجدد من الفتوح فأجاب: إنه في الغاية من الاشتياق لولا عائق المرض، وفي كتابه حُسن الدعاء وجميل الثناء، وكتب إلى الإمام كتاباً يستشفع لأهل ضوران وفي أعلاه قطعة من شعره في جوابه على أهل ضوران كما هي عادته المعروفة يعتذر بها عن الإمام ويذكر سبب تخلفه عن الإمام وهي قوله:

إلى سادتي والقضاة الكرام	يعود سريعاً جزيل السلام
ونسأل من مالك العالمين	يؤيد بالنصر هذا الإمام
وبعد وصول الكتاب الكريم	وقد طال بالعبد أثر السقام
ومن أجل ذلك ياسادتي	تأخرنا عن شريف المقام
وفي حكمة الله خير كثير	رضيت بقسمة رب الأنام
وأني مع العذر هذا سعيت	بجهدي لكم في بلوغ المرام
وسارعت في الكتب نحو الإمام	وراجعته بجميل الكلام

(١) سلخ القعدة: السلخ النهاية وغرة البداية. أي أول الشهر.

(٢) عمران: مدينة معروفة شمال صنعاء، تبعد عن صنعاء بحوالي خمسين كيلومتر من نواحيها عيال سريح، البون، ريدة، ذي بين، جبل عيال يزيد، وبنوعبد، وخمر، وبلاد السودة، وناحية ظليمة. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٦١١).

(٣) سورة الجمعة آية رقم ٤.

(٤) ثُلا: مدينة مشهورة من نواحي صنعاء في الشمال الغربي منها، وهي من البلدان الحميرية القديمة فيها حصن منيع وآثار قديمة ومساجد كثيرة، ومن قُرى ثلا المصانع، وحبابة، الزافن، ومُدَع، وبيت علمان، وقارن، وبنو الفليح. (الحجري: المجموع، ج١، ص١٦٦).

وشُغل الإمام بأمر الجهاد	وضبط البلاد يزيل الملام
وظني به صادقاً لايخيب	ولا بد يوضح لكم أبرهام
وعبدكم الآن في شغلةٍ	فصفحاً وعفواً عن المستهام

وأبرهام المذكور هنا هو شقيقي وكان في حضرة الإمام.

قلت واستقر الإمام في ثلا أياماً يسيرة ثم خرج منها إلى شبام[1] وكوكبان[2] ، وقد فُتحت كوكبان قبل وصوله بيسير، وكان لفتحه موقع عظيم، وخطبٌ على أعداء الدين جسيم، لأنهم سمعوا ضرب المدافع إلى صنعاء، عند وصول الإمام هنالك، فوصل شبام ثم طلع إلى كوكبان، معتمداً على الله ومتوكلاً عليه، ومفوضاً أمره إليه، ومنتهزاً الفرصة في فتح باب الخير الذي حث على انتهازه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «من فتح له بابُ خير فلينتهزه فإنه لايعلم متى يُغلق دونه» [3] . وبوصول الإمام إلى كوكبان اتصلت المكاتبة إلى المقادِمَة[4] المثاغرين في الحيمة[5] والروضة وسائر الجهات آناء الليل وأطراف النهار، وقويت عزايمهم وامتدت إليهم الأقوات وما يحتاج إليه.

وأقول ولولا مقاربة الإمام هذه الجهات ومباشرة الأمور بنفسه، لكان الأمر خلاف الواقع، فالأسباب مربوطة بمسبباتها سيما في هذه المدة، فالخلق في جهد جهيد، ومقاسات أهوال يشيب لها الوليد، ويضعف من حملها الصخر الشديد، وقد عم القحط سهل اليمن وجبلها بما لم يُسمع بمثله في قديم الدهر، وهلك من الجوع عالم لا يحصون سيما في اليمن الأسفل، وخلت القرى من السكان وبقي قدر ربع الناس فسبحان الباقي الحي القادر على

---

(١) شبام: اسم مشترك بين أربعة مدن في اليمن وهي شبام كوكبان، وشبام حراز و شبام الغراس، وشبام حضرموت. والمقصود هنا هو شبام كوكبان غرب مدينة صنعاء (الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٤١) .

(٢) كوكبان: حصن ومدينة مشهورة تطل على شبام كوكبان في الغرب الشمالي من صنعاء (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٦٨) .

(٣) صحة الحديث كما ورد "من فتح له باب من الخير فلينتهزه فإنه لايدري متى يغلق عنه" (الهندي: كنز العمال، المجلد ١٥، ص٧٩١) .

(٤) المقادِمة: أي القادة العسكريين.

(٥) الحيمة: منطقة واسعة غرب جنوب صنعاء و منقسمة إلى قسمين الحيمة الداخلية والحيمة الخارجية. (المقحفي: معجم البلدان، ص٢١٣، الحجري: مجموع بلدان اليمن، ج٢، ص٣٢٠) .

كل شيء ﴿ما يَفْتَح الله لِلنَّاسِ مِن رَحْمَةٍ فلا مُمْسِكَ لها وما يُمْسِك فلا مُرسِل لَهُ من بَعْدِهِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكيم﴾ (1) .

لم يستقر الإمام في كوكبان إلى أسبوعاً ووصلت الأخبار بخروج العجم من الحُديدة (2) يحثون السير إلى صنعاء للإفراج على من بها من المحصورين وقد اصطحبوا «ق11ب» من الأقوات والسلاح وآلة الحرب شيء كثير وهم زهاء عشرة آلاف أو يزيدون. وصادف خروجهم من البحر وصول عبدالله بن أحمد المكْرَمي وصحبته ألف وخمسمائة من رجال يام (3) منتخبة من عدد كثير، يريدون الإفراج بزعمهم على طاغيتهم وداعيهم عبدالله بن على بن محسن الهمداني حين بلغهم حصار طَيْبة (4) وتخريبها، وكانت طريقهم من مغارب صَعْدَة (5) بمساعدة بعض النثنا (6) ، ولم يصلوا الحديدة لبُعد الشقة إلا بعد ثلاثة أشهر، وعبدالله بن أحمد هذا هو عين أعيان أولئك الملاعين، وعلم أعلام أولئك الشياطين، رجلٌ قد قضى عمره في ضلالة وإضلاله، معتزاً في تلك الديار الشاسعه بعزّة حاله، وكثرةَ ماله، ومَنَعة رجاله، رجال الطاعة والامتثال وأبناء الحرب والنزال، فهم لايصغون إلا إلى قوله، ولا يصدرون إلا عن رأيه، فحصل بينه وبين العجم الائتلاف والامتزاج، بجامع عداوة الإمام والانتقام من المسلمين والإسلام، واشتركوا في السلاح وسائر المحتاجات وطلعو من تِهَامه بعدَّة وعديدٌ وبأسٌ شديد، وانضاف إليهم من إخوانهم أهل حراز (7) ، كل بطل باسل

(1) سورة فاطر آية رقم 2.

(2) الحديدة: أشهر موانئ اليمن في تهامة وتطل على البحر الأحمر تبعد عن صنعاء بمسافة 226ك.م، (المقحفي: معجم البلدان، ص175، الويسي: اليمن الكبرى، ص108) .

(3) رجال يام: من قبائل همدان من حاشد، وهو يام بن أصبا، وقد جاء ذكرهم في نجران، وهم من أتباع المكرمي داعي الباطنية. (العرشي: بلوغ المرام،ص74، الحجري:المجموع،ج4، ص774) .

(4) طيبة: قلعة مشهورة بوادي ضهر ناحية همدان محافظة صنعاء، والقسم الداخلي منها يعرف بقلعة دورم قديماً. (الحجري: المجموع، ج3، ص560) .

(5) صعدة: مدينة تاريخية شمال صنعاء بمسافة 243ك.م، وتسمى قديماً جُماع (المقحفي: معجم البلدان، ص390، الحجري: المجموع، ج3، ص467) .

(6) النثنا: هكذا وردت في الأصل ولم نتوصل إلى معناها.

(7) حراز: قضاء حراز غرب صنعاء والمركز مناخة، وتقع في الطريق الذي يربط بين صنعاء والحديدة، أشهر جبالها شبام ومسار، كانت حراز مركز الصليحيين في القرن الخامس الهجري. (الويسي: اليمن الكبرى،ص77، الحجري: المجموع، ج2، ص252) .

وشجاع مقاتل، يظنون بأنفسهم الظنون، وإنما يخطبون المنون، ولّما سمع الإمام بهذه الأراجيف[1] ، استنفر كل حامل سلاح، فالتقى الجمعان في يازل[2] من بني مطر فالتحم القتال، واشتد النزال، وأطلقت من الرصاص من الجهتين ما سد الأفق ووقع الاختلاط، ودارت على أعداء الله رحا الطعن والضرب وقذف الله في قلوبهم الرعب، وامتدت الحرب إلى قرب صنعاء، وانجلت عن هزيمتهم، وإسلامِهم عُدّتهم وعتادهم وأسلحتهم وازوادهم وطمع فيهم النساء وأهل المسكنة، فامتلأت أيديهم من الغنائم وسلبوهم ثيابهم، وقد غصَّت البيداء بجيف القتلى، فهم بين جريح وكسير وقتيل وأسير، ومُزِّقوا كل ممزق، ولو أراد المسلمون قتلهم لقتلوا معظمهم ولكنهم تركوهم يذهبون حيث شاءوا. ودخل القلة منهم وبعض من الباطنية إلى صنعاء، وبقى من الباطنية زهاء ستمائة مع رئيسهم المذكور وسائر رؤسائهم ثبتوا للقراع، وأطلقوا بنادقهم على غرَّة من أصحاب الإمام فقتلوا بها قدر ستين نفراً من المسلمين يظنون أنها ستفرج عنهم الكرب، فتداعت عليهم بسببها الرجوف من كل جانب، ولم تغن عنهم شيئاً حتى إذا أعوزهم الثبات وأعجزهم النجاة نزلوا على حُكم الإمام. وقد سقط في يد طاغيتهم وفتَّ في عضده وبقى مبهوتاً على حاله لايعرف الرأي في ظهر إدباره، ولاوجة إقباله، فوصلوا إلى حضرة الإمام إلى شبام وأُطلع رؤساؤهم إلى كوكبان، وبقى سايرهم في شبام، حتى أُخذ سلاح العجم من أيديهم وأودع رؤساؤهم الحبس بعد أن حاجهم الإمام وأطلق سايرهم يرجعون بلادهم. وطلبوا من الإمام إبلاغهم مَأْمَنهم ففعل. ووصلوا بلاد صعدة وتلك الجهات على تلك الحال، وكان لذلك موقع وخطب على «ق١٢أ» أهل العناد جسيم. وبعد أيام يسيرة أتى بداعيهم عبدالله بن علي بن محسن الهمداني الذي خرجوا من أجله أسيراً لايجد ولياً ولا نصيرا، فألحق بهولاء وكان آخر العهد به. ﴿سُنَّةَ الله فِي الَّذِينَ خَلَواْ مِن قَبْلُ ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً﴾[3] .

---

(١) الأراجيف: أرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن والمرجفون في المدينة هم الذين يولدن الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب الناس، والإرْجاف مفرد، وقد أرجفوا في الشيء خاضوا فيه. (ابن منظور: لسان العرب المحيط، ج١، ص١١٣٢) .

(٢) يازل: قرية من ناحية بلاد البستان غرب صنعاء.

(٣) سورة الأحزاب، آية رقم (٦٢) . الآية وردت في الأصل هكذا(سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

وفي هذه الأيام وصلت إلى الإمام جملة وافرة من كُتب هؤلاء الأرجاس أخذت من حراز تزيد على مائتي مجلد أطلعتُ على البعض منها والبعض يدل على باقيها.

حاصلها النفي للأُلوهية والتشكيك في كل الضروريات وإنكار البعث والنشور والنبوءات بتمحلات[1] يمجها السمع، ويأباها العقل والنقل، ظاهرها الرفض، وباطنها الكفر المحض، وتأويلات موضوعة تؤدي إلى رفع قواعد الدين ودفع معاقد اليقين وإبطال معالم الشرع وتتبع أحكام الله بالرفض والنقض، وقد اصطلح متأخروهم على وضع قلم عند فُحش الكلام، ورفض الدين والأحكام، فهم إذا حققت أخبث الخليقة، وشر من مشى على وجه البسيطة، فسبحان الحليم على من حاربه وجحد، وطغى في كفره وألحد. وقد أمكن الله من أعداء الدين، ورؤساء الباطنية الملحدين، بما أقر به عين الإسلام والمسلمين، والحمد لله رب العالمين.

ودخل القل إلى صنعاء على تلك الحالة الشنعاء، ومعهم من الأقوات شيء يسير، فكان وصولهم على من بها قرح على قرح، وجرح على جرح، فطالبوهم الأقوات وهم أموات فلم يسعهم غير فتح أبواب المدينة لهم يذهبون حيث شاءوا، فتفرقوا أيدي سبأ ومزقوا كل ممزق، وهلك في الطرقات منهم خلق كثير حتى توحشت الكلاب من لحومهم، وشبعت النسور من أشلائهم، وتسلط على سلب ثيابهم الفقراء وأهل المسكنة لايقدرون على الدفع. وتركوهم يمشون حفاة عراة ووصل منهم إلى عدن جيل بعد جيل إلى أن بلغت عدتهم ألفي نفس وزيادة يسيرة فأخبرني من أثق به وكان حاضراً هنالك، أن الفرنجي جمعهم وصفهم في صعيد وطبع صورتهم على تلك الهيئة، ثم زودهم وأركبهم إلى الحديدة وبعث بتلك الصورة إلى ساير الممالك. ولا يخفى على اللبيب مرامه. ولمّا رأى من بصنعاء نزول الأمر الذي لادافع له عنهم وظهر فتح المدينة وظهور الإمام، وقد بلغ بهم الجهد إلى غاية ليس وراءها غاية حتى أكلوا الدواب والكلاب والسنانير وكل ذي روح. وبلغ قيمة القدح الطعام إن وجد ثلاثين ريالا، وهلك من الجوع بشر كثير وعالم لا يحصون، ونزل بهم من الرعب بما جرى عليهم في هذه الوقعة من القتل والأسر، وكانوا مؤملين الإفراج عنهم

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

فأيسوا وتحققوا أنهم صائرون إلى مصار أولئك، فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان واستقرت القاعدة بالمراسلةِ إلى الإمام، ووصلوا إلى كوكبان وأصحبهم جماعة من أعيان صنعاء، وطلبوا الصلح على سلامة نفوسهم وذراريهم وأموالهم التي يملكونها لاغير. واشترطوا على الإمام تجهيزهم وإبلاغهم مأمنهم إلى مناخة[1]، فوفى لهم الإمام بذلك على صلح مدته سنة بعد عهود ومواثيق وشروط «ق١٢ب» لم يفوا بشيء منها.

قلت: ثم بعد هذا سار الإمام من كوكبان إلى وادي ضهر، واستقر في القرية أياماً يسيرة، ثم سار إلى بيت ردم[2] لخلل حدث في الطريق ثم استقر فيه عشرة أيام لعارض نزل به ثم شفاه الله، ثم عاد إلى القرية، ثم سار نحو الروضة وتسلم صنعاء في بقية شهر صفر من السنة المذكورة[3] وكان دخول أهلها على كيفية عجيبة لخلو أكثرها من السكان حتى كثر الخلق فيها فدخل ساير الناس، ونقل مافي المراتب من سلاح وغيره إلى القصر[4]، فاجتمع إلى ما فيه مالا تُقِله ظهور الجمال، ولا تسعه أوعية الأحمال، مم قد جُمع في شهور وأعوام وإعطاء المجاهدين من هذه الغنايم على حسب أيامهم ما أملى أيديهم وأزاح عللهم ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤتِيه مَنْ يَشَآءُ والله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم**﴾[5].

وعلى الجملة فالشرح في ذلك يطول، ويستدعي في وصفه كراريس، وقد خرجنا عن المقصود لكنه لايخلو عن فايدة.

وكُتب إلى صاحب الترجمة بصفة الحال والمصالحة، وكانت لاتخطر عل قلب أحد، فور ردَّ جوابه متضمناً غاية البشرى وكمال السرور، ووصف إنه قد ازداد المرض عليه، ولقد كتب إلى الإمام وهو في هذه الحالة قصيدة حائية، في غاية البلاغة فيها من النصائح

(١) مناخة: مدينة تقع على رأس جبل حراز وهي مركز القضاء، تابعة لمحافظة صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٧١٩، الويسي: اليمن الكبرى، ص٧٧) .

(٢) بيت ردم: من قرى ناحية بلادالبستان محافظة صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٦٥) .

(٣) لم يذكر السنة ولكنها قد تكون نهاية ١٣٠٩هـ ١٨٩١م.

(٤) أي قصر السلاح داخل مدينة صنعاء شرقاً ويحيطه سور ممتد إلى سفح جبل نقم، ويشمل بداخله المخازن الواسعة للحبوب والأسلحه والسجن. (مجهول: صفحات مجهولة عن تاريخ اليمن، تحقيق: السياغي، ه ص٢٢) .

(٥) سورة الجمعة، آية رقم(٤) .

الحكمية، والوصايا العلمية مايُبهر له العقل، وفيه بيت أبدع فيه كل الإبداع ولم يحضرني حال كتب هذا. وإني لأعجب من تيسير البلاغة له وهو في حالة يتعذر معها سائر الكلام فما هذا إلا كرامة من الكرامات. وأخبرني بصفة مرضه، فأخبرت من له معرفة بهذه العِلة أعني مرض الرية والاستسقاء، فقال إذا عارضته حمى يومي فإنه مخوف ولاتطول مُدَّة صاحبها. وفي كتابه أنه قد عار ضته هذه الحمى مع علمي أن هذه العلة لازمة لأهل هذا البيت وغالبهم لايموت إلا بها، فبقيت متوقعاً ومشفقاً.

ثم فارقت الإمام يوم دخوله صنعاء، ونزلت إلى ذَمَار حتى ورد الخبر من الإمام بموته، وكانت وفاته بجبل غُربان سابع شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٣هـ[1]. فياله من حادث جرح الفؤاد، وفت الأكباد، وأراق الدموع ومنع الهجوع، وأخرس المقال حتى سَدَّ لسان الحال.

لادرّ درّ زمان أغمدت يده	ذاك الحسام ولاحَيَّاهُ بالمطر
العَلَم البر وهو البحر إن عصفت	للمشكلات أعاصير على العصر
حبر المسائل سباق الأماثل في	باب الفضائل في خير وفي خبر
فالصبر أشرف ما لاذ المصاب به	إن ناوشته يد الأيام بالضرر

اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وبكل اسم هو لك أن تفيض عليه سجال غفرانك وأن تتابع عليه سوابغ إحسانك. اللهم اجمع بيننا وبينه في مستقر رحمتك ودار كرامتك، وارض عنه وعنا رضى لايلحق السخط بأمده.

وعلى الجملة فمناقبه كثيرة، وأحواله شهيرة، واستقصائها يؤدي إلى طول المقام. وقد رثي بمراثٍ كثيرة ورثاه صنوه العلامة شرف الإسلام حسين بن عبد الله الإرياني حفظه الله.

«ق١٣أ»

ياعين جودي بدمع كالدما هطِلِ	لموت حاوي التُقى بدر العلوم علي
تبكي عليه فنون العلم أجمعها	والأرض مظلمة الأرجاء والقللِ

(١) ١٣٢٣هـ ١٩٠٥م.

فمــــن لأحكــــام ديــــن الله ينفــــذها قــد أصـبح الــدين في ثلــم وفي وجــلِ

أقـضى القـضاة إذا ماالمـشكلات دحـت جـلا صـداها بفكـر عنـه سـل وسـلي

قلــت مــوت جمــال الــدين منفــرداً لكــن بــه انهــد ركــن العلــم والعمــلِ

والمجــد والجــود والمعــروف شــيمته ففيــه قــد تــضرب الأمثــال في المثــلِ

لقــد رمتنــا الرزايــا مــن أكتهــا بأســـهم لم يكـــن في منتهـــى الأمـــلِ

فلــيس يــأتي الزمــان بالــشبيه لــه ولا أتـــى قـــط فـــيمن جـــاء بـــالأوَلِ

صـــبراً لمـــا قـــد قـــضاه الله في أزل وإن تقطعـــت الأكبـــاد بالعلـــلِ

فرحمـــة الله تغـــشاه وتـــشمله ماناحــت الــورق في ســهل وفي جبــلِ

قلت ورثاه ابن أخيه يحيى بن محمد بن عبد الله وابـن أخيـه حمـود بـن حـسين بمـرثيتين تركتهما اختصاراً وحاصله أنه كان غرة في جبين زمن أدهـم، وجـوهرة تـضيء فـيما أشـكل وأبهم، فرحمه الله ورضي عنه.

قال مؤلف الترجمة وكتبه عبد الله بن محمد بن يحيى بن محسن بـن حـسن بـن محمـد بـن إبراهيم بن محسن بن سعيد العيزري[1] عفى الله عنـه[2] . «ق١٣ب»وهـذه الأبيـات الرائعـة لجامع هذه السيرة المنصورية، إلى مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى بن أمير المـؤمنين المنصور بالله، قالها القاضي وهو في المرض الذي توفي منه، عند أن قارب الإمام حفظه الله في صنعاء المحمية بالله تعالى، وذلك في شهر ربيع الأول ١٣٢٣هـ[3] وصـلت إلى الإمـام وهـو بحصن كوكبان ثم ارتحل من كوكبان نحو صنعاء.

أهنيــــك يــــانجم الأئمــــة بــــالفتح ومــا أفــضل الــرحمن فيــه مــن الــنجح

---

(١) العيزري : هو العلامة الحافظ الزاهد عبد الله بن محمد بن يحيى العيزري، ولد بضوران في شهر ربيع الأول سـنة (١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م) كان عالماً حافظاً ورعاً تقياً زاهداً عابداً كثير الطاعة واسع الاطلاع، حـرص عـلى تلقـي علوم عصره وهي قراءة القرآن والنحو والفرائض على يد علماء ومشائخ عصره في ضوران وذمار وجبله، وقد نسخ عدة من الكتب بخط يده. هاجر إلى مقر إقامة الإمام المنصور وصاحبه في تنقلاته ورحلاته حتـى وفاتـه، ثم صاحب ابنه الإمام يحيى. مرض بمدينة ذمار حتى توفي سنة (١٣٦٤هـ١٩٤٤م) . (زبـارة: نزهـة النظـر في رجال القرن الرابع عشر، ص٣٩٥، الأكوع: هجر العلم ومعاقله،ج٣،ص١٤٩٦) .

(٢) بقية الورقة بياض.

(٣) ١٣٢٣هـ١٩٠٥م.

ومــــازال مــــذ بنـــتم أزالُ الـــيكم ... تحــن اشــتياقاً في العــشي وفي الــصبح

وقـــد حقـــق الله الكـــريم رجاءهـــا ... فـــساجعة الأفـــراح تعلـــن بالـــصدح

أمـــوراً تولاهـــا الإلـــه بنفـــسه ... فــلا منّــةٌ فيهــا عليــك لــذي كــدح

فحمـــداً لمـــن أولاك كـــل فـــضيلةٍ ... يقــصر عــن أوصــافها قــول ذي المــدح

فكــم مــن سرورٍ نــال كــل موحــدٍ ... ومــاذا أصــاب الظــالمين مــن القــدح

لقد صــارت الأعــداء مــن غــيظ مــا رأوا ... يــؤدون منــه الإســتراحة بالـــذبح

مـــآثر زيـــد أنـــشر الله ميّتهـــا ... وبعــد إيــاسٍ أفــضل الغيــث بالــشح

فــسبحان مــن في واحــد جمــع الــورى ... معينــاً لــه في المــشكلات عــلى الــسبح

إمــام الهــدى بحــر النــدى قاصــم العــدى ... ومــن حــاز في ســهم العــلى أرفــع القــدح

لقــد كلــت الأقــلام عــن حــصر فــضله ... ولو رُمت عَدّ الــبعض طــال بهــا شرحــي

وقــد ســامت الــشعرا لــو رام شــاعرٌ ... بقـــول تلقـــاه المقـــدم بـــالنطح

وقـــد آن أن أهـــدي إليـــك نـــصائحاً ... وأفــضل مــا يهــدى مقــال ذوي النــصح

تفقـــد أمـــور المـــسلمين جميعهـــا ... وبــادر لأهــل الجــور بــالعزل والطــرح

فـــلا خـــير يرجـــى مـــن ولايـــة ظـــالمٍ ... ولــو كــان مــن فــوق الــسماكين والــنطح

ولـــو كـــان فيـــه بـــسطة مـــن حـــلاوة ... وحــذق فــما والله في الظلــم مــن ربــح

ولكنـــه يخـــلي الـــديار وينـــصر العـــدو ... ومـــا والله في القـــول مـــن شـــطح

وكــم مــن ذيــاب لا ســقى الله عهــدهم ... يـــرون وعيـــد الله ضربـــاً مـــن المـــزح

ومـــا همهـــم غـــير الحطـــام وجمعـــه ... فبعـــداً إلى بعـــد وقبحـــاً إلى قـــبح

ومـــا الخـــير إلا في اتبـــاع محمـــد ... نبـــي الهـــدى مـــع آلـــه أنجـــم الفُلـــح

ومــا خــالف المنــصوص فهــو ضــلالة ... وإن قـــرروه في الهـــوامش والـــشرح

«ق١٤أ» من كتاب لمولانا أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين عليه الصلاة والسلام إلى أحد عرايف أرحب ومن خط يده الشريفة نقل ولله درّه.

الشيخ الهمام الأكمل حمود بن مسعد أبوغانم حرسه الله من الشرور ووقاه المحذور، صدورها بعد وصول كتابكم المستطلع لما نظن فيكم من التمسك بأهداب العترة الزكية، أو

الميل عنهم إلى الفرقة الأعجمية الغويّة. وقد عَلِم الله إنا لانريدُ إلا بنآء المفاخر، والدعآء إلى الله واليوم الآخر، وأن نخرج العرب من ظلمة الحنادس، ونغرس لهم من العز أطيب المغارس، ولقد أستولى على بعض العقلاء الإياس عن زوال العجم، وصاروا يشربون معهم نقيع العلقم، ويصبرون على المذلة، ويخوفون الناس بكل علة، ويظنون إن العز في سلامة البيوت من الخراب، وفي التذلل للعجم بخفض الجناب، وليس كذلك فلا يصدعُ إلا من لانت لهمُ قَناته، ولا يَعزُّ ويُرفع إلا من صلحت أعمالُهُ ونيّاتُه. وإنا نحب لكم معالي الأمور وطلب حُسن الخاتمه قبل حلول القبور وأنت من ذوي العقول الراجحة، فاختر لنفسك مايحلو والسلام ختام. شهر رمضان سنة ١٣١٥[1] .

(١) ١٣١٥هـ-٢١/ ٢/ ١٨٩٨م.

ق «١٤ب» كتاب الدر المنثور في سيرة مولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين ونعمة الله على الخلق أجمعين الإمام المنصور بالله رب العالمين محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين.

«ق١٥أ» الحمد لله الذي أطلع لعباده في سماء الاقتداء نجوماً من العترة النبوية ساطعةً زاهرة، وأشهر منهم في كل زمان سيوفاً لأعناق أهل الإلحاد والجور قاصمةَ باترة، وقضى بسابق علمه أنها لاتزال منهم طائفةً على الحق ظاهرة، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجَّال كما نطقت بذلك الأخبار المتواتره، فهذه ربوع الخلافة بهم في كل أوان آنسة عامرة، ومعالى الدين بآثار بهجتهم وأنوار طلعتهم عاطرة ناظرة، ومشاعر الفضل والعلوم بحسن صنايعهم حامدة شاكرة، فهم في كل مكان وأوان زينة البادية والحاضرة، وبحور الفضائل الزاخرة، والله نشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، شهادة تكون لنا جنة في الدنيا والآخرة، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، المؤيد بالمعجزات الباهرة، والبراهين المتطاهرة المتظافرة، صلى الله عليه وعلى عترته الطيبة الطاهرة، صلواةً دائمة متواصلة متكاثرة، وسلم تسليماً كثيراً أوله وآخره.

أما بعد فإنه لما منَّ الله سبحانه عليَّ وله الحمد بالوفادة إلى مقام من ملك أزمَّة السعادة، والسيادة، وحوى من الكمال الحسنى والزيادة، مولانا ومولى كل مسلم شمس الهدى التي طلعت آخر الزمان من القِبلة، فكشفت عن حنادس الليل المظلم نعمة الله التي امتنَّ بها على العباد في هذا الزمان. ورحمة الله التي تفضل بها على المستضعفين من أهل اليمن، وحجة الله التي أقام بها الفرائض والسنن، أمير المؤمنين والسالك سبيل آبائه المطهرين، والمجدد لدين جده سيد المرسلين المنصور بالله رب العالمين، حفظه الله بما حفظ به الذكر المبين، وكلأه وحماه من شرور الأناس والشياطين، وأيده بعزيز نصره المبين، وأمده بالملائكة من عنده مُردفين. وحين وصلت إلى ذلك المقام، وتشرفتُ برؤية بهجة ذلك الإمام، ومفاكهة أخلاقه الكرام، التي هي على المؤمنين روضٌ نضر دائم الابتهاج، وعلى أهل الفسوق والعصيان بحر متلاطم الأمواج. ولقد واجَهَنَا حفظه الله بما يليق بجلالة أخلاقه السنيَّة التي هي فرع الدوحة النبوية، وبضعة الذات المصطفوية. فلم يزل يتعهدنا بجزيل فضله وبره، فيما أنا في حصر عن حصره، وقصد عن أداء أدنا شكره، إلا بالدعاء له، والثناء عليْه بما أحرز من قصبات السَّبق بالأصالة، وورثه من المجد عن آباء صدقٍ لا عن كلالة، وكيف لا وهو أوحد الزمان فخامة وشهامةً، وزعامة وجلالة. حامل راية الإمامة في هذا العصر، والمؤيد من مولاة بالتمكين والنصر، قايد الأمة إلى سبيل التقوى، والمتمسك من ربه بالحبل الأقوى. وإني لما وضعت عصى التسيار، وحططت رحالي في تلك الديار، سَمِعتْ أُذناي

ووعى قلبي وقايعاً جرت بين الأجناد المنصورية أنصار الحق وبين أعـداء الله العجـم، يحـقُ أن توثق بقيد القلم، ويلزم حفظها في بطون الأوراق، حفظاً لمآثر هذا الإمام، سيد الـسِبّاق، وإشاعةً لكراماته التي تواترت بالاتفاق، وإن في حفظ تلك الحوادث تبصرةً «ق١٥ب» لمن يأتي بعد من الحذّاق، وعبرة لأهل الإيمان والوفاق، وإغاظةً لذوي الحسد النفاق.

فرأيت من اللازم بحكم المروة، والواجب لشرع الفتوه، خدمة هذا المقام الرفيـع، طـود الخلافة الشامخ المنيع، بتاريخ يشتمل على السيرة المنصورية، والوقايع العلوية الصفينية[١] .

ومما يلم بذلك من الحوادث السنية السنوية، وإنه لمطلب فخيم، ومقصد جليل جسيم لما عُلم عند كل ذي قلب سليم، ونظر مستقم، إن ذُكر الفتى عمره الثـاني، وأن الثنـاء الحـسن الخالد الذي ليس بفاني، ولذا سأله سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتـسليم. فصار ذلك مطلوباً عند ذوي الهمم العالية والصفات السامية، لا يُنْكَرُ فضله إلا مَن مناكبـه عن أردية الفضل عارية. وكان وصولي إلى ذلك المقام الشريف، مناخ العز السامي المنيـف، شهر جماد الآخرة تاريخها ظاهر ١٣١٦. والإمام محمد وكان حين زفره من الباطـل، وجـورٌ يحق فيه قول القائل: شعراً

أَنَّـــت الأرضُ واشــــتكت	ســـطوة الزمـــان
ثــم ولولـــت وغَـــدت	تطلـــب الأمـــان
ربهـــا الـــذي لـــه سَـــجَدت	العظـــيم الـــشان
دولـــة الأعـــاجم التـــي جُبِلـــت	عـــلى الطغيـــان
جـــورٌ ومـــا صـــنعت	بلـــغ العنـــان
فأجـــاب مـــا ســـألت	رفـــع الإمتحـــان
وطـــوى بـــساط مملكـــة	آل عـــثمان

٢٢ ٧٢ ٣٠٠ ٣١ ٦٦١ سنة ١٣١٦هـ[٢] .

---

(١) ربما مرجع ذلك إلى موقعة صفين.

(٢) كل حرف من حروف شطر البيت يدل على رقم، ومجموع تلك الأرقام يـساوي الـسنة المـشار إليهـا في الأخـير وهي سنة ١٣١٦هـ. وقد استخدم بعض الشعراء هذه الطريقة للإستدلال على التاريخ. ويوافق ١٨٩٨م.

وهذه الوفادة الثانية بعد الوفادة الأولى التي في شهر ربيع الأول ١٣٠٩هـ[1]. وقد قلت في مديح مولانا أيده الله غرراً من القصائد، لكني أضربت عن ذكر بعضها في هذه السيرة خشيةً من أن أُعد ممن هو لشعره (وأينه)[2] مفتون، وذلك عيب لايرتضيه العاقلون. وقد سميت هذه السيرة المباركة: الدر المنثور في سيرة مولانا أمير المؤمنين الإمام المنصور.

وهذا أوان الشروع في المرام، ومن الله نستمد التوفيق والإعانة على التمام.

فصل: اعلم أنه ينبغي للناظر والسامع، أن يعلم أولاً علماً جازماً مستفاداً من البرهان القاطع، أن وجوب اتباع داعية أهل البيت أمر مُتحتم، وأن طاعة داعيتهم وموالاته من الواجب على كل مسلم. وأن من حاد عن ذلك فقد سلك في طريق مُظلِمْ. ولا يهولنك كثرة من حاد عن سواء الطريق فإنه أقل ما نزل من السماء التوفيق. وانظر إلى واضح الأدلة فإنك لاتكاد تجد الحق والخير إلا مع القلة وقليلٌ ما هم ﴿و **قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[3]. شعراً:

تُعَيِّرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليلُ

وانظر كم كان اتباع الرسل في سالف الدهور، إلى غير ذلك من الأدلة التي هي في غاية الظهور، ولا ينكرها إلا مخذول مغرور، ولا يأتي من خالفها إلا بهباء منثور. وإنا نجد أهل الفسوق والكُفر والطغيان، أضعاف أهل الإسلام والإيمان، وأن هذا أمرٌ لا يكاد ينكره إنسان. وحينئذٍ تبين أن أهل الحق هم الجماعة، وأن العترة النبوية هم أساطين الحق إلى قيام الساعة.

كيف لا وقد نوَّه بذلك الرسول، في غيرما حديث، تلقته الأمة بالقبول، الحديث:(إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)[4].

---

(١) ربيع الآخر ١٣٠٩هـ ٤/ ١٠/ ١٨٩١م.

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) سورة سبأ، آية رقم ١٣.

(٤) يرد الحديث بألفاظ مختلفة، الهندي: كنز العمال، المجلد الأول، ص١٧٢.

قال العلامة الشريف: يفهم أنه لابد من وجود من يكون أهلاً للتمسك بـه مـن العـترة الطاهرة في كل زمن «ق١٦أ» إلى قيام الساعة، حتى يتوجه الحدث المذكور على التمسك به. كما أن الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبـوا ذهـب أهـل الأرض. والحديث المذكور قال صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع، ورواه عنـه مـن الـصحابة مايزيد على العشرين بألفاظ مختلفة، فـدل ذلـك أنـه يجـب عـلى النـاس المـوالاة والمنـاصرة والتمسك بتلك الأعتاب الطاهرة. وقد تبين صدق الأحاديـث الـواردة بـالوقوع الـذي لا ينكره إلا مكابر. وأن هذه الأحاديث متفق عليها عند المُوالِف والمُخالِف. ولقـد صـانها الله تعالى عن تحريف المحرفين وغلوا الغالين، ولم يقدر على كتمها أحدٌ من المحدثين، لأنها مـن معدن الذكر المبين. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إن الله يبعـث لهـذه الأمـة على رأس كل مائة سنة رجلاً من أهل بيتي يجدد لها أمر دينها) [1] الحديث. أو كما قال وقولـه صلى الله عليه وآله وسلم «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتـي فهـو خليفـة الله في أرضه»[2] إلى غير ذلك مـن الأحاديـث الثابتـه في دواويـن الإسـلام. ولقـد دلـت مفهومـاً ومنطوقاً على وجوب التمسك بعروة أهل البيت النبوي. ووجوب طاعة أئمـتهم ومـوالاة داعيتهم والقيام بنصرته ومعاونته باطناً وظاهراً. لا معنى للأحاديث إلا ذلك وقـد اسـتدل بذلك على حجية إجماعهم، ولا مانع أن يُستنبط من الخبر الواحد حكـمان، وكيـف لا وهـو من كلام من أعطى جوامـع الكلـم، وأن دلالتـه عـلى وجـوب اتبـاع قـائمهم ومناصـحته ومناصرته ومعاونته على القيام بالأمر المعروف والنهـي عـن المنكـر ونـشر الحـق، أوضـح وأظهر. وقد عُلم أن إقامة الحق بالسيوف المجردات، أتم منه بالكتب المجلـدات، وبرهـان الوقوع قد قضى بصحة هذا المرفوع. فكان ذلك من الإخبار بالغيوب لئلاَّ يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّـكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [3] .

ومما يزيدك طمأنينة أنك تجد العترة النبوية متفقون على وجوب الخـروج عـلى سـلاطين

(١) الحديث في: سنن أبي داود، الجزء الثاني، كتاب الملاحم، ص٤٤٢.

(٢) الحديث في: الهندي: كنز العمال، المجلد الثالث، ص٧٧.

(٣) سورة آل عمران، آية رقم .

الجور، ولزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي صارت بسببه هذه الأمة خير أُمةٍ أُخرجت للناس، وهو الأمر المجمع على وجوبه فيما بين السلف الصالح، فلم يسمعوا القول الناصح، بل صار مطلبهم الأهم تحصيل حطام الدنيا من أيدي العجم. وبما ذكرنا يتضح لك أن بذلك الأمر حصلت المقارنة فيما بين الكتاب والعترة فاحفظ هذا فإنه مفيد بالمرة.

وأما من نهج التشيع في الأموات، وقصر ودّه على الرمم الباليات، وظن أنه قد بلغ في التشيع أعلى الدرجات. فإذا ظهر قائم العترة هون على الناس أمره، وحمله الكبر على جحد الحق، وسلوك نهج شيخه أي مره، فباء بخسران وحسرة، مع أنه قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:«أزهد الناس في العالم إخوانه وفي العابد جيرانه» [1] الحديث. وتلك فتنة العرب مما فتن الله بها العباد. وأبرز في صورة التكشف لأحوالهم والافتقاد، ألا ترى أن مريم ابنة عمران سيدة نساء عالمها قال الله فيها:﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ الله اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ واصْطَفَاكِ عَلَى نِسَآءِ الْعَالَمِينَ**﴾[2] وقال فيها قومها:﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوْا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاًَ۝ يَاأُخْتَ هَارُونَ ما كَانَ أَبُوكِ أمْرَأَ سُوْءٍ وما كَانَتْ أُمُّكِ بَغِياً**﴾ [3] وأن أحدنا يحدث نفسه لو كان موجوداً في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعصر الإمام الفلاني«ق١٦ب» لفعل وترك ولايرفع رأسه لنصرة القائم في عصره، ففتنة القرب من المغويات، وكذلك من أظهر التشيع لتحصيل بعض الأغراض الدنيوية، فإن تحصل وإلا انقلب على وجهه. وانعكست القضيَّة. اللهم لا ذا ولا ذاك، أعمالهم وأقوالهم نيَّة لم يصححوا بها بنيَّه. فعليك أيها الناصح لنفسه بسلوك منهج الفرقة الناجية وملازمة طريقة السلف العتيقة الخالية، فانظر إلى سيرهم وتأمل ما أتى من خبرهم واسلك على أثرهم فإنهم بذلوا أنفسهم لله، وقاموا بما أوجبهم حبهم لله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك أمر ثابت لم يأتِ نسخة في خبر ولا أثر. ولو كان في ذلك إزهاق النفوس وملاقات الشدائد والبؤس، وإياك أن تحمل حُب هذه

---

(١) لم نجد الحديث في المصادر التي بين أيدينا.

(٢) سورة آل عمران، آية رقم(٤٢) .

(٣) سورة مريم، آية رقم(٢٨) .

الدنيا الفانية على الوقوع في الأغلوطات الكاذبة، والأعذار الواهيـة، فـإن لـك مـولى يعلـم السر والعلانية، وعن قريب، وقد لاقيت جميع ما أعلنت وما أخفيت وقد نصحتك فالحـذر الحذر ولقد أعذر من أنذر، شعراً :

فإن تقبلوا نصحي ترون قبوله   نجاةً ومرقاة إلى جنة الخلد

وفي هذا كفاية لمن وفقه الله إلى سبيل الهداية، فليكن منكم على ذكرٍ وبالله التوفيق.

فصل: ولنتبرك بذكر نسبه، عليه السلام وذكر شيئ من بداياتـه. فأمـا نـسبة فهـو أمـير المؤمنين وصفوة الآل المطهرين أسْيَد الأسْيدين المنصور بالله رب العالمين محمد بن يحيى بـن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين العلامـة المحقـق مؤلـف الغايـة[1] وشرحها، ابن الإمـام المنـصور بـالله القاسـم بـن محمـد بـن عـلي بـن محمـد بـن عـلي بـن الرشيد، شعراً:

نـسَبٌ كـأن عليـه مـن شـمس الـضحى   نـوراً ومـن فلـق الـصباح عمـودا

ومـا ذاك إلاسـيد مـن سـيدٍ   حـازوا المفـاخر والثنـا والجـودَا

وكان مولده عليه السلام في مدينة صنعاء اليمن، ونشأ في حجـر والـده الـسيد العلامـة المجمع على أنه من ذوي الرجاحة والشهامة والزعامة يحيـى بـن محمـد. ثـم لمـا بلـغ عليـه السلام، لبس قبول التعليم دأب في تحصيل العُلوم، بعد أن حفظ كتاب الحي القيوم، فكـان مشايخه في العلوم النقلية والعقلية جماعة منهم الفقيه العلامة البعيد الغور محمد بن عبـد الله الثـور[2] والـسيد العلامـة محمـد بـن إسـماعيل الكبـسي[3] والـسيد العلامـة أحمـد بـن

---

(١) الغاية :"غاية السؤول في علم الأصول" كتابٌ للحسين بن الإمام القاسم بن محمـد، مولـده رابـع عـشر ربيـع الآخر ٩٩٩هـ، وفاته سنة ١٠٥٠هـ. (محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القـرن الـسابع، المجلد الأول، ص٢٢٦) .

(٢) محمد بن عبد الله الثور: الفقيه العلامة محمد بن عبد الله بن عبد الله بن محمد بن حسين بن إبراهيم الحميري الصنعاني. كـان عالماً عاملاً صالحاً تقياً نشأ بصنعاء وتلقى تعليمه على يد جُل علماء عـصره مـنهم أحمـد بـن إسـماعيل العلفـي والسيد أحمد بن محمد الكبسي و الإمام أحمد بن هاشم والإمام محمد بن عبد الله الوزير، والسيد محمد بن محمـد عامر، والقاضي أحمد بن عبد الرحمن المجاهد وغيرهم، عمل بالتدريس في ضوران فاستقر بهـا إلى أن توفـاه الله سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م. (زباره: نزهة النظر،ص٥٤٠) .

(٣) السيد العلامة شيخ الإسلام محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن أحمد الكبـسي الحـسني. كـان عالمـاً فاضـلاً محققاً متقناً، تولى القضاء في المناطق الخولانية، حتى قام الإمام المحسن بن أحمد وولاّه منصب القـضاء العـام في =

محمد الكبسي[1] والسيد العلامة القاسم بن حسين المنصور[2] والسيد العلامة محمد بن إسماعيل عشيش[3] والقاضي العلامة المحقق أحمد بن عبد الرحمن المجاهد[4] والقاضي العلامة حبل العلم الراسي محمد أحمد العراسي[5] والقاضي العلامة حسين بن عبدالرحمن الأكوع والإمام الأوحد مقدم الذكر المتوكل على الله.المحسن بن أحمد. وكل هؤلاء الشيوخ

مدينة صنعاء. وعند قدوم الأتراك إلى صنعاء عارض وجودهم ورحل إلى هجرة الكبس فلم يلبث إلا ثلاثة أشهر وتوفاه الله في جماد الآخرة لسنة١٢٨٩هـ/ م. (زبارة: نيل الوطر، ج٢ ،ص٢٤٥) .

(١) السيد العلامة صفي الإسلام أحمد بن محمد الكبسي: ولد في شهر ربيع الأول ١٢٣٩هـ. تلقى جُل علومه الدينية عن والده، وعن كثير من علماء عصره . كان رئيساً للعلماء في صنعاء، وصار مرجعاً للعلماء يعولون عليه في حل المشاكل، وقد أخذ عنه كثير من علماء عصره وشيوخها. كانت له منقبة حسنة فقد شارك في حرب الباطنية، حارب الأتراك في بداية وصولهم إلى اليمن، لكنه آخر الأمر ركن إلى الدعة، ودخل صنعاء في عصر الوالي مصطفى عاصم. وتفرغ للعلم والوعظ والإرشاد. كان من العلماء الذي قام مصطفى عاصم بسجنهم في سجن الحديدة لمدة سنتين. حتى أطلق صراحه في عهد الوالي الذي يليه، وبعد إطلاق صراحه تمكن من إحياء العلم في صنعاء حتى وفاته في الخامس والعشرين من ذي القعده لسنة١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م. (زبارة: نزهة النظر، ص١٤٣-١٤٥) .

(٢) السيد العلامة القاسم بن حسين بن أحمد بن المنصور بالله الحسين بن المتوكل على الله قاسم بن حسين بن المهدي أحمد بن الحسين ابن الإمام القاسم. ولد في رمضان سنة ١٢٤٥هـ، ونشأ بصنعاء وتلقى تعليمه على يد علماء عصره ومشائخها منهم العلامة أحمد بن عبد الرحمن المجاهد، والسيد العلامة علي بن أحمد الظفري، والقاضي العلامة عبد الرحمن العمراني، والسيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي، والقاضي محمد بن أحمد سهيل، والقاضي حسين بن عبد الرحمن الأكوع. كما كان كريم الأخلاق واسع الصدر جميل الخط كتب بخط يده كثيراً من الكتب النافعة. وقد أخذ عنه كثير من العلماء منهم الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين والإمام الهادي شرف الدين بن محمد والقاضي عبد الملك بن حسين الآنسي وشيخ الإسلام علي بن علي اليماني وغيرهم كثير، وقد تولى نظارة الوقف فترة يسيرة ثم استقال منها. توفي في ذي الحجة ١٣٠٦هـ. (عبد الله بن عبد الكريم الجرافي: تحفة الأخوان،ص١٤) .

(٣) السيد العلامة محمد بن إسماعيل بن يحيى عشيش ينتهي نسبه إلى الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزه. نشأ بصنعاء، وأخذ عن القاضي أحمد بن إسماعيل العلفي وغيره من علماء صنعاء. كان محققاً شهيراً مدققاً زاهداً عابداً. عمل بالإفتاء والتدريس بجامع صنعاء، ومن طلبته الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين. أحب جمع الكتب النفيسة وكان يقتني منها الكثير. وقد كف بصره في آخر عمره فعكف على تلاوة القرآن وتدريسه، حبسه المشير مصطفى عاصم مع مجموعة من العلماء في سجن الحديدة لمدة سنتين حتى توفيَّ في سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م. (زباره: نيل الوطر: ج٢، ص٢٤٦) .

(٤) أحمد بن عبدالرحمن المجاهد: كان متبحراً في علم التفسير والسنة والفروع وأصول الفقه وعلوم الأدب، وقد تلقى على يديه وانتفع منه الكثير من مشائخ عصره. أجاد حفظ القرآن، وله حواشي ومباحث على غاية السؤول وغيرها متمسكاً بالسنة. توفيَّ سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م. (الجنداري: الجامع الوجيز، ق١٩٩) .

(٥) القاضي العلامة المفتي أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد ابن الشيخ العلامة الشهير عبدالله بن محي الدين العراسي، مولده بصنعاء سنة ١٢٤١هـ، ونشأ بها وحفظ القرآن والمختصرات، تلقى علومه على أيدي علماء عصره، كان إماماً في الفقه، عمل بالفتوى، له مؤلفات كثيرة ونافعة، توفيَّ بقرية القابل سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م. (زباره: نزهة النظر، ص٥٠٢) .

أذعنوا له بالتقدم والرسوخ. وأنه المُجلي الذي لايجارى في مضمار، ولا يدرك له غبار، وأنه أوحد الرجال، الجامع لخصال الكمال. وممن أجازه في فنون العلوم نظماً السيد العلامة أحسن بن عبدالوهاب بن حسين بن يحيى الديلمي[1] .

ولم يزل عليه السلام يرقى في معارج الكمال حتى رمقته الأيام بعين الاحترام والإجلال وأنه أوحد الرجال، وكان منه ما كان من الجهاد للباطنية وغيرهم حال كونه مقدمياً بحضّرة الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد عليه السلام. ولم يزل على تلك الحال إلى خروج العجم إلى اليمن، ثم أنه نظر في أمورهم وتدبر أحوالهم وزاحمهم في الإصدار والإيراد ورجح أنهم من أهل البغي والفساد، فاعتزل في بيته «ق١٧أ» ناشراً للعلوم فاصلاً للقضايا فيما بين الخصوم. آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، حتى أذن الله بما سيذكر.

فصل في خروجه أيده الله تعالى من مدينة صنعاء المحمية:

كان ذلك في يوم الإثنيين الثامن والعشرين من شوال سنة ١٣٠٧هـ[2] وذلك على حين خقفة[3] من الدين، وزفرة من الباطل والمبطلين وضعف في طايفة المؤمنين، وقذاً في عين الشريعة، وحكام يجعلون القضاء وسيلة لأخذ الأموال، وذريعة، ومأمورين قد قطعوا

---

(١) احسن بن عبدالوهاب الديلمي: هو الحسن بن عبدالوهاب الديلمي ولد في ذمار سنة ١٢٢٩هـ، تلقى علومه على يد والده وجده وعن مجموعة من علماء عصره، واستجاز من السيد أحمد بن زيد الكبسي، وشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني. كان إماماً في الفروع والأصول محققاً في المعقول والمنقول كانت له معرفة دقيقة في علوم الرمل، والمترب، واللطيف والرياضي والطبيعي والإلهي، ومن مصنفاته: تحفة الحبيب بنظم مسائل التهذيب في المنطق، ونزهة الطرف في أحكام الصرف وشروحها ، الإبريز المذاب في قواعد الإعراب، والطراز المذهب في المختار لأهل المذهب، وعقد الزمام في وجوب طاعة الإمام، ومختصر الإتقان في علوم القرآن، وأعاد تأليف كتاب جده "جلاء الأفكار". وصنف رسالة ذكر فيها أربعين علماً. وله الكثير من الأبحاث والمسائل والأشعار، وعزم إلى مكة سنة ١٢٨٠هـ لأداء فريضة الحج وهناك اختار جوار البيت الحرام ومكث هناك حتى توفيَّ ١٢٨١هـ، وقُبر بمكة وعمره اثنين وخمسين سنة. (زباره: نيل الوطر، ج١، ص٣٤٠) .

(٢) ١٣٠٧هـ ١٦/ ٦/ ١٨٩٠م.

(٣) خقفه: المقصود هنا هو الخَفَقْة وقد وردت سهواً، والمراد هنا خفق خَفُوقاً الرايه والفؤاد والريح: أي اضطرب وتحرك. (المنجد: ص١٨٩) .

رحم الملة الإسلامية، أي قطيعة. شربوا الخمور ورفعوا الستور، وارتكبوا جميع الأفعال القبيحة الشنيعة، وشرعوا لأنفسهم ديناً سموه القانون[1] ، فهم عن أحكام جوره لا يعدلون، وباعوا ضعفاء الرعية من المشائخ، فأصبح الظلم في دولتهم كالطود الراسخ. وكان ذلك بعد أن استشرفت لظهور هذا الإمام عيون الليالي والأيام، وذلك بعد وفاة الإمام الهادي لدين الله شرف الدين بن محمد عليه السلام[2] وكان وفاته عليه السلام يوم السبت تاسع عشر شهر شوال سنة ١٣٠٧هـ في حصن السنارة[3] ، ونُقل منه بوصية إلى المدان[4] قرية في جبل الأهنوم، ودفن هناك بعد وفاته بثلاثة أيام. ولم يتغير ريحه كما أخبرني بعض السادة الأعلام. وحين توفى عليه السلام كان بحضرته السيد العلامة الأوحد فخر الأواخر ونجم الآل الزاهر عماد الدين يحيى بن قاسم عامر[5] رحمه الله والسيد العلامة الأمجد صفي الدين وزينة الآل المطهرين أحمد بن قاسم بن عبدالله حميد الدين. ولقد أخبرني حفظه الله بما حاصله، أنه لما توفيَّ الإمام الهادي عليه السلام، كاد الشر أن ينهض، وطمع كل من في قلبه مرض من أهل تلك الديار وهم أهل صعدة وسحار وأجمع الرأي بأنه لايصلح لهذه الرتبة العلياء إلا من جمع صفات الكمال في الدين والدنيا. ولم يوجد لهذه الصفة إلا علم المعرفة وواسطة عقد الأول وجُمانه عقد اللآل المحقق في الفروع والأصول، والمدقق في المعقول والمنقول، وهو مولانا الإمام حفظه الله فحينئذ بادروا بالإرسال إليه، ومكاتبته بأنه قد توفى الإمام الهادي عليه السلام. ولم يبق من يصلح لهذا المنصب الشريف

---

(١) القانون: هو الدستور أو القوانيين التي كان الأتراك يفرضونها ويطبقونها في اليمن، وقد نفر منها اليمنيين لأنهم كانوا على غير عهد بمثل هذه القوانيين.

(٢) الإمام الهادي شرف الدين بن محمد وينتهي نسبه إلى الإمام يحيى بن حمزه، مولده في صنعاء سنة ١٣٤٥هـ. من أساتذته القاضي حسين بن عبدالرحمن الأكوع والسيد محمد بن إسماعيل عشيش والكبسي والظفري وغيرهم من علماء عصره. دعى لنفسه بالإمامة في سنة ١٢٧٦هـ في صعدة وحارب الأتراك وقاوم وجودهم في اليمن. توفيَّ بحصن السنارة بصعدة عام ١٣٠٧هـ. وله سيرة مفصلة. (زبارة: نزهة النظر، ص٣١٣) .

(٣) حصن السنارة: السنارة حصن جنوب مدينة صعدة ناحية سحار، والحصن يطل على البلدة وهو معقل من معاقل الإمام الهادي شرف الدين. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٣٢) .

(٤) المدان: من بلدان الأهنوم وقرية في محافظة حجة عزلة بني نسر. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٩٧، التعداد العام للسكان لسنة ١٩٨٦، ص٣٤٦، محافظة حجة) .

(٥) يحيى بن قاسم عامر: ترجم له مؤرخنا الإرياني في سياق السيرة، يمكن الرجوع إلى الورقة (٦٨ب) .

غيرك، وقد تحتم عليك الخروج، فبادر إلى ذلك قبل أن يفطن العلوج[1]، وتدارك أمور المسلمين فإنها قد غدت تموج. فحين وصل إلى الإمام ذلك الكتاب شاور العلماء والعقلاء والأحباب، منهم القاضي العلامة محمد بن أحمد العراسي فكلهم رأوا أنه قد تحتم عليه الخروج وما زال حفظه الله يقدم رجلاً ويؤخّر أخرى. ثم رأى تقديم الاستخارة، وما انشرح له صدره قصده وتفرقوا على ذلك، وبعد أن استخاره في ساعة الأسحار قضت الخيرة بالخروج، فخرج منها مُتكتماً خايفاً يترقب، لأن قيامه عند العجم قبل ذلك مُترقب. ولقد أخبرني من أثق به أنه سمع بعض كبار العجم وقد رأى الإمام عليه السلام في صنعاء داخلاً إلى المسجد فقال هذا إمام الزمان. وكان ذلك قبل خروج الإمام بأيام. وأخبرني الإمام عليه السلام أن رجلاً من النجارين سماه الإمام عليه السلام كان المعتمد في حاجات كبراء العجم ، فكلما وصل إليه منهم سأله عن أحوال سيدي حفظه الله، وما أشغاله وأين استقراره. فحكى لهم ذلك الرجل أنه مشتغل بالزراعة وتدريس العلم مع «ق ١٧ب» الطلبة في مسجد الخراز[2]، و فصل خصومات من ورد إليه لتحكيمه، وان استقراره تارةً بصنعاء وتارة ببير العزب[3]، وفي الخريف بقرية القابل. حتى قال ذلك النجار لقد خفت عليكم ياسيدي من كثرة السؤال، وكان ذلك قبل وفاة الإمام الهادي عليه السلام بنحو عشرة أيام. هكذا سمعته من الإمام حفظه الله وكأنهم استدلوا على ذلك بشيء من حوادث الفلك على قاعدة المنجمين، وكثيراً ما يصيب من أتقن ذلك كما أشار إليه الإمام المهدي عليه السلام في شرح القلايد[4]. هذا ولما خرج عليه السلام من مدينة صنعاء سقط ما في أيدي العجم، وعضوا أناملهم من الندم، وأرسلوا في أثره نحو أربعين فارساً إلى أطراف

---

(١) العلوج: العلج الرجل من كفار العجم، العِلْج: الكافر، ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار، والعُلُج: الكفار وهو جمع (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٨٥٨) .

(٢) مسجد الخراز: من المساجد العامرة، في الجهة الشرقية من السايلة تمر الطريق النافذه من السايلة إلى جهة طلحة، ومسجد الخراز قديم العمارة وفيه زيادة ظاهرة قيل أنها للإمام المهدي عباس المتوفي عام ١١٨٩هـ. (محمد بن أحمد الحجري: مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ص٥١)

(٣) بير العزب: حي من أحياء صنعاء في الجانب الغربي من صنعاء القديمة (الحجري: المجموع، ج٢، ص٥١٢) .

(٤) شرح القلايد: كتاب للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م) ويسمى" شرح القلائد في تصحيح العقائد". (عبد الله الحبشي: فهرس مخطوطات بعض المكتبات الخاصة في اليمن، ص٢٠٦) .

شِعْب[1] من بلاد أرحب[2] .علماً منهم بأن خروجه سبب للهلاك والعطب وأنها قد تولت عنهم أيام الراحة والسرور، وأقبلت عليهم دعوة الويل والثبور. وقد كانوا سابقاً في أيام المشير مصطفى عاصم[3] اعتقلوا الإمام عليه السلام مع جماعة من أكابر العلماء ثلاث سنين، وأرادوا أن يكون حبسهم دائماً في أحد مداين الروم خوفاً من الأمر المكتوم، فبقوا مدة في بندر الحديدة. وتوفى هنالك السيد العلامة محمد بن إسماعيل عشيش، ثم عُزل مصطفى عاصم عن الولاية وأبدل بالوالي إسماعيل حافظ[4] فأُطلق أولئك الأعلام الذي من جملتهم الإمام وحل بالعجم ماكانوا يحذرون من البؤس والنقم.

فصل في الإرهاصات الدالة على ظهور هذا الإمام وإشراق نوره التام:

وذلك من الرؤيا البصرية والمنامية، والملاحم الجفرية[5] وهي كثيرة جداً لاسبيل إلى

---

(١) شِعْب: جمع شعاب وهي الطريق في الجبل وما انفرج من الجبلين. (المنجد: ص٣٩٠) .

(٢) أرحب: قبيلة كبيرة من همدان، وهي ناحية تابعة للواء صنعاء شمال شرق ومن قراها شوابه وهران، أتوه، ريام مَدُر صرواح. (المقحفي: معجم البلدان، ص٢٦) .

(٣) المشير مصطفى عاصم: أحد الولاة الأتراك الذين تولوا حكم اليمن في (عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م) حارب الإمام المحسن الذي وقف ضد وجودهم وحرض وجمع ضدهم القبائل، لذا فقد تتبعه بالجيوش إلى بلاد حاشد. أشهر أعماله فقد أمر بحبس مجموعة من علماء وأعيان مدينة صنعاء منهم السيد أحمد بن محمد الكبسي والإمام المهدي محمد بن قاسم الحوثي، والإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، والسيد محمد بن إسماعيل عشيش، والسيد محمد بن أحمد المطاع والسيد علي بن محمد الجديري، والسيد حسين بن علي غمضان الكبسي والسيد زيد بن أحمد الكبسي والقاضي حسين بن إسماعيل جغمان، وغيرهم كثيرون. عزل عن اليمن عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م. (زبارة: أئمة اليمن، ص١٧) .

(٤) إسماعيل حافظ: تم تعيينه رئيساً لأركان حرب في عهد ولاية مصطفى عاصم لكن الخلاف دب فيما بينهما ورحل عن اليمن. وبعد عزل مصطفى عاصم عُيِّن والياً على اليمن، ويذكر له منقبة حسنة وهي اطلاق العلماء من سجن الحديده الذي سبق أن سجنهم مصطفى عاصم. من أهم أعماله في اليمن جند جنوداً من العرب أطلق عليهم الجنود الحميدية، ودفن غرقة شرارة، وأكمل اصلاح زخرفة جامع البكيرية بصنعاء وعمد على سجن الشيخ محسن معيض الذي سبق له السعي بقدوم الأتراك إلى صنعاء، وسعى لدى مصطفى عاصم على سجن علماء صنعاء. ثم عزل الوالي إسماعيل حافظ حقي عن ولاية اليمن سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م. (زبارة: نزهة النظر، ص١٨٤) .

(٥) الملاحم الجفرية: الجفر لغة لجلد الماعز الصغير، والجفر اسم يطلق على كتاب يُنسب إلى جعفر الصادق، وتذكر الرواية إنه انتقل من بعده إلى هارون بن سعيد العجلي رأس طائفة الزيدية، ويحتوي على نبوءات تتصل بأهل =

حصرها، ولنقتصر على البعض منها. فمن ذلك إأنا رأينا عند خروج الإمـام عليـه الـسلام أوقبل ذلك بيسير نوراً مستطيلاً ظهر في الجهة القبلية ممتداً كامتداد نور الفجر. وكـان يبقـى من بعد العشاء إلى نحو ثلث الليل بقي ذلك مدة شهر. وأمـا الملاحـم الجفريـة فمـن ذلـك ماذكره العلامة الصرمي في ملحمته التي ذكر أنه أخذها من الجفر وذكر فيها العجم وجميـع صفاتهم وسماهم النظام باسمهم المعروف الآن ثم قال بعد ذلك شعراً:

سـيظهر داعٍ عـن قريـب وكـم لَـهُ ... أيـادإلى العليـاء وأيـدٍ إلى العُـلا

حلـيم كـريم مـتقن في فنونـه ... لـه سر سـديد وآخـر مقفـلا

يقـوم بـأمر الله لاعـن كلالـة ... ولاخـيره مـن عـالم أو مفـضلا

الى آخر ما ذكره من صفاته عليه السلام التـي لا تُنكـر وهـي ملحمـة قديمـة مـشهورة بأيدي الناس.

ومن ذلك ملحمة الفقيه ابن مطحن: وهي موجودة بأيدي الناس أنـشأها قبـل دخـول العجم إلى اليمن بنحو سبع سنين، وذكر فيها العجم وما يحدثون من القبايح، ثم ذكرظهور الإمام عليه السلام وكثير من الملاحم الواقعة المشاهدة، وقد سبرنا(١) جميع ما ذُكر فيها. فلـم يتخلف مـن ذلـك شـيئاً وهـي قـصيدة طويلـة مـن الـشعر الحمينـي(٢) وإنـما يقـع الغلـط والتصحيف كثيراً في ألفاظها من جهة الكتابة.

البيت، وأن هذا الكتاب قد دون على جلد جفر، ومن ثم إشتق أسمه. والجفر اسم يطلق على علم مـن العلـوم الغيبية مبني على أسرار الحروف ومنها يستدل على الحوادث المستقبلية حتى قيام الساعة كما يقول المشتغلون بـه ويطلق عليه (الجفر و الجامعة) ويتميز الجفر بأنه (لوح القضاء) أما الجامعة فهي (لوح القدر) ويذكر المشتغلون به أن الجفر علم أَسَرَّ به النبي صلى الله علي وآله وسلم إلى الإمام علي كرم الله وجهه وأمره بتدوينه فكتبه الإمـام حروفاً متفرقة، وهو يحيط بكل شيء، ويـستدل منـه عـلى تفـسير معـاني القـرآن عـلى أسـاس بـاطن الكلـمات والعبارات لاعلى ظاهر معناها، وللشيعة اعتقادات في هذا العلم. وكان له أثـر في بعـض الأحـداث التاريخيـة العامة كقيام الدولة الفاطمية ودولة الموحدين في شمال أفريقيـا، كـما يـرتبط الجفـر بعلـوم الكيميـاء وحـساب الجُمل، وهو معادلة حروف أبجدية بأعداد حسابية. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص٦١٨) .

(١) سَبرْنَا: وهي عامية بمعنى صنعنا أو عملنا. ويقصد بها هنا أنه تحقق من كل ما ورد فيها.

(٢) الشعر الحكمي: يطلق في اليمن على الشعر الملتزم بقواعد اللغة الفـصحى ومفرداتهـا وعروضـها، بينـما يـسمى الشعر الذي لايلتزم بذلك يسمى بالشعر الحُميني. (محمد عبده غانم: شعر الغناء الصنعاني، ص٤١) .

أخبرني من أثق به من قرابته أهل جبل مطحن من بلاد وصاب أن الفقيه المذكور كـان من البُلْه، وإنها إن شاء القصيدة المذكورة قبل وفاته بأيام يسيرة. ولا يبعد أن الرجل المذكور من المحدثين كما ورد عن سيد المرسلين: أن في هذه الأمة محدثين. ومن ذلك ما سمعناه مـن كثيرين من أهل علم الفلك، بأن هذا أوان ظهور إمام في أعدل المناهج، سلك إلى غير ذلك مما لايمكن استقصاؤه.

وأما المنامات الصادقة «ق ١٨أ» فمن ذلك ما أخبرنا به الإمام عليه السلام وغيره عـن الفقيه الثقة الزاهد الحاج المجاهد مُنصَّر خصرف رحمه الله تعالى أنه أتى إلى الإمام حفظه الله تعالى، وقال هل بينكم وبين الإمام الهادي مكاتبة أو رسول سيعزم إليه منكم، فأجاب عليه الإمام أن لا، فأخبره الحاج مُنصَّر أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسـلم، كأنـه في جـامع صنعاء وكان الحاج منصر قد جمع شيئاً من الواجبات يريد إبلاغها إلى الإمـام الهـادي عليـه السلام قال فدنوت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسَلمت عليه وقلت إني قد جمعـت شيئاً أريد بتبليغه إلى الإمام الهادي، فأجاب عليـه النبـى صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم، أنـه سيقبضها منك الولد محمد بن يحيى، فقال الإمام عليه السلام فحاولني أن أقبضها تـصديقاً لرؤياه، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم (من رآني فقد رآني حقاً فإن الشيطان لايتمثـل بي) [1] فلم يسعده الإمام عليه السلام بقبض ذلك فأرسل بها الحاج منصر إلى الإمام الهـادي عليـه السلام وتحيرت[2] في حرف سفيان[3]. ثم تـوفيَّ الإمـام الهـادي عليـه الـسلام وهـي هنالـك وخرج الإمام حفظه الله وهي باقية، وفيها قليل مونة، فأخبرني الإمام حفظـه الله تعـالى أنـه أخذ من تلك المرسلة مونة وجعل (في قيمتها)[4] ورقة للعامل عليها، وذلك عند مُضيَّه مـن

(١) الحديث: سنن ابن ماجه، الجزء الأول، ص١٢٨٤.

(٢) تَحيرِتُ: عامية، وهي بمعنى تأخرت، تحير: أي تأخر.

(٣) حرف سفيان: قرية في مركز ناحية سفيان محافظة صنعاء، وهناك الكثير من القرى التي تحمل نفس الاسـم مثـل حرف القضاة في مغرب عنس محافظة ذمار، وفي خبان ثلاث قرى تسمى الحرف. (الحجـري: المجمـوع، ج٢، ٢٥٧، التعداد العام للسكان لسنة٨٦م، ص٢٤٩).

(٤) ما بين القوسين بَياض من الأصل، وتم إضافة ما بين القوسين لكي يستقيم المعنى.

حرف سفيان قبل أن تُنشر الدعوة. وبعد ذلك قبض الإمام عليه السلام الجميع واتضح بذلك أنها رؤيا حق من العليم السميع. ومن ذلك ما أَخْبر به القاضي العلامة محمد أحمد العراسي رحمه الله، عن بعضهم أنه رأى أن ديكاً في شباك قاعداً في مدينة صنعاء، فأقبل من ناحية القبيلة طائر أبيض فلم يزل ينقر ذلك الديك حتى أخرجه من ذلك الشباك وقعد مكانه. وفي بعض كُتب التعبير أن الديك يُعبِّر بالعجم.ومن ذلك ماأخبرني به بعض الصالحين أنه رأى أى قبل خروج العجم بمدة، أنها خرجت الروم إلى أرض اليمن ورآهم بصورهم التي هم الآن عليها، ثم أظلمت الأرض ثم ظهر نور يسير، وبعد ذلك عادت الظلمة أعظم مما كانت ثم سمع صوتاً يقول اتوا بالمشايخ فأتوا بهم وبسطوهم ووتدوهم إلى الأرض وبقي يسيراً وأشرقت الأرض بالنور، ونادى منادي هذا نور آل محمد. والمنامات في هذا كثيرة.

فصل:

ثم إن الإمام حفظه الله لما خرج من صنعاء توارى في الجراف[1] ، فأرسل كُتباً إلى ابنه عماد الإسلام[2] يحثه على الانصراف واللحوق به على جهة المبادرة. فلما وصل إليه ابنه ارتحل حتى بلغ غولة زندان في بلاد أرحب، وما مر بأحدٍ حتى الأطفال إلاوهم يقولون هذا الإمام. وأخبرني الشيخ يحيى بن يحيى دودة أنه التقى الإمام عليه السلام إلى بلاد أرحب، وأنه كان يلقى الرعاة والأطفال ومن لادرية[3] له فيقولون أنت عازم للقيا الإمام. ثم ارتحل عليه السلام حتى وصل إلى الصفراء وآل عمار فأقام هنالك حتى كتب إلى صعدة ومايليها. وبعد ذلك ارتحل إلى السنارة ووصلها يوم الجمعه تاسع عشر القعدة الحرام في السنه المذكورة، ولما وصل هنالك اجتمعت إليه الأكابر والأعيان والعلماء من أهل صعدة

(١) الجِرافْ: قرية ملاصقة لصنعاء شمالاً كانت مركزاً للإمام شرف الدين في القرن العاشر الهجري، وهي الآن إحدى ضواحي مدينة صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ص١٣٠) .

(٢) عماد الإسلام: لقب متعارف عليه في اليمن يطلق على كل من يسمى (يحيى) .

(٣) لادرية: وردت هكذا، والمقصود هو لادراية له.

وضحيان[1] ، فأفهمهم حفظه الله بأنه لم يكن له هِمَّةٌ إلا في جمع كلمة المسلمين، ولمْ شعثهم لاتحمل أعباء الخلافة، وحينئذ دارت بينه وبين العلماء كؤوس المذاكرة في علوم المعقول والمنقول والفروع والأصول فوجدوه في جميع ذلك البحر الزاخر والسيد الكامل الذي فاق بإتقانه «ق١٨ب» الأوائل والأواخر. وكيف لا وقد أذعن له أجِلَّةْ المشايخ، وشهدوا له بالإتقان وأنه العلم الشامخ الراسخ، وأنه الذي فاق الأقران، وبرز في كل ميدان.

وعلى الجملة فإن العالمْ في ذاته مجموع وليس على الله بمستنكر، ففضله غير مقطوع ولاممنوع، فلما عرفت العلماء والأكابر، ماخصه الله به ومنحه من الفضل المتكاثر، والعقل الوافر، وجودة الرأي والتدبير حتى أنه لم يكن له في محاسنه نظير، وأنه جمع الشروط التي عليها تدور الدوائر فلم يسعهم إلا الإذعان له والاجتماع عليه، وأجمعوا بأنها قد تجمعت خصال الكمالات لديه. فحينئذٍ نشر الدعوة إلى جميع البلدان فأجابه الأقصى والأدنى بالسمع والطاعة والإذعان.

فصل:وممن أذعن له بالإمامة وشهد له بالخلافة والزعامة جماعة من العلماء الأعلام، منهم السيد العلامة بقية المحققين الذي لايمترى في فضله ممتري عبد الله العنشري[2] من علماء ضحيان والقاضي العلامة رئيس أولي الفقه والزعامة عز الإسلام وبقية العلماء الأعلام محمد بن عبد الله الغالبي[3] والسيد العلامة الشرفي حسين بن محمد بن أمير الدين

---

(١) ضحيان: قرية عامرة في بني حذيفه من ناحية جُماعة، محافظة صعدة، وتقع شمال مدينة صعدة بمسافة ٢٠ ك.م. وتُعدُّ من هجر العلم المقصودة، ولاسيما في المئة الثالثه عشر للهجرة. بعد أن سكنها عبدالله بن علي الغالبي سنة ١٢٦٣هـ. الذي كان له فضل احياتها بالعلم.
وهناك قرية أُخرى تحمل اسم ضحيان في حاشد شمال ريدة.
(الأكوع: هجر العلم، ج٣، ص١١٩٧، الحجري: المجموع، ج٣،٥٥٢) .

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حسين العنشري، طلب العلم في صنعاء على يد أبرز علمائها ومشائخها، ثم ارتحل إلى وطنه ضحيان، كان زاهداً عابداً، مكفوف البصر عظيم البصيرة ذو فهم ذكي وحدة باهرة، لاتأخذه في الله لومة لائم. نهل من علوم عصره وهي التفسير والأصولين وعلوم الإله، والأماليات، والمرشد بالله، جامع الأحكام، وشمس الأخبار، وشفاء الأوام، وأصول الأحكام، وشرح التجريد للإمام المؤيد بالله والبحر الزخار، والاعتصام للإمام القاسم. مات في رمضان ١٣١٥هـ ١٨٩٧م) . (زبارة: نزهة النظر، ص ٣٧٢)

(٣) محمد بن عبد الله الغالبي: كان عالماً متفنناً في الأصول والفروع، مقرئاً في الفنون، مرجوعاً اليه في الطلب. توفي ١٣٣٤هـ١٩١٥م. (الجنداري: الجامع الوجيز، ورقة ٢٢٢) .

الحوثي[1] يقيناً توفي سنة ٢٩هـ بضحيان رحمه الله تعالى. والسيد العلامة أحمد بن يحيى العجري[2] والسيد العلامة صفي الإسلام وبقية الآل الكرام أحمد بن إبراهيم الهاشمي[3] والقاضي العلامة إبراهيم بن عبد الله الغالبي[4] ، هؤلاء من علماء صعدة وضحيان المشار إليهم بالبنان، إذ عنوا له كل الإذعان، وشهدوا أنه أوحد الزمان. وممن أذعن له وشهد له باستجماع الشروط السيد العلامة حسن بن حسين ساري، والسيد العلامة لطف بن علي ساري[5] سيدا أهل قرية حوث وعالماها، ومنهم أيضاً القاضي العلامة فخر الدين عبد الله بن أحمد المجاهد من علماء مدينة ذمار وممن شهد بأهليته واستكماله للسيد العلامة فخر

---

(١) السيد العلامة حسين بن محمد أمير الدين الحوثي، وقد عمد الناسخ أن يصحح الاسم بقوله "بل هو السيد العلامة الشرفي حسين بن محمد أمير الدين الحوثي يقيناً توفي سنة ٢٩هـ بضحيان". وفي المتن كان هوالسيد شرف الإسلام حسين بن الحوثي.

(٢) أحمد بن يحيى العجري: يرجع نسبه إلى قرية العجري في جُماعة من محافظة صعدة، ويتصل نسبه إلى الإمام عز الدين بن الحسين بن المؤيد علي جبريل. تلقى تعليمه على يد السيد عبد الله بن أحمد العنثري الضحياني، والسيد محمد بن قاسم الحوثي وغيرهما. من تصانيفه "ذروة المجد الأمثل فيمن قام ودعا من أولاد المؤيد ابن جبريل" وذكر فيه جماعة من علماء هَجرة (فِللة) وهجرة(ضَحَيان) منهم القاضي عبد الله بن علي الغالبي. ومن كتبه "الدرة المضية في أنساب العترة المؤيدية". وكانت وفاته سنة ١٣٤٧هـ، وقد قرظ كتابه "ذروة المجد الأثيل" تلميذه السيد محمد بن حيدر النعمي. (زبارة: نزهة النظر، ص١٦٦) .

(٣) أحمد بن إبراهيم الهاشمي: ولد برحبان محافظة صعدة سنة ١٢٦٠هـ. نشأ بصعدة وتلقى تعليمه على يد والده وعن الحافظ القاضي إبراهيم بن عبد الله الغالبي والسيد عبد الله بن أحمد العنثري. كانت له رئاسة عظمى في صعدة ونواحيها. وكان خطيباً لجامع صعدة ملازماً للأذكار المأثورة وقد كان ممن قام بمناظرة الإمام الهادي شرف الدين وألزم الناس بمبايعته ثم كان من أوائل العلماء الذين بايعوا الإمام المنصور محمد والإمام المتوكل يحيى. ومن تلامذته سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي وغيره كثيرون، وقد استجاز منه السيد العلامة قاسم بن حسين العزي. توفي في رحبان صعدة في ثالث صفر سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣.
(زبارة: نزهة النظر، ص٤٥) .

(٤) إبراهيم بن عبد الله الغالبي: كان مهذباً داعياً للحق مقولاً أديباً وقد تلقى تعليمه في العربية والبيان، و"شرح إيساغوجي" و"شرح التهذيب" وفي الحديث أمالي أحمد بن عيسى، وفي الفقه "الغاية" و قرأ "الثمرات". ومن تلامذته الإمام المتوكل يحيى والسيد محمد بن علي الإدريسي، والسيد محمد بن حيدر النعمي. وقد عمد على أن يكون داعية و ناصحاً لقبائل بني مالك وبلاد فيفاء. توفي في سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.

(٥) لطف بن علي ساري: كان مشاركاً في الفنون معاوناً للأئمة. كان عاملاً للإمام المنصور وولده في ظُلَيم. وقد كانت وفاته سنة١٣٣٤هـ. (الجنداري: الجامع الوجيز، ورقة ٢٢٢) .

الأواخر يحيى بن قاسم عامر[1] والشيخ العلامة بقية المحققين لطف شاكر. وممن أذعن له وشهد باستكماله القاضي العلامة محمد بن أحمد العراسي والفقيه العلامة أحمد بن محمد الجرافي[2] وسيدنا العلامة صفي الإسلام أحمد بن عبد الله الجنداري[3] . هؤلاء من أعيان علماء صنعاء. ومن علماء ذمار القاضي العلامة صفي الإسلام أحمد بن أحمد العنسي رحمه الله، والقاضي العلامة عماد الإسلام يحيى بن محمد العنسي رحمه الله، والسيد العلامة عبد الوهاب بن علي بن الإمام. والقاضي العلامة عماد الدين ولي الله يحيى بن محسن العنسي. هؤلاء من علماء ذمار مذعنين له بالإمامة، وأنه الخليفة من الآل الأطهار. وممن سمعنا منهم الإذعان والشهادة بأنه أوحد الزمان القاضي العلامة عماد الإسلام وبقية المحققين يحيى بن علي الإرياني[4] رحمه الله، والقاضي العلامة جمال الدين علي بن يحيى المجاهد من مدينة ذي

---

(١) يحيى بن قاسم عامر: سترد له ترجمة وافية في سياق السيرة في الورقة رقم «٦٨ب».

(٢) أحمد بن محمد الجرافي: ولد في صنعاء في ذي القعده سنة ١٢٨٠هـ ونشأ بها وحفظ القران. كان اهتمامه منصباً على طلب العلم. من اساتذته العلامة أحمد بن محمد الكبسي وقد أخذ عنه علم الأصول وعلم العربية. وله مؤلفات كثيرة منها (النصح النافع عند الفجر الساطع) وله شرح على (مرقاة الطلاب في علم الإعراب) وغيرها كثير. وله كتاب تاريخي في تسجيل حوليات سنوية، سَجلَ حوادث الولاة الأتراك وأخبارهم ومعاركهم سجل فيه حوادث ١٩٠٧هـ/ ١٨٨٩م إلى ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م وهي السنة التي توفي فيها، وقد تم تحقيقه من قبل أستاذنا الدكتور حسين بن عبد الله العمري. (زبارة: نزهة النظر، ص١٤٠) .

(٣) الفقيه العلامة الصفي أحمد بن عبد الله الجنداري: ولد في صنعاء ١٢٧٩هـ ونشأ بصنعاء والروضة، وتلقى علوم عصره من أساتذة صنعاء وعلمائها. فدرس علم القراءة والفقه والحديث والعربية. في شعبان سنة ١٣٠٩هـ هاجر إلى الإمام المنصور محمد في قفلة عذر ثم انتقل إلى هجرة علمان في جبل الأهنوم وعكف على التدريس في فنون العلوم، وله الكثير من طلاب علمه. لمع في علم السنة النبوية وترجيح الدليل، ولمع في علم التفسير وحفظ أقوال المفسرين، وفي علم الطب. وكان أكثر تدريسه في الأصولين والحديث والتفسير. وله من الأشعار الكثير ومؤلفات عديدة. ومن أشهر مؤلفاته حاشية على العقد الثمين وسمط الجمان، وشرح الرسالة الناصحة للإخوان ونور الصباح على الإيضاح شرح أبيات للصاحب ابن عباد شرح قصيدة للسيد محمد بن عبد الله الضحياني، شرح على نكت الفرائد وانتقاد القريحة من ينابيع النصيحة وله العديد من المؤلفات في علم الحديث والرجال أهمها الجامع الوجيز بذكر وفيات العلماء ذوي التبريز. توفي في جبل الأهنوم سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م. (زبارة: نزهة النظر، ص ٩٧) .

(٤) يحيى بن علي بن عبد الله الإرياني: شاعر أديب ولد ١٢٤٠هـ: كان أستاذاً للكاتب المؤرخ علي بن عبد الله الإرياني كاتب السيرة وقد لازمه نحو خمس عشرة سنة. تولى القضاء بمدينة يريم، توفي بإريان في شعبان ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م. (زبارة: أئمة اليمن، ص٣٧٠) .

جبله[1] . هؤلاء العلماء الأعلام هم المعوّل عليهم في الإقدام والإحجام ممن بايع وتابع، وناصر و شايع و غير هؤلاء، كالسيد العلامة جمال الإسلام وبقية الأعلام علي بن يحيى بن الإمام من مدينة ضوران والقاضي العلامة صفي الإسلام أحمد بن مطهر الغشم والقاضي العلامة جمال الإسلام علي بن أحسن الحلالي. وصارت الدعوة المباركة مجمعاً عليها فيما بين الخاص والعام، واستبشر بذلك جميع أهل الإسلام.

فصل في ذكر نبذة من كراماته الباهرة، وآيات شرفه الزاهرة، التي هي البحور الزاخرة:

«ق١٩أ» ولقد بَلَغتْ حد التواتر فلا ينكرها إلا من أصيب بعمى البصر والبصاير، فلنذكرها هنا قطرة من قطرات ذلك البحر وشذرة من شذرات ذلك البحر، ولم يكن قصدنا إلا التبرك بذكر هذه الكرامات، التي تنزل عند ذكرها الرحمات، وإنما ذكرنا ها هنا ماحضر، وماعثرنا عليه لابد نلحقه إن شاء الله كل شيئ في محله.

فمن ذلك ما يعلمه كل عاقل وهو ما أكرمه الله به من إعانته على كثير من الأعمال التي لايقدر على عملها الجم الغفير من الرجال. ولقد رأيناه وشاهدناه يكتب في اليوم الواحد مالا يقدر عليه إنسان، وذلك من جوابات ومكاتبات بغاية الإحكام والإتقان، وإجراء الأحكام الشرعية بإيضاح وتبيان، وإجابات السؤال، وافتقاد جميع بيوت الأموال والنظر في جميع الأحوال، وفي مونة الوافدين والمهاجرين والمجاهدين وهم كثيرون، وأما وكلاه للمصرف على المهاجرين ففي مدينة حوث وكيل، وفي جبل الأهنوم وكيل، وفي مدينة شهارة[2] وكيل، وفي وادعة[3] وكيل، وقدر المخْرَجْ في كل أسبوع نحو الألف الريال، وكل

---

(١) ذي جِبْلَة: هي مدينة ضمن محافظة إب على بُعد ١٠ كيلو متر جنوب مدينة إب، على ربوة بشمال جبل التعكر. كانت عاصمة الصليحيين في القرن الرابع الهجري، وبها جامع السيدة بنت أحمد الصليحي وقبرها. (الويسي: اليمن الكبرى، ص٦١) .

(٢) مدينة شهارة: مدينة عامرة وحصن يقال له شُهارة الفيش، وهو من معاقل الأهنوم، وتُعرف بشهارة الأمير نسبة إلى الأميرذي الشرفين وبجوارها من جهة الشرق شهارة الفيش نسبة إلى القيل ذي فائش، ويفصل بينهما هاوية سحيقة. ويربط بينهما جسر (عقد) مُعَلَّق بين الجبلين لانتقال الناس عليه. وكان جبل شهارة يدعى من قبل (جَبل مُعْتق) وقد لجأ اليها الأمير ذو الشرفين ليعتصم بها من المكرم أحمد بن علي الصليحي. وتحصن بها الإمام القاسم بن محمد أثناء حروبه مع الأتراك وكذلك فعل ابنه المؤيد محمد بن القاسم. (الأكوع: هجر العلم، ج٢، ص١٠٥٧، الحجري: المجموع، ج١، ص٩٥) .

(٣) وادعة: هجرة قديمة شمال غرب صنعاء، وهي من بطون حاشد ويقال وادعة القاسم نسبة إلى القاسم بن جعفر العياني المدفون بها في سنة ثمان وستين وأربعمائة. وهناك مناطق أخرى تحمل اسم وادعة فهناك وادعة حاشد =

ذلك باطلاع الإمام مع محاسبة الوكلاء بثبات وبيان. وهـذه الأمـور لاتـدخل تحـت طـوق البشر، وإنما يُكرم الله بها من صبر، وإنما ذكرنا ما ذكرنا عن اختبار ونظر، فلو جُمع مـا يكتبـه في كل يوم لزاد على كراسين مع اشتغاله أيضاً بما ذكرنا، وتفقد جميـع أحـوال المقـام وأهلـه حتى الخيل والبغال والجمال، هذا دأبه في كل يوم طلعت عليه الشمس، ومن كراماته أيضاً ما ألبسه الله من الهيبة العظيمة، وجعل له في قلوب عباده من المـودة العميمـة، التـي كانـت لاتوجد سابقاً. ولاعجب فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسـلم: (إن الله إذا أراد أن يخلق خلقاً للخلافة مسح ناصيته بيده) [1] وذلك عبارة عـن إلقـاء المهابـة عليـه ليطاع فهو استعارة أو تشبيه كما قال الزمخشري[2] أخرج الحديث العقيلي[3] والخطيـب وابـن عدي[4] وأخرجه الحاكم[5] عن ابن عباس[6] بلفظ: (إن الله إذا أراد أن يخلـق خلقـاً للخلافـة

بالقرب من خمر ووادعة صعدة ووادعة عسير شمال نجران. وبنوا الوادعي عزلة في وصاب العالي.(الحجـري: المجموع، ج٤، ص٧٦١، زبارة: أئمة اليمن، ص٥٣٢) .

(١) لم نجد الحديث في المصادر التي بين أيدينا.

(٢) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله من أئمـة العلـم بالـدين والتفـسير واللغه والآداب، ولد في زمخشر من قرى خوارزم، وسافر إلى مكه وجاور بها زمنـاً فلقـب بجـار الله وتنقـل في البلدان حتى عاد إلى الجرجانية من قرى خوارزم وتوفى فيها. أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، (أسـاس البلاغه) (المفصل) (المقامات) (الجبال والأمكنه والمياه) (المقدمـة) معجـم عـربي فـارسي. (مقدمـة الأدب) في اللغه، (الفائق) في غريب الحديث. وغيرها كثير. وله ديوان شعر وكان معتزلي المـذهب. (الـزركلي: الأعـلام، ج٨، ص٥٥) .

(٣) العقيلي: وفاته سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م، هو محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، أبو جعفر، من حفاظ الحديث، له مصنفات خطيره منها كتابه (الضعفاءخ) وكان مقيماً بالحرمين وتوفى بمكـة. (الـزركلي: الأعـلام، ج٧، ص٢١٠) .

(٤) ابن عدي: عدي بن عميره بن فروة الكندي، أبو زرارة، صحابي سكن الكوفه وانتقـل إلى حـران، ثـم تـوفى في الكوفه، روى عن النبي (ص) عشرة أحاديث. (الزركلي: الأعلام، ج٥، ص١٠) .

(٥) الحاكم: الحاكم النيسابوري، (٣٢١٤٠٥هـ/ ٩٣٣١٠١٤م) محمـد بـن عبـدالله بـن حمدويـه بـن نعـيم الـضبي الطهماني النيسابوري الشهير بالحاكم، من حفاظ الحديث والمصنفين فيه، مولده ووفاتـه في نيـسابور، رحـل إل العراق، وحج، وتنقل بين بلاد خراسان وماوراء النهر. وهو من أعلم الناس بـصحيح الحـديث وتمييـزه عـن سقميه، صنف كتباً كثيرة منها (تاريخ نيسابور) ، (المستدرك عـلى الـصحيحين) ، (الإكليـل والمـدخل إليـه) ، (فضائل الشافعي) (معرفة علوم الحديث) . (الزركلي: الأعلام، ج السابع، ص١٠١) .

(٦) ابن عباس: ٣ق.هـ٦٨هـ/ ٦١٩-٦٨٧م. عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القُرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليـل، ولـد بمكـه ونـشأ في بـدء عـصر النبـوة فـلازم رسـول الله، وروى عنـه الأحاديـث الصحيحة، وشهد مع علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه موقعة الجمل وصـفين، وكـف بـصره في آخـر عمـره، فسكن الطائف وتوفى بها، له من الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً يُنسب له كتاب في تفـسير القـرآنط) جمعـه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل آية فجاء تفسيراً حسناً، وأخباره كثيرة. (الزركلي: الأعـلام، ج الرابع، ص٢٢٨) .

مسح على ناصيته بيمينه فلا تقع عليه عين إلا أحبته). قال الحاكم رواته هاشميون.

ومن الكرامات أيضاً ماسمعته وشاهدته، وهوأنه لماوقعت المحاصرة الأولى لصنعاء وكان الإمام يتبرم من المجاهدين وأفعالهم ويقول أنه لايتم المرام والأفعال هكذا.

فلماخرج الرديف[1]صحبة أحمد فيضي باشا[2] وهم قدر مائة ألف وصرحوا بأنهم مأمورون بأخذ اليمن من صعدة إلى عدن، والقبض على الإمام وأعوانه وأخذ النظام[3] والسلاح، وكان خروجهم بها لايمكن وصفه من القوة الكافية التي لا يقدر على مقاومتها من البشر أحد إلا الله الواحد الأحد. فلما وصل ذلك إلى مسامع الإمام عليه السلام التجأ إلى مولاه وأيقن أنه لاناصر له سواه ولا مانع له إلا إياه، لما علم من سوء مقاصد الناس، وعدم الإخلاص والصدق الذين هما الأساس، فلذلك حصل منهم الإياس. ولقد سمعته عليه السلام من شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٩هـ حين بلغه «ق١٩ب» خروج العجم، وعظمة الخطب الذي ألم، يدعوا الله بعد صلاة الجمعة، ويتضرع إليه في دفع شرورهم بدعاءٍ أبكى العيون وأيقن بإجابته المؤمنون فأرسل الله على عساكر العجم الطاعون. ولقد حدثني بعضهم أنه طعن منهم في مرسى الحديدة نحو من إحدى عشر ألفاً. ثم مازالوا يهلكون في المدن والطرقات حتى إنه هلك أكثرهم ولم يرجع منهم إلا نحو إحدى عشر

---

(١) الرديف: في الإصلاح العسكري يُقصد به الجيش الاحتياطي، أي أنه قوة تلي قوة الجيش النظامي عند الطلب، وهو ما يقابل المالبشيا، أو الحرس الوطني. ويسمى الرديف أيظاً "الباشبوزق". وله في الجيش التركي دور حددته القوانين واللوائح العسكرية، كما حددت مدة الخدمة في الرديف. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٢، ص٥١٣) .

(٢) أحمد فيضي باشا: تولى ولاية اليمن ثلاث مرات.

الأولى من سنة ١٣٠٢-١٣٠٤هـ/ ١٨٨٤-١٨٨٦م.

الثانيه من سنة ١٣٠٩-١٣١٥هـ/ ١٨٩١-١٨٩٨م.

الثالثه من سنة ١٣٢٣-١٣٢٦هـ/ ١٩٠٥-١٩٠٨م.

حارب الإمام الهادي، والإمام المنصور محمد، والإمام المتوكل يحيى. اشتهر بقوته وجبروته وسياسته القاسية، وخاض العديد من المعارك القوية ضد الأئمة. في عام ١٣١٠هـ قبض على خمسين عالماً ورئيساً من قادة الرأي في اليمن وأرسلهم إلى السلطنة. وعزل عام ١٣١٥هـ بعد أن تغيرت المقاومة اليمنية ضد الأتراك بنسف بيوتهم ومقار حكومتهم بالبارود. (محمد بن أحمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٤٨٨، الجرافي: الحوليات، تحقيق: د.حسين العمري، ص٣٢٦) .

(٣) النظام: هم عساكر الجيش التركي النظامي.

ألفاً، فبسبب ذلك كتب السلطان إلى أحمد فيضي يسأله عن سبب هلاكهم، هل ذلك بالقتل، أم بالموت فأجاب إن ذلك أمرٌ رباني أرسل الله عليهم الطاعون، ولم يقتل منهم إلا قليلون، فأرسل السلطان كاشفاً من دار السلطنة يسمى نامق باشا وكان بينه وبين أحمد فيضي باشا ما كان من المحاولات والمخاصمات، وآل الأمر أنه كر راجعاً إلى الروم، ولم يحصل له ما يروم.

ومن كراماته أن أهل درب هزم[1] ودرب عبيد[2] منعوا واجب العنب، بعد أن حصل من الإمام الطلب، فأرسل الله على أرضهم البَرَدْ فاجتاح الثمر، وذهب بأوراق الشجر. وكان ذلك من حدود أرض مانعي الزكاة لم يتعداهم إلى غيرهم. ومنها أيضاً أن رجلين من حاشد سلبا رجلين من ذو محمد في الطريق فلما وصلا إلى الإمام أستغاثا به فأرسل إلى قطاع الطريق وألزمهم بإرجاع المأخوذ، فلم يمتثلا وخرجا من عند الإمام فأرسل الله عليهما صاعقة فأخذتهم فصار ذلك عبرةً وتحذيراً من عدم الموافقه. ومن ذلك أن ثلاثة أشخاص من حاشد ثم من ذو غانم سول لهم الشيطان واستولى عليهم الطغيان، قطعوا السبيل لرجل من قُباض الإمام عليه السلام يسمى الفقيه ناصر اليماني من مغرب عنس[3] فأخذوا مامعه من الدراهم فأما اثنان منهم اسم أحدهم قايد بعران ورجل آخر من العصيمات[4] فوصلا إلى الإمام عليه السلام بعقير يلتمسان العفو وسلما ما أخذا من الدراهم. وأما الثالث واسمه شويع فأصر هو وأبوه على معصيتهما، فما لبث أن تخاصم هو وأولاد عمه فرموه وكسرت رجله البته، وأما أبوه فتعاصر هو ومعزه حتى اختبط وكسرت رجله فبعد ذلك رجعا إلى التوبه وأحالا بما عليهما من الدراهم.

ومن الكرامات أيضاً ما أخبرنا الحاج الفاضل علي بن محمد الأكوع، أن العجم لما منعوا بيع الرصاص والباروت في اليمن، ولم يتم لهم ذلك فرأوا من إخراج الكبريت

---

(١) درب هزم: قرية في ناحية أرحب محافظة صنعاء (الحجري: المجموع، ج٤، ص٧٥١) (التعداد العام للسكان لسنة ١٩٨٦، ص١٦١).

(٢) درب عبيد: قرية تابعة لعزلة شاكر، ناحية أرحب، محافظة صنعاء. (التعداد العام للسكان، ص١٥٤).

(٣) مغرب عنس: ناحية في محافظة ذمار.

(٤) العصيمات: بطن من قبائل حاشد اليمنية. (المقحفي: معجم البلدان، ص٤٥٦).

والرصاص إلى البنادر ومكة وجدة وما وجدوا من ذلك أخذوه، وكذلك السلاح، ووضعوا في الطرق من يفتش الحمائل، حتى كاد الرصاص أن يعدم فأرسل الإمام عليه السلام بدراهم إلى مكة صحبة الحاج علي بن محمد المذكور يشتري بها رصاصاً، ويشتري جمالاً تحملها خشية الظهور. فحينئذ عزم الحاج الجمالي واشترى الجمال من الحرجة[1] ودخل بها من الحجاز مع القحط فيه، وغلاء الحب والعلف، وكان من أعجب ما وصف أنها لم تزل الجمال إلى زيادة في القوة مع ما هي فيه من الجوع، ومشقة السفر حتى وصل إلى مكة واشترى الرصاص وأخرج ذلك ليلاً، وسافر مع الحجاج وكل ما وصل إلى محل فيه المأمورين بالتفتيش فتشوا الجمال الآخرة، وأعمى الله أبصارهم عن تلك الجمال، حتى كأنهم لم يروها. وكان رفيقهم الحاج عبدالله العكام صاحب الجوف، وظن الحاج علي أنه من الشيعه فأسر إليه أن الحمولة للإمام، وفيها كذا وكذا من الرصاص وهو عنها غافل، فقال له الحاج عبدالله العكام فتش تلك الجمال المحملة الرصاص فالتفت المأمور فلطمه ولعنه، ومضت الجمال حتى وصلت إلى حضرة «ق٢٠أ» الإمام عليه السلام قفلة عذر[2] سالمةً ومع أنه قد مات من الجمال غيرها كثير من الجوع وحفظها الله تعالى فلم يصبها شيء وكانت بعد ذلك من أحسن جمال الإمام هكذا أخبرنا الحاج علي بن محمد شفاهاً.

ومن ذلك ما أخبرنا به السيد الصفي أحمد بن يحيى بن المنصور والسيد حسين بن يحيى عشيش الحوثي بأن الإمام عليه السلام أرسل إليهما إلى المشهد غربي السكيبات بنحو أربع مائة رأس غنم، وأمرهما أن يؤجرا من يرعاها. فاعترض لهما حال وصولها ابن الشيخ يحيى بن مقبل كليب وقال لاتبقى الغنم في حدود كليب تأكل مرعى أغنامهم، فراجعه السيدان فلم يتراجع بل لم يزل يحدثهم وهو يرجم الغنم فردوها، ورجع ولد الشيخ محله وهم ردوا

---

(١) الحرجة: الحرجة شمال ظهران اليمن.

(٢) قفلة عذر: أو قرية عذر بطن من حاشد وهي ناحية في محافظة صنعاء، وتشمل قفلة عذر العديد من العزل أهمها القفله التي كانت مقراً للإمام المنصور محمد. وهناك مناطق أخرى تحمل نفس الاسم وهي عذر مطره في بلاد نهم، وبنو العذري من مشائخ أرحب. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٩٥، التعداد العام لسنة ٨٦م، من ٢٥٧) .

الغنم نحو القبلة، فلم يفارقهم الولد إلا قدر ما يسمع فيه الصوت، حتى سمعوا صياحه وهو يستغيث فلما وصلوا إليه وجدوه وقد التوى عليه ثعبان عظيم ورأسه قائم إلى حد صدر الولد فأراد بعضهم على التحيل لقتل الثعبان، فقال لهم لاتقتلوه فتقتلوني معه، ردوا غنم الإمام ترعى في بدني إنما سببي الإمام، فلما تاب وأظهر الندم أسترخى ذلك الثعبان عن صدره وولى هارباً عن القدم.

ومن الكرامات أيضاً ما شاع وذاع، وتحيرت[1] بذكره المجالس والبقاع وهي قصة الشيخ محمد أبو شوصا من مشائخ العصيمات وذلك حال خروج الإمام من بلاد صعدة وهو أنه وصل عليه السلام إلى قاعةِ وقد اجتمع خلق كثير من سادات حوث وعلماؤها ومن حاشد فكلمهم الإمام عليه السلام إنا مستقبلون لجهاد أعداء الله العجم، ولا يتم ذلك إلا بعد الإصلاح بين المتخاصمين من أنصار الحق والمجاهدين ليأمن المجاهد والقاعد، فأول فتنة مابين أبي شوصا وخصمان فرمى الإمام عليه السلام مسبحته وهو راكب على جواده إلى وسط الحلقة وقال هذا جاه الإمام فمن خالفه عجل الله عقوبته، فزاد امتناعاً وعزم الإمام ومن معه ورجع أبو شوصا إلى أصحابه وهم نحو عشرون نفراً فما مشى نحو عشرين خطوة حتى خرج له ثعبان أسود وقصده ولم يعترض أحداً من أصحابه فهرب من بينهم وتبعه الثعبان، ورام بعض أصحابه أن يرميه فمنعه أبو شوصا وصاح أنا باذل صلح الإمام وتبع بعد الإمام عليه السلام إلى عند بير أثله[2] ولم يبالي بخصماه أن يتعرضوه ولا خاف منهم فوصل إلى الإمام وتاب وأناب، ورقم[3] الإمام عليه السلام الإصلاح بينهم في كتاب.

ومن ذلك ما حكى لي السيد الضيا عباس بن عبدالله المؤيد وهو الثقه أن السيد ناصر حيّاح من سادات غربان قدر عليه مخامنة[4] الإمام قَدَحيْن[5] ونصف زكاة فأبى عن ذلك،

---

(١) في المخطوطة ب وردت "تعطرت".

(٢) بير أثله: والمقصود هنا قرية غارب أثله في ناحية قفلة عذر، تابعة لعزلة الشط محافظة صنعاء. (التعداد العام للسكان لسنة ١٩٨٦م، ص٢٥٨) .

(٣) رَقَمَ: أي أبرم فيما بينهم عقداً على الاتفاق.

(٤) مخامنة: المقصود هنا من يقوموا بتقدير المحصول وبالتالي تحديد الضريبة أو الزكاة المترتبة عليه.

(٥) قدحين أو قدحان: والقدح ملء صفيحة النفط مرتين. (العرشي: ملحق كتاب بلوغ المرام، ٤٣٢) .

وامتنع أن يسلم إلا قدحاً وتخاصم هو والعدول[1] فتركوه وراحوا. وبعد أن السيد نام في المسجد فرأى أن رجلاً هزه حتى انتبه وقال له أنت بحسك[2] حتى أجابه قال نعم، فقال سلم ماَقدَرَ عليك العدول إلى الإمام الذي يقاتل على الإسلام. وكان ذلك في سنة ١٣١٦هـ فقام السيد من حينه مرعوباً وأتى إلى القَباض[3] ، وقال له خذ مني القدحين والنصف الذي قَدَّرَ عليَّ العُدول وإذا شئت أن أزيد زدت ووصف لهم ما وقع. وحكى لي أيضاً السيد المذكور وهو عامل[4] الإمام في بلاد غربان أنه طلب من رجل زكاة الغنم فمنع عن التسليم فأتى الذئب في ذلك اليوم تعدّا على الغنم وأخذ بقدر الواجب من بين ألف رأس غنم ملك «٢٠ب» الرجل وغيره. وحكى لي أيضاً أن رجلاً آخر منع عن تسليم خمسة ريال تَعَينَتْ عليه من طرف الإمام فمنع عن تسليمها، فبالحال تردت عليه بقرة تساوي قيمتها أربعة عشر ريال، فتاب الرجل وسلم المطلوب.

ومن الكرامات أيضاً ما حكاه السيد هاشم بن يحيى الشرفي أن حيدر بن أحسن مقبل فارع نَذَرَ لمولانا الامام أيده الله بلبنه[5] في غولة العسم[6] المسمى المجحافي وطن البطاحي. وكانت هذه الغولة صالبة[7] منذ أيام، فأراد الرجل أن يغرسها بُناً، فلما غرسها وبلغ الغرس فيها إلى قريب أن يثمر أراد أن يسقيه من ماء الوادي المعروف بالمجحافي فمنعوه وأنكر أهل الماء استحقاقه، لما كانت الأرض صالبة، وخاصموه على ذلك حتى غلبوه، فما زال الرجل

(١) العدول: عَدَلَ عَدْلاً أي قومه وسوَّى بينهما. أى أنصف. (المنجد، ص٤٩١) . أما باللهجة اليمنية فالعُدول المُقَيمين للشيء المراد بيعه أو تقسيمه أو معرفة ثمنه، ويرتضي بهم الغرماء عند الاختلاف.

(٢) بِحسكْ: أي أن يكون جامع لكل حواسه الخمس أي مُنْتَبه.

(٣) القُباضْ: الذين يقومون بتحصيل الواجبات للدولة.

(٤) عامل: العامل هو الحاكم المدني الإداري لمدينة أو قضاء أو ناحية أو عزلة، وهي من التقسيمات الإدارية التي كانت سائدة حينذاك. (أ.د سيد مصطفى سالم: وثائق يمنيه، ص١٦٢) .

(٥) اللبنه: تساوي٤٤٠٤٤ ، متر مربع.

(٦) غولة العَسَمْ: قرية من قرى معبر جهران في مدينة آنس محافظة ذمار. (المقحفي: المعجم، ص٤٥٣) .

(٧) صالبة: وصُلب وأرض صالبه أو صُلبه أى متروكه لا زرع عليها والأصلاب هي من الأرض الصلب الشديد المنقاد. (ابن منظور: لسان العرب المحيط، ج٢، ص٤٦٠) .

يتوسل الإمام عليه السلام فأجرى الله له غيلاً[1] في رأس مُلكه وذلك ما يكفيه وزيادة ولا يعرف في ذلك الموضع ماءً أبداً.

ومنها أيضاً أن شيخاً من بني الشغدري أهل بلاد عنس[2] ذُكر عنده الإمام عليه السلام فصار يقدح في جنابه الشريف بكلام قبيح، فلم يشعر الحاضرون إلا وقد صاح وورم ذكره في تلك الحال، ولم يبق إلا ساعات قليله وهلك. ومنها أيضاً ما أُخبر به السيد أحمد محمد الخلقي رحمه الله تعالى وكان من قُباض الإمام عليه السلام قال جمعتُ شيئاً من الواجبات من مغرب عنس فتلقاني رجلان من الحدا[3] من بني بخيت[4] فأرادا أن يأخذا ما معي فقلت لهما أن معي دراهم للإمام حفظه الله، فلما اقتربا مني رأيت أحدهما وقد استلقى على ظهره وأخذ سكيناً بيده فطعن فخذه وهرب الآخر وسار السيد سالماً.

ومن الكرامات العظيمة أيضاً ما جعل الله له من الرعب وقذفه في قلوب أعدائه عموماً وخصوصاً العجم وأعوانهم، فلقد سمعنا ورأينا من ذلك ما يعجز عن وصفه الواصفون. ولقد أخبرني الثقة عن النقيب عبدالله بن ناصر الفرحة الذي دخل صحبة القاضي يحيى بن أحمد المجاهد[5] صاحب تعز إلى استنبول[6] ، ثم خرج بعد ذلك، إنها لما حوصرت صنعاء في أواخر سنة١٣٠٩هـ وصل

---

(١) غيلاً: أي نبع ماء.

(٢) بلاد عنس: مدينة غرب ذمار بمسافة ١٤ك.م. وتسمى عنس السلامة، ومغرب عنس، وهي تابعة لمحافظة ذمار. (المقحفي: معجم البلدان، ص٤٧٤) .

(٣) الحَدَاء: ناحية جنوب شرق صنعاء وشمال شرق ذمار وهي ناحة تابعة لمحافظة ذمار وتشمل العديد من المخاليف والعزل والقرى. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، ج٢، ص٢٤٦، المقحفي: معجم البلدان، ص١٧٢، التعداد العام ص٣٩) .

(٤) بني بخيت: مخلاف تابع لناحية الحداء محافظة ذمار. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٤٦) .

(٥) يحيى بن حميد المجاهد: مفتي تعز في عهد الوالي عزيز باشا (١٣٠٣هـ) وكانت له حادثة مع الأتراك، فقد سلبه المتصرف كل أمواله بتحريض من الوالي وتم حبسه، ولكن المجاهد أرسل تلغرافاً من عدن إلى السلطنة، يعرض شكواه للسلطان فأمر السلطان باستدعائه إلى السلطنة، ولكن الوالي والمتصرف كانا قد أرسلا مضبطة وشكاوي ضد المجاهد. وحين سافر المجاهد إلى استنبول، أحيل على الباب العالي وخصص له كفايته، ومكث هناك ثلاث سنوات دون أن ينال غرضه وهو محاكمة الوالي والمتصرف وبقي هنالك، ولم يُسمح له بالعودة إلى اليمن، حتى توفيَّ. (الواسعي: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم، ص٢٦٦) .

(٦) إستانبول: اسطنبول أو الإستانه، أو سلامبول، أو دار السعادة، أو فروق، أو القسطنطينية أو بيزنطة، العاصمة التجارية للجمهورية التركيه، وتفرع على رأس مثلث تحيط أضلاعه ببحر مرمرة والبسفور والقرن الذهبي، =

الخبر إلى استنبول بأن صنعاء محاصرة، وقد أخذ الإمام جميع اليمن وأسر جميع المأمورين. فتزلزلت عند ذلك استانبول، ونزل بأهلها من الرعب العظيم، ما لا يقادر قدره الجسيم. وهكذا كل من اعتزى الإمام وانتمى إليه بنية صادقة فإنه لا يزال على جميع أعدائه منصوراً وكل من ناوأه صار شقياً مخذولاً.

ومن الكرامات أيضاً أن الإمام عليه السلام لما استوطن قفلة عذر وجعلها مقاماً ومناخاً لكل من ورد وصدر، وكانت أوبى[1] بلاد القبلة[2]، حتى أن من بات فيها ليلة أَثَّرَ فيه ذلك الوباء فلا يصبح إلا مريضاً، فلما استوطنها الإمام عليه السلام دفع الله منها الوباء وصارت من أصح البلاد القبلية، يتنافس فيها وفي ماءها المتنافسون ويشتاق إليها الوافدون.

ومن الكرامات أيضاً أن الله سبحانه جعل لهذا الإمام عليه السلام سلطاناً نصيراً على الظلمة وأعوانهم فصار لايقصد أحد إلا أخذ ولا حصناً إلا افتتحه. ولقد شاهدنا من كراماته عليه السلام ما يعجز عن حصره الحسوب، وسيأتي إن شاء الله تعالى بعضها في غضون هذه السيرة. وعلى الجملة فقد أمده الله بالكرامات الكثيرة ولا بدع ولا عجب فأهل البيت النبوي حقيقون أن يكرموا من مولاهم بما يشتهون، فهم الفرقة الناجية الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، وكيف لا وهم فروع دوحة النبوة وأغصان شجرة الإخوة فهم المكرمون بصائب[3] «ق ٢١أ» الفراسة والحاملون لراية السياسة والكياسة، ولقد شاهدنا من أحوال هذا الإمام وفراسته ما يدل على أنه من المُحدثين والمتوسمين، وفي هذا القدر كفاية حيث لايمكن استقصاء النهايه، وإذا كانت الغايات لا تُدرك فالمنشور منها لايترك، وبالله التوفيق والهداية إلى أقوم طريق.

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام هي "بيرا" أو "بك أو غلي"، "واستانبول" في أوربا و"اسكودار" على السوحل الآسيوي وتبعد عن البحر الأسود ب ٢٧ميل. بدأت محاولات العرب للاستيلاء على القسطنطينية منذ خلافة عثمان على يد معاوية، وفي عام ٨٥٧هـ١٤٥٣م نجح محمد الثاني في الاستيلاء عليها ولقب بالفاتح. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، المجلد الأول، ص٨٣) .

(١) أوبى: من الوباء والمرض.

(٢) بلاد القبلة: أي كل المناطق الشمالية فالقْبِلي أى الشمالي، والعدني أى الجنوبي.

(٣) وردت في المخطوطة "بصايب".

فصل: وأما خصائصه في الكرم، فذلك أشهر من نار على علم، ومن نظـر في مخرجاتـه وإنفاقه للأموال في سبيل الله، عرف أنه عطاء من لا يخشى الفقر والفاقـة، ومـع ذلـك فإنـه يتحرى في إنفاقه المصلحة كما في سيرة الخلفاء الراشدين.

فصل: وأما خصايصه عليه السلام في حُسن الخُلق فإنه في ذلك الآيـة البـاهرة والعـين الناظرة يوقر الكبير، ويَرَحم الصغير ويُؤنس وحشة الغريب، لـيس لـه في ذلـك شـبيه ولا ضريب. ولقد شاهدنا من حُسن أخلاقه عليـه الـسلام ووقـور شـفقته مـا يُبهـر العقـول، والكلام في تفصيل ذلك يطول.

فصل: وأما خصائصه في جودة الرأي فهو في ذلك الرجل الأوحد، الـذي لايقاربـه في ذلك أحد، وكأنما ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، حتى أقر لـه في جـودة الـرأي العـدو والصديق. ولو ذكرنا العُشر من مِعشار ما رأينا لطال الكلام وخرج إلى حد الإكثار.

فصل: وأما خصائصه في ثبات القلب والشجاعة والإقدام، فإنه الأوحد في كل مقـام. ولقد حكى لي جماعة ممن حضر معه في حروب الباطنية أيـام الإمـام المتوكـل عـلى الله عليـه السلام وهو المقدمي حينئذ أنه شاهد من إقدامه عند انتهاب الأرواح، وفي مواطن الكفـاح ما يقضي بأنه الليث الهصور والضيغم الغنظفر[1] المذكور.

فصل: وأما خصائصه في الفصاحة والبلاغة فلا يُشك من وراء خطبـه وكتبـه أن الله قـد أعطاه جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصار الجـدة. عليـه أفـضل الـصلاة والـسلام. وهذا الأمر لايَمترى فيه مُمْترى، وله شعر حسن جزل لايوازيه فيه موازن.

فصل: وأما تواضعه وأدبـه وحـسن معاشرتـه، فإنـه في ذلـك العَلَـم الـشامخ والطـود الراسخ، فلقد رأينا مـن تواضـعه وإنـصافه في المـذاكرات العلميـة والمحـاورات الدنيويـة والدينية ما لايكاد يوجد عند غيره من حُسن الأدب والتواضع مع ما ألبسه الله من الهيبة.

فصل: ولنرجع إلى ذكر ماكان بعد استقرار أمر الإمامة انتشار الـدعوة في الأقطـار فإنـه

(١) وردت هكذا في الأصل والصحيح هو الغضنفر "أي الأسد".

عليه السلام بعد انتشار الدعوة مكث في السنارة(1) بقيـة القعـدة والحجـة لإصـلاح الـبلاد وحسم مادة الفساد، فجمع الله القلوب وألف بينهم بعد التواحش والتقـاطع، ببركـة هـذا البدر الطالع.

ثم دخلت سنة ١٣٠٨هـ(2) وفي اليوم الخامس والعشرين من محرم مفتاح السنة المـذكورة ارتحل الإمام عليه السلام من بلاد صعدة متوجهاً إلى جبل الأهنوم، واسـتخلف عـلى بـلاد صعدة سيف الإسلام السيد الهُمام محمد بن الإمام الهادي(3) ، والقـاضي العلامـه محمـد بـن عبدالله الغالبي قاضياً، والسيد العلامة صفي الأسلام أحمد بن قاسم على بـلاد خـولان(4) ، والقاضي العلامة إسماعيل بن علي الفضلي(5) على جبل رازح(6) .

ولما وصل الإمام حفظه الله إلى جبل الأهنوم عرض له المرض الشديد فمـرض لمرضـه الطارف والتليد، وبعد نحو شهرَ مـنَّ الله بالـشفاء مـن ذلـك الألم وصَـحَّه بـصحته العليـا والكرم، فقال السيد الأديب عبد الله بن يحيى الخاشب مهنياً من قصيدته.

---

(١) السنارة: قرية مشهورة في ناحية سحار محافظة صعدة. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٣٢) .

(٢) ١٣٠٨هـ ١٨٩٠م.

(٣) محمد بن الإمام الهادي: ولد سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م. تلقى تعليمه على يد والده الإمام الهـادي شرف الـدين/ والعلامة لطف بن محمد شاكر، وشيخ الإسلام القاضي علي بن علي اليماني في صحيح مسلم، والعلامة أحمد بن عبدالله الجنداري وغيرهم كثير، كان عظيم الورع والزهد، ساند الإمام المنصور محمد وكان أحد قادته البارزين في حربه ضد الأتراك. وقد عكف آخر حياته على العبادة ومطالعة الكتب العلمية. وعمد على بناء جـامع كبـير في المدان بالأهنوم. (زبارة: نزهة النظر، ص٥٣٢) .

(٤) خولان: خولان من أشهر قبائل اليمن. وسمي بهذا الاسم العديد من القرى وأهمها خـولان صـعدة. ويـسمى بخولان الشام، وهو أكبرها. وهو المقصود هنا. أما بقية المناطق فهناك خولان العالية شرق صـنعاء، وخـولان بني الخياط في الطويله، وخولان حجـه، وخـولان عزلـة بنـي حبـيش في الحجريـة محافظـة تعـز. (الحجـري: المجموع، ج٢، ص٣١٣) .

(٥) القاضي العلامة إسماعيل بن علي الفضلي: الآنسي الأصل الرازحي الوفاة، كان عفيفاً قانعاً، تلقى علومه بـذمار و صنعاء. برع في العلوم الدينية والعربيـة والأدب، هـاجر إلى الإمـام الهـادي شرف الـدين إلى صـعدة وتـولى القضاء ببلاد خولان الشام في منطقة صعدة ثم تولى القضاء في عهد الإمام المنصور محمد بن يحيى حميـد الـدين في بلاد رازح حتى وفاته ١٣٠٨هـ ١٨٩٠م.
(زبارة: أئمة اليمن، ص٣٠) .

(٦) رازح: ناحية مشهورة تتبعها العديد من العزل في محافظة صعدة. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٣٥٥) .

«ق٢١ب»

مُهنيـــــة بـــــبرء بعــــد ســـــقمٍ ألمّ بكــــــم فعـــــم العالمينــــــا
فــــصاحوا بالــــدعاء لكــــم جميعــــاً وأنَّـــوا مــــن حــــوى الأحــــشا أنينــــا
فعجِّــــل بالـــــشفاء لكــــم سريعـــاً ومــــــنَّ عــــلى العبــــاد المرتجينــــا

ثم إنها تتابعت إلى حضرته الشريفة الوفود، وكل من وصل أخذ منه البيعة والعهود.

فصل: في ذكر الوقائع التي خال ذكرها، وانتشر أمرها وصكّتْ المسامع

وقعة الشاهل

هو أول فتح قمع الله به حزب الباطل، وأيقنت بسببه جميع القبائـل أن هـذا الإمـام قـد قامت على سعادته الدلائل، وصفتها أن أهل مدينة الشاهل كتبـوا إلى حـضرة الإمـام عليـه السلام بأنه زاد الجور من العجم، ومرامهم أن نار الحرب تـضرم في أي جهـة مـن الجهـات اليمنية، عسى أن يكون ذلك شاغلاً ومخففاً لبعض الجور والأذيَّة. وكان المتصدر للمكاتبـه السيد العلامة محمد بن يحيى الشهاري، وهو حينئذٍ القدوة في الشرف، والسيد الذي ينتهـي إليه الشرف، فكأن العجم فطنوا لذلك المرام، وعرفوا ما قـصده أولئـك الأعـلام فجهـزوا محمد عارف قومندان[١] لحرب أهل الشاهل[٢] . فوصـل إلـيهم بجـيش هائـل، وقـد أظهـر التجبر والتكبر، فلما وصـل إلى قفـل شـمر[٣] في يـوم الأحـد الثـاني مـن شـهر شـوال سـنة ١٣٠٨هـ[٤] رمى من فوره أهل الشاهل بالمدافع، فلم تغن عنهم شيئاً، وكان الله هو المدافع.

---

(١) قومندان: أي القائد، وهي رتبة عسكرية تركية.

(٢) الشاهل: ناحية تابعة لقضاء الشرفين شمال غرب محافظة حجة.

(المقحفي: معجم البلدان، ص٣٤٨، الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٤١) . وبالقرب مـن الـشاهل دارت أول معركة بين الإمام المنصور وبين الأتراك. وانتصر فيها الإمام وأصحابه.

(٣) قَفل شمر: ناحية في بلاد حجور وتشمل العديد من القرى والعزل ضمن محافظة حجة. (الحجـري: المجمـوع، ج٤، ص٦٥٧، التعداد السكاني، ص١٢٦) .

(٤) شوال ١٣٠٨هـ١٨٩١م.

وفي يوم الربوع تقدم بطابور من العجم، وعلى المجاهدين هجم، فثبت الله المجاهدين، وأنزل سكينته على المؤمنين، فانهزمت من العجم، وانجلت المعركة عن خمسة مقاتيل منهم. ورجع محمد عارف منكس الرأس متغير الحواس.

وفي يوم ثاني وعشرين من الشهر المذكور، نهض أعداء الله إلى الحرب يهرعون، وبرزوا بما عليه من القوة يقدرون، فوقع الحرب في عارضة جبل الشاهل من وقت الفجر إلى طلوع الشمس، وانهزمت العجم وقتل منهم مائة نفر، استبشر الدهر بقتلهم وابتسم، ومن جملة القتلى على رأسهم وطاغيتهم محمد عارف، فكان في ذلك عبرة لكل متكبر ومخالف. ولما أصابه الرصاصا اتكأ على سيفه وجعل يطلب الأمان ولاتَ حين مناص فبادر إليه من لايعرفه من أهل الإخلاص فاحتز رأسه وأبلغوا به الإمام عليه السلام وطيف به البلاد. وقال لسان الحال هذا جزاء من ظلم العباد، وسعى في الأرض الفساد. واستشهد من المجاهدين ثلاثة عشر رجلاً، وغنم المجاهدين من الأسلحة وغيرها غنيمة عظيمة، وكان القبائل الذين باشروا القتال في هذه الحرب، وحازوا الفخر في صناعة الرمي والضرب، هم سادات الشاهل ورجال الخير ورأسهم الشيخ منصر ثابت السنيدار، وقبيلة أفلح[1] ورأسهم الشيخ حسن ذياب ورجال بني كَعْب[2] وبَوْسَان[3] وبني جِلْ[4]، مع من وصل إليهم من عسكر الإمام عليه السلام صحبة المقدمي[5] السيد العلامة إبراهيم بن قاسم الشرفي[6]. ومن

---

(١) أفلح: ناحية مشهورة في محافظة حجة وتتبعها العديد من العزل والقرى. وهناك ما يُسمى بأفلح اليمن وأفلح الشام وكلاهما تتبعان محافظة حجة. (الحجري : المجموع، ج١، ص٨٦، التعداد العام للسكان لسنة ١٩٨٦م، ص١٥٧).

(٢) بني كعب: من قبائل الشرف في حجور محافظة حجه. (الحجري، المجموع، ج٤، ص٦٦٥).

(٣) بَوْسَان: قرية في ناحية أرحب محافظة صنعاء، وهناك بوسان أخرى في مخلاف العابسة من ناحية الحداء. (الحجري: المجموع: ج١، ص١٢٦).

(٤) بني جِلْ: من قبائل حجور، محافظة حجة. (الحجري: المجموع، ج١، ص١٩١).

(٥) المقدمي: وجمعها المقادمة أي القائد العسكري والمقادمة هم قواد الجيوش.

(٦) السيد العلامة إبراهيم بن قاسم الشرفي: الأهنومي الحسني القاسمي ينتهي نسبه إلى الإمام القاسم الرسي. نشأ بجبل الأهنوم وأخذ من علمائها، ثم انتقل إلى ذمار لطلب العلم وقد تولى بعض مناصب، وكان أحد قادة الإمام، ثم تولى إدارة جبل رازح في صعدة، مات في جبل الأهنوم في ربيع الآخر ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م وقد ذكره مؤرخنا الإرياني في قصيدته العينية: =

أعجب ما يُذكر أن رجلاً من المجاهدين رمى بعض العجم فأخطأه فأقبل نحوه العجمي وجعل يضربه بسيف كان معه وأمسكه بقوة لايقدر معها على طعنه، فعض على حلقوم العجمي عضةً فاضت منها نفسه. وكان محمد عارف قد أقسم أن لايتغدى إلا في بيت السيد محمد بن يحيى الشهاري فلم يأت وقت الغداء إلا ورأسه في ذلك المكان. ولما وقعت هذه الواقعة صارت العجم خافضة، والمجاهدين رافعة «ق٢٢أ» وبلغ الخبر صنعاء إلى الوالي إسماعيل حافظ فأيقن بالخذلان قطعاً، وكتب بصفة هذه الواقعة إلى جميع حكومات اليمن فكان ذلك مما أرث في قلوبهم الوهن، وبعد هذه الوقعة انحاز من بقى من العجم إلى بني مُدْيخة[1] وقَفْلَ شمرَّ، وقد ذَهُلت عقولهم لما دهم من الأمر، ولما وصل إلى العجم رجل من حجور[2] يسمى أحمد نور فأشار على العجم بنصب المدافع على الشاهل والموجب لذلك ضغاين بين أولئك القبائل، فلم يحظوا من ذاك الرأي بطائل بل رمى المجاهدون طوبجي[3] المدفع وكان الله نعم المدافع. وأما أحمد نور فإنه نزل به (الحين) [4] فجأةً بعد ذلك. ثم إن الإمام حفظه الله تعالى جعل أمر تلك البلاد للسيد العزي[5] والمقدمي السيد الصارم إبراهيم بن قاسم.

وفي التهنئة بهذه الوقعة يقول السيد الأديب عبدالله بن يحيى الخاشب شعراً من قصيدة مطلعها:

بَعثت نظاماً في بياض محررا — بحجةِ والقطر اليماني مُبشراً

وكذاك إبراهيم ذروة قاسم — أعني به الشرفي ذاك الأروع

(زباره: أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر، ص٣٧٨) .

(١) بني مديخة: من قبائل الشرف في حجور، محافظة حجة. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٩٨) .

(٢) حجور: بلد واسعة من همدان شمال غرب صنعاء وتشمل حجور الشام، حجور اليمن وحجور أبو منصر وبلاد الشرف الأعلى والأسفل. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٤٢) .

(٣) طوبجي: طوب مدفع وهي تركية وأول ماعرفوه في عهد السلطان مراد الأول، واستخدموه في معركة (قوصوه) عام ١٣٨٩م، والطوبجي أي من يضرب بالمدفع. (حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص١٢٣) .

(٤) الحين: وردت هكذا في النص.

(٥) السيد العزي: المقصود هنا السيد محمد بن يحيى الشهاري (المقدمي) .

إلى القـائم المنـصور والأسـد الهـصور	والـسيد المـشهور حـررت مـا تـرى
أبــشر مــولاي المؤيــد بالــذي	لــه فــتح الــرحمن فتحـاً مكــررا
بــدت غــرة الإقبـال والـيُمن بُكــرةً	صـبيحة يـوم كـان بالنـصر أزهــرا
مـن الـشَرَفِ الملحـوظ مـن ربِ قـاهر	يُغربـه خُـض الكـمالات الكــواسرا
رجــالٌ مـن الأشراف مـن آل حيـدر[1]	ومـن عُـرب أسـد الحلائـل والـشرا
ليـوثٌ اذا شبت لظـا الحـرب أسرعـت	بمـسطونه[2] مـصقولة تهتـك العــرا
بعارف ضجت قبـل يـوم الـضحى وبـاء	الأعـاجم في الـذاري لهـم كـان مفخـرا
فاســمع بتلــك الــسادة الغــر أولاً	وتــاليهم الأنــصار ســمعاً ومخــبرا

وفي ذلك يقول أيضاً الفقيه الشرفي حسين بن أحمد العرشي:

وفي الـشاهل المعـروف جالـت فـوارسٌ	عليهــا اذا حــان الطعــان دروعُ
وظلــت ســيوف المــؤمنين كأنهــا	قبــابيس نــارٍ والرجــال نهيــعُ
وقامــت قنــاة الــدين في عــود منــبرٍ	تَنــادى ألا إن الطعــان سريــعُ
ولمــا التقــى الجنــدان والحــقَ بــيْنٌ	وكــل لــه في مغرســيه فُــروعُ
فهــذا يــرى لله ذا الــدين لا يــرى	ســواه وذا في ذاك لــيس يطيــعُ
فكــل لــه هــم يهــم لأجلــه	وشــتان هــم صــادق وشــنيعُ
أرادت بغــاة العجــم مــا لم يكــن لهــم	إليــه وضرب الــضاربين رجــوعُ
وحين استدار الحـرب والفجـر قـد أضـا	وغـاب الـدُجا إذ غـاب وهـو شـفيعُ
أباحــت سرات المــسلمين سُراتهــم	وأعمارهــم فــالمترفون جــدوعُ
فمـنهم جـريحُ عطـر الـسيف نفـسه	بعندمــة[3] والــدائرات لــسيع
وآخـر شـد الـساق فانجـاب هاربـاً	ومــنهم أســيرٌ موثــقٌ وصريــعُ

---

(١) آل حيدر: الحيادرة بطن من الجعافرة، بني جعفر الصادق، من العلويين من بني هاشم، وينسبون إلى جدهم حيدرة من بني جعفر. (عمر رضا كحالة: معجم قبائل اليمن، ج١، ص٣٢٠).

(٢) بمسطونة: المُسَطَّن الطويل الرجلين أو القوائم. (المنجد، ص٣٣٣).

(٣) العندم: خشب نبات يُصبغ به، ويقال له دم الأخوين أو البَقَّم. (المنجد، ص٥٣٣). وشجرة العندم أو دم الأخوين شجرة مشهورة في جزيرة سوقطرة، ويستخرج منها نوع من الطيب المشهور.

ومـــا للـــسيوف البـــاترات مناهـــل ... يــــردن ســــوى أعـــدائها وولـــوعُ
فغــادرتهم كالـــصيد لفــت فأوقعــت ... عليهـــا طيـــور والـــشباك جميـــع
ولا عيـــب في أبـــدانهم غـــير أنهـــا ... وهامـــاتهم مـــا بيـــنهن شـــسوعُ
أعـــارف هـــلا أُبــت أو تُبــت قبــل أن ... تـــؤوب فـــضرب المـــؤمنين فظيـــعُ
«ق٢٢ب»ولو أُبت مـا آبَتْ حتوفـك إنـما ... لربـــك في القـــوم الكـــرام صـــنيعُ
أراك ظننـــت القـــوم لامـــوت عنـــدهم ... وخِلْـــت الـــدوا والـــسم فيـــه نقيـــعُ
ولله قـــــومٌ لايقـــــوم عــــــدوهم ... لواحـــد هـــم أم كيـــف أنـــت خـــضيعُ
فياوقعــــة أَنبـــــت بـــــيُمنُ ومنــــةٍ ... وطـــارت بهـــا الرُكبـــانُ وهـــي تـــذيعُ
وياصـــدمةً اســـتوعب الحـــق ذكرهـــا ... فـــما إن لهـــا عـــن حافتيـــه رجـــوعُ
بهـــا مـــات أقـــوام الظـــلام وأشرقـــت ... شـــموس العُـــلا في الهنـــدوان مريـــعُ
ومنهـــا جنـــود الظـــالمين تقاعـــدت ... فكلهـــــمُ للمـــــسلمين ربيـــــعُ
أيكتمهـــا ذو همـــةٍ قـــد رســـت بـــه ... لـــدى كـــل مرفـــوع الجنـــاب فـــروعُ
ومـا كـان يبغـي العجـم يلحـق قـل لـه ... إليـــك فميـــدان القتـــال وســـيع
ومـــا عـــذر مـــن آوى العـــلا في ديـــاره ... وفي نفـــــسه إلا إليـــــه رجـــــوعُ
فكــــل مُعــــد نفـــسه لانعــــده ... فنـــشكره حتــــى نــــراه مريــــعُ
وسِرّ الـــــذي أتيـــــت أن علوهـــــا ... لـــه في قلـــوب الظـــالمين خـــضوعُ.

وفي شهر القعدة الحرام من السنة المذكورة، أرسل الإمام عليه السلام قدر مائة وخمسين رجُلاً إلى حصن الظفير[1] بلاد حجة، ومقدميهم السيد عز الإسلام محمد بن يحيى بن الهادي[2] والشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر[3].

---

(١) حصن الظفير: حصن في مدينة حجة يُعرف بظفير حجة. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٦٧).

(٢) محمد بن يحيى بن الهادي: بن الحسن بن القاسم بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد. ولد سنة ١٢٧٤هـ كان عالماً كاملاً ذكياً ألمعيا أديباً، نشأ بحجر والده وتلقى منه جل علومه ومن علماء عصره. رحل إلى مقر إقامة الإمام في حصن السنارة في بداية قيام الإمام المنصور محمد وتقلد عدة من المناصب في عهد الإمام يحيى. كانت وفاته في الشرف. (زباره: نزهة النظر، ص٥٩٢).

(٣) الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر: من أبرز مشائخ حاشد وقد كان له دور في مجريات الأحداث في تلك الفترة.

وكان وصولهم حصن الظفير في ثلث الليل الأخير، فلم يشعر أهله إلا وقد استولوا على ذلك، فحينئذ أذعنت جميع البلاد بالطاعة. وفيه أيضاً أرسل الإمام عليه السلام السيد عبدالله بن أحمد المتوكل إلى بلاد لاعه[1]، وصحبته جماعة، فقبض المعاقل، وأذعنت له جميع القبائل. وفيه أيضاً أخذ العسكر الذي في الظفير[2] من قارعة الطريق، أحمالاً للعجم فيها دقيق، واتصل بهذا فتح الظهرين من حجة، وهو أن ناسا من أهل الظهرين طلب الشيخ ناصر مبخوت، وطلب بعض العسكر من الظفير ودخل البيوت، بعضها بالرهبة، وبعضها بالرغبة إلا الشيخ محمد القيلي فإنه امتنع عن الدخول في الطاعة لكونه صاحب قنطرة العجم فأراد المقاتلة، ورمى إلى المجاهدين بحجرٍ، فرماه رجل من أصحاب الإمام ناصر فقتله.

وقعة الظهْرَين

وصفتها أنها خرجت طايفة من العجم من مدينة حجة على من في الظهْرَين من المجاهدين، فوقع القتال بينهم هنالك، وانهزمت العجم، وقتل منهم خلق كثير وإنقلبوا إلى حجة صاغرين وفي خلال ذلك بلغت الأخبار بوصول طايفة من العجم من جهة تهامة، فتلقاهم بعض حاشد وجماعةٌ من الرعايا إلى قلعة ابن حُمَيْد وإلى الحصيب، فتناوشوا للحرب قليلاً، وفرّت حاشد فدخلت العجم حجّة. وفي الليل هرب من في الظهرين من حاشد، بلا سبب إلا متابعة للظن الفاسد. وقد كان أرسل إليهم وكيل الإمام عليه السلام ألذي في الظفير أحمالاً من المونة كثيرة، فلقيتهم الرسل في الطريق وقد سُلبوا التوفيق. «ق٢٣أ» ولما عَرَفَ الإمام عليه السلام ما كان من أمر حاشد وإن طَلَبَهم الجهاد لم يكن إلا لمقاصد، أطلق رهاينهم، وأظهر التبرم عليهم. ولما رجعوا إلى بلادهم، وتجهم الحاج الفاضل زيد بن صالح الرضي، على فعلهم ألذي هو غير رضي، فأجمع رأيهم على استعطاف الإمام بكتاب، وأعلنوا إليه بالمتاب، فرجع إليهم الجواب أن ارجعوا حجة، وأمَّر عليهم

---

(١) بلاد لاعة: عزلة معروفة في محافظة حجة، وهناك قرية أخرى وتسمى عدن لاعه وقد خُربت. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٧٧).

(٢) الظفير: جبل شامخ شمال حجة، كان قديماً من الهجر المقصودة لطلب العلم، وقد قامت العديد من المعارك في هذه المنطقة بين الإمام المنصور والأتراك. (المقحفي: معجم البلدان، ص٤٢٤).

الحاج زيد بن صالح الرضي، فلما وصلوا بني العوَّام[1] خرج الشيخ حزام بن قاسم الأحمر، وقايد بن مهدي نجم الدين من نَجْرَة[2]، وحتى وصلا حجة مستنفرين للعجم طالبين منهم الغارة مما قد ألمّ.

وقعة نجرة

وصفتها: أنها خرجت طايفة من العجم من حجة لسبب الاستنفار حسبما تقدم، فلما وصلوا إلى محل من نجرة يقال له قُدَم[3] في وقت السحر، فوقع الحرب بينهم وبين جماعة الحاج زيد، وتقاتلوا إلى نحو ثلث الليلة الثانية، وبعد ذلك وَلى العجم منهزمين. وانجلت المعركة عن مائة وخمسين قتيلاً من العجم، ومكاوين[4] كثيرين، وغنم المجاهدون السلاح واستشهد منهم نحو من اثنى عشر رجلاً، وبقى من العجم بقية بعد القتول صاروا محصورين في بعض بيوت نجرة قريباً من أسبوع، وفي خلال ذلك عزم الشيخ ناصر وصحبته جماعة يتلقى حمولة للعجم إلى الطريق، وهي قدر مائتي حمل من الدقيق، فتلقاها إلى الحصيب، فحمل منها البعض الذي قدر عليه هو وأصحابه وأحرق الباقي. فلما علم المحَاصَرون بنجرة أنها قد انقطعت عليهم الميرة[5] تولوا هاربين وفي ذلك يقول السيد الأديب عبدالله بن يحيى الخاشب حماه الله تعالى:

وعطر بذكر السيد الماجد الذي	بحاشد أنصار الأئمة قد سَرَا
هزبر الوغا عز الهدى جاد غازياً	فصبحَّ في حصن الظفير مظفرا
تسنم أعلى ذروة المجد فاستوى	على عرش عز شامخ الذكر والذّرى
ولاحت له من بعد ذلك فرصةً	فأرسل فوراً بعد ذلك ناصرا
فدوخ بالأنصار نجرة كلها	ومسوحها ثم الشغادر والقرى

(١) بني العوَّام: ناحية مشهورة في محافظة حجة وتشمل العديد من العزل والقرى. (التعداد: ص٤٦).

(٢) نَجرَة: ناحية في محافظة حجة وتشمل العديد من العزل والقرى. (التعداد:ص٢٨).

(٣) قُدْمْ: قرية وعزلة في محافظة حجة تابعة لناحية نجرة. (التعداد: ص٢٨).

(٤) ومكاوين: عامية ومعناها جرحى.

(٥) الميرة: كلمة تركية، وقد يكون المقصود بها هنا الإمدادات الغذائية والعسكرية، وأستاذنا الدكتور حسين أورد ترجمتها بمعنى الشئون العسكرية للحكومة. (الحوليات، ص١٣٩).

وحجـــة بـــالغربي عـــزت بيعثـــه | إليهـا مـن الأنـصار في الليـل عـسكرا
أحـاطوا بهـا مـن كـل قطـر وأمطـروا | عليهـا مـن المـصبوب مـا صـبَّ أحمـرا
أعاجمهـــا في كـــل يـــوم تنحـــروا | فهـم كجـذوع خاويـات عـلى الثـرى
غـراب الـبلا والبـين صـاح بحـتفهم | فحامـت منايـاهم عليهـا كـما تـرى
ومـسور[1] أضـحى بَاسِـم الثغـر إذ أتـت | إليـه جنـود الحـق ببتـار في الـسرى
وعمران قد جاشـت جيـوش وأحـدقت | عليـــه رجـــال لاتراهـــا تقهقـــرا
فبـــشرى لمولانـــا الإمـــام محمـــد | وبـشرى لنـا بالقـائم الطيـب الـذرى
أرى بعيـــون الفكـــر في كـــل وجهـــةٍ | ومـيضُ بـروقِ النـصر كـالبرق إن شرا
فلابـــد مـــن فـــتح قريـــب معجـــل | يعـــم آزالاً والبنـــادر والـــسُرا
مـن الله أرجـوا نـصر مـولاي مـن لـه | مـن الله حفـظ مـن أمـام ومـن ورا

«ق٢٣ب»

وهـــاك إمـــام العـــصر منـــى عروبـــة | معجلـــة منـــك القبـــول لهـــا قـــرا
وصـــل إلهـــي كـــل يـــوم وليلـــة | عـلى أحمـد والآل هـم سـادة الـورى

وبخلال هذه الحوادث أرسل الإمام عليه السلام السيد الهمام والليث الضرغام أحمد بن محمد الشرعي[2] رحمه الله، إلى بلاد أَرْحَبْ ومن جاورهم من القبائل يحثهم على الجهاد الذي وجب، وكانوا إلى ذلك أشوق من الهيم إلى الورود، ومحاصرة صنعاء عندهم أعظم المقصود، لما في ذلك من حسم مادة الفتن، وإخماد نار المحن. وحين وصل رحمه الله إلى هنالك كتب إلى جميع القبائل المحيطة وهم رجال هَمْدَان[3] ، وأَرْحَبْ،

(١) مَسْوَرْ: ويطلق عليها مسور المنتاب، ناحية في محافظة حجة. وهناك وادي مشهور في خولان العالية يطلق عليه مسور، ومسور عزلة في ريمة. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٧٠٨) .

(٢) أحمد بن محمد الشرعي: نشأ بصنعاء وكان من أعوان الإمام المحسن بن أحمد الشهاري، والإمام الهادي شرف الدين، ثم أصبح من قادة الإمام المنصور محمد، وممن قاد الجيوش وحارب الأتراك في كل منطقة من مناطق اليمن. توفي متأثراً بجراحه في سنة ١٣٠٩هـ وقد رثاه القاضي حسين العرشي والقاضي علي بن عبدالله الإرياني. (زبارة: نزهة النظر، ص١٥٧) .

(٣) هَمْدَانْ: من أشهر قبائل اليمن، وتنحصر قبائل همدان في حاشد وبكيل، وهمدان من أشهر قبائل اليمن بأساً وهم أول من سارع إلى الإسلام وثبت عليه، ولم يرتد منهم أحد. وهناك الكثير من القرى والعزل التي تحمل اسم همدان وأهمها همدان صنعاء وهي ناحية معروفة تابعة لمحافظة صنعاء وتشمل عُزل جشم ووادعة وبنو =

وبني الْحَارِث[1] ، وعيال سُرَيْح[2] ، وكان اجتماعهم في دْرَبْ هِزَمْ. ورأسهم بالحث على تلك المقاصد المحمودة، الشيخ العماد يحيى بن يحيى دوده، فوقع اجتماعهم على نصرة الإمام، ووجوب متابعته ومناصرته على الخاص والعام، والسعي في تحصيل ذلك المرام، أعني محاصرة مدينة سام.

وفي خلال ذلك أرسل السيد الصفي رحمه الله والشيخ العماد من أشعل النار[3] في جبال بني حِشْيَشْ[4] وجبل نُقْم[5] وكَوْلَة العِرْج وكَوْلَة العِرَّه وقاع[6] بني الحارث من قبلي[7] الروضة، وكان ذلك من الرأي الشديد، فعلوه لينضم إليهم من لم يدخل تحت الطاعة من بني الحارث وبني حشيش، فبسبب ذلك دخلوا كغيرهم، ولإظهار ذلك على سنحان[8]

مكرم ومن قراها حاز والحُقّة، وخلقة، وطَوْضَان، وجرْبَان، والجايف، والعِرّة، وبيت نِعم ومدام والحطّاب وَضَرْوَان. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٧٥٢، التعداد العام ص١٠٦) .

(١) بني الْحَارِثْ: من قبائل اليمن المعروفة وهناك مناطق كثيرة تسمى ببني الحارث. وناحية بني الحارث من نواحي صنعاء ومن أهم مدنها وقراها الروضة (روضة حاتم) والجراف وصرف وشعوب وقرية القابل ومذبح والسنينية وذهبان وثقبان. وشبام الغراس وغيرها كثير. وأغلب تلك المناطق أصبحت الآن من ضواحي صنعاء الخارجية. الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٠٨) ، (التعداد العام للسكان لسنة ١٩٨٦م، ص، ١٦) .

(٢) عيال سريح: من قبائل همدان من بكيل وهي ناحية معروفة شمال صنعاء وتنقسم إلى أربعة أقسام الخميس، الرايه، بني حجاج، بني عبد وتشمل العديد من القرى. (المقحفي: المعجم، ص٣٢١، التعداد العام ص ٨٢٨٥) .

(٣) إشعال النار: كانت إحدى العادات الاجتماعية التي لجأت إليها القبائل وتسمى "التَنْصِيْر" أي إيقاد المشاعل وهو أسلوب اتبعته القبائل للتعبير عن الدعم والمساندة أو الإعلان عن الانتصار.

(٤) بني حشيش: ناحية من نواحي صنعاء في الجهة الشرقية متصلة بجبل نُقُمْ وبراش المطلين على صنعاء ومن أهم عزلها سعوان، الرونة، صرف، رجام، الشرفه، ذي مرمر، عيال مالك، الأبناء، وتشمل العديد من القرى أهمها السر، وحصن ذي مرمر الأثري المشهور. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٦٠، التعداد، ص٩٨) .

(٥) جبل نُقُمْ: جبل يطل على مدينة صنعاء من جهة الشرق، يرتفع عن سطح البحر ٢٨٠٠متر، وهو حصن صنعاء الحارس. (المقحفي: معجم البلدان، ص٧٠٥، الويسي: اليمن الكبرى، ص٨٦) .

(٦) القاع: هو الوادي وعادة تكون القيعان في اليمن مناطق خصبة تستغل للزراعة.

(٧) قِبْلِيْ: أي شمالي أي جهة الشمال.

(٨) سنحان: ناحية من نواحي صنعاء وتشمل عدة عزل منها الربع الغربي الفروان، ووادي الأجبار، الربع الشرقي، قاع الحباب وكل عزلة تشمل العديد من القرى. (التعداد العام للسكان ١٩٨٦، ١٤٢، الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٣٢) .

وخولان وبني بهلول[1] ليعلموا بالاجتماع على المناصرة، فيدخلوا في ذلك، ولتشتيت أفكار العجم في جميع البلاد حتى لايقصدوا أحداً من الشيعة المحبين إلى رأسه خاصة، فمع صلاح النية تم لهم هذا التدبير، بعون الله الملك القدير. فلما وقع التنصير[2] كما ذكرنا بلغت الأخبار إلى صنعاء، فضاقت الأرض بالعجم ذرعاً. ثم تواعدت تلك القبائل بالاجتماع إلى جِرْبَانْ[3]، وإن ذلك يكون في خامس عشر شهر الحجة من السنة المذكورة، وفي اليوم المذكور على وفاء الميعاد وصل المقدمي المذكور إلى جربان، وصحبته قدر خمسة آلاف إنسان، من أرحب، وثلاثة آلاف من همدان، وخمسمائة من عيال سريح، وعقدوا لكل قوم راية، ووقع الرأي بعزم الجميع إلى بلاد البستان[4] والحيمة. فعزموا وتوجّهوا بلاد البستان، فلما وصلوا هنالك انظم إليهم المجاهدون من بلاد البستان والأهجر[5] وما يلي ذلك. وعزم الجميع حتى وصلوا مسيب[6] وما إليها فلم يشعروا إلا بمكتوب من أحد الشيعة من أهل صنعاء مُخبراً لهم بأن العجم خارجون يوم ثاني، وأنهم قاصدون الرقة[7] إلى عمران، فرجعت القوم بأجمعهم إلى شق[8] بلاد همدان، وخرجت العجم متوجهين طريق

---

(١) بني بهلول: ناحية من نواحي صنعاء، وتشمل العديد من العُزل وهي وادي حبيب، وادي جناح، الخُمس العدني، خمس الوادي الأوسط، الخُمس الخامس. ويتبعها العديد من القرى أهمها غيمان وصرواح والحمامي وجوب وبيت عقب، وعناقة. (التعداد: ص١٦٤، الحجري: المجموع، ج١، ص١٣١).

(٢) التنصير: وهي إشعال النار على قمم الجبال، وقد سبق توضيحها.

(٣) جربَان: قرية في ناحية همدان شمال مدينة صنعاء وتتبع عزلة بني مكرم. (التعداد: ص١١٠، الحجري: المجموع، ج١، ص١٨٣).

(٤) بلاد البستان: وهي الآن تسمى بني مطر ناحية من نواحي صنعاء في الجهة الغربية متصلة بحقل صنعاء وتشمل العديد من العزل والقرى أشهرها مخلاف بني شهاب، وحزة صنعاء أي منطقة حدة. وهي الآن إحدى ضواحي صنعاء المشهورة. (الحجري: المجموع، ج١، ص١١٨، التعداد العام: ص٥٣٦٩).

(٥) الأهجر: عزلة في ناحية شبام كوكبان، محافظة المحويت، وتشمل العديد من القرى. (التعداد: ص١٠٧، الحجري: المجموع، ج١، ص٩٣).

(٦) مَسْيَبْ: مسيب الداخلية ومسيب الخارجية وهي قرية من قرى بني الراعي ناحية بني مطر، محافظة صنعاء. (التعداد العام: ص٥٩).

(٧) الرِقة: قرية ضمن عزلة جشم ناحية همدان، محافظة صنعاء. (التعداد العام: ص١٠٩).

(٨) شِق: عامية أي بجانب أو بقرب.

الرقــة، فلــما رأوا المجاهــدين قــد التقــوهم إلى الأزرق[1] ، رجعــوا مــن ذهبــان[2] إلى بيت نِعَمْ[3] . وفي اليوم الثاني التقاهم المجاهدون إلى رأس نقيل بيت نعـم وقـدر العجـم ثلاثة طوابير، ووقع الحرب هنالك وانهـزم المجاهـدون حتـى وصـلوا ذَرْحَـان[4] فلحقهـم العجم إلى هنالك، ووقع فيما بينهم الحرب إلى غروب الشمس، وكانت العجم قد أحـاطوا على ما في ذَرْحان من المجاهدين من كل جهة فغار الشيخ يحيى بن يحيى دوده «ق٢٤أ» بمن معه من جهة الشرق، وغار المقدمي صفي الإسلام بمن معه من جهة القبلة.

وقعة ذرحان وقاع المنقب[5]

وصفتها أنه لما أغار سيدي صفي الإسلام والشيخ يحيى بن يحيـى دوده مـن الجهتـين، وقع الحرب بينهم وبين العجم حتى شغلوهم عن المجاهدين الـذي في ذرحـان، فانهزمـت العجم إلى عدني ذرحان[6] ، وهجم عليهم السيد صفي الإسلام[7] بمـن معـه قاصـداً لأخـذ المدفع. فحينئذٍ قاتلت العجم أشد القتال، وكـان بعـض العجـم في المنقـب فهجـم علـيهم المجاهدون من كل جهة. وقامت الحرب على ساق إلى نصف الليل، وقُتِلَ من العجم خلـق كثير، وأقامت العجم بعد ذلك في المنقب يوماً واحداً، وأجمع رأيهم على الرحيل إلى عمران، فتلقاهم المجاهدون، فانقلبوا إلى جهة المغرب وهم خـايفون وجلـون، حتـى بلغـوا حجـر

---

(١) الأزرق: من قرى بلاد سـارع في محافظـة المحويـت. والأزرق قريـة مـن عُـزل بنـي سـعد في المحويـت أيـضاَ. (الحجري: المجموع، ج١، ص٧٥، المقحفي: المعجم، ص٢٩) .

(٢) ذَهْبَان: قرية من ناحية بني الحـارث تتبـع عزلـة سُـدس القريـة، محافظـة صـنعاء. (الحجـري: المجمـوع، ج٢، ص٣٥١، التعداد: ص٢) .

(٣) بيت نِعَمْ: قرية في أعلا وادي ضهر شمال غرب صنعاء، تتبع ناحية همدان. (المقحفي: المعجم، ص٧٠٢) .

(٤) ذَرْحّان: قرية من ناحية همدان، محافظة صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٤٠) .

(٥) قاع المنقب: قرية من عُزل ربع همدان، ناحية همدان، محافظة صنعاء. (التعداد العام لسنة ١٩٨٦: ص١٠٦) .

(٦) عدني: أي جنوبي وهو مصطلح محلي، ناحية العدن أي ناحية الجنوب.

(٧) الصفي: لقب متداول في اليمن لكل من اسمه أحمد. والمقصود هنا بالسيد الصفي هو أحمد بن محمـد الـشرعي. (قائد عسكري) .

سعيد[1] فتلقاهم المجاهدون ووقع الحرب بينهم خارج حجر سعيد من الصبح إلى آخر النهار، وقتل من العجم كثيرون وباتوا تلك الليلة في شبام، ثم عزموا كوكبان وحطوا خارج الباب فأشار عليهم بعض الأعوان، أن يمضوا الليل ويكون طريقهم من وادي السيل ويعدلون عن طريق المصانع[2] وما شاء الله فهو واقع، فكانت طريقهم تحت الأبذر[3] وباتوا ببني الفليحي، وفي الصباح ارتحلوا عنه فلما بلغ الإمام عليه السلام خروج العجم من صنعاء غايرين على من في مسور[4]، أرسل السيد العلامة العماد يحيى بن حسن الكحلاني حماه الله إلى بيت عُلْمَان[5] وصحبته رجال من أهل ظُلَيْمَة[6] فواصل السفر ليلاً ونهاراً، فلما وصل هنالك دعا أهل تلك البلاد، أعني المصانع والزافر[7] والأشمور[8] إلى النُصرة، فمنهم من أجاب ومنهم من أبى وخاب. ولما بلغ الشيخ حزام الصعر وصول السيد العماد تابع في إرسال الكتب إلى أهل البلاد لينهاهم عن الإعانة والإنجاد، وأمد السيد العماد عايض بن صالح السنحاني وصحبته مائة رجل، ووصل من حضرة الإمام عليه السلام الشيخ صالح بن يحيى الأخرم بثمانين رجلاً من بني قيس[9] والعجم حينئذٍ في باب كوكبان، ثم أنهم خرجوا إلى وادي السيل[10] وباتوا في بيت الأبذر. وكان قد سبقهم

---

(1) حجر سعيد: قرية تابعة لعزلة جشم، ناحية همدان، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٠٩).

(2) المصانع: عزلة والمقصود هنا هي المصْنعة وهي قرية تابعة لعزلة الغربي، ناحية الطويلة، محافظة المحويت. (التعداد العام لسنة ١٩٨٦م: ص١٠٣) والمصنعة قرية في عزلة العمادية ناحية الخبت محافظة المحويت. (التعداد: ص٥٢، المقحفي: معجم البلدان، ص٦٣).

(3) الأبذر، بيت الفليحي: قريتان تتبع عزلة بني العباس ناحية ثلاء، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٩٠).

(4) مَسْوَرْ: ناحية تتبع محافظة صنعاء، وتشمل العديد من العُزل والقرى. (التعداد: ص٧٠).

(5) بيت عُلْمَانْ: قرية في بني الحارث محافظة صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٦١٠، التعداد: ص٢).

(6) ظُلَيْمَة: هي ناحية ظليمه حبور، محافظة حجه. (التعداد: ص٣٦٤).

(7) الزافر: قد تكون الزافن و هي قرية تابعة لعزلة المصانع، ناحية ثلاء، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٩٢).

٨ الأشمور: قرية وعزلة تابعة لناحية عمران، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٧٠).

(9) بني قيس: اسم مشترك لعدد من القرى والقبائل منها: بنو قيس من صريم في حاشد، وبنو قيس قرية في تهامة، وبنو قيس مخلاف في ناحية البستان، وبنو قيس عزلة في وادي خبان في يريم وبها عشر قرى، وبنو قيس قرية من ناحية جبَنْ في رداع، وبنو قيس من قبائل خولان بن عمرو من صعدة. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٥٩). ولم أتوصل مَنْ مِنْ هولاء قصدهم مؤرخنا.

(10) وادي السيل: أحد وديان كوكبان. (الويسي: اليمن الكبرى، ص٨٢٠).

السيد العماد إلى بيت عَلْمَان، ثم أن العجم بمن معهم من أعوانهم العرب، تقدموا إلى جبل تعز[1] وإلى قبلي بني الفليحي يقودهم السيد محمد الشويع، وابن فارع وابن سنان، فلما وصلوا إلى هنالك طلبوا الاتفاق من المجاهدين فوافقهم بعض المشايخ، وأعرضوا[2] على السيد العماد ومن معه ألف ريال، على أن يخرجوا من بيت عُلْمَان، أو يختاروا الحرب العَوَان، فاختاروا رضى الرحمان.

وقعة بيت عُلْمَان

وصفتها أنه لما كان ما كان من الاتفاق بين أولئك الأعوان، ولم يتم الصلح. وقع الحرب من بكرة يوم الجمعة إلى آخر نهار السبت. وفي يوم الأحد سكن الحرب من الجهتين. أما طايفة المجاهدين فإنها نَفَذَتْ عليهم المونة، مع أن الله قد كفاهم المؤنة. وأما العجم كان الرعب قد خالط اللحم والدم، ففروا مرعوبين وولوا على أدبارهم منهزمين وشدُّوا بالليل قاصدين عمران، فلما بلغوا ذرحان وكان شيخ المحل يقال له مبخوت الذرحاني من أعوان العجم، فرمى رجل من أصحاب الشيخ المذكور إلى نحو العجم لغير رضا[3] من الشيخ، فهجموا عليهم العجم وقتلوا منهم خمسة عشر رجلاً وحزوا رؤسهم، وأسروا اثنين من القبائل. ولم يكن مقصد القبائل المذكورين أداء واجب الجهاد الواجب على أهل الإيمان، فسبب ذلك كان الخذلان.

وفي ليلة الأحد نصف القعدة الحرام خسف القمر من وقت العشاء واستمر «ق٢٤ب» إلى نصف الليل، ونزل بسبب ذلك على العجم الويل لأن العوام تفاءلوا بذلك، وقضوا بأن بدر العجم قد انخسف حتى نَصَّرَ[4] بذلك أكثر الناس، ففزع لهذا الخَطْب العجم الأرجاس.

---

(١) جبل تعز: وعليه حصن شمال ظفار ريدة، محافظة صنعاء. (المقحفي: المعجم، ص١٠٧) .

(٢) وأعرضوا: هكذا وردت والمقصود به "عرضوا" عليهم.

(٣) "لغير رضا": هكذا وردت في الأصل.

(٤) نَصَّرَ: أي أشعلوا النيران، وهو دليل المساندة والمؤازرة. وقد سبق توضيحها.

وفي خلال ذلك لم يلبث الوالي في اليمن إسماعيل حافظ باشا أن أنشبت فيه المنيّة أظفارها. وكانت الفتنة قد كشفت أستارها وهذا الوالي قد تولى اليمن مرتين، المرة الأولى حين أخرج العلماء المحبوسين في الحديدة بحبس المشير قَبْله مصطفى عاصم بسبب أمر[1] الشيخ البغيض محسن معيض[2]، وكان الإمام عليه السلام من جملة المحبوسين كما ذكرنا وغيره من الأعيان. وفي المرة الثانية تولى الوالي المذكور على اليمن، وكانت وفاته في صنعاء. وفي هذه المدة عند اشتعال نار الفتن، وكان الوالي المذكور قد كتب في التلغراف إلى حضرة السلطان بأن اليمن قد إضطرمت فيه نيران الفتن، وإن لم يتدارك يلحق بخبر كان وشن الغارة في ذلك فلم يلبث أن هلك قبل وقوع الوقايع.

وفي هذه المدة سمع الناس في صنعاء أصواتاً مختلفة كباراً وصغاراً في الهواء بقي ذلك نحو ثلاثة أيام، حتى فزع الناس إلى المساجد وحصل في قلوبهم الرعب الزايد. وكان ذلك خاصاً لمدينة صنعاء، وذكر ذلك العجم في جرائد الأخبار[3] التي يودعون فيها الحوادث، وصاروا يعتذرون عن ذلك ويذكرون أنه قد وقع مثله في زمن سابق.

---

(١) وردت في المخطوطة (ب) (إعزاء) بدل (أمر).

(٢) محسن معيض: كان أحد مشائخ صنعاء الذي أقامه أهالي صنعاء في فترة الفوضى ولذا فقد كان يقيم إماماً ويقعد آخر، حتى جاء الأتراك سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م فنال منهم حظوة، وقيل أنه أشار على المشير مصطفى عاصم بسجن علماء صنعاء في سجن الحديدة، حتى تم إطلاقهم في عهد الوالي إسماعيل حافظ باشا ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، وبالتالي أمر بحبس معيض ومصادرة أمواله حتى مات. والشاعر أحمد القارة يصور لنا حالة الفوضى في اليمن، في أوساط القرن الثالث عشر الهجري، ووضع الحكام والمحكومين. فيقول:

و أمير المؤمنين معيض ... قد فعل فيها طرف وفريض

شاربه قالوا طويل وعريض ... مُجعلي لاإله إلا الله

ورعايا ذا لزمان همج ... خلو لدينا ملان رهج

(أحمد حسين شرف الدين: الطرائف المختارة من شعر الخفنجي والقارة، ص١١٧).

(٣) جرايد الأخبار: كان الأتراك يطبعون صحيفة صغيرة بواسطة مطبعة الولاية التي أحضرها الأتراك معهم عندما دخلوا صنعاء عام١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، وهي مطبعة صغيرة يتم السحب فيها باليد. ولذا فجريدة "صنعاء" صدرت سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م. وهي أول صحيفة في الجزيرة العربية. (د.محمد عبد الملك المتوكل: الصحافة اليمنية، ص١٧).

وفي هذه المدة خرج من العجم قدر مائتين نفر صحبة سليمان بيه، وبرفقة السيد محمد بن علي الشويع، وراجح بن سعد قاصدين مدينة حجة[1] ثم إلى قفل شمر فبقوا هنالك أياماً، ثم جمعوا العسكر وقسموهم طائفتين طايفة عزمت القفيل على ميلين من الشاهل[2]، وطايفة تقدمت على بني جِلْ[3].

وقعة القفيل:

وصفتها أنها لما تقدمت العجم كما ذكرنا، لم يشعر أهل البلاد إلا وقد رموهم بالبنادق والمدافع، فاجتمعت الغارة من كل جبل وأحاطوا بالعجم في القفل، وقتل منهم نحواً من السبعين، وغنم المجاهدون بنادق كثيرة وقد كان أجمع رأي العجم على قطع شجر البُن فلم يمكنهم الله من ذلك. وفي أوائل شهر الحجة من السنة المذكورة، وردت الأخبار أنه وصل أحسن أديب[4] باشا والياً على اليمن من حضرة السلطان، وصحبته أحمد رشدي بيه، وصحبتهما من العساكر قدر ألفين، فخرجا من بندر الحديدة حتى بلغا حجة وحطا رحلهما هنالك.

وفي خلال هذه الوقايع المتقدمة دخلت سنة ١٣٠٩هـ[5]

فأما الوالي أحسن أديب ومن صحبته من العساكر فإنه بقي محصوراً في حجة كلما همَّ بالخروج قطعت عليه المجاهدون المحجّة.

---

(١) حجة: مدينة عامرة شمال غرب صنعاء وهي منطقة جبلية. وبها قصر سِعْدَان ثم الجراف وقلعة القاهرة. (الويسي: اليمن الكبرى، ص١١٨).

(٢) الشاهل: ناحية في محافظة حجة وهي مركز الناحية التي تتبعها عدة عزل منها جانب الشام، الأمرور، جانب اليمن، مريحة وبالتالي تضم العديد من القرى. (التعداد، ص١١٧).

(٣) بني جلْ: عزلة تتبع ناحية قفل شمر، محافظة حجة. (التعداد: ص١٣٨).

(٤) احسن أديب باشا: هو حسن أديب باشا تولى اليمن ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م ولم يمكث سوى أشهر، وانتهت فترته بتعيين المشير أحمد فيضي باشا. (الجرافي: ملحق الحوليات، ص٢٣٦).

(٥) ١٣٠٩هـ ١٨٩١م.

ذكر حصار صنعاء وما يُلتحق بذلك من الوقايع:

ولما أجمعت القبائل، أعني أحواز صنعاء جميعاً على محاصرة من في صنعاء مـن العجـم، لموجب تحريض السيد الأكرم صفي الإسلام[1] رحمه الله، وكـان ذلـك هـو المقـصد الأهـم، والمطلب الأعظم، من حضرة الإمام عليه السلام، فأُشْعِلَتْ النيران في الجبال جميعها وارتاع لذلك العجم، وظنوا أنها القاضية، وكتبوا إلى العساكر الذين عزموا حجة أن يرجعـوا فقـد التقتا حلقتا البطان فخرجوا من عمران وكان طريقهم مـن المنكـل، واتفـق أنـه وقـع مطـر فساروا فيه على غفلة، ولما خرجوا من المنكل التقاهم المجاهدون إلى غربي حاز[2] .

وقعة حاز:

وصفتها أنه لما التقى المجاهدون العجم كـما ذكرنـا بـاشروهم بـالحرب، وأصـدقوهم الرمي والضرب، واستمر ذلك في إثرهم إلى أن وصلوا ريعان[3] ، وردعـم[4] وهنالـك بـات العجم بلا زاد والجمال قائمة وعليها الشداد، والمجاهـدون محيطـون بهـم مـن كـل جانـب «ق٢٥أ» قد أصدقوهم الجلاد. وفي اليوم الثاني وقـع الحـرب وانهزمـت العجـم مـن بيـت عذران[5] إلى أن وصلوا صنعاء وقد خالطهم الرعب والهوان، وكانوا قريباً مـن خمـس عـشر مائة وما ينفع الكثرة مع الخذلان.

---

(١) هو أحمد بن محمد الشرعي.

(٢) حاز: قرية تتبع عزلة جشم في ناحية همدان، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٠٩) .

(٣) ريعان: قرية تابعة لعزلة ربع همدان،ناحية همدان، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٠٦) .

(٤) ردعم: قرية في عزلة شهاب الأسفل، ناحية بني مطر. محافظة صنعاء. (التعداد: ص٦١) .

(٥) بيت عذران: قرية تتبع عزلة سُدس الروضة، ناحية بنـي الحـارث محافظـة صـنعاء. (التعـداد: ص٤) . وبيـت عذران أخرى في عزلة شهاب الأسفل ناحية بني مطر/ صنعاء. (التعداد: ص٦٠) .

وقعة يازل[1] :

وصفتها إنه في هذه المدة طلعت خيّالة من العجم والعرب من جهة مناخة يقصدون صنعاء فلما بلغوا يازل ثارت عليهم القبائل، فتحصنوا هنالك، فطفقت القبائل تخرب فوقهم المنازل فاستسلموا للأسر، ولاحت هنالك لوائح النصر، ولم أسروهم أوصلوهم مع خيلهم إلى الإمام عليه السلام و بُرُمَ الأمر والسلام. وكان قد وصل قبل ذلك إلى حضرة الإمام عليه السلام جماعة من أهل بلاد البستان[2] ، وأسعدوا له بغاية الطاعة والإذعان، وكان من أثر ذلك ما كان.

وقعة بيت عِذْرَانْ:

ولما بلغ العجم ما وقع في يازل استقر رأيهم على الخروج على أولئك القبائل فخرجوا وهم في غاية الذل والرعب والتخاذل حتى وصلوا بيت عذران قاصدين الحيمة وبلاد البستان، فنهض إليهم السيد صفي الإسلام بهمة عظيمة وقوة وعزيمة، وصحبه من المجاهدين كل ذي شكيمة، فأصدقوا[3] لأعداء الله العجم، الطعن والضرب فولوهم الأدبار، وباؤا بالذلة والصغار، والمجاهدون يقتفون بعدهم الأثار. وقتل من العجم حينئذٍ ما يزيد على ثمانين، الحمد لله ناصر المؤمنين.

وفي هذه المدة قتل السيد عبد الكريم من سادات كوكبان، وكان للعجم من أعظم الأعوان، وجعلوه مديراً في بلاد البستان، فلما سمع بوصول العجم وكان باقياً في بيت ردم[4] ، فصال على القبائل بلسانه وأقدم فكان ذلك من النقم، الذي يُرمى بها مَنْ ظَلَم.

وفي هذه المدّة أذعنت أهل بلاد الحيمة بالطاعة.

(١) يَازِلْ: قرية في عزلة بني سوار، ناحية بني مطر/ صنعاء. (التعداد: ص٦٦) .

(٢) بلاد البستان: وهي الآن تسمى بناحية بني مطر.

(٣) وردت في المخطوطة (ب) قاصدوا.

(٤) بيت ردم: يوجد خمس قرى في نفس المنطقة وتحمل نفس الاسم وهي: "بيت ردم الربع الأوسط"، "بيت ردم ربع الخربة"، "بيت ردم الربع القبلي"، "بيت ردم الحافة"، "بيت ردم الربع الشرقي"، وكلها تتبع عزلة بني شهاب الأسفل، ناحية بني مطر، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٦٠؛ الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٦٥) .

وقعة العرّ[1] و المنصورة[2] :

وصفتها أنها لما أجابت قبائل الحيمة كما ذكرنا وصل منهم إلى حضرة الإمام عليه السلام وأخذوا أمراً لمجاهدة من في الحيمة.من العجم، فلما وصلوا البلاد، اجتمعت قبائل الحيمة من كل حاضر وباد، وقصدوا العرّ والمنصورة وفيها قدر اثنين وخمسين نفراً محصورة منهم بثلاثة عشر رجلاً من العجم اللئام، والباقون من قبائل يام[3] فدخل المجاهدون العرّ عنوة، وحاصروا العجم في المنصورة، وأُسِرَ الحاكم من جهة العجم القاضي عبد الرحمن بن أحمد المجاهد[4] . فلما كان يوم الجمعة خرج الشيخ يحيى القطيع، ونادى المحصورين في المنصورة، أن اليوم يوم جمعة والرأي أن نكف عن الحرب فيه نحن وأنتم، فظنوا أن المجاهدين قد جبنوا وداخلهم الفزع، فأجاب من في المنصورة أن ليس بيننا وبينكم إلا القتال. فتقدمت حينئذٍ المجاهدون الأبطال، واقتحموا الجبل حتى لاصقوا الدور، ورمى رجل من العجم في الدار، وشَرَّعَ[5] المجاهدون في نقب الجدار، فلما أيقن من في المنصورة أنهم هالكون استسلموا للأسر، وسلموا جميع ما معهم من السلاح والمونة، فأُرْسِلَتْ الأسارى والمونة والسلاح إلى حضرة الإمام عليه السلام ولما كانت هذه القضية أذعنت جميع قبائل الحيمة الداخلية والخارجية.

---

(١) العِرّ: قرية في عزلة الحدب تتبع ناحية الحيمة الداخلية/ محافظة صنعاء. (التعداد: ص٣٧، الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٩٨) .

(٢) المنصورة: حصن في الحيمة الداخلية/ صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٧٢٢) .

(٣) يام: هم قبائل يام المكارمة وهي فرقة من الإسماعيلية، جاءوا من الهند إلى اليمن، وأقاموا في حراز ويسكن أغلبهم في جبل مناخة الشرقي، ولهم عادات خاصة. وقد عاضدو الأتراك وحاربوا معهم ضد الإمام المنصور محمد. (أحمد حسين العرشي: بلوغ المرام، ص٤٣٩) .

(٤) القاضي عبد الرحمن بن أحمد المجاهد: كان من المعارضين للإمام المنصور محمد ولذا فقد فضل العمل مع الأتراك ورفض التعاون مع الإمام المنصور رغم أن الإمام حاول استمالته وإغراءه بالعمل معه لكنه رفض. هناك شرح مفصل حول هذه الحادثة في الفصل الثالث.

(٥) شَرَّعَ: عامية بمعنى بدأ.

وقعة مفحق[1] :

وصفتها إنها لمَّا وقع ما ذكرنا في المنصورة، تجمعت قبائل الحيمتين وبني مطر وأجمعوا على حصار من في مفحق من العجم وقدرهم ستون رجلاً، فأحاطوا بالحصن المذكور، وشددوا عليهم الحصار، فخرج إليهم العامل، وطلب الأمان لمن في مفحق من دون سلاح، فخرجوا من الحصن وسلموا البنادق «ق٢٥ب» وخلوا الحصن بلا رتبة وكان ذلك من التقصير الذي لايرتضيه أُولي التدبير. وكان قد سبق من المجاهدين، أخذ السمسرة[2] المشهورة هنالك، وأخذوا ما فيها من المونة والزاد، ثم إن العجم الذين خلوا سبيلهم من الحصن لما وصلوا إلى مناخة وفيها حسني باشا، ومعه قدر ستمائة فأخبروه الخبر، وأفهموه أن حصن مفحق خالٍ عن الرتبة والعسكر، فأرسل حينئذٍ من العسكر ثلاثمائة رجلاً وأربعين جملاً تحمل الزاد[3] ، وقصدوا حصن مفحق فقبضوه والمجاهدين حينئذٍ قد تفرقوا، واشتغلوا بأمر الغنيمة، كما هي عادة العرب المستديمة، فلما بلغت العجم إلى بني مقاتل[4] ، تلقتهم المجاهدون ووقع بينهم الحرب في العجز[5] ، وفر المجاهدون وكان العجم قد هجموا على ناس في صبل[6] وقتلوا منهم اثني عشر رجلاً فبموجب ذلك، انهزمت القبائل

---

(١) مَفْحَقْ: قرية وعزلة وحصن في ناحية الحيمة الخارجية/ محافظة صنعاء. (التعداد: ص٧، الحجري: المجموع، ج٤، ص٧١٥) .

(٢) الْسَمْسَرة: السمسرة لغة هي حرفة السمسار أي المتوسط بين البائع والمشتري. إلا أن المعنى في اليمن تغير إلى المكان الذي تجري فيه عمليات التجارة والتبادل في البيع والشراء. ثم شاع في العهد العثماني بعض الولاة للسماسر في طرق السفر ومحطاته بين المدن كما هو الحال فيما يعرف في بلاد الشام بالخانات. وبعد الانسحاب العثماني الأول (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م) درج بعض الأئمة وكبار الموسرين على بناء وإصلاح السماسر التي بات بعضها في المدن أو خارجها بمثابة النُّزل التي تديرها بعض الأسر القروية، وتؤجر فيها غرفاً بسيطة للنوم، وتقدم الطعام والقهوة. (د. حسين العمري: الموسوعة اليمنية،ج٢، ص٥٢٨) .

(٣) الزاد: أي المواد الغذائية.

(٤) بني مقاتل: من قبائل حراز وهم أهل الشرقي، الحيمة الخارجية/ صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٧١٦).

(٥) العِجز: قرية في الحيمة الخارجية على الطريق بين مفحق ومناخة. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٨٠) .

(٦) صبل: الصبل المراد به المكان الذي يأوي إليه المسافرين أثناء المطر.

ودخلت العجم مفحقاً، ومن ترك الحَزْم بذم وأدركه الشقاء. ورجعت الجمال بعد حط الأثقال ومن معها من الرجال يؤمون مناخة، فنهضت إليهم قبائل الحيمة واتفقوا في العجز ووقع الحرب هنالك، وقتل من العجم خمسة ومن العرب واحد، وسلبوا من البغال والجمال خمسة وعشرين رأساً وعشر بنادق، ورجعت المجاهدون نحو مفحق وبدأوا بالمحاصرة لمن فيه.

ذكر دخول الأجناد المنصورة روضة حاتم[1]:

وصفة ذلك أن السيد صفي الإسلام أحمد بن محمد الشرعي لما تم له المرام من جمع القبائل على الجهاد، لم يزل يزحف قليلاً قليلاً حتى وصل بالأجناد بيت عذران ثم عزم المجاهدون إلى الروضة، وهم أرحب وهمدان وبني حشيش فلما وصل الروضة دخلوا بيوت أعوان العجم مبغضي آل النبي المكرم، وقعدوا فيها ثم شددوا حصار صنعاء وانضاف إليهم قبائل سنحان وبني بهلول وبلاد الروس[2]، وتعاقدوا على محاربة العجم، وقطع الطرق عليهم من جميع الجهات ما عدى أولاد السيد هاشم من أهل سيّان[3] فإنهم أسروا في أنفسهم ملازمة الأعاجم، فلم يعبأ الناس بهم بل أقاموا بغرض الجهاد اللازم. ثم أنها نهضت طايفة من المجاهدين فقبضوا جرف نقم[4] وطايفة أخرى طرحوا في القرى القريبة. وفي أثناء ذلك أن طايفة من العجم كانوا في مدينة ذمار، فوقع الطلب لهم من صنعاء فطلعوا ولم يشعر بهم المجاهدون إلا وقد بلغوا محل النجاة، فأكثروا من التأسف على عدم الانتباه، ولما تيقنت العجم ما تعاقدوا عليه أولئك القوم أهل الكرم، قرعوا سن الندم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

---

(١) روضة حاتم: وتسمى أيضاً روضة أحمد، وهي أحد ضواحي صنعاء ومنتزهاتها المشهورة، وقد سبق ترجمتها.

(٢) بلاد الروس: ناحية معروفة من نواحي محافظة صنعاء من جهة الجنوب ومركزها وعلان. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٣٧٢، التعداد: ص١٣٨).

(٣) سَيَّان: قرية من قرى ناحية سنحان بالقرب من صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٣٧).

(٤) جرْفْ نُقُمْ: أي كهف والجروف في اليمن هي الكهوف ونقم جبل يطل على صنعاء. وسبق تعريفه.

وقعة جربان وصفتها:

أنه خرج طايفة من العجم أهل الطغيان، فلما وصلوا جربان تلقاهم المجاهدون ووقع الحرب هنالك، فانهزم العجم وولوا الأدبار، ولم يقتل غير ثلاثة من الأنصار. وكان ذلك عاشر شهر محرم من السنة المذكورة[1] . وفي اليوم الحادي عشر خرجت العجم وصحبتهم شيخ صنعاء على البليلي[2] ، فرتبوا بيت معياد[3] خشية أن يقبضه أهل الجهاد. ثم أنها لما سمعت قبائل خولان بما أجمع عليه أهل الإيمان من جهاد حزب الشيطان، اجتمعوا إلى سوق الحضارم، وهم جبري، وشدادي، وعرشي[4] ، وسحامي تقاعدوا[5] على القيام بفريضة الجهاد، وطاعة الإمام التي هي طاعة لرب العباد، وكتبوا إلى قبائلهم الخارجية من اليمانيين والهجرتين، وأهل حصن الظبيتين، فدخلوا بما أجمع عليه قبائلهم وأرسلت عقال خولان جميعهم رهاينهم إلى الإمام عليه السلام صحبته السيّد أحمد بن أحسن الكبسي وكتبوا إلى الإمام يطلبون مقدمياً، فأرسل إليهم سيف الأسلام وعز الأنام محمد بن الإمام المتوكل[6] عليه السلام وفوض إليه أمر القيام بالجهاد في تلك البلاد «ق٢٦أ» وأمرهم لمحاصرة صنعاء من جميع الجهات، وألا يدع للعجم مسلكاً إلا قطعه، ولا سلكا إلا انتزعه، وأمرهم بتقوى الله والعمل بما يرضاه، وأن يلزم الكياسة والاحتراس، ويعامل الناس بالسياسة التي هي لكل خير أساس. فسار على بركة الله المنّان واتفق في الطريق برهاين خولان متوجهين حضرة الإمام عليه السلام.

---

(١) السنة المذكورة أي ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م.

(٢) الشيخ علي البليلي: أحد العاملين مع الأتراك، وحارب معهم ضد الإمام المنصور محمد.

(٣) بيت معياد: وتسمى أيضاً داع الخير، وكانت قرية في صنعاء الجنوبي، وأصبحت الآن من ضواحي مدينة صنعاء. (المقحفي: المعجم، ص٢٣٧) .

(٤) جبري وشدادس وعرشي: هي أسماء قبائل من خولان العالية.

(٥) تقاعدوا: (أي وضعوا قاعدة) وقد تكون زلة قلم، والمقصود هو تعاقدوا أي تعاهدوا.

(٦) محمد بن الإمام المتوكل: هو أحد أبناء الإمام المتوكل المحسن بن أحمد الشهاري وقد كان أحد قادة الإمام المنصور محمد، وممن كان المنصور يعول عليهم بجسيم الأمور (وللمزيد يمكن الرجوع للنص) .

وفي هذه المدة اجتمعت قبائل خولان إلى الشرزه[1] ووقع طريق[2] بني جبر من بني حشيش.

وفي هذه المدة وجّه الإمام عليه السلام الحاج الفاضل شريان بن حزام مرح وكان رجلاً من أهل السابقة في الجهاد، وصحبته جماعةٌ من أرحب ومن إنضم إليهم من أهل بلاد البستان، وأمرهم بأن يكون مطرح الجميع في حدة[3] لمحاصرة مدينة صنعاء من تلك الجهة. فلما وصلوا إلى هنالك استولوا على طاحون العجم وكان يطحن في اليوم والليلة قدر ستين قدحاً، وفيه شيء يُنقي الأحجار من بين اَلْحَب[4] ، ودورانه على ماء حُمَيْس[5] .

وفي هذه المدة قطع المجاهدون السلك ويسمونه العجم التلغراف، وهو من غرايب الاختراع بلا خِلاف، قيل أنهم أخذوا أصل صنعته من خزاين حِمْير، أخذوا ذلك من الأحجار التي كانوا يطلبونها من اليمن. وفيها كتب بالقلم الحميري مازالوا يبذلون الدراهم الكثيرة لمن أتى لهم بشيء من تلك الأحجار المكتوبة بالقلم الحميري، وكذلك الأحجار التي فيها الصور وأكثر ما يعتني بذلك النصارى.

وصفة السلك: على ماوصفه بعض أعوان العجم المختبرون، أن طرف الخيط الحديد مُركب إلى مكينة تسمى التلغراف، وهي كثيرة الآلات والعجلات، فبمجرد ما يستعملها الشخص عند احتياج الكتب يُرَكَّبْ لها عجلة من بياض[6] على حكم السير الملح مطوية، ثم

---

(١) الشَّرزة: قاع معروف في ناحية سنحان بالقرب من شعسان وخولان الطيال. (المقحفي: المعجم، ص٣٥٨) .

(٢) بعد كلمة الشرزة أضاف الناسخ في المخطوطة (ب) جملة "بنية الجهاد" ومن ثَمَ تلتها جملة "ووقع الطريق".

(٣) حدة: كانت قرية في ناحية بلاد البستان من حاز بني شهاب، ولكنها أصبحت الآن أحد ضواحي صنعاء المشهورة. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٥٠) .

(٤) اَلْحَبْ: عامية أي القمح.

(٥) ماء حُمَيْس: كان اسم لغيل ماء في منطقة حدة، ناحية بلاد البستان، والغيل كان يخرج من سفح جبل عيبان وكان يسقي الكثير من أشجار البرقوق والمشمش والجوز واللوز والأجاص والتين، وكانت به طاحونة تعمل بقوة الماء الخارج من أسفل البركة. (الحجري: المجموع، ج١، ص١٢٠) . أما الآن فقد نضب الغيل وأختفت أغلب تلك الأشجار وأصبحت المنطقة تغزوها المباني السكنية. وأصبحت منطقة حدة أحد ضواحي صنعاء المشهورة كما سبق أن عرفنا.

(٦) بياض: أي ورق أبيض.

يُرَكَبْ طرف البياضة التي هي كالسير إلى تحت الإبـرة، ثـم يـدق اللـوُلاب فيتحـرك تلـك العُجيل يحرك بعضها بعضاً حتى يحرك لولاب الإبرة فَيُضْرِبْ كما ضرب الأسطى[1]، وكـل ضربة لها في البياض خُرقٌ معين كما هو مقرر عند أهل المعرفة بذلك، لكـل حـرف أخـراق معددة، وحاصِله أن السير الذي من البياض يمر تحت الإبره إلى نهاية ذراع الأربع ويقطعـه المنباش ويحطه، وما حصل قطعه وحطّه فوق الأول حتـى يـتم دق المكينـة، وتـسكن تلـك اللواليب بتمام المكاتيب فيبدع[2] بنقل السير الأسفل مـع معرفتـه لمفتـاح حروفهـا كـم كـل حرف خَرَقَ الإبره، فينقلها بخطه. وأما إن السلك يصنع خطاً فمحال، إنـما هـو اسـتحكام والعمل على خواصات المعادن المجموعات في الحديد المركب منه لاستجداب الدقة بـذاتها من المحل إلى آخر. وأما استعمال الكُتب فهو صنعة الشخص القيم في عهدته، وعلى هذا قد شوهد غير مرة. وحاصله أن ذلك حكمة سهل استعمالها عند أبناء العرب مع وجود آلاتهـا أحسن مما يستعمله العجم، هذه صفة السلك. وكان قـد استقـصى قطعـه المجاهـدون مـن حراز إلى صنعاء، فعميت على العجم الأخبار عن الذي في صنعاء، وعن الذي في الحديدة لم يعلموا بما وقع لانقطاع السلك، لأنهم كان يأتي إليهم الخبر في السلك من الحديدة ثـم منهـا في البحر إلى مصر ثم إلى استنبول، فيبلغ الخبر في أسرع وقـت. وفي هـذه المـدة عـزم صـفي الإسلام حتى توسط البلاد من بني مطر والحيمتين.

وقعة الجردا[3] وصفتها:

على ما أخبر به المشاهدون لذلك، أن العجم لما اشتد عليهم الحصار من جميع الجهـات فكان مطرح همدان وبني الحـارث في الروضـة ورجـال بنـي حـشيش وبنـي جـبر في بيـت

---

(١) الأسطى: في العامية الـصنعانية البَنَّـاء، وهـو المعلـم الأول في البنـاء. وضرب الأسـطى أي عنـدما يقـوم بنقـر الأحجار وتهذيبها لغرض البناء.

(٢) فيبدع: عامية صنعانية أي يبدأ.

(٣) الجردا: قرية في ناحية سنحان بالقرب من مدينة صنعاء. (الحجري: المجموع، ج١، ص١٨٣).

اللهيدة[1] في سعوان[2] «ق٢٦ب» والحاج شريان بن حزام مرح ومن صحبته من رجال أرحب وبلاد البستان في حدة، والمقدمي السيد صفي الدين وقع مطرحه في بيت عذران وسيف الإسلام محمد بن الإمام[3] بمن معه من قبائل خولان وسنحان في دار الحيد[4] فحينئذ أجمع رأي العجم وأعوانهم على أن يخرجوا ثلاثة مخارج لقصد الإرهاب وأخذ الحَب الذي كان في قرية الجردا للشيخ علي البليلي. وكان قد كتب المذكور إلى سنحان وبلاد الروس وبني بهلول وما حاصله، إنكم إن لم تعقروا في باب المشير وتطلبوا منه الأمان، وتطيعوا فلا بد ينالكم العقاب الشديد، وقد برئت منكم الذمة. ثم أنه في اليوم الثاني خرج العجم من صنعاء قبل الفجر بالقوة والسلاح والعدة التي لاتغني شيئا إذا أنقضت المدة. وكانت القبائل بعضهم في نُقُمْ وبعضهم في الجردا وما قرب منها حدّا. وكانوا قد أرسلوا عيونا لحراسة العدو فنامت تلك العيون فلم يستيقظوا إلا والعجم بهم محيطون فاوقعوا بهم وحزوا رؤسهم ولم يشعر من في قرية الجردا إلا بأصوات المدافع قد وجهت إليهم وفي القرية المذكورة قدر خمسمائة رجل من سنحان وبلاد الروس، فتعاقدوا على الموت حين علموا أنه لا محيد لهم عن البؤس، وإزهاق النفوس. فضربت العجم سور القرية بالمدافع وأجمع من في القرية أنهم لايرمونهم إلا وقد قربوا منهم، فلما أكثروا الرمي بالمدافع ولم يسمعوا لأهل القرية حساً ظنوا أنه لم يبق فيها أحد فهجموا عليها وكادوا أن يدخلوها فرماهم من في القرية أشد الرمي، وقُتل منهم خلق كثير وجم غفير، فرجعوا من حيث جاءوا وطفقوا يرمون القرية بالمدافع من بُعد، وقد كانوا رتبوا الجهات التي ستغير منها العَرَب وجعلوا طائفة منهم في قرية حَمَرا عِلْب وجعلوا من هنالك يرمون من في جُرُف نقم

---

(١) بيت اللهيدَة: قرية في عزلة سعوان تابعة لناحية بني حشيش/ صنعاء. (التعداد: ص٩٨).

(٢) سعوان: وادي مشهور في الشرق الشمالي من مدينة صنعاء يطل عليه جبل نُقُمْ من جنوبه وجبل براش، وأشهر زروعه العنب الممتاز. (المقحفي: المعجم، ص٣٢٢).

(٣) سيف الإسلام: يطلق سيف الإسلام على كل أبناء الأئمة. والمقصود به هنا هو محمد بن الإمام الهادي شرف الدين.

(٤) دار الحيد: ويقال لها دار سالم، وهي قرية في عزلة قاع الحباب ناحية سنحان/ محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٤٦، الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٢٥).

من العرب فهربوا من هنالك وكل من غار من العرب من أي جهة دافعته العجم. وحملت الخيّالة فأحاطت بالقرية من جهة العدن من وراء الكولة السوداء، ومرامهم قبض من قرب إلى القرية. فلما أخذت العجم ما قابلها من السور هجموا على القرية المرة الثانية حتى بلغوا إلى حيث انهزموا المرة الأولى فأطلقت عليهم العرب بالبنادق وناجزوهم بالرمي الصادق، فانهزموا أولاً وبقيت القتلى حول القرية لايستطيع أحدٍ أن يبلغ إليهم. فلما رأى علي باشا أنه لم ينجع فيهم ما وقع، جعل يُحرض أهل المدافع على الرماية والعسكر على الهجوم وأرسل طائفة من العسكر، فأحرقوا قرية الفلقاه[1] فحرق بعضها وَجمع العسكر وعزم على الهجوم حتى قارب القرية، فرمتهم العرب حتى ردوهم مكانهم وكان أهل القرية الجردا لما أحسوا بخروج العجم أخرجوا أطفالهم ولم يبق إلا من يقدر على الحرب. هكذا حكاه بعضهم، وأخبرنا بعض (من)[2] حضر الوقعة أن العجم لما هجموا دخلوا من باب القرية، فرماهم من في القرية رمياً شديداً حتى ردوهم، ثم هجموا المرة الثانية وحينئذ تناجا من في القرية وقالوا من أراد البقاء فليخرج، ومن وطن نفسه على الموت فليبقى فخرج منهم جماعة، فلما رأتهم العجم ظنوا أنهم قد خرجو الجميع، وقال رجل من أهل العُبّس يا جماعة أين الذين كانوا يرمون في كل ساعة اليوم وقتها، فنزلوا الجميع إلى سور القرية وجعلوا يثبتون «ق٢٧أ» فيه المرامي والمتارس، فهجمت عليهم العجم فأطلقوا عليهم البنادق حتى انهزموا، وكان بهم ما كان من القتل. ثم هجموا المرة الثالثة كذلك، وأما من كان حولهم من القبائل ففروا وأيس الناس[3] ممن في الجردا، لما شاهدوا من الهجوم والمعدات. وأما سيف الإسلام ومن معه من خولان فأقبلوا غايرين وهم قدر اثنى عشر مائة، وقد كانت العجم رتبت الآكام التي في طريقهم، فلما رأوهم غايرين رموهم بالمدافع والبنادق. فما قدروا على

(١) صُححت الكلمة في الحاشية بالقُلفان وتعريفها (القلفان بضم القاف وإسكان اللام بعدهما فآء ثم ألف ونون: قرية صغيرة بالقرب من قرية الجرداء من جهة الشرق) وربما تكون هذه الملحوظة وقد أضافها الناسخ. أما تعريفي حسب ما توصلت له فهو، القُلْفَانْ: قرية في عزلة الحباب، ناحية سنحان محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٤٦).

(٢) تم إضافة ما بين القوسين ليستقم المعنى.

(٣) أَيَسَ الناس: إياساً منه أي قنط وقطع الرجاء. (المنجد: ص٢٢).

الوصول بل انحبسوا مكانهم وأقبل الحاج شريان مرح رحمه الله وصحبته جماعة غايرين رموهم بالبنادق والمدافع، فما قدروا على الوصول من مطرح حَدْة لما رأوا أنها قد تناهت على أهل الجردا الشدة، فرماهم العجم بالبنادق والمدافع فلم يرجع منهم كل صادق، بل حملوا حملة رجل واحد حتى وصلوا إلى قرب من في الجردا. ولما رأتهم العجم وأحسوا منهم الصدق والثبات انهزموا قُبح هزيمة ورجعوا صنعاء وقد ندموا غاية الندم وقتل منهم خلق كثير وتُركوا في الفلات طعاماً للسباع والطيور، وادخلوا معهم المكاوين[1] . ولما دخلوا صنعاء عند الغروب خايبين فشلين منعوا الناس عن النظر إلى المكاوين خوفاً من شماتة الشامتين. وكان قدر المقاتيل منهم مائة وخمسون وقيل أكثر من ذلك ومثلهم مجاريح. ثم أن العجم لَّما رأوا ما نزل بهم وألم استعدوا لنزول البلا، وحسبو أن الله قد كتب عليهم الجلا، وطلبوا الطعام من أهل صنعاء الذين يدخرون الحبوب كرهاً وطوعاً. وخرجوا بعض الإيام إلى مذبح[2] وصحبتهم السيد محمد الشويع ليدخلوا حباً من هنالك، وكان قد اشتاطه[3] لهم السيد محمد الشويع، فبكروا لذلك عند طلوع الفجر ولم يشعر المجاهدون إلا وقد رجعوا فتبعوهم بالحرب، وكان قد تلقاهم جماعه من العسكر الذي في صنعاء فطاب لهم المآب والرجعا. ثم أن العجم وأهل صنعاء كتبوا كتاباً إلى من في الروضة من المجاهدين أنه لاينبغي أن تكون الروضة ميداناً للحرب لما في ذلك من ترويع النساء والصبيان ومن ليس له ذنب، فعينوا أي مواضع شئتم يكون فيه تلاقي الفرسان فأجاب عليهم المجاهدون أن الخيرة إليكم في هذا الشأن، فاتفقوا على الخروج إلى جبل قرعة وكانت فيه وقعة وأي وقعة وهي وقعة الجراف.

---

(١) المكاوين: أي الجرحى (عامية) .

(٢) مذبح: قرية في بني الحارث، وأصبحت الآن من ضواحي صنعاء بعد التوسع العمراني.

(٣) إشْتَاطَهُ: محلية وهي بمعنى يشتري الحبوب من القرويين مباشرة.

ذكر وقعة الجراف[1] :

وصفتها إنها خرجت العجم من صنعاء يوم الإثنين، ورتبوا طريق الجـراف ليـصعدوا إلى جبل قرعة بمدافعهم وجعلوا يرمون إلى الجراف وفيـه الـسيد الجـمالي عـلي بـن صـلاح مقدمي[2] ، وصحبته جماعة من أرحب وهمدان فلم تؤثر المـدافع إلا تـأثيراً يـسيراً. وأقبلـت الغارة من بني حشيش، فجعلوا يرمونهم بالمدافع إلى جبل الحشيشية، فتحيروا هنالـك ومـا زال سيدي عبدالله بن المتوكل وسيدي يوسف بـن غالـب ومـن معهـما مـن أهـل البنـادق الشاشخان[3] يرمون العجم. ولم تزل الغارات تتلاحق وكلما وصلت تحت الجراف تحيّرت[4] خوفاً من المدافع ثم إن جماعة من همدان[5] وغيرهم، شـمروا الهمـة وزحفـوا نحـو العـدو، فصعدوا أكمة سوداء غربي ذلك الجبل، كانت قد طرحت فيه العجم حتى هزمـوهم عنهـا وصعدوها، ثم صاروا يرمون إلى رأس الجبل فأصابت طوبجي المدفع رصاصـة كـان فيهـا حتفه وأقبلت غارة من حدة، فلما عرف العجم إقبال الغارات، وقد قُتل الطوبجي انهزمـوا ونزلوا عن الجبل وقد ظهر عليهم الرعب والوجـل. «ق٢٧ب» فأقبـل إلـيهم المجاهـدون مـــن كـــل جانـــب، فـــأظهر العجـــم الهزيمـــة خـــداعاً كـــما هـــي عـــادتهم المـــستديمة، فتتبعتهم المجاهدون، ثم إن العجم عطفـوا وثـار الحـرب العظـيم، وصـبر الفريقـات كـل طايفـة مـن الأخـرى، وقُتـل مـنهم جماعـة وكـان العجـم قـد رتبـوا بيـت الطـوقي[6]

---

(١) الجراف: أحد ضواحي صنعاء الشمالية، المعروفة.

(٢) مقدمي: القائد الذي ينوط إليه الإمام بقيادة الجيش. جمعها المقادمة أي القادة (عامية) .

(٣) الـشاشخان: نـوع مـن أنـواع البنـادق التركيـة الرديئـة. (الجـرافي: الحوليـات، تحقيـق د. العمـري، ص٤٨) .

(٤) تَحَيّرت: أي تأخرت وانتظرت.

(٥) همدان: أشهر قبائل اليمن، وهم قبائل حاشد وبكيل، ومن قبائل همدان آل كثير في حضرموت. وهمـدان الـشام في صعدة، وهمدان الجوف، وآل همدان من قبائل بني نوف في الجوف، عزلة همدان ناحيـة في ملحـان. وهمـدان صنعاء ناحية معروفة ومن قراها المشهورة حاز والحقة، وخلقه، وطوضان،وجربان، الجايف، العرة، بيت نعم، ومدام، الحطاب، ضروان. (للمزيد يمكننا الرجوع إلى الحجري: المجموع، ج٤، ص٧٥٩) .

(٦) بيت الطوقي: قرية في عزلة بني حكم، ناحية أرحب، صنعاء. (التعداد: ص١٥٥) .

والنوبة[1] التي قريب البئر الجديد، ولم يعلم المجاهدون بذلك لأنهم قد كانوا قالوا لأهل بيت الطوقي يرتبوا محلهم، فقالوا لانقبل منكم عسكر ولا من العجم، فظنوا صدقهم فلما أرادوا أن يخلفوا للعجم من جهة الشرق ليقطعوا عليهم الطريق إلى صنعاء، فرماهم الذين في بيت الطوقي وفي النوبة من العجم، واستشهد من المجاهدون ثلاثة منهم الشيخ أحمد بن يحيى دهرة رحمه الله تعالى، فانحاز المجاهدون راجعين وانهزمت العجم إلى صنعاء فارين، فتلقتهم غارة بلاد البستان فرموهم فقتلوا منهم جماعة ثم بعد (ذلك) [2] دخلوا المدينة في تلك الساعة واستشهد من المجاهدين في تلك الوقعة نحو عشرين، ومن العجم كثير غير محصورين، ولما رجع العجم إلى صنعاء وقد ضاقت بهم الأرض ذرعاً، وخالطهم الرعب الظاهر، فأمروا أهلها بأن يحرسوا كل ليلة في الدواير[3] ومن لم يحرس كان عليه الجزاء والأدب.

ومن الغرايب أن رجلاً من المجاهدين الصادقين جعل له حفرةً في أسفل جبل نقم فوق القصر[4] وكان يدخل في تلك الحفرة من بعد الفجر إلى الليل، ويرمي العجم إلى داخل القصر وكان إذا رمى خرج من الحفرة وترك بعض ثيابه في تلك الحفرة، فيرميها العجم بالمدفع، ثم يرجع إلى الحفرة ويرميهم كذلك، حتى أضربهم وقتل منهم نحواً من خمسة وعشرين، حتى حصلت فيهم النكاية العظيمة وكان مؤيداً بالنصر، كلما رمى رصاصةً وقعت على لحمٍ. وفي بعض الأيام رماه طوبجي المدفع ففهم ذلك قبل أن يرمي الطوبجي ونصب ثوباً في الحفرة واختبأ في حفرة أخرى فرماه الطوبجي، فلما وقعت الرصاصة في

---

(١) النوبة: وجمعها نوب وهي بناء إسطواني يشبه البرج ويبنى من الحجر أو الزابور وعندها تكون لها قاعدة من الحجر بإرتفاع متر ونصف، أو مترين من سطح الأرض. وتستخدم النوب بيوتاً للسكن وهي أيضاً برج للحراسة أو جزء من سور أو ضمن سور المدينة عند أبوابها على جانبي البوابة للحراسة، وكما تبنى النوب عند مسافات محددة على طول الطرقات بين المدن للدفاع عنها وقت المعارك وللحراسة. (أحمد قائد بركات: الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٩٧٣) .

(٢) تم إضافة ما بين القوسين ليستقم المعنى.

(٣) الدواير: مفردها دائر وهو سور المدينة.

(٤) القصر: هو قصر السلاح الذي يقع في أسفل جبل نقم، وقد كان يستخدم كمخزن للسلاح وثكنة للعساكر وسجن.

الأرض نصب الرجل رجليه واستلقى على ظهره كأنه قد أُصيب، فلما رأه الطوبجي سُر بذلك فأخذ الناظور[1] وجعل ينظره، فمد الرجل البندق من بين أصابع رجليه ورمى الطوبجي، فأصابه في وجهه فقتله. ومن العجايب أنه لم يعلم من هذا الرجل مع أنه قد أراد بعض المجاهدين الوصول إليه ليعرف من هو فلما وصل إليه هرب منه ولم يطلع له على خبر إلى حد التاريخ، حتى سمعنا من بعض العوام أنه من صالحي الجنّ والله أعلم.

ولقد سمعت منْ يُحدث عن علي البليلي، أن الرجل المذكور أثر فيهم تأثيراً عظيماً، وسمعت من الإمام عليه السلام إنه لم يعلم من الرجل، ولعله من المجاهدين المُخلصين تقبل الله منه.

ثم إنه أشتد على العجم الحصار، وظهر عليهم الذل والصغار وفرقوا المدافع في النّوب التي في الدواير ودارت عليهم الدواير. ومما اتفق إنه في بعض الأيام خرج جماعة من العجم والضبطية[2] يجرون مدفعاً ليرموا به، فقرح من قفاه، وقتل اثني عشر رجلاً. ثم إن أهل صنعاء ما زالوا يخرجون منها في كل يوم إرسالاً بعضهم على إثر بعض. وفي هذه المدة خرجت العجم أيضاً وقت الظهر وقد اشتدت عليهم فالتقاهم المجاهدون بالحرب حتى ردوهم إلى صنعاء، واستشهد حينئذ من المجاهدين ثلاثة، وقتل من العجم أربعة. وفي اليوم الثاني خرجت العجم يقصدون الغنم، فوقع الحرب بينهم وبين سنحان من الصبح إلى العصر، وفي وقت العصر غارت جماعة من مطرح الروضة فتقاتلوا «ق٢٨أ» هم والعجم حتى ردوهم من نقم إلى صنعاء،

(١) الناظور: أي المنظار المُقَرِّبْ.

(٢) الضبطية: مفردها ضبطي وهم جند الوالي العثماني أو عسكره يستخدمون لجمع الأموال والمحافظة على الأمن، واحضار المجرمين وغيرهم إلى باب الحكومة (الولايه)، وكان أول من استخدمها بولاية اليمن بهذا الاسم الوالي العثماني محمد عزت باشا في بداية ولايته عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م لمن يلتحق من اليمنيين بالخدمة العسكرية الرسمية بصنعاء، وألغى ما كان يسمى (العسكر الحميدية) نسبة إلى اسم السلطان عبدالحميد. (الجرافي: الحوليات، تحقيق: د.العمري، ه.ص٤٤).

وكـــان دخـــولهم مـــن المـــشهد وصـــار الـــذين في صـــنعاء يرمـــون مـــن الـــصوامع ومن الدواير عند رجوعهم، ولما إجتازوا عنـد «ماجـل الدّمـة»[1] وكـانوا يفـرون مـن بـين القبور، حتى وصلت الرصاص إلى باب اليمن[2] واستشهد من المجاهدين قدر سبعة وقتـل من العجم عشرة، فحينئذ خالط العجم الوهن الأعظم، حتى إنه أخـبرني مـن أثـق بـه مـن العلماء الأعلام أنه سمع الشيخ علي البليلي يقـول: لـو دخـل المجاهـدون في تلـك الحملـة لأخذوا المدينة على الجملة، لما أصابهم من شدة الـوهن والرهـب. وفي هـذه الفتـوح يقـول القاضي حسين بن أحمد العرشي[3] شعراً:

الله أكـــبر جـــاء الفـــتح واقتربـــا	واسترجع الـدهر مـن غـيظ الـذي وَهَبَـا
لمـــا رأيـــت ســـيوف الحـــق مُـــصلتةً	جـــديرة أن تـــؤدي كـــل مـــا وجبـــا
محيطـــة ببغـــاةٍ طـــال مـــا عميـــت	أبـــصارها وتعامـــت واعتـــدت نكبـــا
وألزمـــت كـــل مـــن يـــدعوا الـــستها	أن يـضرب العَـصَبَ المـشُتب والعـضبا
وقـــد رأيـــت خيـــول الله صـــاهلةً	مغـــيرة تتهـــادى نحـــوهم شـــزبا
تمـــر وهـــي إلى الأوطـــار قـــد بـــسطت	والـــسم مـــن منخريهـــا يقـــذف العطبـــا

---

(١) ماجل الدمة. إحدى مقابر صنعاء خارج باب اليمن في الجهة الجنوبية من صنعاء.

(٢) باب اليمن: أحد أبواب صنعاء القديمة.

(٣) القاضي العلامة حسين بن أحمد العرشي: ينتهي نسبه إلى قبيلة الأعروش من خولان العالية. ولـد في ذي الحجـة سنة ١٢٧٦هـ بهجرة الكبس من خولان، تلقى علومه على يد العلامة الحافظ المؤرخ محمد بن إسماعيل الكبسي وعن السيد علي بن حسن الديلمي، والقاضي علي الأكوع، كان أديباً شاعراً ذو فصاحة وبلاغة وتضلع في علم الأدب والأخبار وكانت له قدرة تامه على النظم والنثر وإنشاء الرسائل والخُطب في أسرع وقـت وأقربـه. لازم الإمام المنصور محمد وكان من أعيان دولته، وتولى الكتابة له مـع غـيره مـن الأعـلام، وكـان خطيبـه ومنـشئ رسائله هو وابنه الإمام يحيى بن محمد. شارك الإمام المنصور محمد في حروبـه ضـد الأتـراك وكـان مـن قادتـه البارزين كتب القصائد الشعرية العديدة والمرثيات، وله الكثير من القصائد في كتاب العلامة عـلي بـن عبـدالله الإرياني "الدر المنثور". وله مؤلفاته (بهجة السرور في سيرة الإمام المنصور) و (الدر المنظم فيما كـان بـين أهـل اليمن والعجم) وله رسالة سماها (كحل الأحداق في مرتبة مكارم الأخلاق) . وكانت وفاة القاضي العرشي في "الليث" من تهامة بعد رجوعه من الحج في عام ٢١ ذي الحجة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م. (محمـد بـن محمـد زبـارة: نزهة النظر في تراجم أعيان القرن الرابع عشر) وأيضاً من ترجمـة خاصـة بخـط ابـن المـؤرخ العلامـة القـاضي محمد بن حسين العرشي.

وقـد رأيـت أمـير المـؤمنين وقـد عبَّـا لحـربهمُ مـن حزبـه النُجبـا
وخـير أهـل ذوي الغايـات كلهُـم مـشاعراً و أجـل العـالين أَبـا
محمـد بـن أمـير المـؤمنين أخـا الهيجـا إذا أضـمرت في سرهـا نَـصَبَا
أفتـى البريـة محمـوداً وأجودهـا جـوداً وأكرمهـا بالمكرمـات حَبـا
قـدم تفـرد بالعليـاء فـانفردت إليـه طالعـة لاينبغـي سـبَبَا
وآمـرٌ لـو رآه الآمـرون لـه وقـد تبـسم حـين الليـث قـد غـضبا
والجـرد تهـوى إلى الأعـداء قـد كـشفت عـن وجههـا برقـع التحـسين والعتبـا
والأُسـدُ تـزأرُ اذ وافـت فرائـسها وكلـما عَمرتـه العجـم قـد خُربـا
وصـارع فـوق مـصروع يجـدُّ لـه كأنـه حطـبٌ اَلْفـاهُ محتطبـا
يرمـي العُـداةَ بجـيشٍ لا ينازلـه جـيش فيـصبح إلا مـضمرا هربـاً
وكـل مـا بـان مـن أعدائـه عَلَـمُ وصـاح فيـه بـصوت الـشدة إنقلبـا
أكـرم بـه مـن حـسام قـاطع ذكـر مـصمم مـستعد للقـا شـطبا
يـشتاق لقيـا عُـداة الـدين بـارزةً في موقـف فيـه أرواح الكـماة هبـاً
حتـى كـأن عليـه العجـم راضـية أوانـه في سـواد المـوت قـد كتبـا

ومنها:

وذا الـذي كـان جبريـل الأمـين يـرى أبـاه معجـزة التنزيـل والكتبـا
والفـرع مـن أصـل الموصـوف منبتـهُ ولـيس يثمـر عـوداً يثمـر الحَـسَبا

ومنها:

وقـد رأيتـك أهـلاً أن أقـول لـه خـير البريـة مـن يمـشي و مـن ركبـا
مـن خـير أصـل لـه الآيـات شـاهدة وخـير فـرع تربـى فاسـتوى ورَبَـا

«ق٢٨ب» وفي هذه المدة وجَّه الإمام عليه السلام السيد محمد بن محمد المطاع إلى مدينة ذمار ويريم لقبض ما في خزاين العجم من البنادق الشاشخان والمونة لاغير، فأنعموا له بالتسليم. وقد كان أهل المدينتين كتبوا إلى سيف الإسلام لتحصيل ذلك المرام، فلما وصل السيد محمد إلى ذمار تلقاه أهلها بأُهبَة تهيل العقول والأبصار، فقبض ما هنالك من البنادق

وأرسل إلى يريم من يقبض ما فيها، فقبضوا جميع ذلك، وكـان جملـة المـأخوذ مـن البنـادق الشاشخان ثلاثة وسبعون قصبة، وإثنى عشر بغلـة وفرسـاً. وبقـى المـأمورون مـن طـرف العجم في المدينتين يريم وذمار حتى أرسل لهم الإمام عليه السلام ما سيأتي به الأخبار.

وفي هذه المدة كتب أهل مدينة يريم وبلادهما من المشايخ الكبار إلى الإمام عليـه الـسلام بالبيعة، وأن يرسل العُمال ليقيموا شرع ذي الجلال، وكان المعرف إليه من المشايخ والرعيَّـة أولو الكمال خوفاً من ثوران العامة والأنذال، لأن العامة لَمَّا سمعوا بحـصار مدينـة صـنعاء طارت فرحاً واشتياقاً إلى رفع دولة العجم وطمس اسم مـن بغـى وظلـم حتـى أن الرعيـة همت بالبطش في المشايخ، وهدم ركن جوهرهم الراسخ. وكان الحقـير[1] ممـن حـث النـاس عـلى الطاعـة والـدخول في بيعـة الجماعـة فـأذعنوا لـذلك وسـارعوا إلى الـدخول في أوضح المسالك.

أما الرعية فهم صادقون فيما يدعون، وأما المشايخ وأعوان العجم فإنهم يبطنون خـلاف ما يظهرون، ولقد نزل بهم من البلاء والخوف ما لا يصفه الواصفون. وحين أجمع أهل بلاد يريم على مبايعة هذا الإمام الكريم أمروني أن أكتب البيعة إلى حضرة الإمـام عليـه الـسلام مصحوبة بأبياتٍ فيها التهنية بتلك الفتوح التي يروق السعادة من جوانبها تلوح وهي هذه:

أهنيـك يـابن الطهـر مـن آل هاشـم ... بفـتح بـه سُرَّت جميـع العـوَالمِ
ومجـد أثيـل لـيس يـدرك شـأوه ... وفخـرٍ سـيبقى ذكـره في المواسـمِ
لقـد جـاء نـصر الله والفـتح كلـه ... وقـد ولـت الأدبـار جنـد الأعـاجمِ
نـصرت كتـاب الله يـابن رسـوله ... وقمـت بـأمر الله قومـة حـازمِ
ودوخـت أهـل الجـور والفـسق والخنَـا ... فكلهـم لاقـى شـفار الـصوارِمِ
إذا نـشأت في حربـك الـسحب أمطـرت ... رؤس الأعـادي لاكغيـث الغمائـمِ
فقـد أصـبح الأعـداء في كـل منهـل ... طعامـاً لغربـان الهـوا والقـشاعمِ
جـزاء وفاقـاً عـن خبيـث فعـالهم ... ومـا اجترمـوا في سـالف مـن جـرائمِ
هُـمُ ضـيَّعوا ديـن النبـي محمـد ... هُـمُ وسـعوا في النـاس طـرق المظـالمِ

(١) الحقير: المقصود به مؤلف السيرة. ويعتبر ذلك من دلائل التواضع.

هُـــمُ راكبــوا كـــل الفـــواحش جهـــرةً ... هُـــمُ فعلـــوا فيهـــا جميـــع المـــآثمِ

«ق٢٩أ»

وقــد كـــاد هـــذا الـــدين ينهـــد ركنـــه ... بحـــين اســـتحل الـــترك كـــل المحـــارمِ

ومـــن عَـــرَف الأتـــراك معرفتـــي بهـــم ... وبـــالطعن رأى رمحـــه غـــير راحـــمِ

فأحييـــت فينـــا يـــابن يحيـــى رســـومه ... وجـــددت منـــه دارســـات المعـــالمِ

وأصـــبحت الأعـــداء في كـــل بلـــدةٍ ... كطيـــف خيـــال أو كأضـــغاث حـــالمِ

فهـــل بعـــد هـــذا مـــن فخـــارٍ وســـؤددٍ ... وهـــل بعـــد هـــذا مـــن مقـــالٍ لنـــاظمِ

فقـــل لأمـــير المـــؤمنين مهنيـــاً ... هنيئـــاً بـــما أوليتـــه مـــن مكـــارمِ

عليـــك صـــلاة الله ثـــم ســـلامه ... وأنـــصارك العـــرب ليـــوث الملاحِـــمِ

فللَّـــه همـــدان ولله أرحـــب ... وحاشـــد حيـــوا مـــن رجـــال أكـــارمِ

وياحبـــذا أولاد كهـــلان جملـــة ... مـــساعير حـــرب لم يـــدينوا لظـــالمِ

رجـال متـى يـدعو إلى الحـرب يرقلـوا ... إليهـــا كإرقـــال الليـــوث الـــضراغمِ

هُـــمُ نـــصروا قـــدماً عليـــاً وهكـــذا ... بنـــوه جميعـــاً قـــايماً بعـــد قـــايمِ

ولاعيـــب فـــيهم غـــير أن ســـيوفهم ... بهـــنّ فلـــول مـــن قـــراع الجماجـــمِ

ســـلوا عـــنهم شرق الـــبلاد وغربهـــا ... تخـــبرك الركبـــان مـــن كـــل قـــادمِ

هـم القـوم كـل القـوم إن كنـت جـاهلاً ... فـسل عـنهم صـنعاء ومـن في التهـايمِ

إليـــك أمـــير المـــؤمنين قـــصيدة ... وجهـــد مقـــل فـــاقبلوا قـــول خـــادمِ

ولازلـــت منـــصوراً لربـــك نـــاصراً ... وغوث لـذوي الـشكوى ورغـم المـراغمِ

ثم أن الإمام عليه السلام بعد وصول المكاتبة إليه بطلب العامل، أرسَل السيد الماجد عز الإسلام محمد بن يحيى بن الهادي عاملاً على بلاد يريم، فتلقته مشايخ البلاد إلى مدينة ذمار، ولما وصل مدينة يريم، رحبت به الدار، وأيقنت الرعية أنها قد طلعت شموس الفرج المحمدية، فأذعنت له كل الإذعان وكان ما كان. ثم بعد وصوله بمدة تقوت نيّة الحقير راقم هذا التسطير بعد استخارة الملك القدير على شد الرحال إلى مقام نجم الآل وقيم

الكمال، وسبار[1] الرجال، والإمام الذي لايصاب له شكل ولامثال، فأخذت الأذن من العامل وعزمت على بركة الله تعالى، والاشتياق يسود حثيثاً وعتاق الركايب يقول هات حديثاً. فلما وصلنا إلى حَدْة بلغنا من الأخبار ما فيه أعظم الشدة، وهي بأن صفي الإسلام السيد الماجد أحمد بن محمد الشرعي قد وافاه الحمام شهيداً يُرزق عند ربه الملك العلام، وبلغ أيضاً خبر آخر وهو أن العجم قد خرجت غارتهم وقد وصل أوائلهم سوق خميس مذيور[2] صحبة أحمد فيضي، فصار الناس من تلك الأخبار في حيص بيص.

«٢٩ب» وفي صبح تلك الليلة توجهنا من حدة حتى وصلنا تحت نقيل عصر[3] وإذا النذير العربان يخبر بأن العجم على إثره قاصدين صنعاء، فقطعنا الطريق عرضاً حتى وصلنا قرية القابل ثم أن القبائل الذين كانوا محاصرين لصنعاء تلقوا أحمد فيضي بالحرب وأصدقوا الجلاد والضرب. وكان أحمد فيضي قد ألزم الطوبجية بأن يتابعوا الرمي بالمدافع ليلاً ونهاراً، وفي كل ساعة خشية من أن ينوم[4] العسكر، لأنهم قد سهروا في الليالي السابقة كثيراً. ولم يزل الحرب بين العرب والعجم حتى دخل أحمد فيضي صنعاء، ولقد سمعنا من المدافع والبنادق ما هو أشد من الرعد القاصف، وأصوات الصواعق. ثم إنا عزمنا في اليوم الثالث نحو ذيفان[5] ولحقنا الخبر بأنها قد إفشلت[6] العرب وكان وكان، وسيأتي تفصيل هذا والحديث ذو شجون.

ولما وصلنا حضرته السعيدة وفاكهنا بأخلاقه الحميدة المجيدة، وتأملنا قوة آرائه السديدة، وتدابيره الرشيدة، وسمعنا من درر ألفاظه في مذاكرة العلوم فرايد مفيدة، ولاح

---

(١) في المخطوطة الأصل بياض وتم إضافة كلمة "سبار" من المخطوطة "ب".

(٢) خميس مذيور: قرية في عزلة المخلاف، ناحية الحيمة الخارجية، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٨، المقحفي: المعجم، ص٢٢٥).

(٣) نقيل عَصُرْ: النقيل الطريق المسلوكة صعوداً في الجبل بلغة أهل اليمن. وعصر قرية غرب مدينة صنعاء ومن منتزهاتها. (مجهول: صفحات مجهولة، تحقيق: السياغي، ص٢٣).

(٤) ينوم: من نام، والنوم.

(٥) ذيفان: من قرى ناحية عيال سريح، شمال صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٥٣).

(٦) افتشلت: عامية انهزمت، أي لحقت بهم الهزائم.

لنا أنه أوحد الرجال وفريد أهل الكمال، ونعمة الله في هذا الزمان، ورحمة الله على أهل اليمن، ولقد وقع حبه من حينئذٍ في قلبي وصادفه فارغاً فتمكن وقال قطبي وحسبي البيت:

فصادف قلباً فارغاً فتمكنا[1]

وهل يستوي ود المقلد والذي   له حجة في وده ودلائل

وحين أرسل الإمام عليه السلام العمال إلى البلاد أرسل القاضي العلامة سعد بن محمد الشرقي[2] عاملاً[3] على بلاد آنس[4]، والسيد علي بن محمد المطاع[5] عاملاً على بلاد ذمار، والسيد العلامة شرف الإسلام حسين بن اسماعيل الشامي عاملاً على بلاد إب، والسيد حسين بن يحيى الشامي على بلاد قعطبة. فلما بلغ كل واحد منهم إلى محل عمله تلقته الرعايا بالترحيب والتسهيل والتعظيم والإجلال فصلحت لهم الأحوال، ورحبت بهم المنازل والأطلال، وقبضوا على من كان فيها من عمال العجم ووجه الإمام عليه السلام السيد

---

(١) البيت كاملاً هو:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

(قائل البيت: قيس بن الملوح العامري، أميل ناصيف: أروع ما قيل في الحب والغزل، ص٦٥٣) .

(٢) سعد بن محمد الشرقي: ولد سنة ١٢٥٠هـ، لازم الإمام المحسن بن أحمد الشهاري، وتولى القضاء في قرية سناع، ولما دخل الأتراك صنعاء رحل إلى مقر إقامة الإمام المنصور محمد، وانظم مع الإمام واليمنيين في حربهم ضد الأتراك، وفي سنة ١٣٢٦هـ استقر بالقفلة مع الإمام يحيى، ثم دخل الأستانة للمفاوضة مع الأتراك، توفي سنة ١٣٣٥هـ. من أهم كتبه "قلائد النحور في سيرة إمامنا المتوكل على الله يحيى بن الإمام المنصور". (عبد الله الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ٤٦٢) .

(٣) عاملاً: العامل هو الحاكم ومتولي المدينة. (الجرافي: الحوليات، تحقيق د.العمري، ص٢٥٨) .

(٤) آنس: ناحية واسعة جنوب غرب صنعاء وتشمل تسعة مخاليف:

١ مخلاف ضوران، ٢ مخلاف بني أسعد، ٣ مخلاف جبل الشرق، ٤ مخلاف ابن حاتم، ٥ مخلاف حمير، ٦ مخلاف بني خالد، ٧مخلاف المنار، ٨ مخلاف بني قشيب، ٩ مخلاف بني سلامة، ويلحق بها ناحية جهران. (الحجري: المجموع، ج١، ص٢٢) .

(٥) السيد علي بن محمد المطاع: كان متولي الأوقاف الداخلية والخارجية، وكان عضواً في مجلس الإدارة أيام الدولة العثمانية باليمن، حبسه حسين حلمي باشا مدة طويلة حتى أفرج عنه الإمام يحيى عند دخوله صنعاء سنة ١٣٢٣هـ. توفي سنة ١٣٧١هـ. (زبارة: نزهة النظر، ص٤٦٦) .

يوسف بن غالب عاملاً على الروضة، فوصل هنالك بجمع كثير، ودخل بيت الشيخ علي البليلي.

وفي يوم الثلوث الرابع من شهر صفر ضاق الخناق بمن في صنعاء من العجم وكاد أن ينفذ عليهم الزاد وعلف الدواب، فخرجوا إلى قاع صنعاء ليأخذوا من الزرع هنالك ما يحصل به لهم ولدوابهم الإنتفاع، فتلقاهم المجاهدون واقتتلوا قتالاً شديداً حتى اختلط بعضهم ببعض، فانهزمت العجم وقد أخذوا شيئاً مما خرجوا لأجله، وقتل منهم نيف وعشرون واستشهد من المجاهدين سبعة أنفار منهم الشيخ صالح بن حسين الكليبي من مشايخ الحداء. وحينئذٍ اشتدت الأزمة على العجم ولم يجدوا ملجئاً مما قد ألم بهم فما أغنت عنهم المدافع، وإذا جاء أمر الله فليس له من مدافع. ولقد أخبرني الثقة أنهم كانوا يرمون بالمدافع فيتلقف المجاهدون الرصاص فتصل إليهم وتقرح بينهم ولاتضر أحداً، ويأخذون ما فيها من الرصاص. ولما اشتد الحصار على أهل صنعاء خرجوا منها إرسالاً إلا أنهم وجدوا من سفهاء العسكر شدة ونكالاً، فصاروا ينهبون الداخل والخارج من صنعاء، فما أحسنوا في ذلك صُنعاً وإنما أمرهم الإمام لمحاصرة العجم «ق٣٠أ» وأعوانهم اللئام، فتعدوا إلى ما ليس من شأنهم. ثم أنه لم يبق للترك معاون ولا متابع في جميع البلاد إلا شعوب وبيت معياد[1]

وفي مدة الحصار: أرسل سيف الإسلام محمد بن الإمام[2] للقاضي عبد الرحمن المجاهد[3] وكان قد أُسر في عر الحيمة قاضياً للعجم، فلما وصل إليه حبسه في بيت حاضر، ثم بعد مدة أرسل به إلى الإمام عليه السلام وكان قد طلب أقاربه أن يتفدوه بثلاث مائة ريال، فلم يساعدوهم على ذلك الحال. فلما بلغ به حضرة الإمام لم يشك إنها القاضية المودية

---

(١) شعوب وبيت معياد: كانت قديماً قريتان خارج أسوار صنعاء، أما الآن فهما ضاحيتان من ضواحي صنعاء بعد التوسع العمراني.

(٢) محمد بن الإمام: المقصود به ابن الإمام الهادي شرف الدين، وسيف الإسلام لقب كان يطلق على أبناء الأئمة.

(٣) القاضي عبد الرحمن المجاهد: أحد المعارضين للإمام المنصور، عمل مع الأتراك وكان له موقف من تلك الأحداث نتبين ذلك الدور في الفصل الثالث. (موقف القوى اليمنية من الحكم العثماني لليمن) . (وقد ترجم له كل من: زبارة: أئمة اليمن، ص٢٠١، الجرافي: الحوليات، تحقيق: د. العمري، ص٧٠) .

إلى الحمام، وكان معه ابن لـه صـغير فحـين واجهـه الإمـام عليـه الـسلام تلقـاه بـالإجلال والإكرام، ولم يعامله بما يستحقه من الإهانة والإعدام، بل كساه وأعطاه شيئاً مـن الحطـام، تأنيساً له ولغيره من أهل الإجرام، وصفح وعفى كما هو دأبـه ودأب آبائـه الكـرام علـيهم أفضل الصلاة والسلام. ولما سكن حاشد وزال استيحاشه جعـل لـه أمـراً عـلى الطويلـة[1] لإصلاح أمرها وضاعف له النفقة وأركبه بغلة وأصحب معه عسكراً، فلما بلغ ثـلاء أظهـر الكامن ونادى على نفسه أنه خائن واتحرك[2] راجعاً إلى طائفة العجم. ولما رأى ذلـك بعـض العسكر الذي أصحبهم الإمام معه نجا بنفسه وبالبغلة، ووصل بها إلى حضرة الإمـام عليـه السلام ووصف له ما جرى من عدو الله من نكث العهد، وجحد النعمة، وذلك من القبيح عند كل أمة لايقدم عليه إلا الأسافل، ولايتفيأ ظلاله إلا الأراذل. ومن قبح فعله أيضاً أنـه أخذ الرأي المختوم بختم الإمام ومحا الكتابة بالأسفنجة وهي شيء كالليفة، لا يبقى للمداد معها أثر، وكتب موضع الكتب تحت الختم يُسلم الولد أحمد بن محمد العـانزي إلى الواصـل بهذا كذى وكذا، ثم مازال بعد ذلك يشاغل الشيعة، فالله يعامله بأفعاله القبيحة الشنيعة.

وقعة وادي علي:

وفي هذه المدة كانـت وقعـة وادي عـلي في الحيمـة، وصـفة ذلـك أن العجـم أرادوا أن يقصدوا الحيمة الداخلية. وكان الإمام عليه السلام قد وجه إليها مقدمياً السيد عز الإسلام محمد بن أحمد الشامي[3] ، فلما قصدها الأعاجم تلقـاهم الـشيخ يحيـى قطيـع في رجـال مـن

---

(١) الطويلة: مدينة شمال غرب صنعاء، بالقرب من كوكبان في محافظة المحويت، وفي الطويلة يقـع حـصن القرانـع المشهور. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٥٩، المقحفي: المعجم، ص٤١٥، التعداد: ص٩٠) .

(٢) هكذا وردت في الأصل:وأصلها(تَحَرَّكَ) .

(٣) السيد محمد بن أحمد الشامي: ولد سنة ١٢٧٨هـ بصنعاء، ثم انتقل إلى صعدة. كان أحد قـادة الإمـام المنـصور، وتم تعيينه كأحد المفاوضين عن الإمام المنصور أمام السيد خالد أبو الهدى الذي أرسله السلطان عبـد الحميـد لحل الحروب المتفاقمة في اليمن. وبعد موت الإمام المنصور عينه الإمـام يحيـى عـاملاً عـلى شـهارة، وفي سـنة ١٣٢٧هـ كان ضمن الوفد الإمامي لعرض مشكلة اليمن على السلطان عبد الحميد. تـوفي سـنة ١٣٢٩هــ في شهارة. (زبارة: نزهة النظر، ص٥٠٧) .

جماعة أهل الحيمة الداخلية، وإشتد بينهم الحرب. ثم إنه وقع مطر فطفيت[1] فتائل[2] بنادق المجاهدون، وبنادق العجم لم يضرها المطر، فما زالوا يرمون المجاهدين حتى كادوا أن ينهزموا فأمدهم السيد الهمام محمد بن أحمد الشامي بمن معه من العساكر، فانهزمت العجم إلى حصن العجز[3] ورجع العرب، وقد دخل في قلوب العجم الوهن والرَّهبْ، فعزموا من فورهم مناخة ولم يعلم العرب بذلك، فلما وصلوا إلى مناخة وعلموا أن العرب لم يتبعهم رجعوا من ساعتهم إلى مراتبهم، فوجدوها خالية. وقتل من العجم في هذه الوقعة ثلاثون رجلاً، ومن المجاهدين خمسة رجال. ثم أن المقدمي المذكور أرسل السيد أحمد بن محمد الجديري إلى جبل عانز[4]، وأمره أن يشن الغارات ويقطع الطرقات، فلما وصل السيد أحمد إلى الجبل المذكور جمع أربعين رجلاً من بني القلام ومن أصحاب الشيخ علي بن صالح الهروي فوقف بهم في الطريق ليقطعها على من في حصن بن مهدي، فخرجت عليهم العجم من ذلك الحصن حتى «ق٣٠ب» بلغت وادي المحلا. وخرج السيد المذكور بمن معه فوقع بينهم الحرب من الساعة الثالثة في النهار إلى العشاء، ورجعت الأعاجم منهزمين وصاروا يرمون المجاهدين من الحصن بالمدافع، وقتل من العجم سبعة وسلم الله المجاهدين.

وفي هذه المدة زادت الشدّة وعظم الحصار على أهل صنعاء وخرج الضعفاء من أهلها امتلأت الروضة والسرْ[5] ودار الحيد[6] وهرب كثير من عسكر العجم.

---

(١) فَطُفيتْ: أي انطفأت وهي عامية.

(٢) فتائل: كان العرب في العهد العثماني يستخدمون البنادق القديمة التي تشتعل بالفتائل وتسمى البندق العربي أبو فتيلة نسبة إلى الفتيل الذي اسْتُعمِل لإشعال البارود لإطلاق الرصاص منه. (عبدالله محيرز: الآداب المحققة، ص٣٦).

(٣) حصن العجز: يقع على قرية في الحيمة الخارجية مابين مفحق ومناخة، محافظة صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٨٠).

(٤) جبل عانز: جبل واسع وعزلة ذات قرى وحصون في الحيمة الخارجية، محافظة صنعاء. (المقحفي: المعجم، ص٤٣١).

(٥) السِّر: وادي معروف في ناحية بني حشيش، محافظة صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٤١٩).

(٦) دار الحيد: وتسمى أيضاً دار سالم من قرى سنحان بالقرب من صنعاء (أنظر ص ٢٥٤).

وفي هذه المدة كانت وقعة حصن مفحق:

التي استشهد فيها سيدي صفي الإسلام[1]، وصفتها أنه لما أشتد الحصار على من في حصن مفحق، خرجت طائفة من العجم من مناخة وصحبتهم جماعة من الباطنية يريدون الغارة على من في مفحق، فتلقاهم السيد الصفي رحمه الله تعالى بمن معه ووقع الحرب بينه وبينهم، فانهزم بعض أصحابه فلما فر عنه من فر قام يحرض من بقى معه من العسكر فطلع سبعة أنفار من العجم، فقال السيد رحمه الله للحاج المجاهد أحمد معصار أشهد لي على واحد منهم فرماه فقتله، ورمى الحاج أحمد معصار الثاني فقتله، ورمى السيد الثالث فقتله، ورمى معصار الرابع فقتله، ثم أن واحداً من العجم توارى وراء حجر، ورمى السيد الصفي فأخذت الرصاصة أنملة من أنامل يده، ومحل جريدة البندق[2] ودخلت من صدره إلى أن خرجت من ظهره، فقال للحاج أحمد معصار قد رُميت، فأجاب لا تُفَشِّلْ الناس، ثم دعا برجلين فحمله على أحدهما وألقى عليه ثوباً لئلا يعرفه الناس، فيفشلوا وعارضه الرجل الآخر حتى بلغا به النجاة. وحينئذ دخل العجم مفحقاً وأدرك العرب الشقاء. هكذا ذكره بعضهم في بعضهم في صفة إستشاده ولقد وصف لي بعض ضباط العجم وكان من حاضري الوقعة، قال وقع الحرب فحمل علينا الشريف ووثب وثبة الأسد، وكان لايُحتجي حتى فرّ منه أكثر العسكر ثم حمل على المدفع والأحجار بيده فرماه رجل من العجم من فوق بغلته، قال وكنّا نعدَّه مثل ألف رجل، ولقد صدق فإنه كما قيل:

والناس ألفٌ منْهُم كواحد   وواحدٍ كالألف إن أمرٌ عَنَا[3]

فلما أُصيب رحمة الله عليه سقط في أيدي المجاهدين، وقتل في هذا اليوم من العجم خلق كثير ومن العرب سبعة أنفار منهم صفي الإسلام وواحد المجاهدين رضوان الله عليه.

---

(١) صفي الإسلام: المقصود هنا هو السيد أحمد بن محمد الشرعي.

(٢) جريدة البندق: الجريدة قد تكون زناد البندق.

(٣) قائل البيت: ابن دريد الأزدي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: تحقيق: محمد بدر الدين العلوي.

وقعة حصن عُكْبَارْ وبني خطاب[1] :

وصفه ذلك أنه في هذه المدة تشاور سيدي صفي الإسلام والشيخ يحيى قطيع على أن يغزوا العجم إلى مناخة فاجتمع ستمائة نفر من أهل الحيمة، وتوجه الشيخ يحيى قطيع وأولاده في ستين نفر، فقبضوا حصن بندار فوق هوجران بيت المدعي، وكان الحصن المذكور خراباً لاسكن فيه، ورتبوا معه حصن عكبار، وتقدم الباقون إلى عزلة بني خطاب، فتقدمت عليهم العجم واستمر الحرب حتى حجز الليل، ووقع القتل في العجم ممن في الحصن وممن في بني خطاب، وفي اليوم الثاني وقع الحرب أيضاً من الفجر إلى أن أظلم الليل وكانت هنالك ملحمة عظمى أوهنت أعداء الله وقتل منهم مائة وخمسون رجلاً ومن المجاهدين خمسة وعاد كل منهم إلى مطرحه.

وفي هذه المدة: توجه الشريف حسن الجندي «ق١٣١أ» لقصد حصار كوكبان فطرح بمن معه في قاع الضلع[2] ، وما زال من معه في كل يوم يتناوشون الحرب هم والعجم وتكون الهزيمة في العجم.

وفيها أيضاً خرجت العجم من مدينة حجة[3] يريدون حصن عفَّار[4] ، وسبب ذلك أنه خرج واحد من العسكر الذين في حصن عفَّار وزعم أنه هارب، ووقف عند المجاهدين فأمنوه وخلوا سبيله فمضى حتى دخل حجة وأعلم العجم الذين هنالك بأن الذي في حصن عفَّار قد إشتد عليهم الحصار، وبلغوا احد الأضطرار، حتى أكلوا بغلاً من الجوع، فكان ذلك سبب خروج العجم من حجة للغاره على من في عفَّار فتلقاهم السيد

(١) عُكْبَارْ وبني خطاب: من قرى حراز، في ناحية الحيمة الخارجية، محافظة صنعاء. وهناك قرية أخرى تحمل اسم بيت الخطابي في ناحية الحيمة الداخلية (المقحفي: المعجم، ص٢٢٣، التعداد: ص٣٩) .

(٢) قاع الضلع: قاع الضلع غرب بلاد كوكبان وهو غير ضلع همدان القريب من صنعاء.

(٣) حجة: مدينة مشهورة عامرة شمال غرب محافظة صنعاء واسم المدينة يشمل اسم المحافظة، وهي محافظة حجة وأغلبها منطقة جبلية وتشتهر مدينة حجة بقصر سعدان وقلعة القاهرة. (الويسي: اليمن الكبرى، ص١١٧) .

(٤) حصن عفَّار: عفار هو اسم جبل بالقرب من جبل كحلان، وهي من جبال مدينة حجة الشرقية. (الويسي: اليمن الكبرى، ص١١٨؛ المقحفي: المعجم، ص٤٥٨) .

عزالإسلام محمد بن يحيى بن قاسم بن عامر[1] بمن معه من الأنصار ووقع الحرب بينهم من عند خروجهم من حجة إلى أن وصلوا عفَّار، وقتل من العجم ما يقرب من المائة وأكثر القتل وقع في وادي شرس[2]، فلما دخلوا عفَّاراً وأصلحوا أمور من فيه عادوا إلى حجة، فتلقاهم المجاهدون بالحرب وقتل من العجم قريب من الخمسين ومن المجاهدين عشرة. فلما رجعوا إلى حجة اشتد الحصار على من في حصن عفَّار وحين وصل أحمد فيضي أجارهم على ذلك الأصطبار.

وفي هذه المدة اشتد الحصار على من في جبل مسور[3] وبيت عذاقه[4]، وفيها أربعة مراتب قصبة السوق فيها مسعود بن سعد يسر من مولدي صنعاء وثمانية عشر رجلاً تحت أمره، وفي قصبة الحسوي علي علوي أصله من أرحب، وكان هو وأمه في صنعاء يبيعان من أهل صنعاء روث الحمير وبعر الجمال فرقَّاه العجم. وكان مأموراً على سبعة وعشرين رجلاً، وفي باب الرميح أربعون رجلاً عليهم علي العسيري، وفي المصنعة[5] أحمد آغا الروسي وصحبته ستون رجلاً، فأما من في قصبة السوق فإنهم خرجوا بالتدبير والحيلة وكيفية ذلك أن الإمام عليه السلام أرسل السيد الهمام محمد بن عباس وجيه إلى جبل مسور وما حوله لمحاصرة العجم، وقطع الطرقات فوقع الحرب بين الفريقين مناوشة وقد دبروا حيلة وهو

---

(١) محمد بن يحيى بن قاسم عامر: الحسني اليمني الأهنومي، ولد في جماد الآخرة سنة ١٢٨٠هـ ونشأ بحجر والده، ومن أساتذته العلامة لطف بن حميد شاكر، والقاضي أحمد بن عبدالله الجنداري والقاضي عبدالله بن أحمد المجاهد. وغيرهم. تولى حكم بلاد خولان في عهد الإمام المنصور حتى وفاته، ثم سكن في رحبان صعدة. وعمل على فصل الخصومات حتى انتقل إلى جوار ربه ١٣٤٩هـ. (زبارة: نزهة النظر، ص٥٩١).

(٢) وادي شرس: في محافظة حجة شمال مسور ومساقطه من شمال بيت عُذاقه. وهو من الأودية المشهورة في حجة. (الويسي: اليمن الكبرى، ص١٢٠).

(٣) جبل مسور: هي سلسلة جبال جنوب حجة وتشمل جبال السَّرَاقي، ونَجرَة وعُوْلي، والشَّغَّادِرَة. (الويسي: اليمن الكبرى، ص١١٧).

(٤) بيت عِذَاقْه: قرية ومركز لناحية مسور، محافظة حجة. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٩٥، الويسي: اليمن الكبرى، ص١١٨).

(٥) المصنعة: هناك الكثير من القرى في اليمن تحمل اسم المصنعة، منها المصنعة قرية من عزلة المهدي ناحية كحلان الشرف، المصنعة قرية من عزلة الأشمور بعمران، المصنعة قرية من عزلة عبس والعمارية ناحية الخبت بالمحويت. أما المقصود هنا هي المصنعة في عزلة بني أسعد تتبع ناحية مسوَّر، محافظة صنعاء. (المقحفي: المعجم، ص٦٣٠، التعداد: ص٦٦).

أنهم حفروا غاراً إلى تحت القصبة وأرادوا أن يحرقوا من فيها بالبارود، وكـان مـن فيهـا قـد ردموا بابها بالأحجار، فحين علمت العجم بذلك نادوا بالصلح مكيدةً منهم أيضاً ليشرف عليهم من يريدون قتله، ولم يفطـن المجاهـدون لـذلك فظهـر لهـم جماعـة مـن المجاهـدين فرموهم بالبنادق وسلمهم الله من ذلك وأصاب الشيخ ناصر مبخوت جراحـة خفيفـة ثـم دار الصلح بينهم على خروجهم من القصبة، فخرجوا من طاق في تلك القصبة وقبضوا مـا معهم من السلاح والمونة وأوصلوهم إلى حضرة الإمام عليه السلام.

وفي هذه المدة اشتد الحصار على من في حجة: وكان المقدمي[1] هنالك الـسيد العلامـة لطف بن علي ساري فوقع التدبير من الوالي أحسن أديب باشا[2]، وكـان حينئـذٍ محـاصراً في حجة أن يرجع الحديدة، فخرج منها وصحبته قومندان أحمد رشـدي، وكانـت الطريـق إلى الحديدة مفتوحة بسبب معاونة بني قيس فلما بلغا الحـصيب[3] إعـترض لهـم الـشيخ نـاصر مبخوت الأحمر في ثلاثة عشر رجلاً لاغير، ورمى أحمـد رسـدي فـسقط مـن فـوق بغلتـه، وتبعت أولئك النفر من المجاهدين عساكر العجم، فأحاطوا بهـم ونجـاهم الله مـن فرجـةٍ بقيت، فخرجوا منها فلما وصلوا إلى ذلك المحل الذي «ق٣١ب» وقع فيه الحـرب وجـدوا البغلة ميتة، ولعل إنها لم تقتل إلا هي، وأما أحمد رشدي، فبقـى تحـت الإسـتنطاق[4] وزعـم العجم أنه قَصَّرَ فيما دبر حتى ردّوه إلى نفر.

---

(١) المقدمي: سوف نلاحظ تكرار كلمة المقدمي والمقادمة ومعناها القادة الذين يتم تعيينهم من قِبَـل الإمـام لقيـادة الجيوش.

(٢) أحسن أديب باشا: أحد الولاة الذين عُينوا في اليمن، ولكن لسوء حظه كانت فترتـه فـترة قـوة بالنـسبة للإمـام المنصور، ولذا كانت فترته قصيرة خاصة عند قدوم فيضي باشا لقمع الثورات في اليمن، ثم ما لبث أن أرسـلت السلطنة بمرسوم تعيينه والياً على اليمن بدلاً عن أحسن أديب باشا. وصل أحسن أديب باشـا الحديـدة في ١١ ذي الحجـة ١٣٠٨هــ/ ١٧يوليـو ١٨٩١م، وانتهـت مهمتـه بتعيـين المـشير فيـضي في ١٦جمـاد الأولى سـنة ١٣٠٩هـ/ ١٧ديسمبر ١٨٩١م. (الجرافي الحوليات، تحقيق: د. العمري، ص٢٣٦).

(٣) الحصيب: اسم الوادي الذي تقع فيه مدينة زبيد. في تهامة. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٦٢).

(٤) الاستنطاق: أي الاستجواب، فقد تم استجوابه لأنه ربما يكون قد أخفق في مهمته العسكرية تلك.

وفي آخر شهر الحجة وأوئل محرم كانت المحاصرة لمدينة إبْ:

وصفة ذلك أن المتصرف والعجم في تعز[1] لما علموا بثوران العامة، دبّروا بأن يرسلوا عسكراً إلى مدينة إب، فأرسلوا طابوراً وألزموهم المحافظة ثم إن أهل بلاد إب وما يتبعها من نواحي بعدان[2] وبلاد حبيش[3] وبلاد المخادر[4] ، لما بلغهم ما وقع في أحواز صنعاء[5] من محاصرة أعداء الله العجم، نَصَّروا بتنصيرة واحدة، وتكاتب الشيخ صالح بن قاسم الصبري شيخ بلاد المخادر والشيخ سعيد بن خالد الدعيس، شيخ بلاد بعدان. وكان الاجماع منهما على محاصرة مدينة إب، فعزم الشيخ صالح بن قاسم وجمع العسكر وأعلن بالفساد، وأظهر وتقدم بمن معه، وتقدم أيضاً الشيخ سعيد بن غالب وابنه الشيخ محمد. وكان مطرح الشيخ سعيد من جهة العَدَن[6] والشرق، والشيخ صالح بن قاسم الصبري من جهة القبلة والغرب في بيوت العدن وقبَّة جرافه. وكانت العجم حينئذ خارج المدينة فلما بلغهم ما دبروه دخلوا المدينة، وصحبتهم الشيخ عبدالواحد بن محمد بن قاسم وهو من مشائخ العجم الذين شرحوا صدورهم لمحبتهم، فلما دخلوا المدينة إنقطع عليهم المواد والداخل والخارج من جميع البلاد، وكانت بينهم وبين المجاهدين وقايع كان النصر والظفر فيها للمجاهدين، وكانوا كلما همّوا بالخروج ردوهم إلى المدينة وقطعوا عليهم الماء النازل من المشنة[7] وعظمت على العجم وأهل المدينة المحنة حتى كاد أن يعدم الماء إلا أنه بقى في

---

(١) تعز: مدينة عامرة كبيرة ومشهورة في اليمن. ويطل على مدينة تعز جبل صبر.

(٢) بعدان: ناحية ومخلاف مشهور في محافظة إب. (الحجري: المجموع، ج١، ص١٢٤، التعداد: ص٣٧) .

(٣) بلاد حُبَيْش: هي ناحية تابعة لمحافظة إب، وتتبعها العديد من العُزل والقرى. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٢٨؛ التعداد: ص٢٠) .

(٤) بلاد المخادر: ناحية في محافظة إب وتتبعها العديد من العزل والقرى. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٩٧؛ التعداد: ص٢٢٤) .

(٥) أحواز صنعاء: والحواز هي القرى المحيطة بصنعاء المعمورة في سفوح الجبال هذا حسب رأي القاضي السياغي: في كتاب صفحات مجهولة من تاريخ اليمن، ص٢٦، ويقال أيضاً أن معنى الحواز هو الحصار، أي حصار القبائل لمدينة صنعاء من كل الجهات.

(٦) جهة العدن: أي الجهة الجنوبية.

(٧) المشنة: بركة واسعة جداً، يتجمع فيها مياه الأمطار النازلة من جبال بعدان إلى مدينة إب، ومن المشنة كان يتم توزيع الماء على كل أحياء المدينة بواسطة المساقي على الطريقة القديمة.

المجن[1] شيء يسير، وهلكت من المواشي بسبب الجوع والعطش شيء كثير، وصار العجم يرمون بالمدافع فلا تؤثر شيئا. وفي خلال ذلك وصل الشيخ علي بن عبدالله بن سعيد أرسله المتصرف من تعز لإستحسان خروج العجم الذين في إب لما أشتد عليهم الحصار، فطلع بأهبةٍ كبيرة، فلما وصل إلى مدينة ذي جبلة إتفق بالشيخ صالح بن قاسم وبأعيان المجاهدين، وهو كما وصف لي الشيخ صالح بن قاسم لامقصد له إلا إخراج من في إب من العجم، فوقع الرأي من الشيخ صالح بن قاسم والشيخ سعيد بن غالب على قبول الصلح الواصل به الشيخ علي بن عبدالله، وهو أن العجم يخرجوا من إب بسلاحهم وتخلص مدينة إب وبلادها لعامل الإمام عليه السلام ويمضي فيها أمره. وكتبوا بذلك إلى السيد عزالإسلام محمد بن يحيى بن الهادي لطلب المشورة، فاستحسن ذلك وإستحسنا جميعاً ذلك الرأي السديد لتقليل معاقل الأعجمين، وتخفيف المونة على المجاهدين، ويقع المحاصرة على مدينة تعز، فلم نشعر بعد وصول المكاتيب إلى السيد محمد بن يحيى بالاستشارة من الشيخين إلا بوصول الشيخ محمد بن سعيد يأبى من هذا الرأي، وأنهم لايخرجون إلا من دون سلاحهم، وأن ما ذكر من الصلح خديعة من الشيخ علي، وصادف وصوله مدينة يريم محل ولاية السيد محمد بن يحيى، على حين وصول عامل بلاد إب من طرف الإمام عليه السلام السيد الهمام حسين بن إسماعيل الشامي، فوافق الشيخ محمد بن سعيد العامل المذكور على هذا التدبير، فراجعناهما في ذلك فصمَمَا وعزما بيد الجمع، ووقع تقويت المطارح وتشديد الحصار على مدينة إب. وأما الشيخ علي بن عبدالله بن سعيد الأموي فإنه لم يتم له المرام دخل مع العجم المدينة.

وقعة القاعدة:[2]

وصفتها أن السيد شرف الإسلام حسين بن إسماعيل الشامي ورؤساء ذو غيلان[3]

---

(١) المَجنْ: هي حفرة دائرية في الأرض وتُطلى بالقضاض المعروف في اليمن، ويستعمل المجن لكي يحفظ فيها مياه الأمطار، وكانت تُحفر تحت ميازيب أسطح المنازل، لكي يتم الإستفادة من مياه الأمطار.

(٢) القاعدة: قرية على الطريق ما بين إب وتعز، وتتبع محافظة إب. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٤٥).

(٣) ذو غيلان: من قبائل بكيل وهم محمدي وحسيني في برط. وهناك قرية أو جبل تحمل اسم غيلان وبنو غيلان من أهل آنس. (الحجري: المجموع، ج٣، ٦٢٧).

شمروا «ق٣٢أ» الهمة لمحاصرة العجم في تعز فعزموا صحبة السيد عبدالرحمن الشامي، وفي القوم من رؤساء ذو محمد النقيب عبدالله بن ناجي الدميني وأحمد بن قايد أبو راس، والقاضي أحمد بن محمد الشرعي، وعلي بن محمد دماج، وغير هؤلاء من الرؤساء، فاتفق أن العجم خرجت منهم غارة من الذين في تعز على من في إب فاتفق بهم المجاهدون في القاعدة، فكانت هنالك ملحمة زايدة، وحين رآهم المجاهدون حملوا عليهم حملة واحدة، فانهزم العجم وقُتل منهم ما يزيد على الخمسين، ونهبت أسلحتهم وتفرقت العجم بعد ذلك أيدي سبأ، واوضع فيهم المجاهدون قتلاً ونهباً حتى أن بعض عسكر العجم كان يعطي المرأة البندق لتستره عن العرب خوفاً من القتل.

وفي هذه المدة وصل السيد حسين بن يحيى الشامي **إلى مدينة** قعطبة[1] بموجب أمر الإمام عليه السلام فأخذ ما فيها من البنادق والخزنة، وأذعن له جميع الرعايا والعُقال إلا قليل فإنهم خرجوا عن الطاعة فتقدم بمن أطاع على من عصى، ودار الحرب بينهم، وكان في مدينة قعطبة حينئذ قريب من عشرين رجلاً من العجم ومن أعوانهم العرب، فقبض المجاهدون بعض المدينة وإنحاز العجم إلى بيت الحكومة، فاحتال بعض مشائخ البلاد بأن طلب صلح يومين من السيد المذكور فأجابه إلى ذلك، فيقال أنه أخرج العجم ومن معهم في الليل سراً. وفي اليوم الثاني عند وفاء الصلح دخل المجاهدون بيت الحكومة ولم يجدوا فيها أحداً إلا قليلاً من البنادق والمونة والشماشير[2].

وفي هذه المدة أمر الإمام عليه السلام السيد الماجد محمد بن حسين عباس رحمه الله لقبض رجلاً من بني الرميم[3] صار يدعي أنه ابن السيد حسين الهادي[4] ويأخذ من البلاد

---

(١) قَعْطَبِة: مدينة جنوب صنعاء من نواحي إب ومن عزلها بلاد اليوبي، الوحج، الشرنمه السفلى، الأعشور، العمرية، عساف، المجانح. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٥٦؛ التعداد: ص٢٧٢) .

(٢) الشماشير: الملابس (تركية) .

(٣) بني الرُمَيْم: قرية في الحيمة الداخلية، وبيت الرُميم قرية في مخلاف قروي في ناحية خولان الطيال. (المقحفي: المعجم، ص٢٨٢) .

(٤) السيد حسين الهادي: هو حسين بن محمد الهادي الصنعاني، اعتقد فيه العامة وقصدوه لتحرير الرقي والعزائم، ويقال أنها كانت له ملكة في علم الحرف والأسماء، سكن في آخر حياته جنوب الجامع الكبير، وقرر له الأتراك =

واجبات، ويكتب إليهم من محمد أمير المؤمنين، وقد طلبته العجم أشد الطلب فلم يظفـروا به، وكان مُعتقداً عند العوام فتوجه السيد المذكور إلى قرية الرونة[1] فتلقـاه أهلهـا بـالحرب، وغُلب أهل القرية، ونهب المجاهدون ما فيها وأحرقوا

بعض البيوت، وقبضوا الكذاب المذكور وحكي عن السيد محمد بـن عبـاس أنـه قـال: دخلنا على الرجل المذكور وهو يبرق وجهه في صورة حسنة، ونزعنا مـا عليـه مـن الثيـاب ووجدنا في عضده كتاباً ولم ندر ماهو، وحين نزعنا ذلك رأيناه بعد ذلـك في أقـبح صـورة، فعلمنا أن ذلك من السحر والتمويه، وقتل في هذه القصة جماعة من أهل القرية وجماعة من المجاهدين، ثم أن السيد رحمه الله حبس الرجل المذكور وأوصله حضرة الإمام عليه السلام فأودع الحبس حتى مات.

وفي هذه المدة:أعني شهر محرم وصفر وبعض ربيـع تتابعـت الوفـود إلى حـضرة الإمـام عليه السلام مـن جميـع النـواحي والأقطـار، ووردت إليـه الكُتـب مـن بـلاد إبّ ورداع[2] وريمة[3] وذمار، وغير ذلك من البلاد معلنة بالطاعة والانقياد، إلاَّ أعـوان العجـم في جميـع أقطار اليمن فإنهم أظهروا الطاعة على دخن[4] . ولم يزل الإمام عليه السلام يرسـل القـضاة والعمال ويوصيهم بتقوى الله والعمل بما يرضاه ذو الجلال، ومتابعة أوامره في كل حال ومما ورد من الأشعار والتهاني ماقاله القاضي الأديب محمـد بـن أحمـد بـن إبـراهيم الحـضراني[5]

معاشاً حتى توفي في سنة ١٣٠٥ه. (زبارة: أئمة اليمن، ص١٠٨) . وقد يكون هذا الشخص هو ابنه وقد نحـى منحى والده وادعى معرفته بتلك العلوم والشعوذة.

(١) الرونة: قرية في ناحية بني حشيش/ محافظة صنعاء. (التعداد: ص٩٩؛ الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٧٣) .

(٢) رداع: مدينة مشهورة في الجنوب الشرقي من صنعاء، وتـشتهر رداع بالمـسجد العـامري. وتتبعهـا العديـد مـن القرى والعزل، محافظة البيضاء. (التعداد، ص٩٢؛ الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٥٩) .

(٣) ريمة: تسمى ريمة الأشابط وهي ريمة الكبرى، ناحية واسعة في غرب جنوب صنعاء ومركز الجِبِيْ ومن قراهـا كُسُمَه والسلفية وبلاد الطعام. وهناك مناطق أُخرى تحمل نفس الاسـم، فهنـاك ريمـة حُميـد مـن قُـرى ناحيـة سنحان بالقرب من صنعاء، وريمة المناخي من مخلاف جعفر في العُدين، وجبل ريمـة في خبـان في بنـي قـيس. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٧٧) .

(٤) على دخن: المقصود بها على مضض.

(٥) محمد بن أحمد بن إبراهيم الحضراني: كان شاعراً فصيحاً وأديباً، ولد في آنس ١٢٨١هـ، وتلقى علومه عن والده، ثم انتقل إلى صنعاء وعمل معلماً بمسجد الزمر عدة من السنين، ونظم أرجوزة توسل فيها بأسماء السور وألـزم =

شعراً:

طيور القَنَا غَنَّتْ على كل دوحةٍ بأفصح قولٍ بالعُلا والمسرةِ

«ق٣٢ب»

وفتحٌ مبينٌ وانتصار على العُدا بأعظم بشرى للأنام ونعمةِ

ونصر إمام الحق منصورنا الذي أقام قناة الدين في كل بلدة

ومحيي رسوماً للجهاد ومعهداً لآل رسول الله أهل السفينةِ

مآثر تبنى بالصوارم والقنا وبالعدل والتوحيد لا بالمجلةِ

فقل لعلوج الروم وافاكمو الذي لسطوته تنجاب كل الملمةِ

همام كريم من ذؤابة هاشم خبير بكم ياشر كل الخليقةِ

وهيهات هيهات الفرار وأينما تولوا تلاقوا وقعة بعد وقعةٍ

هتكتم شريعة أحْمدٍ[1] وارتكبتمُ جرائم أدناهن ظلم الرعيةِ

وجئتم باعوان الضلال وعصبة من الغي مرتدين من كل ملةٍ

لكم كل مفتون بكم ومداهن وعصمتنا بالله ياشر عصبةٍ

مدافعكم لم تغنكم عن لقائه وأسيافه مشهورة ذات سرعةٍ

سيصبح ذات الروم ثكلاً ومالها جزاءً من المنصور غير الأسنةِ

سلاحكم سلباً وأرحامكم سباً وأموالكم نهباً إذا الهام حزّت

أتاكم كريم الأصل لاعن كلالةٍ سمي رسول الله خير البريةِ

عليم بأحوال الأنام مجرَّب عواقب دهر بحر علم وحكمةٍ

وينشر رايات الجهاد عليكُمُ لكل خميس كرَّة إثر كرَّةِ

أما قد علمتم أن سيف إمامنا يناجزكم في بكرة وعشيَّةِ

سلوا عارفاً ينبيكمُ بفصاله وما وقعت «الجردا» بكم ببعيدةِ

الطلبة بحفظها. كانت له هيئة حسنة يحب معالي الأمور، والتجمل بأحسن مايجب. كان محباً للعترة النبوية ولذا فقد كتب قصيدة للتهنئة وأرسلها للإمام المنصور محمد وسجلها مؤرخنا الإرياني في كتابه هذا.

(١) وردت في المخطوطة (ب) "جَدَهُ".

وماسيف دين الله إلاَّ محمد ... حميد المساعي فرع بيت النبوءةِ

ولله أجناد الهدى وحُماته ... رجال التقا سبحان أهل الحفيظةِ

ولله أبنا حارث وقبائل ... من الصادقين الفعل عند الكريهةِ

بنو مطر أكرم بهم من عصابة ... وحيي بلاد الروس أزكى تحيةِ

وما آنس من أرحب ببعيدة ... وهمدان همدانٍ رجال الحقيقةِ

قيال بكيل بل وجبر بن غالب ... ويال بني شداد عند الشديدةِ

خذوا علم المنصور لا يرهبنكم ... طماطم أعلاج وجِدُّوا بهمةِ

وسموا على رأي الإله وصمموا ... على فتح صنعا فهو أيسر خلةٍ

«ق٣٣أ»بنصرٍ من الله الكريم لعبده ... وفتح مبين قادم بالسعادةِ

فتاريخ هذا العام قد جاء مُخْبراً ... بعزٍ وعزم بابتهاج وفرحةِ

وصلي على المختار والآل دائماً ... ومنهم إمام العصر ختم القصيدة

وقال القاضي الأمجد حسين بن أحمد العرشي عافاه الله شعراً:

أهلاً بذي الدار ذات الفخر والكرم ... وآية العلم المتد بالعَلِم

دارٌ تُنار قلوب المؤمنين بها ... كما ينار بقاع الأرض بالنجم

دار الكرامةِ دار بالعداة بها ... مرامياً كعداة الجن بالرجم

أهلاً بها ثم أهلاً قد رأيت بها ... مالو رأه عدو بات لم ينم

وصَلٌ يرعد من خوف فرائصه ... فعل الذليل وفعل الأنحت الزنم

يممتها حين ناداني بقوته ... عزمي ويممتها بالسيف في كلم

وحفت منطلق الكفين قد سلكت ... مسالكي في سبيلي سلك منتظم

لهمتي هم سادات الرجال وَمَا ... يهتم فيه ذوي الغايات والهمم

منزهاً مذ عرفت النفس من دنس ... مما يعيب وفيه غير متهم

ولا وطيت فراش الظالمين ولا ... واليتهم بسوءٍ أبعد من الحرم

حتى رضيت لنفسي كل مكرمةٍ ... وكل فعلٍ صحيح المتن مرتسم

وقـادني قايـد الخيـل الـذي انتـشرت رايـاتــه فأزالــت رايــة العجــم

وأكـــرم النـــاس عـــوداً في منابتـــه وأبعـد النـاس مـن عيـب ومـن تُهَـم

فعـــين مـــاء عيـــوني عنـــد رؤيتـــه غزيـــرة المـــاء لم تنـــضب ولم تـــرم

يعنـــي بـــذاك أمـــير المـــؤمنين فـــلا يعنـــي ســـواه وفي ذكـــراه لم أُلَمِ

ياصـــاحب النظـــرة المعـــروف نظرتـــه تغنـى الوفـود عـن الأمطـار والـديمِ

يـــا أرفـــع النـــاس بيتـــاً في أزمتـــه مـــشيَّداً مـــستقيماً غـــير منهـــدم

وعـامر الأرض عـدلاً بعـد أن هُـدمت أركانـــه وتـــساوى البـــاز بـــالرخم[1]

إضرب عـداك بـسيفٍ غـير منـثلم[2] وجـــدهم بطعـــام غـــير منـــثلم

وفي هذه المدة بلغ الإمام عليه السلام رجوع أحسن أديب باشا من حجة إلى الحديـدة، فعلم أن ثم مكيدة، فكان الإمام عليه السلام يكتب إلى جميع المجاهـدين في جميـع البلـدان، بحفظ الطرقات وشن الغارات من كل مكان فأعرض أكثرهم لموجبـات واسـباب ولكـل أجل كتاب.

ولما وصل أحسن أديب إلى الحديدة دخل في هيئة رثة، وشدد في الشكاية مما وقـع كتبـاً بالتلغراف أعني السلك، ووقف في الحديدة منتظراً للجواب.

وفي شهر ربيع الأول من هـذه الـسنة تـوفّي الـسيد الأوحـد صـفي الإسـلام وصـارم الصدام أحمد محمد «ق٣٣ب» الشرعي يـوم الجمعـة شـهيداً رضي الله عنـه وأسـكنه أعـلى درجات الجنان، وتلقاه بالرأفة والرحمة والرضـوان، فيالـه مـن جـرح مـا انجـبر، وخطـبٌ ينسكب عنده العبرات والعبر، ومصاب كل مصاب دونه جلل وهدر، وأحفظ فيما قلتـه في مرثيته وقد غاب عن خاطري بعضها وهي:

العـــين في أرق والـــدمع في قلـــق والقلـب في حـرق والـدهر في جـزعِ

لمـوت نجـم المعـالي وابـن نجـدتها غيـث الخليقـة في صـيف ومُرتبـع

---

(١) الباز والرخم: نوع من أنواع الطيور الجارحة من فصيلة النسريات. (المنجد: ص١٥٤، ٢٥٤).

(٢) منثلم: غير مكسور أو به صَدْع.

السيد الورع ابن السيد الورع بن السيد الورع بن السيد الورع

صفي الإسلام ليث الحرب فاتكها سيف الخلافة نجل السيد الشرعي

قد كان يوم الوغا كالألف يحسبه فبعده المجد أضحى غير مجتمع

فالله يرفع في الفردوس رتبته يوم المعاد وينجيه من الفزعِ

وقال القاضي العلامة حسين بن أحمد العرشي ترثية إلى آخرها وهي:

أبالدهر والأيام ياصاح تغترُ وتفتر إن هي صاحبتك وتسترُ

وما أضحكت حتى أرتك نواجذاً فمنها وعنها يصدر الهم والشرُّ

وهل أضحكت يوماً فلم تبكِ بعده ويستأنف اللذات مطعمها المرُّ

فأولها ليل وأبهاجُها دجاً وآخرها فجرُ وأولها عصرُ

وأبناؤها جيْشان ذا طالب لها وذا هاربٌ عنها وكلهم بَرُّ

ومن ينظر الدنيا بعين احتقاره لهان عليه الأمر لو عظم الأمرُ

لكل زمان ملبس لا كملبس وكرب وتفريج وعسر به يسرُ

وما الدين والدنيا رجال بعدهم فواحدهم كلٌ وكلهم القطرُ

وما المجد إلا راية مستوية سيدركها من كان في راية الصبر

متى يبلغن المجد قوم تآخرت سوابقهم عن همَّة العز واغتروا

ولولا الضبا ما كان للعز منبت ولا للعلى المحكي بيبت ولا وكرُ

فهن اللواتي ذكرن معالياً وأبنانا والفكر يتبعه الفكرُ

وهن اللواتي شرد العجم بأسها مشاردهم حتى لقد مسّهم ضُرُ

وما هذه الأيام إلا معارة،(1)

لحا الله ذي الدنيا رمت كل ماجد بأهوالها حتى استبان بها الحقرُ

ومن عجب الأيام والدهر كلّه عجيب وإن أنكرت أمراً فلا نكرُ

أسيف العُلا والمجد أحمد خير من مشى أوديته يا دهر بالقسر يادهرُ

(1) الشطر الثاني من البيت ترك بياضاً.

«ق٣٤أ»

أمثــل الــذي نــادى العُــلا فأجابــه   ســميعاً مطيعــاً يــودع الحــدث القــدرُ

وكم أودعـت أرماحـه المـوت فانقـضت   ليـــالي عـــداه مالهـــا أبـــداً فخـــرُ

وكـــم وقعـــة أســـقاهم الحتـــف كفـــه   كؤســـاً لحتـــى قيـــل ذي وقعـــةٍ بكـــرُ

أبـــاح لهـــم مـــن كفـــه مـــا أبـــادهم   فلـم نـدر أفنـى الكـل أم بعـضهم فـروا

بعـــزم يـــرد العـــزم والعـــزم صـــادق   وحـــزم يـــرد الحـــزم والحـــزم مفـــترُ

وضرب يكـاد الـصخر مـن عظـم وقعـه   ينـادي ألا يـاقوم قـد أسـلم الـصخرُ

ويـــوم كـــأن الفـــتح ليـــل وســـيفه   هـلال يـراه الجـيش والكوكـب الـسمرُ

تطـــاول ميـــدان الـــوغى في ســـمآئه   فـــساعاته في عـــين أعدائـــه شـــهرُ

لـــه ولهـــم في معـــرك الحـــرب عـــادةً   فعادتـــــه كـــــر وعـــــادتهم فـــــرُ

لـــئن مـــات مـــا مـــات مـــآثره التـــي   بناهـــا ولا مـــات العـــلا لا ولا الفخـــرُ

ومـا مـات حتـى مـوت العجـم بأسـه   وافعالـــه فالأســـد في عينـــه حمـــرُ

ولـــو علـــم الـــسهم الـــذي جـاء أنـــه   إليـــه ســـيدنوا مـــا يخـــب ولا ســـيرُ

ولـــو قيـــل هـــاهو ذاك قبـــل اتـــصاله   لـــذاب فـــلا بـــرد لديـــه ولا حـــرُ

جـــلالاً وإكرامـــاً وخوفـــاً وهيبـــةً   ومـــن مثلـــه حتـــى يقـــاس بـــه حـــرُ

ثـــوى إذ ثـــوى لاواهيـــاً في فعالـــه   ولا طايـــشاً كـــلا ولا مـــترف نـــزرُ

فيـــا حبـــذاً روحـــاً إلى الله ســـافرت   وألقــت عــصاها حــين قربهــا الأجــرُ

فيـــا آل طـــه ثـــم آل أحمـــدٍ   ويـــا آل عـــلي أيـــن ضربكـــم الهـــبرُ

فكـم صـولة صـولوا علـيهم وبـادروا   إلـــيهم بـــصدق العـــزام إذ كنـــتم وتـــرُ

أمِـــنْ غـــيركم أمّـــن ســـواكم أخيلهـــا   مـــشمرة تـــسعى المطهمـــةِ الـــشقرُ

وتـــركض بالفتيـــان في كـــل مـــاقط   ويهـــوى فـــلا يتقالبـــا فـــيهم ذكـــرُ

وأيـــن الـــسيوف البـــاترات التـــي   إذا رآهـا عـدو مـات مـن قبـل يـضطر

ألا فـــاضربوهم ضربـــة بعـــد ضربـــة   فـــما لهـــم دار ولا لهـــم قـــصرُ

---

(١) الباقي بياض في الأصل.

ودلــو إلــيهم كــل شــخص مكــرم سـموح فـإن النـصر يتبعـه النـصرُ
ألا ليــت شــعري مــا جــوابي فــإنني بكــم ولكــم أرضــا مــراراً وأحــترُ
وهـــذا أمـــير المـــؤمنين محمـــد ينادي ألا ياقومنا..........[1]
فــدى لكــم يــا آل طــه عــشيرتي وأهــل ودادي بــك ومــا حمــل الــصدرُ
وحمــداً لمولانــا وشــكراً لربنــا وصــبراً لنــا فالحمــد لله والــشكرُ
وصــلى إلهــي كلــما هبّــت الــصبا عــلى المـصطفى الهـادي وماهمَـل القطـرُ
مــع الآل والتــسليم والــيمن كلــه فهــم مفخــر الأيــام والــسادة الغــرُ

«ق٣٤ب» وفي شهر ربيع الأول المذكور خرج أحمد فيضي باشا غائراً[1] على من في اليمن من العجم، وكان مشيراً على مكة فلما بلغه ما وقع في اليمن خرج مسرعاً بمن معه، وكـانوا نحواً من سبعمائة وثمانين بغلة ومدفعين، وكان أحمد فيضي باشا قد تولى اليمن سابقاً فله فيه وفي أهله اختبار، مع إنه كما حكى لي غير واحد من أهل الصناعة في علم الـسحر، وكـذلك ابنه طاهر فإنه في علم (السحر)[2] باهر فلما وصل الحديـدة توجـه نحـو صـنعاء وصـحبته أحسن أديب وأحمد رشدي، فلما وصل مناخة تجمعت القبائل لحربه. وكان خـروج العجـم من مناخة يوم السبت السابع من الشهر المذكور، فباتوا تحت نجد أضرير، وأقـاموا بـه يـوم الأحد، ووقع حرب في نجد أضرير فهرب من فيه مـن العـرب، واسـتولت عليـه العجـم، وأحرقت بعضاً من ورتبوه، وساروا يوم الإثنـين وبـاتوا في مفحـق، وتلقـاهم المجاهـدون ومقدمي الإمام السيد محمد بن أحمد الشامي عافاه الله، ووقـع الحـرب مـن بعـد الظهـر إلى الليل، وثبت الفريقان ومطـرح العجـم قـاع مفحـق والعـرب محـاذون لهـم، وفي الـصباح ارتحلت العجم فتلقتهم المجاهدون المجاهدون وإقتتلوا قتالاً شديداً، ففرت العسكر الـذي من المشرق وثبت أهل البلاد والمقدمي السيد محمـد بـن أحمـد الـشامي ثبـات، ولكـن قـد خالطهم الرعـب، وسـارت العجـم إلى خمـيس مـذيور ولم يقـدر المجاهـدين عـلى ردهـم، فحرقت الأعاجم الخميس وفرّ من فيه.

---

(١) غائراً: يُغير عليه أي يُنجده، غائراً أي قادماً بالنجدة وهي المزيد من العساكر والمدد والذخائر.
(٢) تم إضافة مابين القوسين ليستقيم المعنى.

وقعة بيت الحُسَامْ:

وصفتها أن العجم لما أحرقت الخميس وفر من فيه وقعت المعركة في بيت الحسام وامتد الحرب إلى الليل، وكانت هناك ملحمة عظيمة حتى إنه قال أحمد فيضي أنه لم ير مثل حرب ذلك اليوم وحرب الظفير إلا في جهاد الكفار. وأخبروا أن صبية من أهل بيت الحسام لما رأت العجم قد أحاطوا بالدار ألقت عليهم جداراً من سطح البيت فقتلت من العجم سبعة، وكان عدد القتلى من العجم مايزيد على الستين، ورمت العجم الصبيّة التي ألقت الجدار فقتلوها وإمرأة أخرى، ولم يُقتل غير هاتين المرأتين من العرب. وباتت العجم في الخميس قد بَعُدَت عنهم مطارح العرب، فرتبت العجم الجبل الذي فوق الطريق ليلاً، وأقبلت المجاهدون من أهل البلاد. وفي الصباح تقدمت العجم واشتد الحرب والتحم، حتى أدبر عسكر العجم وانهزم، وخَلفَت خالفة من وراء جبل قملان[1] فما شعر المجاهدون إلا ورمي البنادق من ورائهم كالصواعق، وأحاطوا بهم من أكثر الجهات، فانهزم المجاهدون وكان ذلك من أثر الخداعات. واستشهد أثنى عشر رجلاً في حال الهزيمة، وقُتِل من العجم ثمانون ودَخَلت العجم بيت حصبة قملان، وقد تفرق المجاهدون بكل مكان، وقد خالط أفئدتهم الفشل والخذلان والوهن، فرجع كل واحد إلى بلدِ وما أحسن.

وقعة بيت عذران:

وصفتها أن أحمد فيضي انتقل من بيت حصبة نصف الليل، وقد كثروا بمن انضاف إليهم من الباطنية، فلما وصلوا بيت عذران قبضوا الآكام التي حوله، وأقبلت القبائل فلم يؤثروا شيئاً، وأرسلت العجم المدافع على بيت عذران وفيه نحو أربعين رجُلاً من الأعيان، ثم هجمت العجم فردهم الذي في القرية ثم مازالت العجم يهجمون ويردهم المجاهدون من نصف النهار إلى نصف الليل، وكان فيهم الحاج شريان مرح فلما علموا أنه لاطاقة لهم، وأن جميع من بقى من القبائل قد فروا عنهم «ق٣٥أ» مافيها من الأهل والمال لأنه لم يخرج منها شيئ قبل القتال، ووقع خروجهم من بين مطرح الأعاجم، وما حفظه الله فهو سالم،

---

(١) جبل قملان: في قرية قملان وبها حصن تقع في الطريق بين صنعاء والحديدة، في ناحية بني مطر. (المقحفي: المعجم، ص٥٣٨؛ التعداد: ص٥٥).

وقتل من العرب نحو مازاد على الأربعين واستشهد من المجاهدين الشيخ علي من مشايخ البلاد وامرأة. ودخلت العجم بيت عذران وما شاء الله كان، ودخل أحسن أديب باشا بمن معه صنعاء يوم السبت، وأمست[1] العرب في مذبح وسائر القيعان، فلما كان يوم الأحد إلتحم وخرجت من العجم طايفة وسلكت طريق الجراف وقصدوا مذبح، ولم تزل العرب قلة وتتابعت الهزيمة وأهلها من خلة ذميمة وسجية غير كريمة. وكان في مطرح الجراف السيد علي بن صلاح وصحبته جماعة من أرحب[2] ونهم فلم يزالوا يتسللون، وبلغت خيل العجم إلى قرب الكولة فقتلوا ناصر بن صالح دغيش والسيد محمد بن موسى وجزوا رؤسهما، وحصل في العرب الفشل والوهن مايتعجب منه ذوي الفطن، وتقدمت طائفة من العجم نحو حدة ففر منها الشريف محمد الحتري ومن فيها من الرجال المعدة، وتوجه أحمد فيضي الجراف فرمى بالمدافع فلم يخرج من فيه فتركهم ثم طلع جبل قرعة رمى من هنالك إلى الروضة وأهلها في غفلة لايشعرون. فوقعت أول رصاصة في بيت رجل ففتحت في أعلاه باباً وقرحت داخل المكان[3] فكسرت طاقاته[4] والزجاج ففزع الناس لذلك، ثم تابعوا الرمي بالمدافع إلى الروضة قدر أربع عشر ضربة، وطفق أهل الروضة يشدون أداتهم[5] ويهربون وقت العصر إلى الصبح حتى هرب بعضهم إلى ذيفان، وكان في الروضة عسكر كثير من العرب فما أمسى أحد منهم إلا إلى أهله إنقلب. ثم عاد العجم إلى الجراف فأخذوه بالأعتساف وباتوا فيه، وفي الصبح إحرقوه. وأما أهل الروضة فطلب لهم بعض أهل صنعاء أماناً من العجم فما أصبحوا إلاَّ والبيرق[6] رأس الصومعة[7]، وفي الصباح دخل أحمد

---

(١) أمْستْ: أي باتت ليلها.

(٢) أرْحَبْ: ناحية من نواحي الشمال الشرقي منها من قبائل همدان.

وَنِهْم: من قبائل بكيل شمال شرق صنعاء، وهي ناحية من نواحي صنعاء. (الحجري، ج١، ص٦٤،٧٤٦؛ التعداد: ص٩٣، ص١٤٧) .

(٣) المكان: أي الغرفة جمعها أمكنة وهي عامية.

(٤) طاقاته: النوافذ، الطاقة النافذة (عامية) .

(٥) أداتهم: أي الملابس والمحتاجات (عامية) .

(٦) البيرق: العَلَمْ.

(٧) الصومعة: المأذنة.

فيضي بمن معه وأصبحت الأسعار فيها مرتفعة، واستحلوا حرمة الجامع وأدخلوا فيه البغال والمزامير، وماهذا منهم بأول نكير بل في طبايعهم القبايح وكراهة كل عمل صالح. وأما دار الحيد فماقد تعرضت لهم العجم بكيد إلاَّ أن العرب مابلغ أحد خبر إلاَّ هرب، فصاروا يذهبون رجلاً رجلاً وقد ذهب عقولهم خوفاً ووجلاً، وفي اليوم الثاني ووصول أحمد فيضي الروضة خرج جَدِرْ(١) فرماه بالمدافع وكان أهله قد فروا منه هم ومن هنالك من العسكر فدخلها العجم وأحرقوا بعض بيوتهم.

وقعة الحاوري:

وصفتها أن العجم في اليوم الثاني قد قصدوا الحاوري وفيه الشيخ المجاهد يحيى بن يحيى دودة باق فيه بعد عزمه من جَدِرْ، فتلقاهم الشيخ يحيى ومن معه بالحرب من الصبح إلى الليل وتكوَّن(٢) الشيخ يحيى بن يحيى دودة كوناً خفيفاً وجماعة من أصحابه مكاوين ولم يقتل منهم أحداً، ومن العجم قدر أربعين. ولقد أخبرنا الشيخ يحيى بن يحيى دودة أنه رمى بالمرت(٣) وحُرقت اللحفة والقميص(٤) وليست في الجلد، وقد خرجت إلى جيبه وهذه من الغرائب. ولما علموا أن البيوت قد تهدمت من رمي المدافع خرج الشيخ يحيى بمن معه في الليل وقدرهم مائة وخمسين، وقدر العجم أربعة آلاف، ورجع أحمد فيضي بمن معه بصنعاء وأنفذ علي باشا إلى بلاد حبور كما سيأتي. ثم خرج أحمد فيضي إلى الجرداء ففرت القبائل ولم يبقى إلاَّ القليل، فرموهم بالمدافع من الظهر إلى الليل، فلما علم من في الجرداء أنه لاطاقة لهم خرجوا «ق٣٥ب» في الليل، فلما أصبحت العجم ضربوها بالمدافع ثم دخلوها وأخذوا مافيها من الحبوب وأحرقوها. وفي ذلك اليوم خرج سيدي عز الإسلام من دار سالم المسمى دار الحيد خوفاً من أن يصيبهم من الأعاجم كيد، ثم أنه تقدم فيضي على دار سالم

---

(١) جَدِرْ: قرية في ناحية بني الحارث شمال شرق صنعاء وهي جدر العليا وجدر السفلى. (المقحفي: المعجم، ص١٢٧؛ التعداد: ص٥).

(٢) تكوَّن: أي جُرح (عامية) وسوف تتكرر كثيراً فيما سيأتي من المتن. كَوْنَاً: جَرحاً.

(٣) المِرْت: نوع من البنادق وهي اختصار للمارتيني، وتبلغ ضعف البنادق الشيشخانية، ومرماها ضعف البنادق العربية. (عبدالله محيرز: الآداب المحققة، ص٤٧).

(٤) اللحفة والقميص: من الأزياء اليمنية الرجالية، فاللحفة مثل الشال ولكن أكبر حجماً وتوضع على الكتف، أما القميص فهو ثوب واسع ذو أكمام واسعة يلبسه الرجال اليمنيون كزي شعبي.

فلم يلقى فيها أحداً من الأوادم فأخذ مافيها من الحبوب التي طلعت من ذمار ويـريم، ثـم أحرق بعد ذلك بعضها بالنار، ثم تقدم إلى دار سالم فوقع ممن فيها حرب يسير ودخـل فيهـا العجم ليلاً فأحرقوها، ثم تقدموا إلى جوب[1] وكـان فيهـا الـصوفي وجماعـة فوقـع الحـرب بينهم، وقتل من العجم جماعة وسلبت منهم ثنتين[2] بنادق ثم خرجوا منه، وأما عز الإسلام فإنه خرج غَيْمان[3] واستدعى بني بهلول.

وفي هذه المدة وصل السيد أحمد بن قاسم حجر من يريم وذمار قـافلاً بالأسـاري الـذي من العجم، ولما علم بانهزام العرب أوثقهم بالحديد المحكم وسار بهم حتى أوردهـم المقـام المكرم، بما أنضاف إليهم من الأثاث والسلاح والخدم.

وفي هذه المدة أيضاً كان فتح قصبة الحسوي في بيت عذاقة وفيها سبع وعشرون أمير هم علي علوي كما تقدم، وكان صفة خروجهم أنه لما خرج من قصبة الـسوق سـعد يُـسر عَـيَّرَهُ علي علوي فشددوا عليه الحصار وجعلوا يحفرون الحفاير. وكان الشيخ غالب عليّـان يأتيـه ليلاً طالباً للصلح في الظاهر وإرادة علي علوي الغدر به، وكان يظهـر لـه البِشْر فلـما عـزم علوي على قتله ذات ليلة، ففطن لذلك الشيخ غالب فأثبت له بخمسة عشر رجـلاً، وأقبـل علوي بخمسة من العجم فقرع الباب ودخل بمـن معـه فطلـع عليـه وخـرج الكـامِنون[4] فقبضوا علوي ومن معه، وحاولـه المجاهـدون أن ينـادي مـن في القـصبة بـالخروج فـأبى فعذبوه حتى ناداهم، فخرجوا وأوصلهم الجميع إلى حضرة الإمام عليه السلام.

وقال القاضي العلامة حسين بن أحمد العرشي في ذلك شعراً:

ألا هـل أتـى الأعـراب في نـاي دارهـا	عمومـاً وأهـل المـروتين وزمـزم
وإن كنـت قـد حـصنت قومـاً فـإنما	أخـص مـن الأعـراب أهـل يلملـم
مجالـدنا عـن ديننـا كـل مُعتـدٍ	ومبتـدع في دينـه مـترنم

(١) جوب: قرية في البون ناحية ريدة، جوب قرية من ناحية بني بهلول، وكلاهما بـالقرب مـن صـنعاء. (الحجـري: المجموع، ج١، ص١٩٤) .

(٢) ثنتين: عامية أي اثنان.

(٣) غَيْمانْ: قرية مشهورة في بني بهلول شرق صنعاء، فيها قبور ملوك حميَّر. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٦٢٧) .

(٤) الكامِنون: المختبئون.

غداة احتملنا للقتال يقودنا إلى الموت قواد الخميس العرمرم

إمام له الأخبار باليُمن أشرقت على العجم في سوق النفاق المتمم

يُعاد إليه الناس شرقاً ومغرباً ويتنال عليّاه وراكل محرَّمٍ

وينبيك والأخبار عنه خفيةً مكارم إن قل أهل التكرم

وما الناس إلا اثنان فيه فمبغض سيسقيه من كاساته كأس علقم

وذو خِلة قد فجج العسر سيلها حباه فسواه بأهل التنعم

ولما دعى الأعراب قامت وألفت غمامتها فاستفتحت كل مُبهَمِ

«ق٣٦أ»

بكل كميت يلتقي الموت باسماً له أهبة في طيّها روح ضيغم

وكل حسامٍ أخلص الصقل لونه يحدثنا عن حي عادٍ وجُرْهم

وقومٌ لهم فعل الرماة سجيةً إذا كان أفعال العُدا والتعلمِ

قبائل من حي بكيل وحاشد مطاعنة بهم الوغا والتقدم

ومن مذحج العلب الكرام بأنفسٍ معودة ضرب الكمي المُجمجَمْ

ومن كيده الأبطال كل مقاتل كريم يلاقي الجيش غير مذمم

ومن حمير الشُم المطاعين عصبة مراجحة من عبد شمس ويقدم

سلوا مفحقا أعنى على العجم عصمةً أم انقطعت عنهم حبال التعصم

بلى قد رمته العرب فانقاد طائعاً ولن يلف للأتراك غير الذي هُمِ

ويوم له الذكر يستوجب الثنا ويستلزم الأعراب من كل ملزمِ

ويوم استغار الجيش بيت عذاقة فأبوا برضوان وغفران منهم

ثمانين لانصف الثمانين غُودروا أساري هم ماين عربُ وأعجم

وقد سَلَموا ماكان في حصن عنوةً وساء بهم أمر الحديث المقدَّم

وفي كل يومِ وقعة بعد وقعةٍ وفي كل حين مغنماً بعد مغنم

---

(١) ناقص في الأصل.

(٢) ناقص في الأصل.

تركنا نساء الترك يبكين حولهم حزاناً عليهم بين بكر وأيِّمِ

وذلك أن العرب لما تنمرت متابعة نجل النبي المكرَّم

وعن أمره لاعن سواه نؤمهم ونتركهم في بلقع من جهنم

إمام بني الزهراء وشمس ازدهائهم ومفخرهم في العلم لافي التعلّم

ومولى جميع الناس إحسانه الذي أفاض على كل العباد بأنعم

ويحتار وصف المادح الوصف وصفه فلم يدر ماقال عند التكلم

ويوليك إحساناً ويقريك طيباً ويعليك في مرقا من العز منتم

وكم يسمحن اليوم من بعده قدره ويغفر من ذنبٍ عظيم معظمِ

وكم من أسير بات وهو منعَّمٌ وكان يظن الموت في طي مقدم

فلا خلق إلا ماكان قديمه وأدركها المولود عند التقسم

وأوصاف خير الخلق علماً وحكمةً منقلة في مستمٍ بعد مستمِ

ومن حيدر الضرب المبيد وراثة توارثها في كل يوم متمُّم

فدعني في علاك مشيّد.....[1] أضن به ظن الحبيب المتيَّم

وإن كنت قد قصرت فالقصر عادة لمثلي كان العفو....[2]

«ق٣٦ب»

وفي آل طه المصطفى سيد الورى وسيلتنا عند القيام المعظِم

فصل عليهم والسلام فإنهم هداة وهم أهل المقام المحرَّمِ

وبخلال هذه المدة خرج علي باشا بعسكر كثير للغارة على المحاضرين في كوكبان وبيت عذاقة، وكان طريقه على شبام ومرامة الطويلة لأن قد صارت بحوزة الإمام عليه السلام فتلقاه الشريف علي الجندبي ومن معه، ووقع الحرب في قاع الضلع ومنعوا العجم عن الدخول، فلما كان الليل ارتحل ولم يعد به أحد حتى بلغ الهرة فرمى بالمدافع ففر من فيه، وعزم من هنية الطويلة فهرب المجاهدون، فدخلها ورتبها ولم يلقى أحداً بها، ثم سار حتى وصل بيت عذاقة فوجد من فيه قد استلموا[1] وأُسروا، فرتب بيت الفقيه صالح وبيت

---

(١) قد تكون استسلموا.

سريح. وعزمت طايفة من العجم طريق ثلاء، وكان الإمام حفظه الله قد وجَّه إليه السسيد أحمد بن عبدالرحمن بن هاشم وأمره بـأن يـشحن الحـصن بالرجـال والـزاد، فلـما وصـلت الأعاجم فرَ، فاستولت العجم عـلى الحـصن ورتبـوه وعزمـت طايفـة مـن العجـم فرتبـوا بيت علمان.

وقعة نَجْرِة[1] :

وهذه هي الوقعة الثانية، وصفتها أنه لما بلغ من في حجة من العجم أن علي باشا وصل الطويلة، كتبوا إليه أنه سيخرج منهم عسكر وهو أعنى علي باشا يمدهم بعـسكر فيملكـون ما بين القريتين، فاتفق المجاهدون بالرسول والكتاب فعرفوا ما يريده الأعاجم ولم يعلم من في حجه من العجم بأن العرب قد أخذوا المكتوب، فخرجـوا عـلى الوعـد المـضروب وقـد تأهبت المجاهدون لهذا اليوم، فأقبلت العجم وتلقتهم المجاهدون، ووقـع الحـرب في بيـت صولان[2] ، وجاءت فرقة أخرى من العجم واشتد الحرب والـتحم فهربـت العجـم حتـى وصلوا إلى مطرحهم، وقتل مـنهم اثنـين وثلاثـون غـير الأسـارى وغنمـوا مـنهم إحـدى عشر بندقاً[3] .

---

(١) نجرة: ناحية في محافظة حجة. (التعداد: ص٢٦) .

(٢) صولان: لم أجدها في المصادر التي بين يدي، وقد تكون قرية "صرمان" وهي تابعة لناحية نجرة، محافظة حجة. (التعداد: ص٢٧) .

(٣) وردت في المخطوطة (ب) "رجلاً" والأصح هو بندقاً كما يتضح من السياق.

ذكر وقعة الشرف[1] :

وفي هذه المدة كانت الوقعة في الشرف، وذلك أن من فيه من الأعاجم تقدموا يريدون القتال فالتقتهم المجاهدون ووقع حرب عظيم حتى فرت العجم وتبعتهم المجاهدون إلى مطرحهم، وقتلوا منهم نحو الأربعين. وفي هذه المدة رتب علي باشا بيت عذاقة وجبل مسور، ووصلت إليه الأخبار أنها عادت الأنصار إلى حصار صنعاء، فترك في الطويلة أربعمائة نفر ورجع متوجهاً صنعاء، فخرجوا بعدها للأسر والإستسلام وأوصلوهم حضرة الإمام عليه السلام حتى ضاقت قرية المدان عن الأسارى فتضرر أهلها، فبعث الإمام عليه السلام منهم جماعة إلى صعدة. ثم أن العجم أمَّنوا من هرب من العرب في الأحواز[2] ، فتراجع أكثر الناس ثم خرجت العجم على يد عز الإسلام إلى غيمان، فأرسلوا عليها المدافع وكان خروجهم هنالك فجر يوم الإثنين، وانتهى الحرب إلى الليل، وأحاطت العجم بغيمان من جميع الجهات، وتحاوز العرب في بقاهم أو الخروج واستقر رأيهم في نصف الليل على الخروج، وكانت المدافع قد أخربت الجدار التي حول الباب وبعد مشقة افتتح الباب فخرجوا من بين مطارح العجم بجميع دوابهم، وكان العجم يعلمون تغاضياً[3] ، هكذا

---

(١) الشرَفْ: ناحية كبيرة في حجور وتسمى كحلان الشرف تابعة لمحافظة حجة. والمقحفي يذكرها باسم شرف حجة وهي جبل واسع شمال غرب حجة. وتتبعها العديد من العزل والقرى. والشرف اسم مشترك للعديد من القريوالمناطق منها:

حصن الشرف في وصاب السافل يسمى المصباح.

حصن الشرف في جبل الضامر من بلاد القحرى في باجل.

الشرف قرية في جبل ملحان في المحويت.

الشرف عزلة من ساقين في خولان.

الشرف قرية في المعافر ناحية الصلو.

الشرف قرية في الحيمة الداخلية.

الشرف حصن وقرية في حراز.

الشرف عزلة في ناحية المخادر في إب.

وشرف حاتم عزلة في شلف في بلاد العدين.

والشرف قلعة حصينة قرب زبيد.

وشرف البياض في بلاد صعدة. والشرف جبلان بالقرب من زبيد. (المقحفي: المعجم، ص٣٦٠؛ الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٥٠؛ التعداد: ص١٥٢ محافظة حجة) .

(٢) الأحواز القرى المحيطة بصنعاء، والمقصود به هنا الحصار الذي أحيطت به صنعاء من كل الجهات التي حولها.

(٣) تغاضياً: أي تعمدوا غض الطرف وكأنهم لايرونهم.

أخبروني من «ق٣٧أ» حضر الوقعة ممن أثق بهم. وعزم سيف الإسلام جبل اللوز[١] وتقدمت العجم في اليوم الثاني حتى بلغوا جوب[٢]، فوقع بينهم وبين القبائل الحرب، ثم رجعوا غيمان فأحرقوه ورجعوا صنعاء. وفيها عزم أحمد فيضي بعسكر عظيم قاصداً إلى ذمار ويريم فلما وصل ذمار فرّ أهلها أشد الفرار، ولم يبق منهم ديّار إلا نحو أربعين نفراً، فأمن الناس وأظهر العفو عما وقع منهم وأرسل الشيخ علي البليلي ومصطفى نافذ ومن معهم من العساكر إلى يريم، فوجدوا أهلها قد فرّوا ولم يبق إلا اليسير، وتلقاهم المشايخ وأعلنوا بالأمان، والعفو عن كل جان، وأما عُمال الإمام ففروا من كل مقام من ذمار ويريم وإب وقعطبة، وممن قتل في حصار إب سيف غالب الدعيس[٣]، ولما تفرقت تلك الجموع، وخفض من أعلاها كل مرفوع، واشتد الخطب على العرب، وأيقنوا بالهلاك والعطب، وما علموا أن لكل شيء سبب، وأن الله إنما أراهم أنه العظيم القادر على سلب الممالك وأن كثرة العدد والذخاير لايعني شيئاً إذا أراد الملك القاهر، وأنه لايغتر أحد بعظم سلكانه، فإن الجميع يحسب تفضله وحكمته وأمتنانه لكنه سبحانه لما امتن على العرب برفع هذه الطايفة لينظر كيف يعملون، فبادروه بالمخالفة ونسوا سنة الله في الأمم السالفة، وأن يوم المخالفة والعصيان، تعود العقوبة والإمتحان. كما نطق بذلك محكم القرآن، وتفكر أيها الإنسان في صدر سورة سبحان[٤]، فإنما ولاية العجم، إنما هي عقوبة لما سبق من الذنوب وتقدم، فإن القبائل في اليمن أضرموا نار الفتن، وصار كل واحد يدَّعي إنه الأمين المؤتمن، وأكلوا أموال الله، وخالفوا آل بيت رسول الله، وصارت الدولة في اليمن للعسكر فأعلنوا بكل منكر، وأثاروا كل شر، فلما لم تؤد العرب شكر هذا الإحسان، ولاعرفت قدر هذا الإمتنان، بل لما استخلفهم الله أفسدوا في الأرض وأضاعوا النوافل والفرض، ولم يحاسبوا نفوسهم قبل الحساب والعرض، سلبوا هذه النعمة، وكل أفعاله سبحانه، لاتخلو عن خلة. ولقد رأينا مرات وشاهدنا كرات فوجدنا كل من خالف رسم إمام الزمان لابد أن يبتلي بالخذلان ويسلب التوفيق، ويرمى بالإمتحان، ومن صدق في نيَّاته وأفعاله وأقواله وتابع الإمام فيما

(١) جبل اللوز: من جبال خولان الطيال في بني سحام من قراه تنعم وشاحك. (المقحفي: المعجم، ص٥٧٢).

(٢) جوب: قرية في ناحية بني بهلول، صنعاء. (الحجري: المجموع، ج١، ص١٩٤).

(٣) في المخطوطة (ب) يضيف ومحمد بن غالب الدعيس.

(٤) سورة سبحان: المقصود بها سورة الإسراء.

يأمر به، فإنه لابد يبلغ مرامه من النصر، ولو اجتمع عليه أهل العصر وحسبك في فضل الصدق إن الله مع الصادقين. ومن كان الله معه فحقيق أن ينصره الله ويرفعه ويكفي في شؤم المخالفة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدَ مَآ أَرَاكُم مَّا تُحِبُّون مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الأَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤمِنِينَ﴾ [1] فالابتلاء سببه المخالفة، فليبك كل مخالف على مامضى في أيامه السالفة، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب شديد، فاستيقضوا عباد الله فما هي من الضالمين ببعيد.

وفي هذه المدة بعث الإمام عليه السلام صفي الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين إلى بلاد أرحب لما بلغه ماوقع من الفشل والغلب، ولقد سمعنا الإمام يتبرى ويتبرم من أفعال العرب «ق٣٧ب» في أحواز صنعاء، وأنهم لم يحسنوا في ذلك صُنعاً، وإنما وقع من الخذلان كان بسبب المخالفة والعصيان، كما ذلك سنة الله في جميع الأزمان. وحين وصل صفي الإسلام[2] حفظه الله إلى أرحب جمع القبائل، وبلَّغ الرسائل، وأدى ماوجب، وكنت برفقته في هذه السفرة من حين خروجه من الحضرة بإشارة من الإمام عليه السلام ونعم الصاحب لم أزل أشكر برّه، ولما رأى من الناس الفشل والملل فأنشإ هذه الرسالة ونعم مافعل.

ولفظ الرسالة: يقول الراجي عفو الله والداعي إلى نصرة أمير المؤمنين المنصور بالله، أحمد بن قاسم وفقه الله، وما النصر إلا من عند الله وبعد، فإني لما رأيت شقاشق النفاق قد هدرت، وسلع الظلم في سوق النفاق قد نُفقت، ورايات الجهاد مع الإئمة قد سَكَنتْ، وطبول جنود الحق قد وقفت، وزحف الظالمون في المسلمين بإرعاد وإبراق. وقام أهل الدنيا لفساد الدين على قدم وساق، قلت مستنجداً للعصابة الزيدية، ومادحاً للفرقة الشيعية عسى أن الله يوجد لنا عصابة للحق نافعة، ولما يريده الظالمون مانعة.

تخاذل أهل الدين عن نصر دينهم ... وأجمع أهل المنكرات عن النكرِ

(١) سورة آل عمران، آية رقم (١٥٢).

(٢) المقصود به أحمد بن قاسم حميد الدين.

وشـــدتهم في النائبـــات وصـــبرهم ... عـلى البـؤس والـضراء والقتـل والأسر

عـــلى قلـــة في ديـــنهم ورجـــالهم ... وبعــد مــن الأوطــان بــالبَّر والبحــر

لقــد أظهــروا تَيهــاً عــلى كــل مــسلم ... وعُجبــاً عــلى عُجـبٌ وكـبراً عـلى كـبر

فللــه مــافي القلــب مــن لوعــة الأسـى ... ومــن حرقــه بـين الجـوانح والـصدر

فــأين حمــاة الــدين مــن آل أحمــد ... وشـيعتهم أهــل الفــضائل والــذكر

وأيــن أسـود الحـرب مـن آل حيـدر ... وأبنــاء قحطــان الجحاجحــة الغــر

وأيــن رجـال الـصبر في كـل عـازب ... ومــن بطــل منــه ومــن عــالمٍ حــبر

وأيــن رجـال الغـزو مـن شـم أرحـب ... وأيـن رجـال الطعـن مـن حاشـد الزهـرِ

هــم البــاذلون الـنفس في كـل موقـفٍ ... لكــسب المعــالي والمحامــد والــذكر

كـذاك ليـوث الحـرب سـفيان الـذي ... قــد ذهبــوا بالمجــد والعــز والفخــر

وأيــن رجــال العــز مــن نهــم والأولَى ... بهــم عــز ديــن الله في الــسر والجهــر

وأيــن رجـال الـصبر همـدان مـن لهـم ... مقـام اجتهـاد واضـح الحـال والقـدر

وأيــن جُمــاع[1] العـز مـن نـسل حـارث ... ومن نجل قحطـان حـشيش مـع الجـبر[2]

ألا أيـــن بـــستان الفواضـــل والنهـــى ... ألا أيـــن ســـنحان وبهلولنـــا الغُـــر

وأيــن بنــو خــولان إذ طــال ذكــرهم ... كـــذاك الحـــداء والـــروس (.....)[3]

وأيــن خيــار النــاس شـيعة جــدنا ... ذوي الـصبر في البأسـاء واليـسر والعسر

ألا بـــايع في طاعـــة الله نفـــسه ... فيحرزهــا مــن قبــل حادثــة الــدهر

«ق٣٨أ»

ألا خــائف مــن غــضبة الله زاهــد ... لنــار تلظـــى بالـــشرار وبـــالجمرِ

ألا بـــايع دار الغـــرور بجنـــةٍ ... روايحهــا بــشرى وأنهارهــا تجــري

---

(١) جماع: قد يكون المقصود به قبائل بني جُمَاعَة وهم من قبائل خولان في محافظة صعدة. (الحجري: المجموع، ج١، ص١٩١).

(٢) بني الحارث وبني حشيش وبني جبر وبلاد البستان وسنحان وبني بهلول والحدا وبلاد الروس، كلها أسماء مناطق يمنية بالقرب من صنعاء.

(٣) بياض في الأصل.

فيــا معـــشر الإســـلام مـــالي أراكـــم غفـولاً عـن الفـضل المـضاعف والأجـرِ
ألم يـــأن أن تستيقـــضوا مـــن منـــامكم فقد بـان جـنح الليـل عـن شـفق الفجـرِ
ألا فاســـتجيبوا داعـــي الله إن دعـــا فأسـمع ذا سـمع ومـن كـان ذا وقـر
ألم تـــسمعوا ماجـــاء في كتـــب ربكـــم مـن الـوعظ والتـذكير لمـن كـان ذا فكـرِ
ألم تـسمعو ماجـاء في العجـب والـذي تـولى فـراراً مـن وعيـد ومـن رجـزِ
كـــأنكم لم تخـــبروا عـــن نبـــيكم ولم تقـــرأوا ماجـــاء في محكـــم الـــذِكرِ
أمنـــتم عقـــاب المـــذنبين جهالـــةً ولم تعلمـــوا أن العـــذاب لهـــم يجـــري
ألـــيس إمـــام الحـــق بـــين ظهـــوركم ينـــادي ويـــدعو بالجهـــاد وبـــالنفرِ
أفي فـــضله شـــك أفيـــه تـــردد فمن شك فيـه شـك في الـشمس والبـدرِ
فمـــن كإمـــام العـــصر أو هـــو كـــائن نظـير لـه في العلـمِ والحلـمِ والـصبرِ
عكفـــتم عـــلى دنيـــاكم وإمـــامكم يجاهـــد أربـــاب الـــضلالةِ والكفـــرِ
حِراصـــاً عـــلى أرواحكـــم وبنـــيكم شُحاحاً وشح الـنفس مـن أعظـم الـوزرِ
خـلى عـصبة مـن حـول حجـة صـابروا عـلى البـؤس والـضراء والعسر واليـسرِ
كـذاك ليـوث المجـدِ مـن شرفِ العُـلا وسـادات شـاهِلهم أسـود بنـي الطهـر
كـذلك أهـل الـصبر مـن حـول مـسور وأهـل ديـار الغـرب إلى مركـز العـزِّ
بنـو مطـرٍ لا تـنس ياصـاح ذكـرهم كـذا آنـس الغـراء في جهـة الـدهرِ
تواصـوا عـلى نـصر الإمـام وجاهـدوا على الـدين واختـاروا الوفـاء عـلى الغـدر
فيهنـــيهم مـــا أحـــرزوه فـــضيلةً ومـن شرفٍ يعلـو عـلى عـالي النـسرِ
كذاك ليـوث الحـرب مـن سـار نحـوهم من الشيعة الأخيـار مـن ذكـرهم فخـري
فهـلا سـعيتم أيهـا النـاس سـعيهم إلى نـصرة المـولى بـالمرت والـصفر
وبالـشاشخان الـسود ذات معـابر لهـا آلـة في الجـو تـذهب بـالعمرِ
فـلا تبخلـوا بالمـال والـنفس واشـتروا قـصوراً ولـذاتٍ بـذا الثمـر النـزرِ
ولا تتركـوا المـولى يجـود بنفـسه أتثـاقلوا مـن غـير شـغل ولا غـدرِ
أفي الـدين أن يبقـى إمـام بنفـسه وحيـداً ومـا مـنكم معـين عـلى أمـرِ

ولاتبخلـوا بالمـال عنـه وقـد سـخى بمهجتـه والـروح أغـلى مـن الـدرِ

«ق٣٨ب»

أنيبـوا أنيبـوا قبـل أن تمطـر السـما علـيكم بـأنواع المـصايب والفقـرِ

وتنتـزع الأرواح والمـال عـنكمُ علانيـةً مـن غـير شـكٍ ولا أجـرِ

بخلـتم عـلى الله الكـريم برزقـه ولم تجـزوا البـاري بحمـدٍ ولا شُـكرِ

كـأنكمُ المـالكون لـذاتكم وأرزاقكـم مـن عنـد أنفـسكم تجـرى

ألم تعلمـوا كـم مـن صـحيح مُـنعّم أتتـه المنايـا بغتـةً حيـث لا يـدري

وكـم تاعـب في ليلـه ونهـاره يريـد الغنـى والفقـر في سـيره يجـري

فهـل تايـب مـن ذنبـه ومراجـع إلى ربـه قبـل المـصير إلى القـبرِ

ونـسأل رب العـرش في كـل حالـةٍ يمـدُ إمـام العـصر بـالفتح والنـصرِ

بجـاه رسـول الله أكـرم خلقـهِ وآل رسـول الله خـير بنـي الـدهرِ

علـيهم سـلام الله ثـم صـلاته ومـا دام وعـد الله بـالفتحِ والنـصرِ

ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنو به، يغفر لكم من ذنـوبكم ويجـركم مـن عـذاب ألـيم، أجيبوا داعي إمامكم، ولبوا الصوت مناديه فيكم، وابتغـوا هـاديكم الـذاب عـن ديـنكم ودنياكم، إمام شرى مهجته بالجنة، وبيّن ماكان أجداده سَنَّهُ، ولم يـزل عـلى الكتـاب يقاتـل الظالمين والأظنة، فإن أجبتموه حملكم على واضح المحجَّـة، وأبـان لكـم الـدليل الواضـح الحجَّة، فلا تضربوا عن نصرته صفحاً، ولا تطروا عـن إجابتـه كـشحا، **وَمَـن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ الله فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءَ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ** [1] ولا تميل بكم الأهواء، ولا تفترق بكم الآراء، ولا تغرنكم الحياة الدنيا، فـإن زينتهـا تـزول وتفنى، والذكر شيء فيها يدوم ويبقى. أما الآمـال فيهـا كالـسراب، والأمـاني فيهـا ككيـل التراب، حلالها حساب، وحرامها عقاب، وعمارتها إلى خراب، ويتوب الله عـلى مـن تـاب، وليست الدنيا نافعة إلا لمن عمل فيها صالحاً وأناب، اعتبروا عباد الله عمن قد سلف قبلكم فإنما أنتم حثالة بعدهم، من مات منهم سعيداً ذُكر بـالخيرات إلى يـوم القيامـة، ومـن مـات

(١) سورة الأحقاف، أية رقم (٣٢) .

شقياً لَعَنهُ الناس إلى يوم الندامة، فشَّمروا للجهاد بالجد والاجتهاد، فإنه أفضل الأعمال عند رب العباد وأفضلها بالعقبى وفي المعاد، قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِالله وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِلِ الله بِأَمْوالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [1] . وقال تعالى ﴿إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوالَهم﴾ [2] وقال صلى الله عليه وآله وسلم «لغزوةٍ أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها انفروا خفافاً وثقالاً» [3] . وأقبلوا إلى طاعة إمامكم إرسالاً إرسالاً، ممتثلين ما ألزمكم ربكم تعالى مُنتقمين من عدوكم لله بما عصاه، ناعشين لدينكم الذي قد أماته البغاة موضحين من مذهبهم ما طمَّه الظالمون، ومستحجين بما صنعوه من الأعمال الخبيثة وأنتم بها عالمون، قاتلوهم فأنتم حزب الله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ الله وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [4] وأنتم إن شاء الله أنجد منهم، وأصبر وأشرف وأفخر «ق٣٩أ» أنتم العرب الغُرباء، وهم الأعاجم النكبا، هم أذل منكم وأحقر، وإن كانوا في عدتهم أكثر وأوفر، وهم الذين قاتلتموهم بالأمس، وأَمِلْتُوا [5] القيود منهم والحبس.

وفي هذه المدة تقدمت العجم من مدينة تعز إلى حصون الأخطور [6] ، ونقيل المحرس [7]، وفيها جماعة من آل دمّاج، وأحمد بن قايد وجماعه من ذو غيلان فوقع الحرب بينهم في الموضعين، حتى أسفر الصبح لذوعينين. وقُتل من العجم نحواً من المائة على ماقيل،

---

(١) سورة الصف، آية رقم(١١) .

(٢) سورة التوبة، آية رقم(١١) وتكملتها: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ الله فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

(٣) ورد مع بعض الاختلاف في الألفاظ وزيادة، في كتاب الهندي: كنز العمال، المجلد الرابع، ص٣٠٤.

(٤) سورة المائده، آية رقم ٥٦.

(٥) أملتوا: من ملأ، والمقصود أن السجون صارت مُكتظة بهم.

(٦) حصون الأخطور: الأخطور قرية في عزلة الرافع، ناحية السياني، محافظة إب. والمقصود بالحصون هو مدى ما تتميز به هذه المنازل من قوة ومنعة كالحصون وخاصة إذا كانت على مرتفع من الجبل. (التعداد: ص١٣٣) .

(٧) نقيل المحرس: فوق قرية السياني، وأعلى من وادي نخلان مابين إب ومدينة تعز. (الحجري: المجموع،ج٤،ص٦٩٠) .

وَتكوَّن الشيخ علي بن عبدالله بن سعيد وأخذت العجم الحصنين وقصدوا الشيخ سعيد بن غالب الدعيس فأحرقوا بيوته ولم يقع بينه وبينهم حِرَابة[1].

وفي هذه المدة قصد جماعة من العجم مدينة قعطبة ثم عزموا من هناك مخلاف الشعيبي[2] يريدون تصليحه للشيخ ناصر مثنى البسيس، فالتقتهم القبائل، وقع بينهم حرب هايل، قتل فيه من العجم كثير وانهزموا حتى وصلوا قعطبة.

وفي هذه المدة تقدم الشيخ محمد بن عبدالله الزبير من مشايخ الشعر[3] وله عسكر من العرب، ومقصده يُصَفْى الرعية للعجم فتلقاه أهل العود[4] والشعر فوقع الحرب بينهم، وقُتِل الزبير وقَتَلوا بِه، وهرب من معه ونهب أهل العود والشعر ما جمعه.

وفي الشهر المذكور سار الشيخ علي بن أحسن الصنعاني وصحبته جماعة من العجم والعرب حتى وصلوا بعدان والمنار[5] ووقع الحرب يبنهم وبين أهل المحل، فَقُتِلَ من العجم نحو ستة وأسروا ابن أحمد صالح ابن الشيخ علي بن أحسن الصنعاني، فرجعت العجم إلى أصحابهم في إب، فخرج إسماعيل باشا، والشيخ علي بن عبدالله سعيد ومن معهما، فوقع الحرب فيما بينهم ووقع القتل من الفريقين، وإستفاضوا على المحلات وأحرقوا بعضها وعادو إلى إب. وقد كان دخل الشيخ محمد بن سعيد غالب الدعيس عند العجم رُكُوناً إلى ما أظهروا وأعلنوا من التأمينات التي كتبوا بها إليه وإلى غيره فحبسوه وبعد مدة أطلقوه.

---

(١) حِرَابْة: الحرابه أي الحرب والمقصود لم تقم بينهم وبينه أي نوع من المقاومة أو الحرب. (عامية)

(٢) مخلاف الشعيبي: هو عزلتان من ناحية السبرة في ذي سفال، محافظة إب، هما الشعيبي العليا، وبلاد الشعيبي السفلى (المقحفي: المعجم، ص٣٦٩، التعداد: ص١٤٥، ١٥٤).

(٣) الشعر: ناحية مشهورة في محافظة إب تشمل العديد من العزل والقرى (الحجري:المجموع، ج٣،ص٤٥٤، التعداد: ص٢٤٠).

(٤) العود: مخلاف واسع من ناحية النادرة. (الحجري: المجموع، ج٣، ٦١٨).

(٥) المنار: عزلة في ناحية بعدان جنوب يريم وتتبعها العديد من القرى وأغلبها قرى أثرية، من أهمها الجبجب، ذي حيفان، حيضان، وبيت هريش، ومدين، وعقد، وثاولة من أهم المناطق الأثرية من أهمها السد الحميَّري "عتَّار"، وفي أعلى المنار يوجد حصن نُحتت طريقه في عرض الجبل ويوجد في الحصن مخازن للمياة نُحتت أيضاً في أصل الحجر. وفي اليمن يوجد الكثير من الجبال المسماه بالمنار مثل منار آنس، ومنار ريمة، وقد قيل إنها كانت توقد في أعلاها النار، إذا أراد أحد ملوك اليمن اجتماع القبائل من نواحي اليمن إليه، فتسارع تلك القبائل بالاستجابة. (المقحفي: المعجم، ص٦٦٢، الحجري: المجموع،ج٤، ٧١٩)

وفي جمادى الأخره تقدمت العجم وأعوانهم على الشيخ قاسم بن صالح الصبري إلى محلةِ منوز والمحاقر فوقع الحرب بينه وبين العجم ورمتهم بالمدافع، فلما عرف إنه لاطاقة له بأن يدافع عزم بمن معه القفر[1] . ومازال يغزو العجم من هنالك، ثم إن العجم أخربوا الدور. ووصل الشيخ صالح وجماعته إلينا ومكثوا عندنا في الهجرة رجب وشعبان ورمضان، وفي شوال وصلت له الأمانات[2] من أحمد فيضي فرجع محله هو وجماعته وهو باق إلى الآن، قد حل من المجد بأعلى مكان.

وفي الشهر المذكور خرجت العجم على الشيخ ناصر بن علي العمري صحبه الكمندار[3] مصطفى نافذ والشيخ علي البليلي، فلما وصلوا محل الشيخ ناصر «بني عمر»[4] وقع الحرب بينهم في الحائط من الصبح إلى نصف الليل. ثم أن الشيخ ناصر عزم القفر ورتب حِصْنَه قرون[5] . ثم أن الشيخ على البليلي كَاتَبَهُ ووقع الاتفاق بينهم إلى بعض القفر.

وفي خلال ذلك أرسل الكُمندار مصطفى نافذ بُلْكْ[6] عسكر لقبض الحصن خدعة، فلما وصلوا إلى باب الحصن قبل طلوع الشمس خرج بعض العسكر من الحصن يصلي وهم دخلوا الحصن، فصلى ورَجَع آنية[7] النيام. واعلقوا[8] البنادق وعَشَّرْوا[9] في البُلك، فصادفت البنادق جميعها فهلكوا عن آخرهم ماعدى شريف من بني الضميم، فإنه نزل من فوق الحصن إلى مزبلة فَسِلْم، وكان الذي من أصحاب الشيخ «ق٣٩ب» ناصر بعد دخوله أغلق باب الحصن لئلا يخرجوا من الحصن، فلما أهلك الله البُلك سلبوهم البنادق ومامعاهم من

---

(١) القفر: ناحية في محافظة إب، تشمل العديد من العزل والقرى (التعداد:ص١٠٤) .

(٢) الأمانات: حين دخل أحمد فيضي باشا اليمن، حرص على الترهيب والترغيب للقبائل الموالية للإمام، ومن سياسة الترغيب هي إعطاء الأمان لبعض القبائل شريطة أن لايحاربوا مع الإمام.

(٣) الكُمندار: هو القومندان وقد سبق شرحها.

(٤) بني عمر: مخلاف من بلاد يريم، آل عمر أهل ذي ناعم من بلاد البيضاء آل عمر من قبائل الحبيشية في رداع، وآل عمر من قبائل وادعة صعدة، (الحجري: المجموع، ج٣، ص٦١٢) .

(٥) حصن قَرَوُن: حصن لبني عمر في يريم. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٥٢) .

(٦) بُلْكْ: هو السرية من العسكر (تركية) . (الجرافي: الحوليات، تحقيق: الدكتور العمري، ص٣٥) .

(٧) آنية النيام: دليل الاسترخاء وأنهم لايزالون مسترسلون في النوم.

(٨) اعْلقوا: أي أشعِلوا وأضرموا النار (عامية) .

(٩) عَشَّروا: أطلقوا البنادق بطلقات كثيرة وسريعة وفي لحظة واحدة (عامية) .

المونة، وخرجوا وجلين من بعض عرض الحصن، فلما وصلوا إلى بعض الطريق لقوا الشيخ علي البليلي فأرجعوه أسيراً إلى الشيخ ناصر، ولوّموا عليه[1] بما وقع من العيب، وقال له الشيخ ناصر أنت مُؤَمَّنْ[2] في نفسك بشرط سلامة الحصن والبلاد. فكتب علي البليلي إلى مصطفى نافذ إني قد أُسُرتُ بسبب العيب الذي أعبتوا بالشيخ ناصر، وإنكم ماقصدتم بهذا إلا إلى جنابي، ولكن سَلِّموا البلاد والحصن وإلا فأنا مقتول فح[3]، سقط في أيديهم وخافوا من المسئولية فكفوا أيديهم.وبعد حَضَرتْ الواسطة[4] فيما بينهم بأن الشيخ ناصر يفك البليلي، وتعزم[5]العجم من البلاد فأبى الشيخ ناصر أن يفكه، حتى تعزم العسكر ذمار، وبعد أن وصلوا ذمار فكه. وكانت تَعدُ هذه من كرامات الإمام لأن الشيخ ناصر من الصادقين في المحبة. ثم لم يزل يحاذروا من البعض للشيخ المذكور إلى الآن خوفاً من تلك القضية.

وفي اليوم الخامس عشر من شهر ربيع الآخر، وصل كتاب من الياور علي مثنى الحسيني[6] إلى الحضرة الشريفة. وهذا الرجل أصله من اَلْسِر[7] يَعْلم لغة العجم، ودخل استانبول فصار ياوراً. الياور بلغتهم خادم السلطان، وصارت عندهم خدمة السلطان من أرفع الأمور لاتُعد من النقصان. ولقد فَكرتُ في بعض الليالي أن هذا الشرف حصل لمن خدم رجل من بني آدم لايملك ضراً ولانفعاً، مع أن الخدمة من أرذل الحِرف، فكيف بمن خدم مولاه وخالقه الذي يعلم سره وما أخفاه، ويجيب المضطر إذا دعاه ويكشف الكروب ويقبل التوب ممن يتوب، فيغفر الذنوب ويستر العيوب، ويظهر الجميل، ويستر القبيح، ويتحبب إلى عبده بالنعم، ويشفيه من الألم، وهو مع ذلك يتبغض إلى مولاه بالعصيان،

---

(١) لوّموا علية: أي لاموة، وأوكلوا إليه سبب الخديعة. (عامية).

(٢) مؤمن: أي أعطوه الأمان.

(٣) وردت في المخطوطة (أ) الأصل بهذه الصورة "فح" وفي المخطوطة ب "حينئذ"

(٤) الواسطة: أي من يقوم بدور الوساطة بين الطرفين الأتراك والقبائل.

(٥) تِعْزِمْ: أي تترك وتسافر وتغادر (عامية).

(٦) الياور علي مثنى الحسين: أول من تم انتدابه من قبل السلطنة للتفاوض مع الإمام المنصور محمد حول إيقاف الحروب الدائرة في اليمن بين الأتراك واليمنيين. والياور معناها المرافق أو المعاون (موفق بني المرجه: صحوة الرجل المريض، ص٤٦٢).

(٧) السرْ: وادي معروف في بني حشيش خارج صنعاء، وشهرة المنطقة يعود إلى جودة وتنوع أعنابها.

ويبادره بالذنوب في السر والإعلان، ثم أن يحلم عنه ويصفح، عسى أن يرجع إلى التوبة والإذعان لا إله إلا الله، ما أعظم هذا الرب وأحلمه عن عبده إذا أذنب، اللهم ألهمني رشدي، وقد جرى القلم بما ليس بمقصود والشيء بالشيء يذكر به.

وصورة كتاب الحسيني مالفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم الجناب العالي المنيف جناب مولانا الإمام الشريف العلامة عين أعيان أهل البيت المطهرين، الإمام المنصور بالله رب العالمين، حفظه الله وتولاه وأمتعني بحياته، وشريف السلام يخصكم، ورحمة الله وبركاته وصلاته وسلامه على محمدٍ وآله. صدورها بعد وصولنا من حضرة مولانا السلطان دام عزه بأمرٍ من لديه لمعرفة ماحصل في أرض اليمن من القتل، وما سبب ذلك الموجبة، وكشف حقيقة الأمير المأمور، وأمورٌ معنا مايسعها إلا المشافهة، والمقصد صلاح الإسلام والمسلمين وإخماد الفتن، فقد جعلنا هذه الإشارة إليكم صحبة العازمين[1] إلى حضرتكم الشريفة من طرفنا لاستمداد الجواب والإذن منكم في الوصول إليكم بصحٍ صحيح، يكون به الأمان في الطريق، وعند الوصول الحديث شفاه ومع صلاح النيات الرجوا[2] من الله صلاح الشأن، والعزم من لدينا الوالد الشيخ أحمد عبد الله الحسيني وكمال التحقيق من لِسْنِه، والسلام عليكم، حرر يوم ١٥ شهر ربيع آخر سنة ١٣٠٩هـ[3].

وهذا جواب الإمام عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى من جَعَل مودّة أهل بيت النبوة لدينه شعاراً، ومحبة المنصب العلوي لما يرومه «ق٤٠أ» من خيري الدارين دثاراً، فطاب لذلك نفساً وأقوالاً وأفعالاً، وخيراً وأخياراً، الياور الأكبر والمقام العالي الأشهر، الآخذ من رياسة الكمال بالحظ الأوفر، علي مثنى بن الحسيني، أسبغ الله عليه النعم، ورفع إلى طلب رضاه عالي الهمم، وأرشده من التقوى إلى شامخ القمم، وأهدى إليه سلاماً تنير به الأرجاء ويتضوع بالمسْك الزكي

(١) العازمين: أي المسافرين نحوكم.
(٢) الرجوا: هكذا وردت في الأصل، والمقصود "الرجاء".
(٣) ١٣٠٩هـ: يوافقه ١٧/ ١١/ ١٨٩١م.

أرجاء، ورحمة الله الموصلة إلى غاية الأمل والرجاء وبعد. فإنا نحمد الله إليكم الذي لاإله إلا الله، ونعلمكم أن أحق الناس بالسعادة، وأقربهم لنيل مافيه الحُسنى وزيادة، من منحه الله من العقل ما يبلغ به غاية مراضيه، ويتجنب به موبقات معاصيه، وأنه وصل كتابك الكريم، وخطابك الفخيم، الذي لَمَحْت فيه إلى استطلاع حقيقة الأسباب الباعثة لما جرى من القتال والمحاربة، وعدم التوافق والمقاربة بيننا وبين المأمورين من حضرة السلطنة القاهرة دام الله عزها على الملحدين، وشتت بقوتها شمل المُعتدين، فاعلم أسعدك الله أن أهل الكُتبْ المُنَزَّلة يحافظون على كتابهم، وأوامر رسولهم ولايدعونها مُعطلة، فاليهود يحافظون على أحكام توراتهم، وكلام نبيهم موسى، والنصارى يحافظون على إنجيلهم وكلام نبيهم عيسى، ونحن أُمة خاتم النبيين الذي وصفنا الله بقوله **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾**[1] وبقوله **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**[2] وكتابنا القرآن المهيمن على جميع الكتب المنزلة: **﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**[3] . ومع ذلك فاللائق بحالنا أن نرعى كتاب ربنا حق رعايته، ونعمل ببيّنَاتِهِ ومحكماته، ونُعمل سنة نبينا كما أمرنا ربنا، بقوله: **﴿وَمَآ ءَاتَاكُمَ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ﴾**[4] .

وإنك تعلم أيها الرئيس أن اليمن الميمون محل الإيمان، كما أخبر به سيد الأنام، ولما وَصَلَتْ عساكر السلطنة القاهرة، لم يخطر على أحدٍ أنهم يعملون بغير ما أنزل الله، ولا يرتكبون ماحرم الله، ويتجاوزون في ظلم عباد الله. ولما تمكنوا في اليمن، إرتكبوا جميع المحرمات من الزنى واللواط وشرب الخمور وظهورها في بلاد الإسلام كأنها الماء الزلال،

---

(١) سورة آل عمران، آية رقم (١١٠) وتمامها ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالله وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾

(٢) سورة البقرة، آية رقم (١٤٣) . وتمامها ﴿وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِيْ كُنتَ عَلَيْهَآ إلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى الله وَمَا كَانَ الله لِيُضِيعَ إيمانَكُمْ إنَّ الله بِالنَّاسْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

(٣) سورة فصلت، آية رقم (٤٢) .

(٤) سورة الحشر، آية رقم وبداية الآية هي ﴿مَّآ أَفَآءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرى فالله وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القُرْبَى واليَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ كَىْ لاَيَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾

وعطلوا الشرايع، وإن مذاهبهم[1] في المسائل الأصولية أعدل المذاهب في مسائل العدل والأحكام، والوعد والوعيد يستندون فيها إلى الضروريات المعقول، وقطعيات المنقول، وكذلك في المعرفة بحقوق الصحابة ومن بينهم من السلف، وكذلك في المسائل الفروعية صار مذهبهم فيها النصف يَغْترف أئمة المذاهب الأربعة إلا من بحار علمهم، ولاحكموا في كل مسئلة[2] إلا بحكمهم، حتى نشأ الخلاف بين المخرجين للمذاهب ففرقوا بين الأئمة، وصار المسلمون في ظلمة **﴿وَءَاتَيْنَاهُم بَيِنَاتٍ مِّن الأَمْرِ فَمَا اختَلَفُو إلاَّ مِن بَعْدِ مَاجَآءَهُمُ الْعِلمُ بَغْيَا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** [3] **﴿فَهَدى الله الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحقِ بإذْنِهِ والله يهْدِي مَن يَشَآءُ إِلى صِراطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** [4] . وإنك تعلم أن ولاية اليمن كانت بأيدي أسلافنا من العترة الزكية التي هي بضعة من الذات النبوية، وكانوا يعملون فيه بكتاب الله وسنة رسول الله، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الحدود، ولايأخذون من أرباب الأموال إلا ما قررهم عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لأن أهل اليمن أسلموا في عهد النبي (ص~) [5] طوعاً، فلم يكن عليهم غير الزكاة والفطرة ورفضوا القِصاص والحدود التي نصوصها قطعية ثم أسرعوا إلى «ق٤٠ب» إستيعاب أموال الناس بالقوانين الموضوعة[6] التي لم يرد عليها إثارة من علم، وصار التاجر والزارع في كل أسبوع يسلم فلوساً من العدم ويتقي الإهانات على أنواعها حتى أن بعضهم يؤجر نفسه ويسلم أجرته لأعوان الدولة، ويبيت طاوياً مع أهله وأطفاله. وساعدوا النصارى في الكرنتينة[7] حتى صدوا أهل اليمن عن حج بيت الله الحرام، وردوهم من طريق مكة مراراً، وكذلك أخربوا مقابر المسلمين وعمروا بأحجارها، وحفروا محلات القبور، وغرسوا فيها أشجاراً. وكانوا يخرجون الميت

---

(١) مذاهبهم: يقصد المذهب الحنفي.

(٢) مسئلة: هكذا وردت والأصح مسألة.

(٣) سورة الجاثية، آية رقم (١٧) .

(٤) سورة البقرة، آية رقم (٢١٣) .

(٥) استخدم الناسخ مثل هذه الاختصارات وهي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٦) القوانين الموضوعة: والمقصود به القوانين الضرائبية التي تم تطبيقها في اليمن وكان اليمنيين على عهد جديد بها.

(٧) الكرنتينة: أي الحجر الصحي.

ويرمون به وراء الحائط، وبالغوا في طلب الرسم وقيمة الأوراق[1] وصاروا يأخذون من الحكام الجهال الذين لايعرفون أحكام الصلاة، وكذلك من المأمورين الفلوس المتكاثرة ويصير متهوراً في أخذ الرشوة على أي وجهٍ، متعمداً على أن مادفعه من الفلوس يدفع عنه القيل والقال، وغير ذلك مما لايرضاه ذوالجلال، ولا يفعله إلا أهل الضلال.

فقد أوضحنا لك أيها الرئيس بالأسباب الباعثة والأفعال العابثة، وإنك تعلم أن السلطان الأعظم قد قرر الكفار على ممالك من بلاد الإسلام، ولم يقرر أولاد رسول الله على هذه الخطة اليمانية. ويوفي أجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التبليغ المشار إليه بقوله تعالى: **﴿ذَلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ الله عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيها حُسْنًا إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ﴾** [2] ، فنعيذه بالله أن يدخل في الدعوة النبوية التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل بيته (أنا حرب لمن حاربتم سلم لمن سالمتم) [3] ، وبقوله (من قاتلنا آخر الزمان فانما قاتل مع الدجال) [4] ، وأما حقن الدماء، وتسكين الدهماء، فنحن أقرب إلى ذلك «من السيل إلى منحدره» [5] مهما وجدنا مجالاً للعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومهما وجدنا أُناساً يعملون بقوله تعالى **﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوْا فَأَصْلحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوْا اَلَّتِي تَبغي حَتَّى تَفيءَ إِلى أَمْرِ الله﴾** [6] . وفقنا الله جميعاً إلى مافيه رضاه وسلك بنا سُبلَ النجاة، وأنه قد وصل مكتوب من السيد محمد الرفاعي الحموي، وأجبنا عليه بما صدرت صورته نرجوا من إبلاغ ذلك إلى السلطنة القاهرة أعزه[7] الله بها الإسلام.

---

(١) الرسم وقيمة الأوراق: الرسم نوع من الضرائب والأوراق الدمغة.

(٢) سورة الشورى، آية رقم (٢٣) .

(٣) ورد الحديث في: سنن الترمذي، المجلد الخامس، باب مناقب، ص٦٩٩، وورد في سنن ابن ماجه، الجزء الأول، المقدمة، ص٥٢، ولكن بالعكس كالتالي "انا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم".

(٤) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

(٥) مَثَلٌ.

(٦) سورة الحجرات، آية رقم(٩) .

(٧) كذا وردت في الأصل.

وفي هذه المدة وصل إلى الإمام عليه السلام كتاب من السيد محمد الرفاعي الحريري الحسيني الحموي، الذي يزعم أنه خرج من عند السلطان لإفتقاد أحوال اليمن، وكان وصول ذلك المكتوب مصحوباً بمكتوب من القاضي أحمد بن يحيى الردمي. وهو رجل مشؤوم لايعرف من العلم إلا رسوم، ومع ذلك فهو قاض بالدعوى، غار بقلبه عن التقوى، فلا يستاهل أن يسوّد به وجه القرطاس، لأنه مبني على غير أساس، ولاريب إنما ألقاه في فكرة الوسواس الخناس، فلو أراد الله به خيراً لدفن خطله «وكان كالهر يخرج خطله[1] ثم ليستره» ولو أنه عرف من الكتاب والسنة مثقال ذرة لما أستدل بذلك الكلام الساقط بالمرة، على نجم العترة، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم (لاتعلموهم فإنهم أعلم منكم)[2]، ولكنه من شدة شؤمه ونحسه ماعرف قدر نفسه فظل بجملة المركب بأنه قد استدل بقول صحيح موجب، ولو سلك طريق التوفيق لعلم أنه قد زاغ عن الطريق وصار من شر فريق، وقد خَبِرتُ هذا الرجل فوجدته أَضلُ من «ق٤١أ» راعي ضان ثمانين، وأجهل من ابن تسعين، وأعيا من بأقل بيقين. ولله حكمه في إيجاده، وعجيبة يقضي بإنفراده، حيث أوجد دابة تقضي بين عباده. ولم أطلق عنان القلم إستنقاصاً لهذا الرجل إلا تحذيراً منه لأنه ربما يظن من رأى كُبْر عِمامتهُ، وطول أكمامه، أنه من أفراد الزمان وأعلامه، فيخر بذلك الظن الفاسد إلى أسفل السافلين، وأبعد مما بين السماء والأرضين، ويصبح ضحكةً للمجانين. اللهم إغفر لنا ياخير الغافرين، ولكنا نُذْكره لنتعرف صدق ماقلناه وإنا لم نكن بالغيب رجمناه.

وهذا صورة الكتاب ولفظه: بعد الحمد لله حفظ الله ذات سيدي وسندي واسطة العقد الآل الفريد من عز عن مباريه النظير والنديد، من هو في عين اليمن إنسان، المشار إليه بالبنان، قرة عين أهل اليقين، محمد بن يحيى حميدالدين وفقه الله السداد، وأرشده لما فيه صلاح العباد، وخدمة من بُحبهِ بأشرف السلام، وأسنى التحيات، وأنواع الإكرام، والصلاة والسلام على محمد وآله الكرام، والله يحفظ مولانا سلطان الإسلام والمسلمين، ويقيم به الدين، وينير شريعة سيد الرسلين، وبعد فإنه لايخفى شريف ذهنكم، أن هذا الأمر

(١) خطله: الخطل الكلام الفاحش، أخطل: أفحش (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٨١٦).
(٢) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

الذي تحملتموه (والعبو)[1] الجسيم الذي ارتكبتموه، قد سبق في علم الله وقوعه، ولله في ذلك حكمة لتوقف أفعاله عليها، وأي حكمةٍ مثل استيقاض مولانا سلطان المسلمين فإنه بهذه الفضيلة العظمى، والداهيةُ الدهماء، تحقق لديه وصح له صدق الأخبار المرفوعة إلى مسامعه الشريفه من أن المأمورين في اليمن غير مستقيمين، ولا لرعيته راعين بل ظالمين، وأن الشريف القايم في اليمن لم يكن قيامه خروجاً عن الطاعةِ، ولا تفريقاً للجماعة بل ليس الحامل إلا ظلم المأمورين، وجور الجايرين، مع حُسن ظنه بالسلالةِ النبوية، والدوحة العلوية، الذي أصلها ثابت وفرعها في السماء، الموجب له حبهم المتمكن في قلبه وعلمه بأنهم أمان لأهل الأرض، فيالها من خصلة شريفة، ومنحة عظيمة لطيفة، لكن مع هذا صارت المعارضة والمغالطة بأن هذا الشريف القايم في اليمن لو تحصل من مولانا السلطان عدالة عُمر بن عبدالعزيز ماله عليه طاعة بل شق العصا، وخلع الطاعة له لله طاعة، فاستثار رغميض مولانا السلطان ولم يقر به قرار لولا دفع الله إليه ببعض أولي الفضل من جلسائه، وهو السيد الناسك إمام الطريقة ابن المهدي محمد الرفاعي حماه الله، ذكره وبحق القرابةِ وما يجب لهم من حبهم عليه، وبحق أهل اليمن من أن الإيمان يماني إلى غير ذلك. ولا تظن بالشريف المومي إليه إلا خيراً، ولا اعتزت إليه قبائل اليمن إلا فراراً بسبب الظلم والجور، فزال عن مولانا السلطان ماكان به وبناءً على ذلك أُنتخب السيد المذكور بأمر مولانا السلطان بعض أقاربه السيد محمد الحريري الرفاعي، لعلمه بديانته وفضله «ق١٤ب» ورجحان عقله، رجُلاً لف عِرقه وعرقك سيد الناس محمد وعلي، لأجل أخذ الحقيقة واستدراك الأمر والتلاقي له قبل التلاف، ومراده الرجوع إلى الطاعة قبل الإستيصال، واستدراككم قبل الزوال، فإذا حصل منكم الإسعاد، وضربتم عليه بالإنابة والانقياد، جدّ في الإسراع وأظهرها في التلغراف، مضمون جوابكم إلى الأبواب العالية، وصرتم في أمان وعافية، ونلتم المراد، أنتم وأهل اليمن من الحاضر والباد، وإن صممتم على ما أنتم عليه فذلك وبال لامزيد عليه، فقد شاهدنا من العساكر والسلاح مالاقُدرة لأحد ولا له فلاح، وليست التي قد وصلت من العساكر إلا عُجالة، ومقدمة لا يسع المقلد جهلها، فأرجوا من الله تعالى أن يكون منكم الإسعاد إلى مافيه الوفاق، وصلاح حالكم وأحوال العباد، وفي

(١) العبو: وردت هكذا، وصحتها العبء.

ذلك صلاح الدنيا والأخرى، وقد علمتم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لولده الحسن رضي الله عنه «إن ابني هذا سيد»[1] الحديث. فكن

في هذا الزمن مقتدياً بالحسن كما قال الإمام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير[2] .

خلـــيلي دعنـــي أُري مهجتـــي   أزوف الرحيـــل ولـــبس الكفـــن
فـــإن كنـــت مقتـــدياً بالحـــسين   فـــلي قـــدوة بأخيـــه الحـــسن

وظن التأثير شرط عندما يقول بوجوب الخروج بل هو مذهب واحد، كما لايخفى. وكيف يحصل لأحد ظن وقد أودع الله سرٌ عظيم في الدولة العثمانية، المثاغرة للكفرة وملوك النصارى. أم كيف يخالج إنسان شك، وقد ثبت عن الصادق الأمين «أتركوا الترك ماتركوكم»[3] ولعمري أن هذا الحديث ترياق[4] نافع، وطريق واسع ومخصص لتلك العمومات رافع، وغدر عند الله شافع، فالله الله[5] سيدي محمد لاتصدق من لاخير فيه فأنت عارف به وبأبيه، هذا وصدر مكتوب سيدي الفاضل، وإذا مرادكم في مواجهته أفدتم في جوابكم وسيصل إلى حضرتكم وما مقصوده في هذا السعي إلا لله، الله يجعل الأعمال خالصة لوجهِ الكريم وأرجوا من الله تعالى أن لايعود الرسول إلا بإفادةٍ تَسرُ مُرسِله كما هو مومَّل فيكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحرر ٢٩ شهر ربيع الأول ١٣٠٩هـ[6] . هذا لفظ المكتوب.

---

(١) الحديث (صعد رسول الله (ص) المنبر فقال: إن ابني هذا سيّد، يصلح الله على يديه فئتين عظيمتين) . (البخاري: صحيح البخاري، المجلد الثاني، ج٥، كتاب فضائل الصحابة، ص٥٣٢) .

(٢) الإمام محمد بن إبراهيم الوزير: ولد في رجب ٧٧٥هـ بهجرة الظهراوين من شظب، تلقى علومه على يد مشايخ صنعاء وصعدة، وسائر المدن اليمنية، ومكة. وتبحر في جميع العلوم، من مؤلفاته: العواصم والقواصم، ومن مصنفاته (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) (الروض الباسم) (إيثار الحق على الخلق) (وله كتاب في التفسير النبوي) (نصر الأعيان على شر العميان) (البرهان القاطع في معرفة الصانع) (كتاب التنقيح) . توفيَّ في محرم ٨٤٠هـ. (محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع، المجلد الثاني، ص٨١) .

(٣) الحديث في: سنن أبي داود، الجزء الثاني، ملاحم، ص٤٢٧.

(٤) ترياق: دواء نافع يدفع السموم (المنجد: ص٦١) .

(٥) الله الله: تكرار كلمة الجلالة استعملت للتأكيد في المراسلات.

(٦) ٢٩ ربيع الأول لسنة ١٣٠٩هـ١٨٩١م.

وهذا جواب الإمام عليه السلام ولفظه.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله لمستحق الحمد ووليّه وصلاة وسلاماً على حبيبه وصفيّه المبعوث بالشريعة الحنفية، وعلى آله القائمين أثره في إحياء السنة النبوية، الباذلين نفوسهم في الذب عن الأمة المحمديه. صدورها بعد وصول المشرف الكريم، والمسطور الفخيم من جناب القاضي العلامة، والقدوة الأجل الفهامة صفي الدين وزينة المسلمين أحمد بن يحيى الردمي، وفقه الله لصالح العمل، وحرسه عن الخطأ والزلل، وأتحفه بأسنى التحيات، ونوامي البركات، موذنا باستعمال القريحة، ومتضمناً لإبداء النصيحة، ومُصرحاً بعدم تيقظ سلطان الإسلام بما أصيب به الخاص والعام، من ظلم عماله لجميع الرعية، وعدم سيرتهم الطريق المرضية. «ق٤٢أ» ولا يخفى كل من له عقل سليم، وفهمٍ غير مستقيم، إن ما أشرتم إليه وأمثاله مما يودي إلى هدم الدين، ونكالة كارتكاب المعاصي في السر والعلن، وانتهاك محارم الله قطعاً بغير ظن، مع إضاعة الحدود وإبطالها، وترك الشريعة الغراء وإهمالها، فكم شاهدت وشاهدنا من دم ظل، وحق ضاع وضل، مع ماعلمه كل أحدٍ من الصدّ عن البيت المعظم. فتحتم علينا القيام غيرةً لدين الله، وإمتثالاً لأوامر الله وطمعاً في إزالة وتقليل ماحرم الله، لمّا لم نجد من نعشته همته إلى هذا الشأن، أوقادَتْهُ عزيمته إلى مايغضب الملك الديَّان، مع طول المدة المُشْعِرة بغفلةٍ لايصدر مثلها إلا من غافل أو متغافل. والواجب عليكم إذا تصديتم لنصيحة المُسْلمين أن توجهوها إلى من يؤذي أهل بيت سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وتذكيره بما أوجبه الله عليه من اتباعهم والإخلاص في مودتهم، كما صرحت به آية المودة وأحاديث من لا نبي بعده. فنحن نرجوا من الله إصلاح العباد، وإبانة من خالف الحق وحاد. وما ذكرتم من الإرعاد والإبراق فلا يصدنا ذلك عن مافيه إرضاء الملك الخلاق، وأن لنا لقدوة فيمن فاز من آبائنا بالسعادةِ، وختم الله له بما يرضي من الشهادةِ، وأناله من الحسنى و زيادة. وما ذكرت من ظن التأثير المنادي في كلامك بأعلى صوت بإنهاكهم في عصيان السميع البصير. فقد رأينا بحمد الله النصر والزيادة، والمعونة التي قابلتنا منه بجدير الإفادة ماتقر بهِ العيون، ويطمئن به المؤمنون، وما

إعتصامنا إلا بقدرة من يقول للشيء ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[1] وكفانا قول ربنا: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنا فننجِيَ مَن نَّشَآءُ وَلاَيُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[2] وما دعونا إلا مادعى إليه جَدنا، ولا سِرْنا إلا سيرة الحق التي سارها أسلافنا وآباؤنا، وما أشرتم إليه من حديث «أتركوا الترك ماتركوكم» فذلك حجة على المستدل به لا له، ومتى تركونا وقد قصدونا والسلام.

وهذه صورة مكتوب السيد محمد الحريري:

الحمد لله وحده وصلى الله على من لانبي بعده، وسلام الله على أهل البيت الكرام، وأتباعهم ومحبيهم على الدوام، أما بعد.. فالتحية الزكية، والتسليمات العطرية، تهوى حضرة السيد الشريف، والعَالِمْ العَلَمْ الغطريف، بقية السلف وبركة الخَلَفْ، المُتحلي بالفضل والكمال، كريم السجايا والخصال، سليل السادة الأماجد المكرمين. السيد الفاضل محمد بن يحيى حميد الدين، كان الله لنا وله وللمسلمين، أُخبركم أَخبركم الله بالخير، أن جدكم عليه الصلاة والسلام قال: «الحكمة ضالة المؤمن اين ما وجدها التقطها»[3]، وأنتم أهل الحكمة إن شاء الله فكيف فاتكم شرفها، وقد علمتم أن الزمان ماسمح لأسلافكم العظام من الدنيا (بحرام)[4] كيف و الأحاديث كثيرة بأن الدنيا لاتنبغي لمحمد وآله، وقد قال عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً وقوتهم عفافاً»[5] إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة، وأن مذاهب الأمة على اختلافها قائلة بوجوب جمع الكلمة «ق٤٢ب» وعدم التفرقة، وقد قال النبي صلى الله عليه وآاله وسلم «عليكم بالسواد الأعظم»[6] الحديث، وصرح بهذا النص النبوي، بأنه «من شذ شذ في النار»[7] وهل السواد

(١) سورة يس، آية رقم (٨٢)، وتمام الآية كما يلي: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

(٢) سورة يوسف، آية رقم (١١٠).

(٣) الحديث في سنن الترمذي، الجزء الخامس، باب العلم، ص٥١، سنن ابن ماجه: الجزء الثاني، باب الزهد، ص١٣٩٥.

(٤) وردت في الحاشية تصحيح للكلمة (من الدنيا بمرام).

(٥) ورد الحديث في كتاب: البيهقي: السنن الكبرى مع الجواهر النقي، ج٢، ص ١٥٠

(٦) سنن ابن ماجه: الجزء الثاني، الفتن، ص١٣٠٢

(٧) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

الأعظم إلاجماعة المسلمين، وطوايف الموحدين من العرب والعجم المجتمعين تحت الخليفة الأعظم، ظل الله في العالم الصالح المبارك التقي، و الملك المؤيد الرضي، سلطان المسلمين وابن سلطان المسلمين مولانا السلطان الغازي عبدالحميد خان[1] أيد الله مُلكه إلى انتهاء الدوران. وإنك تعلم أيها السيد أن الإمامة التي تطلبها الآن نزل عنها سيدنا الإمام الحسن رضوان الله وسلامه عليه، وإستعوض عنها غُرف الجنان، وما طلبها من أهل البيت الكرام، إلا وأصبح دونها قتيلاً، وما بلغ منها مرام، وقد توطنت أحكام الخلافة المرضية في العائلة الطاهرة العباسية زمناً من الأزمان، فصدمها القدر بإنطماس شأنها وإنقضاء زمنها، وآل أمر الخلافة الشرعية، بإجماع المسلمين، واتفاق المؤمنين إلى الملك الغازي المجاهد، مشّيد بنيان الشرع والفرقان، هادم أركان الكفر بكل مكان. مولانا المرحوم السلطان الغازي سليم خان[2] عليه الرحمة والرضوان. وسليل هذا الفريد الذي لا يحد إلى الخلفاء العثمانيين بُداً بعد بُدْ، من خليفةٍ إلى خليفة موبّد، إلى أن انتهى بالعز والامتثال، والمجد والإجلال بالفريد الصحيح، والاجماع الصريح، إلى سيدنا ومولانا خليفة الإسلام مؤيد شريعة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

أعني به إمامنا الغازي المنصور عبدالحميد خان بن السلطان الغازي عبدالمجيد خان[3] الذي سبق ذكر اسمه الجليل. لازال للإسلام ظل ظليل. وها هو بحمد الله تعالى حافظاً بالجنود المنصورة بلاد المسلمين، حارساً بالأعمال المبرورة بيت الله الحرام، ومسجد سيد المرسلين عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، معزا للسادة الأشراف، حافل مجلسه بالعلماء العاملين بأحكام الخلاف، مواظباً على الفروض والسنن، متمسكاً بما جاء به الحسن،انتشرت خيراته، وعمت مسراته، وأن اللسان، والله قاصر عن أداء حقوق الثناء عليه، قاصر عن ايضاح ما أحسن الله به في الأخلاق المحمدية إليه، فطاعته مفروضة،

---

(١) عبد الحميد الثاني من سنة ١٨٧٦م ١٩٠٩م.

(٢) السلطان سليم خان: الثالث، هو الثامن والعشرون من السلاطين العثمانيين، ولد عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م. وخلف عمة عبد الحميد الأول ودام حكمه نحو ١٩ عام، وعاصر قيام الثورة الفرنسية وحملة نابليون على مصر، ومن أبرز رجال دولته الصدر الأعظم يوسف باشا ومصطفى باشا البيرقدار، تم اغتيالة عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، المجلد الثالث، ص٤٥٢) .

(٣) عبدالمجيد خان ١٨٣٩م١٨٦١م.

وخدمته مشروعة، ومحبته لله ولرسوله واجبه، والخروج عليه بغي وعدوان. وقد بلغه عنك أنك تكفر المسلمين، وتحرض القوم على قتالهم، ورأى من كتبك جملة رسائل، أرسلت بها بخطك وختمك إلى أكثر القبائل، وبها تقيم على كفر الترك دلائل، حتى إنتشرت نار الحرب بين المسلمين وشققت العصا في زمان يجب فيه الكف عن هذا، فإنما يشفي بهذا صدور الكافرين فأوجب ذلك غضب السلطان المعظم عليك، وجهز العسكر لجهاد العسكر المجتمعة لديك، وأقسم أنه لابد إن لم تقف عند حدك قتلك ومن اتبعك بسيف جدك، على إنك جئت بأمر تهدم من الدين الأركان، وهيجت سبيل أهل الفساد والطغيان، ولما كان أمر الله بحياته ونصره، حريصاً على حفظ دماء المسلمين، تأخذه الرقة والشفقة على الموحدين، أحب نصحك قبل أن يقع بك الردى، فانتخبني من حماة[1] الشام «ق٤٣أ» وأرسلني لنصحك مأموراً مخصوصاً موجزاً بالكلام، على أنها تجمعني وإياك الأعراق الهاشمية والحمية العربية، وقد أتيت اليمن من أوطاني إمتثالاً لأمره الكريم الواجب الإمتثال، متكلاً على الكريم المتعال، وبادرت بهذا الكتاب لحضرتكم مع المذاكرة مع جناب أخيكم الفاضل أحمد بن يحيى الردمي. ولم يكن ذلك إلا إنذاراً وتفهيماً، لاإرشاداً وتعليماً، فإن فضلكم معلوم. لكن الأقدار إذا تقدرت قدمت وأخرت، فإن تكون إيها السيد تجمع وتجيب، فلك من عواطف السلطان أوفر نصيب، حرمتك محفوظة، ومنزلتك مصونة، وشأنك مزيد، ومقامك جليل، والله على ما أقول لك وكيل، وإذا أبيت فلا تلومن غير نفسك، وإني راغب للاجتماع بك لبعض أمور لايسوق تَصدْرُهَا قد بلغت بعضها مشافهاً كامل هذا التحرير، فإن أحببت أتينا وعلى الله العسير يسير. وإن كنت لاتشتهي ذلك فأكتب جواباً بالسمع والطاعة لحضرة سلطان المسلمين متضمناً الكلام الشفاهي الذي أودع عند حامل هذا، وأنا أقوم إن شاء الله بخدمتكم فيه لدى الحضرة السلطانية طبق المرغوب، وأشعر بما يسر به أبو البتول التقية[2]، وقد عرفتم المقصود، وكفى ماوقع من قتل

(١) حماة: مدينة سورية على نهر العاصي، وسط واحة خصبة، افتتحها العرب بقيادة أبي عبيدة بن الجراح سنة ٦٣٦م. (المنجد في الأعلام: ص٢٢٤).

(٢) البتول التقية: سُئل عن فاطمة رضوان الله عليها بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لم قيل لها البتول؟ فقيل: لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفافاً وفضلاً وديناً وحسباً، وقيل لانقطاعها عن =

وقتال، وضياع أنفسٍ وأموالٍ، ولعمري أن العرب لاتقدر على قتال الدولة العليّة بحال من الأحوال، بل جروا إلى نفوسهم آثار الدمار والنكال. وهذه جنود الدولة العلية قد وردت على اليمن كالرمال، والباغي عليه من الله الوبال. فليتقوا الله في أنفسهم إن كانوا مؤمنين، وليحقنوا دماء المسلمين، ولينقادوا لطاعة الله ورسوله، بانقيادهم لطاعة مولانا أمير المؤمنين، ولاعدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين.

وهذا الجواب من أمير المؤمنين الإمام عليه السلام[1].

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أيد دينك القويم بالعلماء العاملين، واكشف ببركتهم جهل الجاهلين، وإرفع بحميد سعيهم غفلة الغافلين فهم بحار العلم الزاخرة، ونجوم الهدى الزاهرة، وزينة الدنيا والآخرة، وأهل الفضائل المتكاثرة، دع عنك من آثار الجهل عجاجة[2] ، وفارق الحق ومنهاجه، وجعل الراحة براقه ومعراجه، منهم ذو المجد الشامخ المنيف والحسب الباذخ الشريف، والأدب المثمر روضة الوريق، السيد محمد الحريري الحسني الحموي، ألبسه الله جلباب التقوى وقادة إلى التمسك بالحبل الأقوى، وأعاد على محياه السلام الأسنى، والإكرام الأهنى، وصلى الله وسلم على خاتم أنبياه وعلى آله سفينة النجاة وتراجمة الكتب[3] وقرناه، وعلى أصحابه الذين إتبعوه بعد مماته وفي محياه وبعد، فانا بحمد الله إليكم الذي لانرجو ونخشى سواه، ولا نَعْبدُ إلا إياه، وإنه أتانا أيها السيد منك كتاب كريم، ومسطور رايق فخيم، أفاد معرفتك بحقوق العترة النبوية، والسلالة العلوية، بما ورد فيهم من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة المروية، وأن دواعي المحبة إقتضت المراسلة، وبواعث المودة جدتك إلى المواصلة والمكاتبة، وأن من لازم المحبة والإيمان، بذل النصيحة للأخوان لاسيما ولاة الأمور، الذي أناط الله بهم صلاح

الدنيا إلى الله عز وجل. والبتول من النساء: المنقطعة عن الرجال لاأرب لها فيهم وبها سميت مريم أم المسيح. (ابن منظور: لسان العرب المحيط، ج١، ص١٥٧) .

(١) ورد خبر هذه الرسالة ونصها في كتاب المنار واليمن للدكتور حسين العمري ص ٦٣،٢٤٢.

(٢) عجاجة: العجاج الإبل الكثير العظيمة يقال لفَّ عجاجة عليهم أي أغار عليهم، والعجاج الصياح. (المنجد في اللغة: ص٤٨٧) .

(٣) وردت في المخطوطة (ب) الكتاب.

الجمهور وأفاد. أسعده الله أنه مستنكر لما جرت بيننا وبين الولاة المرسلين من حضرة الدولة العثمانية «ق٤٣ب» والسّدة الخاقانيه من الحرب والأختلاف، وعدم التوافق والإئتلاف. وأنه يرى الخير في إصلاح ذات البين، ورفع الفتنة المودّيَّة إلى الهلاك والحيرة، وأنه قد ورد الحث عليه في السنة والكتاب، وأنه مناط رضى رب الأرباب، وأن السلطان الأعظم ممن أقام الله به الدين وانتظمت به أحوال المسلمين،وتشرف بخدمة الحرمين الشريفين، وقام بجهاد الكفار، وجهابذة الأشرار، وإن رغبتة في صلاح الدنيا والدين، وقمع الفجار المعتدين، وإن القطر اليماني المحروس بالله محل الإيمان كما ورد عن سيد ولد عدنان، وإن سعيه في ذلك مصلحة دينية، ومحبة إيمانية، فنقول نعم الأمر كما ذكرتم مما وقع بيننا وبين من تعلق بالسلطنة القاهرة، أعز الله بها الإسلام وقمع بها ذوي الإلحاد، ولم يكن لنا في الرياسة الدينوية طلب، ولا في الراحة البدنية إرب، ولانعوَّل على جمع المال ووفرة المكتسب،ولانريد على مانحن فيه من الحسب والنسب، لكنا رأينا المأمورين لم يؤدوا حقوق الله، ولارعوا حرمة ما حّرم الله، ولا غضبوا يوماً على معاصي الله، ولم يعملوا بشيء في كتاب الله ولا سنة رسول الله، وشرعوا من الدين مالم يأذن به الله، وارتكبوا المعاصي، ورموا إليها الناس بأطراف النواصي، وجاهروا بشرب الخمور، ونكاح الذكور، وإرتكاب الفجور. وظلموا كل ضعيف،وأهانواكل شريف،حتى ضعفت الذريّة، وإرتفعت كلمة اليهودية والنصرانية، وصارت الأكراد والحبوش تحكم في البرية، ولا يرقبون في مؤمنٍ إلاً ولا ذمة، ولاتأخذهم في المسلمين رأفة ولارحمة، فلما لم نجد عن أمر الله بُداً، إستعنا به وتوكلنا عليه وبذلنا في الجهاد جهداً، إمتثالاً لقول الله عز وجل **﴿وَاقَتلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُوَن فِتْنَةٌ﴾** [1] وقوله تعالى **﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [2] وخوفاً مما خوفنا الله به في قوله تعالى **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَيَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾** [3] ونحو قوله صلى

---

(١) سورة البقرة، آية رقم (١٩٣) وتمامها ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ للهِّ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١٠٤) .

(٣) سورة المائدة، آية رقم (٧٩) .

الله عليه وآله وسلم «لتأمرون بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم حتى إذا بلغ الكتاب أجله كان الله هو المنتصر لنفسه»[1] .
ولم نزل نتوخى أن السلطنة القاهرة أعز الله بها أركان الإسلام، إذا رفعت إليها تلك القبائح التي لا يختلف في وقوعها إثنان، إن تأخذها حمّية الدين والإيمان، عما تَلاف وخاف من الإضاعة، ويُستدرك مافات من حق عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين لايستحق بدون إتباعهم الشفاعة، فلم يزداد مع طول المدة إلا إنسلاخاً من الدين، وتوسعاً من تأمير الفجرة المعتدين، فإن قلت أيها السيد إن تلك القبائح مباحة في الإسلام وإن فاعلها مستحلاً من إتباع شريعة سيد الأنام، فهم الدليل ولا يقول ذلك إلا ضليل، وأنكرت إيها السيّد أن ورثة الرسول الحجة في الفروع والأصول صاح بك قوله تعالى **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾**[2] وقوله تعالى: **﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**[3] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (أني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي أن اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)[4] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (إن عند كل بدعه تكون من بعدي ولي من ذريتي...الخ)[5] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (أهل بيتي أمان لاهل الأرض...الخ)[6] وقوله صلى الله عليه وسلم (أهل بيتي كسفينة نوح...الخ)[7] .
وغير ذلك مما لايحتمله المقام فانظر ببيان الحجة أوضح المحجة لاماخَوَفْتَنا به من القتل والنكال، وإناّ أهل بيتٍ لا تزعزعنا كواذب الآمال، ولا نعد بذل نفوسنا في سبيل الله إلا

---

(١) ورد الحديث بألفاظ مختلفة في: النووي: رياض الصالحين، ص٨٩، المناوي: فيض القدير، ج٥، ص٢٦٠، الهندي: كنز العمال، المجلد الثالث، ص٦٨.
(٢) سورة فاطر، آية رقم (٣٢) .
(٣) سورة الشورى، آية رقم (٢٣) .
(٤) المناوي: فيض القدير، ج٣، ص١٤، النووي: رياض الصالحين، ص١٤٣، الإمام أحمد بن حنبل: مسند أهل البيت، ص٤.
(٥) لم أجده في المصادر التي بين يدي.
(٦) الهندي: كنز العمال، المجلد ١٢، ص٩٦ وصحة الحديث كالتالي: (النجوم أمان لأهل الأرض، وأهل بيتي أمان لأمتي) .
(٧) الهندي: كنز العمال، جالثاني عشر، ص٩٨.

من أشرف الخصال، ولا نفزع إلى غير ذي الجلال، ولا ندعوا سواه في البكر والآصال.

على أن قومي تحسب الموت مغنماً   وأن فرار الزحف عاراً ومغرماً

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَفِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾[1] ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ الله فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِيَ يَنصُرُكُمْ مِّن بَعْدِهِ﴾[2] ﴿إِن تَنصُرُوْا الله يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[3] ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ أَسْتُضْعِفُوْا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[4] ﴿الَّذِيْنَ إِن مَّكَّنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوْا الصَّلاَةَ وآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوْا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلله عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[5] فنحن من وعدنا ربنا على يقين، والعاقبة للمتقين، وإنك لا تجد في محطتنا المنصورة إلا قائماً بعبادة ربه إذا أسدل الليل جناحه، وتالياً لكتاب الله أوذاكراً لربه إذا طلع الفجر صباحه، ومساجدنا معمورة بالعلم والعمل، وقلوبنا خالية عن الجبن والفشل، هذا ولا نفتخر كغيرنا بآلات الحرب الفاخرة، ولا بالجيوش المتكاثرة، التي هي تحت أمرنا عاثرة، بل نبرأ من الحول والقوة، ونتمسك بأذيال سيرة الإمامة والنبوة.

مغارس طالت في رُبا الفضل فالتقت   على أنبياء الله والخلفاء

اذا حمل الناس اللواء علامة   كفاهم مثار النقع كل لواءِ.

فقد أوضحنا لك أيها السيد طريقتنا، وأسلفنا إليك حقيقة أفعال أعادينا. ﴿فَأَيُّ اَلْفَرِيْقَينِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيَمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اَلأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾[6] ولو يعلم السلطان الأعظم بحقيقة الحال، لسارع إلى معاونتنا بالحال والمال، ولرفع المأمورين عن الخطة اليمانية، ولأمرهم لمحاربة الفرقة الكفرية، ومنعهم عن محاربة العترة الزكية، التي هي بضعة من الذات الشريفة النبوية، ولأَوفَّى جدّنَا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجر تبليغ الأنبياء المشار إليه بقوله تعالى ﴿قُلْ لآ

---

(١) سورة الملك، آية رقم (٢٠).

(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١٦٠) وتمامها ﴿وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

(٣) سورة محمد، آية رقم (٧).

(٤) سورة القصص، آية رقم (٥).

(٥) سورة الحج، آية رقم (٤١).

(٦) سورة الأنعام، آية رقم (٨١)، (٨٢).

﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [1] ولتباعد عن مقاتلتة من قال فيهم خاتم النبيين (من قاتلهم آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال) [2] . وعن الدعوة النبوية في قولة لأهل بيته (أنا حرب لمن حاربتم سلم لم سالمتم) [3] . وقد أمرنا الله بالكون مع الصادقين بقوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوْا اَتَّقُوا الله وَكُونُوْا مَعَ الصَّادِقِين﴾[4] . وَبيَّنَهْمُ بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ «٤٤ب» لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله أُوَلَئِكَ هُمُ الصَّدِقُونَ﴾[5] ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيْلِي أَدْعُوْا إِلى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَن أَتَّبَعَنِى وَسُبْحانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ﴾ [6] ﴿يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوْا دَاعِيَ الله وَأَمِنُوْا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِنْ عَذَاب أَلِيمٍ وَمَنْ لاَّ يُجِيبْ دَاعِيَ الله فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءُ﴾ [7] ﴿وَيَا قَوْمِ مَالِيْ أَدْعُوكُمْ إِلَىَ النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَىَ النَّارِ﴾ [8] فإذا وجدت أيها السيد لنا خلاصاً من أوامر الله أفدتنا من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودع عنك التخويف بالمخلوقين والحال كما قيل:

جاء شقيق عارض رمحه ... إن بني عمك فيهم رماح

وأما اجتماع الكلمة فمن أين لنا ذلك، وإلا فهو عندنا من أجل المسالك حقناً للدماء، ورفعاً للدهماء ونسأل الله أن يرفع عن الأمة المحمدية الضيق والمحن، ويجمعها على إتباع الكتاب وقرنائه أهل بيت نبيه المؤتمن، وأن يعيذنا من الشيطان الرجيم ومن مظلات الفتن وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله. التاريخ شهر صفر سنه

---

(١) الشورى، آية رقم (٢٣) .

(٢) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

(٣) سنن ابن ماجه، الجزء الأول، المقدمة، ص٥٢، الترمذي، المجلد الخامس، باب مناقب، ص (٦٩٩) .

(٤) سورة التوبة، آية رقم (١١٩) .

(٥) سورة الحجرات، آية رقم (١٥) .

(٦) سورة يوسف، آية رقم (١٠٨) .

(٧) سورة الأحقاف، آية رقم (٣٢) وتمامها ﴿أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ .

(٨) سورة غافر، آية رقم (٤١) .

١٣٠٩[1].

وفي هذه المدةكانت...

وقعة المحويت:

وصفتها أنها تقدمت طائفة من العجم الذي في الطويلة إلى المحويت[2] وما حوله، ومعهم جماعة من أعوانهم، فلما وصلوا إلى هنالك رتبوا المحويت. وكان السيد النبراس محمد بن حسين عباس، قد توجه إلى تلك البلاد جماعة قليلة من أهل الجهاد، فلما بلغه قبض المحويت غار بمن معه المجاهدين وعضده النقيب أحمد بن يحيى حبيش في رجال كثيرين، فحاصروا العجم حصاراً شديداً، وإتفق في بعض ليالي الحصار أن بعض الأنصار رأى شرذمة من العجم في بيتٍ فأدخل فيه شيئاً من البارود وأشعل فيه النار فأنهدم البيت فوقهم، فهلكوا جميعاً وهم ثمانين رجلاً. فلما إشتد الحصار على أولئك الأشرار ورد إليهم المدد والزيادة من العجم الذين بالطويله وكوكبان حتى بلغوا بيت ردمان[3]، فتلقتهم الأبطال وإشتد القتال، وعظم النزال، فانهزمت العرب إلى بيت السروري[4] وباتوا هناك. وباتت العجم في الركن الأعلى. وقُتل من العجم ثمانية عشر ومن العرب واحد. وكان هذا في يوم الجمعة ١٣ شهر ربيع الأخر[5].

وفي يوم السبت تقدمت العجم فأفرجت لها العرب، فدخلت المحويت بذلك الجيش وتقدمت من حينها على النقيب أحمد بن يحيى حبيش وهو في حصنه المعروف بنعمان، ومعه فيه مائه وخمسون رجلاً من أهل البلاد. ومن جماعته سفيان، فرمت العجم إلى الحصن بالمدافع حتى وقع فيه بعض هدم، وصبر من في الحصن فلم يرموا العجم بشيء، فظنوا أنه لم

---

(١) يوافق ١٨٩١م.

(٢) المحويت: مدينة بالغرب الشمالي من صنعاء، على بُعد ١٠٠ كيلو متر وهي مركز المحافظة، وتتبعها العديد من المدن والقرى والعزل. (المقحفي: المعجم، ص٥٩٢، الويسي: اليمن الكبرى، ص٧٨).

(٣) بيت ردمان: قرية في عزلة الشرقي، ناحية المحويت محافظة المحويت (التعداد العام لسنة ٨٦م: ص٢١).

(٤) بيت السروري: قرية في قبلة حديد، ناحية المحويت، محافظة المحويت. (التعداد: ص٧).

(٥) يوافقه: نوفمبر ١٨٩١م.

يبق فيه أحد فهجموا عليه، فلما قربوا منه رماهم من في الحصن فقتلوا منهم كثيراً لم يعرف قدر ذلك ولم يقع في العرب غير(   )[1] . ومن بعد ذلك وقع الفشل فرجع السيد عز الإسلام بلاد لاعة[2] وبني العوام[3] يجمع الناس ويحثهم وهم نيام.

وأما النقيب أحمد بن يحيى حبيش فصار في قعطبه المعروفة.

وفي ليلة الأثنين الخامس عشر من الشهر المذكور خسفت القمر من بعد نصف الليل إلى قريب الفجر خسوفاً أسود. فقال في ذلك القاضي شرف الإسلام حسين بن أحمد العرشي:

الشمس آتيك المنير   «ق٤٥أ»والعدو له القمر
أو ما تراه وقد غدا   في وجهه منه الأثر

وقال أيضاً الفقيه المفضال محمد بن حسين دلال[4] :

أهنيكم بالفتح قد حان وقته   وأن لحرب الله نور مع الصّبر
فقد دلنا محق المنير لدى المساء   على محو أرباب الضلال بلا نكر
وإنكم في الأفق شمس تظاهرت   على كل هذا جاء في الحي والقفر

وفي اليوم السادس عشر من شهر ربيع الآخرة[5] ، طلعت من تهامة عيرٌ وبغال، تحمل

---

(١) بياض في الأصل أي المخطوطة (أ) ، أما في المخطوطة (ب) فقد أورد كلمة مكانين أي جريحان.

(٢) بلاد لاعة: لاعة قرية في محافظة حجة، وينسب إليها عدن لاعه وقد خُربت (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٧٧) .

(٣) بني العوام: ناحية معروفة في محافظة حجة، وتتبعها الكثير من القرى والعزل، (التعداد: ص٤٦) .

(٤) هو محمد بن حسين دلال، ولد بالروضة سنة ١٢٨١هـ تخرج بمعهد العلامة الفاضل عبد الله بن حسين دلال، وحفظ القرآن والشاطبيه وغيرها من مختصرات علوم عصره، وقد تلقى تعليمة على يد عمه في القراءات السبع، ومن أساتذته السيد العلامة علي بن أحمد الشرفي، والسيد العلامة عبد الكريم بن عبد الله أبو طالب والقاضي محمد بن أحمد العراسي، وغيرهم من علماء عصره، وقد برز في جُل علوم عصره. وعمل في الوعظ، وتصدر لإمامة جامع صنعاء، وعند قيام دعوة الإمام المنصور عاضده ودعا له في جامع الروضة، ومكث مدة في مقر إقامة الإمام المنصور محمد، ولما عاد إلى صنعاء تم القبض عليه في عهد أحمد فيضي باشا ونفي إلى رودس مع جماعة من اليمنيين سنة ١٣١٠هـ وهناك استفاد من إقامته في رودس فتعلم اللغة التركية والفارسية، وفي سنة ١٣٢٣هـ أرسله السلطان عبدالحميد إلى الإمام يحيى ليكون طرفاً في مفاوضات الصلح. ثم خرج إلى اليمن في سنة ١٣٣١هـ وعكف على التدريس والوعظ بجامع صنعاء الكبير، وأرشد الناس إلى معالم الدين. وتوفي في ربيع الأول لسنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م. (زبارة: نزهة النظر، ص٥٢٠) .

(٥) ربيع الآخرة ١٣٠٩ يوافق ١٨٩١م.

للعجم الأثقال، مصحوبة بجماعة من الرجال، فتلقاها الشيخ ناصر مبخوت إلى (مححّه) [1]، وكانوا يريدون إيصالها إلى حجّة فنهب منها ثمانية جمال بما فوقها من الأحمال، وفعل في الرجال الفظيع من الأفعال، وقتل فيهم القتل الذريع وسلم من معه الجميع.

وقعة في الشاهل:

وفي يوم الربوع من الشهر المذكور سابع عشرة كانت وقعة الشاهل، وصفتها أن العجم الذي هنالك أُمدوا بأمداد من تهامة، فاشتد غضبهم لذلك فوجهوا المدافع إلى بيت دحباش[2] فرموه ذلك اليوم واليوم الثاني، وكلما هدموا سقفاً إنتقل المجاهدون إلى السقف تحته، حتى إذا إنهدم الجميع خرج المجاهدون إلى ميدان الحرب الوسيع، فرموا العجم بالبنادق حتى ازهقوا منهم سبعة أحدهم طوبجي المدفع (قح) [3] انهزمت العجم وعادت مطرحها في بني مديخة[4] المعلوم، وقامت المجاهدون في إصلاح ذلك البيت المهدوم، وسيأتي بقية خبرهم إن شاء الله.

وفي هذه المدة اشتد الحصار على من في حصن عفَّار من العجم الفجَّار، حتى أكلوا الحمار، فأمدهم إخوانهم بمدد من صنعاء. فلم يشعر الناس بهم حتى بلغوا كحلان[5] وذلك صحبة أحمد فيضي. وكان مقدمي الحصار السيّد السيف الباتر العالم محمد بن يحيى عامر فوقع الحرب هنالك فيما بين العرب والعجم يوماً كاملاً إلى أن دجى الليل وأظلم. ثم عاودو الحرب اليوم الثاني وكان قد خرج بعض أهل الحصن إلى العجم لطلب المسالمة، ثم

---

(١) مححّه: هكذا وردت ولم أتوصل إلى معناها أو مكانها.

(٢) بيت دحباش: أو حصن دحباش، قرية في عزلة جانب الشام، ناحية الشاهل، محافظة حجة. (التعداد: ص١١٨).

(٣) قح: سبق أن وردت ولم أتوصل إلى معناها، وربما كانت "حتى".

(٤) بني مديخة: من قبائل بلاد الشرف في حجور، محافظة حجة. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٩٨).

(٥) كُحْلاَنْ: يوجد الكثير من المناطق التي تحمل نفس الاسم، كحلان عزلة من خبان في يريم، وحصن كحلان من أمنع حصون اليمن ليس له غير طريق واحدة. وكحلان تاج الدين في حجة، وكحلان الشرف في بلاد حجور وكُحلان من أشهر مخاليف اليمن المشهورة وفيه بينون ورعين وهما قصران عجيبان. والمقصود هنا هو كحلان تاج الدين في حجة. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٦٣).

عادوا إلى المقدمي وبذلوا له دراهماً ليخرج فأبى، وبعد وقوع الحرب وصادف نـزول المطـر فأطفى فتيل العرب، وتقدمت العجم فأدركت المأرب ودخلوا عفَّـار. وصـار المقـدمي إلى بيت وهبان[1] وإنجالت العرب من كل مكان. ولما أستولت العجم عـلى ماتقـدم أطـاعتهم بني عشب[2] وبني الطرقي وكحلان وبيت قدم[3] ، وخرجوا وأحرقوا بعض القرى، وانحاز المقدمي إلى قرية الراس، وأُمد بوالده العماد يحيى بن قاسم عامر وصحبته جماعة من النـاس من بني عبد[4] وجبل عيال يزيد[5] . وكان عاملاً هنالك من طرف الإمام الـسعيد. فلـما بلـغ رحبة[6] من بلاد السودة، أتاه الخبر مما وقع من أولئك العسكر فحكم أنه لافايدة في السفر.

وقعة بيت علمان[7] وسوق الصميل[8] :

وصفتها أن العجم لما أستولوا على كحلان وعفَّار وتقدموا على جبـل سـوَّر وشراقـي[9] لاعة ، وكان في مسور جماعة مقدميهم محمد بن عباس الشهاري، وفي شراقـي لاعـة الـسيد محمد بن عبدالله الشرفي المعروف بمذيقر، فأتى على باشا من الطويلـة ومعـه عـساكر كثـيرة فاتفق به أحمد بن علي الصليحي وحزام الصعر، واجتمعوا في بيت علمان، وتقدمت العجـم

---

(١) بيت وهبان: قرية في عزلـة الحماريـين، ناحيـة كـشَرْ، محافظـة حجـة. (التعـداد: ص٢٧٥، المقحفـي: المعجـم، ص٧٥١) .

(٢) بنـي عَـشَبْ: عزلـة في ناحيـة كحـلان عفَّـار محافظـة حجـه. (التعـداد: ص١٠٠، الحجـري: المجمـوع، ج٣، ص٦٥٠).

(٣) بيت قُدَمْ: أو بني قُدَمْ، عزلة في ناحية حجة، محافظة حجة، وقُدَمْ قرية في عزلة الدقيمي، ناحيـة كحـلان عفَّـار، محافظة حجة. (التعداد: ص٥، ص١٠٢) .

(٤) بني عَبْد: من قبائل بكيل جوار جبل عيال يزيد في عمران. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٧٣) .

(٥) جبل عيال يزيد: من قبائل بكيل وهي ناحية بالقرب من عمران، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٧٢، الحجري: المجموع، ج٤، ص٧٨٢) .

(٦) رحبة: قرية في عزلة بني حنيش الأعلى، ناحية السود محافظة صنعاء. وقد أخطأ المؤرخ في إدراجها ضمن ناحيـة السودة، فلا يوجد في السودة قرية بهذا الاسم. (التعداد: ص١٩٤) .

(٧) بيت عُلْمان: قرية في بني الحارث بالقرب من صنعاء. وبيت علمان في الطريق إلى كحلان عفار.

(٨) سوق الصميل: قرية في عزلة المخلاف، ناحية الحيمة الخارجية، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٨) .

(٩) شراقي: الشراقي جبال ملاصقة لجبل مسور، مرتفعة عن سطح البحر ٢٥٠٠متر. والـشراقي: قريـة في حجـة. (المقحفي: المعجم، ص٣٥٧، الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٤٩) .

في يوم الربوع الثاني والعشرين من ربيع الآخر[1]، والتقوا «ق٤٥ب» إلى سوق الصميل، ووقع الحرب بينهم وثبت الله المجاهدين وانهزمت العجم حتى بلغوا طرف سوق الصميل، ثم تراجعوا فتوجهوا إلى الجبل المعروف بالكلال، وعاودو القتال فهُزموا مرةً ثانية حتى بلغوا القاع، فرماهم أصحاب المدافع ليعاودوا القتال، حتى قتلوا منهم سبعة رجال، فلما رأت العجم أنه لا مفرلهم عن الموت تقدموا ثم انهزموا، عاودوا يريدون الجبل وفيه السيد محمد الحَوْرِي وجماعته وأناس من بني مهدي[2] وأناس من (السهام)[3]، فصبروا قليلاً ثم فروا فدخلت العجم الجبل المذكور، وإنتقلت العرب إلى المفتاح[4] وبيت عذاقه، فتوهجت العجم إليهم فوقع الحرب بينهم من الصباح إلى الليل، وقتل من العجم سبعة وخمسون قتيلاً، وسته وثلاثون جريحاً وبغالاً كثيرة، ولم يقتل من العرب غير رجلين.

وفي الثالث والعشرين من الشهر المذكور قبضت المجاهدون عزلة بني مؤمن ومن فيها، ووقع الحرب في شرقي الجبل وتلقاهم هادي سريح وجماعة من بني عبد، كانوا قدرتبوا في مغربة بيت الخديمة رأس الجبل المذكور، فوقع الحرب يوم الخميس، ودخلت العجم المصنعة[5] والرميح، وباتوا فيها ليلة الجمعة. وعزمت طايفة منهم، فرتبوا بيت فائز[6] والمضمار وليس فيهما أحد من الأنصار، وقبضهما لمنع الغارة على من في مغربة بيت الحذيمة،

---

(١) ٢٢ربيع الآخر: أي سنة ١٣٠٩هـ الموافق ١٨٩١م.

(٢) بني مهدي: يوجد الكثير من الأسر والقبائل في اليمن التي تحمل هذا الاسم ومنها: بيت المهدي من الأشراف في حجة وبيت المهدي في صنعاء وذمار من أولاد المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم. وبنو مهدي من أشراف تهامة في الزيدية. وآل مهدي من قبائل قيفة في رداع وآل مهدي من قبائل وايلة في صعدة. وبيت مهدي من قبائل أرحب، وآل مهدي بن دمينه من فبائل ذو محمد في برط، وبنو مهدي من قبائل الشرف الأعلى في حجور. وبنو مهدي تحت جبل مناخة من ناحية الشرق (الحجري: المجموع، ج٤، ص٧٢٥).

(٣) السهام: قام الناسخ بتصحيحها في الهامش بقوله (التهام). ولم أتوصل إلى معرفة مكانها.

(٤) المفتاح: ناحية في محافظة حجة، وهناك أيضاً قرية المفتاح في نفس الناحية، وتتبع عزلةالجبل الأعلى. والحجري يذكر بأنها من حصون الشرف، والمقحفي يذكر بأنها ناحية من قضاء الشرفين شمال حجة. (التعداد: ص١٤٨، الحجري: المجموع، ج٤، ٧١٥، المقحفي: المعجم، ص٦٤٦).

(٥) المصنعة: هناك الكثير من المناطق التي تحمل نفس الاسم على مستوى كل جهات اليمن، أما هنا فربما كان المقصود بالمصنعة: قرية في عزلة بني مهدي، ناحية كحلان الشرف، محافظة حجة. (التعداد: ص١٥٢).

(٦) بيت فائز في مسور: قرية في عزلة المسواخ تابعة لناحية الشغادرة، محافظة حجة. (التعداد: ص٣٨).

وتبعهم نقيب العجم فجراً، فما أصبحت العرب إلا والمدافع تُرمي إليهم، فاستمر الحرب إلى الليل ولم يقدر أحد من العرب على الوصول إليهم، لما ذكرنا من أن العجم قد رتبوا بيت فائز والمضمار، فلما أظلم الليل دخل عليهم المدد فوجدوا البيوت غير مانعة وقد تهدمت بيوت المغربة، فاخرجوا من فيها واجتمعوا إلى بيت هادي شريح وبيت المعافا. وكان القتل من العجم خمسة عشر رجلاً والعرب سالمون. وتوجهت العجم إلى البيتين المذكورين وقد استولوا على المغربة، فأما بيت المعافا فَهُدم بالمدافع وفر من فيهِ إلى أسفله ولم يكن يمكنهم الدخول إلى البيت الثاني، وأما الذين في البيت الآخر فانتهى بينهم وبين العجم الحرب إلى الليل حتى هدمت عليهم طبقتان ونفذ عليهم الماء لأنهم أَمْلَوا السطح ماء، وكان مقضضاً[1] فانهدم، فلما رأوا أنه لا طاقة لهم بما أَلَمَّ، خرجوا في الليل إذا أظلم، وقد قُتل نحو ثلاثين من العجم، ولم يَسِلْ من المجاهدين دم. وتفرقوا فبعضهم توجهوا التهام[2] ، وبعضهم توجهوا الرغيل[3] وتوقف الحرب الأحد والأثنين والثلاثاء.

وفي التاسع والعشرين من الشهر المذكور عزم السيد عبدالرحمن بن عباس ومن معه من سادة شهارة من التهام إلى الرغيل. وفي الشهر المذكور وصل أحمد فيضي بعسكر عظيم وحط في بني مهدي.

وفي شهر جمادى الأولى تجمع الذي مع علي باشا إلى قارة أحمد[4] وجدر وبيت قَيْسمْ.

---

(١) مقضضاً: القضاض عملية معروفة من أعمال البناء، وهي عملية فنية متقنة أجادها اليمنيون منذ آلاف السنين، وخاصة في مرافق الري، من السدود والمآجل والمآخذ والبرك والقنوات والسواقي وفي المعابد ثم المساجد، وفي بعض المنازل من الدور والقصور ونحو ذلك. والقضاض يتألف من مادتين أساسيتين هما (النُّورَة) و(الهشاش الحصى) مع الماء، ولكن طريقه خلطه والعناية به وعمله تجعل من هذه الخلطة في غاية القوة والمتانة وأيضاً ملساء لامعة تقاوم الزمن ولايزال في اليمن بعض المناطق الأثرية المقضضة كالبرك والصهاريج تعمل، أو صالحة للعمل من عهد ما قبل الإسلام لم تتعهدها يد الإنسان إلا بشيء من الترميم فصمدت حتى اليوم. (للمزيد من المعلومات انظر، مطهر علي الإرياني: الموسوعة اليمنية، ج الثاني، ص٧٧٠) .

(٢) وردت في المتن هكذا (الهام) ، ثم تَمَ تصحيحها في الهامش الجانبي بكلمة (السهام بل التهام) هكذا أوردها الناسخ. ولم أتوصل إلى معرفة موقعها من المصادر التي بين يدي.

(٣) الرغيل: عزلة في ناحية مسوَّر، محافظة صنعاء، (التعداد: ص٧١) .

(٤) قارة أحمد: هي الروضة إحدى متنزهات صنعاء وقد سبق ترجمتها.

وفيه أيضاً تقدم على من في الرغيل حتى بلغ طرف القارة فرمثه الأنصار من داخله وخارجه، فرجع وقُتل من العجم جماعة. وفي يوم الجمعة تقدمت العجم فَهُزموا كما تقدم وفي يوم السبت تقدموا من كل مكان، وتقدم أحمد فيضي بمن معه من جهة بني مهدي، وتفرقت فرقه جاءت على هداد[1] ، وفرقة من أهل الشراقي[2] ومن أهل المشرق. وخرج علي باشا بمن معه على من في الرغيل. وفي القارة، فتقدمت طايفة من عسكره إلى شرقي الرغيل فقتل بعضهم وحوض[3] البعض الأخر فلم يستطع التقدم ولا الرجوع. ونصبوا «ق٤٦أ» في ذلك الحرب على هداد والرغيل بسته مدافع صغار حتى صارت اصوات البنادق والمدافع كالرعود والصواعق. وفي الأحد ربّرت الحيلة العجم بأن يصدموا العرب جميعاً في يوم واحد لئلا ينتقلوا من معقل إلى معقل. فأما من في الرغيل وهداد فمن حيث وقفوا، وتقدمت العجم الذين في الحصيب وقد عجز عنهم من حولها، فتوجهوا حصن دواس[4] وفيه السيد محمد الشرفي والسيد محمد بن حسين عباس رحمه الله، وبعد خروجه من المحويت ومن بني العوام[5] والشيخ ناصر مبخوت أقبل من الظفير[6] في جماعة للغارة على من في الشراقي، فكان جملة مَنْ في دواس في بيت أحمد غالب ثمانون رجلاً ومثلها في القرية، وفي قرية قُدْم مائتان. وجملة العجم في مسور والشراقي والحصيب ستة الآف. فلما كان يوم الأحد نَصبوا المدافع على دواس من شرق وغرب، وهجمت العسكر من جهة العجم حتى بلغت إلى حد الحصن، واستمر الحرب إلى الليل. ولما وصلت العجم إلى قرية الحصن

(١) هداد: حصن في حجة. (المقحفي: المعجم، ص٧١٩) .

(٢) الشراقي: قرية في عزلة بني جل في ناحية قفل شمر، محافظة حجة. (التعداد: ص١٤٠) .

(٣) وحوض: لم أتوصل إلى معناها، وربما كانت بمعنى "حوصروا" وهو المفهوم من خلال السياق.

(٤) دواس: قرية وعزلة في ناحية نجره، محافظة حجة. (التعداد: ص٣١) .

(٥) بني العوام: ناحية واسعة تشمل العديد من القرى والعزل في محافظة حجة. (التعداد: ص٤٦) .

(٦) الظفير: هو حصن ظفير حجة، والظفير اسم يطلق على عدد من المحلات أهمها: الظفير قرية في أعلى قاع بكيل في الشرق من ضوران ناحية آنس. الظفير: قرية من ناحية بني مطر فوق وادي الأهجر. والظفير: قرية في وادي عميد من قضاء القماعرة في تعز. ويقع ظفير حجة في الشمال من مدينة حجة على بُعد ١٥كيلومتر عن طريق غيل علي. وقد ازدهر بالعلم منذ المائة الثامنة للهجرة، ولاسيما بعد انتقال الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، ثم انتقال حفيده الإمام شرف الدين، مما جعله مقصوداً لطلب العلم. هذا وقد كان ملجئاً للإمام الهادي شرف الدين، والإمام المنصور محمد من بعده في أثناء حروبهم مع الأتراك وتعرض للخراب أكثر من مرة، ثم يُعاد تعميرة. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله، الجزء الثالث، ص١٣١٢) .

عَمَّروا مترساً[1] في المغربة[2] وباتوا ليلة الأثنين، وقد تقدمت منهم جماعة ثم تقدمت منهم طائفة على من بهداد وَنَصْبُوا عليهم المدافع، فتلقتهم المجاهدون فَهُزموا ثم رُدوا فرموهم فرجعوا. ولما رأتهم الأنصار وقد انهزموا خرجوا إلى خارج الدار ليمنعوهم من الهجوم فتصادموا قليلاً، فخلفت خالفة[3] من العجم، ولايعلم المجاهدون بما قد ألم فاستولت العجم على الدار، وفر من فيه من الأنصار، فرآهم من خارج الدار فاسرعوا بالفرار ودخلت الأعاجم فأحرقوه بالنار وقتل منهم ما ينيف على الأربعين ومن المجاهدين ثلاثه. وفيه أيضاً تقدم علي باشا على من في الرغيل مع الطايفة التي أمدتهم بها أحمد فيضي فوقع الحرب من الفجر إلى الليل، وخرج من المجاهدين جماعة من بني عبد ومن بيت مسعود قاصدين مدفعاً نَصَّبُوه يرمون به بيت سعيد صلاح المعروف بالرغيل حتى بلغوا إلى فوقه فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت العجم بمدفعها وتبعهم المجاهدون وكلما قاربوهم رموا إليهم من أسلحتهم ليأخذوه ويشتغلوا به فصاروا يأخذونه ويتبعونهم، فخرجت سدادة المدفع التي لايسقيم إلا بها، فأخذها المجاهدون. ولما عرف العجم الذي في الوهزة ماوقع رموا بالمدافع إلى العرب فوقع في العجم فقتلوا منهم كثيراً ونجى أصحاب المدفع به بعد أن انهزموا من قارة الذنب إلى الماس حذراء في جبل وعر، وقتل من المجاهدين مسعود بن أحمد محسن من بيت مسعود، وقتل من العجم في هذين اليومين مائة وخمسون رجلاً. وفي الشهر المذكور، تقدمت العجم على من بقى في الرغيل صبحاً وقد تعطلت الجبال عن الرحّال، فرتبها العجم وهي جبال مانعة فلما اشتد الحرب هَمَّ المجاهدون بالفرار، وفي المحل نساء وصبيان فخافواأن يلحقهم العار، فثبت السيد الأجل عبدالرحمن بن عباس حتى خرج من المحل النساء والأطفال، وختم الله له بالشهادة حينئذ، ففاز بالحُسنى وزيادة، أصابته رصاصة مدفع وحُمل إلى بيت عقب فدفن فيه رحمه الله وتغشاه، وقتل معه رجلان وإمرأة، ولم يصب العجم غير جراحة واحدة واستولوا على المحل.

---

(١) مترساً: المترس هو الحاجز الترابي أو من الأحجار.

(٢) المغربة: اسم مشترك لعدد من المواضع في اليمن وهي: ناحية المغربه في حجة، قرية المغربة في عزلة راسن ناحية الشمايتين في الحجريه، قرية المغربة في الخبت في المحويت. وقرية المغربه شمال مناخة. وقرية المغربة في جبل راس في زبيد. والمقصود هنا هي ناحية المغربة في محافظة حجة. (المقحفي: المعجم، ص٦٤٥، التعداد: ص٦٧) .

(٣) فخلفت خالفة من العجم: أي أُمدوا بعدد من العساكر لمساندتهم. (عامية) .

وفي هذه المدة عزمت عزمت رجال من بني عكاب[1] ليلاً، وقصدوا من بقى في الحصيب من العجم، فلما بلغوا طرف المطرح مالوا إلى العجم وأخذوا نحو ثلثمائه[2] كيس دقيق في كل كيس قدحان[3]، وألقوا باقيه على الأرض حتى إِنْتهبت منه نساء بني عكاب، وأخذوا من حسك المدافع شيء كثير، ولم يجدوا «ق٤٦ب» لهم من دون الله من وليٍ ولانصير.

وفي المدة المذكورة تقدمت العجم على من في دواس فوقع الحرب بينهم وبين المجاهدين، وصاروا كلما هجموا ردتهم المجاهدون، وقتل منهم قتلا[4] كثيرون.

وفي يوم الثلوث السابع من الشهر المذكور انهزم من في قُدَم، فما شعر من في دواس إلا بكتاب من حسين النوفي مُخَبِّراً بفرار من في قُدم، ولم يبق منهم إلا عشرة أنفار[5] فبينما هم كذلك إذا طلع دخان من قلعة المعمري، وهي حصينة لاتؤثر فيها المدافع، وكان بها الحاج زيد بن صالح الرضى، ورجال من الصيد وقد شحنوها بالمونة والزاد، فوهن لذلك من في دواس، وظنوا أن العجم قد أخذتها من جهة مسور، فوقع الحرب بينهم إلى الليل، وعزموا على الخروج من الحصن المذكور ولم يبق لهم إلا طريق واحدة من جهة الغرب وقتل من العجم في هذه الحرب ما يزيد على المائة. وحكى عن سيدي سيف الإسلام محمد بن الحسين بن عباس رحمه الله أنه رمى يوماً بثلاث مائة وخمسين ضربة حتى إنصبت عيناه دماً من الرمى. وكان إحراق قلعة المعمري رأياً من الحاج زيد بن صالح الرضى خشية أن يستولوا عليها العرب[6] فيرتبوها. وهذا وأما من جبل مسور فإن العجم لما أستولت على الرغيل وفر من فر، عزم السيد عز الإسلام محمد بن حسين عباس إلى بيت مسعود، فاجتمع إليه من

(١) بني عكاب: من قرى حجة. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٦٠٧).

(٢) ثلثمائة: هكذا ترد في الأصل وقد حرصت على إثباتها كما وردت دون تصحيحها على اعتبار أنها من سمات العصر ولغة المؤرخ.

(٣) قدحان: القدح يساوي ٦٤ نفر، والنفر مكيال يُستعمل لوزن أنواع الحبوب. (الجرافي: الحوليات، تحقيق: د.العمري، ه.ص ١٧٠، ٢١٦).

(٤) قتلا: هكذا وردت في الأصل والأصح هو "قتلى".

(٥) أنفار: مفردها نفر أي شخص وأشخاص.

(٦) المقصود هو العجم.

بقى من بني عبد وغيرهم، واجتمع رأيهم أن يكونوا زيادة لمن في قلعة المعمري، فلم يشعروا إلا بطلوع دخانها، فلم يسعهم في الحال إلا التفرق فتفرقوا أيدي سبأ. ورجع المقدمي إلى حضرة الإمام عليه السلام. وأما من دواس فإنه لما أظلم الليل خرجوا من مطرح العجم في الحصيب. فتغاضى عنهم العجم، كأنهم لم يسمعوا ولم يبصروا حتى دخلوا الظفير. وسار السيد محمد مزيقر يريد حصن جعبل فمنعوه أهله فقصد عولى[1] فَمُنَع أيضاً فدخل الظفير. ولما أستولت العجم على ماذكر احرقوا البيوت بالنار، وتحصن كثير من أهلها بالفرار.

ذكر وقعات الحيمة الداخلية:

وفي هذه المدة كان الحرب في الحيمة الداخلية، والسبب في ذلك أن أحمد فيضي لما دخل صنعاء ووقع ماقد ذكرنا من الحروب، لم يدخل أهل الحيمة في الطاعة وبقى لديهم مقدمهم السيد الهمام محمد بن أحمد الشامي بحصن العر[2]، فأتي إلى الإمام عليه السلام الشيخ مقبل بن يحيى قطيع فجهز معه عساكر من حاشد ومن الغولة[3] وعزم بهم، ونَفَّذ السيد الهمام صفي الإسلام أحمد بن قاسم بمن عنده من قبائل أرحب، وتوجه السيد الجمالي علي بن صالح بمن معه من قبائل نهم وبني حشيش حتى بلغت العسكر في الحيمة إلى الخمس مائة[4]، وعزمت جماعة من أهل الحيمة ليلاً إلى السلك[5] فقطعوه، فتوجه من جهة العجم القاضي أحمد الردمي[6] وعياش والأسد، إلى الحيمة يريدون الصلح والمسالمة ودخول أهل

(١) عولى: حصن في حجة (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٤٣).

(٢) العر: قرية في الحيمة الداخلية في حراز وهي مركز الناحية. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٩٨).

(٣) الغولة: قرية من ناحية أرحب، والغولة قرية في ناحية بني الحارث، وغولة عجيب جبل في أقصى البون شمال غرب ريدة. (المقحفي: المعجم، ص٤٩١).

(٤) وردت في الأصل خمسمائة.

(٥) السلك: أي خطوط البرق.

(٦) القاضي أحمد بن يحيى الردمي: ولد ١٢٦٣هـ ونشأ بحجر والده تلقى تعليمه على يد القاضي محمد بن أحمد العراسي في شرح الغاية وعن الكثير من علماء عصره. تولى القضاء أيام الدولة العثمانية في يريم وحراز وحجة والعدين وبلاد البستان وسنحان والحيمة وبني الحارث وهمدان، كانت له علاقة بالسيد محمد الحريري الذي =

الحيمة في الطاعة، فأبوا عن ذلك إلا الشيخ محمد بن محمد الشقاقي شيخ عزلة الأحبوب[1]، وخرام اليعري شيخ عزلة بني السياغ[2]، فإنهما بذلا الطاعة في الخفية فلما أبو توجه الشريف محمد بن علي الشويع[3] وصحبته خمسة وعشرون رجلاً حتى بلغوا المسجدين[4] بيت محمد بن محسن، وهو من أعوان العجم. فلما وصل الشريف الشويع هنالك كاتب مشايخ الحيمة وطلب منهم الوقفة فاتفقوا إلى الزيلة[5] فأبى عن الصلح مشائخ الحيمة إلا الشيخين المذكورين، فلما بلغ السيد محمد بن أحمد الشامي أرسل إلى أعيان «ق٤٧أ» الأحبوب فقبض عليهم وحبسهم، ثم وجه السيد حسين بن قاسم عامر وعسكر زهاء مائتين وخمسين من أرحب ونهم والغولة وذيفان فبلغ السيد المذكور فرمى من معه ببنادقهم ضربة واحدة فشمرت رجال الأحبوب فدخلت بيت النش[6] فرتبوه بنيَّة الإمام. وقد بلغ من أهل المداهنة[7]، وخرج السيد المذكور من الزيلة، فدخل بيت نفع[8] معه خمسة وأربعون رجلاً، وعزم الشيخ مقتل قطيع والحاج راجح بمن معهم، فدخلوا بيت معدن بغير رضى أهله بسعاية الحاج محمد بن أحمد العبد، ومال أهل معدن إلى مخادعة الشويع.

وفي شهر جمادي الأولى خرجت العجم من صنعاء متوجهين إلى الحيمة نحو ستمائة بما معهم من السلاح والمدافع فباتوا بمتنة[9] وداعر[10].

قدم إلى اليمن لاستكشاف الأحوال والأوضاع، قام بكتابة رسالة للإمام المنصور ناصحاً إياه بترك محاربة الدولة العثمانية توفي في وادي ضهر سنة ١٣٢٠هـ. (زبارة: نزهة النظر، ص١٦٤).

(١) عزلة الأحبوب: في ناحية الحيمة الداخلية، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٤٢).

(٢) بني السياغ: عزلة في ناحية الحيمة الداخلية، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٤٠).

(٣) الشريف محمد بن علي الشويع: كان من اليمنيين الذين حاربوا مع الأتراك ضد الإمام، وكان يطلق عليهم مؤرخنا من أعوان العجم.

(٤) المسجدين: قرية في عزلة جبل النبي شعيب، ناحية بني مطر، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٥٦).

(٥) الزيلة: قرية في عزلة الأحبوب، ناحية الحيمة الداخلية، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٤٢).

(٦) النش: قرية في عزلة الأحبوب، ناحية الحيمة الداخلية، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٤٢).

(٧) المداهنة: قرية في عزلة القطيش، ناحية حوث، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٢٣٣).

(٨) بيت نفع: ربما تكون قرية النفع في عزلة بني النمري، وهناك قرية أخرى تحمل اسم قرية يفع وكلاهما في الحيمة الداخلية، محافظة صنعاء. ولم أتبين أيهما يقصد المؤرخ. (التعداد: ص٤٠، ص٤٩).

(٩) متنة: قرية في حقل سهمان في بني مطر بلاد البستان سابقاً. وهي مركز عامر في الطريق بين صنعاء والحديدة. (الويسي: اليمن الكبرى، ص٩٤).

(١٠) داعر: قرية في حزة سهمان ناحية بني مطر، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٦٧).

وفي يوم الجمعة ساروا حتى بلغوا القليس[1] ظهراً، وتقدموا من وقتهم فتلقتهم الأنصاروالسيد المذكور ومن إنضم إليهم من أهل البلاد، وقد افترقت العجم فرقتين فرقة نحو بيت معدن من قاع الوسط فما فوقه جاءوا بيت معدن من عدنيه، وفرقة بقيت بقاع الوسط. ونَصَّبوا المدافع من هنالك، ولم يزل الحرب بينهم وبين من في بيت معدن إلى الليل. وأما من في جهة العرب فإن السيد ومن معه تقدم إلى أَكَمة بقاع الوسط واتصل الحرب إلى الليل، وقتل من العجم في هذه الحرب كثير، ومن المجاهدين إثنان.

وفي يوم السبت عاودوا الحرب من قبيل الشروق، وتقدم من في الوسط يقصدون بيت محمد بن محسن ليتمكنوا من الأرتقاء على من في جبل الشبة فدخلوه بعد الحرب الشديد، وذلك في وقت الضحى، وسائر أهل البلاد اذ ذاك لم تبلغ غارتهم إلى السيد المذكور ولا وصلت زيادتهم إلا جماعة من بني السيَّاغ. ولما دخلت العجم هنالك تقدموا من ساعتهم على من في جبل الشبة. وصعدوا إليه فثبت لهم العرب قليلاً ثم فروا. وقد قُتل منهم قتيل فلم يشعر المقدمي إلا وقد تخلت المراتب الغربية، فانتقل المقدمي إلى أكمة هنالك تحمى على من هرب من العرب. وإستمر القتال إلى الليل. ولم يبق مع المقدمي غير أصحابه الذين من المشرق. وأما من في بيت معدن فإنه إستمر الحرب بينم إلى الليل، وخرجوا منه فلما بلغ خروج من فيه إنتقل إلى بني السياغ حتى بلغ إلى المحطة[2] فجعلوا يتلطفون له بأنها ستُهلك العزلة إذا بقى فيها، فتركهم وسار إلى بيت الجومري[3] ، فمنعه أهله من الدخول، فسار إلى هجرة بني السياغ، ولم يبت إلا بحصن العر[4] . وقتل من العجم في هذه الحرب ثمانون رَجُلا، ومن العرب أربعة. وفي اليوم الثاني يوم الإثنين دخلت العجم بيت معدن فأحرقوه، وتقدم الشريف الشويع بأصحابه قرية الزيلة برضى أهلها، ونزلت العجم خلفه الزيلة وبيت النش. وفي الشهر المذكور أيضاً تقدم المقدمي السيد الجمالي علي بن صلاح وصحبته

---

(١) القليس: قرية تتبع عزلة جبل النبي شعيب، ناحية بني مطر، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٥٦) .

(٢) المحطة: قرية تتبع عزلة بني السيَّاغ، ناحية الحيمة الداخلية، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٤٠) .

(٣) بيت الجومري: وردت هكذا، ولكن هناك قريتان تحملان نفس الاسم مع بعض الاختلاف، هناك قرية "جومرة" وقرية "الجوامرة" وكلاهما تقعان في عزلة جدعان، ناحية الحيمة الداخلية، محافظة صنعاء. "أما الجومري" فلم أجدها في المصادر التي بين يدي. (التعداد: ص٤٤) .

(٤) حصن العِزّ: قرية العر في عزلة الحدب، ناحية الحيمة الداخلية، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٣٧) .

نحوً من ثلثمائه وخمسين رجُلاً من أهل المشرق، وأمره أن يقبض حصن ظفار[1] المتوسط في النقيل، وهو حصن مانع، خراب فيه بقية من العمارة التي عمرها الإمام مع المتوكل على الله المحسن بن أحمد، ورتب مع ذلك بيت برلس وبيت السنحاني وغيرهما. ووصلت إلى العجم زيادة من الذي في بلاد لاعة وحجة نحو أربعمائة[2] ولم يقع حرب بعد وصولهم.

ولما كان يوم الجمعة إفتشل من في ظفار وعزموا على الفرار لالسبب ولا إضطرار، فرتبه المقدمي بسبعين رامياً وأبقى هنالك الحاج أحمد العبدلي والحاج سعيد الدرلى. وفي ليلة الأحد ثاني عشر الشهر المذكور فرت الرتبة من حصن ظفار، وارتكبوا العار، ولم يبق غير عشرة، فأمر المقدمي بترتُّبة مرة ثانية في الليل، فبلغت القوم إليه «ق٤٧ب» فجراً وقدرهم أربع مائة رئيسهم السيد الجمالي علي بن أحمد صلاح. وفي اليوم المذكور توجهت القوم على من في ظفار، وكان الذين فيه قد رتبوا كل قبيلة بجهةٍ، فالشيخ فرحان الغولي ثم السريحي بأصحابه بني سريح في الجهة العدنية، وراجح الهجام ومن معه في الجهة الشرقية، والنقيب يحيى وعيل بمن معه في عطف الجبل، والنقيب محمد بن حسين العذري بمن معه في جهة الغرب، والسيد علي بن صلاح في رأس الحصن. فأثارت العجم الحرب ورمت بالمدافع، وهجمت العساكر وجرى بينهم حرب شديد متكاثر، فرمت العجم نحو العدن ففر من فيه فما شعر الذي في الجهات الأخرى[3] إلا وقد إقتحمت العجم فثبت النقيب محمد بن حسين

---

(١) حصن ظفار: اسم مشترك بين محلات كثيرة في اليمن منها.
ظفار حمير في يريم جنوب صنعاء.
ظفار الحبوضي مدينة على ساحل حضرموت.
ظفار داوود حصن بلاد همدان في ذي بين، سمي بأسم داوود بن الإمام المنصور عبدالله بن حمزة، وهو في الأصل جبل ورور.
وظفار حصن في حازة صنعاء.
وظفار حصن في بلاد همدان الشام في صعدة.
وظفار حصن بني سويد في آنس، وهو حصن أشيح الذي سكنه الداعي سبأ بن أحمد الصليحي.
أما المقصود هنا فهو حصن ظفار في الحيمة الداخلية غرب صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٦٤) .
(٢) هكذا وردت في الأصل.
(٣) وردت في الأصل "الأخرة".

العذري، وقتلوا كثيراً من العجم، وغارت المجاهدون من كل جانب، وصار الحرب سجال، تارة ينهزم العجم وتارة ينهزم العرب، حتى تراموا بالحجارة وإستمر ذلك إلى الليل، وحينئذ فرت العرب، وقد استشهد منهم ستة أنفار منهم النقيب محمد بن حسين العذري، وقتل من العجم ثلاثون[1] وسبعة وعشرون مجاريح.

وفي يوم الإثنين أرادت العرب دخول العِرْ، وقد داخلهم الفشل والوهن، فنهاهم المقدمي عن ذلك، فلما رأى أهل الخربة ذلك إستدعوا العجم فرتبوها ورتبوا حصن سودان المشرف على العر وقرية نفند[2] والصبار والجبل الذي تحت القدوم، وانظمت المجاهدون إلى المقدمي، فدخلوا حصن العر وكانوا نحو الخمسمائه، وقد تتابعت أهل البلاد على طاعة العجم ورتبوا جبل المنصورة الحاكم على العر، وكان طلوعهم من شرطة القدوم[3] ولم تكن مرتبة، فلما أحس بهم من في العر أجمعوا أن يخرجوا من الحصن خوفاً من أن يُحاصروا فيه، فلم يَسْع المقدمي بعد هذا إلا العزم والعَوْدْ إلى شريف المقام والسلام.

ذكر انتقال الإمام عليه السلام من جبل الأهنوم إلى قفلة عذر[4] :

وما يتصل بذلك من الخبر وأنه لما رأى الإمام عليه السلام تجادل الناس وفشلهم وما نزل بهم من الوهن والكدر، رأى الإنتقال إلى قفلة عذر لمآرب له لاتُحصر، وجعل على الجبل السيد العلامة الصفي أحمد بن يحيى بن قاسم لإقامة الشريعة وإنصاف المظلوم من الظالم. وكان عليه السلام قد نقل أهله قبل ذلك من المدان[5] إلى هجرة[6] عيان[1] من بلاد

---

(١) وردت في الأصل "ثلثون" وتم تصحيحها.

(٢) وردت هكذا "نفند" بدون تنقيط ولم أتمكن من قراءتها.

(٣) شرطة القدوم: هي مُقدمة الطريق المتجهة إلى المكان المقصود.

(٤) قَفْلَة عذر: قرية عامرة في عذر إحدى بطون حاشد الكبرى وتقع في الشرق بشمال من شهارة، وشمال غرب هجرة حوث. (القاضي إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٣، ص١٦٩٣).

(٥) المدان: بلدة عامرة في جبال الأهنوم وهي مركز ناحية الأهنوم وتتبع لواء حجة. كانت وما زالت من مراكز العلم منذ بداية المائة الرابعة عشرة للهجرة، وذلك حينما أمر الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين ببناء منازل لطلبة العلم المهاجرين بالقرب من الجامع، وقام بالتدريس القاضي عبدالله بن أحمد الشماحي. (الأكوع: هجر العلم، ج٤، ص١٩٨٢).

(٦) الهجرة: للهجرة مدلولان لغوي، وهو كما عرفه صاحب (تاج العروس) في مادة هجر، والهجرة الخروج من أرض إلى أُخرى. واصطلاحي: وهو خاص بأهل اليمن، فالهجرة تطلق على كل محل بين محلات القبائل إذا =

سفيان لما رأى ما الناس عليه من الخذلان. ولما استقر عليه السلام جمع عقال عذر[2] والعصيمات[3]، وإفتقد ما بينهم من الإحن فأصلح مابينهم، فجمع الله شملهم ببركة هذا الإمام المؤتمن.

ومن كرامات الإمام: عليه السلام إن هذه القرية أعني قرية عِذَر كانت من أوبى أرض الله، كما وصف لنا غير واحد حتى وصفوا لنا أن الغريب إذا بات فيها ليلة لابد أن يمرض، ولما إستوطنها الإمام عليه السلام رفع الله منها ذلك الوباء ببركة الإمام عليه السلام، وأصلح عليه السلام[4] أوعية مائها المسمى بير الغارب وأنها من أعذب المياه بإجماع أهل المعرفة.

وقعه حصن الظفير:

وصفتها أن العجم تقدموا في يوم الأحد حادي شعبان إلى الكهوف التي تحت حصن الظفير، ووقفوا هنالك ساكنين إلى وقت الفجر، وكان عددهم خمسة وعشرون مائة، وقد

كان مُهَجَّراً بينهم عما يعتادونه من أسلاف وعادات القبائل، ويكون ذلك للمحلات المأهولة بالعلم والفضل والصلاح. والهجرة هي المكان الذي يأوي إليها العلماء والفضلاء. وقد اصطلح علماء اليمن على تسمية القرية التي يهاجرون إليها باسم (هِجْرَة) إضافة إلى اسمها العلم، ليجعلها دار إقامة له، ويتخذ منها مكاناً لنشر العلم، وتكون مقصودة لطلبة العلم. ويتعلم الصغير القرآن ويستفيد الكبير من الفتاوي في شئون الدين والدنيا، وفي اليمن هجر كثيرة حتى اليوم مثل هجرة شوكان، وهجرة الكبس، وهجرة العمارية وهجرة بني السياغي، وهجرة السر. (الأكوع: الهجر، ج١، ص٥، علي محمد زيد: الموسوعة اليمنية، المجلد الثاني، ٩٧٦).

(١) عِيَانْ: قرية عامرة في سفيان إحدى بطون بكيل الكبرى، وتقع في الشمال الشرقي من حرف سفيان، كانت هجرة مشهورة، وقد أمر الإمام القاسم بن محمد بهدمها فهدمت سنة ١٠٢٦هـ بدعوى أنها كانت مقراً لبعض قوات الدوله العثمانية المرابطة في اليمن، ثم أمر الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم بإعادة عمارتها فعُمرت كما عُمر قصرها، ولعل أول من اتخذها هجرة الإمام القاسم العياني الذي نُسب إليها. (الأكوع: هجر العلم، ج٣، ص١٥١٠).

(٢) عِذَرْ: بطن من قبائل حاشد، ومنهم عِذَر مطرة في نهم، وبنو العذري من مشائخ أرحب. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٩٥).

(٣) العصيمات: بطن من بطون قبائل حاشد، ومركز العصيمات بلدة حوث وهي من القرى العامرة بالعلم والعلماء. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٢١).

(٤) وردت في الأصل هكذا (ع~ه) وتم تعديلها وما شابهها من الرسم والاختصار.

صنعوا من السلاليم الطوال في السلم الواحد أربعون درجة أعدوا ذلك من البلاد الرومية، فلما «ق٤٨أ» كان وقت الفجر، صاحوا بالنفير من جميع المراتب، ورموا بثمانية مدافع وبنادق لاتحصى كثرة، وتقدم الذين في الكهوف، ونصبوا المراقي[١] والسلاليم وصعدوا، ولم يعلم القوم بطلوعهم في تلك الحال، فلما كادوا أن يَصِلوُا إنتبه الناس، فخرج جميع من في المدينة، وجعلوا يرمونهم بالأحجار حتى كسروا تلك المراقي، وامتنع الطلوع، وجعل الضباط يسوقونهم نحو الباب، واجتمع من العرب إلى جهة الباب شيء كثير وجعلوا يرمون العجم بالبنادق والحجارة حتى هزموهم عن الباب، وقُتل من العجم مائة[٢] قتيل الذين ظهروا كما قيل، ولم يقع في العرب غير مكان[٣] الشيخ محمد بن مبخوت الأحمر، فلما انهزم العجم أخذت العرب بنادق المقاتيل وسلبوهم سيوفاً وذهباً كان في ثيابهم، لأنها إنجلت المعركة ولم يقدر العجم على دفن قتلاهم. وفي تلك الليلة غزت العجم على موضع خراب قرب بيت ماطر، وكان فيه جماعة قليلون فخرجوا ودخلت العجم. ثم أنها أعني العجم غزت إلى بيت ماطر، وكان فيه نحو خمسين فناموا ماخلا ثلاثة حرس فلم يفطنوا الا وقد أحاط بهم العجم، فوقع الحرب وقتل من العجم جماعة ومن المجاهدين رجلين[٤] لاغير، وانهزمت العرب وقبضت العجم بيت ماطر فقبضوا طريقه وكان ذلك أعظم شاغل على من في الظفير، وكان ثمة طريق شغار[٥] إلى السوق، فاتفق أن جماعة خرجوا إلى السوق ففطن لهم العجم، فخرجواعلى إثرهم فطرحوا[٦] في الطريق والآكام. فلما كان الليل طلع[٧] الذين كانوا في السوق ولم يعلموا بالكمين، فوقعوا بالقرب من العجم، فأرسلوا

---

(١) المراقي: مثل السلاليم، رقي إلى الشيء رُقياً، وارتقى يرتقي أي صعد. (ابن منظور: لسان العرب المحيط، ج١، ص١٢١٢).

(٢) وردت في الأصل هكذا (ماة).

(٣) مكان: أي جريح.

(٤) الصحيح هو (رجلان).

(٥) طريق شغار: أي طريق خالية، وشغرت الأرض والبلد أي خلت من الناس ولم يبق فيها أحد يحميها ويضبطها. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٣٣٠).

(٦) فطرحوا: أي كمنوا وتفرقوا في الطريق والآكام.

(٧) طلع: أي صعد وهو اصطلاح يمني فيقال طَلع صنعاء ونزل الحديدة، باعتبار أن صنعاء موقعها أكثر ارتفاعاً من الحديدة التي تقع في سهل تهامة المنخفض.

عيوناً ففطن لهم العجم فتبعوهم ففر بعضهم إلى الظفير وبعضهم رجع إلى القوم فأنذروهم فرجعوا، وخرج القوم الذين في الظفير للقاهم، وفيه أيضاً قبضت العجم بيتاً يقال لـه بيـت الحسيني قريباً من الظفير، فكلم الشيخ ناصر مبخوت أهل ذلك البيت أن يحرقوه بالبارود، وتواعدوا إلى وقت في الليل، وكان آل الحسيني ثلاثة نفر، فـأدخلوا البـارود وصـعد أثنـان منهم عند الأتراك، ونزل واحد لإصلاح البارود والذريرة[1] فجرت الفتيلـة فـصعق دخـان الفتيلة والبارود، فانتبه بعض العجم، فنزل ولحقه الأخوان فقال ماهـذا الـذي فـاح ريحـه، فقتلوه واشعلوا البارود وهربوا وقرح البارود قارحاً عظيماً قبل الوقت الـذي واعـدوا فيـه الشيخ ناصر، فنزل أهل الظفير، وبقى من البيت موضـع سـلم فيـه بعـض الـترك، فرمـوا بنادقهم حتى غارت عليهم العجم من المراتب الأخرى، وهلك من العجـم هنالـك خمـسة وثلاثون[2] ، فوهنت العجم لذلك. ولما اتصل الخبر بأحمد فيضي حزن حزناً شديداً وقال إنـا مسلمون وأنتم مسلمون كيف تصنعون يامعشر العرب، فقيل له أن مدافعكم هذه لايجـوز أن يقاتل بها المسلمون، وأن العرب لما رأوا مدافعكم قابلوها بهذه الكيدة جزاء وفاقاً. ثم أن العجم شددوا الحصار على من في الظفير حتى أنه لم يقدر أن يدخل عليهم أحداً.

وقعة كحلان من بلاد خبان[3]

وصفتها وفي يوم الثلوث الخامس عشر من شهر رمضان في السنة المذكورة كان وصـول سيدي محمد بن حسين بن عباس حصن كحلان في بلاد خبان قريب من مدينة يريم، وهـو حصن منيع فيه من المآثر الحميرية ومن العمارات والبرك الوسـيعة، وكـان الـسبب في هـذه الوقعة أن بعض الشيعة كتب إلى حضرة الإمام عليه السلام يستمد منه النصر «ق٤٨ب» لما حصل من النكاية له وتشريده. فأرسل الإمام عليه السلام السيد الهمام، والليث الـضرغام، محمد بن الحسين بن عباس، ومن صحبه جماعة من أكابر الناس، فلما وصل إلى بـلاد الحـداء أنضاف إليه منهم قوم كثير. وكتـب إليـه رجـل مـن الـشيعة آخـر غـير الأول: أن العجـم

(١) الذريرة: هي الفتيلة (عامية) .

(٢) وردت في الأصل (ثلثون) .

(٣) حصن كحلان بالقرب من يريم وسبق ترجمته.

قاصدون إليه لأخذه وتنكيله، فالغارة الغارة[1] وكان الرجل في كحلان فلما وصل المكتوب إلى سيدي عز الإسلام[2] حث السير إليه، ليدخل حصن كحلان قبل دخول العجم فيه وكانت العجم إذ ذاك في مدينة يريم فتسابقوا إلى الحصن المذكور، فدخله المجاهدون قبل وصول العجم. وكان مطرح المجاهدون في الحصن وفي القرى التي تحته، ولما وصلوا هنالك، أطلعوا ماقدروا عليه من الحبوب، وشحنوا الحصن مما يحتاج إليه. وكان قدر القوم ثماني مائة وأكثرهم من الحداء. وحين وصلت العجم ووجدوهم قد قبضوا الحصن سقط في أيديهم فتقدمت العجم على من في القرى فوقع الحرب بينهم وأخرجهم العجم من القرى، وفر من هنالك أكثر القوم الذين لا يعبأ بهم من الحداء وغوغاء الناس، ولم يبق في الحصن إلا من يُلام وقبضت العجم جميع القرى التي تحت الحصن، وشرعوا في محاصرة من في الحصن من جميع الجهات محاصرة شديدة، ولم يزالوا في كل يوم يترامون بالبنادق والمدافع، ويقع في العجم من رمي المجاهدين القتل الذريع، ومن أراد الدخول إلى الحصن فلا يمكنه الدخول الا ليلاً، وكذلك الخروج، وكتب إليَّ سيّدي عزالإسلام بتحقيق ما وقع، وأرسل فرسه إلينا صحبة القاضي محسن العكام لعدم العلف في الحصن، ثم عظم الحصار من العجم الفجار، وأعوانهم الأشرار، ووقع بينهم حروب كبار، وأدركت عيد الإفطار في تلك الدار. ثم أن عزالإسلام كاتب أهل البلاد أعني بلاد يريم وخبان[3] والعود[4] وعمار[5] وقعطبة يحثهم على الجهاد بالمال والرجال، فلم يجبه إلا قليل ممن يعرف الآل، وآخرون متربصون لما يقع في المآل. ثم إن مصطفى نافد رئيس العجم المحاصرين لما كاد أن يعجز عن المحاصرة كتب إلى أحمد فيضي باشا إنه لايمكن إخراج من في الحصن إلا بدراهم. فأرسل أحمد فيضي أركان حرب مأموراً لكشف الحقيقة، فلما وصل إلى هنالك أظهر الكبرياء والإستحقار والسخرية، وأرسل من في الحصن أن يخرجوا والإ فَأْذَنُوا

---

(١) الغارة الغارة: تم تكرارها لطلب النجدة، والغارة أي النجدة والاستغاثه.

(٢) عز الإسلام: لقب يطلق لكل من كان اسمه محمد ويقال العزي اختصاراً.

(٣) خُبان: وادي مشهور فيه مزارع وقرى وعيون جارية. وبه سميت خُبان، وخبان قرية بالقرب من مغرب عنس. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٠٤) .

(٤) العود: مخلاف واسع من ناحية النادرة محافظة إب (الحجري: المجموع، ج٣، ص٦١٨) .

(٥) عمار: مخلاف من ناحية النادرة، وآل عمار من قبائل دهمة في صعدة. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٦١١) .

بحرب، والمقصود مخادعة المجاهدين، فلما وصل إلى المجاهدين، أرهب فاطنب وخذّل، فلما وجدهم في غاية مايكون من الشدة، وأبوا أن يخرجوا، أسرَّ إلى بعضهم على جهة الكتمان كالنقيب عسكر بن عقلان الشعبي، ورجع إلى العجم فخبرَّهم بما وقع، ووجد من الشدة والإباء فاغتاظ حينئذ أركان حرب وعلاه الحزن والكرب، وقال لابن ثوابة نادهم أن الحرب يوم السبت. ومن صُنع الله الملك العلام الذي أكرم به هذا الإمام عليه السلام، إن المجاهدين كانوا قد عَطَلُوا[1] عن المونة، فلم يشعروا ليلة السبت نصف الليل إلا بنحو عشرين رجلاً يحملون مونة عربي[2] وشاشخان، من بعض أهل الإيمان في العود ففرح يومئذ المجاهدون وتفاءلوا[3] بأنهم المنصورون، وكانت العجم قد أعدت لهذه الحرب مالا يوصف كثرة من المدافع والبنادق والعسكر الجرار، وكانوا أكثر من ألفي رجل ثم تقدموا فجر يوم السبت، وحركوا المدافع الهجوم تحريكاً يذهل السامع، ويصك المسامع، وهجمت العجم أشد الهجوم حتى صار دخان الرمي كالغيوم، ومرامهم بذلك إرهاب المجاهدون. فلما وصلوا «ق٤٩أ» إلى قرب الحصن، أطلق المجاهدون البنادق عليهم كالصواعق وكان المجاهدون قد حفروا بالإمس لهم في الأرض وقائر[4] ومن حسن تدبير المقدمي عز الإسلام أنه لم يعطهم من المونة إلا كل واحد حبة واحدة لاغير، فسُئل عن ذلك: فقال أن العسكر إذا رأوا المونة قِبَلَهُم كثيراً عاجلوا بالرمي قبل إقتراب العدو، وحيث ولم يعط إلا واحدة فيكون حريصاً عليها، فلا يضعها إلا في موضعها. ثم أن عسكر العجم بعد أن كثر عليهم القتل انهزموا، فردتهم الضباط بالسيوف القواطع والطوبجية بالمدافع، فهجموا مرة أخرى ثم انهزموا مرة ثانية وهكذا، وفي كل حملة يُقتل منهم الجم الغفير، حتى أظلم الليل فانهزمت العجم راجعة إلى مطارحها، وقد سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا وراء عدوالله أركان حرب ما أذهل عقله، فعزم على الرحلة وفوض الأمر إلى مصطفى مصطفى نافذ، فأرسل مصطفى نافذ إلى النقيب علي بن عبدالله ثوابه. بأن يعاود الصلح ويعرضه على المجاهدين، ويكون من المرجفين ويُخوفهم ويرغبهم، فاتفق بهم وبذل مايقدر عليه من

(١) عَطلوا: أي فرغ مالديهم من المونة أي الأسلحة والذخائر.

(٢) مونة عربي: وهو البندق أبو فتيلة والشاشخان نوع من البنادق أكثر تطويراً من البندق العربي أبو فتيلة.

(٣) وردت في الأصل هكذا (تفآلو) .

(٤) وقائر: حُفر تُنحت في الصخر ليتحصن بداخلها العساكر.

الترغيب والترهيب، ووسوس وسوّل بأن يعطي كل واحد من الدراهم ماأمَّل، فتم له ذلك المؤمل. فرجع إلى العجم بصلح مُتَمَمَّ، بأن يسلموا للمجاهدين دراهم معدودة بشروط مشهورة، وبعد وَقْع الاتفاق فيما بين مصطفى نافذ وسيدي عز الإسلام لتمام الصلح، وكنتُ أرسلت رسولاً إلى حضرة سيدي عز الإسلام بمحتاج، فوصف لنا الرسول أنه دخل الحصن من ظهره لما كانت المدافع قد هدمت الدواير[1]، ووصف أيضاً إنه رأى النسور تحت الحصن تأكل القُتُول وذلك ثاني يوم الحرب. وعرفني سيدي عز الإسلام رحمه الله إنا لم نرض بالصلح إلا بسبب عدم أشياء محتاجات للعسكر وَقِلْة المونة وصرت حائر الفكر هكذا لفظ مكتوبه رحمه الله. ثم ذُكر في حاوي[2] بأنه بعد رَقْمَ[3] هذا، وصلت مكاتيب من حضرة سيدي المولى حفظه الله بإرسال مدد صُحبة القاضي أحمد بن محمد الشرعي. وقد وصلت المكاتيب بوصول المذكور ومن صحبته بلاد أرحب، ولابد نستخير الله في البقاء وعدمه. هكذا مضمون كتابه. وأرسل حينئذ للفرس المودعة لدينا. وقتل في هذا الحرب النقيب عسكر بن عقلان، وقعت فيه رصاصة عرب دخلت إليه من محل لايمكن الدخول فيه، وكان المجاهدون يتهمون فيه بأنه يريد المخادعة، فلما قُتل وجدوا في جيبه مكتوباً يقضي بذلك وكان أول هالك. وأستشهد أيضاً في هذه الحروب الشيخ الحاج على بن أحمد القوسي من مشائخ الحداء وصالحها[4]، وصح لدينا أن المقاتيل من الحداء في هذه الحروب أكثر من أربع مائة وأما المكاوين فلا يحصون كثرة.

وحين تم الصلح وقبضوا الدراهم المعلومة عزموا على الارتحال، بعد أن توثقوا بأخذ الرهاين خوفاً من الغدر الذي هو طبع العجم الأنذال. فهذا ماكان من خبرهم المأخوذ على وجه الصحة العاري عن الكذب في المقال. وبعد أن عزم من كحلان، توجه بمن بقى معه من العسكر نحو ثلاثين لاغير إلى العود، واجتمعت معه رجال العود، وتوجه بهم إلى

(١) الدواير: مفردها داير وهو السور. (عامية).

(٢) حاوي: كتاب أو رسالة.

(٣) رَقْمَ: أي كتابة، وتسجيل تلك الأحداث في رسالة.

(٤) صالحها: أي من صُلحائها.

الشَّعرْ[1] ، وبعد وصولهم الشعر هجمت عليهم العجم الذين كانوا في المنار، وقد وقع الحرب بينهم وكانت الغَلَبَة في أول يوم للمجاهدين، وانهزمت العجم، فلحقتهم المجاهدون وغزوهم إلى المطرح وأحاطوا بهم «٤٩ب» من كل جهة وكادوا ان يستسلموا، وكانوا نحو طابورين[2] ، وبعد مدهم مصطفى نافذ بمن معه فافتشلوا أعني المجاهدين، ومن اجتمع إليهم من أهل الشعر والعود. وإنحاز السيد عز الإسلام بمن معه من أهل المشرق وتوجهوا بلاد رداع حتى بلغوا إلى بني ضبيان[3] ، وكان من أمرهم ما سيأتي ذكره إن شاء الله قريباً.

وفي شهر شوال أطلق الإمام عليه السلام من الأسارى محمد بيه[4] ومحمد أمين قائم قام[5] بفدآء.

وفي هذا الشهركان خروج جماعة من العجم إلى حصن اللومي قدرهم أثنى عشر مآئة، فطرحوا هنالك خارج القرية، فغزتهم طآيفة من القبائل ليلاً بسبب ذلك دخلوا البيوت. ومن الغرايب أن بعض القبائل أقسم لايرجع حتى يغنم وذلك لمَّا فاته الغزو الذي تَقَدْم، فقعد في موضع قريب من العجم. فاتفق أن ثلاثة نفر من العجم خرجوا لقضاء الحاجة فتفرقوا لذلك، وأتى نحوه واحد وقعد لقضاء الحاجة قريباً منه فطعنه وأخذ البندق، ولم يعلم به العجم إلا بعد أن أخذها وعزم وأبر الله القسم.

وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٠٩[6] خرج أحمد فيضي متوجهاً نحو

---

(١) الشَّعْر: مخلاف مشهور من ناحية النادرة في محافظة إب. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٥٤) .

(٢) طابورين: الطابور كتيبة أو فرقة عسكرية من المشاة والطابور ربع السرية (الجرافي: الحوليات، تحقيق: د.العمري، ه. ص٣٦) .

(٣) بني ضبيان: فرع من قبائل اليمانيتان العليا والسفلى وهي من قبائل خولان صنعاء، وتعرف بخولان الطيال أو خولان العالية ومنازلها شرقي صنعاء إلى قرب مأرب. (المقحفي: معجم البلدان، ص٢٢٨) .

(٤) وردت في الأصل بكتابتها بالطريقتين (بيه وبيك) ، وسوف أثبت الأولى والمتداولة.

(٥) قائم قام: لقب شيخ البلد وهو استعمال اصطلاحي، وتستعمل قائمقام في معناها الأصلي لكل من يقوم مقام أحد كقائمقام الباشا عند ماتكون الباشوية خالية. (موفق بني المرجه: صحوة الرجل المريض (السلطان عبدالحميد) ، ص٤٥٨) .

(٦) الثامن والعشرين من شهر شوال ١٣٠٩هـ الموافق مايو ١٨٩١م.

القبلة[1] وقد إستكثر خيلة ورجلـه، وقبـل خروجـه عقـد مجلسـاً في صـنعاء لتـدبير المـسير والرجعة، كما هي عادة العجم في مشاورة أولي الرأي. فلما اجتمعوا سأل مـاالأولى الإبتـداء بالشرق أو قصد الإمام، فكل واحد حضر ماعنده من الرأي، فقال أحمد فيضي من أين وقـع إبتداء الفتنة واشتعال نار المحنة، فقيل له من الإمام، فقال: هو المادة والطبيب، إنـما يُـداوى أولاً بقطع المادة. فأجمعوا على الإبتداء بجهة الإمام. ولما وصل إلى جَدِرْ عثر به فرسه فشجه حتى تقيأ دماً، وكاد الفرس يُهلك، فنقل سرجه إلى آخر فأخذ مـن ذلـك فـالاً إنـه لابـد أن ينكسر ويصد عن مطلبه، ويتغيّر ولا يبْلُغ، بحول الله سبحانه شيئاً من الوطر.

فصل: وأما الإمام عليه السلام فإنه كتب إلى عُقَّال[2] حاشد:

وحثّهم على الجهاد، وعرَّفهم ما أعد الله للمجاهدين فأجابوا بالسمع والطاعة، فكتب عليه السلام قاعدة فيما بين حاشد وبكيل، وكل قتيل بأنهم يدٌ واحـدة عـلى العـدو الأكـبر، وأن الصوت تجمعهم، إلا أنهم ما وَفَّوا بل خادعوا واختلفوا.

وفي الخامس والعشرين من الشهر المذكور وصل عـدو الله بمـن معـه رَيِّـدَة، وأخـرج أهلها من البيوت ودخل هو وعسكره.

وقعة في حصن الظفير:

وفي هذه المدة وقع حرب في حصن الظفير، غزا العجم جَمْـعٌ كثـير مـن جبـل نيـساء[3] وقتلوا منهم جماعة وأثنى عشر مُكانا[4] .

---

(١) القِبْلَة: أي الشمال، وهو اصطلاح يمني متعارف فكل ماهو قِبْلِيْ فهو شمالي.

(٢) عمد مؤرخنا على استخدام عُقَّال بدلاً من مشائخ، فالعقال أقل مرتبة من المشائخ، خاصة ماسَيَجد من أحداث في السياق القادم.

(٣) جبل نيساء: في حاشد غربي عفَّار بينه وبين عفار وادي ثعلان، ونيسا عزلة في ناحية المغربة في حجة. (المقحفـي: معجم البلدان، ص٧١١، التعداد: ص٧٣) .

(٤) مُكَاناً: جريح.

وفي اليوم الثاني من شهر القعدة دخل (أهـل) [1] الـسِنَّتين[2] في طاعـة العجـم، بعـد أن اجتمع العسكر الذين كانوا في اللومي بالعسكر الـذين وصـل بهـم أحمـد فيـضي، ودخلـوا السنّتين وأخذوا منهم الرهاين، ثم بدأ بأهل السنتين فهربوا وهربت رهـاينهم، وأرسـل إلى خمر فوجدوا أهلها قد فروا وغيَّروا الماء[3] بأمر الإمام عليه السلام ولما بلـغ أحمـد فيـضي أن أكثر حاشد قد تركوا بيوتهم وفروا، آيس من طاعهم وتقدم على بني عبد.

وقعة بني عبد:

وصفتها أن أحمد فيضي بمن معه من العساكر تقدموا على بني عبد، وكان قدر الـذين في القرية ثلاث مائة وخمسين بعضهم مبندقة وبعضهم عَوَّاده[4] ، ومايتين[5] من السودة[6] وبيـت وطّاس[7] وبيت ابن عَلاَ[8] والأكهوم[9] فلما تقـدمت العجـم رمـت بالمـدافع «ق٥٠أ» حتـى أخرجوا من البيوت الجدارات المواجهة لهم، ولم يزل العجم يرجفون ولا يبالون بمـن قتـل وكان بن عَلاَ في نوبة، فوقعت في جدار النوبة فانهدم فوقه فاستـشهد رحمـه الله. وكـان مـن الرؤساء فأخرجوه من تحت الهدم، وأستمر الحـرب إلى غـروب الـشمس، وبعـد الغـروب إنسلت العرب قليلاً قليلاً، والعجم يزحفون. وكان قدر العجم خمس عشر مائة ومـدفعين كبار ومدفعين صغار، وإستمر الحرب إلى طلوع الفجر، إلا أنه لم يبق غـير عـشرين رجـلاً،

(١) تم إضافة مابين القوسين لكي يستقيم المعنى.

(٢) السنتين: من قرى ناحية خمر، وهـي الـسنتين العليـا والـسنتين الـسفلى، محافظـة صـنعاء. (المقحفـي: المعجـم، ص٣٣٣، التعداد ٢٠٥) .

(٣) غيَّروا الماء: أي تعمدوا إتلاف الماء وتعكيره كي لاتستخدمه العساكر العثمانية.

(٤) عَوَّاده: وهي نوع من العصي ذو رأس على شكل كـرة، وتـستخدم في أغـراض كثـيرة لـدى الرعـاة والقـرويين وبالتالي يمكن استخدامها كسلاح أبيض للضرب والدفاع.

(٥) مايتين هكذا وردت في الأصل مُخففة.

(٦) السودة: قرية في عزلة عطيفة، ناحية السودة، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٨٢) .

(٧) بيت وطّاس: قرية في عزلة عيال يحيى، ناحية جبل عيال يزيد، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٧٣) .

(٨) ابن عَلاَ: هي بني علا، قرية في عزلة الأكهوم، ناحية جبل عيال يزيد، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٧٤) .

(٩) الأكهوم: وردت عند المؤرخ (الأقهوم) والصحيح هي الأكهوم، وهي عزلة في ناحية جبل عيال يزيـد، محافظـة صنعاء. (التعداد: ص١٧٤) .

فعند ذلك تيقنوا أنه لاطاقة لهم، فخرجوا وقد وصلت النكاية العظيمة في العجم، وإنجلت المعركة عن ستين قتيلاً من العجم ومن المجاهـدين إثنـان. فلـما طلعـت الـشمس وتيقنـت العجم أنه لم يبق أحد في القرية دخلوها وأحرقوا فيها بعضاً من البيوت.

وفي اليوم الثالث من شهر القعـدة دخلـت العجـم يـشيع[1] وبيـت هـراش[2] المظـرد[3] والعقيلي[4] . وفي رابع الشهر توجه سيف الإسلام محمد بن الإمام المتوكل في قريـب سـتمائة مُقاتل، فلما وصلوا بيت غنيمة فامتنع أهلها أن يفتحوا لهم، وكـانوا قـد رهنـوا للعجـم[5] ، فدخلها سيف الإسلام بمن معه كُرهاً وطرحوا فيهـا.وفي هـذه المـدة وصـلت الأخبـار إلى الحضرة الشريفة أن حاشداً قد نافقوا وأطاعوا العجم، ونقضوا العهود التـى حكيناهـا فـيما تقدم وقبضوا منهم رشوة. وفي ذلك قال القاضي العلامة شيخ الإسلام علي بن علي اليماني[6] هذه الأبيات:[7]

تــأس يــا ابــن رســول الله بالرُسِــل ... وبــالوصي أمــير المــؤمنين عــلي

---

(١) يشيع: من قرى حاشد، وتتبع عزلة الظاهر، ناحية خمر، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٢٠٤، الحجري: المجموع، ج٢، ص٢١٦) .

(٢) بيت هراش: قرية من عزلة خميس هـراش، ناحيـة خـارف، محافظـة صـنعاء. (التعـداد: ص٢٤٥، الحجـري: المجموع، ج٢، ص٢١٧) .

(٣) المطرد: وردت في الأصل الظرد بالظاء، ولكن بعد البحث تبين أنه لاتوجـد قريـة تحمـل هـذا الاسـم، ولكنهـا المطرد بالطاء، وهي قرية في ريدة البون من قـرى عيـال سريـح، محافظـة صـنعاء. (الحجـري: المجمـوع، ج٣، ص٧١٠) .

(٤) العقيلي: يوجد في نفس العزلة قريتان هما العقيلي العليا، والعقيلي السفلى، وكلاهما تتبعان عزلـة الظـاهر، ناحيـة خمر، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٢٠٤، الحجري: المجموع، ج٢، ص٢١٦) .

(٥) رهنوا للعجم: أي سلموا رهائن للأتراك، لقاء عدم مشاركتهم للإمام في الحرب.

(٦) علي بن علي اليماني: شيخ الإسلام ولد في صنعاء سنه ١٢٧٢هـ تلقى علومه على يـد والـده والقـاضي عـلي بـن حسين المغربي، والفقيه عبدالرزاق بن محسن الرقيحي والقاضي محمد بن أحمد العراسي، ورئيس العلـماء الـسيد أحمد بن محمد الكبسي، والكثير من علماء عصره. انتقل إلى مقر إقامة الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الـدين سنة ١٣٠٩هـ. وتولى منصب القضاء العام، ثم استقر في مدينة خيوان. وبعـد مـوت الإمـام المنـصور محمـد، صاحب الإمام المتوكل على الله يحيى، وعمل بالتدريس في صنعاء بالمدرسـة العلميـة، تـوفي بـصنعاء في شـوال ١٣٥٠هـ. (الناصر أحمد بن يحيى حميد الدين: نظم أجود الأحاديث، ص٧٣) .

(٧) وردت هذه القصيدة: في كتاب" أئمة اليمن" لمحمد بن محمد زبارة، ص ١٤٣، لكـن مـع بعـض التحريـف في بعض الكلمات.

مُدْمر الـصِيْد كـشاف الكـروب عـن الــ ـــمختار إن صـال أهـل الغـي والخطـل[1]

كـــم وقعـــةٍ تـــرك الأبطـــال خاويـــةً صرعى من القتـل لاصرعـى مـن الثمـل

وبالأئمـــةِ مـــن أبنـــاء حيـــدرةٍ شُـــم العـــرانين[2] ضرابـــين للقلـــلِ[3]

بـــدور أفـــق ســـماء المجـــد مُتبعـــي آثـــار ســـنة خـــير الرُســـل عـــن كمـــلِ

وفـيهم القاسـم المنـصور مـن خـضعت لـــه الأعجـــام في ســـهل وفي جبـــلِ

فأغْمَـــدَ الـــسيف في أعنـــاقهم وحَمـــىَ ديـــن المهـــيمن بالعـــسّالة[4] الـــذبلِ

ســـل عنـــه أثلـــة لمـــا ســـد غاربهـــا[5] وســـار فيـــه نجيـــع[6] العـــارض الهطـــلِ

إذ جالـت الأسـد مـن أبنـاء حاشـد مـن لهـم مـن المجـدِ مـا يربـو عـلى زحـلِ

يقـــودهم ســـادة غـــرٌ لهـــم هِمـــمٌ أبيَّـــــة قرنـــــت في داره الحمـــــلِ

فطهـــر الـــيمن الميمـــون مـــن دنـــس الأرجاس حتى مـشوا في أوضـح الـسُبُلِ

وقمـت يـا ابـن أمـير النِّحـلَ مُعتـصماً بـــالله لاطالبـــاً للـــمال والجُـــوَل[7]

ترجـــو النجـــاة بمرضـــاة الإلـــه بتنـــــــكيل البغـــاة بـــلا عـــي ولا كـــسل

أقـــــريتهم لهـــــذميَّات[8] مهنَّـــــدة[9] وشيـــشخان ومـــرةٍ[1] مُحكـــم العمـــل

تـــركتهم جـــزراً في كـــل معركـــةٍ للـــوحش والطـــير والنبـــاح والثعـــلِ[3]

«٥٠ب»

---

(١) الخطل: الكلام الفاسد الفاحش. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٨٦١) .

(٢) العرانين: أول الأنف حيث يكون فيه الشمم. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢،ص٧٥٨) .

(٣) القُلل: رأس الشيء، ورأس الإنسان. (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص١٥٥) .

(٤) العسَّالة: الشورة التى تُتخذ فيها النحل والعسل. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٧٧٨) .

(٥) غارب أثلة: هي قرية من عزلة الشط، ناحيه قفلة خمر، محافظة صنعاء. وقد جرت فيها موقعة حربية حاسمة بين الإمام القاسم والعثمانيين سنة ١٠٢٣هـ، هُزم فيها العثمانيين، وكان ذلك في عهد الوالي جعفر باشا. (التعداد: ص٢٥٨؛ أحمد بن محمد الشرفي: اللآلي المضيئة، ج٣، ص٣٥٨٣٦١) .

(٦) نجيع: نجع طلب الكلأ والعشب. (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٥٨٧) .

(٧) الجول: الجماعة من الخيل والإبل. (ابن منظور: لسان العرب، ج١،٥٣٦) .

(٨) هذميَّات: الهُذام السيف القاسع. (المنجد: ص٨٦٠) .

(٩) مهندَّة: هنَّد السيف شخذه، والمهندة السيوف المطبوعة من جديد الهِنْد. (المنجد: ص٨٧٥) .

لكـــنهم أيقنـــوا أن لابقـــاء لهـــم ... مـــادام أســـلحة الأنـــصار في كفـــلِ

فـأعْملوا الفكـر لمـا ضـاق مـسلكهم ... عــن الكفــاح أتــوا بــالمكر والحيَــلِ

جـــاءوا بأكـــذب تـــأمين مخادعـــة ... كــي يأخــذون نظامــاً لاعــلى عجــل

فــاجمع كتايــب أســد الغــاب قاطبــةً ... مــن حاشــدٍ وبكيــل غــير ذي ملــلِ

هُــم هُــم آل همــدان بــن زيــد لهــم ... تجـارب بـضراب البـيض والأسـلِ[٤]

هم جرَّعوا الـترك كاسـات المنـون وسـل ... حـصن الظفـير ومـالاقوه مـن جَلـلِ

وفـيهم الـضيغم[١] الفتـاَّك نـاصرهم ... أعنى ابـن مبخـوت نجـل الـدارع البطـلِ

وبـــارق لاح فانـــصبت ســـحايبه ... بنـــاقع الـــسم في رعـــد وفي زحـــل

فثـق بمـولاك معطـي النـصر مـن نَـصرَ ... الـدين الحنيـف وهـذا الـنص فيـه جـلِي

واثبـــت ودم في سرور ماحييـــت عـــلى ... رغــم الأعــادي مــن حــافٍ ومنتعــلِ

صـلى عليـك إلـه العـرش ماطلعـت ... شمس الـضحى بعـد طـه والإمـام عـلي

والآل ماســـارت الركبـــان قائلـــة ... تــأس يــا ابــن رســول الله بالرســلِ

وفي هذه المدة كان دخول أحمد فيضي خَمِرْ، وكان قد سبقه مقبل بـن يحيـى فـارع، وكـان أعظم متابع، فنزع الماء الذي قد تغيَّر، وأظهر إنه قد سعى بين الإمام وبين الأعاجم بـصلح مخادعة منه لأجل تخذيل الصادق. وفي ليلة دخولهم خمر سرى مسعود البارق ومعـه جماعـة فَعَشَّروا إلى مطرح العجم، فقتلوا ثلاثة رجال وبغلة. وفيهـا غـزا جماعـة مـن لـدى سـيف الإسلام إلى مطرح العجم ودام الحرب إلى الصباح.

هذا وأما بنو صُريم[٥] فَسَلْطَن[٦] أكثرهم فهم لايفلحون، ورهنوا عند العجـم وكـان لهـم رهاين لدى الإمام فاطلقها. ثم إن فيضي لما تمكن من بني صريم بقبض الرهائن فرق عليهم

---

(١) الضيغم: الذي يعض وهو الأسد الواسع الشدق. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ٥٠٣٨) .

(٢) شيشخان ومرة: نوع من أنواع البنادق، وقد سبق شرحها.

(٣) الثعل: اسم علم لأنثى الثعلب. (المنجد: ص٧٠) .

(٤) الأسل: الرماح. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٦٢) .

(٥)

(٦)

مائتي بقرة ومائة رأس غنم ومائتي قدح طعام، وهكذا من أذعن للعجم اللئام.

وفي هذه المدة وصلت الكتب من سيف الإسلام إلى حضرة الإمام عليه السلام، ومن حاشد أيضاً أن أحمد فيضي أرسل من يسعى بالصلح، فأجاب الإمام عليه السلام أن ذلك من الحيل والخداعات التي يقصدون بها تفريق الجماعات.

وأراد الشريف محمد الشويع ومقبل بن يحيى وغيرهما من أعوان الظلمة الوصول إلى حضرة الإمام عليه السلام لطلب الصلح، فكتب الإمام عليه السلام أن الذمة برية[1] ممن وصل. فلقيتهم المكاتب قرب وادعة وقد كانوا واصلين فرجعوا خايبين. وأعلن الإمام عليه السلام إنه بريء من الصلح وأهله.

وفي هذه المدة وصلت الحرف[2] جماعة من ذو غيلان[3] . هذا ولم يزل أحمد فيضي في خَمِرْ والحرب كل ليلة مستمر.

وفي هذه المدة أرسل الإمام عليه السلام من المقام عسكراً لغزوا العجم إلى خمر، وكانوا نحو الثلثمائة، فوقع الحرب بينهم وبين العجم هنالك إلى الصبح. وبعد أن غزا المجاهدون إلى خمر «ق١٥١أ» رجعت رجال خارف[4] بلادها، وكذلك آل أبي الحسين وبني قيس، وبقية المجاهدين عزموا وادعة وخيار[5] وسفيان وعصيات العلو، والوطا تحيَّروا[6] إلى سوق الغيل، وطرحوا هنالك حتى غزوا على العجم إلى الجراف، وبين ماهم في الطريق إذ وجدوا السيد حسين بن عبدالله وعلي بن عز الدين، وهما من أعوان العجم، فامسكوهما وأنزلوهما

(١) برية: أي بريئة. (عامية) .

(٢) الحرف: أي حرف سفيان قرية في ناحية سفيان. (الحجري: المجموع، ج ٢، ص٢٥٧) .

(٣) ذو غيلان: من قبائل بكيل، وهم محمدي وحسيني وهم من برط. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٦٢٧) .

(٤) خارف: قبيلة من قبائل حاشد. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٠٣) .

(٥) خيار: قبيلة من بني صريم من قبائل حاشد، وهي عزلة في ناحية خمر، محافظة صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٢٢، التعداد: ص٢١٣) .

(٦) تَحَيَّروا: أي تأخروا.

مدينة حوث، ثم غزوا إلى بني غثيمة[1] ، فخرجت قبائل من بني غثيمة فرموهم، فـاحتربوا، فقتلوا من بني غثيمة رجلين، وقُتل من العصيمات رجـل يقـال لـه أبـو شوصـا. ورجعـت العصيمات ومن صحبتهم وذلك القوم الـذين تحيـزوا إلى سـوق الغيـل، وكـانوا طـائفتين توجهت حوث وطائفة وادعة. وبعد ذلك توجهت العجم إلى العفيرة[2] ، وكتب فيـضي إلى وادعة يـرغبهم حتـى أطـاعوا، فنزلـت العجـم وادعـة. ومـازال المجاهـدون المـذكورون يناوشوهم الحرب ليلاً ونهاراً، وتقدمت العجم إلى النجيد[3] ، وبعد ذلـك رجعـوا وادعـة، وتوجهوا حوث، والمجاهدون طرحوا في الباعرة، فلما رجعت العجـم مـن حـوث تلقـتهم المجاهدون بالحرب الباعرة. ونهضت العجم إلى خيار فلم يجدوا فيها أحـداً. وكـان جماعـة من المجاهدين بجبل عَجْمَـر، فتقـاتلوا وإيـاهم وتقـدموا إلى مدينـة حـوث وفيهـا سـيف الإسلام وجماعة ففروا منها وجعلوا يرمون العجم من جهتهم والذين في جبل عَجْمَـر مـن جهتهم، فدخلت العجم حوث وباتوا فيها وأحرقوا ثلاثة بيوت، وأخذوا فـراش المـسجد، وارتحلوا صبح تلك الليلـة، فتلقـاهم المجاهـدون ووقـع حـرب عظـيم في وادعـة، حتـى أدخلوهم القاسم. وكانت المجاهدون حينئذ على ثلاثة مقادمة، سـيف الإسـلام محمـد بـن الإمام المتوكل ومن معه في حوث، وسـيدي أحمـد بـن عبـدالله المطـاع ومـن معـه في جبـل عَجْمَر، والقاضي عبدالرحمن الجُماعي ومن معه في بركة القحـاز في جبـل بنـي عبـد، وبعـد ذلك إنتقل إلى الباعرة وفي بيت الحبشي وما يليه رجـال مـن العـصيمات. ودار الحـرب بـين المجاهدين والعجم من العصر إلى بعد العشاء، وكان ممتداً من بيت القُحيم إلى غيلـة وبـات كل واحد مكانه.

وفي اليوم الثاني فرت العرب جميع لم يبـق إلا القـاضي عبـدالرحمن الجُماعـي ومـسعود البارق ونفر يسير، فاحتربوا هم والعجم حتى وصـلوا وادي صـلاح. وفي هـذه المحـارب وقع في العجم قُتول نحو الثلاثين.

---

(١) بني غثيمة: فرع من قبيلة بين صريم من قبائل حاشد، وهـي عزلـة في ناحيـة خمـر محافظـة صـنعاء. (الحجـري: المجموع، ج٤، ص٦٢٢، التعداد: ص٢١٢) .

(٢) العفيرة: قرية في عزلة بني غثيمة، ناحية خمر، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٢١٢) .

(٣) النجيد: قرية في عزلة وادعة حاشد، ناحية خمر، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٢١٠) .

وفي هذه المدة وصلت إلى الإمام عليه السلام كُتب أُخذت من بعض ضـبطية العجـم، إتفق به المجاهدون فقتلوه وأخذوا مامعه فإذا في ذلك مكاتيب إلى الإمام من بعض الـشيعة من الشَّعر والعود، قد أخذها بعض أعوان العجم من الرسول، وأراد التقرب بهـا إلى أحمـد فيضي ليؤدب المكابتين فكفى الله المؤمنيين.

وفي هذه المدة خرجت المجاهدون مـن حـصن الظفـير ويالـه مـن خـذلان كبـير وشر مستطير. وصفه خروجهم أنه كان بعض رجال حاشد يسيرون بالخديعة والمكر، فتوسـطوا بين العجم وبين الشيخ ناصر مبخوت الأحمر، وكان زعيم القوم، بـأن يـسلم العجـم أحـد عشر ألـف ريـال ويخرجـون منـه فـسلمت العجـم ذلـك وتـم لهـم مايقـصدون، وخـرج المجاهدون «ق١٥١ب» فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأما من زعم أن السبب في الخروج، أن العجم كانوا يتهددون الشيخ نـاصر مبخـوت بإخراب البيوت التي في الخمري في بلاد حاشد، فذلك عذر كاذب فاسد، وإنـما الـسبب في ذلك حُب الفلوس، ورغبة في حطام الدنيا المنحوس، وكان ذلك أعظم شاغل على العجم. فلما تم ذلك وإنبرم، فرح طاغيتهم أحمد فيضي فرحاً شديداً. ثم أن أحمد فيضي لمـا طغـى بـه كبره، وإستولت عليه الغفلة أبى إلا الوصول إلى القفلة. ولمـا أراد ذلـك وخـاف مـن بنـي صريم وخارف وخيار، أن يأتوا من ورائه، فأمر جبران الغشمي، ومقبل بـن يحيـى هـادي، وكانا من ذوي الظلم والتمادي، بأن يكتبا إلى المذكورين إنكم إن لم تصلوا بالرهاين أولاً فلا بد من وصول العساكر إليكم، فافتشلوا وهرب كل واحد من بيته خوفاً من الغيلـة، وتمـت للشياطين الحيلة. وحينئذ عزم عدو الله متوجها نحو القفلـة، فلـما وصـلوا النحيـد تلقـاهم القاضي عبدالرحمن بمن معه من أهـل الإيـمان، وهـم نحـو خمـسين إنـسان، فقـاتلوا قتـالاً شديداً، وقتلوا جماعة وأتوا إلى حضرة الإمام برأس من رؤوس رؤساء العجـم، واستـشهد من العرب إثنان وباتت العجم في الباعرة والعرب في الشط. فلما أصبحوا رأوا العجـم قـد نزلوا بالليل وأخذوا الجبال يميناً وشمالاً والخيل الوسط. فتفرقت العرب كعـادتهم، وكـان

الإمام عليه السلام قد ارتحل من القفلة ببعض أثقاله ونِيَّته الرجوع إلى القفلة، وبعد عزمه لحق به الخبر أن العرب قد تفرقوا، فبات عليه السلام في قرية قريب من القفلة يقال لها قطبين. وأما العجم فإنهم وصلوا إلى الشط، فوقع بينهم وبين القاضي عبدالرحمن ومن بقى معه حرب يسير، ثم فروا وأحرقته العجم، وارتحلوا حتى وصلوا إلى قرب القفلة، فرماهم جماعة كانوا في جبل عيشان[1] . ثم إن العجم رموا إلى القفلة ليعلموا هل بقى فيها أحد أم لا، فلما تيقنوا أنه لم يبق فيها أحد، دخلوها غير آمنين بل وجلين خوفاً من غِلَّة العرب، لأن الرمي كل حين من الجبال المحيطة. وأما الإمام ومن معه فإنه ارتحل إلى الفيش[2] فبقى هناك في أرغد عيش، والبدو يصلون إليه بالضيافات.

وأما العجم فإنهم لم يمكثوا في القفلة غير ليلة الدخول وليلة الخروج، وبعد على أدبارهم رجعت العلوج، وكانوا أحرقوا بعض بيوت القفلة ولم يبق في القفلة غير إخوان القرود الملاعين اليهود، وذلك لِمَا انغرز في جِبَلَّتهم من حبهم والأرواح جنود، ثم رجعوا من طريق الخرطوم لايلوون على شيء، متوجهين خمر، وكانوا مشفقين من بني قيس، فارسلوا نحو أربع مائة، فلما وصلوا بيت حومي[3] نهبوا منه شيئاً من الحبوب.

وقعة نماره[4] في بلاد آنس:

وفي شهر الحجة الحرام سنة ١٣٠٩[5] كانت وقعة نمارة من بلاد آنس، وصفتها أنه لما كان رابع عشر شهر شوال من هذه السنة ١٣٠٩ أرسل الإمام عليه السلام السيد أحمد بن

---

(١) عيشان: اسم لجبل وقرية شمال شرق شهارة على بُعد ٣١ك.م من مدينة حوث غرباً. وعيشان بلدة في جهران شمال غرب ذمار. (المقحفي: المعجم، ص٤٨٣) .

(٢) الفيش: المقصود شهارة الفيش، قرية في عزلة شهارة، ناحية شهارة، محافظة حجة. (التعداد: ص٣٣٤) .

(٣) بيت حومي: قرية في عزلة العمرين، ناحية السود، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٩٢) .

(٤) نُمَارة: توجد قريتان تحملان نفس الاسم، الأولى نمارة قرية تتبع عزلة وادي زبيد في ناحية عبس، والثانية نمارة قرية في عزلة جبل الدار ناحية عنس، وكلاهما في محافظة ذمار. (التعداد: ص٨، ص١٠) والمراد هو نمارة في جبل الشرق.

(٥) ١٣٠٩هـ ١٨٩١م.

يحيى المتوكل، وحمادي بن سعد الروضي، وأصحبهما بالسيّد الصفي أحمد بن قاسم حجر، إلى حضرة سيف الإسلام العماد يحيى بن الإمام حفظه الله، إلى العنان[1] وكان سيف الإسلام هنالك صحبة الأهل كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وكتب إليه الإمام أن يجمع العُقَّال، أي عُقال ذو غيلان ويحثهم على الجهاد، فجمعهم سيف الإسلام العماد، وعرَّفهم بما عرَّفه به والده، ثم أرسل سيدي الصفي أحمد بن قاسم حجر إلى الجوف[2]، فاجتمع من أطاع من الجوف ومن ذو غيلان وعزموا صحبة سيف الإسلام إلى الحرف، وكان قدرهم من ذو حسين «ق٥٢أ» قدر أربعمائة وعشرين رامياً ومن ذو محمد نحو ثلاثة مائة. وقد كان سيف الإسلام أرسل رهاينهم إلى الحضرة الشريفة، فأقامت القوم المجتمعة ثلاثة أيام في الحرف، منتظرين لجواب الإمام عليه السلام وأمره الرشيد الشديد، فوصل إليهم الجواب بأنهم يعزمون للجهاد صحبة السيد الهمام عز الإسلام محمد حسين بن عباس، فعزموا بعد ورود الجواب بلا توان، وباتوا تلك الليلة في خيوان[3]، وعزم صحبتهم الفقيه حمادي الروضي لتقسيم الصرفة والمحتاج. وبعد عزمهم كتبوا من أثناء الطريق إلى سيدي عز الإسلام وكان قد كتب إليه ذلك الإمام عليه السلام، فوصلت إليه المكاتيب، وكان قد عقد بأبنه الحاج صالح الحميدي، ولم يكن قد دخل بها ولعل أنها كالمعيدي[4]، فلما وصلت إليه الكُتب ترك الأعراس، وتلقى المجاهدون ذوي البأس، وصحبته جماعة من بني ضبيان، وكانوا من أهل الصدق في السِّر والإعلان، فلما وصل المقدمي والقوم إلى بعض الطريق سألوا الصيرفي حمادي الروضي أين سيكون مقصدهم لأن الإمام عليه السلام لم يُعَرِّفهم أين سيكون

---

(١) الْعِنَانْ: قرية في برط وهي مركز الناحية، محافظة صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٦١٢).

(٢) الجوف: محافظة واسعة، مركز المحافظة مدينة الحزم، وتقع في الشرق الشمالي من صنعاء (الحجري: المجموع، ج١، ص١٩٥).

(٣) خيوان: عزلة في ناحية حوث/ محافظة صنعاء. (التعداد: ص٢٣٧، الحجري: المجموع، ج٢، ٣٢٣).

(٤) كالمعيدي: الأصل هو مثل ويقال (سماعك بالمعيدي خير من أن تراه) وهو مثل يضرب لمن يكون خبره خيراً من منظره.

توجههم، ومرادهم يعزمون اليمن[1] لأنه محل اختيارهم: فأجاب عليهم الفقيه حمادي بأن طريق اليمن مسدود، وأن فيها تُرك مايمكن نزولها، ولكن الأولى نعزم من الحداء إلى جهران[2] ثم إلى بلاد آنس ونقارب الشيعة[3] في الحيمة وعانز[4]، فإن وجدنا عملاً ينفع المسلمين فذاك، وإلا فَقَدْ[5] الطريق إلى اليمن أقرب فوقع في قلوبهم ذلك الرأي.

ذكر مادهم من الامتحان والابتلاء الذي عم أهل الإيمان:

وهو ابتداء المرض في المقدمي مولانا عز الإسلام[6]، فإنه ابتدأ به المرض في أطراف بلاد خولان، فأمرهم يحملونه على النعش، فحملوه حتى وصلوا طرف نقيل المنشية[7]، وأرسلوا عيوناً تأتي لهم بأخبار العجم من مدينة ضوران[8]، فوصلت العيون وأُخبروا أن ليس في مدينة ضوران غير مائتي فقط، فهم المجاهدون بالقدوم فهجموا عليهم إلى ذلك المكان، فمنعهم عز الإسلام عن ذلك المرام وخوفاً من كسر بيضتهم في أول الكلام، ثم عزمت القوم أجمع إلى سوق أسلع وكتبوا إلى الشيخ علي المقداد[9] يلقاهم، فلما وصلوا إلى مقابل

---

(١) اليمن: المقصود اليمن الأسفل أي المناطق الجنوبية من صنعاء، والشام المناطق الشمالية، وهو اصطلاح متعارف عليه في اليمن.

(٢) جهران: حقل زراعي واسع، ووادي تسيل إليه مياه الأمطار الموسمية ويتبع ناحية آنس. (الحجري: المجموع، ج١، ص٢٠١؛ الويسي: اليمن الكبرى، ص٧٤).

(٣) الشيعة: المقصود هنا بالشيعة أي الموالين للإمام، والمتعاطفين معه، والمحاربين إلى جانبه ضد الأتراك.

(٤) عانز: جبل في ناحية الحيمة الخارجية من أعمال حراز وتتبعه العديد من القرى والحصون والمزارع. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٧٢).

(٥) فَقَدْ: يكثر استعمال هذا اللفظ في اللهجة العامية تعبيراً عن (فإن) وتأكيداً لكلمة (إلا).

(٦) المقدمي عز الإسلام: هو القائد محمد بن حسين عباس الشهاري.

(٧) المنشية: قرية من قرى وادي جهران جنوب صنعاء، والنقيل هو المرتفع من الجبل. (المقحفي: معجم البلدان، ص٦٦٦).

(٨) ضُورَان: مدينة مشهورة في جبل آنس، تابعة لمحافظة ذمار، وضوران: قرية في جبل الحشا في ماوية، وضوران قرية صغيرة في ناحية بلاد البستان (بني مطر) بالقرب من صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٥٤).

(٩) الشيخ علي المقداد: لُقب بنصير الدين: نشأ بوطنه من جبل الشرق في بلاد آنس، كان أكابر مشائخ جهته، وتولى للأتراك في أول الأمر جباية الأموال. لكن أحد قواد الأتراك أراد إخضاع الشيخ وإهانته، فعمد إلى تصرف أساء للشيخ وللأتراك فقد أمر عساكره بربط الشيخ في عجلة المدفع، وجره حتى كُسرت يده وأغمي عليه، وتلقى ما لايمكن وصفه من الإهانة والاحتقار. وبعد هذه الحادثة عاهد الله ونفسه على محاربة الأتراك وكسر =

ضوران وجد المقدمي في نفسه خفَّةً فأنزلوه (من)[1] على النعش، وركب على الفرس، ونـشر الرايات، وحرض القوم على الثبات عند الملاقاة، وظنوا أن من في ضوران سيرمونهم لقرب المكان فلم يحصل منهم عدوان. وتلقى المقدمي أهل القرى المحيطة، وبعد وصـول الـشيخ علي المقداد وأجمعوا على عزمهم الجمعة، وحينئذ وصلهم الخبر أن الشيخ علي البليلي وصـل ضوران بجماعة من عقال خولان وضبطية[2] وعجم. وخبر آخر أنها وصلت نحو ثمان مائـة عجم من ذمار وزيادة إلى ضوران، فلما وصل المجاهدون إلى الجمعة[3]، أقبلت العجم عـلى جهة السرعة، فرتبوا جبل في بني قشيب[4] يسمى شوحاط، وقرية الشمة[1]، فبات العجم في

شوكتهم. فتحالف مع الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، وحارب الأتراك في كل قريـة ومدينـة وجبـل ووادي، هو والعديد من أفراد أسرته وقبيلته، وتكبد الكثير مـن الخسائر في أثنـاء تلـك الحـروب، فقـد عمـد الأتراك على إحراق منازله في آنس، واستشهد اثنان من إخوته هما الشيخ محسن المقداد، والشيخ محمد المقداد في أثناء تلك المعارك مع الأتراك. أما الشيخ علي المقداد فقد جمع بين شرف الحياة وشرف الجهاد وامتدت به حياته حتى سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م. وبعد عقد صلح دعان بين الإمام يحيى والأتراك، عمل مـع الإمـام والأتـراك. وفي إحدى الوثائق في كتاب استاذي الدكتور سيد مصطفى سالم، يتضح لنا موقف الـشيخ المقـداد مـن الإمـام ومن الأتراك، ومن الأحداث العامة الجارية في ذلك الوقت أثناء الحـرب العالميـة الأولى. ويتـضح لنـا كـذلك علاقة التعاون بين الشيخ المقداد وبين الإمام وأيضاً كان لزامـاً عليـه أن يتعـاون مـع الأتـراك في تلـك الفـترة المتأخرة. وأصبح ينادي الأتراك بإصلاح خطوط البرق لما لها من أهمية في الـربط بـين المـدن اليمنيـة المختلفـة، وحرص على التدخل وقمع تمرد القبائل في المناطق الآنسية والجنوبية، وحرص على إعلام الدولة بـما جـد مـن أمور في هذه المسائل. وسنتتبع في سياق المخطوطة الكثير من الأحداث والحروب التي قامت بين المقداد وأفراد من أسرته، ضد الأتراك. (أ.د سيد مـصطفى سـالم: وثـائق يمنيـة، ص٣٦١، زبـارة: نزهـة النظـر، ص٤٥٧، الواسعي: تاريخ اليمن، ص٢٨٠، الجرافي: حوليات الجرافي، تحقيق: د.حسين العمري، ص٨٢) .

(١) تم إضافة مابين القوسين (من) ليستقم المعنى.

(٢) ضبطية: مفردها ضبطي، كان أصلها يُعرف بالضّابطية، وهم جند الوالي، وقد كوَّنها الأتـراك مـن أبنـاء الـبلاد، ويشبه عملهم عمل الشرطة حالياً، وكان أول من استحدث هذا النظام الوالي العثماني محمد عزت باشا في بداية ولايته لليمن عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م لمن يلتحق من اليمنيين بالخدمة العسكرية الرسمية بـصنعاء. (الجـرافي: الحوليات، تحقيق: د. العمري، ه.ص ٤٤،أ.د سيد مصطفى: وثائق يمنية، ص١٩٥) .

(٣) الجُمعة: بعد البحث الطويل في كتاب التعداد ربما تكون هي قرية جمعة العاوي في عزلة بني قشيب، ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (تعداد سنة ١٩٨٦: ص٣٣١) .

(٤) بني قشيب: يوجد الكثير ما يحمل اسم عزلة بني قشيب وهي:

عزلة قشيب في ناحية جبل الشرق

عزلة موسطة بني قشيب

=

البيوت، ولما رتب المجاهدون الجبل غفلوا عن شَرْطَة[2] واحدة فاهملوها، وعزم منهم خمسين نفراً في الليل يغزون مطرح العجم، فوجدوهم قد تحصنوا في البيوت، فلما طلع الفجر تقدمت العجم وحمى الوطيس، وهجمت العجم حتى اختلطوا هم والعرب ثلاث مرات، ووقع من العجم قتول كثيرة، واشتد الحرب إلى الظهر، ثم إن بعض أهل البلاد والشيخ على بن عبدالله العامري، دل العجم على تلك الشرْطَة التى أُغفلت، ومن حسن صنع الله سبحانه أن المجاهدين كانوا قد تَنَبَّهوا لها بعد الغفلة، فأرسلوا إليها جماعة، فلم يشعروا بعد صلاة الفجر إلا بالشيخ علي البليلي طالعاً، وصحبته جماعة عجم «ق٥٢ب» وعرب ولم يدر المنحوس إن ذلك لحتفه السبب، فلما أنظرهم من في الشَرْطَة أرسلوا عليهم البنادق، فكان علي البليلي أول قتيل، وحاق به مكره الوبيل، وقُتل أيضاً جماعة من أصحابه، وإستولى المجاهدون على رأسه وسلبه، وأراح الله المسلمين والإسلام ومن غيهّ وذربه. وكان الشقي المنحوس قد جمع حبال، في اليوم الأول، وأعدها لربط الرجال، وآل بأنه لابد يربط بتلك الحبال جميع من في الجبل، وصار يتفوه بكلام قبيح في الجانب المصون أغره الله، فإنه ما زال ناصباً بعداوة هذا الإمام، فالله يكافيه بقبيح عمله في يوم العرض والزحام. ثم إنه التحم الحرب بين العرب والعجم كما تقدم، فدخلت العجم الجمعه، وإنتقل المجاهدون إلى قرية يقال لها قُرُف[3] ، وفر من كان في الجانب العدنى. وأما من في جهة المقدمي في نمارة وجهة الشرق في قرية الشمه[4] ، فدام الحرب إلى الليل، ثم أن المقدمي نظر إلى من بقى من المجاهدين فإذا لم يبق إلا النصف، فعزم بهم إلى عدني جبل الشرق[5] ، وهم قدر مائتين وخمسين، وأما الذين فرّوا فباتوا ليلتهم. وفي اليوم الثاني عزم منهم قدر مائة نفر أكثرهم من

عزلة قران بني قشيب

عزلة الحداء بني قشيب

عزلة بني قشيب

وكل تلك العزل تتبع ناحية جبل الشرق. محافظة ذمار. (التعداد العام لسنة ١٩٨٦: ص٣٢٨، ٣٣٠/ ٣٣١) .

(١) قرية جبل الشمة: تتبع عزلة موسطة جبل الشرق، ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٢٩) .

(٢) شرطة: المقصود هنا بالشرطة منطقة هامه استراتيجية وربما تكون فجوة بين جبلين تؤدي إلى موقع هام.

(٣) قَرْفُ: قرية في عزلة قرف، ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٢٩) .

(٤) قرية جبل الشمة: قرية في عزلة موسطة جبل الشرق، محافظة ذمار (التعداد: ص٣٢٩) .

(٥) جبل الشرق: ناحية واسعة في محافظة ذمار، ويتبعه العديد من العزل والقرى. (التعداد: ص٣١٨٣٣٢) .

ذو حسين فيهم الشيخ صالح بن عبدان، والباقي نزلوا قرية دمام[1] ودخلوا مدينة العبيد، والتقوا هم والمقدمي في بيت الجمره[2] ، وذلك في يوم عرفه سنة ١٣٠٩، فنزلوا جبل بني أسعد[3] ، وفيه كثير من الشيعة فتلقوهم بالعقاير[4] وقابلوهم بالطاعة، وساقوا الكفايات[5] .

ويوم ثالث عشر الحجه نزلوا قرية الأشنوم[6] ، ومكثوا هناك ثلاثة أيام.

ووصلت إلى المقدمي عز الإسلام كتُب من أهل جبل عانز، يريدون الوصول إليهم فلم يسعدهم المقدمي بالوصول، لِقِلَّة من بقى معه من الناس.

وفي هذه المدة طلع من في الحجيلة[7] قدر ستمائه من العجم غارة، ونزل آخرون من ضوران إلى سوق الجمعة. فوقع الحرب بينهم وبين المجاهدين ومكثوا هنالك قدرثمان، وكان قدر القتلى من العجم مائة وأربعون ومثلهم من المكاوين، وسلبوهم البنادق أربعين. ثم رجع العجم ضوران فلما وصلوا إلى هجرة أحلال[8] ، أحاطوا بها ووقع بينهم وبين أهل القرية حرب يوم، وبعد أخذوها ونهبوها، فلما بلغ المقدمي رجعوهم، استقر في سوق الخميس[9] في بني أسعد، وطلب منهم الحقوق[10] فسلموها مختارين. ثم طلع عزلة دمام، فلما وصل تحت قرية مصطلح[11] ، وكان فيها القاضي أحمد بن حسن الغشم من أعوان العجم،

---

(١) قرية دمام: هي عزلة في ناحية جبل الشرق محافظة ذمار (التعداد: ص٣٢٤) .

(٢) بيت الجمرة: قرية في عزلة عدني جبل الشرق، ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٢٢) .

(٣) بني أسعد: عزلة واسعة تتبعها العديد من القرى وتقع ضمن ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. وهناك مناطق أخرى تحمل نفس الاسم منها: بنو أسعد: عزله من ناحية مسور المنتاب في محافظة حجة، وبنو أسعد: من ناحية حفاش في المحويت. وبنو أسعد: عزلة من الشحاذية في الطويلة. (التعداد: ص٣١٩،٣١٨، ٣٢٠، الحجري: المجموع، ج الأول، ص٧٧) .

(٤) العقاير: أي الذبائح. عقر عقراً نحره، والعقور جمع عُقُر: مايُعقر من الحيوان وغيره. (المنجد: ص٥١٩) .

(٥) الكفايات: أى قدموا لهم ما يحتاجون إليه من طعام وغيره.

(٦) الأشنوم: قرية في عزلة بني أسعد، ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣١٨) .

(٧) الحَجِيْلَة: قرية في عزلة زندان، ناحية أرحب، في محافظة صنعاء، وبها آثار حميرية، ويطل عليها من الشرق حصن القاهرة (التعداد: ص٢٨٦، المقحفي: المعجم،١٧١) .

(٨) أحلال: قرية في ناحية ضوران آنس، محافظة ذمار، وإليها يُنسب بيت الحلالي. (التعداد: ص١٥٧، المقحفي: المعجم، ص١٨) .

(٩) سوق الخميس: وهي قرية في عزلة بني أسعد، ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣١٨) .

(١٠) الحقوق: هي الزكاة والواجبات التي تُفرض على الناس.

(١١) مصطلح: وردت هكذا بالصاد ولكن في كتاب التعداد وردت بالسين أي "مسطح" وهي قرية في عزلة قرف، ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٢٦) .

وكان قد أرسل إليه المقدمي عز الإسلام وطلبه الوصول إليه فلم يسعد[1] ، فعزم المقدمي على دخول القرية، فدخل بمن معه بعد العصر، وكان ذلك في وقت نزول مطر عظيم، فما شعر أهل البيوت إلا بالعسكر، فدخلوا بيت القاضي فإنه مرتب فلما أنجلى المطر، أمر المقدمي بالهجوم على بيت القاضي أحمد، فبعضهم طلع من الدوائر، وبعض العسكر صار يخرب في الدائر، فحضرت الواسطة على خروج القاضي ودخول المقدمي بيته هو وعشرة أنفار، وبعد ذلك بذل مالاً على أن يبقى في بيته فلم يَسْعَدْ، وقال لابد من إيصاله إلى الإمام، وبقى المقدمي في بيت القاضي أحمد يومين، وعزم بعد صلاة الظهر قرية قْرفٌ والقاضي صحبته. وبقي في قرف يومين ووصلت إليه العيون أي إلى المقدمي، أن العجم الذي في ضوران لابد يقدموا عليه، وكان المقدمي في قرية قْرفٌ وهي غير حصينة، فتحيَّر[2] بمن معه إلى قرية يقال لها بني معابر[3] «ق٥٣أ» فبات في تلك القرية بمن معه وهم ستون رجلاً لاغير، ومصطفى نافذ ومعه قدر إثنى عشر مائة، وصل إلى قرية قرف، وبين المقدمي وبين العجم قدر أربعة أميال. فلما لم يجد المقدمي نصاب الحرب، وافتسح[4] من لديه الشيخ علي المقداد، والشيخ أحمد جهوان عزم على السفر، وكان حينئذ قد اشتد بالمقدمي المرض فسافروا به على النعش، وبقيوا فيه ثمانية أيام في براح سفل جبل بني أسعد، وبعد ذلك حملوه على أعناق الرجال إلى أن أوصلوه إلى قرية الشنبلي[5] في خولان، والقاضي أحمد بن أحسن الغشم صحبته أسيراً، وسيأتي خبر وفاته رحمه الله فهذا ماكان في وقعة نهارة.

فصل: وأما أحمد فيضي فإنه بعد رجوعه من القفلة في شهر الحجة بقى في الجراف، ولم يزل يكاتب المشايخ بالترغيب، ومرامه إطلاق الأسارى، فكتبوا بذلك إلى الإمام عليه السلام، فأجاب عليهم أن لابأس لكن بشروط، فلم يرض بها أحمد فيضي، وعزم من طريق الجراف وطرح في خيوان[6] ، وقصد دخول برط[1] لإخراج الأسارى[2] ، واستصحب جماعة

---

(١) فلم يسعد: أسعد استجاب، وافق، فلم يسعد: أي رفض وهذا هو المعنى المتعارف عليه في اليمن. وأسعده على الأمر: عاونه (المُنجد: ص٣٣٣) .

(٢) فتحيَّر: أي تأخر (عامية) .

(٣) بني معابر: وردت في التعداد السكاني المعابرة وهي قرية في عزلة قرف، ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. التعداد: ص٣٢٦) .

(٤) اِفْتَسَحْ: أي استأذن.

(٥) قرية الشَنْبَلِيْ: قرية في عزلة اليمانية العليا، ناحية خولان محافظة صنعاء. (التعداد: ص١١٩) .

(٦) خيوان: وادي خيوان عزلة في ناحية حرف سفيان، محافظة صنعاء (التعداد: ص٢٥٠) .

من مشايخ حاشد وغيرهم. وكان أحمد فيضي قد كتب إلى النقيب محسن بن قايد أبو راس وغيره من عقال ذو محمد، بأنهم يسلموا الأسارى إليه، ومَنَّاهم بالأموال الجليلة، فأجابوا عليه بأنه يصل إليهم، ويكون أخذهم بصورة الغلبة، لأجل يكون لهم عذراً عند الإمام عليه السلام، ولما بلغ الإمام عليه السلام عَزْم(٣) العجم نحو برط كتب إلى سيف الإسلام بأن يُعزْم(٤) الأسارى ولا يبقيهم في برط، فلم يتفق له ذلك المرام. لان الشقي أبا راس، وغيره من العُقَالْ الأرجاس، قد أرسلوا رتبة لحفظهم، إذا أراد سيف الإسلام الارتحال منعوه. فلما وصل أحمد فيضي شعب النيل(٥) تلقاه سيف الإسلام ومعه عسكر قليل أكثرهم من ذو حسين، فوقع الحرب بينهم وبين العجم وقُتل من العجم قدر عشرة، وأستشهد من ذو حسين ثلاثة، فلما علم سيف الإسلام حفظه الله بأن ذو محمد قد تمالوا على الغدر، وإرتدوا بلباس الذم إلى آخر الدهر، سار ليأخذ الأسارى فوجد جماعة من ذو محمد قد أُرصدوا لمنعه منهم، حتى هموا بقتله ﴿قَاتَلَهُمُ الله أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(٦) . فعند ذلك ارتحل سيف الإسلام بأهله، ووصل عدوا الله أحمد فيضي إلى برط، فسلم إليه ذو محمد الأسارى، ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً﴾(٧) .

فأما أحمد فيضي فإنه قلب لهم ظهر المَجَنْ، ولم يعطهم شيئاً من ذلك الثمن الذي باعوا دينهم ودنياهم، ولقد صار ذلك ختام أيام ذوغيلان، ومبدأ العقوبة والهوان والذل والخذلان.

ومما قاله الإمام عليه السلام في هذه القضية:

---

(١) بَرَطْ: جبل برط ناحية واسعة فيها الكثير من المزارع والأودية ويسكنها قبائل ذو محمد و ذو غيلان (الحجري: مجموع بلدان اليمن، ج١، ص١٠٧) .

(٢) الأسارى: أي الأسرى من الأتراك.

(٣) عَزْم: أي سفر ورحيل، وعَزَم عزماً وعُزماً، إعتزام الأمر أي أراد فعله. (المنجد: ص٥٠٤) .

(٤) يعزم: أي يرحل بهم ويبعدهم عن برط.

(٥) شِعْب النيل: هي قرية وادي النيل في عزلة الخشعة، ناحية رجوزه، محافظة صنعاء. (التعداد: ٤٠١) .

(٦) سورة التوبة، آية رقم (٣٠) وبداية الآية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ الله ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ .

(٧) سورة الطلاق، آية رقم (٩) .

التي اسوّد لها الملوان[1] والتخميس للفقيه العلامة الصفي أحمد بن عبد الله الجنداري، وهي هذه[2] :

نسيم الريح أم برق العشية ... أم الطير الخفاف الأقدميّة

أريد لبث ما تحوي الطوية ... على دقساء[3] عنقا[4] شدقميّة[5]

صلخدم[6] عيدهُورٍ[7] أعْربية

تجوز سريعةً غبر القتام[8] ... وتطوى غير مسدلة الظلام

محركة القوادم في الأكام ... تجوب الأرض من يمنٍ وشامٍ

وشرق والنواحي المغربية

تمر على أم الرواسي ... جهاراً في النهار وفي الغلاسي

تحملت العبير وطيب آس ... تُحيي بالسلام على أناس

تواصوا بالجهاد بحسن نيّة

«٥٣ب»سلام الله ماهمل الغمام ... وما ابتسم الينوفر[9]والخزام[10]

على من للجهاد نووا وقاموا ... وليس لهم من الدنيا مرام

بل اتبعوا نصوصات جلية

---

(١) الملوان: الليل أو النهار. (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٥٣٢) .

(٢) كتب هذه القصيدة الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، وقد قام بالتخميس لهذه القصيدة العلامة الجنداري، وقد ذكرها المؤرخ محمد بن محمد زبارة، في كتاب "أئمة اليمن" ص٢٦٧.

(٣) دقساء: دقس في الأرض دقوساً: أي ذهب فتغيب.(ابن منظور: لسان العرب،ج١، ص٩٩٦) .

(٤) عنقاء: طير العنقاء. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٩٠٥) .

(٥) شدقمية: الشدقمي الواسع الشدق، فحل من فحول العرب، والشدقميات تُنسب إليها إبل العرب. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٢٨٥) .

(٦) عيدهور: العيدهور الناقة السريعة. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٧١٠) .

(٧) القتام: الغبار، والقتم سواد ليس بشديد. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٢٠) .

(٨) صلخدم: الصلخدم الصلب القوي. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٣٦٣) .

(٩) الينوفر: الدابة النفور النافرة. (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ٦٨٦) .

(١٠) الخزام: الطيور، لأنها مخزومة أي مثقوبة الأنف. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٨٢٧) .

فمـــــنهم في الجنــــان وفي ظـــلال ومـــنهم كـــم أبـــاد مـــن الـــضلال
ومـــا بخلـــوا مـــن الـــدنيا بحـــال فـــأفنوا في الجهـــاد نفـــيس مـــالٍ
وبـــاعوا أنفـــساً مـــنهم رضـــيّة
وهـــم عـــن نهبـــةِ الأمـــوال صـــوم بـــل انتُهِبُـــوا ولا عتـــب ولـــوم
وســـامهم المـــشارق والخـــضوم وهـــم في أعـــين الجهـــال قـــوم
ضـــعاف ينـــسبون إلى الرعيّـــة
تـــراهم في الحـــروب وفي الـــصحارى يـــسوقون الحـــمام لهـــم جهـــارا
فكـــم أخـــذوا مـــن الأعـــداء ثـــارا فحـــازوا الفخـــر واعتقلـــوا الأســـارى
وســـاقوهم إلى المـــدُن القـــصيّة
أتـــوا بـــالعجم مـــن فـــج ذريـــع ولم يـــردعهم قـــول الـــشفيع
لحتـــى أنعمـــوا رحـــب الوســـيع فـــسقناهم إلى جبـــلٍ منيـــع
إلى بـــرطٍ إلى قـــوم رديَّـــة
إلى قـــوم بنـــوا للعيـــب جـــدراً وقـــد ســـدلوا عـــلى أعـــلاه ســـترا
فلـــما نـــافقوا أيـــدوه جهـــرا فبـــاعوهم مـــن الأتـــراك غـــدرا
وعيبـــاً حـــسبهم رب البريّـــة
لمـــاذا ياقبائلنـــا فَـــسِلْتُم[1] أمـــن فيـــضي والـــترك فَـــزِعْتُم
فـــأين العـــسوَب[2] الـــلاتي لبـــستم ألا يـــا ذو محمـــد إن غـــدرتم
بخـــالقكم صـــبرتم للبليَّـــة
أيهمـــل حقنـــا والخيـــل[3] تجـــرى ونـــترك والهـــواذم[4] بـــيض تغـــزي
ورب العـــرش بالمرصـــاد يـــدري وإن خنـــتم أمـــانتكم بمكـــر

(١) فسلتم: الفسل النذل الرَّذْل. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١٠٩٦)
(٢) الْعُسوبْ: هو حزام الجنبية التي لازال يلبسها اليمنيون، وهي جزء من التراث اليمني الشعبي.
(٣) وردت في المخطوطة (ب) "خير".
(٤) الهواذم: هذام قاطع حديد، (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٧٩١) .

فمكـــــــر الله يــــــأتي بالجليَّـــــــة

أردنـــا أن نعـــير الحـــش[1] طُهـــراً وأن نجعـــل ظـــلام الليـــل فجـــراً

ورقـــع الهـــدم ذاك يزيـــد فخـــرا أَمَّنـــاكم عـــلى الأهلـــين طُـــرّاً[2]

وكنـــتم عنـــدنا عينـــاً مـــضيَّة

ركنّـــا في قرابتنـــا علـــيكم وأنـــصارٍ لنـــا وصـــلت إلـــيكم

وهيأنـــا لهـــم وطنـــاً لـــديكم وســـقنا كـــل مأســـورٍ إلـــيكم

لنحيـــي ذكـــركم بعـــد الدنيّـــة

ومـــا سرتـــم لخـــالقكم مـــسيرا ولاكـــافحتم الأعـــداء يـــسيرا

ولا عملـــت جمـــاعتكم نقـــيرا ولا أسرت أكفكـــــم أســـــيراً

ولكـــن ذاك مـــن فـــضل الرعيّـــة

فهـــل خـــير لكـــم حتـــى نرجـــى فـــزعتم مـــن خيـــالاتٍ وهـــرجِ

رعبـــتم حـــين قـــال النـــاس أنجـــى وخفـــتم مـــنهم ســـطوات عُلـــج[3]

وســـيف الحـــق أخـــوف للتقيـــة

ضربـــتم عـــن مقـــال النـــاس صـــفحا وعـــن تقـــريعهم واللـــوم كـــشحا

وقلـــتم نأخـــذ الأمـــر قُبحـــاً إذا ســـألتم الأعـــداء صـــبحاً

فـــدولتهم تُـــولي بالعـــشيَّة

فعزرائيـــل كـــم قـــد حَّـــس موتـــا وجنـــد الحـــق كـــم قـــدحت حتـــا

ونحـــن الوارثـــون الأرض بتَّـــا «٥٤أ»ومـــايبقى ســـوى الثقلـــين[4] حتـــى

ورود الحـــوض دولـــتهم مـــضيّة

---

(١) الحش: المتوضأ (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ٦٤٤) .

(٢) طُراً: جميعاً.

(٣) علج: العُلج الكافر، والعلج الحمار الوحشي. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٨٥٨) .

(٤) الثقلين: والثَقَلانْ: الإنس و الجن.

تحملـــتم لكـــل النـــاس ذمـــا لبـــستم مـــن ثيـــاب الـــذل هـــدما

فتبـــاً ثـــم سُـــحقاً ثـــم هـــضما ســـيبقى العـــار في أولادكـــم مـــا

بقـــى الـــثقلان إن جَهُـــلَ الغبيَّـــة

أزلـــتم مـــالكم فيـــه نحـــارا غـــسلتم نيـــل أوجهكـــم تبـــارا

يكونـــوا أول الثـــاوين نـــارا تخونـــوا في خبيـــتكم جهـــارا

ويـــأبى الله أن تفنـــى الخبيّـــة

فـــما قامـــت عـــزايمكم بـــصدق وقـــد كنـــتم لـــديهم مثـــل رق

وأنـــتم بـــين محبـــوس وملـــق[1] فلـــو راقبـــتم ســـطوات حـــق

لمـــا خنـــتم وغـــدركم ســـجيَّة

فكـــم مـــن حـــافر بئـــرٍ تـــردا بهـــا والغـــدر شـــؤم أن تـــردا[2]

ومـــن زرع القبـــيح يـــسوء حـــصدا فكـــم مـــن خـــائن فـــيكم تـــردَّى

ثيـــاب المـــوت وأدرع المنيـــة

لنـــا الخيـــل التـــي مـــا بـــين أدهـــم وأشـــقر ثـــم ذو سرج[3] وملجـــم

عليهـــا الـــصيد كـــم مـــنهم مـــسوَّم عـــدمنا الخيـــل والأنـــصار إن لم

نؤاخـــذكم بثـــأر الأعذريـــة

فـــأنتم بالجهـــاد إذاً لابـــد أبـــدا لأن الحـــد مـــنكم قـــد تعـــدا

ســـنأخذكم معـــاً زوجـــاً وفـــردا لـــيعلم مـــن يخـــون الله بعـــدا

بقـــبح الغـــدر والـــشيم الدنيَّـــة

نُـــريكم كيـــف صـــادقة النـــزال وضرب البـــيض في صـــدر القتـــال

(١) وردت في المخطوطة (ب) (ملقى).

(٢) تردا: ردى هلك وتردى تهوّر وانقلب وسقط. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص١١٥٥).

(٣) وردت في المخطوطة (ب) "مسروج".

بأنصار تحس ولا تبال ونأخذكم بأطراف العَوَالي

واشطاب[1] السيوف المشرفيّة

[2] فلو كنتم كما القوم الطيال فلما ينكثوا عهداً بحال

ولا لبسوا المذلة في الرجال فاما ذو حسين فالمعالى

سَمَتْ بهم إلى الرُتب العليَّة

فسل حادى الرحيل يريك عنهم مفاخر لا تعد أولاك هم هم

سلام الله مُنَهّل عليهم فما خانوا أمانتهم ومنهم

رجال في الحبوس وفي الدنيَّة

فما من عامل إلا سيجزا جزاهم ربهم خيراً وعزا

وجَنَّبهم شرور الأزرقيَّة

وبعد فإن هذه القضية لم يحصل بها ذو غيلان إلا كل رزيّة، وابتلاهم الله بعد بكل بليَّة.

ودخلت سنة عشر وثلاث مائه وألف[3] :

وفي يوم الربوع عاشر محرم، توفى السيد الهمام، والليث الضرغام، محمد بن الحسين بن عباس رحمه الله، ورفع درجته في عليين، وكتب له أجر المرابطين، وقد رثاه القاضي العلامه حسين بن أحمد العرشي.

وهذه صورة المرثيه[4] :

أفيضى بدمع وامزجيه بعندم[1] عيوني فماذا الحال حال التكتم

---

(١) سقط تخميس من المخطوطة الأصل (أ) ، وقد أدرج في المخطوطة (ب) ، وربما سقط سهواً على الناسخ وهو:

فلو ترون العيب عاراً وحلف الوعد عندكم خسارا

لما كنتم لذلكموا قرارا ظننتم أن في برط فخارا

وبعد الغدر أين الأفخرية

(٢) أشطاب: الشطب السيف الحاد.

(٣) محرم ١٣١٠هـ يوليو ١٨٩٢م.

(٤) وردت هذه المرثية في كتاب أئمة اليمن للمؤرخ محمد زبارة، ص٢٧٦

فقد آن للاحشاء أن توقد الغضا بأنفاسها من دون نار ومضرم

ومن أين للعينين ماءً وإنها لقد نضبت عين العلو المصَّمم

وفي الجسم داءٌ لا طبيب لدائه فكل حكيم محكم غير مُحكم

«٥٤ب»

وللدهر والأيام أحوالها التي عرفنا ومن لم يعرف الحزم يحْزم

وكم كم لدى الدنيا محى الله رسمها لدى كل حال من خلاف محرم

تسوق الرزايا نحو أبنائها كما يسوق المطايا حادى العيس بالفم

وحين يسر المرء ما قدَّمت له ولم يدر أن الشر نفس المقدم

كذا عادة إذ ما ابتلانا بأمرها السميع بلاءً من مليك معظم

ومن ينظر الدنيا بعقل وفكرة رآها جلياً في سنان مقوم

تناولهم قوم فلما تناولوا رماهم لذا مرما رمى فيه من رمى

لئن كنت ذماماً لها لا ذمَّها حَياً سوى من خشيةٍ وتكرم

وعن عبراتي فاسأل الأرض إنها لتعرفها في بردها والتهلجم

ولو وَجَدَتْ عيني سوى الدمع ثانياً لما بخلت في علمها والتعلم

وقد أزعجني كل هول ومزعج قديماً فأنساني الذي لم أكتم

فواجع لو ولأَّني الدهر حكمها لقلت له ذا الحكم نفس التحكم

ولا أنس بل لا أنس لي في مراكب تزايلنا عن ظهرها والتعصم

غداة رزينا خير من توج العُلا وكَللَّه في تاجه والمنظم

لذى كربة ما لا يرى الخلق مثلها وقد أدهشت من هولها كل مسلم

لذى فجعة كانت لسيف مشطب من الله لا من فعل عرب وأعجم

بسيف العُلا والمجد والفخر كله ومعدودة إن عُدَّ في الذكر أو سمى

لسيف كان الموت في عطف كفه مقيم له يوم الهياج المتمم

---

(١) العندم: دم الأخوين، وشجرة الأخوين أو دم الأخوين نوع من الطيب مشهور في جزيرة سوقطرة في البحر العربي.

أبــى أحمــد الراقــي إلى مرتقــى العــلا فجـــاوره فــــوق العُـــلى المخـــيم

ونجـل حسين وابـن عبـاس خـير مـن رأت كــل عــين مــن غنــى ومعــدم

مــضى في ســبيل قــد مــضى في ســبيله خيـــار بنــــى آل النبـــي المكـــرم

وشـــمر ســـاقاً بـــترك العـــزم كلـــه دنيـــا ويـــومي بـــالرفيع المـــترجم

وطأطـــأ أعناقـــاً ومـــزق أكبـــدا وقـــد فتحـــت أســـيافه كـــل مُـــبهم

وزار الأعـــادي في عجـــاج كأنَّـــه ســـماءً وأنـــوار الحديـــد كـــأنجم

وقـــد صَرَعَ العجـــم البُغـــاة فأصـــبحت رُؤوســـهم نهبـــاً لأهـــل التقـــسم

وأوردهـــم في مـــسلك جـــل شربـــه حمـــيم يـــضاهي حـــرّه مـــن جهـــنم

وســـاقهم ســـوق النعـــام ببلـــدةٍ يـــساق بـــه بـــين الكثيـــب الململـــم

وروعهـــم في كـــل يـــوم مـــروَّع وقـــد وطئـــوُا وطـــي القـــراد بمنـــسم

وقـــد ركـــضت أجنـــاده في نحـــورهم فـــذل مـــنهم أبـــى ومحـــتم

يقـــاس بـــه شـــخص ولاغـــير أنَّـــه كـــريم لـــذا ضرب الحـــسام المكلـــم

وقـــد مـــزق المـــاذي بالـــسيف تـــارةً وأخـــرى بـــأطراف الـــسنان المحطـــم

ودمـــر قومـــاً قـــد عتـــت في فعالهـــا ودانـــوا بإحيـــاء العظـــيم المحـــرّم

وشـــتتهم مـــابين شرقٍ ومغـــرب فمـــنهم جـــريح أو ســـليخ مُـــذمم

أقـــرت لـــه الأيـــام بالفـــضل وحـــده ومـــن مثلـــه في فعلـــه والـــتكلم

وابـــن الـــورى لـــو أجمعـــوا في مجـــامعٍ لـــوازنهم في خُلقـــه والـــتحلّم

وإن قلـــت لاصـــبراً تـــراني فـــانما يـــشاركني في الحـــزن حُـــزني ولـــوَّمي

دعـــاه الـــذي أحيـــاه فانجـــاب ســـامعاً إليـــه مطيعـــاً عـــاشراً مـــن محـــرم

فيـــا حبـــذا روحـــاً إلى الله قـــد غـــدت مـــسافرة في هـــودج العـــز تحـــتم

ولـــو أننـــا في مـــا قـــط قـــد تحـــدرت جوانبـــه بـــالطعن مـــن كـــل معلـــم

حمينـــاه بالـــضرب المبيـــد وأصـــبحت أعاديـــه قوتـــاً للحـــسام المـــسممّ

وجلنـــا علـــيهم بالجيـــاد ولم نـــدع لبـــاقيهم غـــير الـــسِأَمْ المرمـــرمِ

ولكنهـــا الآجـــال تـــسعى ومـــشيها إلينـــا عـــلى رأي القـــضاء المحكـــم

وأمــر الــذى لاأمــر مــن فــوق أمــره إذا مـــا دعـــا لبـــاَّهُ مـــن لم يكلـــم

لـــذا لـــيس يُغنينـــا مـــن المـــوت رادع ولا فـــارس مـــن ملحـــقٍ أو مقـــدم

وإني وإن صَــــبرَّت نفـــسي تعمـــداً لفـــي صـــدمات مالهـــا مـــن مُـــصَّرِم

أصــــبرها حتـــى تفـــيض تأسّـــياً بأســـلافه مـــن كـــل شـــخص مكـــرّم

وإن قلــت يالهفــاً فهــل كــان مغنيــاً لنفـــسي عليـــه مـــن لهيـــب مـــسمّم

فيـا طـول حـزني ثـم يـا طـول كربتـي ويـــاطول فكـــري بـــين ســـهد ونـــوم

وحمـــداً لمولانـــا عـــلى الحمـــد كلـــه وشـــكراً لـــه مـــن بليـــة أو تـــنعم

ولازال ريحـــــــان وروح ورحمـــــــة عـــلى حـــدثٍ في بلقـــع الأرض متمـــى

وممـــدود ظـــلٍ كـــل يـــوم وليلـــةٍ وفي كـــل حـــين مـــن كـــريم مكـــرَّم

وفي أهلـــه الماضـــين للمـــرء أســـوةٍ تباعـــدني مـــن مـــضجرات فـــاحتم

عليـــه صـــلوات الله طـــه وآلـــه مـــدى الـــدهر في كـــل الزمـــان المـــؤلم

ويعـــضدها أســـنى الـــسلام فـــإنهم حُـــصُوني لـــدى يـــوم القيـــام وســـلمي

فصل

وأما الإمام عليه السلام فإنه صار يتنقل في الجبال والشعاب، متوكلاً على رب الأرباب، وهنالك عيّد عيد الأضحى في أرغد عيش. ولقد أخبرني جماعة ممن رافقه هنالك، كان ينزل الله تعالى المطر في وقت الحاجة، فيمتلي الكُرف[1] التي تحفظ الماء، حتى إذا نفذت أنزل الله غيثاً آخر. ثم مازال متنقلاً في تلك البراري، وقد إستطاب العزلة ومناجات الباري. وكان مدة البقاء في تلك الشعاب والجبال قريب من ثلاثة أشهر.

ثم إن عقال حاشد وصلت إلى حضرته الشريفة بعقير، وعولوا عليه بأن يرجع إلى أى

---

(١) الكُرف: الكريف كلمة عربية يمنية أصيلة، وهي أحواض عظيمة منتشرة في كل بقاع اليمن. والكُرف جمع كريف، منها خزان الطويلة في عدن، والكريف العظيم القائم في مدينة قيدون بوادي دوعن حضرموت، والكريف الصهريج من الماء يُحفر في الأرض. (العرشي: بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص٤٣٣).

القرى أراد إما حوث، أو وادعة، او الخمري[1]، فانتقل إلى جبل القحار ثم منه إلى مدينة حوث.

فصل: وأما أحمد فيضي، فإنه رجع من برط إلى الجراف

وقد أكثر على الناس الإرجاف، ثم ارتحل من هنالك قاصداً بلاد السودة[2]، فحبس مشايخها وطلب منهم دراهماً معدودة، ثم أراد النهوض إلى بلاد الشرف[3]، فكتب إلى أهلها وأرعد وأرجف، وأراد أن يدخلوا تحت الطاعة، فأبوا إلا المحاربة، ولزوم سفينة النجاة إمام الجماعة. فنهض إليهم بعسكر جرار فيه ثلاثين مائة، كما رواه لنا الثقاة في الأخبار. فلما قاربوا الشاهل تفرقت أهل المراتب من القبائل، ولم يبق هنالك إلا قدر مائه وخمسين رجلاً، فقاتلوا قتالاً شديداً إلى الليل، ونفذت المونة فخرجوا ليلاً وقد وقع في العجم قتل كثير. واستشهد السيد «ق٥٥ب» الهمام عبدالله بن علي الجرب، وتكوَّن الشيخ منصر بن ثابت السنيدار. فلما أصبحت العجم رموا بالمدافع، حتى إذا تيقنوا أنه لم يبق أحدٍ دخلوه، أعنى الشاهل، وأحرقوا فيه بعض البيوت. ثم أن أحمد فيضي جمع من أطاعه من المشايخ، وفرق عليهم دراهماً فاستمهلوا بتحصيلها. واخبرني من رافقه في ذلك السفر ممن يوثق بصحة ما يقول من الخبر، أنه لما دخل الشاهل أرسل الله على عسكره الطاعون، حتى إنه هلك منهم في ثلاث ليال سبعة عشر مائة، حتى صار العسكري يرمي بالبندق من يده إلى الارض ويموت من حينه حتى كادوا يفنون.

فلما رأى ذلك طاغيتهم أحمد فيضي صار يتأوّه ويقول: إيش هذا، ثم لما رأى عدو الله، إن الله سبحانه قد تولى حربه نهض مستعجلاً ولم يتوقف إلى أن يُحَصِّلْوا الدراهم التي فرقها، بل ذهب مرعوباً متوجهاً نحو الحديدة، وبعد مدة عاد إلى صنعاء.

---

(١) الخمري: قرية بالقرب من مدينة حوث وهي معروفه حالياً ولكني لم أجدها مثبتة في كتب التعداد ولا في المصادر الأخرى.

(٢) السودة: ناحية من نواحي محافظة صنعاء وتتبعها العديد من العزل والقرى. (التعداد: ص١٨٢).

(٣) بلاد الشرف: المقصود ناحية كحلان الشرف، وتتبع محافظة حجة. (التعداد: ص١٥٢).

فهذا ما كان من خبر أحمد فيضي وصفة مخرجه إلى الجهات القبلية بعد أن أبتلى المؤمنـون وزلزلوا زلزالاً شديداً.

فصل: وأما سيف الإسلام: عماد الدين[1] بن الإمام فإنه لما وقعت الخيانه من ذو غـيلان، وإستفزهم الطغيان، وإستحوذ عليهم الشيطان، إنتقل بمن صحبه من الأهل إلى الجوف إلى قرية يقال لها المنهرة، ثم بعد مدة أرسل الإمـام عليـه الـسلام بعـسكر إلى سـيف الإسـلام، وأمره بالوصول إلى الحضرة[2]، ولما استقر الإمام عليه السلام في مدينة حوث إستأذنه سيف الإسلام بالطلوع إلى جبل الأهنوم للقراءة، وتحصيل العلوم، وتدقيق النظر في المنطوق منها والمفهوم، مع إنه قد كان حصّل طرفاً نافعاً قبل خروج الإمام عليه السلام في مدينة صنعاء. ولم يزل حفظه الله وأمتع المسلمين ببقاه إلى هذه الغاية، دائبـاً في تحـصيل الروايـة والدرايـة، حتى بلغ بحمد الله في كل فن إلى النهايه.

هذا وفي مدة بقاء الإمام عليـه الـسلام في مدينـة حـوث، تـزوج بابنـة الإمـام المتوكـل عليه السلام.

ثم إنها مازالت تتتابع إلى حضرته عليه السلام الوفود.

وفي هذه المدة أعنى بعد عود أحمد فيضي إلى صنعاء، قبض على جماعة مـن أهـل صـنعاء وغيرهم، بعضهم من الشيعة وبعضهم ممن ركب القَبَـايح الـشنيعة وداهـن العجـم في كـل فظيعه، فلما اجتمعوا في القصر قريباً من مائـة وخمـسين، أرسـل بهـم إلى الحديـدة ثـم منهـا إلى استانبول[3].

ومن الأعيان الذين أدخلوا بلاذنب تحمَلُوا، صهر الإمام الحاج الفاضل سعد الدين بـن إسماعيل الزبيري[4]، وهو من الأفاضل، والفقيه الخطيب المـصقع محمـد بـن حـسن دلال، وكان الإمام حفظه الله نهاهما عن مقاربة العجم اللّئام، وأمرهم بالبُعد عنهم والإنفـصال في

(١) عماد الدين: اصطلاح يطلق على كل من كان اسمه يحيى، وهو ابن الإمام المنصور محمد.
(٢) الحضرة: أي مقام مقر الإمام.
(٣) تم إثبات هذه الحادثة في كتاب الحوليات: للعلامة الجرافي، تحقيق الدكتور حسين العمري، ص(١٠٠).
(٤) كان الإمام المنصور متزوجاً بابنة الحاج الفاضل سعد الدين بن إسماعيل الزبيري، وكان ممن قام الأتراك بنفـيهم إلى الأستانه. (الجرافي: الحوليات، تحقيق: د. العمري، ه ص١٠٠).

كل مقام، فتساهلوا ﴿لِيَقْضِيَ الله أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[1] .

ثم مازال الشقي أحمد فيضي، وخدامه محمد هاشم يصادر الناس، ومن توسم فيه التشيع، ويأخذون الجزاء، والمقصود والمرام جمع الحطام.

وفي هذه المدة شَرَعَ[2] أحمد فيضي في تحصين مدينة صنعاء، بالقلاع التى لاتُغنى شيئاً، عند ابرام أمر من إليه الدفاع. فَعْمَر قلعة في ظهر الحمار[3] ، وقلعة في عصر[4] وقلاع أخرى في المواضع التي كانوا يدركون منها الضرر عند المحاصرة، وعمر باب اليمن على غير الإسلوب «ق٥٦أ» الأول، وغرم في ذلك أموالاً واسعة، وأمر الناس بتسوية الطرق في كل بلاد، كل ذلك لأجل يُنْسِيهم الفساد، ويشغلهم بذلك المراد. وكان المهندسون من العجم يامرون الناس في كل بلاد، أن يجعلوا الطريق حيث هندسوا ولو في ملك مسلم، وتم لهم ذلك من باب صنعاء إلى تعز، وكان في بعض ذلك مصلحة للمقوين مثل تسوية نقيل يسلح.

فصل

ثم إن الإمام عليه السلام مكث في حوث مدة، ثم رأى النقلة إلى القفلة.

وفي هذه المدة كاتب الإمام عليه السلام، سلطان لحج فضل بن علي العبدلي[5] لإقامة الحجة عليه وعلى من ولي، فكان جوابه بالإعتذار والمغالطة، لانهم ممن يعملون ظاهراً

---

(١) سورة الأنفال، آية رقم(٤٤) .

(٢) شَرَعَ: أي بدأ (عاميه) .

(٣) ظهر الحمار: إحدى تلال جبل نُقُم المطل على صنعاء، وقد دخلت هذه المنطقة ضمن أحياء مدينة صنعاء.

(٤) عصر: إحدى ضواحي صنعاء، ومتنزهاتها.

(٥) سلطان لحج فضل بن علي العبدلي: لم يدخل في علاقة واضحه مع الإمام المنصور محمد، وربما يرجع سبب تجاهله لرسائل الإمام ومعاتبته، لأنه كان يرتبط بمعاهدة حماية مع بريطانيا في عدن، فقد وقع معاهدة حماية مع حاكم عدن من طرف الحكومة البريطانيه سنه ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م مقابل مبلغ من المال ومعاش شهري، وتنازل عن الشيخ عثمان وخورمكسر والميدان والجبال المحيطة حتى جبل حديد المطل على المرسى وميناء عدن. وفي المقابل وبمساعدة بريطانيا توسعت سلطة العبدلي واستولى على أراضي الحواشب، ونتيجة لكل ذلك رفض الدخول في علاقة مع الإمام المنصور لكي لايفقد كل هذه السلطات حتى وفاته. (أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن، ص١٦٩١٧٨ .

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الأَخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ﴾ [1] ولولا مخافة التطويل فيما لا طائل تحته لذكرت الأصل والجواب.

وفي هذه السنة أيضاً وصلت الكتب إلى الإمام عليه السلام، من الأمير محمد رشيد وهو كتاب حسن، وبعد، وصل بنفسه إلى حضرة الإمام وفي نفسه تحصيل مرام[2] .

وفي أواخر شهر رمضان من هذه السنة، طلع الإمام إلى جبل المدان لإصلاح بعض شان، وكان نيته العود إلى القفلة قبل العيد فلم يتم ذلك فحضر العيد وهو باق في المدان فتم لأهله عيدان.

وفي شهر شوال أمر الإمام عليه السلام ببناء منازل المهاجرين، إلى جانب جامع المدان، فكان في ذلك غاية الإحسان، ولم يزل عليه السلام يرغب الناس في طلب العلوم، ويكفي الطلبة والمهاجرين بجميع ما يحتاجون إليه حتى كثرت طلبة العلم في جبل الأهنوم، وبلغوا فوق المائتين فجزاه الله خير الدارين.

ثم لما استقر أحمد فيضي في صنعاء: كتب إلى الإمام عليه السلام مالفظة

بعد الحمد لله وحده الجناب العالي الرفيع ذو المجد الأصيل المنيع، سليل الجحاجحة الكرام، ونسل الجهابذة الأعلام، السيد العلامة محمد بن يحيى بن محمد بن القاسم بن محمد، أسامياً لم تزده معرفةً، وانما لذةً ذكرناها، سلمكم الله وتولاكم، وسلامه الجزيل يغشاكم، ورحمة الله وبركاته، وصلى الله وسلم على من ختمت به الرسالة، سيدنا محمد وآله وعلى أصحابه النجوم الطوالع، والسيوف القواطع، وبعد فصدور الصدور إلى جنابك مجدداً عهداً، ومؤكداً ودّا، وأوجبها إنه وصل أمر رسمي، وخطاب أمري، من جناب الذات الشاهانية، والحضرة السلطانية، حضرة مولانا خادم الحرمين الشريفين سلطان الإسلام، حامى حمى شريعة سيد الأنام، حفظه الله على مر الليالي والأيام، وأقام به قناة

(١) سورة الروم، آية رقم .

(٢) محمد بن رشد: سلطان نجد ولد ببندر مُصَّوع، وقد تنقل في أرض الله، وجاور بيت الله الحرام أحد عشر سنة، وزار بيت المقدس، وقد حرص على القدوم إلى اليمن ومساعدة الإمام المنصور محمد في حروبه ضد الأتراك، وذلك لما رأى منهم مارأى من مخالفة للشرع الإسلامي، وقد أحسن إليه الإمام خاصة حين رأى منه علامات الصلاح والزهد. (زبارة: أئمة اليمن،ص٢٦٩) .

شريعة سيد الأنام، أن أكتب إليك تحضر إلى دار الخلافة العليَّة، وتكون آمناً ومطمئناً، وتحصل لك النعمه العظمى من طرف السلطان المعظم، وحيث وأنت من أهل العقول الرصينَّة، والفكرة الرزينة، أن المقصود من كل مكلف رضا الرب المعبود، وأن التظاهر بين المسلمين أمر واجب، وأن التناصر والتعاون على أمور الدنيا والدين أمر لازب، ومثلك لايُستغنى عنه في بدو ولا حضر، وأن يك الزيادة فيما قل من الأمور أوخطر. وحيث وأنت كما أنت فالحمد لله على ذلك وله الشكر على ما هنالك، وبقاؤك حيث أنت لايليق بمثلك، فالمقصد إن كُنت تُريد الرياسة، فاقترح ماتريد وعلينا تنجيز ماتريد، وإن كُنت مريداً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمثلنا من يقول هل من مزيد، وإن قصدك المال «ق٥٦ب» فنحن نعطيك فوق ماتوّمل وتُريد، وليس المقصود إلا جمع الكلمة، وأن نكون يداً واحدة وعضداً وساعدة، هذا وقد أرشدنا الله تعالى إلى ذلك في كتابه الكريم فقال عز من قائل ﴿وَلاَتَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [1] أي بركتكم، وقال تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ [2]، وقال تعالى في حق المسلمين ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [3] إلى غير ذلك مما لا يسعه المقام، ومن السنه ماملاء الخافقين[4]، وحمله الجم الغفير من الثقلين[5]، مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم (المؤمنون كالبنان أو كالبنيان يشد بعضهم بعضاً) [6] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (المسلم اخو المسلم لايشمته ولا يلومه) [7] إلى غير ذلك. فالقصد إن كنت تريد الاتصال بالذات الشاهانية واستقرارك هنالك فلك ذلك على أن يكون أنت المقدم الرأي، وجيهاًمكرماً، وأميناً معظماً، مُجللاً مُحترماً، رئيس الأشراف الذي هنالك، فكم من شريف حواه المقام السلطاني، وكم من كريم الأصل نال الحظ الأوفر من السرير الشاهاني، وإن تُريد البقاء في مدينة صنعاء منشأك

(١) سورة الأنفال، آية رقم (٤٦) وتمامها: ﴿ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .

(٢) سورة الفتح، آية رقم (٢٩)

(٣) سورة الصف، آية رقم وبداية الآية ﴿إِنَّ الله يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً﴾ .

(٤) الخافقين: المشرق والمغرب لأن الليل والنهار يخفقان فيهما. (المنجد: ص١٨٩) .

(٥) الثقلين: الجن والإنس.

(٦) الحديث في كتاب: سنن الترمذي، المجلد الرابع، باب البر، ص٣٢٥، صحيح البخاري، الجزء الأول، ص١٢٩.

(٧) الحديث في كتاب: سنن الترمذي، الجزء الرابع، كتاب الحدود، ص٣٥.

ومولدك ومحل آبائك وأجدادك فلك ذلك، وأقترحت مقاصدك ومرادك، على أن تكون أنت الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والقوال الفعال، مُنفْذ الأحكام الشرعيَّة، ومُبرم الأمور المرعيَّة، مقبول في الإقدام والإحجام، لايُغلق عنك باب ولا يرخى دونك ستر ولا حجاب، وعلينا تحصيل مايطمئن به قلبك من أي أمر طلبت من المواثيق الخا قانية والعهود السلطانية، على أنه لايمكن والعياذ بالله أن يحصل على مثلك من الجناب العالي أمر مغاير لمَّاً أنت عليه من العلم والدين والصدق واليقين. هذا ولا شك إنه قد وقع مني ما وقع، من وصولي بالأجناد وغيرها إلى تلك الجهات الحاشدية، وما إليها وبرط والشرفين وما يليها، ثم رجعت إلى صنعاء، وقد تركتك حيث أنت قاصِداً بذلك موادعتك، والإعراض عنك، فلم تُوادعنا ولا ضربت عنا صفحاً، ولا طويت دوننا كشحاً، بل صار من التحريكات ما صار، وكان الواجب عليك أن تُنزل السلطان منزلة أحد الخلفاء الثلاثة المرضيين، وتكون أنت في منزلة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد علمت من كُتبْ السيَّر والتواريخ أن علي بن أبي طالب قام بقيام الخلفاء الثلاثة حتى خرج للجهاد بين أيديهم المرة بعد المرة، وصال وجال معهم، وحضر الجمعة والجماعة، مؤُتماً بهم، ونفذ أحكامهم، وقعد بين ظهرانيهم. فلو سلكت ذلك المسلك كُنَّا متحدين، وعلى الطريقة تلك غير مختلفين. على إنك تعلم أنت وكل عاقل إنه لايقدر أن يقوم بأمر اليمن غير سلطان الإسلام، هب وافرض محالاً إنا لو نترك اليمن وشأنه، أنت تقدر على رفع ذو محمد من اليمن الأسفل، وأن تكف أكف آل جزيلان[1] من الشغادرة[2] إلى اللحية[3]، وأن تزيل بني علي من قطعة ردمان[4]، أو ابن ناشر مع حوره الذى كان، أو المكرمي من حصونه الشامخة الأركان، هذا

---

(١) آل جزيلان: من قبائل برط.

(٢) الشغادرة: ناحية واسعة مُشرفة على بني قيس وتهامة شرقي وادي مور وتتبعها الكثير من العُزل والقرى. (التعداد: ص٣٤، الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٥٤).

(٣) اللحية: مدينة صغيرة في تهامة على ساحل البحر الأحمر شمال الحديدة. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٧٨).

(٤) ردمان: ناحية واسعة مشهورة في رداع واشتهرت بكثرة أعنابها وبِرِّها، ومن حصونها المشهورة حصن المِعْسَالْ. وهناك مواضع أخرى تحمل اسم ردمان منها: حصن ردمان في بني النمري من الحيمة الداخلية. وحصن ردمان في عزلة الشرقي في محافظة المحويت. وبنو ردمان من قبائل أرحب. وبنو ردمان بوادعة حاشد عرفوا ببني الزرقه. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٦١، ٣٦٥).

في قبائل أعراب وأفراد في تلك البلاد أغراب، كيف وقد صاروا والعياذ بالله القرانات[1] الأفرنجية والأنكليزية عن اليمن، والحال أن قد صاروا الأن في طرفه، أو كيف وقد تحركت قران الطليانية «ق٥٧أ» فهو قيصر روم على هذه القطعة اليسيرة، وقد بنوا الآن في عمل فيها في جهة العصب[2] . كما لا يخفى على ذي بصيرة، فاعمل بفطنتك في هذه القضيَّة القطعيَّة الكليَّة، وردد الأمور بدرايتك الباهرة فيها، وأجب عليَّ جواباً يحصل به إنشاء الله الإتحاد، وبين ما تُريد لأجل تحصيل المراد، وأنت حيث أنت حتى يحصل مقصدك هذا مالزم، وعرفناك به، والله ولي التوفيق والسلام ختام، وحرر محرم الحرام ١٣١١هـ[3] . وفي آخره ختم أحمد فيضي.

وهذه صورة جواب الإمام عليه السلام

نحمد الله على السَّراء والضراء، والشدة والرخاء، ونصلي ونسلم على محمد الذي طلع فجره فأضاء، وظهر حسامه حين إستله وانتضاء، وعلى آله مصابيح الهداية ومفاتيح العلوم والدراية، المنزل فيهم من الكتاب غير آية وبعد، فإن من السعادات الأبديَّة والإرشادات الصمديَّة، رياضة العقول في مضار الفكر، وزمَّها بأزمة الإنقياد، ولِمَا أوجبه الرب و أمر، وقمعها بسوط مانهى عنه وزجر، والإندماج في زمرة من عقل القُرآن وتدَّبر، هنالك تفقى بسهام المحبّة عين كل بدعةٍ منكبة، وبتحاب النفوس الأبيَّة، عن مرتعٍ وخيم الفتن الوبيّة، ويُحمد كل طايفة آثارها، ويطفى بيد الإتحاد التهاب نار الخلاف وشرارها، حين تضع الحرب أوزارها، كما ورد إلينا من حضرة الوزير المكرّم والباشا المُفَّخم أحمد فيضي باشا، بلَّغهُ الله في رضاه ما شاء، كتاب كريم، وخطاب فخيم، جمع بين الإجاز والإطناب، وإحتمل من المعاني مايُمَرُ ذوقه وما يُستطاب. ففي كل لفظ منه رمز تديره ، كؤوس من التلميح أدهى من المنى يقول فيه أنه ورد إليه الأمر السلطاني، والرسم الشريف الشاهاني، بأنه يكتب إلينا أن نختار أحد تلك الأطراف الموصوفة، بِملَحْ الأوصاف، وقد فكرت في مباديها ومنتهاها، وقلت قد أنصف القارة من راماها، ولاتسكن الجاريات إلابعد حركاتها،

---

(١) القرانات: الاجتماع والالتقاء والتحالف. الجرافي: الحوليات، تحقيق: د.العمري، ص١٢٥) .

(٢) عصب: ميناء في أرتيريا، على ساحل البحر الأحمر بالقرب من باب المندب.

(٣) محرم الحرام ١٣١١هـ يوليو١٨٩٣م.

كما لاتُعرف الاعدام إلابملكاتها، والمقدمات للنتايج أمهات. فنقول قد عرف الأخص والأعم من العرب والعجم، إني لا أريد غير إمضاء الشريعة المحمدية وإجراء الأحكام الإسلاميَّة، على طبق ما نطقت به الآيات القرآنية، والسنّة البيضاء النبوية، إمتثالاً لأوامر الرب العظيم، المتكررة في القرآن العظيم، وسنة النبي الكريم، من نحو قوله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (1) وقوله: ﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (2) وقوله﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ۝ كَانُواْ لايَتَّنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (3) وقوله﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابِ بِئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (4) . وغير ذلك، ومن السُّنة مالا يُحصى ولايتسع له المقام. ورأينا المُنكرات قد كثرت وتعثرت في أذيالها، وشاهدنا المحرمات وقد أُستبيحت وأُطلقت من أغلالها، ورأينا القرآن وقد تهافتت حيطان حدائقه، وشَرْع الله وقد تقاصرت أيدي سوابقه، والأشراف والموَّحدين وقد تـآمرت عليهم النصارى والأعيان، وذوي الإعتبار وقد ارتفعت عليهم الأنذال والسكارى، وتولى القضاء من لا يُميِّز بين المعقول والمنقول، ولا يَعرف رفع الفاعل ولانصب المفعول، وصد الحاج عن بيت الله باسم الكرنتينة(5) ، وتولوا ذلك النصارى، ليشككوا على المسلم يقينه «ق٥٧ب»، ويفسدوا مناسكه ودينه، وأُنتهبت أموال الضعفاء بكل حيلة، وإختلطت الأنساب بكل دخيلة، فهذه الأحوال وما ضاهاها من المُنكرات، والتي حركت السواكن للجهاد، ومنعت الأماق لذيذ الرقاد، ودعت إلى مُواخاة وحوش الفلاة، وإتحاد الأبطال والرماة، وكيف تلقى الراحة والسكون من إجرا من الأوامر مالا يكون. وأما ما أشرتم إليه من المال والأوطان، وعلو الكلمة والسلطان، ومساكنه الأحبة والخلان، فإنما يجعلها بُرَاقَةُ ومِعْراجه، من آثار الجهل

---

(١) سورة آل عمران، آية رقم (١٠٤) وتمامها: (وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونْ) .

(٢) سورة لقمان، آية رقم (١٧) .

(٣) سورة المائدة، آية رقم (٧٨) .

(٤) سورة الأعراف، آية رقم (١٦٥) .

(٥) الكرنتينة سبق تعريفها.

عليه عجاجة، وفارق طريق الحق ومنهاجه، ومـاذكرتم مـن سـيرة الـوصي أمـير المـؤمنين علي بن أبي طالـب كـرم (الله) [1] وجهـه مـع المـشائخ، فلـيس الـسيف كالعـصا، ولا الـدر كالحصى، مع أن أبى بكر كان في الزهد والتقشف الغاية، وإن عمر كان في التشدد على أمور الدين النهاية، حتى إنه جلد ولده حتى مات بين يديه[2]، وكذلك عثمان أظهر في إبتداء أمره من الزهد والتدين، ما يزيد على وصف الواصف، حتى إنكشف حاله مع الأموية فخطفتـه الخواطف، فكيف قياس هؤلاء المأمورين بالمـشايخ، اللهـم غُفـراً. وأمـا جنـاب الـسلطان الأعظم، فهو محمول على إنه بـالحوادث لايعلـم بـها في الـيمن لرفـع المـأمورين والعـساكر ولايرضى أن يتحمل ذنوبهم في الظلم والمناكر، حتى لقد قال بعض اليهود حين سأله سائل عن حكم هؤلاء الأتراك، لا كانوا منكم وعملوا بالقرآن والتنزيل، ولا من غيركم، وعملوا بالتوراة والأنجيل، يأكلون كل ذبيحة ويرتكبون كل قبيحة. نعم واشـتمل مكتـوبكم عـلى الأمر بالتخيير للحقير، وما أخترته فعليكم تحصيله، فإن أقَسْنا الليلـة بالبارحـة قطعنـا بـأن هذه دائرة نازحة، وإن نظرنا إلى إمتثال أمر الله، فلم يسعنى غير الإسعاف لظـاهر المكتـوب عملاً بقول الله تعالى ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [3] .فـأقول الـذي أختـاره جانبـاً

---

(١) تم إضافة مابين القوسين

(٢) الرواية تذكر: أن عبد الرحمن (بن عمر بن الخطاب) وأبو سروعة، شربـا حتـى سـكرا وقـدما عـلى عمـرو بـن العاص في مصر ليقيم عليهما الحد، لكن عمرو بن العاص زجرهما. فقال له عبدالرحمن إن لم تفعل أخـبرت أبي إذا قدمت. فأخرجهما إلى صحن الدار، وحلق لهما وأقام عليهما الحد. فوصل كتاب مـن عمـر بـن الخطـاب إلى عمر بن العاص يعاتبه ويزجره على فعلته وبأنه لم يقم عليهم الحد مثل باقي المسلمين، وكيف له أن يقـيم عليـه الحد في صحن الدار، وأمره أن يبعث له بابنه، حتى يعرف سوء ماصنع، فبعث عمر بن العاص بعبـد الـرحمن، وكتب إلى عُمر كتاباً يعتذر فيه ويخبره بأنـه يقـيم الحـدود في صـحن داره عـلى الـذمي والمـسلم. وحـين قـدم عبدالرحمن على عمر، قال له عمر: فعلت يا عبد الرحمن كذا وكذا. فقال له عبدالرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين قد أُقيم عليه الحد مرة فلم يلتفت إلى هذا. فجعل يضرب ابنه عبدالرحمن بالسياط فكان عبدالرحمن يـصيح أنـا مريض وأنت قاتلي فضربه وحبسه ثم مرض فمات رحمه الله. لكن عبدالله بن عمر ينفي هذه الحادثة ويذكر بـأن عمر بن الخطاب ماضرب عبدالرحمن إلا لمعاقبته من أجل مكانه منه، ثم أرسله ولبث شهراً صحيحاً ثم أصابه قدره، فتحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر وأنه شرب الخمر، وإنما شرب النبيذ متأولا يظن أن الشرب منه لايُسكر. (ابن الجوزي: مناقب أمير المؤمنين عمـر بـن الخطـاب، ص٢٤٢) (ونفـس الروايـة ذكـرت في: إسلاميات عباس محمود العقاد، ص٣٣) .

(٣) سورة الأنفال، آية رقم(٦١) وتمامها: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيُم﴾ .

يسيراً من مملكة أبائنا وأجدادنا، نقيم فيه أوامر الله ونواهيه، ونعين على حرب الأجانب والسَّفيه، ويبقى جُل اليمن بأيدي المأمورين إن أقاموا فيه الفرايض والسنن، وعملوا بشريعة الله فيما ظهر وبطن، حتى لاينسب إلى الذات الشاهانيه، والعقود الخاقانية، إلامايرضيه من السيرة، ثم يختار الإعانة منكم بيسير من الألات الحربية، يقوم بها حفظ ذلك الجانب اليسير، وبعد ذلك يحصل الإتحاد والجامع بيننا نصرة دين رب العباد، والتعاضد على من رام أسباب البغي والفساد، لا الأموال والذخاير والمواد، وحرر تاريخه ٢٦شهر محرم الحرام سنة ١٣١١هـ.

وفي خلال ذلك دخلت سنة ١٣١١هـ[1] .

وما زال الإمام عليه السلام، يحرض الناس على الجهاد، والكرّة على العجم، ويذكرهم بالمكاتيب والرسائل إلى جميع القبائل، بإيضاح الحجج والدلائل، ولكن الناس حين زفرت نار الباطل، ثقل عليهم التناصل، فاطمئنوا مع إنه قد وقر في صدورهم، وعرفوا مما وقع إن الله مقتدر على إزلة دولة العجم، وأنه الذي يخفض ويرفع، ويعطي ويمنع لاسيّما الرعَّية، فأنها لما ثقلت عليهم وطأة العجم، وأيس أكثرهم من الفرج، عرفوا أن من الله يرجا حُسن المخرج، فمن بعد مامضى من الوقعات صارت الرعية تعمل الحيَّل، ويسعون في نفاذ أمر الإمام في كل محل والمشايخ «ق٥٨أ» ينهونهم ويأسونهم[2] من الفرج، لِمَاَ إنغرز في أدمغتهم من الظلم والعوج.

وفي شوال هذه السنة وصل إلى حضرة الإمام عليه السلام الشيخ عبدالعزيز الشجرة صاحب حصن حَبّ[3] ، راغباً في نصرة الإمام وباذلاً لفتح حصن حَبّ، لإدخال رتبة من طرف الإمام، والحصن المذكور معقل من أحصن معاقل اليمن، قل أن يوجد له مثيل، حتى إنه وصف لي من أثق به أنه سمع المتصرف محمد بيك لما رأى الحصن المذكور، قال والله لو

---

(١) محرم ١٣١١هـ يوليو ١٨٩٣.

(٢) يأسونهم: من اليأس، أي يبثوا اليأس في نفوسهم.

(٣) حصن حَبّ: من أمنع حصون اليمن ويقع في بعدان وهي قلعة مشهورة. محافظة إب. (الحجري: المجموع، ج١، ص٤٥) .

خرج السلطان لما قدر على إخراج من فيه، من حيث أنه لم يكن له إلا طريق واحدة، والطريق المذكور أيضاً في غاية مايكون من الإحكام، والإنحدار، حتى إنه لو دحرج من في أعلاه حجراً كبيراً، لأَخَذت من تحتها بحيث لايبقى منهم أحد. وفيه بركتين يقال لأحداهم الطويلة، لاتنفذهما الأيام الطويلة، وليس عليه حاسد من الجبال حوله، بل هو العلم الفرد، وأعلاه متسع، وفيه مزارع. هذا ما وصف لي من أثق به من المشاهدين لذلك بعد خروج أهله. وفي أعلاه ضريح السيد علي بن الإمام المتوكل[1]، ويقال أنه محدود بحيث أنه لاثَبَتَ من أخذه، والظاهر والله أعلم أنه من أجل وقوع الركون إليه، وتعلق الأمل به، وإلا فلا إله إلا الله، الحصن الحصين، والجنة الواقية للمؤمنين. وهذا الحصن من بلاد بعدان من اليمن الأسفل، مُطل على أكثر مخاليف اليمن الأسفل، أنتهى.

ثم إن الشيخ عبدالعزيز لما أراد ماذكر وكلم الإمام، فاشترط عليه الإمام عليه السلام رضا أهله بقية رتبة الحصن من بني الشحرة، فطلب من الإمام جُعْلاً[2] يكون لهم، فانعم له بذلك، واشترط عليه الإمام عليه السلام رهينة الطاعة، فابلغها إلى الإمام على جهة الكتمان.

ثم إن الإمام عليه السلام، كره أن يبعث إلى الحصن أحداً، حتى شحنه بما يحتاج إليه من الزاد والمونة، فأرسل الإمام الفقيه حمادي الروضي ومعه دراهم، والقاضي الجمالي علي محمد الخباني، وأمرهما أن يجمعا محتاج الحصن من الحب والمونه، وغير ذلك. فلما وصلا إلى

(١) علي بن الإمام المتوكل: بعد وفاة الإمام شرف الدين، وبعد أن استولى ابنه المطهر على زمام الأمور، قاد الثورة ضد الأتراك وحاربهم وجمع حوله جميع أفراد أسرته وجميع اليمنيين. وانتهت تلك الحروب، الطويلة بين المطهر بن الإمام شرف الدين وبين الأتراك بعقد صلح مع سنان باشا، ولكن المناطق الجنوبيه لم تدخل ضمن المعاهدة. وفي سنة ٩٧٧هـ جهز المطهر أخاه علي بن الإمام شرف الدين إلى حصن حب في بلاد بعدان من اليمن الأسفل. وفي سنة ٩٧٨هـ تقدم بهرام باشا بجيشه لمحاصرة حصن حب واحاط به. وخلال ذلك الحصار دس بهرام باشا إلى علي بن الإمام شرف الدين سماً في سفرجلة على يد رجل من العرب ومات علي ابن الإمام من ذلك السم في رجب ٩٧٨هـ ود فن بحصن حب عن إحدى وخمسين سنه. (أ.د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص٢٩٩، أحمد بن يحيى بن الإمام المنصور محمد: نظم أجود الأحاديث المسلسلة، ص٢٦٥) .

(٢) جُعْلاً: الاسم بالضم والمصدر بالفتح، يقال جَعَل لك جَعْلاً وجُعْلاً، وهو الأجر على الشيء، والمراد في الحديث أن يكتب الغزو على رجل فيعطى رجل آخر شيئاً ليخرج مكانه أو يدفع المقيم إلى الغازي شيئاً فيقيم الغزي ويخرج هو. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٤٦٩) .

هنالك أشتهر الأمر وظهر، ونَمَّا إلى العجم الخبر، فاستيقظوا لذلك وأغارقائمقام قضاء مدينة إب بمن معه من العسكر عرب وعجم، وأرادوا معاجلة من في الحصن، قبل أن تصل إليهم غارة الإمام، فقصروا الحصن المذكور ولم يكن فيه غير أهله، وأكثرهم في القرى حوله. فاجتمعوا إليه، وقد كان فيه بعض المحتاج. فلما هجم عليهم العجم وأعوانهم، وصعدوا من طريقه التي وصفنا، فألقى عليهم من فيه حجاراً، فانحدرت على ماتحتها من القوم، فانهزموا وولوا راجعين، وعلموا أنه لاطاقة لهم بذلك. ورأوا أن التدبير محاصرة من في الحصن من جميع الجهات، حتى ليمتنع الداخل والخارج، وكان مدة المحاصرة شهراً. ثم إن الشيخ الظالم عبدالواحد بن محمد بن قاسم، صار يسعى في مخادعة من في الحصن، وضمن لهم جُعْلاً من العجم، ورجف عليهم بأنهم إن لم يفعلوا لابد يصيبهم جميع النقم، فصاروا مترددين متحيرين، وفي بعض الليالي خفقت قلوبهم، أعنى أهل الحصن، وكان عندهم رجلان من العسكر المرسلين من طرف الإمام، فلما عرفا ما قد نزل باؤلئك من الذل والرعب، خرجا ليلاً على حين غفله من أهله، فلما أنتبه من في الحصن ووجدوا النفرين قد عزما سقط ما في أيديهم، فخرجوا من الحصن لاموجب إلا لمجرد الجُبن، نسأل الله السَّلامة، فدخلته العجم وبادروا في هدمه «ق٥٨ب» وهدم بركه بما يقدرون عليه، وكان أحد البركتين منقورة في الصخر لم يقدروا على هدمها، فطموها، والأخرى هدمت وأنفجر مآءها، حتى بلغ باب ميتم. وأما الإمام عليه السلام فإنه بعد وصول القاضي الجمالي علي بن محمد الخباني، والفقيه حمادي الروضى إلى الحضره، وأخبراه الخبر، أرسل السيد الجمالي علي بن أحمد بن صلاح[1]، وصحبته جماعة من ذو محمد، وذو حسين، وهمدان، لقبض الحصن المذكور والغارة على من فيه، فلما وصل السيد المذكور بمن معه إلى بني جبر الطيال، وصلت إليه الأخبار، بأن الحصن المذكور قد أُخذ وأُهدم، فكتب بذلك الخبر إلى الإمام وإنتقل إلى بلاد الحداء، وبقى هنالك إلى آخر شهر محرم من

---

(١) علي بن أحمد بن صلاح: ولدفي صنعاء في صفر ١٢٩٠هـ، وتلقى علومه في الفقه والنحو والحديث على يد العلامة إسماعيل بن علي الريمي، والعلامة عبدالرزاق بن محسن الرقيحي والعلامة العراسي والقاضي المغربي وعن العديد من علماء عصره. ولع بالأدب والتاريخ ونظم الألغاز، وتاريخ وفيات العلماء والأدباء باليمن، وله سؤالات دينية وأدبية، تولى الكتابه على بعض أعمال الوقف. توفي سنة ١٣٧٩هـ. (زبارة: نزهة النظر: ص٤٢٠).

سنة ١٣١٢هـ[١].

وفي هذه المدة جمع عقال الحداء، وطلب منهم الرهاين فرهن بعضهم، فلما بلغ العجم ذلك، خرجوا من مدينة ذمار، قاصدين بلاد الحداء، فبقيوا مدة في إسبيل[٢]، فأعلنت بنو زياد[٣] بالطاعة للعجم، وأما بنو بخيت[٤] فعقروا[٥] عند المقدمي، بانه يُرفع المطرح من بلادهم، وعقيرة عند العجم بأنهم لايصلون إليهم فحصل لهم المقصود وتمَّ.

وفي هذه المدة أرسل الإمام: عليه السلام جماعة لقبض حصن الدُمْلَوَة[٦] في بلاد الحجرية، لموجب إستدعى بعض العسكر، وهو حصن منيع، فلما وصل إليه العسكر المأمورون، بقبضة بلغ ذلك مسامع العجم، فسارعوا إلى حسم مادة هذا الأمر ودواء هذا الألم، ووقع فيما بينهم قتال ومصادمة ونزال وآل الأمر إلى الخروج.

وفي هذه المدة إتفق أن بعض الشيعة الكرام، إحتال في إحراق دار الحكومة حق صنعاء بالبارود، فتم له ذلك المقصود، وكان ذلك نهاراً ولم يضر أحداً لكن صار له وقعاً في قلوب العجم وعلموا أن عليهم رقيباً لم ينم.

وفي هذه السنة وصل مكتوب إلى حضرة الإمام عليه السلام من السيد الأديب الأريب جعفر الحِلي[٧] من سادات النجف المشهور في العراق، وفي صدر المكتوب هذه القصيدة الطنانة ولفظها:

مُـرْ وأْنَـه واحكـم فانـتَ اليـوم ممتثـلُ والأمـرُ أَمْـرك لاماتَـأْمُرُ الـدُولُ

(١) ١٣١٢يوليو ١٨٩٤.

(٢) إسبيل: عزلة تتبع ناحية عنس، محافظة ذمار. (الحجري: المجموع، ج١، ص٧٥، التعداد: ص١٩).

(٣) بنو زياد: مخلاف من بلاد الحداء.

وبنو زياد عزلة من بلاد سارع في المحويت.

وبنو زياد من قبائل مغرب عنس. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٩٧).

(٤) بنو بخيت: مخلاف من ناحية الحداء. (الحجري: المجموع، ج١، ص١٠٤).

(٥) فعقروا: هي العقيرة وهي الذبائح وتقوم القبائل بذبح البقر والغنم دليل على دخول الطاعة.

(٦) حصن الدُمْلُوَة: حصن بالحجرية كان يسكنه آل زريع. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٣٧).

(٧) السيد الأديب جعفر الحلي: من سادات النجف، ويدعى جعفر بن خضر بن شلال الحلي الجناحي الأصل النجفي المسكن والوفاة، فقيه إمامي كان شيخ مشايخ النجف من أشهر تصانيفه كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء (الحق المبين في الرد على الأخباريين). (الزركلي: الأعلام، المجلد الثاني، ص١١٧).

عنك الملوكُ انثنوا عجْزاً وما عَلِموا أأَنْتَ زِدْتَ علواً أم هُمُ سَفِلوُا

خلاص ذي التاج أَن يُعطيكَ طاعَتهُ لأمَّة إن عصاك الثكل والهبلُ

ياسيداً لم يخفْ عزلاً لمنصبه والعْزلُ فيه بحذف اللام متصلُ

من كان في دينه بالله مُنتصراً فلا يقابله الأنصار والخُولُ

هذا سليلُ رسول الله أنت به أَعطاك هو أولياءُ الله والرسُلُ

الدولة اليوم في أبناء فاطمةٍ بشرى فقد رجعت أيامنا الأولُ

محمد اليوم قد أحيا بني حَسنٍ كأنهم قط ماماتوا وما قُتلوا

سيوفكم لم تزل ياآل فاطمة منها نجيع الطلا المحمر ينهملُ

الله أعلاكم قدراً وشَرَّفكم وأنكم هُداة الناس لو عَقِلوا

والكل مُنكم شريف القدر ذو كرم تُزينَّه خِصْلَتانِ العِلمُ والعملُ

فمن رآك رأى الهادي وعترته وفيك منهم صفات ليس تنفصلُ

«ق٥٩أ»

يمناك قد خصها الباري بأربعةٍ لها الدعاء والعطاء والسيف والقبلُ

أقلامك السمر في الأعداءقد فعلت ماليس يفعله العسَّالة الذبلُ

لولاك ذلَّت بنو الأشراف قاطبة كما تذل إلى جزَّارها الإبِلُ[1]

مولانا إمام الشرفاء، وسيد الأئمة الأتقياء، مازلنا نَتَفحَّصُ عن أخباركم، وحسن أثاركم، ولا زالت أخباركم تسر سادات العراق ويتعطر بنشرها الآفاق، لا سيما خادمكم فإنها تحركت إليكم الأشواق، ولكن عاقتني عن الوصول عوايق، ولاغرو إنك غصن الشجرة النبوية، وثمرة الدوحة العلويَّة، زاد الله في شرفك وصدورها صحبة الحاج الأفضل صالح بن يحيى الذماري اليماني. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صورة جواب مولانا الإمام عليه السَّلام

(١) وردت القصيدة في كتاب: زبارة: أئمة اليمن، ص٣٥٦.

بيض الظِبَا وصدور الخيل والأسَلُ | يصلحن ما أفسد الأوغاد والسُفلُ
هبّت لنا نسمات الشرق من نَجَفٍ | حَنَّتْ لها صَافِنَاتْ الخيل والإبلُ
ياناظماً من بنى الزهراء هيج لي | شوقاً إلى نصر ماجاءت به الرسلُ
نظماً يطاطوءُ سُحبان لرقته | ويحتذي ما احتذاه المسك والجعلُ
ويشنى عنه عجزاً أن يماثله | كما النعامه لاطير ولاحملُ
أَذكرْتَنا من بني الزهراء أنهم | قومٌ لهم نصرة الإسلام والدّولُ
لكنهم قعدوا عنها وما اجتهدوا | وطال مارقدوا فاعتاقهم دَخَلُ
وضيَّعوا سُنن الآباء وادّرعوا | درع السلامة وهو الحتف لو عقلُوا
واستأمنوا كل ظلام فَجَرَّعهَم | كأس الهوان وفيه النار يشتعلُ
وشاركوهم على ظلم الحقير وطردِ | المستجير وعن حكم الحِجَا غفلوا
ماكل ذي مخلب صقرٌ ولاسبعٌ | كلاَّ ولا رجل يغتاظه رجلُ
إنا نهضنا وللأتراك صلصلة | وشدة ضاق منها السهّل والجبلُ
وافسدوا الدين والدنيا وما علموا | إن الأماني يوافى بينها الأجلُ
رَدُّوا نصوص كتاب الله واتخذوا | قانونهم ناسخاً للدين وانتحلوا
وأَمّرُوا عابد الصُلبان حين طغى | وزاد بغياً على الأشراف يرتجل
لذاك واخيتُ وحش الأرض مُنتصراً | بالله والجيش بعد الجيش مُتصلُ
ياغارة الله حِثي السير مُسرعةً | لحل ماتعقد الأوباش والسفلُ
وعن قريبٍ وقد زال الصداء عن | القلوب وانبعثت أيامُنا الأولُ
واسلم وَدُمْ في نعيمٍ لا يعارضُه | شر ولاعاقه في نحسه زُحلُ[1]

(١) في كتاب زبارة زاد بيتاً ولم يرد البيت في المخطوطة وهو:
ثم الصلاة على المختار من مضر | مادامت الشمس تجري برجها الحمل

وفي هذه المدة كانت وقعة الحقيبة[1] في بلاد عتمة

وصفتها أن الشيخ صالح بن يحيى الأسدي، إستدعى من الإمام ترتيب القلعة المذكورة، وإرسال مقدمي لإقامة «ق٥٩ب» الحق في بلاد عُتمة، والشيخ صالح وقرابته وأسلافه هم رتبة القلعة المذكورة في الدولة القاسمية، ونسبهم يرجع إلى سفيان. فلما رهن الشيخ صالح عند الإمام، وطلب إتمام ذلك المرام، كتب الإمام إلى السيد علي بن صلاح، وكان في بلاد الحداء كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ينتقل في مشارقها. وكان قد وقع فيما بينه وبين أهل هجرة إسبيل حرب، والسبب أنهم لم يُضَيَّفوه[2]، وقتل من أهل أسبيل في ذلك الحرب رجل ورجع منهم بعد ذلك إلى الحداء، فلما وصل مكتوب الإمام عليه السلام بأن يعزم عُتمه، لقبض الحقيبة سارع إلى فعل ما أمر به، وكانت طريقه من الصَّميد، وسرى ليلا من قاع جهران[3]، وانحدر من نقيل المصنعه[4]، فلم يصبح عليه الصبح إلا في حمام علي[5] في أسفل وادي الخيرات، وعزم من ساعته حتى حط في الركبه تحت ذي حود على مآءٍ هناك، وقَدْر من معه من العسكر أربعمائة، ثم كانت طريقه على جبل سَمَاه[6]، وانحدر منه إلى القفر، وسرى ليلاً حتى بلغ الحقيبة صبح الخميس الثاني والعشرين من شهر صفر في السنة المذكوره، فلما وصلوا هنالك عشّروا تعشيرة عظيمة حتى أرجفوا على القبائل وحصل معهم الحاصل.

وفي اليوم الثاني وقع الحرب بينهم وبين أهل السُمَل[7]، وقتل من أهل السُمل تسعة،

---

(١) الحقيبة: قلعه من قلاع عُتمه، وتعرف الآن بقلعة بني أسد وربما تكون هي قرية الحقيبة في عزلة نعمان في ناحية وصاب العالي، محافظة ذمار. (الحجري: المجموع،ج٣، ص٥٧٧، التعداد: ص١٢٤) .

(٢) لم يُضَيَّفُوه: أي لم يستضيفوه.

(٣) قاع جهران: من مساقط جبال يسلح من مرتفعات ضوران آنس الشرقية، محافظة ذمار. (الويسي: اليمن الكبرى، ص٧٤) .

(٤) المصنعه: تسمى قرية مصنعة أنس في محافظة ذمار.

(٥) حمام علي: قرية في عزلة الجاهلي ناحية ضوران، محافظة ذمار. (التعداد: ص٢٨٥) .

(٦) جبل سَماه: سَماه عزلة من مخلاف الربيعة في عتمة في محافظة ذمار، وينسب إليها بيت السماوي. (المقحفي: المعجم، ص٣٣٠) .

(٧) السُّمَل: مخلاف من ناحية عُتمة محافظة ذمار. (الحجري: المجموع، ج٣، ٤٣٢) .

واستولوا على محلين من محلاتهم، وقتل من أصحاب المقدمي رجل من الحـداء وخمسة مـن عيال الأسدي، فلما كان ذلك أعلنت الرعية بالطاعة، وسياق الكفايات للجماعة، ووصلت إلى حضرة المقدمي مشايخ البلاد، وأذعن بالطاعة كل حاضر وباد، وظن المقدمي أنه قد بلغ المراد، ومازال يتنقل حول القلعة. وكان الإمام عليه السلام قد أمرهم عند وصولهم القلعـة أن يشحنوها بما يحتاج إليه من الزاد، ليكون لهم مأوى عند زفرات العجـم، وأعطـاهم مـن الدراهم ما يحصلون به تلك المحتاجات. فحين وصلوا هنالك تساهلوا عن تحـصيل ذلـك، وخلَت القلعة عن المحتاجات، فكان ذلك من عدم الثبـات. وأيـضا فـإن المقـدمي لم يحـزم البلاد بأخذ الرهاين، ممن وصل إليه من المشايخ، ولما اسقر المقدمي هنالك لم تزل تصل إليه الإمداد من حضرة الإمام عليه السلام، وتلقى بعض تلك الإمداد أهل العقبـة التـي ترقـى من الغول، ووقع بينهم حرب واستولوا على بيوتهم وأخـذوا جميـع مافيهـا، وقتلـوا مـنهم رجلاً، وهي على ثلاثة أميال من قلعة الحقيبة. ثم إن العجم لما بلغهـم مـا قـد ألم باسـتدعاء بعض المشايخ الذين استولى عليهم النّصب الراسخ، وكان محمد نصيف بمن معه في ذاهب قرية من المنار، ووصلت إليه نحو طابورين مدداً من ذمار، وقصدوا المقدمي المـذكور ومـن معه فوقع الحرب بينهم في محل تحت القلعة. وأما القلعة فمفرغة كما ذكرناها آنفاً مـن عـدم المحتاج، فوقع الحرب فيما بين العرب والعجم إلى أن أرخى الليل سدوله وأظلم. ووقـع في العجم قتول كثير، واختلطت العرب بالعجم في ذلك اليوم القمطرير، وبعد ذلك انهزمـت العرب وكروا راجعين، واستولت العجم على القلعة وماحولها ظاهرين.

وهذه القلعة قلعة عظيمة من معاقل اليمن المشهورة التـي كانـت الأئمـة بيـت القاسـم يرتبونها. وفيها برك كثيرة، وفيها أيضا بركة لاينفذ ماؤها، وحكى بعضهم أن ممـا يتعجـب منه أن البركة المذكورة إذا انزل السيل في حور وقع في البركة المذكورة لون ماء السيل، فهـذا ما كان من وقعة الحقيبة، وتلك الآراء التي هي غير مصيبة.

«ق٦٠أ» ثم دخلت سنة ١٣١٣[1]

وفي المحرم منها كانت وقعة راعد وصفتها أنها من أعظم العبر والشواهد، وراعد محل

---

(١) ١٣١٣هـ-يونيو١٨٩٥.

معروف في بني ضبيان، سكن فيه الحاج المجاهد صالح الحميدي.

وقعة راعد

وصفتها إن الإمام عليه السلام أمر السيد العلامة صفي الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين، حماه الله بالعزم إلى راعد لحث الناس على الجهاد، فوقع استقراره في راعد في بيت الحاج المجاهد صالح الحميدي، ومازال يكاتب قبائل خولان، الذين أجمع الأنس والجان، إنهم أقل هماً من النسوان، وهم يجيبون عليه بما لاطائل تحته مما يدل على الخذلان، وحامل راية الخسران، شيخهم عبد الله بن حسين الصوفي وكان مديراً في جهة خولان من طرف العجم، ومازال تحمله المبالغة في حفظ منصبه وماله حتى وقع في الندم. وحكى أن بعض أعدائه في هذه الوقعة، زَوَّر على لسانه مكتوباً إلى سيدي العلامة الصفي وحكى فيه بذل الطاعة، فأجاب عليه سيدي الصفي بما يفي فأخذه ذلك المزوَّر، وأدخله إلى عند فيضي، فطلبه فأنكر عن ذلك فقبل منه ذلك الإنكار، لما علم أنه قد خالط قلبه حب الظلمة الأشرار، ثم أن الشقي المذكور لما يرّح ساحته عن ذلك الزور، أراد التحبب إلى أحمد فيضي، وقال لايُحسم مادة هذه الفتنة إلا خروج عسكر إلى بلاد خولان، فساعده أحمد فيضي، وجهز راشد بيك، وصحبته أربعة عشر مائة من العساكر، وتوجهوا نحو خولان وطلبوا من الرهاين، فأجابتهم اليمانية العليا[1]، وسلموا ما طلبوا من المطالب، ثم توجهوا وادي مسور وأخذوا الرهاين ايضاً، وقبضوا منهم المطالب التي طلبوها، ثم مازالوا يتنقلون في بني سحام، وبني شداد، وبني جبر[2]، وقد أذعنوا لهم بالطاعة، وتحملوا العار إلى قيام الساعة. فلما تم للعجم المرام عزموا على قصد المقدمي إلى راعد، «وحسبوا أن كل بيضاء شحمه»[3] وكانت طريقهم على السهمان، ثم من عليل، وأهل المحل المذكور أهل ثروة ففر بعضهم، وبعض أخذته العجم ونهبوا أموالهم وقراشهم[4]، وكان ذلك جزاءً ماكسبت

---

(١) اليمانية العليا: عزلة في ناحية خولان، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١١٩).

(٢) بني سحام، وبني شداد وبني جبر: من قبائل خولان العالية. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٤١٦).

(٣) وحسبوا أن كل بيضاء شحمه: مثل، و يقال: ماكل بيضاء شحمة، ولاكل سوداء تمرة. (المنجد في فرائد الأدب: ص٩٧٥).

(٤) أموالهم وقراشهم: الأموال ما يملكون من أنواع الحبوب، والقُراش هي الحيوانات التي تعيش في منزل القروي منها الحيوانات الأليفة وخاصة ما يستفيد منها الفلاح في الزراعة وحمل الأثقال مثل البغال والحمار والحصان أو التي يستفيد من لحومها وألبانها مثل الخرفان والبقر والماعز.

أيديهم من الأعمال القبيحة فإنهم كانوا يتعاملون بالربا، فكان التسليط جزاء وفاقا. ثم أن العجم توجهوا من هنالك نحو راعد قاصدين صفي الإسلام ومن صحبه من المجاهدين الكرام، فكتب صفي الإسلام إلى من كان عاهده وعاقده على الجهاد، فاختلفوا عن الوفاء بالميعاد.

وكانت طريق العجم على الضيق المعروف بضيق بق، وهو ضيق صعب المخرج والمدخل ممتد من عليل إلى جبل راعد وحوله جبال مانعة، وكان دخولهم على حين غفلة من المجاهدين قبل أن يرتبوا موضع الخلل. فوقع بينهم حرب يسير في الضيق المذكور فوالوهم[1] حتى بلغوا في ذلك اليوم إلى أسفل الضيق فباتوا فيه ليلتهم ثم لم يَقِدُوا فيه ناراً بسبب أن المجاهدين كانوا كلما رأوا ناراً رموا إليها، ثم لم يزل الحرب بينهم إلى الصباح. وفي الصباح تقدمت العجم إلى العقبة في الجبل المذكور فواجههم من فيه وهم قليلون من بني ضبيان إلى آل سعيد الحميدي والشيخ علي بن مهدي شديق وأصحاب صفي الإسلام نحو العشرة لاغير. وكان عدة الجميع ثلاثين لاغير فقاتلوا قتالاً شديداً في العقبة المذكورة وانحازوا إلى جانب من الجبل وبلغت العجم إلى دار لآل سعيد الحميدي، فاقاموا فيه بقية اليوم والليل، وأحرقوا البيت في الصبح وعزموا على «ق٦٠ب» الرجوع لما رأوا أن الدار ليس بدار مقام. وكانوا قد تركوا رتبة قليلاً في محل عليل، وأما المجاهدون فإنهم رتبوا الطريق في الليل، وأخذوا على العجم مواضع الضيق فلما وصلوا إلى أسفل العقبة، كرّ عليهم الشيخ المجاهد صاحب المنقبة ناصر بن سعيد الحميدي، وقبض أكمةً بأسفل الضيق وصار يرمي منها إلى أسفل العقبة، وأصحابه الآخرون يرمون من جوانب العقبة، وطايفة من المجاهدين صاروا من وراء العجم، وأكثر تحفظ العجم من ورائهم، فتركوا رتبةً من ورائهم نحو ثمانين رجلاً ليحفظوا ورائهم فحين وصلوا إلى أسفل العقبة رماهم الشيخ سعيد، فهبّوا وتضعضعت صفوفهم ورماهم أصحابه الذي في وسط العقبة، فانهزم بعضهم هاربين نحو الأسفلين، وبعضهم رجع هارباً من حيث أتى. وكثر القتل في العجم، وكر بعض المجاهدين على الرتبة التي في الجبل من العجم، فساقوهم بين أيديهم هاربين، فَغُلِبُوا هنالك وانقلبوا صاغرين، وأنزل الله نصره على طايفة المجاهدين وأرادت العجم رمي

---

(١) هكذا وردت في المخطوطة (أ) وقد وردت في المخطوطة (ب) (فواهوهم) أي شاغلوهم وربما تكون هي الأصح.

المجاهدين بالمدفع فهجم عليهم المجاهدين حتى لم يقدروا على الرمي به، وأرادوا حمله على عواتقهم فرماهم المجاهدون، فطرحوه فضاقت عليهم الأرض، وأيقنوا بالهلكة. ثم أن رجالاً منهم صعدوا على أكمة مقابلة للأكمة التي فيها الشيخ الشهيد ناصر سعيد فرموهم بالبنادق، فاستشهد ببعض تلك البنادق الشيخ ناصر بن سعيد رحمه الله تعالى، فلقد أبلي في هذا اليوم الإبتلاء الشديد، ولما قتل فَرَّ من حوله. وحينئذ انفرج عن العجم بعض الهم، وأيضاً فإن علي طاهر السحامي سلب بندقين من بنادق العجم، فأراد بعض رجال بني ضبيان أن يأخذ أحدهما، واشتد بينهما الخصام، وكاد الناس أن يقتتلوا فيما بينهم، فلما وقع ماوقع وجد العجم فرصة للهرب، فأخذوا المدفع، وعزموا إلى رأس العقبة، وباتوا فيها بليلة نابغية. وفي الصباح باكرهم المجاهدون بالحرب، وارتحل العجم في بكرة ذلك اليوم، وارتقاء جماعة منهم الجبل ليسدوا الخلل. ولم يزل الحرب بين المجاهدين والعجم في ذلك الضيق وفي الجبال إلى آخر ذلك اليوم، وما رأت العجم غليلاً إلا وقد رأوا من الموت يوماً مهيلاً. ولقد أبلي المجاهدون مع قتلهم في الثلاثة الأيام بلاءً حسناً واستهاهلوا من الله سبحانه، ومن صالحي عباده جميل الثناء، حتى إنه نَفِدَ[1] عليهم الزاد والمونة، ولولا إنه نفد عليهم ذلك للحقوا العجم وساموهم سوء العذاب. وكانت العجم تُلْقِي ما على البغال من الأثقال للتخفيف والهرب بها، فتأخذ ما ألقوا المجاهدون، وربما كان زاداً ورزاً فيكون ذلك من اللطف الخفي واستشهد من المجاهدين في هذه الوقعة ستة أنفار، منهم الشيخ ناصر بن سعيد الحميدي، والشيخ علي بن علي طاهر السحامي، والشيخ راجح بن داحش الهجام، من عقال أرحب أصابه دآء الجوف فمات في حال القتال. وسبب ذلك أنها كثرت عليه حمل الرصاص مع شدة الحرب وقلة الزاد، فأثار عليه دآء الجوف فكان ذلك شهادة. وأما العجم فقُتل منهم خلق كثير، بعضهم حزت روسهم وبعضهم دُفن، وبعضهم في بطون الطيور والسباع والمجاريح أيضاً كثير.

حكى لي بعضهم أن قدر القتلى ثمانون والمجاريح أربعون، وأخذ المجاهدون عليهم سبع بنادق. ومن أغرب مايُذكر أن ابنةً لعلي بن سعيد الحميدي أخذت بندقين، وأن في هذه الوقعة عبرة للمتوسمين «ق٦١أ» فإن هؤلاء النفر القليل لما أخلصوا النيّة، وأصدقوا ما

---

(١) نَفِدَ: نَفَداً ونَفَاداً الشيء فرغ وانقطع وفنى (المنجد: ص٨٢٣)

عاهدوا الله عليه، ولم يكن مقصدهم أخذ شيء من الحُطام، أيدهم الله بهذا النصر المبين، الذي صار فيه مقابلة الواحد لا لما يُحصى من المائتين[1] ولقد أخبرني من حضر هذه الوقعة من المجاهدين إنه رأى من النصر والتثبت ما يعجز عنه الواصف، وجبل راعد هذا ليس بمنيع وإنما هو قفر كثير الأشجار ليس فيه عمارة إلا بيوت آل الحميدي، وقد كان أقطع ذلك الشيخ سعيد الحميدي، الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم[2] عليه السلام. وكانت تدعيه قبائل من الحداء فلم تطلب نفس الشيخ سعيد حتى احتاطوا بشراء ذلك ممن يدعيه.
ثم إن العجم بعد هذا الخطب الجليل أقاموا بعليل بعض أيام قليل تجلُداً وتصبراً غير جميل، ثم ارتحلوا عنها بعد ذلك إلى بلاد الأعروش[3]، وأظهروا إنما مرادهم بني جبر، وأبطنوا الشر للأعروش لأنهم فروا منهم عند الدخول، فلما استمكنوا منهم قلبوا لهم ظهر المَجَن، وساموهم سوء العذاب، حتى سلموا لهم جميع ما يطلبون ثم قصدوا بعد ذلك بني جبر، فأجتمعت الرجال وتأهبوا للقتال، مع أن محلهم حصين محفوف بالجبال. وكتبوا إلى سيف الإسلام، يستدعون وصولة للنصرة، وجمع الكلمة من الخاص والعام، وإنما فعلوا ذلك خوفاً أن تدهمهم العجم اللئام، وإلاَّ فليس لهم في الجهاد مرام، فلما بلغ العجم ذلك ارتحلوا

(١) وردت في الأصل هكذا (المايتين)

(٢) الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم: بن محسن ويتصل نسبه إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الهاشمي الحسني الويسي، نشأ في قرية ويس من بلاد كوكبان وهاجر إلى صنعاء والروضة وغيرها وتلقى علومه على يد جُل علماء عصره منهم عبدالكريم بن عبدالله أبو طالب الفاكهي، والقاضي أحمد بن عبدالرحمن المجاهد، وعبدالله بن علي الغالبي وغيرهم كثير حتى فاق وبرع في جميع العلوم منطوقها والمفهوم. وله مؤلفات منها: السفينة المنجية في الأدعية، وله جواب في كراسة في شأن صوم يوم الشك، وله الخُطب البليغة والرسائل الفصيحة والأشعار الفائقة، دعا لنفسه بالإمامة في صعدة سنة ١٢٦٤هـ. ثم انتقل إلى هجرة حوث وتنقل ما بين خمر وعمران ومسيب وبلاد حضور. وقام بمحاصرة صنعاء المرة الأولى وخرج منها وفي الثانية استقر بها إلى سنة ١٢٦٧هـ. ولكنه اضطر إلى الخروج من صنعاء بسبب فساد جنده وإعلانهم العصيان، فانتقل إلى هجرة دار أعلا في ناحية أرحب ومكث بها حتى وفاته في شعبان ١٢٦٩هـ ورثاه جامع سيرته العلامة محمد بن علي وحيش رحمه الله. (زبارة نيل الوطر، الجزء الأول ص ٢٣٥) .

(٣) بلاد الأعروش: عزلة في ناحية خولان محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٣٤)

عنهم إلى السهمان[1]، فحينئذ كتبت بنو جبر إلى صفي الإسلام يطلبون ترك الوصول، وأنه قد حصل لهم المرام.

وفي هذه المدة توجهت جماعة من العجم من ذمار إلى جهة الحداء ليكون شاغلاً للحداء عن معاونة من في راعد، ظناً منهم المعاونة في تلك المشاهد وإلاَّ فَلا تحقيق لذلك الظن الفاسد، وأن من صفاتهم في جميع المواطن التقاعد، وأظهر العجم أن مرامهم التحصيل[2] وهو المطلب الأهم الذي قام عليه، وأصح الدليل فسلطهم عليه رب العباد، فمازالوا يتنقلون في البلاد حتى رجعوا إلى زراجة[3] وقد قضوا تلك الحاجة.

وفي هذه المدة جهّز الإمام عليه السلام:

سيدي الفخري عبدالله بن قاسم ابن الإمام إلى بلاد رازح، لضبطها ودرء المفاسد، وجلب المصالح حين اضطربت أمورهم في مدة العامل السابق السيد العلاّمة إبراهيم بن قاسم الشرفي حماه الله، فلما وصل سيدي الفخري هنالك، وصحبته مائة[4] وسبعون رجلاً تلقاه المخالفون بالطاعة، وسلموا الرهاين وصلح الحال وكفى الله المؤمنين شر القتال.

وفي هذه المدة وقعت فتنة في الأهجر[5]:

تابع بلاد كوكبان، وسببها أن العجم وصلوا إليهم وهم نحو المائتين[6]، وطلبوا من الرعيَّة ما يوجب المخالفة والبين، فثارت الفتنة وقتلوا من العجم رجلين فانحازت العجم

---

(١) السهمان: من قبائل خولان العالية ومن بني سحام (صنعاء) وهناك أيضاً سهمان عزلة في ناحية حفاش المحويت. وقاع سهمان قاع واسع في ناحية بلاد البستان (بني مطر) محافظة صنعاء.(الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٣٧)

(٢) التحصيل: هو جمع الضرائب.

(٣) زراجة: عزلة في ناحية بلاد الحداء وهي مركز الناحية، محافظة ذمار.

(٤) ماة: وردت في الأصل هكذا.

(٥) الأهجر: قرية في ناحية شبام كوكبان وقد سبق تعريفها.

(٦) وردت في الأصل هكذا (الماتين)

إلى بعض البيوت، وخرج الشريف محمد الشويع من صنعاء بأمر المشير[1] لحسم مادة التنفيرفأصلح الأمر بحسن التدبير.

وفي هذه المدة ارتفعت الأسعار: وعظمت الشدة، وكان ابتداء سني الغلاء من سنة ١٣١١[2]، ومازال في كل سنة يزداد الأمر شدة.

وفي هذه المدة قطع بعض المجاهدين من رجال أرحب سلك[3] العجم وكان لذلك وقعاً عندهم.

وفي هذه المدة ارتحلت العجم من الأعروش إلى سهمان، وكان بينهم وبين القضاة هنالك ما كان، وذلك أن بعض عسكر العجم لقي مرأة منهم وعلى رأسها متاع، فأخذه منها نهباً فكمن لهم القضاة وقبضوا أحد الخيالة، وبعد وقع الصلح بين العجم والقضاة بأن العجم يرجعوا «ق٦١ب» متاع المرأة والقضاة يطلقون الخيال.

وفي هذه المدة بدى للعجم من الرأي يقصدون بني جبر من جهة صور ثم من بني شدّاد فأتوا البلاد من أعلاها وذلك بمشورة القاضي يحيى بن صالح الجبري وكان هو المتولي من طرف العجم على تلك البلاد. فكان طريق العجم على البياض[4] ثم منه إلى مصعب[5] ثم قصدوا بيت عبدالله بن أحمد فرحان، فنهبوا ما فيه ثم رحلوا عنه حتى بلغوا جبل الطرف[6] رأس صدر العبد ورموا من هنالك إلى بيت أحمد راشد سراج المسمى المسعف من بدبدة[7] وكانت بنو جبر قد طلبوا المقدمي ورهن الشيخ أحمد بن راشد وأبلغ الرهينة إلى حضرة

---

(١) المشير: المقصود الوالي أحمد فيضي باشا.

(٢) ١٣١١هـ ١٨٩٣م.

(٣) السلك: أي أسلاك البرق.

(٤) البياض: قريتان في خولان العالية شرق جنوب صنعاء وهما البياض الأعلى والبياض الأسفل. (المقحفي: المعجم، ص٩٤).

(٥) مصعب: قرية في ناحية الشاحذية في الطويلة، محافظة المحويت. (الحجري: المجموع، ج٤، ٧٠٩).

(٦) جبل الطرف: قرية وعزلة في ناحية خولان محافظة صنعاء. (التعداد: ص: ١٣٦)

(٧) بدبدة: ناحية واسعة في محافظة مأرب وتضم العديد من العزل والقرى. (التعداد: ص١٤، المقحفي: المعجم، ص٥٧٦).

الإمام عليه السلام. وفي اليوم الثاني عزمت طايفة من العجم تريد المشعف، وطائفة توقفت على روس الجبال، ووقعت بينهم وبين الجبريين المقاتلة إلى قريب الظهر، وبعد ذلك فر الجبريون ودخلت العجم المشعف فأقاموا به، وقتل من العرب أربعة ومن العجم مثلهم. وأما صفي الإسلام فإنه كان حينئذ في بيت النقيب راجح صبر. ثم إن العجم بعد أخذ المشعف أرسلوا النقيب عبدالله بن حسين الصوفي والسيد حسين بن يحيى الشامي فلما وصلوا إلى بني جبر، رماهم أهل البلاد وأصحاب المقدمي، ففر النقيب على فرسه وبقي السيد المذكور فاعتذر إليه بني جبر أن الرمي من بني أصحاب المقدمي لم يكن منهم، ووقع الخوض بينهم وبين السيد المذكور على أن يقع لهم دراهم من العجم، وأوعدهم إلى اليوم الثاني وفي اليوم الثاني عزم السيد على الاتفاق بهم فأتاه النذير أن مراهم قبضه فرجع من بعض الطريق، وابتدر الناس الحرب وهجمت العجم على العرب، فقتل حينئذ من أصحاب المقدمي صفي الإسلام ومن بني جبر ستة، ومن العجم مثلهم وفرّت العرب وصَالح من صبر العجم، وانتقل صفي الإسلام إلى بلاد عيال سعيد.

وفي هذه المدة رجعت العجم الذين كانوا في زراجة وأعماس الحدا. وفيها أيضاً قطع جماعة من أرحب سلك العجم، وكانت العجم لما قطعت العرب السلك سابقاً وهو من الخشب جعلوه من الحديد فقطعوا الحديد أيضاً، واوصلوه مع الخشب الحديد[1] إلى حضرة الإمام عليه السلام، فاستبشر بذلك وأجازهم بجايزة عظيمة.

وفي هذه أيضاً أمرت العجم جميع المأمورين من العرب بأن يلبسوا مثل لباسهم وهو السراويل والقلنسوة والزنة فساعدهم على ذلك أكثر المأمورين ومن هو على جمع الحطام ظنين، واستنكف من ذلك من بقيت فيه بعض شيمة من العرب فعزلوهم عن العمل.

وكتب الإمام عليه السلام إلى حاشد وبكيل في التحذير من هذا الفعل الوبيل والتزيين بزي الأعاجم الذين هم شر جيل، وصورة ما كتبه عليه السلام.

ألا يا لقومي من بكيل وحاشد ومنهم لدين الله خير معاضد

(١) الخشب الحديد: ربما يكون المقصود هو العمود.

قعدتم عن العليا وأنتم سنامها وأسلافكم كانوا رؤوس الأماجد

فمن يعتمد فيها على صيت جده يضرس بأنياب العدو المراصد

ومن كان بالأشواق شاك سلاحه فليس له يوم الوغا سهم زابدِ

فيا آل همدان بن زيد تيقضوا فذو العزة من يطوي بساط المراقد

وقد لبست لبس النصارى كباركم فأتت تجري في الدنا والمعاقد

«ق٦١أ»

وقد باعت الأتراك قبلة ديننا إلى عابد الأصنام شر المعابد

فماذا نراعي بعد هذا تفكروا وتوبوا إلى الرحمن توبة قاصد

فها نحن ندعوكم ونرعى حقوقكم فياصادقاً بشر بنصب الموايد

نعلمكم أنها قد طالت رقدة العرب، وقد صاحت في آذانهم موقظات النوب، وتكاثرت فيهم الغفلة ولعبت فيهم العجم وأعوانهم بالظلم والإهانة وارتكاب الآثام، فمن الموقظات تمليكهم النصارى مصر وبلادها وغيرها من بلاد الإسلام، ثم تقربهم إلى مكة المشرفة جوار بيت الله الحرام، ثم شروعهم بإدخال العرب في زمرة النظام وإلباسهم لباس النصارى اللئام، فكيف يلتذ العاقل بالشراب والطعام، أم كيف يهناه الرقاد والمنام، طالما أمرناهم ان يغسلوا درن الخطايا بماء الإنابة، ويجمعوا كلمتكم على الجهاد الذي هو عنوان الإصابة، ويغتنموا أعداءهم في مضمار الإدبار، فقد صاح بهم غراب البين مالكم من قرار، وأن الله أوجب علينا أن نحمي دينه القائم وندعوا الصادقين إلى العز الدائم، ولاتظنوا أن الأتراك يتركونكم على أنواع الانتقامات أو يدعونكم عن الظلم والإعانات إلا بصوارم هَّبارة، ونفوس في الجهاد صَّبارة، وضرب بصفايح الهندوان، وتوبةً صادقة من الآثام والأدران هنالك، والله يزول صَدَأ القلوب، وينكشف كرب كل مكروب.

قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَآمَنُوا إِنْ تَنصُرُواْ اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾**(١) والسلام.

---

(١) سورة محمد، آية رقم (٧) .

وفي هذه المـدة رتـب الإمـام عليـه الـسلام المقْدَمـة المعروفـة في حـصن شـهارة بعـد الاستخارة، وهي قصبة فوق باب النصر، وخروج أهل مدينة شهارة ودخـولهم غالبـاً مـن هناك، والسبب لهذا أنه كثر الظلم من سادة شهارة، حتى سفكوا دماء بعضهم بعـضاً، فلـما رتب الإمام هذه المقدمة ذهبت تلك المناكر المعَّظمة.

وفي هذه المدة أيضاً رجعت العجم التي خرجت إلى خولان إلى صـنعاء، وقـد ضـبطوا بلاد خولان بالرهاين ، وأخذوا منهم الأموال الجزيلة، فقبحهم الله من قبيلة، وقد هجـاهم صفي الإسلام بقصيدة لم تحضرني الآن، فإذا وُجِدَتْ أُلحِقَتْ. ولاشك ولاريـب أن رجـال خولان من أرذل نوع في الإنسان، لاكرم فيهم ولاشجاعة ولا حميَّة ولاقناعة، كـما قيـل زي البغال وأحلام العصافير، وهم في الصبر على الضيم أذل من الوتد والحمير.

وفي هذه السنة أراد شيخ أفلـح[1] الـدخول في الطاعـة والانخـراط في سـلك الجماعـة، وكتب إلى عامل الإمام في بلاد الشرف السيد العلامة الأبر أحمد بن مثنى عنتر[2] فوصـل إلى حصنه وصحبته عشرة رجال فأغار عليهم رجال أفلـح وحـصروهم في الحـصن، ومكثـوا يوماً وليلة، فوصل السيد العلامة يحيى بن علي النعمي غايراً عـلى الـسيد الـصفي. وسـعى بالصلح، فبعد ذلك انحسمت مادة الفساد، وأذعنت البلاد وبقى السيد الصفي في الحـصن المذكور حصن بن غوث وقبض الرهاين من البلاد.

وفي هذه السنة أيضاً خرج جماعة من العجم للتحصيل في بني الحارث، فاتفق أ ن واحـد من كبار العجم بات عند رعوي فرواد زوجته عن نفسها فصاحت المرأة فقام إليها الرجـل فطعنه حتى قتله ورمى به من طاقة «ق٦٢ب» في البيت وفر ذلك الرجل إلى حضرة الإمـام علية السلام.

---

(١) بلاد أفلح: ناحيتان واسعتان في محافظة حجـة، و همـا أفلـح الـيمن وأفلـح الـشام. (التعـداد: ص١٦٦،١٥٧، الحجري: المجموع، ج١، ص٨٦) .

(٢) أحمد بن مثنى عنتر: الحجوري، نشأ بوطنه مخلاف العود ناحية النادرة في قعطبة جنوب صنعاء، انتقـل إلى ذمـار ثم صنعاء وتلقى علومه على يد القاضي محمد بن أحمد العراسي والفقيه أحمد بن محمد السياغي والفقيه أحمد بن أحمد علي الطير، ودرس النحو والصرف على يد المولى لطف بن محمد شاكر الـصنعاني في جبـل الأهنـوم. كـان عالماً فاضلاً زاهداً شجاعاً، شارك في حروب الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين في أفلح وبـلاد الـشرف وحجور، وقد مات فجأة واتهم أنه سُمم وكان ذلك في سنة ١٣٢٠هـ. (زبارة: نزهة النظر، ص١٢٥)

وفيها أيضاً ارتحل الإمام عليه السلام إلى جبل الأهنوم لتدبير عمارة حصن هنالك وسماه السعدان، واستناب ابنه سيف الإسلام العلامة العماد في المقام بقفلة عذر، فلما وصل عليه السلام جبل الأهنوم حصل بذلك السرور الخصوص والعموم، وأفاض جميع الخيران لاسيما على طلبة العلم الشريف، فإنهم بهم رحيم رؤف حتى كثرت الطلبة في جمبع الهجر فجزأه الله الجزأ الأوفر.

وفي شهر الحجة من هذه السنة وردت أبيات من السيد جعفر الحلي من درنجف وهي:

انشر لواءك مؤيداً منصوراً ... حيّا الإله لواءك المنشورا

واقصد بخيلك يمنةً أو يسرةً ... الله جارك لاتخف محذورا

ياابن النبي محمد وسميّه ... طابت حجورك أولاً وأخيرا

ماذا انتظارك بالأولى جحدوا الأولى ... فمتى تصيرهم هباءً مشورا

التابعين لذاك الرجس الذي ... مات النبي بدائه مقهورا

عدلوا عن النهج القويم وغادروا ... قرآن جدك خلفهم مهجورا

أعطاك ربك بسطة في دينه ... فانهض وطهِّر دينه تطهيرا

أوليس سيفك ذي الفقار به ضماً ... لايستقي إلا الدم المهدورا

وصدور سمرك جوعاً لاتبتغي ... إلا كلاًّ ومناحراً وصدورا

ياوارث العلياء من آبائه ... قد بات ذكرك عندنا مشورا

وصل العراق كتابكم فتهللت ... فرحاً وأصبح من بها مسرورا

فكأنها قبل الكتاب ونشره ... كانت ظلاماً فاستحالت نورا

كم سيد لك بالعراق بودّه ... يلقاك لو كان اللقاء مقدورا

ويراك في طيف الخيال محبةً ... والطيف ليس بصادق تعبيرا

لو لم تقم بطريق مكةً حارساً ... ماحج شخص بيته المعمورا

لسنا نخاف على الشريعة عادياً ... وضياءك قد ضربت عليها سورا

وعمرت دين الله بالسيف الذي ... إن سُل خرّت للاعادي دورا

ما قابلتك قبيلة إلاّ اشتهت ... عُرج الضباع لها يكون قبورا

شــاء الإلــه بــأن تعــيش معمــراً ... لمـــا أراد لخلقـــه تعمــــيرا

ملكـــاً كبــــيراً عالمـــاً نحريـــرا ... أســـداً هـــصوراً ســيداً منـــصورا

مــاذا أقــول لكــم وصــادق مــدحكم ... قــد جــاء قــي قرآننــا مــسطورا

الله أذهــب عــنكم الــرجس الــذي ... يخــشى وطهــر بيــتكم تطهــيرا

مازلــت تعطــي الوافــدين ولم تكــن ... تبغـــى جـــزاءً مـــنهم وشـــكورا

ويطالبونــــك بــــالثراء كـــأنهم ... قــد أودعــوا أكنــزاً لهــم مــدخورا

«ق٦٣أ»

لـو أنـت تعطـي الأرض مـع مـن فوقهـا ... مــن عظــم قــدرك لم يكــن تبــذيرا

أعنــه فــديتك الــنفس شــاعرك الــذي ... لم يبــق قــط لــه الزمــان شــعورا

لـــو أدركتنـــي مـــن حياتـــك نخـــوة ... مـــا بـــت في قيـــد الهمـــوم أســـيرا

ثـــم الـــصلاة عـــلى النبـــي وآلـــه ... أهــــل الفــــضائل أولاً وأخــــيرا[1]

وقد أجيب على هذه الأبيات بجوابات أجلها مقاله: سيف الإسلام يحيى بن أمير المؤمنين عافاه الله وهي:

لاحــت لنــا بُــرقٌ فأهــدت نــورا ... مــن ثغــر مــن جعــل المقــال بحــورا

أربـــا عـــلى الفـــصحاء حتـــى أنّـــه ... جعـــل الكـــلام ســـوالفاً ونحـــورا

وأخــــدَّةً ونـــــواظراً ومباســــماً ... ومعاصــــماً وترائبـــاً[2] وصـــدورا

يانخبـــة الـــسادات يابـــاكورة الــــ ... ـــسبطين يـــا ســـبَّاق يـــا نحريـــرا

يـــامن قَرُبْـــتَ بـــشعرك الـــديجورا ... وفعلـــت شـــعراً طيَّـــه مـــستورا

صـــــيَّرته كـــــالجيش ألاَّ أن ذا ... طلعـــت طلايعـــه فـــصارت ســـورا

وأتـــى نظامـــك طيبـــاً مـــن طيـــب ... مـــن عنـــصر جمـــع الهـــدى والنـــورا

مـــن ســـادة غـــرٍ لهـــم في الله صـــو ... لات تزيــــد الظــــالمين قــــصورا

بـــاعوا مـــن الـــرحمن أنفـــسهم بـــأن ... يـــرضى لهـــم خلـــد الجنـــان قـــصورا

---

(١) وردت هذه القصيدة في كتاب: زبارة: أئمة اليمن، ص٣٥٨.

(٢) الترائب: موضع القلادة من الصدر. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٣١٥) .

فتواثبوا القتال أهل الظلم كم ... من ظالم لا يعرف التكبيرا
صرعوه صرعة أسد غابات الشرا ... وسقوه كأس منيته مشهورا
وتغربوا وتشردوا وتفرقوا ... وتخوفوا ظلم العِدا المحذورا
قتلتهم الأعداء قتلاً فاحشاً ... متشبتاً حقداً مستورا
هذا بكرب قطروه وأخرو ... بالجوزجَان[1] معفراً مهجورا
وبأرض باحمرى وفخ والمدينة ... سادات كانوا هناك بدورا
والزبت شبل فيه أضحى سائلاً ... دَمُه وأضحى شأنه مشعورا
ولكم لهم من مصرع متنكرٍ ... ظلماً أعاد سناد[2] كاد بحورا
وتراهم لايتركون قيامهم ... لمهيمن لا يطلبون نقيرا[3]
لم يثنهم حب الديار وأنهم ... في أهلهم متهللين سرورا
فَلَنَا بهم أسوات صدق أسُها ... بقلوبنا أضحى بها معمورا
كيف القعود ومعشر الأتراك قد ... عموا البلاد مناكراً وفجورا
شرعوا من الإسلام ما لا يرتضى ... رب السماء به وقالوا زورا
وتجنبوا سُبل الهدى تعمُداً ... وأتوا إلى داعي الضلال كفورا
ركبوا الذكور كقوم لوط لاسقوا ... والخمر أضحى عندهم مشهورا
ظلموا عباد الله ظلماً بيناً ... والعدل أمسى بينهم مهجورا
هدموا ربوع العلم حتى لن ترى ... للدرس يوماً دفتراً منشورا
ولقد أقمنا هجرةً عدليَّةً ... في ظل هجرتنا فكانت نورا
وبها شيوخ العلم كم من عالم ... كالطود أضحى رايةً مشهورا

---

(١) الجوزجان: الاسم التاريخي لأقليم جغرافي يقع ما بين نهر جيحون ونهر مرغاب، ويدخل أكثره اليوم في حدود جمهورية تركمستان السوفيتية، افتتحه المسلمون عام ٣٣هـ/ ٦٥٣م على يد الأحنف بن قيس. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي ج١، ص٦٥٧) .

(٢) سناد: وأسناد جمع سند، ما ارتفع من الأرض في قُبل الجبل أو الوادي، وسناد ناقة طويلة القوائم شديدة. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٢١٥) .

(٣) نقيرا: نقر الخيل بحوافرها، احتفرت بها. (المنجد: ص٨٣٠) .

ياحبّــذا بــشرى دفــاتر ســادةٍ	أضــحى بلتجــا بعــضهم مقبــورا
ويآمــل والجيــل بعــض مــنهم	لآزال تــرب وماســهم ممطــورا

«ق٦٣أ»

وبــصعدة يُحــي الــذي أحبابــه	الــرحمن دينــاً قــيماً منــصورا
والله أســأل أن يعجــل نــصره	حتــى يكــون عــدوه مقهــورا
ويكــون ديــن الله حــتماً لازمــاً	عنــد الإمــام مجــدداً موفــورا
ويعــود مــا هجرتــه أيــدي الــترك في	ســلطانها متعارفــاً مــشهورا
لا أرقــد الــرحمن عينــي إن رضــيت	مــا ارتــضوه ولا انتــصبته صــبورا
أيلــذ نــوم المــرء والــرحمن يعــصي	أم يطيــب لــه الطعــام ســحورا
فلــئن بقيــت لأهــد مــن ديــارهم	ولأضربــن جماجمــاً وظهــورا
ولأســقينهم نقيعــاً أحمــراً	ولأطعمــنهم قنــاً وذكــورا
ولأيــتمن بنــيهم ولأثكلــن	نــساؤهم ولأرضــين شــبيرا
فتوســلوا أهــل الغــرى بحيــدرة	عنــد الإلــه وشــمروا تــشميرا

وقعة ساك[1] ودخلت سنة ١٣١٤[2]

وفيها وقعة ساك في شهر صفر وصفتها، أن العجم تجهزت من ولاية مدينة صنعاء، وأظهروا أنهم يقصدون بلاد أرحب، وأسرَّوا في أنفسهم إنه لابد يقصدون بلاد همدان وبلاد حاشد إذ ساعدهم الزمان، وكان قدرهم ستة طوابير ورئيسهم راشد بك، وبعد خروجهم من مدينة صنعاء، طرحواني بلاد بني الحارث، وعزم طابور عومرة[3] من بلاد أرحب، وفي بعض الليالي طلبوا عُقال همدان وحبسوهم وأظهروا أن حبسهم بسبب عدم التحصيل، والمقصود أمراً آخر كما ستقف عليه. وبعد حبسهم عزمت العجم وعقال همدان

(١) ساك: قرية في خارف من حاشد ومساك وهي قرية في عزلة خميس أبو ذيبة، ناحية خارف، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٢٤٤) .

(٢) ١٣١٤هـ ١٨٩٦م.

(٣) عومرة: قرية في عزلة الثلث، ناحية أرحب، محافظة صنعاء (التعداد: ص١٦٠) .

صحبتهم ليلاً، ومرامهم الأعظم الغدر بالشيخ يحيى بن يحيى دودة. ولمَّا وصلوا إلى بعض الطريق أظهروا الكامن للعقال وأن مرادهم يدلونهم على الطريق، وظهر لهم أن ذلك هو السبب لحبسهم لئلا ينذروا الشيخ يحيى بن يحيى دودة. فلما ظهر لهم أبوا أن يدلوهم فأخذوا رجلين من حراس الزرع، فدلوهم على الطريق إلى بيت الشيح يحيى بن يحيى دودة، فوصلوا هنالك عند انتشار الضوء. وكان أول من وصل الخيّالة وهم نحو سبعين، وكان الشيخ يحيى بن يحيى دودة، كما وصف لنا من لسانه، وقد صلى الفجر ونام فصاح إنسان من حول بيته يافلان الترك فيكم، ولم يصرح بأسمه خوفاً عليه، ودخلت يهودية وصاحت من باب مكانه الترك فيك ياشيخ يحيى، فأنتبه مرعوباً، فقالت له زوجته لاتصدق الملعونة فرجع في نومه، وكثر الصياح، ورجعت اليهودية وهي تقول أخرج يامحرام الترك الترك، فقام ولبس بندقية وطلع السطح فوجد الخيالة حول البيت فأراد أن يرمي أثنين منهم متعارضين فوقع في قلبه ما صَدَّه عن ذلك، وراى حول البيت مقبوضاً إلا الجهة الشرقية وهي جهة الباب فوجدها خالية، فعزم على الخروج من الجهة المذكورة متوكلاً على الله، فخرج منها ورأى النظام وهم مقبلين إليه، فمشى بالسكينة ليوهم العجم أنه من ضَبطْتِهم، «ق٦٤أ» حتى نزل من عقبة صغيرة فأوضع في السير ولقي خالة ورجلاً آخر فترافقا، فكانوا كلما قرب منهم النظام مشوا بالسكينة، وكلما غابوا عن أبصارهم جدوا في السير حتى نجاهم الله من القوم الظالمين فلم يقدروا عليه، وخيّب الله أملهم هذا ما سمعته من لسان الشيخ يحيى، وصار يقول أن من كرامات الإمام عليه السلام ولأنه هتف به حينئذ.

ثم أن العجم مكثوا في بلاد همدان مدة، وبعد عزموا عيال سريح وعزموا من هنالك إلى قرية ناعط[1] من بلاد حاشد، وكان فيه ذخائر مودعة لأرحب فأخذوها أجمع أكتع[2] ورجعوا بلاد أرحب فساموهم سوء العذاب، وهرب بعض أهل البلاد وصاروا يغزون

---

(١) ناعط: قرية في عزلة القديمي، ناحية خارف، محافظة صنعاء، وهي حي من همدان، وبها الكثير من الآثار والنقوش وأطلال القصور الحميرية وبها قصر ناعط وهو من أفضل قصور اليمن بعد غمدان وفيها قصر (يَعْرُق) . (الحجري: المجموع، ج٢/ ض٢١٨، المقحفي، المعجم، ص ٦٩١، التعداد: ص ٢٤١) .

(٢) أجمع أكتع: أكتع كأجمع ليس بردف وهو نادر، والأكتوع مؤنث كتعاء، من انقبضت أصابعه، ورجعت إلى كفه وهي مرادف لأجمع ولايستعمل إلا معها مثل "رأيتم أجمعين أكتعين"، (مثل) (ابن منظور: لسان العرب المحيط، ج٣، ص٢١٩، المنجد في اللغة: ص٦٧٢)

العجم ليلاً، ويحرقون بعض البيوت التي فيهـا العجـم بالبـارود. وبعـد مـدة بـدأ العجـم الرجوع إلى ذيبان[1] ومكثوا هنالك برهة من الزمان وبعد عزموا عـلى الـدخول نحـو بـلاد حاشد ظناً منهم أن الدهر بذلك مساعد، فلما وصلوا إلى ساك قرية من قرى خارف، كتـب الإمام عليه السلام إلى جميع بلاد حاشد وأرسل إليهم بالمقدمي سـيف الإسـلام محمـد بـن الهادي شرف الدين عليه السلام فاجتمعت رؤساء حاشد جميعاً، وتلاحقـت الغـارات مـن جميع القرى حتى بلغوا نحو أربعـة آلاف، ووقـع فـيما بيـنهم ثلاثـة أيـام الـسبت والأحـد والاثنين. وكان وقوعه يوم السبت في ساك ويوم الأحـد في ابـن حاجـب ويـوم الاثنـين في نقيل شيبرة، وبلغت القتول من العجم نحو الأربع المائة وخمـسين مُكَـوَّنْ، واستـشهد مـن العرب ستة أنفار لاغير. ثم إن الله سبحانه بعد وقوع هذه الملحمة أنـزل الرعـب في قلـوب والعجم والعرب. فأما العرب فإنهم تفرقوا بعد الثلاثة الأيام شذرو مـذور[2] وكـل إنـسان عزم بيته حتى لم يبق عند المقدمي إلا نفر يسير، وأما العجم فإنهم لما رأوا مادهم من القتـل، مع ما أنضم إلى ذلك من الرعب الرباني، ظنوا أن العرب لابد أن يتبعوهم، فشدوا في الليـل من حيلهم لايلوون على شيء وولوا على أدبارهم متوجهين إلى مركزولايتهم مدينة صنعاء، وقد ضاقت بهم الأرض ذرعاً، ثم أنهم بعد ذلك أرسـل الله علـيهم الطـاعون وكـان هـذا النصر المبين يُعّد من آثار بركة أمير المؤمنين.

وفي هذه السنة أو التي قبلها توفى النقيب الأجل ناجي بن عبدالوهاب الشايف، وكان مرابطاً في الحضرة الشريفة ملازماً لمقام الإمام عليـه الـسلام، فلـما تحركـت رجـال أرحـب للجهاد استأذن من الإمام للخروج معهم هو ومن انضاف إليه من أصحابه، فلما وصـل إلى الحلحل[3] من أعمال بني علي مرض هنالك وانتقل إلى رحمة الله ورثاه الإمـام عليـه الـسلام بأبيات وهي:

---

(١) ذيبان: من قبائل أرحب. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٥١) .

(٢) شذور مذور: شذر مذر وبذر أي تفرقوا وذهبوا في كل وجه. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٢٨٦) .

(٣) الحلحل: قرية في حاشد من تسيع بني قيس. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٨٠) .

من جلجل عسعس[1] الديجور[2] بالظلم وانهد ركن العلا والمجد والكرم

بموت من رفض الدنيا وزينتها ولم يخف سَطَوات القوت والعدَمَ

من كان في علمي الأنساب والفلك الدّوار فرداً وعِلم السيف والقلم

من كان قطباً لأهل البيت دابره رحا التشيع عنه ثابت القَدَم

سيف الملاحم سّباق المكارم في مضارها ليس في العليا بمنهزم

فلتبكه الخيل في الفيحاء سابحة ولتبكه غُرمات السُمر والخذم[3]

«ق٦٤ب» وتبكه من آل قحطان مُنْتَسِبا ومن تناسل من عادٍ ومن هرم

وقعة جبل اللوز:

وفي شهر رجب من هذه السنة كانت وقعة، وصفتها أن المشايخ بني الحسيني والشيح أحمد مساعد، عزموا للهجرة إلى حضرة الإمام عليه السلام، فلما وصلوا الحضرة بعد مشاق وقعت لهم في الطريق، وطلبوا من حضرة الإمام تجهيزهم للجهاد، فجهزهم وهم نحو أثنى عشر رجلاً ومن السادة آل الوزير وآل عثمان نحو العشرة ومقدميهم السيد العلامة الصفي أحمد بن الوزير، فعزموا من حضرة الإمام قاصدين بلاد خولان حسب أمر الإمام لمضايقة العدو من هنالك، فلما وصلوا إلى وادي القرامش في بني جبر، عرّف إليهم مشايخ بني جبر، وبني سحام، وجبل اللوز، والنيني، أن يبادروا بالجهاد وهم فاتحون البلاد وراهنون، وأن العجم في شاحك[4] فساعدهم المقدمي وعزم إلى العرقة وإلى درب عسكر وما يليه من القرى.

واجتمع الواصلون من حضرة الإمام ومن انضاف إليهم من أهل البلاد، وأمرهم المقدمي بأن يغزوا على العجم بليلتهم التي وصلوا فيها، وكان التدبير على أن الغزاة مائة نفر

(١) عسعس: عسعس الليل أظلم ومضى، وعسعس السحاب دنا من الأرض. (المنجد في اللغة: ص٥٠٤).

(٢) الديجور: ج دياجير وهي الظلام ويقال النور والديجور. (المنجد في اللغة: ص٢٠٧)

(٣) الخذم: المخدم من السيوف القاطعة. (المنجد: ص١٧١).

(٤) شاحك والعرقة ودرب عسكر: قرى في عزلة جبل اللوز، ناحية خولان، محافظة صنعاء. وشاحك سد حميري مشهور في خولان. (التعداد: ص١٣٤، الحجري: المجموع، ج٢، ص ٣١٧).

والآخرين مدد إلى أين ما وقع الحرب، وكانوا قدر الستمائة. فلما وصلوا الغزاة وهم المشايخ بنو الحسيني ومن انضاف إليهم إلى درب عسكر تخلف عن المشايخ بني الحسيني جميع المعينين معهم. ولم يعزم للغزو وغير بني الحسيني نحو أثني عشر، وقصدوا العجم إلى حيد سعران، وأحربوا العجم من هنالك إلى شاحك فخرجت عليهم العجم هجوم، فوقع الحرب العظيم من الأسفار[1] إلى نصف النهار. وأحاطت العجم بالمجاهدين من كل جهة وكان العجم نحو ألف مقاتل بمدافعهم فثبت الله المجاهدين، وفعلوا في العجم مقتلة عظيمة نحو الأربع مائة وقدر ستين مكان، واستشهد من المجاهدين الشيخ محمد بن عائض الحسيني رئيسهم. وبعد أن استشهدوا أحاطت العجم بالمجاهدين، ولم يبق لهم مفر غير أن الطريق من كل جهة قد أحاط بها العجم، فلما رأى المجاهدون ذلك لم يسعهم إلاَّ جردوا نصالهم[2] وخرجوا من بينهم واختلطوا، ووقعت مقتلة من اليد، واستشهد محمد خليل الحسيني، ورجلين من بني عزيز من الدرب وتكوّن[3] حسين بن علي الراحمي، وتكوَّن محمد السخي، وتكوَّن ابن النيني، ثم تكون الشيخ عبدالله الحسيني ضربتين بالسيف في رأسه وطعنة في رقبته بزعرة[4] وثلاث رصاص حتى انطرح بينهم وأخذوا سلاحه، وأيس منه خُبْرَته[5] وعزموا من لديه وظنوا أنه قتيل وأغمى عليه، وبعد قام من بين العجم وقد أرادوا يقطعوا رأسه وفرّ من بينهم ووصف لنا أنه لم يشعر إلا وهو بين خبرته، ولم يدر كيف وقع خروجه وهذه عبرة عظيمة. وبعد ذلك عزم من بقى من المجاهدين إلى حضرة المقدمي في الدرب، ولوّموا[6] عليهم من عدم الغارة الموعود بها. وبقي العجم مكانهم في شاحك وبعد مدة ثمانية أيام إلى يوم الجمعة وقَدِمت العجم إلى العرقة، وكان المجاهدون في قرى أخرى.

---

(١) الأسفار: سَفَر الصبح وأَسْفَرَ أضاء أي أضاء قبل الطلوع (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١٥٥)

(٢) جردوا نصالهم: جَرَّد السيف من غمده أي سله، النَّصْلُ، نصل السهم ونصل السيف والرمح. والمعنى أخرجوا نصالهم من غمدها، والنصل في اليمن هي الجنبية. (ابن منظور: لسان العرب، ج١،٢، ص٤٣٢، ص٦٥١) .

(٣) تكوَّن: أي جُرح (عامية) .

(٤) زعرة، الزعرة آلة حادة أصغر من السيف.

(٥) وأيس منه خبرته: أيس أي يأس عامية، وخبرته: أي أصحابه ورفقائه عامية.

(٦) ولوّموا عليهم: أي لاموهم من اللوم والملامة.

وكان في العرقة المقدمي والسادة آل الوزير وبني الحسيني ومن انضم إليهم فصبحهم العجم من الفجر[1] وكانت العجم قد أرسلوا إلى كل قرية من القرى «ق٦٥أ» التي فيها القوم يشغلوهم عن الغارة، وقصد العجم المقدمي ومن معه في العرقة ووقع حرب عظيم، وهجموا على المجاهدين من كل جانب، وكان قدرهم نحو الخمسين، واستشهد السيد علي بن أحمد مفضل رحمه الله وجماعة من بني سحام، ومازال المجاهدون مترددين في بلاد خولان، ولم يفتح لهم خولان البلاد وبعد ذلك رجعت العجم صنعاء.

وقعة بني جل:

يوم الربوع خامس شهر رمضان سنة ١٣١٥هـ[2]، وهي الوقعة العظمى الأسمى، وصفتها أن الشيخ يحيى بن ناصر الزيحي من بني جل، وفَدَ إلى حضرة الإمام قبل وقوع الوقعة بأيام نحو العام، فحرضه الإمام على الجهاد وأنه الشرف على الدنيا، والعمل الصالح النافع في المعاد، فأذعن لذلك وعاهد الله على إحداث عمل من أعمال الجهاد وعند وصول العجم للتحصيل فلما كان شهر رمضان خرج العجم مع طاغيتهم بهاء الدين للتحصيل ومعه خمسمائة، فلما وصل أنعموا له بالتحصيل ففرق عليهم خمسة وثلاثين مائة[3] ريال. فمازال يتحصل ماذكر هو والشيخ حتى قبض منهم المفروق، والشيخ يحيى بن ناصر يدير فكره ويدبر الحيلة في تحصيل ما قدَّمه من العهد، واستمال رجالاً سراً، وعاقد رجال أفلح فكانت سبب ثوران الحرب، أن رجلاً من بني جل وهو محمد بن محسن الصليحي، أخذت العجم جميع ما يملكه من الحب فأتى إلى الشيخ يحيى بن ناصر الزيحي، واستغاث به واستجار وآل على نفسه أن العجم إذا لم يرجعوا حَبَّةُ فلابد يقتل فيهم، فحينئذ لاحت الفرصة للشيخ يحيى وأشار إليه أن افعل ما بدى لك ومقصوده أنه مَفْتَح الحرب، ففتح الحرب محمد بن حسين وثارت العامة فقتلوا من العجم أربعاً، فانهزمت العجم وانحازوا

---

(١) الفجر: وردت في الأصل (فجر) وقد تم إضافة (أل) ليستقيم المعنى.

(٢) ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م

(٣) وردت في الأصول (ماة) .

إلى بيت ابن عباس وبيت القرو الوسط[1] ورُمي بهاء الدين فَجُرِحَ وأحاطت بهم بنو جل من كل جانب، وأمدتهم رجال أفلح بموجب التدبير الثاقب فلما رأت العجم ما قد دهم طلبوا الأمان على أن يخرجوا من تلك المحلات ويصحبهم الشيخ المذكور، فلم يسعدهم المجاهدون فخرجوا والشيخ يحيى صحبتهم وقد أُبْطِنَ لهم الشر. فلما توسطوا في البلاد، تخطفتهم أهل الجهاد بالسيوف الحداد، فصاروا صرعى في كل واد، وأُسِر من أُسر منهم وألقوا ما بأيديهم من السلاح. وأخذ المجاهدون آلات المدفع فألقوه على بغلة وقدموهم قبلهم، وكانوا نحو أربعين ولحقوه على الأثر فلحقهم المجاهدون وكادوا يأخذونه فصاح بهم الشقي الهيج، فمضوا به سريعاً فنجى وكانت البنادق المسلوبة خمسمائة بندق وجملة القتول ثلاثة مائة من العجم، ومائة من العرب، ثم إن بهاء الدين طلب أماناً له ولمن صحبه وهم نحو خمسة وعشرين، فأمنوهم فأدخلهم بعض المجاهدين في دير[2] خوفاً من حضر، فجاءت إمراءة في يدها حجر حتى إذا قاربت المجاهدين قالت: تريدون أن تؤمنوا الذي أخذ بقرتي ورمت بالحجر فوقعت على رأس بهاء الدين فسقط، وبعد ذلك أخرجوهم إلى مأمنهم.

ثم لما أستولت العرب على البنادق والبغال وجميع الأثقال وقعت الفتنة فيما بينهم في تقسيمه، فوقع بينهم الحرب والمخاصمة وقَتَلَ العجم الشيخ يحيى بن ناصر الرنجي في بيته، وأوصل «ق٦٥ب» إلى حضرة الإمام عليه السلام آلة المدفع وهي المجرا والعجلات، وصار خبر هذه الوقعة في جميع الجهات ودخل على العجم من ذلك أشد الغم، ولما نما الخبر إلى عدو الله أحمد فيضي علم أن العداوة كامنة فيما بين العرب والعجم يخفيها ويبديها القوة، فإذا أقوى أحدهما على الآخر وثب. ثم إن عدو الله رأى من الرأي الدبار[3] أن الأولى المسارعة الأخذ بالثأر قبل أن يقوى العرب. وكتب إلى بني جل ما تضمن أن الفتنة الواقعة نزعة شيطانية وأنه قدعفت الدولة عن القتول، وأما السلاح فلابد من إرجاعه فليحتفظوا

---

(١) القرو والوسط: قريتان في عزلة بني جل ناحية قفل شمر، محافظة حجة، (التعداد: ص١٤٠) .

(٢) دير: هكذا وردت، وربما تكون "دار"

(٣) الدبار: ربما يقصد التدبير.

به وإلاَّ نالهم العقاب الشديد والأمر المهول.

وكان الإمام عليه السلام بعد هذه الوقعة أرسل سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي مقدمياً على بني جل، فلما وصل إلى حجور الشام، كان بلغه كلام، فعاد إلى المدان، بموجب رفع الإمام. ثم إن أحمد فيضى وجه حمدي بيه من حجة يريد قفل شمر ومعه عساكر من العجم، فلما وصل قفل شمر مازال يتردد إلى بني مديخة والشاهل(1) وصار يلوم بهاء الدين على ما وقع في بني جل وأنه لابد أن يأخذ بالثأر، فأجابه بهاء الدين بما تضمنه إنك لاتقدر على أولئك الصابرين.

وفي شهر شوال من نفس السنة المذكورة أرسل الإمام عليه السلام السيد الحسام محسن بن حسن العوامي وصحبته جماعة من حاشد إلى حبور وأمرهم بالمرابطة هنالك لأنها ثغر من الثغور.

وفي هذه المدة جهز أحمد فيض راشد بيك بمن معه وأمره أن يلوى إلى تهامة ويجمع من هنالك من وجد من العساكر مضافاً بمن معه ثم يقصد بني جل والشرفين، فتوجه حسب أمره وكتب إلى من بعسير(2) من العساكر فلما تم له الأمر توجه بمن معه نحو قفل شمر، فلما بلغ بني جل وأهل الشرفين مارامه الأعاجم، كتبوا إلى حضرة الإمام عليه السلام بأن ينفذ إليهم المقدمي، فأرسل إليهم سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي وصحبته نفرٌ يسير، ومقصوده عليه السلام، بذلك جمع كلمة أهل الشرف، فلما وصل إليهم سيف الإسلام ورحب به المقام، صار يتردد في تلك البقاع، ويأمر الناس الصبر والاجتماع وأما عساكر العجم فإنها تكاثرت حتى ملأت المراكز.

وفي هذه المدة ارتفعت الأسعار، وعظم الاضطرار حتى وصل في جهات القبلة ستة أنفار بريال وفي الجهات اليمانية أثنى عشر نفر بريال، وارتحل الناس من بلاد إلى بلاد لطلب

---

(١) الشاهل: ناحية من نواحي محافظة حجة (التعداد: ص١١٧)

(٢) عسير: منطقة واسعة شمال صعدة وهي كثيرة الجبال والوهاد والأودية، وبها الكثير من المدن المشهورة، مدينة أبها عاصمة الناحية، وتسمى أرض السراة. وتعتبر من الأراضي اليمنية حتى سنة ١٩٣٠م.

الزاد، سوط الله ضرب به العباد، حين كثرت المعاصي والفساد ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عن كَثِيرٍ﴾[1].

ولقد شاهدنا في هذه السنة عجب العجاب ما يخرج عن الحصر ويقل فيه الأطناب ولو تعرضنا لخرجنا عن المقصود.

وفي هذه المدة كثر الهرج في اليمن الأسفل بين مشايخها والعناة الطغاة، فكانت فتنة فيما بين الشيخ علي بن عبدالله بن سعيد بن أحمد بن سعيد أكبر شيخ في اليمن، وبين الشيخ عبدالوارث بن ياسين شيخ الضريبات وشرعب[2] قُتل في هذه المدة خلق كثير وسُفكَ فيها دم غزير كل ذلك في طلب التكاثر من المشايخ، وفتنة أيضاً فيما بين الشيخ علي بن عبد الله والشيخ عبد الواحد بن قاسم، وفتنة أيضاً فيما بين مشايخ حبيش وبني الشيبي والحراس، وفتنة «ق٦٦أ» أيضاً بين الشيخ منصور نصر شيخ العنسين[3] بلاد ذي السفال، وبين أبي رأس، كل هذه الفتن سفكت فيها الدماء ونهبت الأموال بلا موجب إلا طلب التكاثر في الدنيا التي هي كطيف الخيال، فماظفروا من ذلك المرام بطائل بل صاروا كما قال القائل:

وما من يد إلاّ يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بأظلم

ولا بد أن يكافيهم بما فعلوه الملك الديان، وكيفما[4] تدين تدان.

ثم آل أمرهم بعد اللتيا والتي أن طُلِبُوا من طرف أحمد فيضي، فوصلوا إليه أجمع أكتع، ولم يكن لهم مرام منهم غير أخذ الرشا فتلقاهم إلى قريب حزيز[5] بأهبةٍ عظيمةٍ، كان لها قد أحرز، وبعد أن قضى وطره منهم، أصلح بينهم على دحن[6] ورجعوا أسفً[7] إلى اليمن.

---

(١) سورة الشورى آية رقم (٣٠).

(٢) شَرْعَبْ: ناحية واسعة من نواحي تعز مركزها الرونة. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٥٠، التعداد: ص٤٨).

(٣) العنسين: نسبة إلى عنس وهي ناحية في ذمار.

(٤) كيفما: هكذا وردت أصلها كيف ما، وقد تركتها كما أثبتها الناسخ كنموذج للغة المؤرخ.

(٥) حِزْيَزْ: قرية جنوب صنعاء في عزلة الربع الغربي، ناحية سنحان، محافظة صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٥٨؛ التعداد: ص١٤٢).

(٦) دحن: هي المماحكة أي المخاصمة.

(٧) وردت في المخطوطة (ب) آسفين.

وقعة بني جل:

هي أعظم الوقايع، والفتح الأزهر الصادع، والعَرف الذكي الذي هو ضايع غير ضايع، وصفتها أنه في شهر القعدة من السنة المذكورة توجه راشد بيك بمن معه من العساكر والجموع قاصدين لبني جل، وقد آل على الله عز وجل وتردى برداء الكبرياء، وبئس مافعل، فتقدم بمن معه من بني مديخة الثالث عشر من الشهر المذكور، وبدأ في بني خولي فوقع بينهم الحرب، وأخذت العجم مواشي بني خولي، ودخلوا بعض البيوت فأصدقهم المجاهدون وهجموا عليهم حتى أخرجوهم منها، وأخذوا بعضاً من سلاحهم. فجاءت فرقة أخرى من العجم فاستولت على البيوت المذكورة، وأتت فرقة أخرى من المجاهدين، فقصدوا البيوت فاستشهدوا عن آخرهم فتركوا البيوت جميعاً لم يبق فيها أحد من الفريقين. وقد أخذت المجاهدون من أسلحة العجم، وأستولى العجم على أسلحة الشهداء، وكان عدد القتلي من العجم عشرون، ومن العرب تسعة أو يزيدون.

ولما كان ماكان في هذه الوقعة جمع راشد بك العساكر، وتقدم بمن معه من الجمع المتكاثر، وكان خروجهم من قفل شمر ثامن عشر من ذو الحجة، وكان فيه العساكر نحو ألفين. وكان المجاهدون قد تجمعوا للحرب، فلما توجهوا انهزمت العرب هزيمة فاضحة من محل إلى محل، وصارت العجم تطوي قرى بني جل كطي السجل، فما كان ظهر الأحد تاسع عشر الشهر إلاَّ وقد أخذت العجم ديار بني خولي، وقلفاح والقفرة والمساعاة، وشمسان، وبيت الرمادي، وبلغت هزيمة أوائل أهل الشرف الأعلى إلى بيوتهم، وبقى سيف الإسلام ومن معه في المسنب بيت الصبيحي، وطرحت العجم في بيت القرو وفيه خمسة رجال من السادة آل العريج، والشيخ صالح بن أحمد قارن وثلاثة أنفار من الشرف الأعلى فنصبت عليهم العجم مدفعين، ومازالوا يرمونهم من قرب، فمن ألطاف الرب سبحانه أنه لم يصب البيت شيء من الرصاص، ولم يكن مقصد من في البيت المذكور، ومن في بيت الصبيحي إلاَّ الحرب إلى الليل ويفرون، عادة العرب التي يعتادون، ولكن الله سبحانه وتعالى تفضل بنصر المجاهدين الذين في بيت القرو، فتراجع بعض المنهزمين، وكانت رجال أفلح، وخيران، وصحر، وأسلم وغيرهم في بطون الأودية ينتظرون لمن

تكون الدائرة. فلما نزل النصر من بيده النصر والخلق والأمر، كان كلما رمت العجم لم «ق٦٦ ب» تصب الدار وكلما رمى من في بيت القرو وقعت الرصاص في رأس من رؤساء العجم أو ضابط من ضباطهم، فلما كان أخر النهار قبيل المغرب وثبت العجم إلى المدفع ليأخذوه قبل الليل، فرأتهم العرب وهم على هيئة الفرار فطمعوا فيهم ووثبوا عليهم، ونزل النصر من الواحد القهار. وكانت الأعراب التي ذكرناها مُكْتَمنين في بطون الأودية، ينظرون لمن تكون الدائرة، فلما سمعوا بالهزيمة، وثبوا لأخذ الغنيمة. فلما توسطت العجم في بطون الأودية أخذتهم السيوف القواطع من كل مكان، وقذف الله في قلوبهم الرعب والهوان فطفقوا يرمون أسلحتهم إلى المجاهدين رجاء ان سَلِمُوهم من القتل، وظنوا أن لارغبة لهم إلاّ في الغنيمة، وماعلموا أن الأسود أسُود. المعتبر همتها يوم الكريهة في المسلوب لاالسلب فأخذ المجاهدون أسلحتهم، ثم عطفوا عليهم عطفة واحدة، فمازالوا يقتلونهم بها وانتهبوا مدفعين من المدافع، أحدهما أخذته اللحوح[1] وأرجعوه إلى العجم بدارهم استلموها. والآخر أخذه بني الصليحي وأوصلوه إلى حضرة الإمام عليه السلام. وكان ذلك بحمد الله أول غنيمة من مدافع العجم اللئام، وقد كانت العجم حملته على بغلة، فرماها المجاهدون فسقطت فأخذ رجل من العجم سدادة المدفع وهرب بها لئلا يستنفع به، فأعترضه رجل من المجاهدين فقتله وأخذ السدادة فكملت آلات المدفع أجمع والنصر بيد الله يخفض من يشاء ويرفع.

وفي اليوم الثاني قصد الناس من فيه بيت الزيادي، وفيه نحو مائتين من العجم، فلم يشعر العجم إلاَّ وقد تسورت المجاهدون البيوت من ظهورها، فتراموا من السقف الأعلى إلى الأعلى، ومازالت العرب لهم حتى استصالوهم وسلبوا سلاحهم، واستشهد من المجاهدين نحو الأربعين. ومن أعجب ما وقع أن في بعض تلك الليالي أصاب الناس الجوع، فجعلوا يطلبون الزاد فقالت لهم إمرأة إن أردتم الزاد تبعتموني وتقدمهم حتى أوصلتهم إلى بيت الرمادي وكان ما كان بينهم وبين العجم مما وصفنا آنفاً.

ثم لما أنجلت تلك المعارك العظيمة حصروا القتلى من العجم فإذاهم ألف رجل

---

(١) اللحوح: أهالي قرية وادي اللحوح، عزلة قلعة حميد ناحية الشغادرة، محافظة حجة، (التعداد: ص٤٠).

والأسارى مائتين ولم ينج من العجم الحاضرين هذه الوقعة إلاَّ نحو خمسة وعشرين، وكان عدة البنادق المسلوبة إثنى عشرة مائة، وغنموا غير ذلك من المونة والذهب والأشياء النفيسة. وإنحاز من بقى من العجم إلى جبل بني مديخة، وإلى قفل شمر، والشاهل، وقد ذهلت عقولهم مما دهم. واستشهد في هذه الوقعة من العرب أربعمائة وثلاثة عشر لاغير، إلاَّ أن اكثرهم لم يعرف لكثرة من حضر الوقعة من أخلاط الناس. وكان المجاهدون حينئذ بمن أنضاف إليهم نحو سبعة الآف فيهم نحو نصفهم رماة، والآخرون بالجرد[1]. وبعد أن سكن الحرب طفق الناس يتواثبون على السلب، حتى أن رجلاً أخذ بندقين، فجاءه رجل فسأله أن يعطيه أحدهما فأبى فقتله وأخذ البندقين، فجاءه رجل آخر فقتله وأخذ البندقين، وحصلت أكثر الغنائم بيد أهل الأوهاد خشية أن يفطنوا بذلك، فيقاتلوا عليه لأنها قد تغيرت عقولهم عند رؤية الطمع، ثم يعد انقضاء الحرب أوصل المجاهدين بعض الرؤوس والأسارى والمدفع إلى حضرة الإمام فكان ذلك أمن أعظم الفتوح في الإسلام، الذي لم يعهد مثله في سالف الأيام، وحيئنذ خضعت العجم ورجفت قلوبهم، وذهلت عقولهم مما قد ألم، وأيقنوا أن سلطان ملكهم قد انهدم. وبلغ خبر هذا الفتح المبين وطار إلى جميع النواحي والأقطار، وسر بذلك المؤمنون واصبح المسودون في ليلة همومهم يعمهون[2] «ق ٦٧أ» فتارة يكذبون بعد ما كان وأخرى يتوعدون أهل الإيمان. وقال في ذلك الفقيه العلامة حسين بن أحمد العرشي:

طربت ولي قلب عن اللهو عازب ... سواه لغيري حين تبني المذاهب
تجاذبه الألحان كي تستجيدها ... سجيته والمنكر الشيء عائب
وما فينـي في طول يومي وليلتي ... تراجع مجداً حركته الدوالب
تطلبته لما تطلبت أن أرى ... سروراً أراه أو خليلاً يناسبُ

---

(١) الجرد: نوع من الأسلحة أقل طولاً من السيف.

(٢) كتبت هذه الفقرة في حاشية الكتاب (وصول المدفع من بلاد الشرف إلى حضرة مولانا الإمام عليه السلام إلى قفلة عذر).

وصرت فوافاني على الصبح مطلع ... أنار منار الدين فيه المغاربُ
وبرق شرى فاستاق سحباً ثقيلة ... لها زجل قد صاحبته الخواطب
سقى عسكر العجم الخبيثة صوبه ... منوناً وأولاها الطلا والمناكب
تردده من شمال الأراضي شمأك ... هناك ومنه للجنوب جوانب
تصبب حتى ماسقى بطن أوهد ... من الدار إلاَّ والجبال الضبايبُ
وحط على الاتراك من كل وجهة ... منايا لعمري وافقتها المآرب
غداة اشترت فيها من الله ربها ... فخاراً بنو جل هنالك وحاربوا
ليوم تراءى العز شاباً وخاطباً ... على منبر من تحته الذل شايب
وطال فكان اليوم يوماً عصبصباً ... على قيد رمح في فناة العجايب
فلم ينظر الأتراك إلاَّ رؤوسها ... تخر وقد دارت عليها النوايب
هناك استباح السيف كل مجمعٍ ... ضريً وجاست بالمنون السحايبُ
وماكذب الراؤون قال كلهم ... لقد أُلّفت قتلاهم أو تقاربوا
هدت نحوها الساعون كل غضنفرٍ ... هزبر حماه ظفره والمخالب
ومالت على الأسلاب والأسر ما احتوت ... على ذاك حتى في النظار الكواعبُ
وعَّدوا إلى ما فوق ألف بنادق ... حكتها المعالي وأقبضتها المحاسبُ
وما دافعت عن مدفع بمدافع ... ومن أين يدرء الدفع من هو هاربُ
وكان نهار فيه للقرب مغنم ... حوته وعند الأعجمين مصائبُ
يتيه على الأيام لما تمكنت ... عواليه وأُسترت هناك المضارب
وقد كان أم المجد قبل عقيمة ... زماناً ولكن أولدتها القواضبُ
ودارت رحى الحرب العوان فأصبحت ... روؤس الأعادي قد طوتها المعاطبُ
فلله هاتيك الرجال التي مشت ... إليه كما يمشي الجياد الشوازب
بنو يعربٍ من حي همدان فتية ... توالت لعز لايطأه المغالبُ
ومن حكم أعنى ابن سعد عصابةٌ ... مساعيه حرب حين يخفى الحواربُ
وإن شئت فَصَّلْنَا فقلنا «لأفلح» ... «وخيرات» في هذا الحديث مراتبُ

وقد صاحبت «حجر» هناك وأسلم ... بحزم ودرم في ربا العز راسبُ

وما «لبنى خولي» إلاَّ سماحةً ... غزتها وقد دارت عليها العضائبُ

يقودهم من سادة العزم سيدٌ ... قؤول له مجد وهمٌ مناسبُ

سليل أمير المؤمنين محمد ... أخو كل فخر حين تدعى الأقاربُ

ومن حي عدنان لديه وهاشم ... ليوث وغى قد حنكتها التجاربُ

أولاك إذا عدد المجد أهله ... يقول وأولى الناس هذا المواثبُ

وعن رأي مولانا الإمام محمد ... مواردهم هذا وهذا المشاربُ

إمام إذا ما الظلم أرخى سدوله ... فعند هداه للمضلين جاذبُ

تحلت به الأيام حتى لقد غدت ... وفي جيدها نجم من العز ثاقبُ

رأته الليالي وهو الخليل تاجها ... فتاهت ونادت أي فخرٍ أصاحبُ

«ق٦٧ب»

وجل لدى الانصاف تعداد وصفه ... لطالع وقت أو لما هو غاربُ

وصاحبته والعين لاتنكر الضحى ... إذا شاهد أغمى عليه وكاتبُ

ووعدني من حي له كل غايةً ... أصلٌ ومن أبعاض تلك المواهبُ

وآليت لاينفك رأي لوائه ... تتابعه ما عاهد الله تائبُ

وصبَّرت نفسي كل مامر عاذل ... وذو شنآن مرّ ومرعاتب

ولما رآني قلت للصبر مرحباً ... وقراه فنادتني إليه المراحبُ

وقال لسان الحال والحال بين ... لحا الله أقواماً عن العرف جانبوا

ووقتاً أقام الليل في رتبة الضحى ... عياناً وأمته الظنون الكواذبُ

وحيناً به قد عرف المرء نفسه ... إلى أهله واستنكرته الأجانبُ

وفي الناس أصحاب وفي الناس مصحب ... وفيهم ذيابٌ مرةً وعقاربُ

ولست أبالي بعد أن صاحبت يدي ... على رأي حظي فيه ما لايجانبُ

واحسبه منجاتي يومي وعدتي ... ليوم قيامي حين تبلى المكاسبُ

أقول وهذا القول يبقى مؤرخاً ... ألا كل مجدٍ دونك اليوم جانبُ

وأنــت الــذي اســتودعت كــل كريمــةٍ	علــت وبــك الــذكر الجميــل المراقــبُ
وخـــــتم كلامـــــي أن أقـــــول مــــتمماً	عليــك ســلام مــا تــدور الكواكــبُ

ثم إن أحمد فيضي بعد هذه الوقعـة: صـار يكاتـب إلى الـسلطان ويعرفـه بـما وقـع مـن العرب، وما نزل بالعسكر من القتل والنهب والهوان. وبعد هذه الوقعة عاد سيف الإسلام إلى القاهرة(١) من الشرف الأعلى وكان قد استنفر الناس للغارة قبل الوقعة، فأبطأت حجور الشام فلم يوافوه إلاَّ في القاهرة، وقد تم الكلام وحصل بحمد الله المرام.

ومن بعدها تشاور المجاهدون وسيف الإسلام بأن يغزو الشاهل، لاستيصال مـن بقـى فيه من حرب الباطل. وكان فيه للعجم قشلتان(٢) أحدهما شرقيـة، فتقـدم سـيف الإسـلام بمن معه وكانوا نحو ثلاثمائة، فما بلغ إلى الشاهل إلا وهم نحو ألف أو يزيدون. فلما وصـل سيف الإسلام إلى الشاهل، رحب من فيه من السادة الأفاضل وفتحو بيـوتهم لكـل نـازل، إلا رجل منهم يسمى عبدالله حسين شيخ، فإنه من أعوان العجـم، قـد عـض عـلى ودهـم بالنواجذ والفم، فإنه لما دخل سيف الإسلام بادر حـسين عبـدالله شـيخ المـذكور إلى رمـي المجاهدين فقتل منهم رجلين، وقُتِلَ هو وأخذ بيته وهرب والده ودخل مع العجـم. وبعـد ذلك خرج مُؤَمَّناً إلى سيف الإسلام. وبعد ذلك ظهرت منـه خيانـات وجنايـات أوجبـت حبسه، فحُبس وأُرسل إلى مقام الإمام عليه السلام.

---

(١) القاهرة: اسم مشترك بين عدد من المواضع في اليمن وهي:
قلعة القاهرة في قمة جبل صبر المطل على تعز.
القاهرة: قلعة مطلة على مدينة حجة شمالاً.
القاهرة قرية من عزلة الضاعن ناحية وشحة حجة.
القاهرة: عزلة حشبة قضاء جماعه بصعدة.
القاهرة: من أحياء الحديدة.
القاهرة: قرية في عزلة الضلع الأسفل ناحية الطويلة.
القاهرة: من جبال وصاب السافل، وتقع فيه قرية القاهرة.
القاهرة: قرية من قرى الأجحول بالمحويت.
القاهرة: من قرى الحجرية.
القاهرة: قرية في عزلة بني وهب ناحية السوادية.
والمقصود هنا هي القاهرة قرية في عزلة بن العيس ناحية أسلم بلاد الشرفين، محافظة حجة (المقحفي: المعجم، ص٥١٢)

(٢) قشلتان: بناء يشبه الحصن أو القلعة ومخصص للعـساكر. أمـا في التركيـة فالقـشلة هـي المـصحة أو المستـشفى. (موفق بني المرجة: صحوة الرجل المريض، ص٤٥٩)

ثم إنها تبادرت الأرجال وتواثبت الأبطال إلى تحطيم من بقـى في ألقـشلة الـشرقية مـن العجم الأنذال، وكان إلى جانبها بركة ماء فغيَّرها المجاهدون بالبارود والـدحرة[1] وحـالوا فيما بين القشلة وبينها، وفي القـشلة خمـسة وعـشرون رجـلاً فـضايقوهم مـضايقة شـديدة، وكانت العجم قد حفرت نقباً من القشلة إلى البركة فهدمته المجاهدون فتعزر إليه الوصول. ثم لم يزل الحرب في كل يوم حتى تسوروا عليهم الحايط الذي إلى بـاب القـشلة، وفيـه آنيـة نحاس كبار قد ملؤها ماءً الواحد منه يسع ألف رطل، فرمت المجاهدون تلك الآنيـة حتـى ثقبتها الرصاص وانفجرت إلى الأرض، ولم يبقـى فيهـا شيء، وهـذا كلـه وقـد كثـر القتـل والجروحات في المجاهدين، لأنهم كانوا يريدون أن يثقبوا القلعة ويدخلون عنـوة. وكانـت العجم في القشلة كلما أحسوا بذلك رموا المجاهدين بالعنابر حتى كثـرت الجرحـى، وعـاد الناس إلى الحصار «ق٦٨أ» حتى نال العجم الاضطرار وبعد ذلك نادوا بـالخروج، فوثـب عليهم العرب فقتلوا أكثرهم وأمنّوا الباقين، وأوصلوهم إلى حضرة الإمـام عليـه الـسلام، وقبضوا القشلة وأخذوا ما فيها.

هذا ما وصل إلى راقم هذه السيرة، من الوقايع الخطيرة، على جهـة التحقيـق واليقـين، من دون كذب ولاتخمين، وبقى وقائع في الجهة الآنسية لابد أن نلحقها في كراس مـستقل، كما أخذه ذلك مفصلاً عن عدة ممن شاهد ذلك منهم الشيخ عبدالله بـن عـلي راجـح وأبنـه الشيخ عزيز بن عبدالله وغيرهم وسيأتي ذلك انشاء الله تعالى.

نعم بقى مما ينبغي أن يذكر وتحرى تذكره أعنَّة الأقلام وتسَّطر وهو مـا وقـع في الوقـايع الخاصة في بعض أعوان العجم الذين هم[2] أعق منهم وأظلم، وما يلحق بذلك من إحـراق بعض بيوتهم بالبارود، فلقد حصلت بذلك النكايـة العظيمـة، وتكـررت مـن أجـل ذلـك الأحوال المستقيمة، ونزل بهم من الخوف ما لايعاد قدره، حتى أدعى التشيع مـن هـو خـلي عنه بالمرة، فمن ما جرى ولم أعرف في أي شهر كان قتل الفاسق ابن قنبع، وذلك انه وصـل إلى حضرة الإمام عليه السلام مظهر التوبة والرجوع من الآثـام وكـان مـن أعـوان العجـم

(١) الدحرة: لم أتوصل إلى معناها.

(٢) وردت في الأصل (الذينهم) .

اللئام، فبقى في المقام الشريف مرابطاً مدة، ثم لما وقع الجهاد وفي جبل اللوز أخذ بنـدقاً مـن بنادق بيت المال، وهرب راجعاً إلى خدمة العجم متمدحاً بما صـنعه مـن الفعـل اللـؤم. ولم يعلم أن الطالب حثيث، وأن نقض العهد من أخبـث الخبيـث، فلـم يـزل الإمـام عليـه السلام يرسل إليه من ذيقه طعم الحمام، حتى أظفره الله عليه في بعض الليالي العظـام، ليـالي شهر رمضان، فبرز إليه بعض السادة الكرام محمد بن عبـدالله بـن الإمـام وهـو في الـسوق خايفاً يترقب لأنه قد علم بشدة الطلب، فلما تمكن منه الـسيد المـذكور طعنـه طعنـة ألحقتـه بأصحاب القبور، ومرَّ كأن لم يكن له بذلك شعور، فوقـع ذلـك أشـد موقـع عنـد العجـم وأعوانهم.

ومن ذلك أن السيد المذكور وكان من الفتاك الذين لايهابون الدخول في عظائم الأمور، أخذ باروداً وأدخله إلى بيت الحكومة في صنعاء البيت المعـروف، وكـان إدخالـه نهـاراً ثـم اعلقه[1] بذريرة[2] فقرح[3] الباروت المذكور حتى هض الدار[4] المذكور، ولكن لم يضر أحـداً إلا أنه حصل مع العجم حاصل عظيم ونزل بهم المقعد المقيم.

ومن ذلك أن الإمام عليه السلام أرسل جماعة إلى مدينة يريم لإحـراق بيـت الحكومـة، فوضعوا البارود وأعلقوه وذهب نحو ثلثه من الجهة العدنية إلا أنَّه لم يكن فيه أحد.

ومن ذلك أن الشقى محمد بن محمد جغمان لما صدر منه التفوه في جانب الإمـام الـسوي والنصب العظيم في جانب أهل البيت النبوي، وإظهار المحبة للعجم، والمعاونة لهم باللسان والقلم حتى رأن على قلبه واستوى الشيطان والهوى على عقله ولبِّه، كل ذلك في محبة الدنيا الدَّنية والتعب لحطامها الذي يأباه أهل الحرية، فلما تمادى في طغيانـه، وأطـاع أمـر شـيطانه أرسل إليه الإمام عليه السلام من ينزل به الانتقام، ويذيقـه غـب مـا صـنع مـن الإجـرام، فدخل عليه بعض السادة الكرام، وهو يتوضأ في المطهار[5]، وطعنه ثـلاث طعـن كـادت ان

---

(١) إعقله: اشعله عامية.

(٢) ذريرة: فتيلة.

(٣) قرح: انفجر.

(٤) هض الدار: هز الدار.

(٥) المطهار: جمعها مطاهير وهي حمامات الجامع.

تعرض روحه على النار، إلا أن في سابق الأقدار حكمة تقضي ببقاه فاعتبروا ياأولي الأبصار، فبعد أن طُعن، «ق٦٨ب» صاح وتيقن الهلاك فَحُمل إلى بيته، وبقى مدة مريضاً من تلك الجراح وخولط عقله من الجبن،ولله الأمر من قبل ومن بعد(١).

وفاة السيد العلامة عماد الدين ونجمه الزاهر يحيى بن قاسم عامر:

وفي هذه السنة كانت وفاة السيد العلامة الجهبذ عماد الإسلام وركن الفضل الشامخ الذي لايرام، من فاق الأوائل والأواخر، السيد يحيى بن قاسم عامر، وكان ابتداء مرضه في المقام الشريف بقفلة عذر، ثم نقل مريضاً إلى وطنه جبل الأهنوم، وكان السيد المذكور من رجال الدنيا والآخرة من أركان الأئمة، باذلاً في نصحهم الهمة. ناصح أولاً مع الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد عليه السلام، وبعد وفاته لازم الإمام الهادي عليه السلام وبذل النصيحة ثم الإمام المنصور عليه السلام، وكان عارفاً بالعلوم خبيراً بأمور الناس، ولقد سمعت الإمام عليه السلام كثيراً ما يثني عليه وأنه مارأى مثله في مراجعة الإمام، وبذل النصيحة للخاص والعام، رحمه الله وقد كان شَرَعَ في سيرة مولانا الإمام المنصور بالله عليه السلام، ولقد أولد فأنجب السيد العلامة محمد بن يحيى وهو الآن عامل الإمام في خولان، وأول ولايته في أيام والده ثم استدام ذلك، وابنه السيد العلامة ذي الفهم الثاقب والفكر الصايب صفي الإسلام أحمد بن يحيى أبقاهما الله، فمن خَلَّفَ مثلهما مامات. وما مات من كانت نقاياه مثلهم.

ومن الأشعار التي لها تعلق بما مضى من الوقايع ماقاله بعضهم في وقعة الظفير وهي:

أَهَلْ قد سمعتم ياذوي البأس والصبر	بصدمات أهل الفتك بالقتل والأسر
بحصن ظفير يوم الاثنين وقعة	بأثنين وعشرين بشعبان فاستقر
بملحمةٍ ماقد أتت في زماننا	سوى الداري المشهور في فتك ذي الكفر
وذاك بأبناء العُلوج الذي لهم	مناكر لاتحصى بعد ولاحصر
وذلك بأن العُلجْ حاطوا جميعهم	بحصن الظفير الشامخ العالي الوعر

---

(١) وردت هذه الحادثة في كتاب الحوليات للجرافي، تحقيق: د/ العمري ص ١٥٤.

أحــاطوا عــلى حــصن الظفــير ومــن بــه … يريــدوا دخــولاً لأولي الــبطش والقهــر

وفيـــه مـــن الأنـــصار كـــل ســـميدع … ليــوث بنــي الهيجــاء بمــصطم الــشر

وعامـــل مولانـــا وبهجـــة عـــصرنا … إمــام الــورى المنــصور بالرعــب والنــصر

وذاك الــشريف الماجــد والقــرن في المــلا … ســليل أولي التقــوى والعلــم والــصبر

وســيف إمــامي نــاصر العــدل ذي التقــا … وأعني بهـذا «لطـف سـاري» ضـياءالبدري

ومـــن هـــو في تلـــك الملاحـــم بـــسيد … محــب بنــي الزهــراء مــن أحمــد الطهــري

ســـليل رســـول الله وابـــن رســـوله … المؤيـــد بـــن حمـــزة[1] ذي الفخـــر

ضــياء الهــدى لطــف الإلــه الــذي سرا … عــلى الزمــرة الأخيــار جنــتهم تجــري

أحــاطوا بــه مــشرقاً وشــاماً ومغربــاً … ومـــن يمـــنٍ لفـــوا بـــه الحـــشرى

وأحمــو لظــى حــرب تهــد ذوي القــوى … وكان ابتـداها قبـل ضحـضحة الفجـري

وثـــــارت جليلات المدافع مثل ما … سوابل غيث مثل أنصـــــار ذي صبر

«ق٦٩أ»

خلي من شـاحتات فلـم يحـص حـصرها … ولا عــدها مــن أهــل بــدوٍ ولا حــضرٍ

يهـــول بهـــا أهـــل الـــشجاعة والنهـــى … بــذي البعــد مــا ظنــك بمــصطمٍ وعــرٍ

وقــد فرقــوا تلــك الطــوايــف تقــدموا … محيطــون بــالحرب العــوان الــذي يغــري

فــصالت أســود الغــاب أنــصار مــالكي … علــيهم كعقبــان عــلى مــلأ الطــيري

أتـــاهم عـــذاب الله بايـــد فواتـــك … ليــوث بنــي الــدنيا وأســد بنــي العــصر

فاختطفــت أرواحهــم مــن صــدورهم … فــصاروا كأجــذاع بــذي مهمــة فقــرى

حــوالي ظفــير العلــم والــدين والهــدى … وطهــر أبنــاء النبــي محكمــي الــذكر

---

(١) يحيى بن حمزة: الإمام المؤيد بالله ولد بمدينة صنعاء سنة ٦٦٩هـ. نهل في جميع المعارف العلمية وهو صبي وتلقى تعليمه في جميع أنواعها على يد علماء الديار اليمنية لـه العديـد والكثـير مـن الكتـب والتـصانيف، ويـروى أن كراريس تصانيفه زادت على عدد أيام عمره. عارضه الكثير من الأئمة ولكن لم تصف الأمور إلا له، فقد كـان يعد من أكابر أئمة الزيدية في الديار اليمنية توفي سنة ٧٠٥هـ ودفن بمدينة ذمار. (يحيى عـلي الـشوكاني: البـدر الطالع، ج٢، ص ٣٣٣) .

إمام الهدى المهدي لدين محمد[1] ... وسبط له المتوكل العدل ذي الأمر

فما أغنت مدافعهم ولا قوة لهم ... لذي قوة القهار ذي البطش والقهري

فقد حصدوهم حصد زرع مروع ... بجند جراد مهلك الزرع والأزر

وقد نقلوا منهم غنائم جهبذا ... غنايم ذي فسق وظلم وذي كفري

غنايم لاتحصى موابين أجلبت ... لها الكافرون الظالمون ذوي الفُجرِ

وكم عسجد نالوه منهم ذوي التقى ... وكم ورقٍ حازوه وكم دررٍ تبرى

وكم من رؤوس قطعت لبناعها ... ببيض جرت في كل أعضائهم بقرى

وتلك كرامات الإمام وليهم ... وموسعهم بالجند والمال والوفرى

وبالرأي و التدبير والحزم دائماً ... يحشدهم بالبأس والفتك والصبري

إمام الهدى المنصور أفضل من نشأ ... مجرد سيف الحق والنهي والأمر

إمام الرضى واليمن والفوز والمنى ... بقتل الأعادي سَلْ بهل كل ذي قطر

إمام الفخامة والزعامة والذي ... له الله بالتأييد كافل بالنصر

إمام المعالي والعوالي والضبا ... إمام المواضي والمثقفة السمرى

إمام البرايا سيد الناس كلهم ... إمام السخاء والجود والبذل والبر

إمام العطايا والسجايا التي بها ... صلاح جميع الناس في البر والبحر

إمام السرايا والمغازي التي بها ... هلاك جميع العلج في كل ذي شهر

إمام جهاد واجتهاد ومنعةٍ ... وقوة جأشٍ عند قاصمةٍ الظهري

إمام ومن نسل الإمامة أصله ... إمام ومن نسل النبوة و الفخري

إمام له كل الكرامات تعتري ... بذا شهدوا أهل الفضائل والذكر

وآباؤه الغر الأئمة كلهم ... من القاسم المنصور ذي النهي والأمر

ومن جاهد الاتراك في كل بلدةٍ ... وأحصدهم قتلاً وأسراً مع أسرى

---

(١) الإمام المهدي لدين محمد: الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى ولد بمدينة ذمار ٧٥٥هـ، تلقى علومه في جميع علوم الطلب السائدة في عصره، له الكثير من الكتب والتصانيف والشروح، دعا لنفسه بالإمامة سنة ٧٩٣هـ ولكن عارضه الكثير وسجن في صنعاء، وحين خرج من السجن لم يمكث إلا قليلاً وتوفي سنة ٨٤٠ هـ. (محمد علي الشوكاني البدر الطالع، ج١، ص١٢٢) .

كــذا ابنــه أعنــى المؤيــد والــذي ... نفـاهم وأجلاهـم مـن الـيمن الطهـرُ

«ق٦٩أ»

وصــنواه سـيفاه عــلى كافـة العـدا ... ومـن جاهـد في الله بـالبيض والـسمري

ومــن شــمر لله تــشمير ســاهم ... لقتـل بنـي الطغيـان مرتكبـي الـوزر

ومــن أرغــما آنــاف علــج نواكــسي ... ومـن طـرد تلـك الطوايـف ذوي الكفـر

ومن أخرجـاهم مـن بـلادي ذوي التقـى ... مـن الـيمن الميمـون قهـراً عـلى قهـري

لحتـى لقــد قــالا مقــالات مفــصحٍ ... ألا أشـهد لنـا يـابحر أنـا أولى النـصر

همــا الحــسنان الراكبــان كلاهمــا ... مــشيد بنيــان الديانــة والــذكر

أولئــك آبــاء الإمــام ولينــا ... وأولا جميـع النـاس ليـث بنـي الطهـر

فيهنــاكم حبــذا الظفــير بجنــةٍ ... فواكههــا تمــري وأنهارهــا تجــري

فيهنــاكم الفخــر الجميــل وجنــةٍ ... بهـا ماتريـد الـنفس مـن كـل مـاتطري

ويهنــاكم مجــد الأثيــل فــذكركم ... لقد فـاح مـسكاً يـاذوي البـأس والـصبر

تعطــرت الــدنيا بعنــبر ذكــركم ... ومــسك معــاليكم إلى آخــر الــدهر

فأوصــيكم بتقــوى الإلــه وحبــه ... وحــب رســول الله في الــسر والجهــر

وحــب ذوي القربــى عــترة أحمــد ... وقــائمهم مــن حبــه منتهــي الــذخر

وطاعتــه في كــل وقــتٍ وســاعةٍ ... وخدمتـه فـيما يـشاء يـاذوي الفخـر

وشـدوا واشـتدوا كحـرب الـذي مـضى ... مـع القـائم المنـصور بـالبيض والـسُمر

وجـدوا وصـولوا واصـبروا في ملاحـم ... ولاتهنـوا مـن حـرب أهـل ذوي النكـر

يــزدكم إلهــي قــوةً بعــد قــوة ... بهــا غايــة بــالفتح والفخــر والنــصر

ويعطـيكم التأييـد والنـصر والـرضى ... ويمـنحكم مـن فـضله معظـم الأجـر

وقـد اقتـديتم يـاذوي الحلـم والحجـا ... بحــصدكم أهــل الخيانــة والــوزر

بــصدمة أنــصارٍ بــرأي إمامنــا ... ذوي الـشرف الـسامي فأفعـالهم تمـري

علــوهم وافى رأس باشــة جمعهــم ... محمــد العــارف إلى موضــع الحجــر

وفي يــوم الاثنــين العبــوس علــيهم ... سـفح قفيـل صـال فـيهم ذوو الـصبر

وبـرق قتـال أرسـل المـوت نحـوهم   صـواعق مـوتٍ لم تـذر فاسـقاً يجـري
وشدوا ليوث الحرب من كـل وجهةٍ   تناوشـهم بالشيـشخان وبـالتبر
وجـدوا إلـيهم مـسرعين بيأسـهم   وقـد ألحمـوهم بالبنـادق في القفـر
وطـل مـن البـاروت مـا أظلـم الهـواء   علـيهم وغـم الـشمس حـرم مـن القـتر
لحتـى التقـى الجمعـان في مهمـة الـبلاء   فـاروا جنـابيهم دمـاء بعـدما يفـري
وماتـت طيـور مـن رصـاص بنـادق   وآفـات حيـات وحنـشان ذي الـبر
وأحرقـت الأشـجار مـن كثـر رمـيهم   وأظلمـت الأرجـاء مـن عنـبر القفـر
وتـسمعها كالرعـد في الجـو والهـواء   رعـود رمـاة القـوم في ذلـك الحـشر
فـأفنوهم في كـل وادٍ وربـوة   وسـهل وحـزن في القفيـل بـلا فخـر
واقتطعـت مـنهم رؤوس وأرجـل   واغتنمـت مـنهم دقيقـاً مـع الـبر
وقد شـبعت مـنهم وحـوش وقـد ثـوت   عليهم نـسور الأرض شـهراً مـع شـهري
عكـوف علـيهم ذايـات رواتـع   نـواعم مـن أكـل البطـون مـع الظهـري
عـلى يـد مـولى النـاس أعنـي إمامنـا   محمـد الموسـوم بالبـأس والـصبر
إمام الهدى شـمس الـضحى حاسـم العُـدا   أمـير الـورى بحـر القـرى ولـدا الطهـر
أتـت عنـده رؤوس الأعـاجم عـن يـدٍ   بأيـدي أنـصار مـواقفهم تعـري
وذاك بنـصر ابـن الإمـام إمامنـا   محمـد المنـصور مـولى بنـي العـصر
وهـذا لـه سـبط وسـيف وذابـل   ومنـصور حـق في جهـاد ذوي النكـر
طريقـة آبـاءٍ لـديهم اقتـدا   ويـانعم آبـاءيـا نعـم ذا البـذري
علـيهم سـلام الله ماسـجدت لهـم   صـوارم حـق في نحـور ذوي الكفـر
وصـلى عـلى طـه الـشفيع وآلـه   محمـد المختـار والآل ذي الـذكر

تمت القصيدة وفيها مالا يخفى وإنما ذكرناها لشرف من قيلت فيه.

«ق٧٠أ» وللسيد العلامة إسماعيل المرتضى المحطوري مقدمة إلى الحضرة الشريفة:

عـلى هـام الـسماك سـموت قـدرا   وفـوق القطـب طـال عـلاك فخـرا

وقد نشر الإله لك المعالي … جهاراً عند كل الناس بشرا
وضاء بك الفخار ضياء نور … على ضوء النهار وزاد فخرا
وقد شرح الإله لكم صدرا … كوسع الأرض براً ثم بحرا
لذى وسعت أمور الناس كلا … شريفاً ثم عبداً ثم حرا
وصيرت الجهاد وحمل أعبائه … تزراً ولن تجدن إزرا
ولو أن الخلايق يحملوا بعض … ماحملت لايجدون صبرا
تحملت الخلافة يابن طه … وقد أحكمتها رأساً وصدرا
وبعد دنت اليك بحسن ذل … مذللة تطأ بطناً وظهراً
وصاحت ملأ شدقيها وقالت … فهذا بعالي المشهور ذكراً
فذا ابن النبوة ياأناسا … وذا ابن الرسالة تممت فخرا
وذا ابن الإمامة وهو أولى … بها في الناس عصراً ثم عصرا
أقام بفرضها وحمى حماها … وشيد ركنها وأقام نصرا
ومذ نشأ دعاها للمعالي … وقال لها فلن تجدين عذرا
هلمي بفتك أهل الجور فتكاً … فنهلكهم فما أهنا وأمرا
ونوردهم حياض الموت هلكاً … ونسبي ملكهم لله قسرا
نجرعهم لكاسات المنايا … ونكرعهم بها غصباً وقهرا
أجابته لذلك وهي تجري … سريعاً كالفروس تتيه فخراً
وتحلف أن مابه في البرايا … أساق لها من الاصداق مهرا
فبث جيوشه في كل قطر … وأوسعهم من الآلات شطرا
ومن كل الكفاية قد أتاهم … بما يغنيهم عبداً وحراً
وقال عليكم بالضرب فيمن … عصى الباري قد ازداد كفرا
وجدوا في نكالهم بطعن … يرون به الهلاك ضحىً وظهرا
وكان مراكز الأنصار من ما … لكي لايحتصي عداً وحصراً
ففي الشريف وفي ظفير … ونجرة والشغادرة قوم حمرا

وكـــم مـــن غـــارة يرســـل بهـــا في صـــــميم العـــزم للطـــاغين تـــترا
وكـــم غـــزوات تـــسرع في نكـــال لعلـــــج الـــــروم لا يجـــــدون أزرا
فأوصـــل صـــدمة في الـــترك كانـــت ببلـــــدة شـــــاهل قـــــتلاً وأسرا
بموضـــع اســـمه الـــذاري ذروهـــم حـــــصيداً مشـــــراً شـــــفعاً ووتـــــرا
يزيـــد عـــلى المـــائتين القتـــل فـــيهم وأمـــــا الأسر لا أســـــتطيع حـــــصرا
ويـــوم بالقفيـــل غـــدوا جـــزوراً لـــوحش الأرض تأكـــل منـــه شـــهرا
وكـــم وقعـــات لا تحـــصى علـــيهم بهـــا لهـــم الهـــلاك عـــشاءً وفجـــرا
وفي حـــصن الظفـــير جـــرت علـــيهم بهـــا ملاحـــم مـــن جنـــود الحـــق تـــترا
فكـــان بهـــا الهـــلاك لقـــوم ســـوءٍ يعـــــدوا في حـــــدود الله جهـــــرا
وكـــم قتـــل وكـــم أسر ونهـــب وكـــــم أنفـــــال حازوهـــــا وفخـــــرا
وذا بـــسرائر المـــولى الـــذي قـــد حبـــــاه الله تأييـــــداً ونـــــصراً
أمـــير المـــؤمنين وخـــير داعٍ دعانـــــا للجهـــــاد جـــــزاه أجـــــرا
أمـــير المـــؤمنين وخـــير هـــادٍ إلى إحيـــــاء كتـــــاب الله طـــــرا
أمـــير المـــؤمنين إمـــام حـــق دعـــــا لله إعلانـــــاً وجهـــــرا
إمـــام لا يقـــاس بـــه إمـــام وقـــد رفـــع المهـــيمن منـــه قـــدرا
إمـــام ســـل ســـيف الحـــق يغـــري مـــن الأعـــداء بـــذاك كـــلا وظهـــرا
إمـــام هـــدى وأداب وعلـــمٍ وحلـــم واســـع وقـــرو إقـــرا
إمـــام ملاحـــم وإمـــام فتـــك لأهـــل الظلـــم لا يجـــدون إزرا
إمـــام معـــارك وإمـــام بـــأس وســـطوة فاتـــك إذا مـــا اكفهـــرا
إذا نـــشرت بيارقـــه خفوقـــاً ليـــوم كريهـــة يرتـــاح بـــشرا
إمـــام مكـــارم وإمـــام جـــود فاقـــصده تجـــده صـــاح بحـــراً
إمـــام شـــمائل مـــا الـــروض يحكـــي شـــمائله وللأزهـــار زهـــرا
إمـــام عزيمتـــه خلقـــت لمجـــدٍ تـــسيرها يمينـــاً ثـــم يـــسرا
إمـــام فـــضائل وإمـــام فـــضل إمـــام فواضـــل تـــتلى وتقـــرا

إمـــام همـــةٍ مـــلأ البـــسيطة وقــد وســعت همــوم النــاس طــرا
وهمتـــه ســـمت فـــوق الثريـــا ليحـــرز في العـــلا دنيـــا وأخـــرا
إمـــام سياســـة للنـــاس كـــلاً وتـــدبير مـــصيب لـــيس أمـــرا
لـــذلك أعنـــي المنـــصور بـــالله رب الخلـــق مـــن أعطـــاه نـــضرا
إمـــام نـــسكه نـــسك النبئـــين قـــولاً ثـــم فعـــلاً ثـــم ذكـــرا
أنـــتم آل ياســـين وطـــه ســـفينتنا بكـــم لم نخـــش وزرا
علـــيكم كـــل حـــين صـــلاة ربي دوامـــاً مـــاتلى التـــالون إقـــرأ

ومما قاله السيد العلامة إسماعيل المرتضى عافاه الله تعالى:

مــديحك أرضى في فــؤادي وأوجــب وأولى وأحــلى عنــد نفــس وأنــسب
وأحــسن تــصدير الــيراع برقمــه ثنــاك يــامن هــو أجــل وأنجــب
وأفــضل مــا مّــدت أنامــل نــاظم لجــوهر قــاموس لنظمــك يكتــب
وأفــضل آمــاق الــورى أن تــرى ســنا محيــاك يــامن هــو لنــا الــشمس ينــسبُ
طلعــت علينــا شــمس فــضلٍ وحكمــةٍ ونـــوراً وبرهانـــاً لـــه النـــاس يرغـــبُ
ونحريـــرا علـــم وجـــود نائـــلِ وبـــرٍ وإحـــسان لمـــن جـــاء يطلـــب
وقلـــبٌ رؤوف ذاحنـــوٍ ورأفـــةٍ لكـــل تقـــي عـــالم يتحبـــب
وأعتــى وأقــسى مــن حديــد عــلى العــدا وأجلــد مــن صــم الحجــار وأصــلبُ
ومافـــاد ذو نظـــمٍ بحقـــك مـــوجز ومــا أن وفــا الحــن بفــضلك مطنــبُ
ومــاليس أن يحــصي صــفاتك مــصقع وأيــضاً فــلا يحــصى خلالــك منــسب
ولـــو لم تكـــن إلاَّ الـــشجاعة وحـــدها كفتــك خــلى مــافي وطالــك أطيــبُ
تحملـــت أعبـــاء الخلافـــة في الـــورى ورميتهـــا بـــالجزم والحـــزم أغلـــبُ
وقطبـــت وجهـــاً للعـــدو مكافحـــاً أســد عليــه مــن جحافــل تنهــبُ
وقــدت الجيــوش المــوج في كــل مــوطن عــلى العلــج فارتجــت بهــم يتوثــب
فــإما أن نجــا مــنهم مــن المــوت باســل ومــا إن بقــى غــير الــذي صــار يهــرب
فإمـــا قتيـــل شـــاخب بدمائـــه وإمـــا أســـير في الحديـــد مكتـــب

خلقــت لهــذا يـــاابن طـــه وهكـــذا جــدودك كــانوا هــم أشــد وأطلــب

وإنـــك سر الـــسر فـــيهم بعـــصرنا وإنــك لــب اللــب فــيهم وأنجــب

عليـــك صـــلاة الله ثـــم ســـلامه بفخــرٍ وعــصر كلــما الغيــث يــسكب

ورحمتـــــه بعـــــد النبـــــي وآلـــــه عــدد مــا أضــاء بــدر و شــمس وكوكــب

ودمـــت دوام الـــدهر ظـــلاً لأهلـــه ليحيــا بكــم ديــن وعلــم ومــذهب

وقال السيد الأديب محمد عبدالله الخزان:

أرى بـــارق الـــيمن الـــيماني خـــاطراً سرى في سـحاب الجـود بـالخير مـاطرا

وبـــدر الرضـــا لازال بالبـــشر طالعـــاً فـــتم بإقبـــال وجـــليَّ الخـــواطر

وشــمس المعــالي قــد تخــلى شــعاعها هجيراً وليـل والـنحس ماانفـك حـاسراً

ولاح بـــدفٍ طـــاير الـــسعد مقـــبلاً فظـــل بـــأنس للجنـــاحين نـــاشرا

فبيـــنما المكـــارم قـــد توالـــت جميعهـــا وفـــت في سرور قـــد أقـــر النـــواظرا

تـذكرت مـن أهـوى ولازالـت ذاكـراً وفكـــرت في إلـــفِ محبـــاً مـــذاكرا

أراني مطـــالاً وصـــالاً محـــاولاً وقــد كــان لي خــلاً سـميراً مـسامرا

فـصرت لـنحس الـصد صـباً متـيماً وهمــت لحــسن القــد ولهــان حــايرا

«ق٧١أ»

وهمت النـوى فـازداد قلبـي مـن الجـوى طعمـت الهـوى مـراً وأمـسيت سـاهرا

فلــما رأى مــابي مــن الوجــد والــضنا عـــليَّ فبلغـــت المنـــى عـــاد زائـــرا

مـــشى في دلال مـــايس القـــد أهيفـــا وجــال كغــصن البــان في الهــز ســائرا

وأقبــــل في حـــسن الـــبرود بحليـــةٍ تحــلى وأثنــى ثــاني العطــف خــاطرا

فـــوافى عقيبـــاً خايفـــاً مترقبـــا لــواشٍ قريبــاً خــشية جــاء حــاذرا

وأظهــر وجهــاً عــين شــمس مـضيئة وظــلَّ لــه جــنح الظــلام غــدايرا

لـــه رجـــح نونـــان في حاجبيـــه مـــا بعينــي مهــاةٍ قــد رنــا الــصب حــاذرا

سقام جفـون اللحـظ صـحت بكسرها فـصيرت الـسقيات الـصحاح الفـواترا

وأشرف نـــورٌ في الجبـــين بطـــرةٍ يـــزين بهـــا الـــيلا لـــشمس مبـــاشرا
وقـــد فـــاق الأنـــف في حـــسن وجهـــه بهـــاءً وأزهـــر ورد خديـــه تـــأثراً
ملعـــس ثغـــر أشـــنب الـــدر باســـماً أضـــاء كـــبرق قـــد ترفـــرف نـــافراً
وجيـــداً حـــواه جيـــد ظبـــي مـــشرد وعقـــداً لـــواه عـــسجداً وجـــواهرا
بكـــل صـــفات الحـــسن جـــاء مكمـــلاً وفي حلـــل مـــع حليـــة متفـــاخراً
وفـــاه ينطـــق لي رخـــياً مراجعـــاً ومـــستفهماً لي في الكـــلام محـــاورا
فقـــال أرى في جـــسمك الـــصب ناقعـــاً فقلـــت لـــه لكنـــه بـــان جـــابرا
فقـــال فهـــل كنـــت اصـــطبرت مرحبـــاً فقلـــت ولكـــن طُلـــت في المكـــث هـــاجرا
فقـــال وهـــل عهـــداً بنينـــاه بيننـــا فقلـــت نعـــم عمـــداً وعـــدت منـــاكرا
ألـــيس قـــديماً منـــك قـــد كـــان واقعـــاً بأنـــك ترضـــيني خبـــيراً مخـــابرا
ولـــو زدت مَطْـــلاً في الوصـــال تانيـــاً لكنـــت كمـــن قـــد صـــارني الحـــب غـــابرا
ولكـــن أرى ان الـــدنا أتـــت في الـــصبا وأن الهـــوى يـــزري بمـــن كـــان كـــابرا
عـــدمت الـــرضى والعـــز مـــن شـــيمى إذا رجعـــت لمـــولى اللهـــو إلفـــاً مـــسايرا
ومـــا الـــبرءُ لي إلاَّ التلاقـــي لـــصبوتي ومـــا مخلـــصي إلا لأحـــوى المفـــاخرا
بمـــدح إمـــام قـــام لله داعيـــاً إلى دينـــه حقـــاً مغيثـــاً منـــاصرا
هـــو القـــايم المنـــصور بـــالله ســـاعياً يـــداعي جميـــع النـــاس بالـــصوت جـــاهرا
ألا ياعبـــاد الله لبـــوّ لـــدعوتي فـــإني لـــدين الله قـــد قمـــت نـــاصرا
وقومـــوا بحـــق واجـــب لي علـــيكم يكـــون وفـــاءً كـــاملاً لـــيس قـــاصرا
وذاك همـــا شـــيئان لاعـــذر عـــنهما فأدوهمـــا أمـــوالكم والمزائـــرا
الـــيس بهـــذا الله قـــد دل شـــارعاً بـــلى إنـــه قـــد ألـــزم النـــاس آمـــرا
فأوجـــب معنـــى ماذكرنـــاه محكـــماً بـــنص كتـــاب الله ذاكـــرا
كـــذلك اخبـــار الرســـول تـــواترت فيعلمهـــا ذوو العلـــم مـــن كـــان خـــابرا
فمـــن ســـمع الـــداعي عـــلى الفـــور واجبـــاً بحـــب إمـــام الحـــق ســـعياً مبـــادراً
يقـــول لـــه لبيـــك أنـــت إمامنـــا وســـمعاً لكـــم طوعـــاً فلـــست مغـــايرا

علـى المـرء أن يـسعى نـصيراً مجاهـدا ... فـما أسـعد الـساعي إذا كـان صـابرا

ومـن لايلبـي جائبـاً داعـي الهـدى ... فيأتيـه قـسراً راغـم الأنـف داحـرا

وإلا فـأسراً أو طريـداً متـشردا ... أو الـسيف يمـضي فيـه للـروح بـاترا

فهـو عـذاب واقـع لمـن اعتـدى ... وغـوث لمـن أم الهـدى لـيس فـاترا

ومفنـي البواطـل كلهـا ومبيـدها ... ومحـي لـدين الله بالـسيف شـاهراً

فيـا طالبـاً نهجـاً إلى الله واضـحاً ... عليـك بهـذا انظـر إذا كنـت نـاظرا

وإلا فيلقـى الـسوء عيـشاً منغـصاً ... وتـصبح في العقبـى حـسيراً وحـاسرا

وإلا كيـف لافـيما يوضـح وانجـلى ... فكـن حـاضراً لاتنـأ عنـه مكـابرا

فـإن إمـام العـصر في الفـضل راسـخا ... حـوى كـل شرط كـاملاً متـواترا

«ق٧١ب»

فاحرزهـا طفـلاً جميعـاً ويافعـاً ... وكهـلاً إلى أن صـار للكـل حـاصرا

عـلى ذروة العليـا لازال عاليـاً ... عـلا صـايرا فـوق الـسماكين ظـاهراً

هـو ابـن رسـول الله وابـن وصـيه ... لقـد طـاب أصـلاً شـامخاً وعنـاصرا

حـوى أمهـات الخـير كـلاً باسرهـا ... فمـن أجلهـا فـاق الأولى والأواخـرا

وجـلى عـلى كـل الـورى متقـدماً ... أفاضـلهم طـراً معـاً والأكـابرا

بدعوتـه الغـراء رأينـا دلائـلاً ... تلـوح بإقبـال آثـار البـشائرا

وزحـزح أقطـار الـبلاد جميعهـا ... وعـاد ظلـوم صـاغر الخـد صـاغرا

فأنـت أمـير المـؤمنين ولينـا ... ومـن كنـت مـولاه لقـى الرشـد ظـافرا

ومـن رام عـصياناً لـك وتهاونـاً ... فمـر تطـم لاشـك في نحـري عـاثرا

فوجـه يـا ابـن المـصطفى كـل ماجـدٍ ... أمـيراً بتـدبير يقـود العـساكرا

إلى كـل إقلـيم إلى كـل بلـدةٍ ... إلى كـل خـوان عـن الـدين نـافرا

بخيـل وسـمرٍ وصـباً وبنـادق ... وأنـزل باربـاب المعـاصي الـدوائرا

ودمـر أهـل الظلـم والبغـي والخنـا ... وغـيرّ مناكرهـا وأمـضى الأوامـرا

فتبـاً لهـم أفـسدت مـولاي ملكهـم ... وأعميـت أبـصاراً لهـم وبـصائرا

فيــا خــير أهــل الأرض يــاخير قــائم ويــامن عــلى هــام العــلا صرت عــابرا

أدامــك رب العــرش للــدين حافظــاً ولازلــت محفوظــاً تزيــل المنــاكرا

بـــدعوتك نـــاداك تاريخهـــا بلفظـــه دمـــت يامنـــصور للـــدين نـــاصرا

ومما قاله بعض الشيعة مقدمة إلى حضرة الإمام عليه السلام:

شـــوقاً أقــام القلــب منــي وأقعــدا وصـــبراً أذاب الجـــسم حتـــى تقيـــدا

نحـث الـسرى في الـسعي شـوقاً إلـيكم ونطــوي الفيــافي فدفــداً بعــد فدفــدا

شـكرنا أيـادي العـيش إذا بلغـت بنـا لتقبيـــل أقـــدام الهزبـــر الممجّـــدا

فقــرت عيــون ثــم طابــت خــواطرا برؤيـا إمـام العـصر أعنـي محمـدا

إمـــام أقـــام الله عنـــوان نـــصره وأحيــا بــه الإســلام أيــضاً وشــيدا

ووفقـــه المـــولى لطـــوع مـــراده وكـــان لـــه عونـــاً معينـــاً مؤيـــدا

ولمـــا رأينـــا في الوقـــوف غنـــيمٍ لديـه أنخنـا العـيس نحـضى ونـسعدا

وماكــل نجــم في الهــدى يقتــدى بــه ولا كــل نــارٍ عنــدهم توجــب الهــدا

فيــا أيهــا المــوروط في لحــج الهــوى إلى ســوحه تمــم لتهــدى وترشــدا

وقــف بحــماهِ خاضــعاً متواضــعاً وادع كــريم الــصفح تومــاً ومفــردا

ومــن فــضله تحــضى بــما أنــت آمــل وحاشا عـريض الجـاه يـضلل مـن أهتـدا

ودع مـا سـوى المنـصور مـن يرتجـى بـه منـارا الهـدى والنـاس مـن دونـه صـدا

وقفنـــا بـــاب العـــز عـــدة أشـــهر وطفنـــا حواليـــه مـــراراً معـــددا

ومــرت بنــا الأيــام كأضــغاث حــالمٍ ورؤيـــاه إنـــساناً لأهلـــه في المـــدا

فـــنعم شريـــف شرف الله قـــدره ويــانعم ســيداً قــام في النــاس ســيدا

وحاشــا بــأن قــد مــر في الــدهر مثلــه وكــلا بــأن يــأتي بــه الــدهر سرمــدا

أقــل عــصبة لاذوا بعفــوك والتجــوا يريــدوا فكــاك الأسر كــن لهــم يــدا

وألــق جنــاح الــذل منــك تفــضلاً واقــبلهم رقــاً رضــوا بــك ســيدا

واردد غلاهـــم غاضـــضين أكفهـــم من الغيض وأرجع منهم الطرف أرمدا

واكفــل بهــم مــن يحتفــل برجــوعهم وأوصـــلهم مـــأمنهم أنـــت مرشـــدا

لتـــستكمل الفعـــل الجميـــل جميعـــه وتـــستولي الـــذكر الجزيـــل أنـــت مفـــردا

وتبقـــى لـــك الأشـــخاص مـــادٍ أكفهـــا بليـــل وأطـــراف النهـــار مـــدا المـــدا

«ق٧٢أ»

وتملـــك صـــغار القـــوم ثـــم كبـــارهم مـــدى الـــدهر مـــا أبقـــاك مـــولاك وأبـــدا

إلـــيكم فهـــا هـــي سـيدي قـــد أتـــتكم تجـــر ذيـــول التيـــه في ثـــوب مولـــدا

تقبلهـــــا مـــــولاي إني جاهـــــل عـــن الـــشعر والآداب أعمـــى مقـــوَّدا

ولـــيس لنـــا غـــير الـــدعاء مـــن وسـيلة إلى الله يجعلكـــم لـــدى الـــدهر أثمـــدا

وصـــلي إلهـــي كـــل يـــوم وليلـــة عـــلى أحمـــد والآل مـــا الطـــير غـــردا

الجزء الثاني من الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين

للعلامة علي بن عبد الله الإرياني

الجزء الثاني من السيرة المنصورية:

حوادث سنة ١٣١٦هـ[1]

الحمد لله مصرف الدهور، ومدبر الأمور عليوقف حكمته العالم بما تمكنه الصدور، وتخفيه الصدور، لايغادر شيئاً من خليقته. أحمده حمد معترف بالتقصير والقصور، وأشكره على أنعامه الذي ليس بمقطوع ولا محصور، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله النبي المشهور، صاحب اللواء المنشور صلى الله عليه وعلى آل بيته المعمور.

أما بعد فلما كانت الوقايع الحادثة في سنة ١٣١٦هـ حقيقة بأن يفرد بالتأليف وتجمع بالتصنيف، رأيت أن أفردها في هذه الكراريس بلفظ يفعل في الأسماع فعل الخندريس[2] .

اعلم أنها دخلت سنة ستة عشر وثلاث مائة وألف وقد أشتد على الناس البلاء وعظم القحط والغلاء، وعم جميع الأقطار هذا الابتلاء، فارتفعت الأسعار حتى بلغ السعر في بعض البلاد إلى ستة أنفار، وغلي كل شيء وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس **﴿وما أصابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيدِيكُم وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾**[3] وإنما يكون تتابع القحط والسنين عقوبةً وزجراً للظالمين والمقصرين عن نصرة الحق المبين، وبعد قيام الحجة ووضوح المحجة كما كان ذلك سنة الله في الأمم السابقين. وقد حكى الله تعالى في كتابه قال الله تعالى **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهلَ القُرَى ءامنوا وأَتَقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَآء والارض ولكن كَذبوا فأَخذناهم بِمَا كانوا يَكْسِبُونَ﴾**[4] **﴿وَلَقَدْ أَخَذْنآءَ آل فِرْعَوْنَ بالسّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرات لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُون﴾**[5] ، **﴿سُنَّةَ الله فِي الَّذينَ خَلَواْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً﴾**[6].

---

(١) ١٣١٦هـ ١٨٩٨م.

(٢) الجندريس: من أسماء الخمر.

(٣) سورة الشورى، آية رقم (٣٠) .

(٤) سورة الأعراف، آية رقم (٩٦) .

(٥) سورة الأعراف، آية رقم (١٣٠) .

(٦) سورة الأحزاب، آية رقم (٦٢) .

وما زالت هذه السنة قائمة في أئمة الحق ودعاة الدين إذا لم يظاهروا على القيام بـما يجب لرب العالمين، إذ هم ورثة المرسلين وأن الناس لما صموا عن إجابة داعي الهدى وعموا عـن القيام بما تحب لله الذي لم يتخذ صاحبة ولاولد، فلم ينكروا منكراً ولا أمروا بمعـروف بـين الورى، بل صار الأهم المقدم عند الخاص والعام جمع الحطام، كأنه الأمر الذي خلق لأجله الأنام وليد اللازم الذي يجب به الاهتمام، حتى عظم الخطب وطم، وصار طلب الحق غربة عند جميع الأمم، وتسلط عليهم أعلاج العجم وماربك بظلام للعبيد.

اعلم أن أول الحوادث المخرج العظيم الذي قصد به محل ولاية العجم صنعاء اليمن.

ذكر المخرج المذكور لقصد محاصرة العجم ومضايقتهم في مدينة صنعاء، وصفتها أنـه في المحرم مفتاح السنة المذكورة كتب إلى حـضرة الإمـام عليـه الـسلام قبائـل حاشـد وبكيـل يطلبون منه أن يجهزهم لجهاد العجم وأعلنوا أنهم يريـدون بـذلك إرضـاء الـرب الأكـرم، فاسعد لهم الإمام عليه السلام فيما أرادوه خشية من الوقوع في التقصير فيما يلزم ومع ذلـك «ق٧٢ب» فإنه عليه السلام في مقاصدهم يتوسم وأنهم يسرون ما لايعلنـون وأنـه لم يكـن لأولئك الأقوام نية خالصة في تحصيل المرام إلاَّ في جمع الحطام، فلاحول ولا قـوة إلا بـالله. ولما ألحوا على الإمام عليه السلام جهزا لمقادمة، وأرسـل الـوكلاء لتقـسيم المـصروف بـين أولئك الملأ وجعل القوم على رايتين راية لحاشد وراية لبكيل. وجعل المقـدمي عـلى حاشـد سيدي العلامة الماجد صفي الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين، وعـلى بكيـل الـسيد الهـمام ذي المجد الأثيل سيف الإسلام محمد بن الإمام المتوكل على الله عليه الـسلام. فأمـا حاشـد فاجتمعت إلى خمر يوم الأحد ثامن شهر محرم الحرام، وارتحلوا منها يوم الإثنـين، وحـصروا فكانوا أحد عشر مائة مـن دون رؤسـاهم. وكـان مبيـتهم مـن هنالـك في هجـرة الـصيد[1] ليستلحقوا رجال خارف. وبعد أن أجتمعت رجال حاشد بمن أنضاف إليها مـن سـفيان، ارتحلوا حتى وصلوا إلى تحت قرية ناعط، وكانوا حينئذ فوق عشرين مائة وباتوا في هزم، ثم ارتحلوا عنها إلى رقة همدان[2] وانضاف إليهم هنالك رجال همدان فصار قدر الجميـع حينئـذ

---

(١) هجرة الصيد: قرية عامرة في بني الفياض من خميس هراش في ناحية خارف، محافظة صنعاء، وتقـع شرق ريـدة البون على مسافة ثمانية كيلومترات. (القاضي إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٤، ص٢٢٩٠) .

(٢) رقة همدان: قرية في عزلة جشم، ناحية همدان، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٠٩)

أربعة آلاف أو يزيدون، وصلى بهم صفي الإسلام الجمعة في رقة همدان ووعظهم وذكـرهم نعم الرحمن، وأمرهم بالطاعة ونهاهم عن الفشل والعصيان، ونشرت الرايات ومضت الجيوش طريق ضوطان[1] وباتت متفرقة في قرى همدان. وفي اليوم الثاني ارتحلوا وباتوا في الدمم وفي مسيب إلى أثناء الليل ووصل الخبر إلى أولئك العسكر أن عفش الوالي الجديد حسين حلمي في متنة، وأنه سليقاه جماعة من العجم الذي في صنعاء إليها، فطمع القوم في ذلك، وحسبوا أنهم سينالون ذلك غنيمة بلا محنة، فسرى القوم ليلاً لأخذ ذلك المتاع، ومصارع العقول تحت بروق الأطماع، فلما وصلوا إلى متنة عجل بعض القوم، فرمى بندقاً قبل أن بتمكنوا من المراد وأنه لمن الأوغاد، وكانت العجم حينئذ خارج القشلة يصيدون الجراد، فلما سمعوا صوت البنادق أسرعوا إلى الدخول، وحصنوا المراتب فخاب ذلك المأمول، وتبين الظن الكاذب، ودار مع الحرب فيما بين العرب والعجم أربعة أيام على التمام حتى غار أحمد فيضي بمن معه من صنعاء، وقد ضاق بهم ذرعاً. وطلع الوالي الجديد من مناخة إلى أن وصل الخميس. وفي الليل عزمت العجم بأجمعهم صنعاء، فارتفعت العرب من القذف، وفي الله عن كل فايت خلف، ودخلت العجم صنعاء في الليل صحبة الوالي والمشير، وظهر حينئذ نشوم ذلك التدبير. وقتل من العرب عشرة قتول ومن العجم كثير نحو الأربعين وعزمت الأجناد بعد ذلك بلاد همدان، وباتوا في أكمة الحبارنة.

وفي الصباح ظهرت النِّية الكامنه فتفرقت تلك الجموع ولم يبق إلا اليسير. وفوق تدبيرنا لله تدبير.

ثم أن الصفي عزم بمن بقي معه إلى الرقة وفي أثناء الليل لحقه عز الإسلام واجتمعا في الحطاب[2] وبعد المراجعة أجمعوا على أن يعزموا إلى الحيمة، فعزموا من الحطاب وباتوا في قرية الغيل[3] .

---

(١) ضوطان: وردت هكذا في المخطوطة، والأصح هي طوظان وهي قرية تتبع عزلة بني مكرم، ناحية همدان، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١١٠) .

(٢) الحطاب: من قرى ناحية همدان شرق شمال المَعْمَر شمال صنعاء. (التعداد: ١٠٨ ؛الحجري: المجموع، ج٢،ص٢٧٧) .

(٣) الغيل: قرية تتبع عزلة بني مكرم، ناحية همدان، شمال صنعاء. (التعداد: ص١١٠) .

واجتمعت القوم إلى بوسان وعزموا صحبه عز الإسلام. وباتوا في درب هزم[1] وانقطع عليهم الماء حتى بذلوا في الغرب[2] ريال فلم يوجد، فأنزل الله المطر في تلك الساعة، فكان ذلك معدوداً من كرامات إمام الجماعة. هذا ماكان من خبر حاشد ومن أنضاف إليهم.

وأما بكيل: فاجتمعوا صحبة مقدميهم عز الإسلام الأسد الضرغام وكان اجتماعهم إلى رجام[3] وحضروا هنالك نحو أربعين مائة، وتفرقت الرايات في الغراس[4] وعزمت الأجناد، «ق٧٣أ» قاصدين الروضة والتقاهم عقال الروضة في شرقي البلد، وتراجعوا وتفرقوا ولم يضبطوا على ضابط ولاربطوا أمورهم برابط. فأمر القوم عز الإسلام بالقدوم، فلما دخلوا الروضة لم يسعد لهم أحد بفتح بابه، فضربوا الأبواب بالفؤوس والأحجار، ودخلوها بالكرة والأجبار، ثم قصدوا بيت الشيخ مقبل بن صالح دغيش شيخ بني الحارث، فأظهر الخلاف واضرم نار الحرب حتى قتل ثلاثة من أرحب فأحاطوا به الأجناد من الجهات الأربع، وأحرقوا باب الدائر فنادى بالسلم حين لاينفع. وقد كانوا قبل الاقتدار عليه خَيّروه بثلاث فأبى إلا إضرام النار، فلما خرج إليهم سارعوا إلى مافي بيته من الخيل والأثاث والحبوب، فكان الجميع من المنهوب، وأوصلوا الشيخ الظلام إلى حضرة الإمام وكذلك الخيل، وكان الشيخ المذكور شديد الميل إلى العجم متجاسراً على ظلم الضعفاء، ومتحرفاً عن الحق الداعي إليه إمام الحنفاء. وبعد القبض عليه ومن صحبته من أعوان العجم صار ذلك يُعدُّ فتحاً في الإسلام، وفرحاً على الضعفاء والأيتام ومطابقاً لإرادة الملك العلام، ولم يزل الإمام عليه السلام يتطلبه سابقاً بالفتك به والقبض عليه. وما قدمناه من الإشارة إليه لما عظم ضرره على المسلمين.

وهاهنا مسألة: يجب الوقوف عليها ليعلم أن الإمام مسدد من الملك العلام، عن الخطأ

---

(١) درب هزم: قرية وعزلة في ناحية أرحب، محافظة صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٧٥١، التعداد: ص١٦١).

(٢) الغرب: الرواية التي يُحمل عليها الماء، والغرب دلو الماء (ابن منظور: لسان العرب، ج٢،٩٦٧).

(٣) رِجَامْ: قرية مشهورة في ناحية بني حشيش بالقرب من صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٥٩).

(٤) الغِراس: قرية في ناحية بني الحارث بالقرب من صنعاء. فيها حصن ذي مرمر، فيها قبر الإمام المهدي أحمد بن الحسن، صاحب الغراس. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٦٢٢).

فيما يأمر به من المسائل والأحكام، وهي مسألة جواز قتل المـضّر مـن الآدميـين[1] كيـف مـا أمكن وربما يستنكر هذا من لم يكن له في الفقه قدم، بل هو أجهل من راعي غنم، فـإن هـذه المسألة مجمع عليها بين المسلمين، لم يخالف فيها أحد من العلماء العاملين، أعني جـواز قتـل المُضر من الأوادم، ومن أعظم المضرين أعوان الظلمة، فيجوز الفتك بهـم كيـف مـا أمكـن ولو غيلةً ولو بنحو السم. وقد نص على هذا جماعة من العلماء، وفي أمر رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم بقتل كعب بن الأشرف غيلةً، وكذلك عبد الله بن رافع ما يدل على ذلـك، وكذلك في أمره صلى الله عليه وآله وسلم بقتل الفواسق الخمس[2] في الحرم، والحَّل المـضرر اللازم لهن طبعاً، فلا يعترض ذلك إلا من أضله الله على علم، وختم على قلبه وجعـل عـلى بصره غشاوة. ولقد عم ضر أعوان الظلمة من المـشايخ، فمـن فـوقهم ومـن دونهـم حتـى ساموا الرعايا سوء العذاب، وتركوهم في ملاحس البقر ومرابض الكلاب. فلم يزل الإمام عليه السلام يأمر المسلمين بالفتك بأعوان الظلمة أهـل الـضرر، حتـى أخـافوهم في البـدو والحضر، فجزاه الله الجزاء الأوفر، ولاعبرة لمن اعترض، ممن في قلبه مرض.

ولما بلغت الأخبار إلى أعداء الله العجم، وأعوانهم المشايخ قبْض دغيش تـنغص علـيهم العيش، وكادت تزيغ قلوبهم وعقولهم من الطيش، ولما قبضت العـرب الروضـة خرجـت الأعاجم من صنعاء فرتبـوا شـعوب[3] ، فتقـدمت إلـيهم الأنـصار حتـى وصـلوا إلى قريـة الدجاج، «ونوبة النصف» ، «ونوبة عطية» [4] وباتت الكسيرة[5] في العـساكر العجميـة حتـى أدخوهم صنعاء المحمية.

(١) الآدميين والأوادم: من الناس، آدم جمع أوادم: أبو البشر ويطلق عـلى أفـراد الجـنس البـشري، والنـسبة آدمـي. (منجد اللغة: ص٥) .

(٢) الفواسق الخمس: عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس مـن الـدواب كلهن فواسق يقتلن في الحّل والحَرَم، الغراب، والحـدأة، والعقـرب، والفـأرة، والكلـب العقـور. (محمـد بـن إسماعيل الأمير: سبل السلام، المجلد الأول، ص١٩٤) .

(٣) شعوب: ضاحية صنعاء الشمالية القديمة، أما الآن فشعوب حي من أحياء صنعاء القديمة.

(٤) قرية الدجاج ونوبة النصف، ونوبة عطية: تسميات لأجزاء مـن منطقـة شـعوب، خـارج بـاب شـعوب، أحـد أبواب صنعاء الشمالية القديمة.

(٥) الكسيرة: أي الهزيمة.

وفي اليوم الثاني خرج أحمد فيضي ومن صحبته من العساكر والمدافع، وكانت الأجناد المنصورية قد تفرقت في الجراف وبيت عرهب وكانت نِهْم حينئذ وبعض بني حشيش، وبعض أهل السر في المطلاع «ق٧٣ب» فتقدم أحمد فيضي على الذي في المطلاع، فافتشلوا وانهزموا فحصل الوهن في المطارح، وتفرقت أيدي سبأ في البقاع. وقد كانوا قبل ذلك نهبوا سوق الروضة وأكثروا الفساد ولم يراقبوا رب العباد، وتبين أنه لم يكن لهم نية صادقة في الجهاد، إلاَّ تحصيل الأطماع الآيلة إلى نفاذ، فلما تفرقوا رجع عز الإسلام بمن بقى معه إلى الروضة. وفي الليل عزم عز الإسلام بمن بقي بلاد همدان، حتى اتفق بالمولى صفي الإسلام، ثم عزما بلاد أرحب لترديد من شرد وهرب، حتى أجتمع لديهما بعض العسكر، فَكَرَّ عز الإسلام راجعاً بقصد بلاد الحيمة، وبقي صفي الإسلام في بوسان لاستلحاق بقية القوم، وبات عز الإسلام في بلاد همدان، وفي اليوم الثاني ظلمان وبيت عباس، وقبض الرهاين من عياش ومن الأسد من مشايخ بلاد البستان، ثم توجهت العسكر الحيمة حتى وصلوا إلى بيت الشقاقي[1] وفي اليوم الثاني طلعوا لترتيب بيت معدن[2] وما إليه، وطلب المقدمي عز الإسلام الشيخ محمد بن محمد الحلبة بأن يخرج إليه مؤمناً فبقى متردداً عن الخروج والقوم محيطون في البيت، ثم ان أحد القوم وهو الشيخ أحمد بن محمد الشقافي رمى إلى البيت، وتقارحت البنادق من خارج، فأصيب الشيخ المذكور برصاصة وزوجته وثلاثة مكاوين، فنادى أخوه بالطاعة وعقر وخرج. ودخلت العسكر البيت فأخذوا جميع مافيه وكان فيه شيء كثير من الأثاث. ومن أغرب مايُذكر أن والد الشيخ محمد الحلبه كان في مدة جهاد المتوكل على الله المحسن بن أحمد للباطنية مقترباً[3] إلى الباطنية وناصرهم أعظم المناصرة. وكان المقدمي إذ ذاك الإمام عليه السلام وكان ماكان. ولم يقدروا عليه لحصانة بيته، ولقد رأينا مكتوباً أوصلوه إلى الحضرة الشريفة، من بين أثاث ابن الحلبة جواباً على والدة من الداعي صاحب عتارة، وفيه من الحث على محاربة الإمام واستهانة جنات الحق فانظر كيف وقعت العقوبة بلاقصد إلا اتفاقاً.

---

(١) بيت الشقاقي: قرية في عزلة الأحبوب، ناحية الحيمة الداخلية، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٤٢)

(٢) بيت معدن في أعلا جبل النبي شعيب.

(٣) مقترباً: أي متقرباً ومؤازراً.

ولله في طي المقادير حكمةٍ 		يدبرها في خلقة بزمام

ثم بعد أن قضوا وطرهم في ابن الحلبة، ارتفع المطرح بيت معدن وبقى عـز الإسـلام في بيت الشقافي، ووصل إلى هنالك صفي الإسلام حفظـه الله وصـحبته مائـة وخمـسون نفـراً وبعد أن وقعت بينهما المراجعة بما يحسن من جميع القوم في الحيمة أو تفرقهم، لتـشتيت نظـر العدو فوقع الاتفاق على عزم صفي الإسلام بمن معه إلى بني مطـر، فعـزم حفظـه الله عـلى حسب ما عليه الرأي استقر، فوقع المقر في بيت الشيح الحـاج أحمـد الرمـاح، وهـو حينئـذ كبشهم النطاح، وكان يتوسم فيه الخير والصلاح، ويرجى منه الفلاح، فظهر منه كما وصـفه لي سيدي العلامة صفي الإسلام بين الحمى المسنون[1] وانعكس ماكـان تظـن بـه المؤمنـون. وأخبرني سيدي سيف الإسلام أيضاً، أنّه عَرَّف الإمام عليه السلام بما صدر من الحاج أحمد فنهاه الإمام عليه السلام عن التعرض له رعاية لما سبق منه، وجعل هذه واقعة حال محتملة. ولقد أخبرني سيدي الصفي حماه الله، إنهـا وصـلت إليـه كتـب مـن صـنعاء ممـن لـه تعلـق بالعجم، وفي طيها كُتب أُخذت من يد رسوله، حاصلها أن الحاج أحمد الرماح التزم للعجم أن يخادع المقدمي حتى يخرجه من بلاد البستان ونحو ذلك مما يدل على نفاقة وكتم شـقاقه. وكان يكتب إلى حضرة الإمام عليه السلام بما يغريه بالمولى صفي الإسلام ويغرر على الناس بجواب الإمام عليه السلام، ويمنعهم من تسليم الزكاة إلا إليـه حتـى صـح لـدى سـيدي الصفي ذلك فَهمَّ «ق٤٧أ» بالقبض عليه، وإيصاله إلى الإمـام عليـه الـسلام، وأمـر بـذلك الشيخ يحيى بن يحيى دوده، والشيخ أحمد بن يحيى فارع، والشيخ ناشر بن مرشـد العرينـي، فطلبوا من المولى الصفي أن يجعل لهم خطاً بأيديهم ليشهد لهم أن ذلك بـأمر المقـدمي، فلـما فعله لهم لم يعلموا به بل تَحَظّوا به عنـد الحـاج أحمـد الرمـاح وأنـذروه (مِـنْ)[2] ابـن فـارع وأصحابه، فنشأت العداوة بين الحاج أحمد الرماح وبين همدان، حتى أن الحاج أحمـد أظهـر المخادعة ونهى أهل بلاد البستان عن قبول أحد من أهل بلاد همدان، وان بينهم سوابق من الأضغان، فأجمعوا على هذا وخدعوا وكيل الإمام عليه الـسلام الفقيـه الزاهـد عبـدالرحمن

---

(١) الحمى المسنون: الحَمَّ الحرارة، وحُمَّةِ السِّنان هي حدبة، حم الظهيرة أي شدة حرها. (ابن منظور: لسان العـرب، ج١، ص٧٢٦).

(٢) تم اضافتها ليستقيم المعنى.

الجُماعي، وتفاوضواهم وإياه أن المقدمي يرفع همداناً والتزموا بتحصيل ألف مقاتـل وألـف قدح طعام وألف ريال، فلما ظهر ما ذكر على همدان تراجعوا هم وسـيدي الـصفي في هـذا الشأن، ورأوا أن عزمهم أولى من بقاهم خشية تفاقم الأمـور وثـوران الفتنـة، وجعـل لهـم سيدي الصفي أمراً إلى سامك لإعانة الشيخ عبدالله بن عبده راجح، وإعانة مـن في الحيمـة من أهل الجهاد. ثم أن سيدي صفي الإسلام مازال متردداً في بلاد البستان فاستقر كثـيراً في المراحضة[1] قرية أعلى الجبل المشرف على قاع حزيز[2] وأرتل[3] ووصل إليه الشيخ عبدالله بـن عبده بمن معه من الأجناد على بقاء الشيخ عبدالله في بلاد الروس، فعزم من لديه وطـرح في سامك.

ولا بد بذكر تمام قصته عقيب هذا إنشاء الله تعالى.

ثم إن سيدي الصفي حماه الله انتقل إلى بيت الجعدبي، فجاءته كُتـب سـيف الإسـلام أن العجم مجتمعون في متنة ماندري بإينا يبدأون، فأراد صفي الإسلام أن ينتقـل إلى بيـت رَدَمْ، ليتحصن بذلك من هجوم العجم بعد أن جمع أهل البلاد وقالوا لا أحصن مـن بيـت ردم، فقصده فتلقاه أهل بيت ردم بالحرب عند أن بلغ بالقرب منه بحيث يـصل إليـه الرصـاص فتقدم إليهم أصحاب صفي الإسلام فقبضوا البيوت الشرقية وبعض الغربية، وقتلوا مـنهم تسعة واستشهد من الغرب أربعة وقبضوا بيت ردم.

وأما العجم لما رأوا أن قد تحصن صفي الإسلام في بيت ردم تقدموا على سيف الإسـلام محمد بن الإمام المتوكل إلى بيت معدن فكان ماسيأتي ذكره.

وأما سيف الإسلام لما وقع مطرحة في بيت معدن، ووقع سـياق الكفايـة للعـسكر مـن جميع الحيمة، وفي خلال ذلك أرسل نحو سـتين رجـلاً إلى رحـاب للقـبض عـلى الحمولـة الواصلة من صنعاء للعجم الذي هنالك، فلما وصلوا إلى هنالك، تقدموهم إلى الطريق أهل البنادق الفرنصاوي[4] عشرون رجلاً وأخذوا ستة جمال وما فوقها مـن الأحمـال. وبـاتوا في

(١) المراحضة: قرية في عزلة دايان، ناحية بني مطر، محافظة صنعاء، (التعداد: ص٦٩) .
(٢) قاع حزيز: القاع هو الوادي ، جنوب صنعاء في ناحية سنحان (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٥٨) .
(٣) أرتل: من قرى ناحية بني مطر، محافظة صنعاء. (المقحفي: المعجم، ص٢٥) .
(٤) البنادق الفرنصاوي: أي البنادق الفرنسية.

رحاب ونامت الحراس فما شعروا وقت الفجر إلا والعجم بهم محيطون فطلع منهم ستة أنفار حصن رحاب فوقع الحرب بين أولئك النفر وبين العجم من الفجر إلى ثلث الليل، حتى نفذت المونة على اولئك النفر. وكان قدر العجم ألف رجل ومعهم ثلاثة مدافع، وقتل منهم العدد الكثير واستشهد من العرب واحد وأما الأكوان ففي الجميع ولله درهم فلقد حازوا المجد الرفيع، وقد كانت أغار على أولئك النفر رجال من حاشد وأرحب فتلقاهم طائفة من العجم فمنعوهم عن الوصول إلى النفر وبعد انقضاء الحرب رجعت العرب إلى بيت «ق٤٧ب» معدن ورجعت العجم على أدبارهم.

وفي هذه المدة وصل سيدي العلامة عماد الإسلام يحيى بن حسين الكحلاني حماه الله، وصحبته ثلاث مائة مَدَدْ من حضرة الإمام عليه السلام، وكان وصوله بني النمري، وتكاتب هو وسيف الإسلام وتقدم عماد الدين على العرّ، وهو حكومة العجم[1] فغنموا من هناك الغنائم، وكان لهم بذلك الفخر الدائم.

واحتاز الترك إلى المنصورة وأرسل سيف الإسلام إلى سيدي العماد بأنهما يشتركان في الغنائم والجهاد فلم يسعد عماد الإسلام، وكل له مقصد ومرام وبعد إنها توجهت العجم إلى بيت معدن.

وقعة بيت معدن:

وصفتها أن العجم قصدت بيت معدن، فوقع بينهم وبين سيف الإسلام حرب شديد، وأبان العرب في ذلك شجاعة ما عليها مزيد، وحازوا بذلك الفخر المديد، وكان قد استنصر سيف الإسلام بعماد الدين فلم يسعفه بذلك المطلب، ولكنه وصل لسيف الإسلام مدد غير مترقب وهو الشيخ محمد مبخوت الأحمر والشيخ أبو هادي وقتل في هذه الوقعة من العرب خمسة عشر ومن العجم كثير شاع ذكرهم وانتشر ونزلت العرب بيت الشقافي، وقد بلغت النفوس التراقي.

---

(١) حكومة العجم: المقر الحكومي للأتراك.

وقعة العرّ:

ثم أن العجم تقدمت إلى العر ودارت الحرب فيما بينهم وبين أصحاب سيدي العماد، فخرجوا منها بعد أن فعلوا فعل الآساد، وجاهدوا أشد الجهاد، ولم ينصرهم أصحاب سيف الإ سلام، والبادي أولى بالملام، وبعد ذلك عزم سيدي العماد الحطير

وبيت ذرة(1) وبقى هنالك أسبوع وبعد ذلك تقدمت عليهم العجم.

وقعة بيت ذرة والحطير:

وصفتها أن العجم تقدمت على العرب حتى وصلوا إلى الأبواب فتلقاهم السيد العماد بمن معه من الأصحاب بعظيم الجلاد والضراب. فلما رأى عز الإسلام ماألم بتلك الأقوام أمدهم، وكان له في ذلك الفخر الذي لايرام، ودامت الحرب من فجر إلى ثلث الليل وقُتِلَ من العجم نحو الثمانين ومن العرب خمسة، وانتقل سيدي العماد من ذلك المحل إلى بيت الغيثي فبقى فيه نحو أسبوع.

وقعة بيت الغيثي(2):

وصفتها أن أرحب تقدمت إلى قرية تحت بيت الغيثي مواجهة للعجم، ودارت الحرب بين الفريقين من فجر إلى ثلث الليل وكانت العرب قد عَّمروا(3) مترساً ليرموا العجم فيه فسبقهم العجم إليه في ثلث الليل الأخير، فأخذوا المترس وكان أعظم ضرر على العرب، إلاَّ أنهم صدقو العجم وردوهم إلى مسجد هناك وحازوا العجم فيه، وقد كانوا أخذوا القصب والباروت ليحرقوا من فيه فتَّكوَّن راجح بن حسين وجماعة، فأنهزمت العرب وانحلت المعركة على مائتين قتيل من العجم ولم يقتل من العرب غير واحد ومكان. وانتقلت العرب إلى بيت عبيد وبيت محمود(4)، وقد أرضوا بما فعلوا الرب المعبود، فرمتهم

---

(1) بيت ذرة والحطير: من قرى عزلة الحدب، ناحية الحيمة الداخلية، حافظة صنعاء، (التعداد، ص٣٨).

(2) بيت الغيثي: قرية تتبع عزلة الحدب، ناحية الحيمة الداخلية، محافظة صنعاء (التعداد: ص٣٧).

(3) عمرَّوا مترساً: بنو متراس وهو الحاجز من التراب أو الأحجار.

(4) بيت عبيد وبيت محمود: قريتان في عزلة الحدب، ناحية الحيمة الداخلية، محافظة صنعاء. (التعداد: ص٣٧)

العجم بالمدافع إلى بيت عبيد فلما وجدوا الموضع غير حصين انتقل العرب إلى بيت محمـود، وهنالك اجتمع سيف الإسلام وعمادة، والجمع محمود، ولحقتهم العجـم إلى هنالـك فجـراً وأضرموا نار الحرب.

وقعة بيت محمود:

وصفتها أن العجم لحقتهم إلى هنالك فجراً وأضرموا نار الحـرب ودامـت بيـنهم ثلاثـة أيام، وكانت العجم إذ ذاك جم غفير لايقاومهم الا قدرة الملـك العـلاّم، وأخـذت العجـم على العرب أفواه السبيل[1]، وحاصروهم واخرجوهم منه بعد هول مهبل «ق٧٥أ» وانتقـل العرب إلى بني عمر وبني الحذيفي واجتمعوا في حرمة، وأما العجم فإنه نَفِدَ[2] عليهم الـزاد وأُروا ماهالهم من الجهاد، فرجعوا صنعاء وقد ضاقت بهم الأرض ذرعاً.

وقعة عر بني إسماعيل:

وعزم سيف الإسلام بمن معه من الأقوام نحـو بـلاد حـراز، وكانـت طـريقهم بيـت دبلان ثم إلى حصبان، فلما وصل هنالك كاتب عـر بنـي إسـماعيل، وطلـب مـنهم الطاعـة والإمتثال، فلم يسعدوا لذلك المقال، فارتحل حتى وصل شق البلاد[3]، اتفـق هـو وبعـض العقال وأظهروا بعض طاعة وأمتثال، وطلب منهم رهاين ليظهروا له الكامن، فرجع شيخ البلاد لينظر ماعند أصحابه فاظهروا الفساد، ورموا أصحاب سيف الإسلام، بعد أن أعلن بالأمان فحملت عليهم القوم (ح)[4] حملة واحدة، وكسروا الأبواب ودخلـوا عنـوة ونـدم أهل العر على هذه الهفوة، وقتل من أهل العر خمسة وعشرين من أصحاب سـيف الإسـلام مقتول واحد، ونهبوا جميع ما في العَّر فكانوا كبشهم المحتضر، وتفرق القوم بذلك الحطـام،

---

(١) أفواه السبيل: المياه أوالآبار التي توضع في الطرقات يشرب منها المارة من المسافرين.

(٢) نَفِدَ: ونفاداً الشيء فرغ وانقطع وفنى. (المنجد: ص٨٢٣).

(٣) شِقْ البلاد: بالعامية بالقرب بجانب، أما لغوياً فالشق الجانب الواحد من الإنـسان، الـشقيق، الناحيـة اسـم لما نظرت إليه أي النصف من كل شيء. (المنجد في اللغة: ص٣٩٦)

(٤) هكذا وردت ولم أتوصل إلى معناها.

وكل واحد منه موقر[1] ولم يبق إلا القليل من القوم صحبة عز الإسلام، فعزم بهم راجعاً إلى حضرة الإمام عليه السلام، وبقى السيد عماد الإسلام متنقلاً في الحيمة.

وقعة سوق الإثنين:

ثم إنه وقع الحرب فيما بين العجم وبين أصحاب عماد الإسلام في سوق الاثنين، واستمرت الحرب يومين حرب عظيم، وكان قدر العرب مائة وخمسون، والعجم أربعة وعشرون مائة، ووقع في العجم قتول كثيرة، ثم انتقل العرب إلى بيت الخطابي.

وقعة بيت الخطابي[2]:

ثم أنه لما انتقلت العرب إلى بيت الخطابي ولحقهم العجم إلى هنالك، ووقع الحرب العوان، قُتل فيه من العرب الكثير كما قيل، ثم أن عماد الإسلام مازال ينتقل بمن بقى معه مع قتلهم إلى أطراف البلاد، وفي الجُرف والأوحاد إلى اثني جماد الأولى من السنة المذكورة.

ثم إنه بلغه الخبر أن في الشَّاحِذية[3] من بلاد كوكبان المدير والشيخ محمد الشرفي ومن صحبتهما وذلك من طريق بعض المحبين. فلما وصل إليه الخبر سرى ليلاً فهجموا عليهم وقتل الشيخ محمد الشرفي والمدير، ونهبوا سلبهما ومركوبيهما وأسروا أصحابهما. وفرّ من بينهم الشيخ عبيد وكان فراره بخديعة أوهم عليهم أنه من الخدم، فندم المجاهدون حين علموا أشد الندم. وبعدها كرَّ عماد الإسلام راجعاً إلى المقام الشريف، وكنت حاضراً إذ ذاك، وجرى بينه وبين سيدي المولى حفظه الله كلام وملام، من أجل ما وقع من العسكر الطغام، من نهب من فَتح بيته وأعلن بالطاعة. ولم يزل الإمام عليه السلام يتبرى ويتبرم من فعل أولئك الجماعة مع إنه لارضى لسيدي العلامة العماد فإنه معدود من اكابر الزهاد، وإنما وقع ذلك ممن أنغرز في دماغه الفساد، ولم يقصد بالجهاد رضاء رب العباد.

---

(١) موقر: الوِقْر جمع أوقار الحمل الثقيل، السحاب المثقل بالماء واوقرت الدابة كثُر حملها فهي مُوقِر ومُوْقِرَه. (المنجد في اللغة: ص٩١٣).

(٢) بيت الخطابي: قرية في عزلة بني عمر ناحية الحيمة الداخلية، محافظة صنعاء (التعداد: ص٣٩).

(٣) الشَّاحِذيَّة: عزلة في ناحية الرجم محافظة المحويت (المقحفي: المعجم، ص٣٤٥).

ولم يزل الإفساد والعناد متغرزاً في أدمغة حاشد وبكيل لايخرج منهم إلا النـادر القليـل، ولولا محبتهم لأهل البيت النبوي وامتثالهم لأوامرهم في كل قيل، ومواجهتهم لهم بالتعظيم والتبجيل، لكان يخشى عليهم أن يرموا بحجارة من سجيل. هذا وكان صدور هذه الوقائع في شهر محرم وصفر وربيعين وأوائل جماد الأولى.

وقعة سامك[1]:

وهي قرية من بلاد الروس قريب من ضبر خيرة، وكان وقوعهـا في صـفر. وصـفتها أن الشيخ عبدالله بن عبده راجح وصحبته نحو مائة وثمانين، وصلوا سامك وبقوا فيهـا أربعـة أيام فخرجت عليهم العجم «ق٧٥ب» من صنعاء طابوران والمدفع الكبير، فلما رأى ذلـك بعض القوم، فرّ ولم يخش من اللوم ولم يبق غير ثمانين واستمر الحرب مـن شروق الـشمس إلى بعد العشاء، وقتل من العجم نحو ثلاثين ومن العرب قتيل ومُكان، وبعد خرجـوا مـن القرية بعد السحر ورجعوا بلاد آنس. ولقد أخبرنا الإمام عليه السلام أنه وصل إليه تحقيـق أن المشير عبدالله باشا حصر القتول في حرب الحيمة، وأدخل البيان إلى الوالي حسين حلمي فكان جملتهم سبع مائة مابين قتيل ومُكان. فلما سمع الوالي ذلك قال هـذا قتـال كفـار «ولا مرحبة للعرب أبداً» وكتبوا بذلك إلى السلطان.

فصل: وأما الوالي حسين حلمي فإنه دخل صنعاء في أوائل شـهر صـفر كـما سـقنا آنفـاً بذلك الخبر، وعبدالله باشـا مـشيراً عـلى العـسكر وصـحبته سـته بـوش[2] يـسمون بالهيئـة ورئيسهم حسني بيه، وكان إرسالهم من طرف السلطان لكشف مادة إضطراب اليمن ومـا هو الموجب. فلما وصلوا صنعاء وجدوا الأمور تمـور والـدهر قـد تنمـر للأمـير والمـأمور. وحينئذ أظهروا العدالة، وكتبوا إلى البلدان بالإعلان بهذه المقالة، ولبسوا العمائم وأمـروا أن يلبسها كل مأمور، وأعلنوا بالمراحم وعزلوا المشائخ وبينهم وبـين مـا أعلنـوا فراسـخ، وأن الظلم في صدورهم الراسخ، ولابد يظهر قبل إمكان العمل الناسخ، وإنما هو ماهو ذكـر في

(١) سامك: قرية في عزلة الربع الغربي، ناحية سنحان، محافظة صـنعاء، (التعـداد: ص١٤٢؛ الحجـري: المجمـوع، ج٣، ص٤١٣).
(٢) ستة بوش: والبوش هو جمع الباشا.

العلن، خديعهم لأهل اليمن، وأسروا في نفوسهم أنهم سيقلبوا لهم ظهر المجن. وأما لبس العمائم في ذلك أن الإمام عليه السلام كتب إليهم سابقاً وعّددَ لهم القبايح التي ارتكبوها ومن جملتها أنهم تزيوا بزي النصارى في لباسهم، فحين سمعوا ذلك المكتوب الوارد من الإمام، ظنوا أن لبس العمائم هو الإسلام، وأنه العمل الذي لايحتاج معه إلى شيء من الواجبات على الأنام. فدل ذلك على أن في عقولهم (خبل) وفي إسلامهم (خلل) [1]، فحينئذ تعمم جميع المأمورين وكان ذلك عندهم غاية الدين، وظنوا بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة أن بذلك يُسكِّن اليمن وتُخمد نار الفتن، فانعكس الأمل، وإذا جاء أمر الله لم تغر الحيل. فلما كتبوا بما ذكرنا من الإعلان إلى جيمع البلدان علم عقلاء الناس أن السر غير الإعلام. وحينئذ أضطربت اليمن بما أعلنوه من عزل المشايخ، لأن العجم قد كانوا فوضوا إليهم أمور الرعية، وملكوهم رقابهم حتى عظمت البلية، ولم يخشوا من بطش رب البرية، ومن شكا ضرورته إلى العجم ردوه إلى الشيخ المكرم، ينزل بساحته ما أراد من النقم، حتى ثقلت وطأة المشايخ، لكن العجم خبطوا في هذا خبط خبط عشوى، وصدَّقوا الدعوى، حتى اشتدت المحنة، وعظم اضطرام نار الفتنة. ومع ذلك فإنهم يبطنون للعرب الشر بموجب العدواة الأصلية بين العرب والعجم، فظهر من فلتات ألسنتهم أنه لابد من السلاح والنظام، والقبض على الإمام صانه الملك العلام، هكذا سمعنا منهم ومن أعوانهم اللئام والله غالب على أمره وبيده النقض والإبرام.

وفي هذه المدة خرج من البحر إلى مرسى الحديدة أرزاق كثيرة للعسكر العجمي، فلم يقدر على حملها من هنالك لانقطاع المسالك، بسبب الجوع وقلة البغال والجمال حتى فسد أكثر تلك الأحمال.

ومما يعد من كرامات الإمام عليه السلام:

أن العرب أعنى أعوان العجم مازالوا يعينوهم بالجمال لحمل الأثقال فأرسل عليهما الموتان في جميع تلك البلدان، فما ترى طريقاً من المسالك «ق٧٦أ» إلا وفيها جمل هالك.

---

(١) الكلمتان ما بين القوسين وردت هذا والأصح خبلاً، خللاً.

وفي هذه المدة أخرج الوالي دراهماً وأمـر بـصرفها إلى الفقـراء في صـنعاء، وعـدَّوا بيوتـاً ونفوساً فصادفت غير محلها في أكثر ما صُرف، وترك أكثر الفقهاء الفقراء، فعظم الأسف.

فيها أعلن الوالي أنه سيقرض الناس حبوبـاً، وكَتَـبَ بـذلك إلى يـريم وذمـار. فتـشوق الناس إلى هذا والوفاء بها كتب فإذا هو «برق خلب[1] ووعـد معقـرب[2]» ، إلاَّ أنـه أقـرض أناساً من أحواز صنعاء، ولكن أُسيء في التقاضي صُنعاء.

وفي هذه المدة خرج الرديف من حضرة السلطان السخيف:

وقعة قرية الفصيح[3] من الشاهل:

واختلف الناس في قدرهم، فالمقل يقول عشرة الآف والمكثر مائـة ألـف، والحـق مـابين العددين، فبعضهم دخل صنعاء وبعضهم عزم الشرف زيادة فوق من فيه.

وفي يوم السبت ثامن شهر جمادي الأولى مـن هـذه الـسنة كانـت الوقعـة، وصـفتها أن العجم تقوّت بالمدد الذي وصل لهم فتقدموا على قرية الفصيح وفيها مـن المجاهـدين قـدر خمسة وعشرين، وطايفة من العجـم تقـدموا مـن جهـة الـشاهل فخرجـوا عـلى أعـداء الله العجم، وأصدقوهم بالطعن المحكم فما بقى أحد منهم إلا انهزم، وأرجعتهم كرهـاً ومـن لم يرجع ضربوه بالسيوف ورمته الطوبجية بالمدافع، والمجاهدون من قبلهم كلـما حملـوا حملـةً تلقوهم بالطعن الذي هو السم الناقع، فلما كثر القتل في العجم لم يجدوا بُداً من الفرار، فلـم يبق أحد منهم إلا انهزم، فسلبهم المجاهدون مائة مـن البنـادق، وطفقـوا يقطعـون رؤوس المقاتيل فنهام سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي عن ذلك بعد أن حزوا أربعة وثلاثـين، وكان جملة القتلى أربع مائة قتيلاً والمكاوين مائة وثلاثين، وجملـة الـشهداء مـن المجاهـدين أثنى عشر قتيلاً وأربعون مكاناً. وكان قدر العجم في معركة الحرب سـتة ألآف وجملـة مـن دار عليهم الحرب حتى وصلهم المدد خمسون، ثـم لمـا وقعـت هـذه الوقعـة وتبعـت تلـك

---

(١) برق خلب: مثل يقال كبرق خلب: للبرق الذي لاغيث فيه فكأنه خادع والخُلَّب الـسحاب الـذي لامطـر فيـه، ويضرب لمن يعد ثم يخلف ولاينجز، (المنجد: ص٩٧٣) .

(٢) ووعد معرقب: يقال مواعيد عرقوب تضرب في الخُلْف . (النجد: ص١٠١٣)

(٣) الفصيح: قرية في عزلة جانب الشام، ناحية الشاهل، محافظة حجة. (التعداد: ص١١٧) .

الوقايع المتتابعة زاد غيظ الأعاجم، فجمعوا العساكر من جميع المحاكم وتجهزوا بالقوة التي لايقاومها مقاوم، وارتحل عبدالله باشا بمن معه من العساكر ومن يخذله الله فما له من معين ولا ناصر.

فصل:وفي شهر المحرم من هذه السنة[1]

ارتفعت العجم من بلاد آنس: ولم يبق منهم إلا القليل، وفي مدينة ضوران، أمروا من جهة أحمد فيضى بالتوقف عن الحرب، فحينئذ صفت البلاد للشيخ الجمالي حامل رايات الجهاد والشيخ علي المقداد، فمد يده إلى مغرب عنس وبلاد عتمة وبعض وصاب الأعلى، وأرسل صنوه الحسام الشيخ محسن المقداد إلى بيت نصر محل حكومة العجم في مغرب عنس تابع قضاء ذمار، وكان فيه مدير العجم وضبطيه، فدخله الشيخ الحسام، باستدعاء بعض الرعية وقتل المدير، واستسلمت البقية. ولما قبض الشيخ الحسام بيت نصر أذعنت له البلاد وقبض الرهاين بالحصر والقصر واستلم منهم الرهاين وساق الكفايات كل صادق وخاين، وكاتب مشايخ عتمة، فاذعنوا له بالطاعة، وأظهروا التأسف عما مضى من التفريط والإضاعة، وسلموا له الرهائن والشر في صدورهم كامن، لكنهم رأوا مالاقبل لهم به من الأجناد، وخافوا من الإفساد في البلاد، وقد كانوا كاتبوا العجم فأذنوا لهم بإصلاح شأنهم عند المقداد، وقد كان الشيخ مصلح الريمي ظهرت منه بعض مخالفة فرأى ما لاطاقة لديه، وكذلك الشيخ محمد غيلان قد كان أظهر العصيان، فرأى من النصر العظيم «ق٧٦ب» ماأوجب الاذعان فرهن وساق الكفايات وأمن. فأرسل الشيخ الحسام ببعض الرهاين إلى حضرة الإمام عليه السلام وظن أنه قدتم له المراد والمرام، ولم يواخذهم بما سبق منهم في العام السابق، بل عاملهم معاملة المحب الصادق، ولو أنه اتبع أمر الإمام عليه السلام بالقبض على أولئك المشائخ اللئام، وترتيب حصونهم لظفر بالمطلوب، وأخذ بتبعة ما سَلَف من الذنوب. وأما الشيخ علي المقداد فإنه بقى في بلاد آنس لحصار العجم الذين في ضوران فشدد عليهم الحصار في كل ناحية ومكان، حتى وصل الرديف في شهر جمادي الآخرة، فأرسلوا مدداً بمن في ضوران فحينئذ دارت الحرب بينه وبينهم وقصرت العرب

(١) شهر محرم من هذه السنة ١٣١٦هـ مايو ١٨٩٨م.

عن مقاومة العجم اللئام، فكتب الشيخ الجمالي إلى صنوة الشيخ الحسام ليمده بما قدر عليه من المدد، وكان قد رحبت به الدار في بلاد عتمة وتلك الأقطار، فكان ذلك أعظم الأكدار، وهكذا الدنيا لا تصفوا إلا لطالب، إلا لمن فوض أمره لرب المشارق والمغارب. فمن طلب الدنيا بالدين، فقد رضى لنفسه بالخسران المبين، فلا يغالط نفسه مغالط، فالمقصود رضا الرب، ومادون ذلك وسايط فلما وصل المكتوب إلى الشيخ الحسام من أخيه جمال الإسلام برز بروز الغضنفر الرسال[1]، وأسرع بمن معه من الرجال لإمداد أخيه الجمال. فدارت الحرب بينه وبين العجم مدة، وبعد فلا بد رد للوقايع بينه وبين العجم فصلاً.

وفي شهر ربيع أول، وصل مكتوب من السيد العلامة الصفي أحمد بن محمد الكبسي.لفظه: الحمد لله وحده أيها السيد السند من عليه المعتمد، وفقه الله ووفقنا جميعاً بحق سورة الفلق والصمد. العلامة البحر الذي لايحصى أبد، من زيادة الخير والمدد، محمد بن يحيى بن محمد بن الإمام قارب الله رأيه وسدد، وشريف السلام على ذاته الشريفة ورحمة الله وبركاته، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

وبعد إطلاعي على جوابكم الكريم الدر النظيم الذي يستحق أن يرفع فوق الرأس تكريماً، المحيي للنعمة ﴿ **قَالَ مَنْ يُحْيِ العِظَامَ وهيَ رَمِيمٌ** ﴾[2] احتجت أذهب به إلى حضرة أفندينا الوالي الكريم والخلق العظيم، الأرق من النسيم، وفقه الله إلى رضاه، وسلك به طريق هداه، حسين حلمي، لازال في حمى مولاه، وأطلعته على جوابكم على الحقير[3]، فأجاب صراحة أن ليس القصد إلا حقن الدماء بين المسلمين، وليس أكبر همة سوى ذلك، وأنه يلزم كل من كان سبباً إلى ما هنالك، ورعاية للمنفعة العمومية الإسلامية والاتحاد بينها وسلوك طريق الهداية. ولم أشاهد منه ميل واستعداد عن الخوض في أمور الدنيا، وشروطها وزيادتها ونقصانها، وعجب من سؤال الاستفسار لي عن كيفية الإتحاد، وإنما يريد الإتحاد على رضا الباري مع قيام أركان الشريعة الغراء، وذكر أنه يريد لكم كل الخير الدنيوي والأخروي. أما الدنيوي فالرجوع إلى الوطن والأحباب، والسكن مُعززاً مكرماً

---

(١) هكذا وردت ولم أتوصل إلى معناها.

(٢) سورة ياسين، آية رقم (٧٨) وبداية الآية هي ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ .

(٣) مصطلح يستعمل في اليمن كدليل التواضع.

أميناً مؤتمناً مع رفعة جنابك، وعلو بابك واعتابك، مع الـدخول تحـت ظـل أمـر الـسلطان سلطان الإسلام والمسلمين الذي له اليد العليا والغاية القصوى، في حفـظ بيـضة الإسـلام والقيام بجده وجهده، ودفع شوكة أهل الكفر عن تمـام، مـع اضراب جـانبكم العـالي عـن دُرْسة[1] الإمامة والخطبة والاستقلال، بل لكـم رفعـة الـشأن كـما كـان لأولاد الأشراف في الحرمين الشريفين، واليد الطولي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعزاز كلمة الـدين والتعاون على مـا يـرضي رب العـالمين. «ق٧٧أ» أمـا اسـتقلال بجانـب الأرض أو ادعـاء الأحقَّية والإمامة والخطبة، فلا يكون لدى الجناب العالي. يكون لـديكم معلـوم، لـن نجـد غيرة منه على الجملة. إن فتح باب الاستقلال والإمامة والخطبة مغلق وباب العـز في الـدين والدنيا مفتوح. وتذكر إني رجل لا غائلة لي ولاحيلة، ولاباطن غير الظاهر كما هو الواجب بين أهل الدين والجلة المؤمنين والإسلام والمسلمين، هذا ما علمت منه في الظاهر والباطن. فيا أيها السيد المسلمين في ذمة الجميع، لم الفضل في النظر فيما يدفع عنهم ويـصلح أمـورهم ويدفع فتنتهم ومحنهم وهتك أعراضهم، وسلب أموالهم وخراب ديارهم، كما هو الواجـب عليكم الجميع، ولابد من يوم تشخص فيـه الأبـصار، يـوم لايغـادر صـغيرة ولاكبـيرة إلا أحصاها، ووجدوا ماعملوا حاضراً، ولايظلم ربك أحدا، فانظروا الجميع لما فيه النجاة بين يدي الله. وأنت أولى وأحق بذلك السلام ختام وحرر شهر ربيع آخر سنة ١٣١٦ [2] .

تم المكتوب بحمد الله.

وهذا جواب مولانا الإمام عليه السلام على السيد العلامـة صـفي الإسـلام: أحمـد بـن محمد الكبسي ولفظه بـسم الله الـرحمن الـرحيم: زمـام الهدايـة ونبراسـها وقطـب الدرايـة وأساسها، وحديقة الرواية وغراسها، المجلَّى في مضمار العلوم، الحاوي لمنطوقهـا والمفهـوم، أسبل الله عليه وأبل الرعاية، وألبسه جلباب الوقاية، والسلام عليـه ورحمـة الله، في البدايـة والنهاية. صدورها بعد ورود جوابكم المتضمن إنكم عرضـتم جوابنـا الأول عـلى مـسامع الوالي الأفخم، وأنه صار مُسْتَعَظِماً لسفك دماء المسلمين وأنه لايروم إلا الإتحاد عـلى رضـا رب العالمين،تم تفسير لإتحاد بالرجوع إلى الوطن في ظل

---

(١) الدُرْسة: أي الممارسة، والرياضة (المنجد: ص٢١١) .

(٢) ١٣١٦هـ ١٨٩٨م.

عدالة السلطان الأعظم والخاقان المكرم، وخادم الحرمين ومانعهما عن الشين، وأن الاستقلال غير مقبول، وأن التسمية مرفوضة، إذا كانت بالمعنى المنقول فنقول: أعلم عافاك الله وعافانا من النار ومن عضب الرب الجبَّار، إنك إن كنت قادراً على القول بالحق وأن شق، وعلى المجادلة بالحجة، ولو رمى بك إلى اللجة، من دون تخوف من الوالي الأفخم، ولاتَهيَّبْ واحتشام لمن قعد على سرير الملك الأعقم، فلا بأس في توسطك بما يطابق كتاب الله وسنة رسوله، واصدع من خالفهما منا بالآيات القطعيَّة والأحاديث النبويّة، فالحجة عندنا وعند كل عاقل أقطع من المدافع والجحافل. وإن لم تكن قادراً على ايضاح الحجة فليس في التوسط فايدة وليس إلا إيغار للصدور، والله يشهد علينا إذا لم ننصف من نفوسنا عند معرفة الحجة الشرعية أوالعقلية إلا بطريق المغالبة، فليس فايدة إلى المقاربة. وأنا أنشد الله وننشد الوالي المكرم هل قد وقع الاستقلال للأجانب بأقطار واسعة من بلاد الإسلام، فليكن إلى آل الرسول كذلك استدفاعاً للدعوة النبوية حيث يقول صلى الله عليه وآله وسلم: أنا حرب لمن حاربتم سلم لمن سالمتم[1] والسلام مسك الختام.

وهذا جواب مولانا الإمام عليه السلام على علي مثنى الحسيني، ومضمونه يأتي إن شاء الله في الجواب ولفظه: بسم الله الرحمن الرحيم، هطلت سحايب التحية الرضية، وهنئت أفران البركات السنية على حضرة الياور الأشهر وخادم السلطان الأعظم المظفر، السيف المسلول على من جحد وكفر علي بن مثنى الحسيني حمدت أفعاله وبركت حركاته وأقواله، فإنه مكتوبكم المؤرخ، ٣٠ جمادي الأولى سنة ١٣١٦هـ المتضمن لذكر ما حدث من الاختلاف وأن الواقع في اليمن من المأمورين لا يوجب «ق٧٧ب» عدم الإيتلاف، وأن قد قيل أن قيامنا إنما هو لمطلب الدنيا والرياسة. وأن اللايق بنا سكون صنعاء محل الراحة والنفاسة، وأن من شاهد منكراً أو ظلماً رفعه إلى المأمورين، فإن أزالوا ذلك وإلا رفعه إلى الأبواب العالية، وأنه يجب حقن الدماء، وتسكين الدهماء، هذا مضمون كتابكم فنقول: قد علمت أيها الهُمام أن القطر اليماني مملكة أسلافنا الدولة القاسمية، يأمرون فيه بالمعروف

---

(١) سنن ابن ماجة، الجزء الأول، المقدمة، ص٥٢، سنن الترمذي، المجلد الخامس، باب المناقب، ص٦٩٩) .

وينهون عن المنكر، ويعملون ويعاملون بما يطابق فيه كتاب الله، وأفصحت عنه سنّة رسول الله، إلى أن خرجت العساكر السلطانية إلى عسير فكاتبوهم جماعة من أشرار أهل اليمن يطلبون وصولهم إلى صنعاء فوصلوا، وحصل السرور مع كافة الناس ظناً منهم بإقامة الأحكام الإسلامية المطابقة للنصوص القرآنية والسَّنة النبويَّة، ويرفعون المظالم الردية، فلما استحكمت الوطأة ظهر الخمر كأنه الماء الزلال، وظهر استحلال فروج النساء والأطفال، وظهر الربا في المعاملات كأنه المال الحلال، وبلغ الظلم للضعفاء حد الغاية حتى يتمنى الزارع أن يكون أجيراً للمأمورين، فلا تسمع له شكاية، وتولى النصارى في مدن الإسلام، وصارت لهم الهيبة والعناية. فبذلك نزع الله بركة اليمن، ومنعوا في الأغلب قطر السماء، وزال عنهم ما يعتادونه من النعماء، حتى بلغ ثمن الصاع النبوي[1] من الحب نصف ريال، بعد أن كان أربعين صاعاً فأكثر بالريال، وسرى الغلاء في جميع الأشياء وليس لذلك سبب غير الظلم والمنكرات قال الله عز وجل ﴿فَبِظُلْمٍ مِنْ الَّذِينَ هَادُوْا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وبِصَدِهِمْ عَنْ سَبِيلِ الله كَثِيراً وَأَخْذِهِمْ الرِبا وَقَد نُهُوا عَنْهُ وَأَكلِهِم أَموال النَّاسِ بِالبَاطِلِ﴾[2] قال تعالى ﴿وَلوْ أَنَّ أَهْلَ القُرىَ ءآمَنُوا واتَّقَوا لَفَتَحْنا عَلَيهم بَرَكَات مِنَ السَماء والأَرْضِ﴾[3] وقال تعالى ﴿ذَلْكَ بأَنَّ الله لَمْ يَكُ مُغَيراً نعمة أَنْعَمَها عَلَى قَوم حَتى يُغَيِروا مَا بِأَنفُسِهِمْ وأَنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4] . ﴿وَإِذَآ أَرَادَ الله بِقَوْمٍ سَوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُم مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[5] .

وأما قولك أن قد قيل أن قيامنا لطلب الدنيا، فسل عما كنا فيه من النعمة والغنى بالدور والبساتين التي هي الآن بأيدي المأمورين.

---

(١) الصاع النبوي: الصاع مكيال لأهل المدينة، يأخذ أربعة أمداد، والصاع رطل وثلث بالعراقي، وعند الشافعي وفقهاء الحجاز الصاع خمسة أرطال وثلث، وقيل هو رطلان، فيكون الصاع ثمانية أرطال على رأي أبي حنيفة وفقهاء العراق، (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٤٩٤) .

(٢) سورة النساء آية (١٦٠، ١٦١) .

(٣) سورة الأعراف، آية رقم (٩٦) وتمامها ﴿وَلكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

(٤) سورة الأنفال، آية رقم (٥٣) .

(٥) سورة الرعد، آية رقم (١١) .

والغيول والمزارع التي كان يحصل منها مائة وخمسون ريالاً في الأربعين اليوم قيمة قضب[1] من غير الحبوب التي تكفينا صدقة وأكلاً. فهل ذلك لمن خبر لمن يريد الراحة الفانية أم سكون البادية ومجاورة الوحوش والذياب العادية.

وأما قولك أن من رأى منكراً يرفعه إلى المأمورين فمن رأم أن يلوي لسانه بذكر الحلال والحرام، جرّ إلى نفسه أنواع النكال، ونسبوا إليه كل محال. أما سمعت بحبس العلماء وتغريبهم قريباً من ثلاث سنين ونحن منهم. وبعد خروجنا أعرضوا علينا المعاشات مع المشاركة لهم في السكوت عن ذكر أوامر الله ونواهيه، فمن تقرب إليهم في المجالس عوضاً عن المدارس قرروا له المعاشات، وبقى أهل الذين ظلموا حتى ذلوا وقهروا حتى قلوا وكاد الإسلام أن يُنسى، وخرج الظلم لابؤسا.

وأما قولك أن من لم يجد الإنصاف من المأمورين يرفع الحال إلى الباب العالي، فدون «بلوغ المرفوع خرط القتاد و دون نداء المظلوم سيوف حداد[2]. كيف وقد اتخذ كل مأمور معيناً له من المقيمين في الباب العالي وكم قد رجعت من لوايح ومعروضات إلى عند من هي عليه من المأمورين في اليمن ليعاقب من رفع به إلى المحل المؤتمن، ومن رام أن يدخل بنفسه إلى الأبواب العالية قلبوا له الأمور ونسبوا إليه الخطأ والزور، هذا القاضي يحيى المجاهد دخل زاعماً أنه «ق٧٨أ» يقلل المظالم، فصار عبرة للعوالم، وضاع بين الدعايم.

وأما قولك بأنك ناصح لنا بالاتحاد فقد بدلنا الصلح المبني على مطابقة كتاب الله وسنة رسول الله، فأبي ذلك المشير السابق وهذا الوالي اللاحق بعد وصول مكاتيب في طلب المصالحة، فلما ذكرنا لهم مطابقة الصلح لأوامر الله ونواهيه، ورمت لذكرها الآناف، وزعموا أنه لاحظ فيها لبني عبد مناف، فعرفنا أن مراهم محاربة أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجعلوها تفسير قوله تعالى ﴿**قُل لاَّ أَسأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْـرَاً إِلاَّ الْمَـوَدَّةَ فِي**

(١) القضب: كل الأشجار التي طالت واسترسلت أغصانها (المنجد: ص٦٣٥) أما في اليمن فالقضب هو البرسيم، علف الحيوانات.

(٢) مثل يضرب لاستحالة بلوغ المراد.

﴿الْقُرْبَى﴾[1] ليكون عذراً في اتلاف الأموال الميرية المستعدة لمحاربة الملل الكفرية فكيف نجد ريح الانتظار من نازع الرب الجبار ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾[2]، ومن كان مع الله كان الله معه، وجعل له الله في أرضه مفسحاً واسعة، وأما حاشد وبكيل فلعلكم ما قد طالعتم السَّير التي فيها عبر لمن أعتبر، حتى ملوك حمير الذين ملكوا من شرق الأرض إلى مغربها ودانت لهم هندها وسندها وعربها وعجمها وبرها وبحرها، ماخلا حاشد وبكيل فإنهم (أعجز)[3] ملوك حمير حتى صالحوهم على قطع الاتاوة، وإنما سخرهم الله لآل محمد كما سخر الشياطين لسليمان، فمن أشار على هؤلاء المأمورين لمحاربتهم فإنما أرادوا طي كرهم على الناس، وأن علم أنه قد ساق أرزاقهم من الروم في هذه المجاعة فلا مانع لماأعطى ولامعطي لما قضى امتناعه والله يأخذ بنواصينا إلى رضاه، ويلطف بنا فيما قضاه. حرر شهر جمادي الآخرة ١٣١٦هـ.

فصل: وفي آواخر شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة، جهزت العجم أقماهم الله العساكر المتكاثر بما قدروا عليه من القوة الباهرة صحبة طاغيتهم عبدالله باشا مشير العساكر، يقصدون الشرف للأخذ بالثأر كما قد قدمناه فيما سلف. وكان مطرح المقدمي سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي عليه السلام حينئذ في الشاهل، ومطرح العجم السابقين في بني مديخة وقفل شمر والذاري[4]، وليس بين مطرح العجم والعرب غير رمية حجر وقد أيس العجم من التعرض للمجاهدين، لما أذاقوهم من العذاب المهين، وأوقعوا بهم تلك الوقايع التي لم تعهد في مر السنين حتى صارت عبرة للمعتبرين. فلما وصل عبدالله باشا إلى بعض الطريق تلقاه منافقوا العرب، الذين هم شر فريق فدلوهم على عورات المجاهدين التي لاتعلمها عتاة الأعجمين، فلما تيقن الإمام عليه السلام مخرج أولئك اللئام، أرسل السيد العلامة العماد يحيى بن أحسن الكحلاني ومن صحبه من المجاهدين،

---

(١) سورة الشورى، آية رقم (٢٣).

(٢) سورة الملك، آية رقم (٢٠).

(٣) أعجز: والمقصود هو (أعجزوا)

(٤) الذاري: قرية من عزلة الضاعن، ناحية وشحة، محافظة حجة (المقحفي: المعجم، ص٢٥٥).

وألزمهم عليه السلام بحفظ طريق جبل الأمرور[1]، ومدافعة العدو إذ أتى من تلك الطريق لأنها عورة على الشاهل من طريق الشرق، وألزم السيد حسين بن إسماعيل الشامي بمن معه بالمحافظة في محل يقال له حقبة. فلما وصل عبدالله باشا هنالك وقع الحرب بينهم حرب عظيم ومضت العجم من هنالك حتى وصلوا جبل الأمرور، ووقع الحرب بينهم وبين المجاهدين، ومع كثرة الأعاجم وقلة المجاهدين لم يقدروا على دفعهم، فقبضوا تلك السبيل. ولما قبض الأعاجم تلك الطريق عرف المجاهدون بأنهم قد صاروا في مضيق وليس بعد ذلك إلا المحاصرة وقطع المسالك الظاهرة، لأنهم قد قبضوا جميع الجهات، وأخذوا أفواه الطرقات ولم يبق لهم طريق من جهة القبلة مع أن العجم قد رتبوها في الليل بنحو ثلاثمائة. اجتمع رأي المجاهدين في الشاهل على الخروج منه فخرجوا منه ولم يبق أحد من القبائل وكان خروجهم من الجهة الشرقية، ومالوا عن الطريق التي فيها الرتبة مع إن المجاهدين لايعلمون بهم «ق٧٨ب» نتقل المجاهدون إلى المحابشة[2] فأصبحت العجم في يوم الثلوث ثامن عشر من شهر رجب وقصدت الشاهل بعد الرمي إليه بالمدافع فلما عرفوا أنه لم يبق فيه أحد، دخلوه وحسبوا أنهم قد بلغوا ما أملوه وفرحوا بذلك والله لايحب الفرحين، وحينئذ كتب الأعاجم إلى جميع أعوانهم وأشياعهم يذكرون ما وقع. ووردت المكاتيب إلى حضرة الإمام عليه السلام من الوالي حسين حلمي يرغب في المصالحة وأنه قد قبض الشاهل، وماوقفوا على طائل، ومضمون الكتاب يأتي إنشاء الله في الجواب.

وصورة الجواب: من حضرة الإمام عليه السلام (إلى) [3] حضرة الوالي الأفخم، والوزير المفحم حسين حلمي ألهمه الله سُبل الرشاد، وزرع في قلبه الرحمة لضعفاء البلاد والعباد، ونهدي إلى شريف حضرته جزيل التحيات وأنه وصل مكتوبكم الكريم المتضمن للتذكير بما سبق من النصايح عن طريق السيد العالم أحمد بن محمد الكبسي، المشتمل على

---

(١) جبل الأمرور: في عزلة الأمرور ناحية الشاهل محافظة حجة، والأمرور قرية في جبل مسور المنتاب (حجة). (المقحفي: المعجم، ص٥٣).

(٢) المحابشة: بلدة في الشرفين وهي مركز القضاء، محافظة حجة. (المقحفي: المعجم، ص٥٨٦).

(٣) تم إضافتها ليستقيم المعنى.

التحذير والترغيب بالراحة والرفاهية بمعنى التبشير، وأن السبب في عدم قبولنا للنصايح كون الشاهل بأيدي الأشرار، وحصول الحلم والتأني منكم عن إجراء الحركات العسكرية الشاهانية، وأن حصول الشاهل بأيدي العسكر الشاهانية لم يزدكم إلا تواضعاً، ولم يرعكم إلا إلى تزايد الرفق بتكرير النصح بوصولنا صنعاء، رغبة في حقن دماء المسلمين، ورعاية لحق السلطان الأعظم الناشر لثواب اللطف على العالمين. فنقول في الجواب على هذا الرد من فصيح الخطاب، أن النصايح إنما تتوجه إلى مُرتكبي القبايح، وإلى من تنكب عن الصواب، وخالف السَّنة والكتاب، وإن آل محمد قُرناء الكتاب لانفارقه إلى يوم الحساب ولانعمل بالظن ولا الرجم، وكلما أفل منا نجم طلع نجم كما ورد بذلك صحيحات الأخبار، وصدّقه الواقع في جميع الأمصار، لايستطيع الطالع ترك المرور في فلك الغارب، ولا المخالفة بما أمره به رب المشارق والمغارب، لا كما تزعمه المجبرة[1] والقدرية[2] مجوس هذه الأمة في أفعال العباد، وأنها إذا خلقت فيه قدرة الطاعة والمعصية لايقدر على فعل ضدها، بل كما ورد في الأثر الصحيح في صفة تلقي الوحي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن جبريل عن الملك الذي فوقه أنه لايستطيع السكوت عن إلقاء ما أوحي إليه من ربه فصار معنى مقارنة الكتاب، العمل بما فيه من الأحكام، والأمر بالمعروف والنهي عن الحرام. فهل السالك في هذه الطريقة يتوجه إليه النصائح على الحقيقة، وهل ثم فرق بين من يدعوا إلى إجراء الأحكام الربانية، وبين من يدعوا إلى الراحة والرفاهية. وأما كون السبب في عدم قبول تلك النصايح هو الشاهل، والحلم عن الحركات من كل حافٍ وناعل، فلم نعتمد على ذلك بل الاعتماد على الله سبحانه، وعلى علمنا أنه لايغرب عن خاطركم ولا خاطر السلطان المعظم ماورد في آل الرسول من نحو قوله تعالى ﴿ قُل لاَّ

---

(١) المجبرة، الجبرية: الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولاقدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، وهم فرق الجهمية النجارية الضرارية. (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٨٥) .

(٢) القدرية: لقب من ألقاب المعتزلة ومنها العدلية ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويقولوا بالقدر خيره وشره، وأن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة. واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة، استحق الثواب والعوض، وإذا خرج من غير توبة من كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار. (الشهرستاني: الملل والنحل، ص٤٣)

﴿أَسَئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرَاً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [1] ونحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم في عترته (أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم) [2]، فاعتمدنا على كمال معرفتكم إنكم لاتتركون قتال الكفار، وقد أخذوا من مدن الإسلام المدن العظيمة والأمصار، ثم تجمعون هذه الجموع المتكاثرة لمحاربة العترة الطاهرة، على إنا قد أسلفنا في الجواب السابق، أن المأمورين، استجلبوا غضب السلطان، ونسبونا إلى المخالفة والكفران، قصداً منهم لإتلاف الأموال الأميرية، المعدة لجهاد الملل الكفرية المحاربة العترة الزكية. ونرجوا منكم مخالفة أولئك المأمورين بما أشعرتم به من العدالة ومحبة النبي وآله، وقد علمتم بما أسلفنا إنا نبرأ إلى الله من سفك دماء المسلمين، فليس التوجه للمحاربة إلا من العساكر الشاهانية، وليس ممن ينتمي إلينا «ق٧٩أ» غير المدافعة فقط عن نفوسهم وأموالهم. ومن لم يدافع فعلوا به كما فعلوا بالأشراف أهل براع[3]، مع أن القتل في العساكر تارةً من المدافعين وتارة إذا أنهزموا ضربتم الطوبجية بالمدافع والضباط بالسيوف القواطع. وحاشى حضرة السلطان الأعظم والخاقان المفخم أن يأمر بذلك في أولاد المسلمين، الذين هم العمدة في قتال الكافرين، ثم حاشاكم أن نقول كما قال معاوية حين قتل خير الصحابة عمار بن ياسر، إنما قتله من جاء به، بمعنى وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي بن أبي طالب الذي استخلفه رسول الله يوم الغدير[4] بالنص الجلي، وأما القوة فلا ينكرها عاقل فمن فاخركم فيها فكما فاخر قساً بفصاحة باقل. وإنا معترفون بفقرنا وضعفنا والتجائنا إلى ربنا، فإن توجهت إلينا العساكر فإنما ندافع بقوة الرب القادر، وليس لنا مملكة نخاف عليها إذا غُلبنا، ولانرتجف من مجاورة الوحوش إذا طُلبنا، وأما المصالحة فقد شهد لنا

---

(١) سورة الشورى آية رقم (٢٣).

(٢) سنن ابن ماجة، الجزء الأول، ص٥٢، سنن الترمذي، المجلد الخامس باب المناقب، ص ٦٩٩.

(٣) بُراع: ناحية وجبل معروف من الجبال المشرفة على تهامة من الجهة الغربية عن صنعاء، وجبل براع واسع فيه العديد من القرى والحصون والعزل. (الحجري: المجموع، ج الأول، ص١١٥).

(٤) يوم الغدير: وهو أن النبي لما رجع من حجة الوداع، ووصل إلى المكان المعروف باسم (غديرخّم) أمر بالنزول هنالك فنزل ونزل معه المسلمون جميعاً، ثم وقف ومعه علي بن أبي طالب وخطب خطبة قال فيها (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله). والشيعة يرون في هذا الحديث، فضلاً عن الكثير عن أمثاله من الأحاديث نصاً في الخلافة من النبي على علي بن أبي طالب. (حسن الأمين، دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ص١١).

بقبولها الفلك الدَّوار، لكنها صارت إشاعتها للحيلة من كل غدَّار وإلا فسبيلها معروف، وذكرها في التواريخ موصوف وطالعوا إن شئتم سيرة من ملك بين قرني الشمس، هل أذعنت لهم حاشد وبكيل كما أذعنت لهم الروم والسند والهند وكل جيل، أم صالحوهم بما يسكن شرهم ويقطع كرهم والسلام وحرر ٢٧ شهر رجب سنة ١٣١٦هـ[١].

ثم ورد أيضاً مكتوب من الياور علي مثنى الحسينى متضمن طلب الصلح بإرجاع المأخوذ من السلاح، فاجاب الإمام عليه السلام بما مضمونة، بان معرفة الآخذين للسلاح متعذر، فان الآخذين له من تجمعهم النار ولا يتصور لهم إنحصار.ووصل أيضاً مكتوب من عبدالله باشا كذلك فاجاب عليه السلام بجواب جمع الفصاحة.فلما أيست العجم من الاسعاد للمصالحة، أيقنوا أن تجارتهم غير رابحة فتقدموا على المسبح ومدينة المحابشة[٢] فرقتين، فأما من في المحابشة فوقع فيما بينهم بعض حرب ثم افتشلوا، وصارت عقولهم طايشة فخرجوا منه.وأما من في المسبح[٣] كان فية سيف الاسلام وجماعة كرام، فوقع بينهم وبين العجم حرب يسير، وقتل فية من العجم كثير لأن مقصود العجم التربص لسيف الاسلام، فحفظه الله الملك العلام، ثم بعد اللتيا والتي خرج منه سيف الإسلام، وانتقل إلى المفتاح[٤]، وتكون حينئذ عمادالاسلام السيد يحيى بن احسن الكحلاني كوناً يسيراً.

ومما يذكر هنا أنه وقع بين العرب والعجم مناوشة حرب قبل قبض المحابشة وذلك يوم الاثنين، وهو اليوم الذي أخذو فيه بني جل.

وفي يوم الثلوث كان الحرب بقرية من قرى بني جل تسمى الخنفقة وذلك حين قدموا على بني جل من الشاهل، ومن بني مديخه طلعتين ووقع حرب عظيم قتل فيه علي بابلي باشا كمندار[٥] من كبار العجم، وياوره فأظهروا علية الأسف والتوجع والألم، ثم بعد قبض الشاهل والمحابشة، تفرقت مطارح العجم في الشرف، مطرح في القفل، ومطرح في

---

(١) ٢٧ رجب ١٣١٦هـ نوفمبر ١٨٩٨م.

(٢) المحابشة: ناحية في محافظة حجة (التعداد:ص١٤٢).

(٣) المسبح: قرية في عزلة حجر، ناحية المحابشة، محافظة حجة، (التعداد:ص١٤٦).

(٤) المفتاح: ناحية في محافظة حجة وتتبعها العديد من العزل والقرى (التعداد:ص١٤٨).

(٥) اعاد الناسخ كتابتها في الحاشية (قومندان) وهي رتبة عسكرية.

الشاهل، ومطرح في بني مديخة ومطرح في المحابشة ومطرح في الصفيف، ومطرح في الوعيلة[1]، ومطرح في بيت السعيدي، ومطرح في بيت المغربي، ومطرح في شمسان[2]، ومطرح في القاهرة[3] ومطرح في المشن، ومطرح في جبل معروف[4].

فأما سيف الاسلام ، فانتقل من المفتاح وجعل فيه العجم مطرحاً.وأما الرتب فرتبة في جبل الفايش[5]، ورتبة في المسوكة، ورتبة في بني جل، ورتبة في بني شيبان[6]

وأما أهل البلاد ففروا في الأغوار والأنجاد، ولم يُسَلْطِنْ[7] منهم إلا أهل الغي والفساد.

وكتب الإمام إليهم عليه السلام بالنصيحة أن الفرار أولى بالأحرار، وأن من أطاع لابد يطلبون منه غير المستطاع، فلما فر من فر، صارو يغزون العجم ليلاً ونهاراً حتى أن العجم أدخلوا بعض البيوت رتبة.فقتلوهم وأخذوا البنادق وقد كان عبدالله باشا حين خرج إلا أنة لابد يطمس إسم حاشد وبلاد الشرف. ومن أولى ما يذكر أن الإمام عليه السلام لما وصلت إليه الأخبار من الشرف، وأرجف من المنافقين من أرجف، خرج إلى صلاة الجمعة، فخطب خطبة عظيمة بليغة، ثم تضرع إلى الله سبحانة بدعاء أبكى العيون، وأيقن معه كل سامع أن الأعاجم مخذولون، ولقد إستجاب الله دعاه وحقق له ما أمله ورجاه، فإن العجم من حين وصلوا الشرف، ورماهم الله بالأمراض العظيمة المودية إلى التلف، ففي كل يوم يرحل منهم جماعة إلى الأموات، فكان الله هو الذي نصر عبده، وكفاه الله كل مهم وشده، لم يكله إلى احداً من خلقه ليكون عليه منه، بل تولى سبحانه نصرة الكتاب والسنة، وهكذا من فوض أمرة إلى الخالق فإنه بلا شك سيكفيه جميع البوائق.

---

(١) ألوَعَيْلة: هي الوعاية قرية على جبل الوعلية عزلة الجبر الأعلى شرق المحابشة (الأكوع: هجر العلم،ج٤،ص٢٣٤٠) .

(٢) جبل شمسان:جبل في نواحي حجة بالقرب من مبين (الحجري:المجموع، ج٣، ٤٥٧) .

(٣) القاهره:قريه في عزلة بني جل، ناحية قفل شمر، محافظة حجة (التعداد:ص١٣٩) .

(٤) المشن وجبل معروف:قريتان في عزلة حجر، ناحية المحابشة، محافظة حجة (التعداد:ص١٤٦) .

(٥) جبل الفايش: ناحية من مسور المنتاب، وحصن الفايش في حاشد بالقرب من غربان. (محافظة صنعاء) ، (الحجري: المجموع، ج٤، ص٦٣١) .

(٦) بني شيبان:قرية في عزلة جانب الشام، ناحية الشاهل، محافظة حجة (التعداد:ص١١٧) .

(٧) يُسَلْطِن:كلمة عامية وهي مستعمله في اليمن على وزن (يُدَسْتر) من دستوري، ويجمهر من جمهوري.

وفي نصف شعبان ليلة الثلاثاء خسفت القمر من قريب نصف الليل إلى الفجر حتى كل خسوفها، وكان أوله احمراً واخره اسوداً، وفي ذلك قال بعضهم:

إمام الهدى بشراك بالنصر والتحف	ورب كريم سوف يبلغك الشرف
فعما قليل يذهب الكرب كله	وينكب إخوان العلوج عن الشرف
وكان يحب الفال أحمد فانظروا	فدابر سلطان الاعاجم قد خسف
بحق رسول الله والآل كلهم	تؤول جميع الأعجمين إلى التلف
ويشرف أرجال الزمان بنوركم	ويذهب ما قد حل بالناس من عجف
وتطهر عن رجس الأعاجم أرضنا	ويغفر ذنباً كان للدهر قد سلف
فلا تأس يامولاي فالله حسبكم	وفي الله عما فات ياسيدي خَلف

وفي شهر رجب من هذه السنة المذكورة، رتَّب الإمام عليه السلام مدينة شهارة بعد أن وصل إليها سيف الإسلام، وعلم الأعلام عماد الأنام يحيى بن الإمام، فوجدها من أحصن المعاقل التي لايقدر عليها العدو، وإن وصل بأعظم الجحافل، ثم أن سيف الإسلام لما رآها كما وصفنا زادها تحصينا من جميع الجهات، وجعل فيها ما يحتاج إليه الذي فيها من الرتبة ثلاث سنين، وذلك من الحبوب المتكاثرة والملح والحطب والقشر[1] والسليط[2] والمونة وغير ذلك من المحتاجات كالزبيب، والتمر، ورتبوها بنحو أربعمائة نفر، وشهارة الفيش[3] بنحو مائة. وهو حصن عظيم مطل على شهارة الأمير، ولما وقع تحصين هذا المعقل بالرجال والمال، عظم ذلك في أذهان العجم ورأوا أنهم إن قصدوا بالحصار فليس لهم على ذلك

---

(١) القِشْر:هو قشرة البن، ويصنع منه اليمانيون شراباً ساخناً يسمى القهوة، أما البن الصافي فيستخدم بقدر أقل من القشر.

(٢) السليط: هو من أنواع الزيوت.

(٣) شهارة الفيش: شهارة بضم الشين المعجمة، وهي من معاقل جبال الأهنوم، وتعرف بشهارة الأمير: نسبة إلى الأمير ذي الشرفين، وبجوارها من جهة الشرق شهارة الفيش نسبة إلى القيل ذي فائش، ويفصل بينهما هاوية سحيقة. ويربط بينهما جسر (عقد) مُعلَّق بين الجبلين لانتقال الناس عليه، وكان جبل شهارة يدعى من قبل بجبل معتق. لجأ إليها الأمير ذو الشرفين ليعتصم بها خوفاً على نفسه من قوات المكرم أحمد بن علي الصليحي، وتحصن بها الإمام القاسم بن محمد وكذلك الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وسبب تسميتها بشهارة لشهرتها. (القاضي إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج الثاني، ص١٠٥٧) .

اقتدار، وإن قصدوا بلاد حاشد كان ذلك أعظم شاغل، وقد كان منَّاهم بعض الأرذال دخول بلاد حاشد من الجهة الغربية، وتركيب شهارة. فحين سبقهم الإمام عليه السلام إلى هذه الديار سقط ما في أيديهم «ق٨٠أ» وتمكنت الهيبة في صدورهم، ورجوع طاغيتهم من عزمه. وهذه (أعني شهارة) من أجلّ معاقل اليمن ادخرها الله سبحانه معقلاً لأهل بيت نبيه المؤتمن في آخر الزمان. وقد قصدتها لزيارة الإمام القاسم والإمام المؤيد والأمير ذو الشرفين[1] وغيرهم من العلماء الأفاضل الأماثل، فتأملت فيها فوجدتها من أحصن المعاقل وفيها من مآثر الأئمة والجامع الهايل، وفيها الأسداد[2] العظيمة، وفي السد الذي إلى جانب الجامع عين ماء شاهدوها حين نضب الماء. ولقد شاهدت فيها من الهواء ما لايشاركها فيه غيرها. وقد ذكر المؤرخون إنه كان فيها اثني عشر مائة بيت والآن فيها نحو مائتي بيت وسبعة مساجد. وأول إمام استوطنها ذو الشرفين. قال مؤلف سيرته مفرح بن أحمد الربعي، في وصف شهارة مامعناه، إنه جبل شامخ ومعقل باذخ، لايتهيأ له حصر، ولايخشى فيه قهر، وإنما سُميت شهارة لاشتهارها، وكانت تسمى معتق فيها تقدم.

وفيها يقول مفرح بن أحمد[3] شعراً:

وإذا أمر رام النجاة فإنما	سبب النجاة بمعتق في معتق
ثبتت قواعد أسه لمحمد	لصلاح دين محمد المستغرق

وإنما سمي معتقاً لأنه كان يلتوي به الطريد، وتأتي إليه العبيد فإذا لحقتهم مواليهم قالت الأهنوم شاوروهم وشاوروا معتقاً.

---

(١) له سيرة مطبوعة باسم (سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين) نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري، تحقيق ودراسة: د. رضوان السيد، د. عبدالغني محمود عبدالعاطي. والإمام ذو الشرفين هو محمد بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني الحسني المتوفي بشهارة سنة ٤٧٨هـ (زبارة: نشر العرف، ص١٢) .

(٢) الأسداد: جمع سد، وهو الحاجز بين شيئين أو بين جبلين. (المنجد في اللغة: ص٣٢٦) .

(٣) مفرح بن أحمد الربعي كاتب ومؤلف سيرة الأميرين الجليلين الشريفين، ونسبته إلى قبيلة ربيعة خولان في صعدة. وهو شاهد عيان في كثير من الوقائع والأحداث، وقد دخل في خدمة الأميرين كخطيب وشاعر رسمي، واستعمل الرسائل والوثائق التي تتصل بتاريخ الأميرين عند كتابة السيرة. (نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري: تحقيق ودراسة: د. رضوان السيد، د. عبدالغني محمود، ص١٢) .

وذكروا، والله أعلم، أن أسعد الكامل[1] طلعها في مبتدأ أمره في ثمانين رجلاً، وقال استقروا هاهنا فسمي الموضع[2] أقر، وأن صاحب اليمن في ذلك الزمان حاصره عليها ونزل بموضع يقال أقر، وأنه نزل عليهم فقتلهم، فقال صاحب اليمن: شهرنا هذا الجبل شهرة الله فسمي شهارة. قال مفرح بن أحمد رحمه الله، روى لي حي والدي قال لم ينج من القرامطة في الزمان الأول إلا جبل الأهنوم والعيان[3] من بلاد شاكر.

ومن مغارس شهارة الكرم الأس والخوخ والتفاح والمشمش والبلس[4] والخرنوب والرز والعلس[5] والبر والشعير والذرة، ومن معادنها ما ذكره الرواه في قديم الزمان منها حجر البلور يؤخذ منه الشيء منفرداً، ويمكن أنّ له معادن مستورة ومن ذلك الكحل في شيء من مساقط أوديتها والله أعلم بعنصر ذلك أين هو، ومن ذلك شب الفؤاد والشب الحميدي ومنها عروق الملح، ومنها طين في معادن منها أبيض لين الرخ أشبه بالصابون وله في غسل الأدران فعل. وذكروا أنه بجبل من نواحيها يقال له عيشان معدن من الذهب. وسمعت الشريف الحسن بن علي الزيدي يقول وطئت معاقل اليمن وحصونها فما فيها لشهارة نظير، وروي الشريف المحسن بن محمد الديلمي من طبرستان، وكان وصل إلى شهارة في شهر جمادي من شهور سنة ٤٨٥ فقال اسمها وذكرها في بلدنا، وما وصلها إنسان إلا كان له في بلدنا حال وشأن يتبرك منه. وقال مذكور عقدنا في قصة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يذكرها بإسمها ويسميها قبة الإسلام، حولها

---

(١) أسعد الكامل: هو أبي كرب أسعد بن ملكي كرب، ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانه وأعرابهم في طود وتهامة. حكم اليمن في أواخر القرن الرابع الميلادي، ويلقب بالتبع الأكبر اليماني، ولد أسعد الكامل في خمر ونشأ في جبل الأهنوم، نسبت إليه سيرة حافلة بالغزوات في جزيرة العرب والعراق والشام، ويذكر بأنه مات موحداً بعد أن مر بالبيت الحرام وكساه بالأنطاع اليمانية المُذَهَبة، مر بالمدينة واقتتل مع أهلها، ونهاه حبران من اليهود فاعتنق اليهودية، ويقال بأنه التبع الذي نهى النبي عن سبه. (للمزيد من المعلومات نرجع إلى د. يوسف محمد عبدالله: الموسوعة اليمنية، ج الأول، ص١٠٤) .

(٢) وادي أقر: وادي شرق شهارة في حاشد، من محافظة حجة. (الحجري المجموع، ج١ ، ص٨٧) .

(٣) العيان: قرية وعزلة في ناحية حرف سفيان، محافظة صنعاء. (التعداد: ص ٢٥٢) .

(٤) البلس: في اليمن نوعان، النوع الأول يطلق عليه البلس العربي، وهو التين، والبلس الشوكي أو التركي ذو القشرة المشوكة.

(٥) العلس: حب معروف في الحرارة واللين، وهو أفضل الحبوب وكان طعام ملوك حمير. (نشوان الحميري: منتخبات من أخبار اليمن، ص٧٥) .

ثلاثمائة وستين وادياً، في ناحيتها معادن أربعة، ومعدن ذهب، ومعدن فضة وكحل، فهذا ما كان من روايته. وذكر الشيخ علي بن محمد الحبش أنه وجد في صعدة كتاباً قديماً بخط الهادي عليه السلام، أو في عهد الهادي يقول فيه أنه يكون أول عز أهل البيت من موضع بناحية تهامة أول اسمه شين وآخره هاءوالله أعلم. هذا مضمون «ق٨٠ب» ماذكره مؤلف السيرة رحمه الله تعالى.

فصل: ثم إن الإمام عليه السلام، بعث الكتب والرسائل إلى بلاد حاشد وغيرها يحث الناس على الجهاد من حين خرج عبدالله باشا، فتثاقلت حاشد عن الإجابة إلا نفر قليل بالنسبة إلى كثرتهم فإنهم مائة ألف أو يزيدون والسبب في التثاقل، إن فيهم جماعة من أهل الشقاق الذي لايخلوا عنهم عصر من الأعصار ولامصر من الأمصار عداوة المنافقين لأهل الحق، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [1] ومازالت هذه عادة مستمرة فلا تجد إماماً من أئمة الحق، إلا وقد نصب له العداوة جماعة من أهل الشقاوة، اللهم إنزل لهم بأسك الذي لاترده عن القوم المجرمين. ثم إن هؤلاء المذكورين مازالوا يثبطون الناس ويردعونهم شدة البأس حتى حصل معهم اليأس.

هذا ولم يكن مقصد الإمام عليه السلام بتلك الكتب التي بعثها إلى حاشد إلا إقامة الحجة عليهم لاإنه متكل إليهم، ولكنه معتصم بالله تعالى فلقد سمعناه مراراً، يقول ليس الركون إلى أحد إنما الركون إلى الله سبحانه وإنما عَرَّفنا الناس لئلا يقولوا ترك الإمام الواجب ولم يَعْرِ واحداً.

ثم إنه وصل إلى الحضرة جماعة من حاشد نحو المائتين والعشرة، فقرر الإمام صرفهم من بيت المال، وفي أول يوم من رمضان، أرسلوا من يقبض صرفهم من وكيل بيت المال فلما وصل إلى باب المقام وقعت المخاصمة بين الرسول وحاجب الإمام حتى أفضى الحال إلى شهرة السلاح، فطعن ذلك الرسول ورجل من أصحاب الإمام.وضرب الصوت إلى حاشد الذين كانوا في المدينة فغاروا، وكادت تثور فتنة عظيمة فيما بين عسكر الإمام عليه

---

(١) سورة الفرقان آية رقم (٣١) وتمامها ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾ .

السلام، وبين من حضر من العسكر وخرج الناس لإطفاء الفتنة من أصحاب الإمام ومن عقال حاشد. فبينما هم على ذلك إذ أشرف الإمام من سطح البيت فلما رأوه سكنوا وكأنما صب الماء على النار، وقد كان بعض حاشد رمى ببندق، ثم إن عقالهم وصلوا بعقير إلى الإمام عليه السلام، ثم بعد ثمانية أيام عزم أكثر العسكر المذكورين بلا إذن من مولانا عليه السلام إلا خوفاً مما وقع، وأبدوا أعذاراً كاذبة، وكان رجل منهم يتفوه على الإمام في الطريق بما لايليق، وكانت بندقه مشحونة وهي من البنادق العجمي التي تقرح بالكبسون. فبينما هم يسيرون في الطريق عند عزمهم من المقام، إذ قرحت البندق فوقعت في صاحبها وحينئذ سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا.

وفي شهر شعبان وصلت الكتب إلى حضرة الإمام عليه السلام من اليمن الأسفل من ذو غيلان الساكنين هنالك، يطلبون من الإمام أمراً بالجهاد، وإنهم تائبون إلى رب العباد عما سلف من عدم الطاعة والانقياد لما رأوا تأثير ذلك في أنفسهم وفي البلاد، وحققوا أنهم قد قبضوا حصن التعكر[1] وهو من أمنع حصون اليمن التي تحكى وتذكر، وحققوا أيضاً إنهم غزوا على قرية عنفرة وهي قريب باب مدينة إب فيها من الحبوب مالا يحصى، فغارت عليهم العجم وقد نهبوا منها كثيراً فوقع الحرب بينهم وبين العجم، وقتلوا من العجم ثلاثين ومن العرب واحداً فقط، ثم إنهم حملوا ما قدروا عليه من القرية وفروا وجعل لهم الإمام عليه السلام أمراً في الجهاد وشرط عليهم تقوى الله وعدم الإفساد «ق٨١أ» وامتثال أوامر رب العباد.

ذكر كرامة للإمام عليه السلام: وهي أن رجلاً من عصيات الوطا، يقال له مقبل بن علي الأجدع، وقع فيما بينه وبين غريمه شجار وخصام، فحضرا عند الإمام عليه السلام، ورجح لمقبل بن علي شيطانه بعقر عقير عند الإمام بأن يسعفه بما طلب فأقنعه الإمام عليه السلام بحكم الله سبحانه، فذهب مغضباً من الحضرة وما زال يمد يده في قطع السبيل لتأليم الإمام حتى إنه أخذ على رجل من قُبَّاض الإمام فلوساً فاتفق أنه في بعض الأيام أراد

---

(١) حصن التعكر: يقع على جبل مطل على مدينة جبلة، كان معقل الصليحيين وبه آثار قديمة. (الحجري: المجموع، ج١، ص١٥٥الويسي: اليمن الكبرى، ص٦٥) .

أن يدهن بندقه بقاز وكانت مشحونة وقد نسي أنه شحنها، فأخذ قارورة القاز وسكب إلى بطن البندق فلما لم يخرج القاز من أسفلها حرك المقص فقرحت ووقعت في حجر وانفلقت الرصاصة فلقتين فلقة دخلت في مذاكره وفلقة في ثدي زوجته حتى سحبته، وقرحت[1] القارورة القاز فخرجت من حوله وكانوا إحدى عشر نفساً. ووقع فيه أيضاً من صوارف[2] الرصاصة جروحاً كثيرة، وصف لنا هذا هو وغيره حين وصل تائباً إلى الإمام عليه السلام وعلم وتيقن أن ذلك عقوبة العصيان لإمام الزمان ولقد وصل الإمام عليه السلام معترفاً بالحوبة[3] مقراً بأن ما وقع عقوبة وأظهر التوبة وأبلي بلاءً حسناً في وقعة القاسم كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

فصل: وفي شهر رمضان ثقلت وطأة العجم على أهل الشرف، وما زالوا أعوان العجم من العرب المخذولين يخادعون أهل الشرف، ويرغبونهم في الطاعة التي هي عنوان التلف، ويمنونهم الأماني الكاذبة، ويبطنون لهم الشر والخداع فأطاعهم من المشائخ والرعاع من أطاع، فصاروا يطلبون ممن أطاع مالايستطاع حتى وقع نفورهم وهرب كثيرهم بعد الطاعة لما أظهروا لهم الكامن، وطلبوا منهم البنادق، وصادروهم أعظم مصادرة بالحرب والضرب، واشتد عليهم الخطب. فأخذوا من أهل الخير بعض البنادق وفر من الناس كل صادق، وأخربت العجم أكثر البيوت في مدينة الشاهل، وأقدموا على الجوامع العظام فاستأصلوها بالهدم فظهر بذلك كذب ما يدعونه من الإسلام. فلما رأى العجم ما بهم قد نزل وألم من نفور أهل الشرف، وكثرة الموت والتلف والغزوا فيهم عن إمكان الفرصة، حتى أن رجلاً غزا على جماعة من العجم في طريق، فرماهم وقتل فيهم وسلب منهم أربع بنادق وبغل، وأوصلوا خمس الغنيمة إلى الإمام عليه السلام، ونحن بالمقام، وحينئذ أيقنت العجم أنه لايرجى لهم صلاح. ونادى المنادى لامقام لكم فارجعوا، فشرعوا[4] في خراب بعض بيوت بني كعب ونوسان، وهم عمدة أهل الشرف وفرسان هذا الميدان، والمشار إليهم بالبنان.

---

(١) قرحت: انفجرت (عامية)

(٢) صوارف: ربما يقصد شضايا الرصاصة.

(٣) الحوبة: أي الذنب.

(٤) شرعوا: بدأوا، شرع: بدأ.

وفي أواخر شهر رمضان وصلت الكتب إلى حضرة الإمام عليه السلام من بني كعب ونوسان، أنها تراجعت رجال الشرف للجهاد وضايقوا أعداء الله العجم في الأغوار والأنجاد فأمدهم الإمام بالمونة والزاد، ووقع بينهم وبين العجم في بعض تلك الأيام حرب عظيم وأنزل الله الذلة على العجم وهم مثل الجراد المنتشر، وصار الواحد من بني كعب ونوسان يغلب من العجم مائة إنسان.

وفي هذا الشهر وصلت الكتب إلى الحضرة أنها خرجت عسكر ممن في صنعاء متوجهين نحو عمران ثم بلغوا ريدة، وأظهروا أن «ق٨١ب» مرامهم التحصيل في الباطن مكيدة، وصحبتهم الشقي شيخ عيال سريح راجح بن سعد، ومعظم المقصود أنهم يتشممون الأخبار ويخادعون الناس فغزتهم بني عبدالحاج المجاهد مصلح داحي العبدي وجماعة من أقاربه، ووقع بينهم حرب شديد حتى علموا أن الأمر جد ليس لمزاح. وكانت العجم حينئذٍ في قرية تسمى حدة قريب من نقيل الغولة، فلما وقع الحرب رجعوا على أدبارهم إلى ريدة، وكتبوا بما وقع إلى الوالي. وبعد مدة نحو عشرة أيام خرج إلى صنعاء نحو الستمائة من العسكر حتى وصلوا إلى عمران ثم انتقلوا إلى الصرارة[1]، وحصل الأرجاف منهم على أهل السودة.

وفي أواخر الشهر الكريم وصل مكتوب من الياور علي مثنى الحسيني بأمر المشير عبدالله باشا، تضمن المكتوب معاودة طلب الصلح ومضمونه أنه قد وقع سفك الدماء حتى بلغت القتلى إلى المليونات[2]، وأن التشويقات والمعاونات من بعض القرانات[3] من باب تفريق شمل المسلمين وهذا إشارة منه إلى أن البنادق الفرنصاوي[4] التي خرجت في أوائل هذا العام المسماة أبو سك خرجت معونة للإمام عليه السلام من الفرنصيص وليس الأمر كذلك وإنما استروجوا الأخبار الكاذبة ممن نقل إليهم. وأما خبر هذه البنادق فقد

---

(١) الصرارة: قرية في جبل عيال يزيد شمال عمران (الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٦٥).

(٢) المليونات: المقصود الملايين.

(٣) القرانات: الاجتماع والتحالف والتقاء الدول (عامية).

(٤) الفرنصاوي: الفرنسية.

بلغني عن بعضهم أنه لما وقع الحرب في العام السابق فيما بين السلطان عبدالحميد واليونـان وهم فرقة من فرق الكفار كانوا تحت الذمة، وصاروا يتجرون في استانبول وهـم في الغايـة من الكثرة ولاسلاح لهم. فسوَّل لهم الشيطان وبعض القرانات الكفرية بـأنهم يـشرون لهـم سلاحاً ويخفونه ويغدرون بالمسلمين على حين غفلة ليكون لهـم مملكـة كغـيرهم مـن الملـل الكفرية وتواعدوا للخروج في يوم واحد والفتك بالمسلمين وأوعدوهم بعض أخوانهم من الكفار بالخروج معهم للاستيلاء على الممالك العثمانيـة فلـما حـان الميعـاد خرجـوا حـاملين السلاح وأضرموا نار الحرب وثبت الله المسلمين فكان المـسلم يأخـذ الـسلاح مـن الكـافر ويقتله به حتى وقعت ملحمة عظيمة، واستشهد من المـسلمين آلاف مؤلفـة حتـى أرملـت كذا من النساء وضعف ذلـك في الكفـار حتـى وصـلوا أرامـل الكفـار إلى عـدن. وطلـب السلطان إعانة لأرامل المسلمين، وقتل الله أكثر اليونان حتى لم يبق منهم إلا نفر يسير أجلوا إلى ساحل بحر الفرانصيص، فصاروا هنالك يصطنعون البنـادق الفرنـصاوي وأخرجوهـا معونة للعرب لما بلغهم أن العرب بينهم وبين أصحاب السلطان، فكان ذلك أعظم معونـة حتى بلغ قيمتها فيما بين أهل اليمن عشرة ريال وبمعيتها ثلاثون معبراً، وأما من الفرضـة[1] فحدثني من لاأتهمه إنهم ابتاعوا ذلك من خمسة ريال ومـع كـل بنـدق صـندوق مونـة فيـه مائتان حبة، وصار أفعال هذه البنادق يفوق أفعال المرت السلطاني فلهذا أنهم يتبرمون منها أعني العجم.

واعلم: أنها جرت عادة الله سبحانه وتعالى بموجب وعده الـصادق، وحكمـه الـسابق، بنصر المؤمنين وأن طائفة من هذه الأمة لاتزال على الحق ظاهرين، لايـضرهم مـن خـالفهم إلى يوم الدين، وهذا وعد صادق لم يتخلف أبد الآبدين، فما يقع نادراًإلا هو عقوبـة بـسبب التساهل في الأوامر والنواهي. وقـد ورد مـصرحاً بـه في بعـض الأحاديـث النبويـة الـذي يضمن معناه أنه قال عليه الصلاة والسلام: (كيف بكم إذا تـداعت علـيكم الأمـم تـداعي الأكلة على القصعة قالوا وذلك مـن قلـة بنـا يارسـول الله «ق٨٢أ» قـال لاوإنكـم لأكثـر

(١) الفرضة: أي الجمرك والمرفأ، ولذا يقال فرضة عدن (عامية)

ماتكونون ولكنكم تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فصرتم غثاء كغثاء السيل)[1] .
أو كما قال عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام (إذا تبايعتم بالعينة، وتبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لاينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[2].

أو كما قال وهؤلاء السلاطين بني عثمان لاينكر جهاد أسلافهم للكفار وحياطة الدين، إلا أن المتأخرين منهم خصوصاً من بعد الألف، وقبلها تمادوا في الظلم والطغيان، وبدل شرع الله بقانون السلطان، وشرعوا ما هو مضاد لشريعة الرحمن، ومخالفة للسنة والقرآن، ما يفضي بقائله والعامل به إلى الكفر الصراح، نسأل الله السلامة. وقد حذر عليهم جماعة من العلماء الأعلام. ثم مازال يتزايد الشر إلى هذه الغاية أيام السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد[3] فإنه صار يتعاطى أموراً سودت وجه الإسلام وعاد ضررها على الخاص والعام منها تمكين النصارى من وفد الحجاج إلى بيت الله الحرام، فصاروا يسومونهم سوء العذاب بالكرنتينة، حتى إنهم فوتوا الحج على بعض الحجاج، ولم يكن مقصدهم غير منع الحج لما عرفوا أن أعظم شعاير الإسلام، وبه يحصل الاجتماع التمام، وأن المسلمين ربما تجمعوا هناك على قائم يقوم فيلم شعث أمور المسمين، لاسيما وقد عرفوا أن قيام المهدي المنتظر يكون من هناك فكانوا أحرص الناس على إبطاله حتى إنهم في العام السابق، جعلوا استخانة[4] في أعلى مكة على طريق الطالع إلى الجبل، وجعلوا فيها حكيمين من النصارى، وصار أعوانهم يأخذون الأمراض من الطرقات والبيوت على جهة الإكراه، ويدخلونه الاستخانة ويكون آخر العهد به، ويلقوا على من مر الطريق ماءً من المصاصة فلا يقع في جسم رجل إلا صار مثل حرق النار[5] . هكذا حدثني من أثق به، ويزعمون أنما يفعلون ذلك على جهة المداواة تغميراً[6] على من لاعقل له، فقيض الله سبحانه وله الحمد بعض أمراء البلاد النجدية،

---

(١) سنن أبي داود، الجزء الثاني، الملاحم، ص٤٢٦.
(٢) سنن أبي داود: الجزء الثاني، ص٢٤٦.
(٣) عبدالحميد بن عبدالمجيد: من ١٨٧٦ ١٩٠٩م.
(٤) استخانة: لم أستدل على معناها وربما تكون نوعا من المستشفيات أو عيادة لعلاج الأمراض.
(٥) ربما المقصود هنا هو رش المبيدات لرش الحشرات.
(٦) تغميراً: من التغمير أي الوهم ويغمر عليه يوهمه.ويخادعه (عامية)

فدعى الحكيم الأكبر الذي هنالك، ثم سأله أنت الحكيم الأكبر فقال نعم فاخترط[1] نصلة السبيكى[2] فضربه حتى تردى، والحكيم الآخر شرد، فلحقه بعض أولئك العسكر فقتله فقيل إنهم دخلوا الاستخانة، فوجدوا أناساً من المسلمين قد ذبحوا وعلقوا بأرجلهم فوق طشت لإخراج الدم إليه. هكذا أخبرني من كان في هذا العام من الحجاج من بعض أقاربنا، وأخذوا الاستخانة جميع الحجاج صرفاً صرفاً، فلما أراح الله المسلمين منه، هرب الشريف أعني شريف مكة إلى الطايف فلم يحج تلك السنة. وطالبت النصارى بدماء تلك النصارى فأظهر الشريف مكتوباً سابقاً على النصارى، أن من دخل منهم مكة فهو هدر[3] فلم يقنع النصارى بذلك بل أذنوا بالحرب، ونصبوا المدافع في البحر، فأجاب عليهم أصحاب السلطان إنهم العرب فدونكم، فقيل إنه تأهب ابن رشيد أمير نجد للحرب فلما رأى النصارى أنه لا قدرة لهم أهدروا دماءهم ولله الحمد.

ومن أعظم جرائم هذا السلطان أنه رهن بلاد مصر من الإنقليز، قران من قرانات النصارى، ومكنهم من قلاعها وحصونها. ومن العجايب أنه وقع مرض في بعض المهاجرين من الشام لطلب العلم فأراد النصارى إخراجهم من البلاد، فنهاهم أهلها عن ذلك، وقاموا مع المهاجرين، وحث العلماء الناس على منع الكفار، وكادت تثور فتنة، فكتب الإنقليز إلى السلطان بالواقع وكتب العلماء والأعيان إلى السلطان «ق٨٢ب» بما كان فلما وصلت الكتب إلى السلطان، أرسل العسكر والمدافع، فلما وصلوا أيقنوا العلماء والأعيان أن السلطان لايرضى بإهانة على أهل الإيمان، فتلقوا العسكر، وما عرفوا أنه قد أبطن خلاف ما أظهر، فأوثقوا العلماء في الحبس وأرسلوا بعض العسكر إلى المهاجرين وهم نحو أربعمائة، فألقوا عليهم المدافع والبنادق وهم قيام للصلاة، حتى هلكوا على آخرهم فإنا لله وإنا إليه راجعون. فهل يفعل مثل هذا من فيه مسكة من الدين، لاوالله وإنما يقدم عليه من خلع ربقة الإسلام من عنقه، ولم يستحي من الله ومن رسول الله وصالح المؤمنين. فليت شعري ما يجيب به خالقه يوم يلقاه، فيالها من مصيبة عليه عظيمة، وفاقرة جسيمة

(١) فاخترط: انتزع (عامية)

(٢) نصلة السبيكى: النصلة هي الجنبية والنصلة السبيكى أطول من الجنبية وهي مشهورة في بلاد صعدة.

(٣) هدر: مباح، يهدر يبيح.

تركت قلوب المسلمين سقيمة، وأهله من خطب سلك المسامع وحق أن تسكب عند ذكره المدامع. اللهم انصر دين الإسلام فإنه قد أشرف على الخراب والانهدام، وارحم الغرباء فإنها قد ضاقت بهم الجبال والآكام يا أرحم الراحمين، فيا معشر المؤمنين، ويا ضالة الموحدين، تيقظوا من غفلتكم، وراجعوا دينكم من قبل أن يصب عليكم البلاء صباً، وتدعون إلهكم فلا يستجيب لكم، ولاتطمئنوا إلى الحياة الدنيا فإنها لاتبقى على أحد من العالمين، وإنما هي طيف خيال عما قريب تصبح كأحلام النائمين.

وأن هذا السلطان الخبيث، قد كدر على المسلمين مشارب الدنيا والدين، فأخلعوه قبل أن يبيعكم من الكافرين، وتصبحوا من طاعته نادمين، اللهم نشهدك إنا بما أنزلت مؤمنين، ومما زعمه المترفون بريئون، فاكتبنا مع الشاهدين يا إله العالمين.

وفي أواخر شهر رمضان حصل مع الإمام عليه السلام عارض زائل فتألمت لألمه الفضائل، ومع ذلك المرض الشديد فإن الإمام عليه السلام لم يعتذر عن تدبير ما وقع من الأمور المهمة، وتحصيل ما فيه نفع للأمة، ثم منّ الله بالشفاء فالحمد لله.

وفي هذه المدة وصل إلى حضرة الإمام هذه الأبيات من السيد الأديب محمد عبدالله الخزان وهي:

علوت على العليا يا ابن الأكارم	ورثت من الآباء كل المكارم
سبقت جميع الناس في كل مفخر	بلغت ارتفاعاً فوق هام النعايم
أقمت قناة الدين في كل بلدة	وهدمت بنيان الخناق المظالم
وأحييت شرع الله أنفذت حكمه	وعثرت ماقد كان من كل ظالم
وفزت بكل الفضل للمجد أنت قد	بنيت بناءً غير واهي الدعائم
حويت كرامات الأئمة كلها	ولم يحتووا مافيك كل الهواشم
فلولاك يامولاي والله مقسماً	لعم الورى في الأرض ظلم الأعاجم
وأضحى بها الدين الحنيف مهدماً	ويعتم في أنجادها والتهايم
ولاانتصبت في العصر للحق راية	ولاعلم يمتاز بين العوالم

ولا مـــن يلـــوذ المؤمنـــون بـــه ولا مغيـــث لهـــم يـــدعى لرفـــع المظـــالم

فكـــم كـــان مـــن ظلـــم وجـــور لظـــالم وكـــم بغـــى بـــاغٍ وانتهـــاك محـــارمٍ

ولكـــن رب العـــالمين اصـــطفاك مـــن خيـــار بنـــي الزهـــراء التقـــي الجـــرايم

«ق٨٣أ»

إمـــام الهـــدى المنـــصور أفـــضل قـــائم مـــن الغـــرة الأطهـــار نـــسل الفـــواطم

قـــد اختـــاره الله الحكـــيم خليفـــة لحفـــظ حـــدود الله مـــن كـــل نـــاقم

لـــه صـــاح طـــير الـــسعد منـــذ قيامـــه إلا قـــام محـــي الـــدين مـــن آل قاســـم

وأن إمـــام العـــصر هـــذا هـــو الرضـــا لقـــد جـــاء قـــدماً بغتـــه في الملاحـــم

فمـــن رام حـــصر المـــدح فيـــه مكـــارم فلـــم ينحـــصد منـــي ومـــن كـــل نـــاظم

فمنـــذ نـــشأ في شـــدة البـــأس عـــادلاً مـــع الـــرأي والتـــدبير أحـــزم حـــازم

إلى أن حـــوى لكـــل الفـــضائل واســـتوى بعلـــم وجـــودٍ يـــزدري جـــود حـــاتم

وصرت أمـــير المـــؤمنين مـــدمراً لأهـــل المعـــاصي بالـــسيوف الـــصوارم

وأنـــت مـــلاذاً للمطيعـــين ملجـــاء وأنـــت لـــدرء الحـــادث المتفـــاقم

حليـــف النـــدا نـــافي الـــردا قـــاهر العـــدا وجـــالي الـــصدا حتفـــاً لكـــل مقـــاوم

ذكـــي تقـــي كامـــل ذو كرامـــة حلـــيم لـــذي الأحـــداث أعـــدل حـــاكم

فجـــددت ديـــن الحـــق مـــولاي نـــاصراً وشـــيدته عـــدلاً بجـــد العـــزائم

فلازلـــت بالنـــصر العزيـــر مؤيـــداً ودمـــت لحفـــظ الـــدين يـــاخير قـــايم

وفي ليلة عيد الفطر وقع مطر ديمة[1] عـم الأرض جميعـاً، أعنـي قطـر الـيمن وخرجنـا لصلاة العيد في المقام حضرة الإمام عليه السلام، فلما أحرم الناس لصلاة العيـد نـزل المطـر فلما كملت الصلاة انكف المطر حتى كملت الخطبـة وممـا قيـل في التهنئـة بالعيـد لجنـاب الإمام السعيد:

---

(١) مطر ديمة: الديمة المطر الذي ليس فيه رعد ولابرق الدائم في سكون. (ابن منظور: لسان العرب المحيط، ج١، ص١٠٤٢).

نهنيك بالعيد الذي أنت عيده | بكم قد تحلى بالفضائل جيده
فلله دهر أنت قاموس مجده | وخير زمان أنت فيه وحيده
فأنت الذي أحييت كل فضيلة | ورسم العلا لاشك أنت معيده
بدا منك بدرٌ ليس يخش أفوله | فلا مفخر إلا وأنت مشيده
عجبت لمن يشكو من الدهر ضيمة | ومثلك يا مولاي عز وجوده
أبى الله إلا أن يتم لك العلا | ويشرق في أفق الكمال سعوده
ومن رام من هذا الإمام خلافه | فإن إله العالمين يبيده
يقولون قد جاء العدو مشمراً | وقد كثرت أعوانه وجنوده
وخاب من الأنصار كل مؤمل | سوى ملك لايستضام عبيده
فقلت لهم هذا هو الفرح الذي | ستمطر بالنصر العظيم رعوده
وكيف يخاف الضيم والله حسبه | ومولاه مولاه العظيم عضيده
وهذا نزول الغيث أعظم شاهد | فنسأل رب العالمين يزيده
يبث أقداماً ويصلح فاسداً | ويذهب رجزاً للعدو يريده

«ق٨٣ب»

فلا تحسبن الله مخلف وعده | فما اختلفت ياقوم قط وعوده
فعما قليل يظهر الحق في الورى | ويخفق في كل البلاد بنوده
وينزل علج الروم في شر منزل | ويقطع إن شاء الإله وريده

وفي ثالث عيد الفطر جهز مولانا عليه السلام من بقى في المقام من حاشد ووادعه لمواجهة العدو الذي في الصرارة، وجعل المقدمي عليهم سيف الإسلام محمد بن المتوكل عليه السلام، وكان حينئذ عاملاً على بلاد السودة فأرسلهم إليه فلما وصلوا السودة حضرة سيف الإسلام أبي أهل السودة أن يفتحوا لهم البيوت الحصون، وناوشوهم بالحرب حتى تكون رجل من المجاهدين في بني منصور، فكان مقر سيف الإسلام ومن صحبته في جبل

بني عبد[1] ، ولم يقبلوهم أهله إلا بخداعه، وكانت السبب في هذه الأمور الظاهر البشاعة أن المنافقين أعوان الأعجمين، أرجفوا على أهل السودة وأنه لاقدرة لهم على مقاومة العجم وهم في غاية ما يكون من الكثرة، وأخذوا لهم الأمان وقادهم الخذلان، فاستحوذ عليهم الشيطان حتى أظهروا المخالفة على إمام الزمان وكل ذلك صادر من المشايخ الذين صار الظلم في صدورهم كالجبال الشوامخ، ومرامهم الاستبداد بالامر فخيب الله املهم ثم إن العجم لما رأو أنه لايمكن استمرار الطاعة من أهل الشرف ضاق بهم الحال لما رأو من قتل الرجال ونهب الانفال فعزموا على الإرتحال، فانتقلوا من قرى بنى كعب ونوسان والجبر وما يلي ذلك ،ولحقتهم رجال نوسان وبنو كعب بالحرب ،وقد صاروا في اعظم مايمكن من الذلة والهوان، حتى صار النفر القليل يتبعون الكثير من العجم فلا يقابلونهم الا بالفرار حتى وصلوا موضعاً يسمى الراحة شرقي وادي مور[2] وكان خروجهم من الشرف يوم الخميس خامس شهر شوال بما بقى معهم من الأثقال. وكان بعض الحمول سخرياً لأهل الشرف، فلحقوهم بالحرب حتى استطرحوا تلك الدواب وباتت العجم ليلة الجمعة في الراحة، وكان مرامهم يقطعوا موراً فمنعهم نزول السيل. ومكثت العجم يوم الجمعة في القرية المذكورة، وقد نفد عليهم الميرة والمونة. وكان الإمام عليه السلام قد أرسل الشيخ مسعود البارق، وصحبته جماعة ليلقى العجم، وكذلك سيف الإسلام، وعماد الدين بن الإمام حفظه الله وأرسل السيد الظافر والسيف الباتر حسين بن قاسم عامر وصحبته جماعة من بني عرجلة[3] والغنايا، وتبعتهم جماعة من بني نسر، فلما وصل السيد حسين بن قاسم والشيخ الصادق مسعود البارق إلى الحيمة، وجدوهم قد داخلهم الرعب والوهن والخصال الذميمة، فتأمنوا من العجم وظنوا الهزيمة، ومنعوا المجاهدين من التعرض للعجم من بلادهم.

---

(١) جبل بني عبد: عزلة جبل عيال يزيد.

(٢) وادي مور: أكبر أودية تهامة التي تصب في البحر الأحمر. (الحجري: المجموع، ج الرابع، ص٧٢٣) .

(٣) بني عرجلة: من قبائل حاشد وعذر (الحجري: المجموع، ج٣، ص٥٩٨) .

وقعة الدومة والراحة ووادي أخرف[1] :

وصفتها أنه لما عرف ذلك السيد شرف الدين حسين بن قاسم عامر، عزم هو ومن صحبه والشيخ مسعود البارق على غزو العجم إلى الراحة، فغزوهم إلى هنالك عصر يوم الجمعة فاستمر الحرب إلى يوم السبت. وفي يوم السبت شدّ العجم نحو بني جديلة[2] فتبعهم المجاهدون بالحرب إلى سوق الدومة، واجتمع المجاهدون عليهم من كل جهة وظنوا أنها الهلكة، ولحقت الغارة من بني كعب والحماريين[3] صحبة الشيخ يحيى بن علي المعازي «ق٨٤أ» والشيخ صالح بن يحيى يمن حتى هجموا على العجم إلى محطتهم في سوق الدومة. ثم في يوم الأحد باكرتهم الأنصار بالحرب من كل جهة حتى وصلوا إلى أسفل وادي أخرف في الشقيق، ووقع هنالك حرب عظيم، وأشرفت العجم على التلف وقل عليهم الزاد والعلف، وحصل فيهم القتل الذريع، وكان عامل الإمام عليه السلام في ظليمة[4] السيد العلامة الورع لطف بن علي ساري، لما بلغه ما ذكر ضرب المرافع[5] وأمر أهل ظليمة بالغارة، فغاروا بأجمعهم إلى وادي أخرف، وكان قد نفد على العجم الطعام بالكلية، وفشق[6] المدافع فظنوا الهلكة، ولو لا أنهم وجدوا لهم منفذاً من بلاد السودة جهة العدن، لكان ذلك الوادي مقبرة لهم، ولكن العجم سارعوا بالهرب واتسعت لهم الطرقات من جهة العدن، وكان الخلل من بلاد السودة سيما قبيلة ابن حكم، فإنهم منعوا المجاهدين من دخول القرى المشرفة على بني جديلة، فارتحلوا من أخرف حتى وصلوا إلى السودة بعد اللتيا والتي، وصارت أمورهم غير محمودة. ولم يزل سيف الإسلام عماد الدين يحيى بن الإمام حفظه الله، وبلغه المرام في تلك الأيام يمد المجاهدين بالزاد والمونة، ولقد حصل من النصر المبين ما أقر الله به أعين المؤمنين، لأنه كان مرام الأعاجم قصد جبال الأهنوم من

---

(١) وادي أخرف شمال شرق حجة، تجتمع إليه روافد سيول عديدة ويصب في وادي مور.
وأخرف: قرية في ناحية خارف. (المقحفي: المعجم، ص٢١) .
(٢) بني جديلة: من بطون حاشد لهم ناحية مسماة باسم القبيلة. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٨١) .
(٣) الحماريون: من قبائل حجور. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٢٨١) .
(٤) ظليمة: ناحية مركزها حبور في محافظة حجة. (التعداد: ص٣٦٢) .
(٥) المرافع: أي الطبول.
(٦) فشق المدافع: الفشق أنبوبة صغيرة من النحاس تملأ باروداً لحشو الأسلحة النارية. (وهي تركية) .

الجهة الغربية، حسبما سوّل لهم بعض الشياطين الآنسية، فخيب الله أملهم، ولم يصلح عملهم،ورد كيدهم في نحورهم. ولما بلغ الإمام عليه السلام أن أعداء الله محصورين في وادي أخرف قد أشرفوا على التلف، عزم أن ينهض بنفسه لولا أنها لم تطل المدة، وخشى من خيانة العدة، ولما سمع الناس بهذه الوقعتين استبشر لذلك المؤمنون، وعظم الكرب على المنافقين، ومما أخبرنا به أن رجلاً من البدو غزا إلى مطرح العجم وسلب أحدهم بندقاً وهرب، فصاحت العجم بالنفير أن أضربوا نوبة عطش بمعنى أرموه جميعاً فرموا، فقتلوا من أنفسهم نحو العشرين وسلم الله الرجل، ولقد طارت قلوب العجم من هذا الخطب الأعظم، وعلموا أن الأمر جد ليس بالهزل. وكان قد أعلن بالطاعة للعجم أكثر البلاد أعني الجميمة[1] ، وبلاد ظليمة، وغالب جبل الأهنوم، لولا فضل الحي القيوم، حتى أن الذين تولوا الحرب كان أكثرهم ممن قد أظهر طاعة العجم فكان ذلك معدود من كرامات هذا الإمام الأعظم، حتى أن رجلاً من الجميمة يسمى يحيى بن جابر كان قد قصد العجم، وأظهر الطاعة فأخذو معهم وساموه سوء العذاب، وكذلك السيد علي بن أحمد رجل من آل المنصور، ساعد الشيطان الغرور فلما وقع الحرب أيقن أنه لايسلم ففر لأنه كان ممن منّى العجم وحسن لهم الأمر. ثم إن العجم لما استقروا في السودة طلبوا من أهلها السياق وكفاية العساكر، وساموهم سوء العذاب، وهذا جزاء من خالف قرناء الكتاب، على أن العجم في وجل مما بهم قد نزل، فلم يلبثوا في السودة غير ثمانية أيام. وكان مطرح سيف الإسلام بمن معه في جبل بني عبد والسيد شرف الإسلام حسين بن قاسم عامر في حبور[2] بمن معه، ولم يزالوا يعشرون ليلاً إلى مطرح العجم.

وفي هذه المدة وصل مكتوب من الياور علي بن مثنى الحسيني إلى حضرة الإمام، وفيه مراوغة وطلس[3] وكذب.

---

(١) الجميمة: اسم مشترك لعدة قرى منها، الجميمة قرية في سيران الشرقي، في ناحية شهارة، والجميمة قرية في جبل صعفان في ناحية حراز، والجميمة قرية في ناحية مبين في حجة، والجميمة قرية في عزلة عزان، ناحية كحلان عفار محافظة حجة. (المقحفي: المعجم، ص١٤٣، التعداد: ص٩٨) .

(٢) تقدم ذكرها.

(٣) طلس: هو المراوغة والمداهنة أي الخداع، وأدهن له: أظهر له خلاف ما يضمر. (المنجد: ص٢٢٧) .

فأجاب الإمام عليه السلام بما لفظه: حضرة الياور المكرم والأمير المفخم علي بن مثنى الحسيني أنار الله له سبل الرشاد، وكشف له حقوق من أنزل محمد عليه: ﴿إِنَّمَآ أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]، وجنبه طريق الغواية التي سلكها أولو الإلحاد، وزموا إليها كل عاصٍ لله في كل واد. «ق٨٤ب» والسلام عليه ورحمة الله وبركاته، صدورها بعد وصول مشرفكم المتضمن إنه سألكم الباشا عن جواب الكتاب، فلم يصل إلينا كتاب غير ما قد وصل جوابه إليكم، وأعرضتموه علينا، ولقد عتبتم علينا بأنا الذي نسعى في سفك دماء المسلمين، وإنا نبرأ إلى الله من سفك دم مسلم حرام بغير حق، وأن الباشا الآن ربما يصدق المتمذلقين، ويسمع كلام المنافقين، الذين يسوقونه ويشجعونه ويقولون له، قد قربنا لك الناس إلى تحت الدكة، فلم يبق إلا تركب الخ، وفيه بعض مراوغة والسؤال معاد في الجواب.

وفي هذه المدة تلقى المجاهدون الذين في جبل بني عبد صحبة سيف الإسلام أهل الجلب الذين يجلبون المحتاج للأعاجم الطعام، وأخذوه وأرادت العجم القدوم عليهم وناوشوا الحرب، ورأوا الغارة نازلة من جميع البلاد من جبل الأهنوم وظليمة وغيرهما، فارتاعت العجم لذلك ورجعوا إلى السودة وقد خالطهم الوهن.

وفي يوم الإثنين سادس عشر شهر شوال، ضاق المقام بالعجم في السودة، وكثرت فيهم الأمراض والفناء في الرجال والدواب، حتى عسر عليهم نقل الأثقال فحينئذ عزموا على الانتقال، بعد أن أنزلوا بمن أطاعهم من أهل السودة النكال، وفجروا بنسائهم، وقد كان من أملهم أن يدخلوا الجهة القبلية من جهة حبور، لكنهم لما رأوها مشحونة بالرجال هابوها وخافوا من دعوة الويل والثبور، وصاروا يتوعدون إنهم لابد يكون دخولهم الجهات القبلية من خمر، نسأل الله أن يدفع شرهم المستمر، وينزل بساحتهم الرعب كماءٍ منهمر. ولما وصلوا إلى الصرارة واجتمعوا بمن خرج من صنعاء، رأوا ما لايقدرون عليه دفعاً من موت الرجال والجمال والبغال، وبقوا هنالك متحيرين. ولما وقع هذا الفتح المبين

---

(١) سورة الرعد: آية رقم .

وأغاظ الله المنافقين قال بعضهم في ذلك:

الله أكـــبر هكـــذا الألطـــاف ... وكـــذلك الأكـــرام والأتحـــاف[1]

بـشرى أمـير المـؤمنين لـك الهنـا ... فـروا ولا حـزب ولا إيجـاف[2]

لمـا لجـأت إلى إلهـك عالمـاً ... أن لا سـواه في الخطـوب يـلاف[3]

أولاك مـولاك الجليـل بفـضله ... مـا لا يحـيط بوصـفه الوصـاف

وكفـاك شر عـدوك الكلـب الـذي ... ضـاقت لعظـم جنـوده الأكنـاف[4]

لمـا أتـى متكـبراً متجـبراً ... قـد قـاده الإعجـاب والإسراف

آلا عـلى الـرب العظـيم وكـل مـن ... آلا فـلا يرجـى لـه إسـعاف

وتقاعـد الأقـوام عـن نـصر الهـدا ... نفـق النفـاق وصـدق الأرجـاف

خـاب الـذي كنـا نؤمـل خـيره ... وتزلـزل الأصـحاب والآلاف

حـسبوا بـأن الله لـيس بنـاصرٍ ... حاشـاه لـيس لوعـده إخـلاف

لم يعلمـوا أن الإلـه بفـضله ... ولمجـده لكروبنـا كـشاف

لم يجعـل الـرحمن عنـدك للـورى ... مـن منـةٍ لـصنيعها وقـاف

بل كان خالقـنا تولى أمـرهم ... سنن الإله بها مضى الأحقـاف

«ق٨٥أ»

لم يعلمـوا أن الإمـام مؤيـد ... حقـاً وإن رغمـت بـذا الأنـاف

فعلـت جيـوش عدائـه ورجائـه ... في الـروم ما لا تفعـل الأسـياف

عجبـاً لمـن ألقـى القيـاد لربـه ... ولجـأ إلى مـولاه كيـف يخـاف

يـا ويـح أقـوام أسـاءوا ظـنهم ... هـدموا بنـاءً شـاده الأسـلاف

وطـؤوا قلـوبهم عـلى هـدم الهـدى ... تبـاً وجـدعاً هكـذا الأجـلاف

(١) الأتحاف: الطرفة من الفاكهة ومن الرياحين (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٣١٣).

(٢) إيجاف: الإيجاف سرعة السير. (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٨٨٢).

(٣) يلاف: أو الولاف أي الاعتزاء والاتصال (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٩٨٣).

(٤) الأكناف: الصدر والعضدين. (لسان العرب، ج٣، ص٣٠٣).

جبلوا على حب الحطام كأنهم حمر ولكن مالها آكاف[1]

فأرسل الإمام عليه السلام هذه الأبيات إلى مدينة صعدة المحمية. فذيلها السيد العلامة محمد بن يحيى شريف بما لفظه:

قد عملوا الأسفار فوق متونهم بئس المثال وبئس قوم خافوا
ظلت عقولهم بسوء فعالهم فصفاتهم نطقت بها الأعراف
لم يعلموا أن المهيمن فوق من رام الفساد وفوق من قد خافوا

قد أيد الدين الحنيف بسيف مو لانا الذي هو للعدا أنقاف[2]
لم يخش في دين الإله ملامة لو ناله في ذلك الإجحاف
قد حاز علماً باهراً وفصاحة وشجاعة لم يؤتها الأسلاف
فأذل أعداء الإله بعزمه فغدت قلوبهم لها أرجاف
من بعد أن ملأوا بجمعهم الثرا وارتاعت الأوساط والأطراف
فتفرقوا أيدي سبأ وأعتاقهم من ذي الجلال الحتف والإتلاف
فانجاب[3] أقتام الظلام وأسفرت أوساط تلك الأرض والأشعاف[4]
ثم الصلاة على النبي وآله مادامت الأنفال والأحقاف

وقال السيد العلامة أحمد بن إبراهيم الهاشمي من أشراف صعدة:

حمداً لمن آلاؤه أصناف ونواله من فوقنا أضعاف
لما التوت وتعقدت وتكررت منا القلوب وأكثر الإرجاف

---

(١) آكاف: يكون للبعير والحمار والبغل، وما يوضع فوق الدابة، (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٩٧٧).
(٢) أنقاف: المناقفة المضاربة بالسيوف على الرؤوس، والنقف هشم الرأس. (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٧٠٨).
(٣) أنجاب: المنجاب الضعيف. (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٥٨٠).
(٤) الإشعاف: رؤوس الجبال (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٣٢٧).

أهـــدى إلينـــا جـــوهر شـــفاف | أزراً بـــما قـــد قالـــه الأســـلاف
لله در العـــــالم الحـــــبر الـــــذي | قـــد شـــاع نظـــماً ذاقـــه العـــراف
فلقـــد حـــوى علـــم البـــديع مكمـــلاً | حتـــى غـــدا لكـــر بنـــا كـــشاف
فبـــذا البـــشاير والهنـــا لإمامنـــا | المنـــصور مـــن دانـــت لـــه الأشراف
مـــن قـــام للـــدين الحنيـــف مجـــرداً | ســـيفاً هـــذا مالـــه أغـــلاف
فـــإذا الكتائـــب والمواكـــب والركايـــب | والـــــذخاير بعـــــدها أرداف
حتـــى غـــدا للـــدين منـــه شـــوامخ | مـــا أن لميـــد بأهلهـــا الأطـــراف
وتزلزلـــت أرض الأعـــاجم عـــن يـــدٍ | حتـــى أخرجـــت أنفالهـــا تنـــضاف
فأتـــت إليـــه كالـــسحاب تكاثفـــت | أو كالبحـــار فموجهـــا زغـــاف
قـــد أملـــوا أن يطفئـــوا نـــور الهـــدى | خـــابوا وخابـــت تلكـــم الألفـــاف
لم يعلمـــــوا أن الإلـــــه مؤيـــــدٌ | لوليّـــــه مادامـــــت الأيـــــلاف
لم يكـــترث بجمـــوعهم وســـلاحهم | بـــل شـــد عزمـــاً مـــا لـــه وصـــاف
متمـــسكا بـــالعروة الـــوثقى التـــي | لاتنفـــصم بـــداً فلـــيس يخـــاف
فتعجـــب الأروام عـــن عزماتـــه | متحـــيرين فـــما لهـــم إســـعاف
لاتعجبـــوا مـــن عـــزم ليـــث قـــارم[1] | لم تثنـــه الإرهـــاب والأرجـــاف
الله أيـــــده وحقـــــق وعـــــده | والله لـــــيس لوعـــــده إخـــــلاف
مـــازال محفوظـــاً ومنـــصوراً عـــلى | الأعـــداء يـــسري فوقـــه ألطـــاف
ثم الصلاة على النبي وآله | مالاح برق فوقه قصاف

ثم لما ارتحلت العجم من السودة، طرحوا في اللومي[2] والصرارة، وطفقت أعوانهم من العرب يغرونهم ويحثونهم على دخولهم القبلة، والتزموا لهم بإصلاح.

«ق٨٥ب» بلاد حاشد ثم مازالوا يكـاتبون بـلاد حاشـد وينـصبون لهـم المخادعـات والمكايد، ويرغبون ويرهبون كافاهم الله بما كانوا يعملون. وكاتبوا الإمام عليه السلام بـأن

(١) قارم: الآكل للحم وشدة الشهوة إلى اللحم، (لسان العرب، ج٣، ص٧٠) .

(٢) اللومي: قرية في عزلة عيال يحيى، ناحية جبل عيال يزيد محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٧٣) .

يُرْجِّع المدفع، وتسليم السلاح أجمع، وطلبوا الصلح من الإمام عليه السلام، من طريق بعض أعوانهم من العرب اللئام، وقد كان أطمعهم الإمام بالمساعدة للصلح، وبعد أجاب عليهم بأنها كانت ستقع المصالحة لولم يجهزوا العسكر من كل جهة وأيسهم عن المدفع، وحينئذ صاروا يتهددون. ثم إن الإمام عليه السلام أعاد المكاتبة إلى حاشد يحثهم على جهاد عدوهم، وأن العجم لما تعذر عليهم الدخول من الجهات الغربية جهات الرعية، وجدوا لهم طريقاً سهلاً من بلادكم ، فلم يسمع لقوله إلا من أجاب سابقاً، أعني صحبة سيف الإسلام محمد بن الإمام المتوكل، الذين في جبل بني عبد. ثم إن سيف الإسلام العلامة عماد الدين يحيى بن الإمام حفظه الله أنشأ هذه القصيدة الفريدة متبرماً من العرب وإثارة لهمة سيف الإسلام محمد بن المتوكل حفظه الله وأرسله إليه وهي هذه:

عدّ عن ذي المبسم الشيم	وأهل الضال والسلم
من لهم في كل جارحة	جارح يأتيك بالسقم
كل عباس يضاحككم	خيفةً ياقلب واحتكم
والتفت نحو الأولى غرسوا	باسقات العز في الضرم(1)
وانحرف نحو الذين لهم	من حصون الفخر والكرم
كل حصن ليس يهدمه	هادم اللذات والألم
سادة سادوا المجدهم	قادة الأبطال في الظُّلَمِ
سادة سنوا الخروج على	كل فسيقٍ ومجترم
سلكوا منهاج والدهم	في قتال البغي بالخذم(2)
ولهم في كل معركة	كل فخر غير منهدم
خلف من قبله سلف	لم يقف شخصٌ ولم يجم
وإذا ما جئت عندهم	فأنخ وحناك والتطم

---

(١) الضرم: النار المشتعلة (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٥٣١) .

(٢) الخذم: سرعة السير (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٢٩٧) .

فهمُ للجود معدنه ... وهم الرقاد للديم

وهم للمجد أعمدة ... وهم في الناس كالعلم

وهم الأبطال يوم وغى ... إن يكن قدفر كل كمي[1]

وهم في يوم مفخرة ... هدف الأبصار للكرم

وهم كل الأنام وكل ... بني الأيام كالعدم

وأقرهم يا مرسلا عجلاً ... بسلام ديف بالسلم

نشره كالمسك جوهره ... جوهر في سلك منتظم

ثم نادى في ربوعهم ... بلسان واضح الكلم

خبرونا يا أحبتنا ... يا أهيل الحل والحرم

يابني المختار سيدنا ... طاهر الأعراق والشيم

كيف أنتم إن يكن جمعت ... أسرة الأعداء من العجم

بجيوش مالها عدد ... قطنت في أرفع الأطم[2]

وأتت بالخيل راكضةً ... وبايديها عُرا اللحم

وأعدت من مدافعها ... طاحنات الطود والأكم

صوتها كالرعد إن قرحت ... تتحف الآذان بالصمم

ومن المرتين ما حسبت ... إنه مستأصل القمم

برصاص نبلها مطر ... نازل من واكف الديم

ولها في سيرها زجل ... دونه يأتيك بالرخم[3]

واستعانت من شقاوتها ... من بني الأعراب كل عم

وجفت منها القلوب وما ... رجفت من كل معتصم

عالم أن الإله على ... كل جيش أي منتقم

---

(١) كمي: كل من لبس القلنسوة. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٢٩٧) .

(٢) الأطم: حصن مبني بحجارة (ابن منظو: لسان العرب، ج١، ص٧١) .

(٣) الرخم: الإشفاق: (ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص١١٤٧) .

(٤) تم إضافة هذه الجملة في الحاشية: (مجرور بالجوار كقوله تعالى وحور عين) .

غير أن العرب قاطبة ... البسوا بالظلم والظلم

لم يراعوا أمر قائمهم ... والوفا بالعهد والذمم

فابتلوا بالترك تطحنهم ... طحن من لم يدر بالنقم

وانزوا نصر الإله لهم ... عنهم من سوء فعلهم

كيف إن جاءت على عجل ... راكضات الكرد والعجم

زاعمات أنها سبعٌ ... للهام الذين ملتقم(٤)

«ق٨٦أ»

بلسان الحال قائلة ... يالثأر الكفر والصنم

يالثارات الفجور وثا ... رات الخمر والبرم

يالثارات العلوج ذوي ... البغي والعدوان والتهم

يالثارات المجوس ومن ... مثلهم من أخبث الأمم

يالثارات التي كحلت ... طرفها في غفلة الظلم

يالثارات التي سحبت ... بردها للخدش للقدم

يالثارات الذين إذا ... جمعوا شيخان مرتهم

ويدور الخمر بينهم ... ويمل الخمر كل فم

يالثارات التي رقصت ... بحيال النقر والنغم

يالثارات الغلام إذا ... صار في الأفعال كالرحم

يالثارات الحشيش إذا ... عاد عقل المرئ في عدم

يالثارات اللواط ... وثارات زنا ومغتلم

كم يهودي له كفل ... وافرٌ يهديه للعجم

يالثارات الفسوق معاً ... كل علج غير منفطم

من ذوي التوحيد قاطبة ... خير هذا الخلق كلهم

من أولي العدل المنزه لله ... باري الخلق والنسم

مـــن بنـــي الزهـــراء أجمعهـــم	ورعـــاة الـــسيف والقلـــم
مـــن جماعـــات عيـــونهم	عنـــد نـــوم النـــاس لم تـــنم
مـــن جماعـــات متـــى سئم الـــصوم	منـــا معـــشر تـــصم
مـــن جماعـــات التـــشبع مـــن	كـــل شـــخصٍ واضـــح اللقـــم
هـــل لكـــم يـــا جـــيرتي أربٌ	أن تـــشبوا نـــار ذي ســـدم[1]
وتثـــوروا في الـــوغى غـــضباً	لهـــداة البيـــت والحـــرم
تنـــصروا مـــن خـــاب ظنهمـــوا	حـــين ظنـــوا المجـــد بـــالأمم
ظـــن أهـــل الـــدين كلهمـــوا	وإمـــام العـــرب والعجـــم[1]
إن همـــداناً إذا دعيـــت	لجهـــاد الـــترك لم تجـــم
وإذا ســـارت إلى بلـــدٍ	حفظتـــه حفـــظ ملتـــزم
وحمـــت أهـــل الـــبلاد مـــن العـــسف	والعـــدوان والخـــصم
وتولـــت مـــن لـــه ســـبب	مـــن مغـــار[2] غـــير منقـــصم
بـــولاء الآل متـــصل	يالـــه فخـــراً عـــلى الأمـــم
وتعـــادي كـــل منحـــرف	عـــنهم للـــدين مجـــترم
ومتـــى قـــال الإمـــام لهـــا	أي قـــول منـــه تلتـــزم
وحباهـــا كـــل مـــا جمعـــت	كفـــة مـــن مـــال والـــنعم
ثـــم ولـــت عنـــه مـــدبرة	ويلهـــا مـــن باعـــث الأمـــم
وإذا مـــا بلـــدة دخلـــت	أخـــذتها أخـــذ منـــتقم
كـــم يتـــيم مالـــه أخـــذت	وشـــيوخ مـــن ذوي هـــرم
وعجـــوز مـــن بنـــي حـــسن	ســـلبت القهـــر والعظـــم
وتولـــت كـــل منحـــرف	عـــن إمـــام الحـــق ذي الكـــرم
وأهانـــت كـــل متـــصف	بـــولاء الآل ملتـــزم
وإذا جـــاء العـــدو لهـــا	ولـــت الأدبـــار كـــالغنم

---

(١) السدم: الندم والحزن (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١٢٢) .

وتتالت عنده هرباً ... هارب في إثر منهزم

كم أناس يهربون وما ... إن لنار الحرب من ضرم

وأناس يهربون ولم ... يصلوا ميقات حجهم

خالفوا رأي الإمام ولم ... يستحوا من بارئ النسم

أكلوا سيب الإمام ولم ... يدفعوا عند أذى العجم

كل هذا جالب غضباً ... من إله الخلق ذي النقم

وإمام الناس والنفر ... الذاكرين الله في الظلم

غضب لله لا لهوى ... بل لهتك الناس والحرم

ثم قالوا كيف لم ... يتلقاهم الموتى ويستلم

كيف لم يشكر فعالهم ... ولراءهم أيما شمم

وانزو عنهم وعاتبهم ... صدقوا الكن على لمم

كيف يرضى عنهم وهم ... لم يروا إلا على سقم

وعلى ترك الصلاة ... وحرم عهود الله والذمم

وترى مولانا الإمام إذا ... جاءه ذو الدين لم يلم

يابني الزهراء قائمكم ... قائلاً أهلاً بذي الهمم

أيها الإشياع قاطبة ... قاتلوا لله والرحم

قبل أن تأتي عقوبتنا ... من سماءٍ أو من العجم

وبصلاة ذو الجلال على ... أحمد والآل فاختتم

ثم إن أعداء الله العجم نقلوا المحتاجات من عمران ومن صنعاء، وقد كان كتب عبدالله باشا إلى حسين حلمي أن يشتري جمالاً لحمل أثقالهم حيث ماتت البغال والجمال، فبالغوا في أثمان الجمال وأرسلوها إلى الشرف فماتت ثم لما وصلوا الصرارة أرسل إلى حسين حلمي أن يشتري لهم بهايم، فاشترى كثيراً، وسخروا ماقدروا عليه حتى سخروا جمال

---

(١) تم إضافة هذين البيتين في حاشية الكتاب من المخطوطة (أ) أما المخطوط (ب) فلم يرد هاذان البيتان فيها.

(٢) تم تصحيح الكلمة (مغار) وفي الحاشية وردت (المغار الحبل).

المساني[1] فهلكت. ثم إنهم ارتحلوا من اللـومي والـصرارة بفخـرهم وخـيلائهم «ق٨٦ب» وللإدبار أمارة، فلما وصلوا السِّنتين [2] دخلوا البيوت وكانوا أهلها مـن أصر عـلى التحـاكم إلى الطاغوت. وأما الإمام عليه السلام فإنه لما بلغه تحرك العجم إلى السِّنتين، أرسـل سـيف الإسلام محمد بن الإمام بالمبادرة بمن معه الذين كانوا في جبـل بنـي عبـد فلـما وصـلوا إلى الحضرة الشريفة، وقعت المشاورة فيما يصلح لهذه الطائفة الفـاجرة الكـافرة، فوقـع الـرأي الشريف بأن العقال الحاضرين من حاشد في المقام، يفتحوا بيوتهم للمجاهدين، فأرسل لهم الإمام عليه السلام، وعرفهم بالرأي فامتثل جميع من حضر لفتح بيته بمن عين الإمـام مـن المجاهدين لتشتيت النظر عـلى طايفـة الأعجمـين. وكتـب الإمـام عليـه الـسلام لرجـال العصيمات، ورجال عِذَرْ يحثهم على الجهاد، وأن العدو إذا لم يتلق بحرب فلابد يتخذها دار مقر، فأجابت رجال العصيمات العلوا والسفل، ورجـال عِـذَرْ لله درهـم مـن فتيـة حـازوا المفخر، فعزم سيف الإسـلام، وعـزم مـن حـصل مـن بنـي صُرَيْـم، وبنـي قـيس وخِيَـارْ والعُصَيمَات، وعِذَرْ، صحبة وكيل الصرف السيد الهمام والليث الضرغام عبدالله بن يحي ابو منصر، وحبذاً من رجل صدق وصبر، فلما وصلت رجال عذر والعصيمات إلى بنـي صريـم وخيار وبني قيس، قلبوا لهم ظهر المجن، وأبوا ان يفتحوا لهم البيوت وعـزم بعـضهم عنـد العجم، فوقع مطرح سيف الاسلام في غيل القشّام. وأما النقيـب محمـد مبخـوت الاحمـر، والشيخ الصادق مسعود البارق ومـن صـحبتهم مـن المجاهـدين فإنـه وقـع مطـرحهم في العقيلي، وصاروا يغزون العجم في كل ليلة إلى مطرحهم.

---

(١) جمال المساني: السانية الغرب وأداته: والسانيه الناضحه وهي الناقة التي يُستقي عليها، والسواني ما يسقى عليـه الزرع والحيوان من بعير وغيره، والساني المستقي، وسنوت الدلو سناوةً إذا جررتهـا مـن البئـر، والـسانية هـي الجمل والإبل والناقة:(ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ٢٢٥) . وجمال المساني: وهي منتشرة فهـي الآبـار والتي يستخدم فيها الجمل لجر حبال الماء لرفع المياه من البئر بالدلو.

(٢) السنتين: تسيع بني صَرِيم عزلة في ناحية خمر محافظة صنعاء. وهي السنتين العليا والسنتين الـسفلى. (المقحفـي: المعجم، ص ٣٣٣، التعداد: ص ٢٠٥) .

ومن الوقايع: في هذا الاسبوع

أن العجم خرج منهم جماعة نحو طابورين قاصدين العيان[1]، فأرسل إليهم قرين الشيطان جبران الغشمي بعقير على أن يرجعوا، فلما رجعوا من هنالك تلقاهم مسعود البارق، ومحمد مبخوت، ووقع بينهم الحرب حتى أدخلوهم السّنتين وكان فيهم ما كان من الحين.

الوقعة الثانية :

وصفتها أن الشيخ مسعود، والشيخ محمد بمن معهما من القوم تلقوا حمولة العجم الواصلة من جهة الغولة، فمكثوا في غولة عجيب من ليلة الاثنين إلى ظهر الثلوث، فلما رأوا الحمولة مقبلة أخذوها وقد رتبوا الكوال التي تجاه العدو، فخرجت العجم من قلعة القحوم[2] وتلقوهم المجاهدون بالحرب حتى استولوا على الحمولة. فلما وصلوا إلى قرية زود[3]، سَوَّلَ لهم الشيطان أن يأخذوا ما غنمه المجاهدون قهراً، فبدأوا المجاهدين بالحرب، وقتل من بيت زود مقتول، فحضر عقلاء القرية وتراجعوا، وطرح لهم المجاهدون بندقاً على أن يخلوا سبيلهم، فما انتهى سفهاء القرية، بل تعرضوا للمجاهدين مرة أخرى، فرمى المجاهدون منهم آخر فقتلوه، وغارت العجم من السَّنتين نحو ثمان مائة، وصارت الغنيمة بعضها بيد المجاهدين، والبعض أستولى عليه أهل بيت زود. ثم إن العجم قصدوا أهل بيت زود وظنوا أنهم الذي أخذوا الحمولة، فنهبوا القرية بما فيها، وقطعوا ستة روس من أهل بيت زود، وكانت تلك عقوبة لأهل بيت زود وكل من يصحب المعرود معرودا[4] وأما المجاهدون فكانوا نحو العشرين، ولم يصلهم ضرر بعد أن رمتهم العجم بالبنادق،

---

(١) العيان: ربما المقصود هي العيانة قرية في عزلة الظاهر، ناحية خمر، محافظة صنعاء.(التعداد:ص٢٠٤)

(٢) قلعة القحوم: نسبة إلى بيت القحوم من أشراف قرية غولة عجيب من قرى جبل عيال سريح، محافظة صنعاء (الحجري: المجموع ٣، ص ٦٤٧، ٥٨١)

(٣) قرية زُود: بيت زُود من بلاد حاشد، ثم من عزلة الكلبيين، ناحية خارف، محافظة صنعاء (الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٣٩٧، التعداد: ص ٢٤٦)

(٤) المعرود: المهمل غير مبالين به.

والمدافع، فكان الله هو المدافع. ثم أنها وصلت الأخبار، أنه زاد الموت والأمراض في العجم لما وصلوا السنتين، حتى أيقنوا بالحين ورأوهم ينقلون منهم في كل يوم نحو الخمسين أمراضاً إلى صنعاء، ومن أحسن من الله صُنعاً.

وقعة الغيل:

وصفتها إنه لما كان في يوم السبت ٢٠ شهر القعدة من السنة المذكورة، أراد الشيخ صالح بن يحي الاخرم وجماعته، أن يرفعه المجاهدين من الغيل زعماً منهم أنهم سيكونوا سبباً لوصول العجم إلى محلهم هذا الظاهر، وفي الباطن «ق٨٧أ» مالا يعلمه إلا الله. فأبى المجاهدون أن يرتفعوا وعزموا أن يقاتلوا من قصدهم، وكتبوا بذلك إلى الإمام عليه السلام فأجاب عليه السلام أن يرتفعوا، فوصل الجواب إلى سيف الاسلام سيدي محمد بن الإمام يوم السبت المذكور، فخبأ الجواب ونام، وصالح الأخرم يكد عليهم في الرحيل، ومرام سيف الإسلام أن ينقلوا الليل فإنه أخفى الويل، فلم ينتبه سيف الإسلام من ذلك المنام إلا وقد نهض اعداء الله العجم من السنتين والجراف، بعد أن أضروا في البيوت، و أهلها فأوقدوا أخشابها ودحرها، وقصدوا المجاهدين إلى الغيل، وقدر المجاهدين نحو مائة وخمسين لا غير، فوصلت العجم هنالك وقت العصر فما أحست بهم الدسايس والعيون إلا وهم قريب من المطرح، فرمى رجل من العيون ببندق وصاح لما رآهم مقبلين، وقد كان سيف الاسلام قبل ذلك اليوم عيَّن المحارب في الجبل الذي فوق الغيل، وفرقهم ثلاث عنوا[1] جعل لكل قوم عنوة، فلما سمعوا البندق من المرجامة، خرج كل قوم إلى عنوتهم المعينة فما وصلت العجم إلا والمجاهدون في متارسهم متابعين[2] للحرب، ووقع إبتداء الحرب من عنوة الشيخ مسعود البارق، وكانت عنوته أطراف عنوة من جهة الشرق، ولم يبدأ الشيخ مسعود بالحرب حتى صارت العجم في الوسط. وافترقت العجم أيضاً ثلاث فرق، فرقه توجهت المرجامة مما يلي الغيل وفرقة العفير، وفرقه الطريق المحجة مع شدَّهم ومدافعهم، فوقع الحرب من بعد العصر إلى المغرب، وانهزمت العجم إلى العفيرة، وباتوا

---

(١) العنوا: ربما المقصود بها الجماعة أو فريق للمراقبة العسكرية.

(٢) متابعين والمقصود متأهبين.

هنالك وقد وقع فيهم من القتل ما يزيد على الخمسين، وسلم الله جميع المجاهدين وكان ذلك من حسن صنيع رب العالمين. فإن العرب إذا سقط فيهم القتل الكثير لابد أن يهنوا، فعزمت المجاهدون بعد انقضاء الحرب إلى وادعة وهم في نشاط ودعة، لقصد مدة الحرب حيث لم يحصل معهم ملل وتعب ونصب. فلما وصلت المجاهدون إلى وادعة أبوان يفتحوا لهم، فطلع بعضهم بيت الأعضب، و بعضهم في بيت المقهوي المسمى شقاري، وأن من أحسن صنيع الله أن في بيت الأعضب سمسرة كان فيها ورثة سيدي اسماعيل بن مطهر، وكانت المفاتيح عند سيدي العلامة صفي الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين فاستصحب المفاتيح صحبته.

وقعة القاسم[1] في وادعة:

ثم إنه في يوم الأحد ٢١ شهراً ذى القعدة، نهضت العجم بخيلهم ورحلهم ومدافعهم وبادروا الهجوم على المجاهدين وهم في غرة، فما شعروا بعد شروق الشمس إلا وهم قبلهم في بيت الخياري، وسط الضلعة شرقي بيت الأعضب، وقدر العجم نحو عشرين ألفاً والعرب دون المائتين[2]. فتبادر المجاهدون إلى بيت الأعضب بذلك السبب نحو مائة رجل لاغير، وتفرق بقية القوم في مواضع الخلل كالغول ونحوه من المواضع التي يخشى منها، ودار الحرب بينهم وبين مائة رجل، وافترقت العجم ثلاث فرق، فرقه نزلوا الوادي إلى غيل الهرابة يسمى السقايف، وفرقة هجمت على المجاهدين إلى بيت الأعضب، وفرقة خراب الحسفة وعتود، فأما الذين هجموا على المجاهدين إلى بيت الأعضب فإنهم تقدموا حتى وصلوا إلى عقر البيوت، فأرسلوا عليهم البنادق وهم كالجراد المنتشر، فكانت تأخذ الرصاصة مستطاعها من القوم، حتى انهزموا فردتهم الضباط إلى الهجوم، فهجموا المرة الثانية فرمتهم«ق٨٧ب» المجاهدون حتى رأوا الموت علانية. فلما رأت العجم ما قد نزل بهم وألم من القتل الكثير والأمر العسير، ضربوا لهم بالنفير بترك الهجوم، وقد كان حسبوا من قبل ما رأوا أن الأمر يسير، وأنه لا يبقى من العرب إلا قتيل وأسير، حتى يكونوا عبرة

---

(١) القاسم: هجرة القاسم في عزلة وادعة حاشد تتبع ناحية خمر محافظة صنعاء. (التعداد: ص ٢١٠) .

(٢) تعتبر هذه إحدى صور المبالغات التي يوردها مؤرخنا حول أعداد الجيوش المحاربة.

للمعتبرين ونكالاً للآخرين، فخيب الله أملهم وأحبط عملهم والله لا يصلح عمل المفسدين، والحمد لله رب العالمين.

ثم مازال الحرب متصلاً إلى بعد الغروب، وانجلت المعركة عن أكثر من أربعمائة قتيل من العجم كما أخبر منهم مخبر صادق غير منهم، والحق ما شهدت به الأعداء، ولم يقتل من المجاهدين غير رجلين أحدهما الشيخ جابر بن علي جحدم وأبن الحلحلي من عذر، ومكان من أصحاب الشيخ معيض مغربة، والسيد العلامة إسماعيل بن أحسن، وعبدالله بن ناجي الحسيني، والشيخ حسين بن صالح بن جراد، والشيخ مقبل بن علي الأجدع، والسيد العلامة عبدالله بن يحيى أبو منصر، وغير هؤلاء أكوان السلامة مع إنهم مازالوا يقاتلون في كل معركة، لم يمنعهم الأكوان عن إرضاء الرحمان. ولما كان بعد العشاء رأى المجاهدون إنه لا خير لهم في البقاء في بيت الأعضب خشية من أن يؤول أمرهم إلى المحاصرة والعطب، فخرجوا من هنالك على طريق الغول، وكان من لطف الله وحسن تدبيره، أن فرقة من المجاهدين ثبتوا في الغول بعد أن كادوا ينهزمون، فأمدوا بجماعة من وادعة. وكان في الغول سفيان صحبة السيد الماجد حسين بن مجد الدين، ولو أن العجم استولت على الغول لأحدقت بهم العجم من كل جانب، لأنه لم يبق غير جهة خالية عن المحارب، فلما خرج المجاهدون، رأتهم العجم وتغافلت عنهم كأنهم لا يعلمون، ورموا إلى الهواء كما تلك عادتهم التي يعتادون ومع ذلك فهم حريصون على خروجهم رأساً برأس، خوفاً ان يقع مثلما وقع من الشدة والبأس. ولقد أخبرني من يوثق بخبره أن طاغية العجم عبدالله باشا لما نزلت به هذه النازلة، رأى أن ينزل عارها ببعض البوش الذين في تلك، فقال إنهم قصّروا عن المحافظة حتى خرج المجاهدون، ولم يزل يستنطقهم ويسومهم سوء العذاب، وأرسهلم إلى صنعاء وأودعهم في الحبس. ثم إن المجاهدين بعد عزمهم من بيت الأعضب باتوا في النجيد[1]، وليس بموضع حرب وكيد، فانتقلوا آخر الليل إلى القحاز. وعزم الشيخ مسعود البارق بجماعة فرابطوا في جبل الخراز وهو الجبل الحاكم على النجيد، فكان ذلك على

(١) النجيد: قرية في عزلة وادعة حاشد، ناحية خمر، محافظة صنعاء. (التعداد: ص ٢١٠) .

العجم من أعظم الكيد فصاروا يغزون العجم في كل ليلة، وصار مطرح العجـم في وادعـة وفي النجيد، فقطع المجاهدون الطريق فيما بينهما. وأنها لما وقعت هذه الوقعة العظيمة أعنـي وقعت بيت الأعضب، نزل بالأعـاجم أعظـم الرعـب والرهـب، لأنهـم كـانوا يـصدقون المنافقين الذين يخبرونهم أنه لا يتلقاهم أحد بحرب ولما نزل بهـم مـا نـزل وعظـم الخطـب عليهم وأشكل. كتب طاغيتهم عبدالله باشا إلى الإمام عليـه الـسلام في يـوم الربـوع ثالـث وعشرين من شهر القعدة كتاباً، تضمَّن إني أسألك بجدك فخر الكائنـات، الـذي افتخـرتم بالمنسوبية إليه أن تطيع السلطان، ولاتكون سبباً لسفك الـدماء وأن الـصياغات والنفـوس الذاهبات منذ مدة إحدى عشر شهراً صار بذمتك.

وكان مضمون الإجابة من الإمام عليـه الـسلام، إنـك لمـا أقـسمت علينـا «ق٨٨أ» بـما أقسمت لزم الإذعان ولكن لا يرضى به الرحمان، وذكـر أمـوراً ممـا لا يـصلح إلا بهـا ذلـك الشأن، فلما ورد على عدو الله الجواب، أجاب إني لم أكن مأموراً بالصلح، فرد عليـه الـسلام إنا نستعين على كل ذي عدوان بلا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، ولاتحسبن أن محاربـة أولاد سيد ولد عدنان كمحاربة اليونان، فلم يصل إليه الجواب إلا وهـو نـازل في البـاعرة. وكان أعنى عبدالله باشا يفتخر إنه من جملة من حارب اليونان.

ثم إنه لما كان يوم الأثنين ثامن وعشرين شهر القعدة عزمت المجاهـدون عـلى أن يغـزوا العجم إلى محطتهم، فنفرت فرقة من بركة القحاز مطرح سيف الاسـلام وفرقـة مـن جبـل الخراز، مطرح الشيخ مسعود وجماعته وفرقة مطرح غيلة وكان فيه السيد العلامة أحمـد بـن قاسم حميد الدين، وجماعة يسيرة، فوقع عزم هذه الفرق كل فرقة من جهـة، ووقـع الحـرب بينهم وبين العجم من العصر إلى بعد الغروب، فلما رأت العجم ما نزل وألم خافوا أن يبقـوا المجاهدون، فهجموا صبح الأحد على من في جبل الخراز، وكان على قلوبهم أعظم الحـراز، فوقع الحرب بينهم وبين الشيخ مسعود ومن صحبة إلى نصف النهار، وكانوا نحـو الثمانـين لا غير. فلما رأى المجاهدون كثرة العجم والعجز عن مقاومتهم أنحاز بمن معه إلى الباعرة. ولما خلى جبل الخراز وزال الإحتراز، رأت العجم أن قد خلى لهم الجو لأنهم كانوا في وجـل من قبضة، فلما أجلوا عنه أصحاب الشيخ مسعود نزلوا على أثرهم بشدَّهم ورحلهـم حتـى

وصلوا غيلة فوقع الحرب بينهم وبين من في غيلة وكان فيه صفى الإسلام والشيخ أحمد بـن أحمد مساعد الحسيني ونفر يسير، وكانوا على طريقهم إلا أنهم لما رأوا أنه لا طاقـة انحـازوا عنها وتقدمت العجم على مطرح سيف الإسلام في بركة القحاز فوقع بينهم الحرب وامتد.

وقعة الرأس وبرك القحاز :

وصفتها إنه وقع الحرب إلى محل يسمى الـرأس وحمـى الـوطيس وصـبر أولـو البـأس، واختلط الناس وكان يوماً مشهوداً وكادت العجم أن تحيط بالعرب مـن جميـع الجهـات إلا من جميل إحسان الحميد المجيد، وحسن تدبيره للعبيد، أنها خلفت للعجـم خالفـة جـاءت من ورائهم من الذين لم يكونوا في المطرح، ولكنهم غارة، فافتـشل حينئـذ العجـم وخفـت بعض قوتهم ودام الحرب إلى العشاء، والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء ولم يقتل في هذا الحرب من المجاهدين غير شهيد واحد، وثلاثة مكاوين. وأما العجم فأخبرني من أثق به إنه طـاف متارسهم بعد ذلك فلم يجد حجرة الا وفيها دم.

ثم إن سيف الإسلام انتقل بمن معه من أولئك الأبطال إلى بيت ماعر، وقد حـازوا مـن المجد الظاهر، ما فاقوا به على الأوائل والأواخر، وانحـط بعـض القـوم إلى ريـشان[1]، وفي اليوم الثاني[2] اجتمع القوم جميعهم إلى الخافق، وباتوافيه إلى آخر الليل. وفي آخر الليل عـزم سيف الإسلام وصفي الإسلام ومن معهما من المجاهدين الكرام إلى قمعة.

وقعة قمعة :

وصفتها أن سيف الإسلام ومن صحبه من القبائل المجتمعة قبضوا جبل قمعة، ونزلت الأعاجم من طريق الباعرة، والبنادق عليهم من كل جهة متناثرة، حتى ظنوا أنها قـد دارت عليهم الدائرة، فلما وصلوا إلى جانب جبل قمعة هجموا عـلى سـيف الإسـلام ومـن معـه، فأصدقوهم الرمي بالبنادق، وباشرهم بالطعن كل صادق حتى أن الـشيخ مبخـوت اسـتل

(١) ريشان : عزلة في ناحية العشه ، محافظة صنعاء (ص ٢١٨) . وهناك قرية ريشان في عزلة ربع همدان ناحية همدان محافظة صعاء (التعداد : ص ١٠٦)

(٢) تم إضافة كلمة (الثاني) من المخطوطة (ب) وقد سقطت من المخطوطة الاصل (أ) .

نصلته وخالط العجم، فلما رأوا ذلك انهزموا بعد أن وقع فيهم القتل الذريع، من جملة القتلى كثير من كبار العجم. أخبرني «ق٨٨ب» السيد العلامة عبدالله بن يحيى أبو منصر، أن العجم هجموا عليهم وكانوا كلما. انهزموا ردهم الضباط فاجمع المجاهدون عليه حتى قتله الله فلما قتل انهزمت العجم. ولقد أخبرني السيد المذكور أنه طاف متارس العجم فوجد في كلها سيلان الدم من كثرة القتلى والمجاريح وسلم الله المجاهدين.

وفي هذا اليوم أعني يوم الربوع ٢ شهر الحجة سنة ١٣١٢[1] امتد الحرب من الباعرة إلى جبل أهر[2] الجبل المطل على القفلة من جهة الغرب، فبهت لذلك العجم لأنهم ظنوا أنه لايقدر على مقاومتهم أحد. فكان الحرب الذي في الباعرة، وجبل حديد فيما بينهم وبين سيدي شرف الإسلام حسين بن قاسم عامر، وقد ذكرنا سابقاً أن الإمام حفظه الله بقاه في حبور، فلما وصلت العجم وادعة عرفه بالأنتقال إلى خاشف[3] . فلما نزلت العجم تلقاهم بالحرب واتصل الحرب إلى جبل حديد كما أخبرني بذلك السيد العلامة عز الإسلام محمد بن يحيى الهادي، وكان ممن باشر الحرب يومئذ. وكان الإمام عليه السلام قد رتب المحارب، في القفلة، فعين لرجال الشرف وحجور حيل غران، وعيشان يماني القفلة، وعين لرجال الاهنوم الجهة الشمالية من الحضيرات إلى مضايم[4] وجبل أهر، وبيت أبو قشة، وعين عسكر الإمام في المقام وحثهم على الثبات، وألزمهم بإخلاص النيات. وعزم الإمام عليه السلام ونحن معه لنقل بعض الأثقال إلى أي جبل من الجبال، وعلى نية العود للقتال، ومباشرته النزال، وكان عليه السلام قد نقل أهله إلى الشرف إلى قرية من بني كعب يقال لها فصر، فخرج وخرجنا معه يوم الثلاثاء غرة الحجة سنة ١٦[5] بعد صلاة الظهر، وكان المبيت في قرية تسمى الولي فيها مشهد يزعمون أنه للسيد السراجي. فبتنا في المشهد المذكور في غبطة وسرور، وفي صبح الربوع انتقل عليه السلام للطلوع إلى بعض الجبال، واستلحق

---

(١) ورد التاريخ ١٣١٢ وربما أخطأ المؤرخ أو الناسخ والمقصود هي سنة ١٣١٦هـ الموافق ١٨٩٨م

(٢) جبل أهر وجبل حديد من جبال القفلة .

(٣) خاشف : قرية تتبع عزلة البطنه ، ناحية قفلة عذر ، محافظة صنعاء .(التعداد : ص ٢٥٩)

(٤) المضايم : قرية في عزلة القفلة ، ناحية قفلة عذر، محافظة صنعاء (التعداد : ص ٢٥٧)

(٥) سنة ١٦ المقصود هي ١٣١٦ هـ ١٨٩٨م .

بعض الأثقال. وكان وقوع الحرب فيما بين العرب والعجم في ذلك اليوم أعني يوم الربوع ٢ شهر الحجة. فأما من في جبل غران وعيشان، فترامـوا هـم والعجـم وخلفت خالف منهم من طريق العقل، وبيت دشيلة، حتى وصلوا إلى طرف جبل عيشان، فلما رأتهم رجال الشرف وحجور حصل بهم الوهن ففروا هم ومن في القفلة. وأما رجال الأهنوم فإنهم تثبتوا في متارسهم، ونصرهم الحي القيوم وقاتلوا قتالاً شديداً، وحصلت خالفة من الأعاجم من جهة مضايم، حتى تركوا المجاهدين من تحتهم فتثبتوا إلى بعد العشاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وقتل من الأعجمين ما يزيد على الأربعين، فاستشهد من المجاهدين الشيخ الذي هو إلى رحمة الله مسارع محمد بن قاسم بن شايع، وكان من الذين أبلوا في هذا اليوم بلاءً حسناً واستاهلوا جزيل الثناء، حتى أنه اخبرني بعضهم إنه اعتقل فلم يحل له العقال إلا بعد الموت.

وكان ممن صدق الضراب الشيخ يحيى حجاب وغيره من رجال الاهنوم فإنهم في هذا اليوم فخروا على الخصوص والعموم.

ثم إن العجم صبح الخميس رموا إلى حصن الإمام في القفلة، ينظروا هل بقي فيه أحد فرموا بالمدفع نحو أربع عشر ضربة لم تصبه واحده من تلك الضربات، حتى أن بعض كبار العجم لما لم يقدر الطوبجي على إصابته صاح عليه وأمره أن يثبت له ذلك ليرمي فيه، فرمى فلم يصب شيئاً وحين تيقنوا إنه لم يبق أحد في القفلة دخلوها وهم في أعلى ما يكون من الذلة.

وكان الإمام عليه السلام قد دفن في الحصن المذكور باروداً وجعل فيه حسكاً وعين من يشعله عند الخروج. فلما خرج أصحاب الإمام من الحصن المذكور أشعلوا «ق٨٩أ» الذريرة فانقطعت، ولم تغن شيئاً لما سبق في علم الله سبحانه من إرادة حفظ الحصن المذكور كرامةً لهذا الإمام المنصور. فلما رأت العجم الذريرة عند دخولهم، أو أخبروا بذلك خافوا بأنه قد يكون فيه شيء، فأرسلوا لليهود وكان في القفلة نحو ثلاثين يهودياً، وأجبروهم على حفر الدار وإخراج البارود، فأخرجوه ووضعته العجم في الدار، وأشعلوا النار فقرح ولم يؤثر شيئاً. ثم أن العجم مكثوا في القفلة الخميس والجمعة في أضيق حال وإكدار، لما أرسل

عليهم ذو الجلال من الرعب والأوجال والجوع والعطش، فإنهم لما وصلوا إلى هنالك نضب ماء البئر فكان ذلك من لطف العليم الخبير، وكان ذلك أعظم كرامة صدتهم عن المقام حتى إنهم شربوا ماء البركة المتغيرة التي لا يصح التطهر بها، حتى إنه بلغنا أنهم شربوا الأبوال. فلما ضاق بهم المقام، وعلموا أن ذلك من محاربة الملك العلام، نكصوا على أعقابهم وأزمعوا الرجوع على أدبارهم، فخرجوا من القفلة سحر ليلة السبت خامس شهر الحجة، وأرادوا الإحراق لبيت الإمام عليه السلام، فجمعوا الحطب والأبواب، وأشعلوا النار ولكنهم لم يشعلوها الا وقت عزمهم، وكان ذلك من الحفظ الرباني، فإن بعض المجاهدين دخلوا على إثرهم وأطفأوا النار ولم تؤثر إلا تأثيراً يسيراً فالحمد لله حمداً كثيراً .

وأما الدياوين[1] والمخازين التي حول بيت الإمام فلم يتعرضوا لها بسوء ولم يغيَّروا بها شيئاً حتى إنهم تركوا بقية أثاث كان فيها ترك لكون لا يعبأ به. فهذا ما كان من أمر العجم. وأما الإمام عليه السلام فإنه لما وصلت إليه أخبار العرب وأنهم افتشلوا أضرب عن الرجوع، وتيقن عدم صدق الجموع، وتوكل على ربه وطلب منه النصرة، وفوض إليه أمره، فأيده بما ذكرنا من النصر المبين، وأمده بالملائكة المسوَّمين فكان ما ذكرنا وحين وصل إليه البشير بهزيمة العجم رجوعهم على أدبارهم حمد الله وأثنى وأعلن بالشكر فرداً ومثنى، وبقي في جبل كوكب يوم السبت والأحد والأثنين والثلوث، وعزم على العود إلى القفلة يوم الربوع يوم عرفه، فكان ذلك من أعظم الأعياد المشرفة، فاجتمع في ذلك اليوم عيدان، وبهر العقول هذا الفضل والإمتنان، فإنه كان قد تزلزل أكثر الناس وحصل معهم القنوط والإياس، وظنوا أنها الحالقة ونجم النفاق، وزعم المنافقون إنه لا يبقى للشجرة المحمدية ورق ولا ساق. فخيَّب الله ظنونهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً. هنالك عض المنافقون أناملهم وقرعو الأسنان، أسفاً على ما سلف من العصيان وقد قال بعضهم هذه الأبيات :

آيا راكباً ظهر الغناجيج[2] طاوياً   خفافاً وقد أضنى العناق المذاكيا

---

(١) الدياوين: جمع ديوان.

(٢) الغناجيج : الجمال السريعة .(ابن منظور : لسان العرب، ج ٢، ص ١٠٢٢) .

تحمـــل هـــداك الله منـــي رســـالةً إلى مـــن غـــدا للظـــالمين مواليـــا

يمـــد إذا أرخـــى الظـــلام رواقـــه يديـــه ويـــدعو مـــن يجيـــب المناديـــا

وقـد سـمع الأرجـاف مـن كـل مخـبر فظـــن واجمـــاً في ا الفـــؤاد المكاويـــا

أبـــــى الله إلا أن يؤيـــــد دينـــــه ويرفـــع منـــه كـــل مـــا كـــان واهيـــاً

ويخـــذل أربـــاب الـــضلال وحزبـــه ويخفـض مـنهم كـل مـا كـان عاليـاً

«ق٨٩ب»

ويهـــزم أجنـــاد الأعـــاجم كلهـــا فيـصبح ملـك الـروم في النـاس عافيـاً

ألم تـــرى علـــج الـــروم رام بزعمـــه محـــالاً ومنـــاه الغـــرور الأمانيـــا

فـــوافى باجنـــاد وجـــيش عرمـــرم واأصـــبح جبـــاراً عـــلى الله عاتيـــاً

فكـم مـن مـروت قـد أعـد ومـدفع وأعـــلاج ســـوء قـــد أجـــاد المراميـــا

وكـم ذات اخفـاف وكـم ذات حـافرٍ وكـــم مـــلأوا ممـــا أعـــدوه واديـــا

يقـــود طغـــام الـــشام نحـــو إمامنـــا وآبـــاؤهم قـــدماً تولـــوا معاويـــاً

ووالاهـــم قـــوم لئـــام يقـــودهم لـــواءً مـــن الخـــسران قـــد كـــان طاويـــاً

فبـاعوا بـبخسٍ حلـة المجـد والعـلا لقـــد أرخـــصوا والله مـــا كـــان غاليـــاً

هنالـــك كـــل المجـــرمين تزلزلـــوا ونـــافق أقـــوام فظنـــوا الـــدواهيا

وأمـــا أولى الإيـــمان فاعتمـــدوا عـــلى إلـــه وقـــالوا حـــسبنا الله كافيـــا

فكـــان إلـــه العـــالمين هـــو الـــذي كفـــاهم وأولاهـــم نـــصيراً وحاميـــاً

رمـاهم إلـه النـاس بالرعـب والفنـا ولازور ممـــــا قـــــضى الله واقيـــــاً

فـــآب عـــدو الله أقـــبح أوبـــةً وراح ذلـــيلاً موجـــع القلـــب خاســـياً

وذاقـــوا الـــذي ذاقـــوا بـــصفين مثلهـــا فللـــه أقـــوام أبـــادوا الأعاديـــا

ولاقـوا مـن الأنـصار غرمـاً ونجـدةً وحربـاً عوانـاً قـد أشـاب النواصـيا

فللـــه أيـــام بوادعـــة لقـــوا وفي قمعـــة يومـــاً يهـــد الرواســـيا

وفي الغيـل قـد لاقـى الأعـاجم وقعـةً ووافـــاهم ليـــث المنيـــة حافيـــا

وفي القفلـــة الغـــرا يـــوم محجـــل هنالـــك لاقـــوا أحمـــر المـــوت قانيـــا

بأيدي رجال جاهدوا بعزيمة وصدق فكان الله عوناً وراعياً

من السادة الأشراف من آل هاشم حماة الهدا والدين حالاً وماضيا

من النفر البيض الذي صار وردهم على رغم أناف العواذل صافيا

وقوم العصيات الذين تخالهم لدى الحرب أن لاقوا أسوداً ضوارياً

مع العذريين الكماة لدى الوغى لقد شيدوا ركن العلا و المبانيا

ولله قوم من بكيل أعزة تواطوا على مجد فجادوا المعاليا

فسفيان منهم ثم وادعة الأولى وخبرناهم فيها سيوفاً مواضيا

وقوم من الأهنوم باعوا نفوسهم من الله لم يرضوا بما كان فانيا

ويا ويح قوم من صريم وخارف لقد هدموا بيتاً من العز بانيا

«ق٩٠أ»

وقد رفضوا العهد المكرر وارتدوا رداء بلا شك من الذل باليا

تبروا من الأنصار أن يفتحوا لهم فحازوا المخازي كلها والمساويا

وجاءوا بشيء ما رأى الناس مثله فتباً لقوم يكسبون المخازيا

وآية بني عثمان كيف تركتم النصارى جميعاً والعدو المناويا

وحاربتم حزب النبي محمد نبي الهدى من قام لله داعيا

فما هكذا يجزي النبي به فلولاه حقاً ما رقيتوا المراقيا

وإن إله العرش حرب لكل من يحاربهم فليخش ما كان خاشيا

وقل لأمير المؤمنين لك الهنا وحسبك رب لم يزل لك واقيا

أمدك بالنصر الذي ليس مثله ولا كان فيما كان قدماً وآيبا

وخصك بالفضل الجزيل ولم يزل على كل حال بالجميل مواقيا

فصرت بما أولاك فرداً وملجئاً محلك فوق الشمس أصبح ساميا

فأنت وحيد الدهر من غير مرية وأنت فريد لا يرى لك ثانيا

فيا نجم أهل البيت لازالت دائماً تهدي ضلالاً وترشد غاويا

ولازلت منصوراً عزيزاً مؤيداً ومن حُلل الإيمان لازلت كاسيا

وصلى إله العرش في كل لحظة صلاة وتسليماً يفوق العواليا
على المصطفى المختار والآل من لهم على رغم عُذَّالي جعلت وداديا

وقال سيدي العلامة أحمد بن قاسم حميد الدين حماه الله تعالى:

حمدت إلهي حمد من كان راضياً بكل قضاء الله سراً وخافيا
وأثنى ثنائي بالصلاة مسلماً على أحمد والآل ما دام تاليا
وبعد فقد وافت إلى قصيدة مخبرة بالبشر تحكي المعاليا
أتت في ثياب الفخر تزهو بحسنها كغانية حسناء تباهي اللآليا
وتحكي من الشمس المنيرة نورها وحيناً تمارى البدر إن كان ساريا
وطوراً تباهي النجم في شأو برجه وتبدي على الجوزاء حيناً تعاليا
وتعطي نظير الروض زهراً ورونقاً وتهدي لغصن البان منها التهاديا
وتذكي ذكاءالمسك من عرف نشرها وتكسوا الغواني من حلاها الدراريا
وتولي نسيم الصبح روحاً وراحةً وتعطي الصبا عند السماع التصابيا
ولاغرو إن تاهت فقد فاق حسنها نظام الأولى سادوا فجادوا القوافيا
ففي لفظها سحر أتاه عقولنا وفي طيها معنى أفاد التهانيا
وفي لفظها سبك أجاد مجيدها جمال الهدى من كان في المجد عاليا

«ق٩٠ب»

ومعجز إريان إذا ما جهلته خدين العلا من كان في النظم قافيا
لأثر الفرزدق والكميت ودعبل بحسن نظام قد أراح فؤاديا
بحسن ثناءٍ للإمام وسادةٍ يزيليون عن دين الإله المخازيا
وينفون أعلاجاً من الأرض غيروا قواعد إسلام وسنوا المعاصبا
فلله نظم جاء بالبشر والثناء لخير إمام قام للدين حاميا
لقد تاه عقلي عند ترديد لفظه فلم أدر سحراً أو يكون ملاهيا
وقد كان الناس عند سماعه يهشون أطراباً إذا كنت قاريا
وطاب به الإنشاد في كل مجلسٍ وصار مناديهم يقول مناديا

ألا إن رب الخلـــق أكـــرم عبــــده   إمــام الهــدى مــن كــان للعــز بانيــا

بلطـف عمـيم أعجـز النـاس وصـفه   ونـــصر عظـــيم قـــد أذل المعاديـــا

وســلَّى قلوبــاً كــان غالــب أهلهــا   يظنـــون كـــل الظـــن أن لا تلاقيـــا

وأبــدى لأهــل الحــق عــزاً أحلهــم   محــل الثريــا فــوق مــن كــان باغيــا

وخــاب الأولى ظنــوا بــأن عــدونا   سـيلقى اذا مـا جـدَّ مـا كـان راجيـا

وآمـــن بالآيـــات كـــل مكـــذب   وأيقـــن كـــل النـــاس ان لا مناديـــا

كرعـب ومـوت ثـم تعجيـل نقمـةٍ   وتـــشتيت آراء فأعيـــا المـــداويا

فــإن همــت الأعــداء يومــاً لقــصده   أتتهـــا الرزايـــا والمنايـــا تواليـــا

وإن فخـــرت أعـــداؤه بفلوســـها   وجــاءت بــه في المكــر تبغــي المــساويا

ســيعطيه رب النـــاس مـــالا يعـــده   لــدفع الــذي للمكــر قــد كــان باغيــا

وإن جمعـــت يومـــاً غـــداة جموعهـــا   ورامــت بــه ســوءاً ودســوا الــدواهيا

أتــاه سريــع النــصر مــن بعــد يأســه   عـــن النـــاس إلا مـــن أتـــاه مواليـــا

كمثـــل ليـــوث ثبـــت الله جأشـــهم   فلاقــت عــداة فــوق غيــل عواديــا

فأســقته مــراً مــن رصــاص مذابــةٍ   وألقــوا عليــه المقــت كرهــاً وراضــياً

ومــن بعــده لاقتــه في ســوح هجــرةٍ   لقاســمنا المــشهور أســدٌ ضـــواريا

بوداعـــــةٍ ذاق العــــدو فعـــالهم   فاضـــحى صريعـــاً المنـــيرة هاويـــاً

وفي قفـــرة بـــين النجيـــد وغيلـــةً   ومــا كــان مــن نحــو القحــاز محاذيــا

إلى الهيجــة الخــضراء إلى حــول قفلــةً   إلى رأس عـــزان ومـــا كـــان عاليـــا

وفـــوق حـــضيرات وفي رأس قمعـــةً   حـــروب وأحـــداث تـــشيب النواصـــيا

فاســمع بقــوم كــان صــادق حــربهم   بقمعــة يومــاً لــيس في النــاس خافيــا

بقمعــة رعــد الحــرب أصــبح قاصــفًا   فـــأمطر عـــزاً للبريـــة ســـامياً

فمـــن بعـــدها عـــاد العـــدو مقهقـــراً   بـــذا أرب أخفـــاه في الـــنفس طاويـــاً

«ق۹۱أ»

فللـــه يـــوم عـــاد فيـــه إمامنـــا   إلى نـــصرة لم يلـــق بؤســـاً وشـــانيا

لقد كان عيداً للأحبة لازماً	كعيد به سن الإله الأضاحيا
لئن سن يوم العيد لبس جديدنا	وذبح أضاحينا لمن كان راضيا
ففي مثل هذا اليوم قد صار فرضنا	وسنتنا نحر الذي كان باغيا
ففيه لأهل الدين فخرٌ ومشهد	وفيه نساء العجم ضلت بواكيا
فيا رب وفقني بحق كتابك	بخاتمة التقوى يكون ختاميا

ولما ارتحل أعداء الله العجم يوم السبت المذكور، ناوشتهم المجاهدون بالحرب والعجم في غاية ما يكون من الذلة فما زال يقتل منهم المجاهدون ويسلبون وهم على شيء لا يلوون، وربما سمعت العجم قروح البنادق من وسط هيجة البطنة[1] فيظنون إنهم العرب قد هجموا عليهم، فيرمون إلى وسط الهيجة بالمدافع فيقع في أصحابهم وهم لا يرونهم مع حيلولة الاشجار وكثرتهم حتى قتلوا منهم الشيء الكثير ومن يخذل الله فماله ﴿مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[2].

وكانت طريقهم من بيت الشيخ الصادق مسعود البارق فاحترفوا وارتحلوا على جهة السرعة، ومضوا حال مرورهم على رجل من أهل البطنة يقال له أبو سعيد وقد كان أحرز أثقال إلى جرف وبقي عندها وألزم زوجته تنقل إليه الزاد فبصرته العجم بدلالة بعض أعوانهم أهل السدم، فوافوا إليه فقتل منهم خمسة أنفار وكونوه في يده، وصاحوا أخرج وأنت آمن فخرج إليهم . فقتلوه ، وأخذوا ما معه وكانت دراهماً كثيرة وغير ذلك من الأثاث والبنادق. والظاهر أن سببه الزكاة فإنه كان لا يؤدي الزكاة، وما ذهب مال في بر أو بحر إلا وسببه الزكاة فلا يلومن أحد إلا نفسه وهواه.

ثم إن العجم باتوا تلك الليلة في الباعرة وفي الصباح توجهوا وادعة بحسرات متتابعة، لما رأوا من الآيات المانعة، والأمور التي هي لأطماعهم قاطعة .

---

(١) هيجة البطنة : الهيجة المكان الكثيف الأشجار ، والبطنة : عزلة في ناحية العشة ، محافظة صنعاء (التعداد : ص٢١٩) .

(٢) سورة البقره ، آيه رقم (١٠٧) والاية بكاملها كما يلي : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض وَمَالَكُم مِّن دُونِ الله مِن وَلِيّ وَلاَ نَصِيرٍ..﴾.

فمكثوا هنالك يومين وقد خالطهم الوجل ونـزل بهـم الجبن، ولما خـافوا مـن ثـوران القبائل أظهروا التجليد وزعموا أنهم لابد يرجعون من طريـق حـوث، فقـدموا المجـاريح والأمراض إلى قبلهم وهـم مائـة وثلاثـة وسـتون حـسبما عـدهم الجاسـوس. وبعـد عـزم المجاريح والأمراض، رتبوا عجمر خوفاً من المجاهدين وانتهضوا جميعاً طريق خيار وكـان ذلك من حسن صنيع الجبار، ليؤخذ لإمام المسلمين بالثأر، ممن بادره بالمخالفة والاحتقـار. فلما وصلوا إلى هنالك عاثوا في الديار و أحرقوا بيوتاً كثيرة بالنار، حتى إنه بلغني عمن أثـق به إنهم رجعوا لبيوت علوي من نحو الميل، فكان ذلك على العقوبة أكبر دليل وكان المذكور من المنحرفين على الإمام حتى إنه أقدم في أوائل هذه السنة على موته الإمام عليه السلام إلى الطريق وانتهب منها، زعماً منه إن الإمام عليه السلام لم يسلم للمجروح ما طلـب. ثـم إنـه أرجع بعضها و أبقى من ذلك شيئاً أذهب دياره، وسيمحي الله سبحانه عن قريب آثارة.

وهذه البيوت قلاع عظيمة لا يمكن إعادتها إلا بأموال جـسيمة. أخربـوا أيـضاً بيـوت شويط وهو أيضاً من المخالفين ذوي التخليط، فكان ذلك من التسليط. ثم إن سبحانه ولـه الحمد سلم بيوت الصادقين هنالك، منهم يحيى حمود داوود وكان من الصادقين في الجهـاد، له المشاهد الجميلة في الحاضر والباد. ومن أعجب ما يحكـي مـا أخبرنـا بـه غـير واحـد أن العجم ضربوا على ذلك البيت الإحتياط وداروا عليه فكأنه ألقي إليهم ما يمـنعهم فتركـوه «ق٩١ب» وكذلك بيت حمود بن ناشر، وكان ممن جاهد وحمد في المآثر، ولقد أخبرنـا حمـود بن ناشر أنه حيث الناس على الجهاد وأجابـه رجـل بـسلامة بيوتنـا مـن الخـراب أولى بنـا، فأخربت العجم بيته وسلم الله بيت حمود، ولعله كان هو المقصود. ثم إن العجم لما قـضوا فرض التسليط في خيار الذين لم يفتحوا بيوتهم للأخيار، توجهوا نحو خمر فباتوا بها وعاثوا. ثم توجهوا من صبح تلك الليلة نقيل الغولة وباتوا في ريدة[1] وشيبرة، ورحَّلوا منها الحبوب إلى عمران وذلك بسبب مخالفتهم لإمام الزمان، ومَنْعِهِم من أداء الزكـاة الواجبـة عـلى كـل إنسان، وحين وصلوا هنالك أيقن المسملون بأن الله قد كفى عبده شر العُلج وكيده.

---

(١) ريدة: بلدة واسعة في البون الأسفل شمال صنعاء.

فصل:

وأما الإمام عليه السلام فإنه لما حط الأثقال كما ذكرنا في بعض الجبال، وقد كان أرجف المنافقون بأن العجم لا بد يقصدون جبال الأهنوم وشهارة، وكان هنالـك سـيف الإسـلام وعلم الأعلام وعماد الكرام يحيى بن الإمام، فدبر أمور تلـك المعاقـل أجـل تـدبير، وحـزم الأطراف وحسم مادة الخلاف. فلما وصلت العجم القفلة وبلغهم ما قد أُعـد لهـم بالجملـة من الأبطال، وأنهم لا يقدرون على مرامهم إلا بذهاب النفـوس والأمـوال، فرجعـوا عـن المقصد، وتبين بذلك للخاص والعام حُسن سياسة سيف الإسلام وأنه أوحد الرجال أهـل الكمال. ولقد وصلتنا الأخبار برجوع الأتراك منهزمين مـن القفلـة ونحـن إذ ذاك بحـضرة الإمام عليه السلام بجبل كوكب، وصرنا بذلك نفضي العجب ونتحيَّر، ونـردد في تـصديق وقوع مثل هذا، كما ذكرنا أن العجم خرجوا بالقوة الكافية ولـيس لهـم مطمـع غـير نكايـة الإمام، وأخذ المدفع المأخوذ ولو بلغوا إلى مطلع الشمس كما نقل ذلك عنهم. فلما وقـع مـا وقع، وصرفهم الله عن ذلك المطمع، تحيرت العقول الركيات، وقطع جميـع النـاس أن هـذا الإمام عليه السلام من أهل الكرامات الخارقـة، والأنفـاس الـصادقة، وصـارت ألـسنتهم بذلك ناطقة. ولقد ظهر للإمام عليه السلام في هذا المخرج كرامات كثيرة وأمور خارقـات شهيرة، وقد ذكرنا بعضها في هذه الوريقات السابقة، ولكنها تـزداد حـسناً بـالتكرار. وإنـما قصدنا بجمعها لتكون عبرة لأولي الأبصار، فإنه لم يقع مثلها لمن سبق من الأئمة. وقد ظهـر وجه الحكمة وهو رعاية جانب الحق في هذه الأمة لما كان في هـذه الأزمنـة مـن قلـة الـدين وضعف اليقين.

فمن الكرامات: ما أخبرنا بذلك الثقات أن العـساكر الخارجـة مـن طـرف الـسلطان عبدالحميد لمحاربة الإمام السعيد سبعون ألفاً بأعظم ما يكون من القوة الباهرة، وهي الزاد المتكاثر الواسع، وآلات الحرب من البنادق والمدافع، ونحو ثلاثين مائة بغلة وهراول. ولقد أخبرنا الجم الغفير أنه صار الدقيق في الحديدة كالتل الكثير حتى ذهب أكثره مـن الأمطـار. فأول كرامة أكرم الله بها هذا الإمام، ومنَّ بها على المسلمين والإسـلام، أنـه غـرق في البحـر

بابور[1] فيه نحو ثلاثة آلاف، فكان ذلك مما يوذن بخفي الألطاف.

ومن ذلك: أنهم أخرجوا الذخيرة من الزاد فلم يجدوا ما يحملها، بسبب ما ذكرنا من موت الجمال. ولقد سمعت الوالي حسين حلمي يقول، وقد وصل إليه رجل من بندر الحديدة، يسأل أن يحول له بشيء من الدقيق الخارج فقال أهل اليمن عجزة، أخرج السلطان مثل الجبل دقيقاً ولم يقدروا على حمله «ق٩٢أ» حتى فسد أكثره من الأمطار، وسبخة البحر الزخار.

ومن الكرامات: الباهرة أنه لما تجهز الطاغية عبد الله باشا للخروج على الإمام عليه السلام، كنا نحدث نفوسنا إنه بدأ بالشرف فإنها إن شاء الله هنالك تذهب قوته، ويطول به الأسف، وأن بدأ ببلاد حاشد وقصد الإمام عليه السلام ففي ذلك تمحيص وامتحان لما عرف من تخاذل حاشد، وتهافتهم على الحطام النافذ حتى أنه صار بعض المخذولين إخوان الشياطين يناشد الإمام عليه السلام ، ويعرف إلى الخاص والعام، أنه لا طاقة لنا وأن الإمام، يتفضل بإرجاع المدفع. فكان من حسن تدبير الله أنه وقع الابتداء بالشرف فذهبت هنالك صولتهم وانقلبوا خاسئين كما تقدم.

ومن ذلك أنه كان مرامهم الرجوع من الشرف إلى جبال الأهنوم، فمنعهم عن ذلك الحي القيوم، وآل أمرهم إلى أن انعكست القضية فعرجوا جهة وادي أخرف، كما سبقنا فلم ينجوا منه حتى أيقنوا بالتلف، ولم يتمكنوا مما أرادوه.

ومنها قضية بيت زود، وهي من أعدل الشهود، ومنها أن بني قيس وخيار لجاهم الملك الجبار أبو أن يفتحوا بيوتهم للمجاهدين حتى أنهم آخر الأمر طلبوا منهم الانتقال من سوق الغيل، وتبروا منهم وأذنوهم بالحرب إذا هم بقوا. فعرَّف سيف الإسلام إلى حضرة الإمام عليه السلام، بما وقع من أولئك الطغام، فأجاب عليهم الإمام حفظه الله تعالى أن ينقلوا فوصل إليهم الجواب في وقت الظهرة، فلم يطَّلِع عليه أحد خوفاً من الفشيلة[2] ،

---

(١) بابور: البابور من أنواع السفن (الباخرة، السفينة البخارية) .

(٢) الفشيلة: الهزيمة ، افتشل هُزم.

وأراد إخفائه إلى الليل، ويعزموا في الليل إخفاء للويل، فنام سيف الإسلام. ولم يشعر سيف الإسلام إلا وهم ينبهونه عند وصول العجم كما تقدم، وكان ذاك يعد من الكرامات لأنه لو وقع عزم المجاهدين من الغيل بلا حرب لتجرأ العجم على القتال، وحسبوا هزيمة ذلك الإنتقال. وكان في هذا الحرب من حسن صنيع اللطيف الخبير ولطف التقدير، إن العجم لم يصلوا إلا في وقت العصر، فوقع الحرب مدة يسيرة إلى غروب الشمس وسلم الله المجاهدين فلم يصاب منهم أحد فكان ذلك من أعظم المقويات للمجاهدين من حيث انقضاء الحرب في مدة يسيرة وهم في نشاط.

ومن الكرامات: ما وقع في بيت الأعضب فإن الواحد من المجاهدين غلب مائة من العجم، بعد أن تيقنت العجم أنهم سيغلبون المجاهدين لكثرتهم وقلة المجاهدين، ولقد أخبرني الشيخ الماجد أحمد بن أحمد مساعد أنها وقعت عنوته في المنازل التي خارج بيت الأعضب، فكان هنالك وحدة خشية أن تغلبهم العجم على الماء فما زال هو والعجم يقتتلون طول ذلك اليوم. وكان يتنقل في المتارس إيهاماً للعجم أن هنالك عسكراً كثيراً. وأخبرني بهذا غير واحد، قال وكان إذا اشتد عليه الأمر يتوسل بالإمام عليه السلام فتنفرج عنه تلك الشدة.

ومن الكرامات: أيضاً ما وقع في القفلة من ذلك أن الإمام عليه السلام كان قد رتب القفلة برجال الشرف وحجور وغيرهم، فافتشلوا قبل وصول العجم، ولو أنهم ثبتوا ونصروا على العجم، لافتخروا بذلك على الخاص والعام، وعدوا ذلك صنيعة لهم على الإمام، كما هو عادة الناس في هذه الأزمنة. فكان الله سبحانه هو الذي تولى نصرة الإمام وحمى بيته، وأنزال الرعب والوهن في قلوب العجم اللئام، ولم تغن عنه البنادق والمدافع، وكيف لا والله هو الناصر المدافع. ولقد رأينا من دأب العرب وعاداتهم المستقبحة إنه إذا نصرهم الله في أي موطن نسبوا ذلك إلى أنفسهم، وصاروا يتبجحون بما صنعوا «ق٩٢أ» حتى تحرجوا الإمام عليه السلام بكثرة المطالب والاقتراحات التي تضيق لها الصدور ويتسع لها نطاق الشرور.

ومن الكرامات: أيضاً أن العجم وصلوا إلى فوق قطبين، وكان فيه أثقال كثيرة لبيت المال، ودعها الإمام هنالك فحيل بينهم وبين ما يشتهون ومنعهم الله عن الوصول إلى شيء من ذلك، مع إنه لا دافع ولا مانع إلا الرب الخافض الرافع. ولقد كلمت الإمام عليه السلام في بعض الأيام عن شأن الأثقال الموضوعية في المحلات القريبة من المقام الشريف، وأنه ينبغي أن تنقل إلى محل غير معهود لا يعلمه الأعداء، فأجابني عليه السلام بأنه قد اتسع الخرق على الراقع[1] ، وأنه لا يمكن حمل الجميع لكثرتها وتقديم الأهم فالأهم وأن ما لها غير الله. وسمعت منه ما يدل على الوثوق بالله والتوكل عليه، فعلمت أنه سيمنعه الله تعالى عن كيدهم. ولقد كنت أسمع قبل خروج العجم في هذه الكرة تبرم من حاشد، وعدم رضا على الإمام عليه السلام لعدم إعطائهم من الحطام فإن أُعطوا منها رضوا، وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون. ثم لما وقع هذا المخرج ولم يمكن الله العجم مما أرادوا وظهر للناس ما أكرم الله به الإمام، وما كفاه من شرور العجم اللئام، إزداد الناس للإمام محبة ووداً، وأذعن له الخاص والعام ولم يستطيعوا لكراماته رداً وقد كان في هذا المخرج وقع الإرجاف ونجم النفاق والخلاف، ممن يعبد الله على حرف ويحب أهل الجور والاعتساف. حتى أنه وقع الإرجاف في بلاد صعدة وخولان الشام، وكاتب بعض المشايخ الطغام، فلما وصلت إلى عمال الإمام هنالك الأخبار برجوع العجم الأشرار، وأنهم قد ارتدوا على أدبارهم، أمروا الناس بإشعال النار. وكان رجوعهم قبل عيد الأضحى بيومين فتم للناس السرور بالعيدين، واستبشر بذلك الناس، بعد أن كان قد حصل معهم الإياس. فلله الحمد من قبل ومن بعد ولقد نظر الله سبحانه إلى عباده لما علم الله ما هم عليه من الضعف في الأبدان والأديان وقلة الناصر والأعوان.

ومن الكرامات: في هذا المخرج ما ذكرنا من إخراب بيوت المنحرفين من بني علوي وشويط، ومنع الله الصادقين من التسليط.

ومنها أيضاً ما وقع من الخراب والنهب في قرية الشبيرة كما قدمنا خبرة وكانوا من المنحرفين المنقادين للعجم، وكانوا أول من أظهر للعجم الطاعة وخالف سبيل الجماعة.

---

(١) اتسع الخرق على الراقع (مثل) .

ومن الكرامات الباهرة، أن بير القفلة المسمى بير الغارب نضب ماؤها وغار عند وصول العجم ولم يبق فيها إلا حماءٍ مسنون. ولقد كان العجم يلقون آنيات التنك[1] فيه فتنقطع الحبال وتسقط آنية التنك إلى البئر وبعضها مغطاة لا يمكن دخول الماء فيها، وكأنها ذهلت عقولهم من العطش، ولقد أُخرج من تلك الآنية بعد عزم العجم نحو أربعين زمزمية ولقد شربوا من المياه المتغيرة والتي تُستقذر شيئاً كثيراً حتى بلغ أنهم شربوا البول والله أعلم بصحة هذا القول. ومما قاله سيف الإسلام ابن الإمام المتوكل جواباً على قصيدة مولانا العلامة العماد سيف الإسلام بن الإمام عليه السلام، وتلك القصيدة المتقدمة وتأخر الجواب عنها إلى الغيل، فقال حماه الله تعالى:

ما شجاني بارق الأضم[2]	لا ولا ذو البان والعلم
لا ولا تاك الربوع وما	تحوي من خير ومن نعم
ورياض في الربوع سنت	زهرها يزهو المبتسم
وغصون كلما زلعت[3]	من قريب بعده نعم
وصبا نجدٍ تلاعبها	في بكور الصبح والظلم
وكؤوس السحب دائرة	بشراب المزن[4] والديم
وحمام الأيك صادحة	تسرد الألحان بالنغم
تنشد بالألحان مطربة	شدوها يرقى من الصمم
لا ولا خود ألفت بها	في صبى في دهر مبتسم
من صبا نجد وأنسه	حسنها كالبدر في البهم
من رنت أغنت حدايقها	عن غرار السيف والسهم
حور عين لا يشاكلها	ساجيات العين من ريم

(١) التنك: هي صفيحة السمن أو القاز وتستعمل كغرب الماء.
(٢) الأضم: اسم موضع أو جبل (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٧٠).
(٣) زلعت: أي تشققت واقتطعت. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٣٨).
(٤) المزن: الْبَرَدْ (الثلج) وحبة المطر. (المنجد: ص٧٥٩).

ناحلات الخصر من هيف ... ليس ذاك النحل من سقم

تسحب الأذيال إن خطرت ... مشيها كالأنيق الرسم

إن تقل قولاً فمقولها ... لؤلؤ في سلك منتظم

طال ما عشنا بمنطقها ... تتحف الأسماع بالكلم

من لسان لين عذب ... سلس الألفاظ حشو فم

ريقه شهد لراشفه ... إنها كانت دواء الألم

زانه ثغر به درر ... وشفاه لونها كدم

وجواد الطرف نطمعه ... زهر خدٍ منه يسم

نشره مسك يفوح به ... طيب الأرجاء لمتسم

طال ما طاب الزمان لنا ... وسواداً بحادثات عمى

خل هذا كله فلقد ... جاء لفظ ذيف بالحكم

ملأ الأحشاء نار غضا ... وحشاها أيما ضرم

من همام سيد سند ... صار في الشُّعار كالعلم

خاض تيار البديع كما ... خاض بابور للمتطم

فاق أهل النظم أجمعهم ... من بني فهر ومن هرم

إن قساً والأولى سلفوا ... مثل عمر ثم قسهم

والبعثري وابن ما متهم ... بإزاء الممدوح كالخدم

حين نادى في بني حسن ... بمناد مفصح العلم

خبّرونا يا أحبتنا ... كيف أنتم يا أولي الحرم

إن تلك الأعداء قد جمعت ... زمرة الباغي من العجم

وتبارت نحونا عجلاً ... خيرة الأخيار في الأمم

في ثياب الكبر تايهةً ... تسحب الأذيال في الأطم[1]

قد أعدت كل قوتها ... تبغ هدم الدين والحُرم

---

(١) الأطم: حصن المبني بحجارة وهو كل بيت مربع مسطح. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٧١) .

ولثأر الكفر قد نقمت   قصدها إن تأت بالنقم
إننا إن تسألوا فلنا   في العلا غايات لم ترم
فسل آباءً لنا عمروا   شامخات المجد بالهمم
صبروا لله إذ غرموا   والتووا بالحزم والحرم
بذلوا للحرب أنفسهم   فأضاء الحق في البهم
ورعوا حق الأولى نصحوا   ورأوا فضلاً لسبقهم
واستمالوا الناس نحوهم   بجميل الفضل في الأزم
وعفوا عن كل قادحة   عفو ذي فضل ومحتشم
وإذا ما جاء وافدهم   وهو ذو ضعف وذو عدم
عاد عنهم شاكراً نعماً   وهو ذو مال وذو حشم
يطربوا للجود إن سُئلوا   وهم يعطوا بلا كلم
وترى من لاذ نحوهم   غير مخذول ومهتضم
جعلوا التأثير عادتهم   وغموض الطرف عزتهم
وكذا نقفوا مآثرهم   نكتسي ثوباً كثوبهم
تكرم الأضياف إن وفدوا   من لحوم الضان والدسم
كلما وافى جايعهم   عاد مبطوناً من التخم
ونجير الجار من ضرر   في ذرانا الجار لم يُضم
وعلوم الآل نتبعها   وهدى القرآن ذي العظم
وسبيل الحق نسلكه   إن تعامى عنه كل عمي
ونخوض الحرب يوم وغى   نتحف الباغين بالنقم
نسقي الأعداء كأس ردًا   من سهام خل بالسهم
ما نهاب الموت إن قرحت   وبرونز الطب والبرم
وخيول العجم إذ سبحت   بعلوج تشبه الأكم
وطوابير لها عدد   غير محصور ومنقسم

كم صبرنا في الوطيس لهم ... وأسود العرب في الأكم

وبذلنا فيه أنفسنا ... رغبة في الفوز بالنعم

وأخذنا الثأر من عجم ... ومن الأعراب ذي الندم

إسألوا عنا وقايعنا ... إنها غراء كالنجم

إن أراد الخصم ينكرها ... صار منحوساً بكل فم

تشهد العقبان إذا شبعت ... وكبار النسر والرخم

وسباع القفر كم رجعت ... من لحوم الترك بالبشم

«ق٩٣ب»

وكذاك الآن نحن على ... مثل تلك الحال لم نجم

كلما زادت جموعهم ... طالت الآناف بالشمم

ننصر الباري لعين هذا ... في رضاء الله لم تنم

نلقهم بالجد إن رجفوا ... وتشب النار بالضرم

ونريهم في اللقاء عجباً ... ونزيل الساق عن قدم

ونري الباغي مصيرهم ... في الوغاء لحماً على وضم

وإمام الحق يعضده ... إن دعانا عاجلاً نقم

كلما نادى نجيب له ... لم يقف سعياً على القمم

طايعين الأمر حال رضا ... وإذا البأساء أتت تهم

نَفْدَه بالنفس راضية ... وهو فيها غير محتكم

ويقول الحق طاعته ... خير موثوق لملتزم

ونحث الحق أجمعهم ... نحو داعية لعزهم

إنه للناس نعم أبٍ ... لو أنالوه عن الخطم

ينجو المستمسكون به ... فهو مثل البحر في الخضم

أوجب الرحمن طاعته ... عم من قد كان في الحلم

ليس يسعد في الدنا وغد ... وينال الفخر في الأصم

غــــير مــــــن والاه محتـــــسباً	لا يــــشيب العـــــزم بالــــسأم
والأولى خـــافوا وقــــد نقـــضوا	مــــن وثيـــق العهــــد والـــذمم
حـــازوا الخـــسران إذ صـــفقوا	صـــفق ذي عـــير لـــدى ســـلم
يكفهـــــم في اللــــوم أنهــــم	اســـتبدلوا شـــتماً لمـــدحهم
واكتـــسبوا ثـــوب الهـــوان وقـــد	لبـــسوا قـــدماً كـــسا الكـــرم
وســـلاح الحـــرب قـــد طرحـــوا	فهـــــم في الآن كـــــالحرم
إن صـــــبر الحـــــر منقـــــصة	وهـــو ينظـــر غـــيظ ذي ورم
كيـــف يأخـــذ مـــا لهـــم ســـفل	مـــن عـــدوٍ نـــاقصٍ قـــدم
ويـــرون الــــذل يـــشملهم	ونكـــير الحـــبس والرســــم
ولقـــد قـــال الأولى غـــرروا	لقـــــد استـــــسمنت داء ورم
ليــــتهم مـــاتوا بـــأجمعهم	قبـــل خـــزي واضـــح الـــوخم
فوفـــاة العـــز مكرمـــةً	وحيـــاة الـــذل كالعـــدم
حـــاش أن نـــترك حمايلنـــا	أو نلـــين الطبـــع للغـــشم
ســـثق بـــالله خالقنـــا	جـــل معبـــود لنـــا يـــدم
إنـــه في الـــضر عـــدتنا	وهـــو في البأســـاء معتـــصمي
إن حبـــــل الله مــــسكننا	فهـــو حبـــلٍ غـــير منفـــصم
ونـــصلي في الختـــام عـــلى	ســـيد الأعـــراب والعجـــم
وهــــــواة الآل ســــادتنا	مـــا تـــلى يومـــاً عـــلى الخـــتم

وقال سيدي العلامة صفي الإسلام أحمد بن قاسم بن الإمام حرسه الله:

حمـــد رب البيـــت والحـــرم	واجـــب في البـــؤس والـــنعم
وصـــــلاة الله دائمـــــة	مـــا أضـــاء البـــدر في الظلـــم
تبلـــغ الهـــادي وعزتـــه	مـــنهم المنـــصور ذو الكـــرم
خـــــــير داع في الأوان إلى	حـــرب أهـــل الفـــسق والـــبهم

خير من يرجى لمكرمة ... خير مصمود لمستلم

صاحب السيف الطويل على ... قمم الباغين والعجم

أصل مولانا وعالمنا ... سيف هذا الدين والعلم

علم الأعلام نادينا ... لبناء المجد والشيم

مرسل النظم البديع فما ... قبله نظم بمنتظم

حبذا در بصرته ... لفظ من أملاه كالنغم

فاق منشئة علاً وسنا ... إذا جاد النظم بالحكم

حكم مملوءة عبراً ... لأولي الأفكار والهمم

بنظام كان موقعه ... في قلوب الناس كالسهم

قد أصاب الهم مقصده ... لا ورا منه بذي سلم

ولهم نضما إلى جر ... مدح أهل العز والشيم

مدح من سادوا لهجرهم ... كل محبوب ومتهم

ونهى عن مثل ما سلف ... من مديح الخود[1] والرسم

ولذا قد قال مبتدياً ... عد عن ذي المبسم الشيم

ولعمري لست ذا غزل ... ليس مدح الغيد من شيمي

غير أني لا ألوم فتىً ... من أولي التشبيب في الحرم

وكذاك الوصف للسفل ... إنهم في الوصف كالنعم

وحقيق اللوم أجمعه ... بلسان الوعظ والقلم

لذي الدعوى بأن لهم ... مسكة في الدين والشيم

وفتى لا زال في تعبٍ ... عن دعاء الحق في صمم

«ق٩٤أ»

وذوي الأحساب قاطبة ... من بني الزهراء وكل كمي

سيما همدان أجمعهم ... شيعة السادات من قدم

---

(١) الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٩١٧).

كيف دانوا للعلوج وهم   قادة الأشراف في الظلم

كيف ذلوا بعد مجدهم   كيف هانوا بعد عزهم

كيف فروا من بيوتهم   لعلوج الترك والخدم

كيف من خوف العداء رهنوا   كل شيخ كان ذا عظم

كيف قاد العجم قادتهم   نحو سجن القصد في رقم

ثم ساقوا التبن والحطبا   لم يقولوا نحن مردهم

وكذا ساقوا لهم نفراً   وكذا لحماً على وضم(1)

وحموا السيلاً سوابحهم   لا يمس العجم بالكلم

دلت الآيات أن بهم   ذل أهل السبت واللوم

ليت آباء لهمم سلفوا   شاهدوا ما حل من سقم

في بنيهم ثم ما نصبت   في قراهم من بني الرقم

ويرون العجم كيف ترم   أيضاً ناهيك من ورم

فوق من قد كان مجيده   تجذب الاعلاج باللمم

فاعجبوا يا قوم واعتبروا   كيف عم الذل كل كمي

بعد حرب قام عثيرها   بين أسد العرب والعجم

كان فيه الفتح للعرب   عند ان كانوا على الذمم

حين أن كانوا إلى شيم   تائبون الرعي في الوخم

ثم لما خان أكثرهم   عهده المزبور بالرقم

وعصوا عمداً أئمتهم   من بني المختار ذي العصم

وهي طويلة. وقال في آخرها:

نحن بالقرآن عصمتنا   وبطه سيد الأمم

لبسنا للعجم إن دهموا   سور القرآن في الظلم

---

(١) الوضم: ما يقطع عليه اللحم: أي أوقع بهم وذللهم وأوجعهم. (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٩٤٤).

كـــــم أرانـــــا الله قدرتـــــه بـــــزوال الكـــــرب والغمـــــم
بعــــد يــــأس كــــان عــــن خــــرج وخطـــــوب تـــــأت بـــــالهرم
كـــــم مـــــرار مـــــن تطولـــــه قـــــد أعـــــاد الخطـــــب كـــــالحلم
نعمــــــــةً منـــــــه وتكرمـــــــةً لإمـــــام الحـــــق ذي الهمـــــم
رب وفقنـــــا فـــــلا أحـــــد يحـــــيط لأعـــــمال بالـــــسأم
وانـــــصر المـــــولى نـــــاصره وارفـــــع البلـــــوى مـــــع العجـــــم
ولحـــــق الـــــشكر مختتمـــــي بـــــصلاة الله مـــــع الـــــسلم
تبلـــــغ المختـــــار والفـــــضلاء في ابتـــــداء نظمـــــي ومختتمـــــي

وقال الحقير راقم الأحرف[1] في ذلك:

جـــــوهر غـــــال مـــــن الكلـــــم أم بـــــدور إلـــــتم في الظلـــــم
أم نجـــــوم الفـــــصل زاهـــــرةً أم شـــــموس الـــــنظم في العلـــــم
بـــــل بحـــــور الـــــشعر زاخـــــرة وردت في عقـــــــد منـــــــتظم
مـــــن جنـــــاب الـــــسادة الكمـــــلاء مـــــن نجـــــوم المجـــــد والكـــــرم
مـــــن عـــــماد الـــــدين ســـــيدنا مـــــن غـــــدا في العلـــــم كـــــالعلم
ســـــيف الإســـــلام الـــــذي حكمـــــوا إنـــــه أزرى بكـــــل كمـــــي
ثـــــم عـــــز الـــــدين فاضـــــلنا ماجـــــد أربي عـــــلى هـــــرم
وصـــــفي الـــــدين عالمنـــــا أوحـــــداً الآحـــــاد في الـــــشيم
ســـــادةٌ شـــــادوا عـــــلاً ونـــــدا بـــــضعة مـــــن ســـــيد الأمـــــم
وردت بـــــالأمس شـــــاكية دمعهـــــا يجـــــري كـــــما الـــــديم
مـــــن بنـــــي كهـــــلان حـــــين عمـــــوا وتلقـــــوا الحـــــق بالـــــصمم
هـــــدموا المجـــــد الـــــذي عمـــــرت لهـــــم الآبـــــاء في القـــــدم
نقـــــضوا العهـــــد الـــــذي عقـــــدوا مـــــا وفـــــوا بالعهـــــد والـــــذمم

---

(١) المقصود براقم الأحرف المؤرخ علي بن عبدالله الإرياني.

لبسوا ثوب النفاق ولم ... يستحوا من باعث الرمم

حين قادوا الترك واتزروا ... بإزار الذل والوخم

لم يخافوا بطش خالقهم ... وحلول البؤس والنقم[2]

كيف صموا عن إمامهم ... واستجابوا داعي العجم

أغضبوا الرحمان خالقهم ... وغدوا كما على وضمٍ

يا لها من فعلة فعلوا ... تركت طرف الكمال عمي

ليتهم قاموا وما جبنوا ... غيرةً منهم على الحرم

حاشد ثوروا لها فلقد ... كشفت منكم عرى البرم

ما خلا قوم لهم شيم ... حبذا تاقت على الشيم

العصيميون والعذري ... الأسود القادة الصمم

نصروا دين الإله وما ... ساعدوا الأروام في السلم

يا بني الزهراء لا تهنوا ... أنتم الأعلون في الأمم

أنتم سفن النجاة إذا ... ضلت النيران في الضرم

أنتم غوث الورى أبداً ... ولأهل الجور كاللُّجَمِ

يا ليوث الحرب إن هصرت ... فهي الآساد في الأجم

إن رب العرش حسبكم ... وكفى بالواحد الحكم

لا تخافوا إن دهت إرم[1] ... فهو المدعوا في الأزم

فثقوا بالله خالقكم ... لا تخافوا سطوة العجم

«ق٩٤ب»

وبحبل الله فاعتصموا ... فهو حبل غير منفصم

واصبروا فالصبر عادتكم ... يا نجوم الدهر في الظلم

---

(١) الشطر الثاني من هذا البيت سقط في المخطوطة (أ) وتم إثباته من المخطوطة (ب) .

(٢) إرم: إرم ذات العماد، موضع جاء ذكره في القران الكريم مرة واحدة في سورة الفجر، واختلف المفسرون والمؤرخون في تعيين هذا الموضع وبعض المفسرين ذكر أن إرم اسم قبيلة من بني عاد، ومنهم الطبري. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي: ج١، ص٧٣) .

وبفـــــــــضل الله خالقنـــــــــا	وغيــــــاث الخلـــــق في الـــــديم
يهـــــزم الجمـــــع الكثــــير وإن	حــــــسبوه غــــــير منهـــــــزم
وصـــــــــلاة الله دايمـــــــــة	تبلـــــغ المختـــــار كالـــــديم
وكـــــــــذاك الآل قاطبـــــــــة	مـــن هـــم ذخـــرى وملتزمـــي

جميع هذه الأبيات تأخرت عن قصيدة سيف الإسلام، وعمدة العلماء الأعـلام، إلى أن وقع المطرح في غيل القشام، فأرسلت جميـع الجوابـات مـن هنالـك، وكـان الأمـر كـذلك ولله الحمد.

فصل:

إني ذاكر حق من حوادث هذا العام ينبغي ذكرها استطراداً في سيرة هـذا الإمـام عليـه السلام لتكون عبرة لمن اطلع عليها من الأنام.

فمن الحوادث العظيمة تواتر موت العلماء الذين يستـضاء بـأنوار علـومهم في ديجـور الظلام، فيا لها من داهية دهيا، وخطب أعيا مؤذن بخراب الدنيا.

فممن توفى في أوائل هذا العام أو قبله بقليـل الـسيد العلامـة بقيـة علـماء الآل، وبـدر الكمال، الأزهري فخر الدين عبدالله بن أحمـد العنـتري، وكـان المـذكور مـستقراً في هجـرة ضحيان وكان ضرير البصر، قرأ العلوم في مدينة صنعاء وبرز في ذلك وفاق الأقران، وصار إليه مرجع الأعيان، ولم يخلفه هنالك مثله على التفصيل والجملة.

وفيها أيضاً توفى القاضي العلامة عز الإسلام محمـد بـن أحمـد العـراسي وكـان المـذكور مباركاً في التدريس.

وفيها أو قبلها بقليل القاضي العلامة عبدالملك بن حسين الآنسي[1] من علماء صنعاء، وكان من الزهد والورع بمكان، وتبعه في آخر العام ابنه القاضي العلامة محمد بن عبدالملك[2]، وقد كان بلغ في العلم مبلغاً عظيماً.

وفي شهر جمادي الأولى من هذه السنة توفى السيد العلامة محمد بن علي الجديري[3]، وتبعه بمدة يسيرة الفقيه العلامة صفي الدين أحمد بن محمد الجرافي وكان المذكور ممن جد في طلب العلم، وهو صاحب الرؤيا المشتهرة. وصفتها فيما أخبرنا به بعض الثقات الأفاضل أنه رأى الفقيه المذكور النبي صلى الله عليه وسلم، وهو راكب على فرس فسأله الرائي إلى أين يا رسول الله فأجابه بأني غاير على الولد محمد بن يحيى يعني الإمام عليه السلام، وكانت تلك الرؤيا قبل خروج الرديف. وفي ذلك كرامة عظيمة للإمام عليه السلام وقد بين الواقع أنها حق وصدق. وكيف لا وهو صلى الله عليه وسلم «حرب لمن

---

(١) القاضي العلامة: عبدالملك بن حسين الآنسي ولد سنة ١٢٣٢هـ في هجرة يعيش من مخلاف جبل الشرق، محل القضاة بني أحمد بن يحيى الآنسي. ونشأ في حجر والده ثم انتقل إلى صنعاء وتلقى علومه على يد أشهر علمائها، وقد أجازه القاضي أحمد بن محمد الشوكاني. ثم بعد ذلك عمل بالتدريس ومن تلامذته القاضي العلامة محمد بن عبدالملك الآنسي، والعلامة عبدالرزاق بن محسن الرقيحي، والعلاقة الحسين بن علي العمري وغيرهم كثير. كتب الكثير من الكتب النافعة منها التنوير شرح الجامع الكبير في أربعة مجلدات، ومجموعات نفيسة ونسخ الكثير من الصحف، وعمل على فصل بعض الخصومات بين الناس. ولما قدم الأتراك إلى صنعاء اشتغل بخاصة نفسه. كان كريم الأخلاق زاهداً متواضعاً، وله رسائل وأبحاث كثيرة، وله شعر حسن، كتب أرجوزة وصف فيها رحلة الحج سماها (أنعام الإنعام في الرحلة إلى بيت الله الحرام) توفي سنة ١٣١٥هـ. (زبارة: نزهة النظر، ص ٤٠٠).

(٢) القاضي العلامة محمد بن عبدالملك بن حسين الآنسي مولده سنة ١٢٧٣هـ بصنعاء نشأ بحجر والده نشأة أهل الصلاح والفلاح، حفظ القرآن عن ظهر قلب وقرأ الكتب المتداولة في عصره منها المختصرات، درس علم النحو وأصول الفقه وشرح الكامل، وشرح الفرائض وسبل السلام وشرح الأزهار وغيرها كثير. نسخ كتاب شرح الجامي على الكافية، وله مبتكرات في الأدب والشعر، وله بحث لا وتران في ليلة. وكان يشارك والده في تحصيل ونسخ الكثير من الكتب والمجموعات النفيسة. توفي في سنة ١٣١٦هـ. (زبارة: نزهة النظر، ص ٥٥٣).

(٣) السيد العلامة محمد بن علي الجديري توفى سنة ١٣١٦هـ. كان شاباً تقياً له اجتهادات في علم الكلام من أساتذته علي محمد بن علي كباس ومن زملائه السيد العلامة الجنداري، واشتهر بالتواضع وحسن الخلق. (الجنداري: الجامع الوجيز، (مخطوط) ق ٢٠٧).

حاربهم سلم لمن سالمهم»[1] ولعمري ما رد هذا الجمع العظيم، ولا هزم هذا الجيش الجسيم إلا غارة هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وتوفي في شهر رجب من هذه السنة السيد العلامة زيد بن أحمد الكبسي[2] .

وتوفي أيضاً فيها السيد العلامة صفي الإسلام أحمد بن محمد الكبسي، وكان قد طُعن في السن، ولم تزل العجم يجرون له في كل شهر ثمانين ريالاً، وكان مليح الوعظ له ملكة في حُسن الكلام.

وفيها توفي القاضي العلامة أحمد بن أحمد بن أحمد العنسي من علماء ذمار، وكان إليه المرجوع في تلك الديار.

وفيها أو قبلها بيسير توفي السيد العلامة داود بن عبدالرحمن القديمي من علماء زبيد، وكان المذكور من أهل الإنصاف والعدل والتوحيد والزهد والورع الشديد، ولم يخلفه مثله على التفصيل.

فهؤلاء العلماء الأعلام الذين توفاهم الموت في هذا العام إنهد لموتهم ركن الإسلام، واستوحش لذلك البقاع والآكام والقلاع والآطام ولم يخلفهم مثلهم والسلام.

ونخشى بعد ذلك أن يصب الله على عباده صوب الإنتقام فإن في بقائهم رحمة للأنام.

وفي هذه السنة إنقض كوكب عظيم سمع له دوي.

وفي هذا العام أظهرت العجم العدالة وعزلوا المشايخ ونصَّبوا عقالاً «ق٩٥أ» في كل قرية. ثم إن الدعايا من سوء حظهم صاروا ينوهون بما جرى لهم من الظلم مع المشايخ حتى إنهم صاروا يأخذوا الريال للدولة وعشرة ريال لهم. فبعد أن تمكنوا مما أرادوا في

---

(١) سنن ابن ماجه، الجزء الأول، المقدمة، ص ٥٢، سنن الترمذي المجلد الخامس، باب المناقب، ص ٦٩٩.

(٢) السيد العلامة التقي زيد بن أحمد بن عبدالله الكبسي الحسني اليماني. ولد في صنعاء ١٢٦١هـ تلقى علومه على يد جُل علماء عصره. ثم صار ملازماً لشيخه السيد محمد عشيش بعد أن كف بصره وكان هو المملي على الطلبة للدروس في حضوره. وكان ممن سجنهم الوالي مصطفى عاصم. وبعد إطلاق سراحه تولى نظارة الأوقاف في صنعاء وكان عضواً في مجلس الإدارة. (زبارة: نزهة النظر، ص ٣٠١) .

نصب العقال، قلبوا ظهر المجن للرعايا وطلبوا منهم العشرة الريـال التـي كـانوا يـسلمون للمشايخ، وأعادوا بعض المشايخ فظهر بذلك عدم العدالة، وأن الظلـم بـأدمغتهم راسـخ، وبعد ذلك صاروا يطلبون أولاد الرعايا يدخلونهم المكاتب ومرامهم بذلك إفساداً لأولاد، وأن يشبوا على محبة الدولة وفعل أنواع الفساد.

ومنها أيضاً صاحت العجم على ذو غيلان وأجلوهم من اليمن، بعـد أن وقعـت بيـنهم وبينهم حروب وآل الأمر إلى تفرق ذو غيلان، ولم يبق لهم في اليمن أمـان، وحـاق بهـم مـا كانوا يخشون من الذل والهوان، وحق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه كما صـح عن سيد ولد عدنان.

وفي نصف شهر رمضان خسف القمر، فـانظر إلى هـذه الحـوادث العظيمـة والخطـوب الجسيمة في هذا العام من ذلك الجوع، الذي منع الهجوع، وفرق المجمـوع، والموتـان الـذي ظهر أمره وبان، ولقد بيعت الذخاير بأرخص الأثـمان، وأن مـن حكمـة الحكـيم الـذي لا يعقلها إلا ذو العقل السليم، أنه لما سبق في علمه تعالى أنه لا بد مـن خـروج هـذه العـساكر التي ضاق لها الفضاء، وأنهم لا بد يقصدون هذا المركز الذي لم يبق تحت أديم الـسماء، مـن يدعو إلى الله غيره، فقدم سبحانه الابتلاء، بالقحط والغلاء، منذ ثلاث سنين حتـى هلكـت المواشي، وضعف القاعد دع عنك الماشي، وعدمت الحبـوب وعـلى الـدواب، فلـم يـتمكن العدو من مطلوبه بل رأى في جميع أمور عكس محبوبه، ففر وقهقـر، بعـد أن عـبس وبـسر، وتعاظم وتكبر، ولقد عاد إلى صنعاء ولم يقـض وطـر، بـل دخـل بحالـة مُزريـة قـد غلبتـه الكآبة والكدر.

ومن الكرامات التي لا تُنكر أنه لما وصل إلى حول صنعاء منع العسكر من لُقيـاه نـزول المطر. ولما حط الرجال في مدينة آزال، سُئل عما كان في ذلك الترحال، فأجاب الـسؤال، إن محاربة الإمام محاربة لذي الجلال، وأنه لا يقدر عليه بحال من الأحـوال. وجعلـوا مـضبطة حكوا فيها صفة ما كان ليرسلوا بذلك إلى حضرة السلطان، واعتذروا عن بلوغ المـراد، وأن الإمام عليه السلام ممنوع من رب العباد، لأن عبدالله باشا كما بلغ، خرج بأوامر منها: أخـذ الإمام عليه السلام، وأخذ السلاح، وطلب النظـام فبعـد العجـز عـن الأولى، أيـسوا عـن

تحصيل بقية المرام، فقد أبقى الله لهم ما يغيظهم ويذيقهم الحمام، وكان دخول الطاغية المذكور صنعاء بآخر شهر الحجة سنة١٦[1] .

فصل:

دخلت سنة ١٧[2] وفي شهر محرم المذكور مفتاح السنة.

تتابعت الوفود إلى الحضرة الشريفة أعلى الله شأنها للتهنية بذلك الفتح العظيم، وما منّ الله تعالى به من دفع هذا العدو اللئيم، ووصل العسكر الذين جاهدوا يطلبون من الإمام عليه السلام المونة التي راموا بها العجم، وهي أنواع مرت وشاشخان وأبو سك. فكان الإمام عليه السلام كلما وصل إليه أحد شكر سعيه، وسلم له بقدر الأعطال[3] التي يأتي بها، مع أن بعضهم لم يرم بالمبلغ الذي أتى به، فتغاضى الإمام عليه السلام ما قالوا فبلغ قيمة ذلك مالاً جزيلاً، ومع ذلك فقد كان أرسل الإمام عليه السلام إلى جميع المواضع التي وقع الحرب فيها مونة كثيرة ألوف «ق٩٥ب» مؤلفة. ولما بهر الناس ما شاهدوا من كرامات الإمام عليه السلام وما نزل بأعداء الله العجم من الإنتقام ذعن الخاص والعام بالطاعة.

ووصل السيد المقام صفي الإسلام أحمد بن إبراهيم الهاشمي وصحبته جماعة من السادة الكرام للتهنية والزيارة، ولقد كان لهم الفضيلة والمنقبة الجليلة، فإنهم عند وصول العجم إلى القفلة أرسلوا أعني السيد الصفي وجماعة من أفاضل مدينة صعدة بمائة قدح دقيق معونة للجهاد، فأحيوا بذلك مآثر أسلافهم الأمجاد.

ثم أنه في هذه المدة وصل عقال الشرف يطلبون من الإمام عليه السلام إرسال العامل السابق السيد العلامة الأبرّ صفي الإسلام أحمد بن مثنى عنتر لإقامة الشرع الشريف، فاعتذر ثم أسعف[4] . وبعد عزمه من الحضرة قاصداً نحو عمله في الشرف، وصلت الكتب إلى الحضرة الشريفة من بعض مشايخ حجور، يطلبون من الإمام عليه السلام عاملاً يقيم

---

(١) سنة ١٦ : المقصود ١٣١٦هـ الموافق ١٨٩٨م.
(٢) سنة ١٧ : المقصود ١٣١٧هـ الموافق ١٨٩٩م.
(٣) الأعطال: الفارغ من ذخيرة الرصاص.
(٤) أسعف: وافق.

شرايع الإسلام وتخمد به الفتن العظام. وكان الإمام قد كتب إليهم صحبت السيد صفي الإسلام، يأمرهم بالطاعة والإمتثال لشريعة الملك العلام. فكان وصول مكاتبتهم إلى الإمام بطلب قبل وصول مكاتيب الإمام، فكتب حينئذ الإمام إلى سيدي صفي الإسلام يأمرهم بالعزم إليهم، وضبط أمورهم وكانت فيما بينهم فتن عظام، هو الموجبة للالتجاء إلى الإمام. فعزم السيد الصفي بعد ورود الأمر من الحضرة، فلما وصل بلاد حجور تلقاه أهلها بالسمع والطاعة، وطلب منهم الرهائن، فسلم أكثرهم وأبى كل منافق خاين، وأظهروا العداوة الكامنة، وجمع صفي الإسلام الرهاين الرهاين إلى حصن ....[1] ثم لما خالف من خالف بدى لمن كان قد رهن، أن يتجمعوا ويفكوا الرهائن قهراً. فلما وصل الخبر إلى صفي الإسلام كتب بذلك إلى الإمام فأمده بعسكر، وأمره بمناجزة من عصى. والحر تكفيه الملامة والعبد يقرع بالعصا، فحين عرف أهل حجور بالجد في الأمور عادوا إلى الطاعة وسلم الرهاين من أبي من أهل الضغاين، إلا الشيخ الرديء محمد الهندي، فإنه أطاع شيطانه وساعد طغيانه فمنع عن الرهينة. وكان المذكور من أركان الطاغوت، ومن أظهر المعاصي وبادر بكباير الذنوب، مالك النواصي، حتى أن من وصلت إليه من النساء راغبة عن زوجها، زوجها من أرادت، ولا يحتاج إلى طلاق، وليس لزوجها إلا قول عارف من أهل الشقاق، وهو نصف الدفع يسلمه الزوج الآخر، ولذلك قال القائل معز النابرات، وحين أظهر الخلاف تجهزت إليه العساكر المنصورة، وقامت الحرب على ساق، وشدد عليه الحصار، ووقع القتل في بعض أقاربه وأولاده الفجار.

وفي هذه المدة وصلت عقال بني صريم، ثم أهل الظاهر[2] متأسفين على ما مضى وسلف منهم من عدم المناصرة، وبذلوا رهاين الطاعة، وطلبوا العفو عن الإضاعة، فقبل منهم الإمام عليه السلام التوبة واستوثق منهم في ملازمة الشريعة وأداء الواجبات، واجتناب المحرمات الشنيعة، وأنفذ صحبتهم العامل السابق السيد العلامة صفي الإسلام أحمد بن

(١) فراغ في الأصل دون الإشارة إلى اسم الحصن.

(٢) أهل الظاهر ضد الباطن: وكل ما ارتفع من البلدان يسمى ظاهراً. ظاهر همدان والمراد بها جبال همدان المرتفعة وهي مدينة خمر والوادي ويشيع والعقيلي، وظاهر المحويت وتشمل عدة قرى وعزل، والظاهرة قرية من مخلاف الحبيشية في رداع. (الحجري: المجموع، ح٣، ص٥٦٣).

قاسم بن الإمام، فعزموا به راشدين ولأمره وقوله طايعين سامعين. فلما وصل خمر سقط في أيدي أهل النفاق لأنهم صاروا يوهمون العجم أنهم داخلون في دولتهم. وكان العجم قد قبضوا من بعضهم رهايناً حين خروجهم إلى بلاد القبلة.

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة، أرسل الإمام عليه السلام السيد المقام عز الإسلام محمد بن يحيى ابن الهادي من أولاد «ق٩٦أ» المؤيد الكبير محمد بن القاسم. وجده المنسوب إليه المحسن بن حسين القاسم المسمى بالهادي، ادعى في مدة المتوكل قاسم بن حسين، وكان دعوته في شهارة والشيء بالشيء يذكر. وكان إرساله عاملاً في الأكهوم[1] . وبني حيش وما يليهما من البلاد لإقامة الشرع وإزالة ما يؤدي إلى الفساد، فلما وصل السيد العزي هنالك طلب الرهاين فسلم أكثرهم، وأبي أهل الضغاين، ووقع بينه وبين شيخ بني طلق حرب وآل الأمر إلى الطاعة وبذل الرهينة.

ثم ما زال أمر الإمام عليه السلام ينمو ويزيد في تلك البلاد وينضاف إليه أكثر من ولايتهم إلى العجم في تلك الناحية، وسيأتي ما آل إليه الأمور.

وفي جمادي الأولى من هذه السنة[2] ، أرسل الإمام سيف الإسلام محمد بن الإمام المتوكل عاملاً على بلاد السودة، وكان ابن ناشر منحرف عن طاعة الإمام سبب تسويل الشقي الشيطان جبران الغشمي، فلما أخبر أن الإمام عليه السلام، قد أرسل العامل، وأمره بمنابذة كل من هو عن الحق مائل، فوصل ابن ناشر إلى السيد العلامة أحمد بن قاسم إلى خمر مستعيناً ببني صريم، ليتشفع بهم إلى الإمام، فكان وصولهم وإياه إلى الحضرة الشريفة يوم عزم العامل عز الإسلام، معلناً بالتوبة باذلاً لرهينة الطاعة، وضمن على ذلك أولئك الجماعة، وأطلق بعض الحصون لرتبة الإمام وأظهر الانقياد، وتخلى عن البلاد، ورقمت على ذلك المواثيق، واستقرت الأمور في جميع بلاد السودة، وانحسمت مادة الشرور، ونفذت أحكام الشريعة، وخمدت نيران الظلم والقطيعة.

وفي شهر جماد أيضاً طلب الإمام عليه السلام جماعة من ذو غيلان بعد أن وصل منهم

---

(١) سقطت في المخطوطة (أ) ، وقد أثبتناها من المخطوطة (ب) وهي الأكهوم.

(٢) ١٣١٧هـ ١٨٩٩م.

جماعة من رؤسائهم، باذلين أنفسهم للجهاد فألزمهم الإمـام بعـصابة نافعـة نحـو أربعمائـة رجلاً للجهاد في أي محل أراد، فوضعوا الرهاين على تحصيل ذلك القـدر وصرفهـم الإمـام وعزموا. وبعد نحو شهر وصل منهم عـصابة، وفي خـلال ذلـك وصـلت عقـال حجـور، وأعرض عليهم الإمام السعي في إصلاح الهندي قبل الندم وتفاقم الأمور، فعزموا لأخذ ما عند الهندي، وقد أخذ عليهم بجهاده إن أبى عن قبول الهدى، فلما وصلوا إليه راجعوه فأبى إلا معاندة الرب الأعلى، فكتبوا بذلك إلى الإمام عليه السلام، فجهـز ذو غـيلان، وأمـرهم بمنابذة حرب الشيطان. فلما وصلوا إلى قرب بلاد الهندي تقال عددهم وظن أنه الغالب ولم أن جند الله هم الغالبون. ثم أن ذو غيلان قصدوا بيوت الشقي الهندي من فوقها، وتفرقـوا شيعتين وصحبتهم جماعة من رجال حجور الذين صدقوا، فلما رآهم الهندي وقـد أصـدقوا الحملة ورأى ما لا قبل له به من النصر، فر هو ومن معه، واسـتولى المجاهـدون عـلى تلـك الديار، وأضرموا في جوانبها النار، وصارت عبرة لأهل الاعتبار، فرتبت الحـصون، ولحـق الهندي بالشيخ محمد هادي الخميس.

وقد سقط ما في يديه، ولاحت لوايح الأدبار عليه، وقتل من أصـحابه في ذلـك الحـرب أربعة، ومن المجاهدين واحد. فلما رأى أهل حجور ما منّ الله به من النصر، أذعنوا للطاعة وفي عين بعضهم قذى. واستقامة أمور الشريعة، وصار المقدمي الـسيد لا يحـابي أحـداً بـل يهدم الأمور القبيحة الشنيعة.

وفي هذه المدة وصلت الأخبار إلى الحضرة بأن الشيخ نصير الدين علي المقداد قد تصالح هو والعجم، ووضع الحرب وترك الجهاد، فوجم لذلك الحاضر والباد. ثم أنـه «ق٩٦ب» وصل إلى الحضرة الشيخ المجاهد عبدالله بن علي راجح، مُتبرماً مما وقع مـن الـشيخ الجـمالي من المصلحة ومساعدة ابنه الشيخ المجاهد عزيز بن عبدالله على ذلك. ثـم إنـه كتـب لابنـه الشيخ عزيز وطلب وصوله إلى المقام العزيز، وصادف ذلك على حين ابتـداء مـشاحنة فـيما بين الشيخ الجمالي، والشيخ عزيز فلم يسعه إلا الوصـول إلى المقـام، منابـذاً للـشيخ الجـمالي والعجم. وإنما كان سبب المصالحة من الشيخ الجمالي إنه كان بـه جراحـة، فتاقـت نفـسه إلى

الراحة، فلما رأى أنه قد سقط من أعين الناس، وذهب ما كان يعرفه منهم من الهيبة له والبأس، ندم غاية الندم. وكان العجم قد أعطوه نحو ألف ريال إكرامية، وقرروا له المعاش في كل شهر ولكنه لم يجد لذلك ما كان يجده من اللذة في الجهاد، وأن جميع أهل البلاد الآنسية ممن وقر في قلوبهم حُبْ العترة الزكيَّة، والتمسك بسفينة النجاة المصطفوية، فهم في نصرة ذلك لا يملون، ولو هلكت الديار والأموال والبنون، فجزاهم الله عن أهل بيت نبيه خير ما يأملون. ثم إن الشيخ عزيز بقاه الإمام عليه السلام في المقام، لينظر ماتؤل إليه الأمور من فلتة الشيخ الجمالي، لأن الإمام منتظر، لفِلتتة ورجوعه.

وفي أول جمعة من شهر رجب في السنة المذكورة وقع مطر عظيم في بلاد صنعاء، وكان إبتداه على جبل نقمْ، وفيه بَرَدْ كِبَار وقع أكثره فوق صنعاء إلى داعي الخير[1] وسعوان[2]، ودخل السيل صنعاء، وكان معظم دخوله من جهة باب اليمن[3] حتى أخرب الخيام التى في عرضي[4] باب اليمن، وقتل من العجم نحو عشرين وأخذ كثيراً من البنادق.

وفي شهر شعبان من السنة المذكورة، عزم من بقى من الرديف الذي خرج صحبة عبدالله باشا راجعين إلى الروم وأدخلوا صحبتهم نحو خمسمائة من المحابيس الذي في القصر. والسبب في ذلك أن حسين حلمي وعبدالله باشا الواليين للقطر اليمني امرهم السلطان بتحصيل ثمانين ألف رجل من اليمن نظاماً فصار التحيلان بتحصيل ذلك بما أمكن، حتى إن من وصل إليهم شاكي أو مشتكى حبسوه. فبلغ إنهم حصَّلوا إلى مسلخ رمضان سبعة وعشرين مائة أدخلوهم متفرقين. ومن وصل الحديدة حلقوا ذقنة وألبسوه وأدخلوه البحر.

وفي خامس شهر رمضان الكريم وقع بَرَدْ عظيم حتى مات منه ثلاثة رجال في قريب

---

(١) داع الخير: قرية في قاع صنعاء الجنوبي، وتسمى بيت معياد. (مجهول: صفحات من تاريخ اليمن، تحقيق السياغي) .

(٢) سعوان: وادٍ مشهور شرق شمال صنعاء بمسافة ٨ ك. م ويطل عليه من الجنوب جبل نقم، ويشتهر بزراعة العنب الجيد. (المقحفي، المعجم، ص ٣٢٢) .

(٣) العرضي: أحد معسكرات الأتراك في جنوب صنعاء.

(٤) باب اليمن: أحد أبواب صنعاء القديمة جنوب مدينة صنعاء القديمة ولا يزال قائماً حتى الآن.

حوث من الغُرباء، ونزل ثلج عام جبل حضور[1] . وغيره من الجبال المرتفعة، وضُربت الأشجار[2] ، وبقى الثلج ثلاثة أيام، ودام البرد ثمانية أيام حتى شق الحال بالأنام. ولقد أخبرني من أثق به إنه أخذ عتلة[3] من الطين اليابس وكسرها فوجد الثلج داخل ذلك فسبحان القادر الحكيم.

وفي الشهر المذكور عظمت الفتن، واشتعلت نار المحن فيما بين قبائل حاشد، وظهر لنا بموجب ذلك أن المراد بالحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما نصفد فيه مردة الشياطين غالباً، وإنما يقع بخلاف ذلك، فتاثيرات من تسويلات المردة أُغرقت في عُمق تلك النفوس الشريرة، وباضت في رؤسها، وقيل خُص من عموم قوله صفدت زعيم زمرتهم وصاحب دعوتهم لمكان الأنظار الذي أجيب فيه. فيقع مايقع باغوائه «ق٩٧أ» لاباعوانه.

وفي هذه المدة وصل إلى عامل الإمام عليه السلام السيد العزي[4] محمد بن يحي ابن الهادي بني طلق، وكانوا تحت ولاية العجم فطلبوا الإنسلاخ إلى دولة الحق، وفتحوا الحصن المسمى الطليلي، فأرسل إليه عسكراً ورتبه.

وبعد مدة يسيرة، وَسْوَسَ لهم الشيطان إن العجم لابد يخرجون، وتصير يلادهم دار حرب، فانقلبوا وَرْاَمُو[5] أصحاب الإمام إلى الحصن، واجتمع أهل البلاد واستعانوا بمن يليهم، وحاصروا من في الحصن، فغار المقدمي بجمع كثير، فتفرق أهل البلاد، وعادا الطالب مطلوباً، ورجعوا إلى الطاعة، فطلب منهم المقدمي الرهاين، فرهنوا ووصل العقال ورهاينهم إلى الحضرة الشريفة، فكسى الإمام العقال وأودع الرهاين الحبس.

---

(١) جبل حضور: جبل مشهور في بني مطر (ناحية بلاد البستان) ويقال له حضور النبي شعيب. (الحجري : المجموع، ج٢، ص ٢٧٧) .

(٢) ضربت الأشجار: أي اصفرت أوراقها وجفت وزادت عليها البرودة.

(٣) عتلة : جمعها عِتَل: المدرة الكبيرة تتقلع من الأرض، العصا الضخمة من حديد، والهراوة الغليظة. (المنجد في اللغة: ص٤٨٦) .

(٤) العزي : لقب لكل من يحمل اسم محمد.

(٥) وَرْامَوْا : أي اطلقوا الرصاص.

وفي رابع عشر شهر شوال غزا المقدمي السيد عزالإسلام إلى حصن يدع[1] في عزلة بني قطيل في بلاد السود فقبض الحصن المذكور ولم يلق كيداً.

وفي هذه المدة أيضاً عزم السيد صفي الإسلام أحمد بن مثنى عنتر إلى بلاد حجور الشام، فقبض منهم الرهاين وأذعن للحق كل خاين وفي ثاني شهر القعدة من السنة المذكورة، طلب من في عفَّار من العجم شيخ البلاد ابن صعصعة ليحبسوه ففر، فرموه فوقعت فيه رصاصة فسهم، ثم رموا من حصن عفَّار إلى السوق فقتلوا سبعة من القبائل، فاجتمع القبائل وأعلنوا بالفساد.

وفي هذه المدة وصل مكتوب من بعض رؤساء العجم رجل يسمى عبد الرشيد بك، وكان إرساله صحبة رجل من العجم يسمى محمد على رضا فوصل مقام الإمام عليه السلام، وقد تزيا بزي العرب وأظهر التنسك لحصيل الماء.

وصورة المكتوب :

الحمد لله خالق الكونين، والصلاة مع صحبه على من قال: (إني تارك فيكم الثقلين) [2] والسلام على من أمر باغتنام الفرصة بين العدمين، ورحمة الله وبركاته، على سلطاننا الذي هو خادم الحرمين بعد السلام، كما ينبغي بالمقام على من تشرف به، وسادة الإمام وهو المتميز بسيادة أصله، وجلالة فضله، مابين خواص الأنام، يترجى صاحب هذه العريضة من علو جنابه أن تعفو عن جسارته عن قبول هديته بيد رسوله الذي يقول عند بيان المراد، نملة جاءت برجل من جراد (بو سليمانى كراى عالي نهاد) [3] ، لأن جسارة المُهدي قد حصلت لما ورد في الخبر (تهادوا تحابوا) [4] من لسان سيد البشر، وكما نظره العالي أحسن النظر، ومما يؤيدها في كتاب مبين (الإئتمار)[5] بأمر فأصلحوا المودة بين المسلمين، وهذا ما

---

(١) يدع: كانت بياض في الأصل، وفي المخطوطة (ب) كتب (يدع) وتم إثباتها.

(٢) ورد الحديث بألفاظ مختلفة في (الهندي: كنز العمال، المجلد الأول، ص ١٧٢) .

(٣) هذه الجملة لم أتوصل إلى معناها، وقد تكون ترجمة للمثل السابق (نملة جاءت برجل جرادة) .

(٤) المناوي : فيض القدير، ج ٣، ص ٢٧١.

(٥) هكذا وردت في الأصل.

يمكن إلا باعتبار المساهلة والمباهلة وبعدهما المجادلة بالذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين، كما نصح بهم في مواضع التنزيل من رب العالمين.

بهذا القدر يكفي لتبليغ المراد، والله سبيل الرشاد، عند ظهور الحوزة والفساد. يامولاي ماكان مرادي إفادة المشهور لكن يطول البحث في أثناء التودد من المعقول والمسطور، ولهذا صرت مجبور، والمجبور عند كرام الناس معذور. السبب لهذه الجرأه ماصار الأمر صاحب هذه البراءة الذي من أعز الأصدقاء لجنابكم علي رضا افندي سابقاً ولاحقاً قد ألتمس بالمرة من العاجز، أن أكون بين البحرين حاجز، شمرت ساعدي، أجريت مابيدي متوكلاً على الله المبدي، توسلت عند باب الولاية، وقرأت نصيبي من الآية، فقد أخذت الكفاية أرسلت اليكم بكلام تحذير ومن الله التيسير، بأن الله لطيف خبير وآخر دعوانا اللهم إجعلنا من زمرة الصالحين، وعلى سعادة الدارين. «ق٩٧ب» فائزين بجاه سيدنا ونبيئنا محمد الأمين، تحرير في اليوم ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣١٩هـ[1] .

ثم إن علي رضا لما وصل بالمكتوب ورام الاتفاق بالإمام عليه السلام ليلقي مافي المرام فلم يتفق له مواجهة الإمام بل أرسل الإمام الشيخ يحي بن يحي دودة لأخذ ماعنده وما جاء به، فألقى إليه أن وصوله للمصالحة بين الإمام والعجم من طريق المكتبجي وعبد الرشيد بك، والهدية طيب وكسوة، فأرجع الإمام الهدية ولم يقبضها بالمرة وأجاب على المكتوب بما صورته.

إلى من تحلى بمكارم الخلايق ومحامدها، وسلك في أحسن الطرائق ومراشدها عبدالرشيد بك، أرشده الله أحسن الختام، وزاده من الخير والأنعام، وأتحفه بالإسلام والرحمة والإكرام. وأنه ورد إلينا كتابك الكريم الرايق الوسيم، الجاري على صراطٍ مستقيم، مترجم عن محبة لعترة الرسول عقدت عليها القلوب، وطوقت بها الأعناق إذ صارت أجرة الرسول على التبليغ، فجدير أن لايخالطها غش ولا يشوب. ذكرتم الأمر الداعي إلى إرسال راية المحبة والمقتضي لنشر ألوية الموّدة، والا غرو فقد سبقت الأرواح إلى

(١) ١٣١٩هـ ١٩٠١م.

التعارف قبل خلق الأشباح، وثملت القلوب بِسِلاف التآلف قبل وجود الكأس والراح، وأهديتم النصيحة في صلاح المسلمين والإسلام، لما ورد أنها أفضل من عامة الصلاة والصيام، فحمدنا الله على وجود من يراعي أوامر الله بين الغافلين. ويعرف حقوق آل بيت رسول الله بين المائلين، فنقول أعلم إنا لانريد علواً في الأرض ولافساداً، ولا مخالفة ولاعناداً لسلطان الإسلام، ولا اقتضاء المحاربة وعدم المقاربة بيننا وبين المأمورين في اليمن، إلا محبتهم لفتح الأبواب التى يأكلون بها الأموال الميرية، ويدخلون بها على ظلم ضعفاء الرعيَّة، فصاروا يستجلبون عضب السلطان الأعظم علينا، ينسبون القبيح الكاذب إلينا، حتى ترك جهاد الملل الكفريَّة، الذين أخذوا أعظم البلاد الإسلامية ووجه القوة اللايقة إلى محاربة العترة الزكيَّة، وفي كل عام يجمعون القوة علينا مرّة أو مرتين، ولم يسمعوا قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (أنا حرب لمن حاربتم سلم لمن سالمتم) [1] . مخاطباً لذريته مع أنا معترفون بحق سلطان الإسلام، وحمايته للبيت الحرام، ولم يدعنا إلى مخالفة المأمورين في اليمن الإ ماشاهدنا منها ﴿ **تكاد السماوات يتفطرن منه وتُشَق الأرض وتخر الجبال هدًّا**﴾[2] ولم يبق واجب أوجبه الله إلا رُفض، ولا محرم قبيح الأ أستبيح ونقض، وقد كرر الله وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قالوا ذنب كل أحد على نفسه، وردوا القرآن وسنة سيد ولد عدنان. وما لمحتم من المصالحة فقد أسعفنا إليها مراراً وامتثلنا في قبولها أمر الله، ثم ينكشف أنهم إنما أشعروا بها. بمقاصد خفيّة، واستدراجات نفسية. أما لاستطلاع حقيقة أمرنا من قوة أو ضعف أو حركة أو سكوت، وإما لظنهم الغفلة منا (غر إجراء اللازم الحرب) [3] . ومضاعفة العيون. وفي كتب السيَّر مايغنى عن المعلوم والمظنون، فإن كان عزيز جنابكم وجناب حضرة المكتبجي بك المتحف شريف السلام على قدم راسخ، وشأو شامخ، أفدتونا بمعنى المصالحة تفصيلاً، وأما العنوان

(١) سنن ابن ماجة، الجزء الأول، ص ٥٢، سنن الترمذي، باب المناقب ص ٦٩٩

(٢) سورة مريم آية رقم (٩٠) .

(٣) هكذا وردت في الأصل.

لصدقها، وما الحابس بعطر عبقها، فمن إعتذاراتهم بعد استخراج (ضمير القالي والموال)[1] سنراجع إلى الباب العالي والسلام مسك الختام ٣ جمادى الأولى سنة ١٩[2].

وبعد أن أطلع على الجواب على رضا أفندي حاول أن الإمام يكشف شيئاً مما سيقع عليه المصالحة «ق٩٨أ» فكتب الإمام عليه السلام ما لفظة : مزيد خير إلى حضرة قائم قام رشيد بك دام إجلاله، لاتعتب علينا من إجمال الجواب، واستطلاع حقيقة الصفات، والشروط الذي يُبنى عليها أساس المصالحة، فالموجب لذلك ماقد سبق من المتوسطين ثم تنكشف أن المرام بالإشاعة لاسم المصالحة أمور فيها دقة لا يعقلها إلا العالمون، بعد بذلوا لنا قفل شمر وما إليها من المحلات كحجر أبو نصر وعزلة بني خولان، والشاهل، وبلاد الشرفين وما حاذاها وقابلها بخط الأستواء إلى عَّفار، وكحلان، مع بذل جانب من الآلات الحربية تحت العارية التي يُستعان بها على من خرج عن دائرة أحكام الله من أهالي تلك الجهة لأنها بلاد شر مستمر لا يتوقفون على الأوامر ولا يخضعون بكثرة القتل فيهم، فهم من تاريخ أحمد مختار باشا[3] إلى هذا التاريخ، ولم يبرح الخلاف من المحاربات منهم ولا يزدادون بكثرة القتل، وموت رهاينهم إلا بُعداً وشدة، فغرامتهم على الدولة أضعاف خرجهم بيقين ولا يكسنون إلا بعساكر كافية لليمن بكلة، وكذلك بذلوا جانباً من الفلوس للأشرار من حاشد وبكيل في كل شهر سكنهم بذلك عن التخطفات في الطرقات، وسائر البلاد، وكذلك بذلوا لنا منع جميع المنكرات، وأن تكون الشريعة المطهرة هي المعتمدة في الخراجات والمعاملات، وإنا نرجوا من حضرة الوالي المفخم حسبما يظهر من أحواله إجراء العدالة الكليّة، فقد عبقت راويح العدالة في كثير من الحوادث، فلله يُثيبه، ويلهمه إلى استمرارها وكما لها.

ثم إن محمد علي رضا أفندي عزم من الحضرة والإمام يعلم يقيناً إنه لايتم شيء من ذلك بالمرة.

---

(١) مثل.

(٢) سنة ١٩هـ ١٩٠١م.

(٣) أحمد مختار باشا : هو الوالي العثماني الأول الذي قدم إلى اليمن سنة ١٢٨٩هـ ١٨٧١م. وكان أول وال على اليمن من قبل السلطان وأحكم سيطرته على اليمن. (د. العمري : فترة الفوض، ص ١٧١).

ثم لمَّا كان إلى شهر القعدة في السنة المذكورة عاد محمد علي وعبدالرشيد بـك المكاتبـة إلى الحضرة الشريفة بأنه لاباس بجميع ماشرطه الإمام لكن لايتم ذلك الإ بمكتوب من الإمام إلى السلطان، وسودوا مسوداً مضمونه : «إنها لم تقع المحاربة لمن سبق من الولاة إلا بـسبب الظلم وأما مع وصول هذا الوالي وظهور عدلة فقد رغبنا في المصالحة ونحو هذا» .

فأجاب عليهم الإمام عليه السلام بانه لايمكن ذلك وإنكم أذا أردتم المـصالحة فيكـون الكتب منكم (وإلا أوصدوا الباب) [1] .

ورأى الإمام عليه السلام، إن ذلك من خـداع العجـم وأنهـم يريـدون شـهادة الإمـام. للوالي عند السلطان، وذلك مما يؤسس قواعده ويصلح فاسده.

وفي هذه المدة أرسل الإمام عليه السلام سيف الإسلام محمـد بـن الإمـام الهـادي عليـه السلام، لإصلاح بلاد خولان الشام فيما بين خلقى وجوهري[2] . وكانت فـيما بيـنهم وقعـة عظيمة، بلغت فيها القتلي من الطرفين عشرين قتيلاً، فعزم السيد الهـمام عـز الإسـلام نحـو شهر في المقام، هو والشيخ مطلق وابن مرداس، ثم عزموا من الحـضرة وقـد جعـل الإمـام عليه السلام في يد سيف الإسلام كيفية حسم المادة على ما يطابق الـشرع الـشريف، وأمـره لايظهر ذلك عليهم حتى يأخذ الضوابط من الفـريقين. فلـما وصـل إلى هنالـك، صـلحت الأمور، وحسمت مادة الشرور بعد اللتيا والتـى، مـن حينئـذ نُفـذت أحكـام الله في تلـك الـبلاد، وانقمـع كـل مـن كـان يرفـع رأسـه للفـساد ولم يـزل سـيف الإسـلام مباركـاً في الإصدار والإيراد.

كرامة اتفقـت : وهـي أن رجـلاً مـن كبـار اصـحاب الخمـيس يـسمى هـادي هبـاب «ق٩٨ب» ذهب المداعة والتفط النار وجعلها على التنباق[3] ، ثم خلاَّها. وكانت هناك مؤنة كثير أبوسك من التى أعدوها لحرب الإمام، فتلاسـكت[4] النـار حتـى وصـلت إلى المونـة،

---

(١) بياض في الأصل وقد تم إضافة هذه الجملة من المخطوطة ب

(٢) خلقي وجوهري من تقسيمات قبائل خولان الشام.

(٣) التنباق: التنباك.

(٤) فتلاسكت: انتشرت وازدادت اشتعالاً.

فرأى الناس الحريق فظنوا أنه من جهة المقدمي، فلما عرفوا حقيقة الأمر، غاروا ليطفوا النار فكانت المونة تقرح حتى خافوا منها. ومنعتهم عن إطفاء النار، حتى كل حريق البيت والمونة.

كرامة أخرى: وهي أن أصحاب الهندى والخميس اتفقوا أن يغزوا السعسر[1] وحجور فلما وصلوا المحل المقصود قتل رجل من أصحاب الهندي رجلاً من اصحاب الخميس وكان ذلك غاية الإدبار.

كرامة أخرى: وهي أن السيد أحمد بن قاسم من السادات الساكنين في (حملة)[2]، لما تقدمت المجاهدون على بعض بلاد الخميس سولت له نفسه أن يرقى إلى سطح بيته ليلاً ليضرب المرافع للغارة إعانة للخميسي، فتردى من رأس السطح وتلفت روحه ومع ذلك فإن السطح مغمور وقد كان وصل إلى حضرة الإمام وتعهد ثم نكث الإيمان وأطاع الشيطان والله المستعان[3] .

وفي شهر القعدة خرجت من صنعاء نحو ستمائة من العسكر العجمي يريدون بلاد السود[4] . وبيت عواش، وما إلى ذلك من البلاد التي كان استفتحها عز الإسلام محمد بن يحي بن الهادي. وسبب خروجهم أن الشقي مقبل بن يحي فارع جعلوه مديراً في كحلان فأرجف عليهم بأنهم إن لم يقوموا على تلك البلاد فلابد إن الإمام يأخذ عمران، فلما وصل العسكر المذكورون إلى كحلان، رموا إلى بيت عواش نحو أربعين ضربه.

وفي اليوم الثاني هجموا على بيت عواش فوقع الحرب ولم يتم لهم الدخول عنوة[5] نهاراً، وفي الليل دخلوا على حين غفلة، وكان فيه أهله ونحو عشرة من المجاهدين، فوقع حرب فيما بينهم وقتل من العجم عشرة ومن المجاهدين إثنان وأحرقوا البيوت ورجعوا كحلان.

---

(١) لم أتوصل إلى معناها.

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) من هنا المخطوطة "ب" ناقصة ونرجح أنه كان يكتب في كراريس متفردة وأن إحداها لم تضم في حينها وضاعت.

(٤) بلاد السود : ناحية واسعة تابعة لقضاء عمران في محافظة صنعاء. (التعداد: ص ١٨٧) .

(٥) عنوة : أي كرهاً وبالقوة.

وفي يوم الخميس سابع شهر القعدة تناوشوا الحرب وتقدمت العجم على المجاهدين، فوقع الحرب بينهم وثبت الله المجاهدين فهزموا العجم هزيمة فاضحة، وقطعوا ثلاثة روس، ونهبوا من متاعهم ومونتهم، وصار فيهم نحو أربعين مكُانا أدخلوهم عمران.

وفي ليلة الجمعة عزاهم المجاهدون إلى كحلان وحصل عند العجم الرعب ما لايوصف بلسان.

وفي أواخر شهر القعدة انتقلت العجم الذي في كحلان وفي غفار إلى مدينة عمران، وهم قدر ثمان مائة ودخل كبيرهم القومندان غالب باشا إلى صنعاء لأخذ التدبير من الكلب الكبير[1] وبعد نحو أسبوع خرج من صنعاء وصحبته أربعة طوابير، فدخلوا عمران. وبعد ثمان أنتقلوا إلى الخدرة[2]، وفي يوم الأحد ثامن شهر الحجة تقدموا على من في بلاد السود من المجاهدين وكان قد تفرق أكثر المجاهدين للعيد، ولم يبق الا جماعة من ذو غيلان ثم من آل جزيلان وأخلاط من الناس. وقد كان أجتمع هنالك قبل العيد نحو ثمان مائة من المجاهدين، فلما قرب العيد كتبوا إلى الإمام عليه السلام يطلبون الفسح، فأجاب عليهم الإمام أن لايفتسح إلا من كان بيته قريباً يمكنه الغارة، ونهاهم من تخلية المراتب، وسمعنا من الإمام إن العرب بلا عقول وأن العجم يعرفون انهم لايتركوا العيد (....)[3]، فهم يتربصون تفرقهم لذلك، ثم تلوّح الفرصة ويقع القدوم، فكان الأمر كما قال عليه السلام.

ذكر وقعة السود:

لما رأى العجم تفرق المجاهدين للعيد كما ذكرنا «ق٩٩أ» غير بعيد لاحت لهم الفرصة فتقدموا في يوم الأحد سابع شهر الحجة سنة ١٩[4].

---

(١) المقصود هنا الوالي في صنعاء.

(٢) الخدرة: قرية من عزلة الثلث في ناحية جبل عيال يزيد بالقرب من عمران، محافظة صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٢ ص ٣٠٥).

(٣) بياض في الأصل

(٤) ١٣١٩ هـ ١٩٠١م

وصفة ذلك أن من بقى من المجاهدين تفرقوا في المراتب، ووصل الكتاب لذو محمد من المقدمي عزالإسلام أن يكون عنوتهم شرقي الطليلي في محل يسمى العَفْيَّرة، فعزموا هنالـك فوصلوا إليه بعد طلوع الشمس، وواجهتهم العجم بالحرب وقـدر ذو محمـد مائـة رجـل، والعجم نحو ستة عشر مائة فاشتعلت نار الحرب وثبت ذو محمد غايـة الثبـات، واستـشهد منهم نقبائهم النقيب محمد بن عبدالله جزيلان، وإثنان من النقباء بني عمه، وأربعة مجاريح، وقتل من العجم نحو ثلاثين ونحو مائتين مجروح. ولم يمد ذو محمد أحد من أهـل المراتـب الأخرى إلا السيد المقام فخرا الإسلام عبدالله بن يحي أبو منصر، فإنه لمـا رأى مـانزل بـذو محمد غار بمن معه ليمدهم وكان صحبته نحو خمسة وعشرين، فما زالوا يتسللون من خلفه هاربين حتى لم يبق الا بنفر يسير. وكان وصوله على حـين الهزيمـة مـن ذو محمـد ففعـل في العدو ماقدر عليه من النكاية، وفر سائر الناس، واستولي العجم على تلك المحلات وانتقـل السيد الفخري عبدالله بمن بقى معه فاجتمع بسيدي الضياء إسماعيل بن أحسن الـوادعي، وكان بقاهم في محل يسمى بيت العقاري، وتقدمت عليهم العجم، وأبلو بلاءً حسناً من بعد الظهر إلى عشاء، وخرجوا من هنالك وقد وقع في العجم قتل كثير. والحمد لله العلي الكبير. ووقع حرب فيما بين العجم وبين المجاهدين الرتبة الذي في قرضة.

وقعة بيت البوني:

وفي يوم الثلاثاء وهو يوم عيد الأضحى، تقدمت العجم عـلى بيـوت الـشيخ المجاهـد مبخوت بن علي البوني، وكان فيه الشيخ مبخوت وجماعة من قبائله نحو العشرين، فقـاتلوا قتالاً عظيماً وصبروا على وقع المدافع ولم يقدر العجم على أخذ ذلـك عنـوة، حتـى اذا كـان الليل خرج الشيخ مبخوت منه طوعاً خشية أن يحوط عليهم العجم، وجمع حطبـاً وأحرقـه بيده ، وكان جملة من قُتل من العجم أربعون قتيلاً.

ثم إن المجاهدين إنتقلوا إلى بيت (....) [1] الحصن المسمى المفتـاح[2] ، ورتـب المقـدمي

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) حصن المفتاح : من حصون الشرف في حجور. (الحجري : المجموع ج ٤، ص ٧١٥) .

حصن الطلقي المسمى سّماع وبيت الحلال والمعمر[1] وبيت العجم في السود.

وقعة حصن سماع:

وصفتها أنه لما كان يوم الخميس ١٩ شهر الحجة سنة ١٧[2] تقدمت العجم الذي في حصن سماع وبيت الحلال والمعمر، وكان الرؤساء هنالك في تلك المحلات السيد فخر الإسلام عبدالله بن يحي أبو منصر، والسيد الضياء إسماعيل بن أحسن الوادعي[3] والسيد العماد يحي بن أحمد القدمي، والحاج الفاضل حسين الحمل والشيخ حسين الدقيمي والشيخ محمد بن علي جعفر، ورجال خارف والشيخ غالب مليح من أهلاب أبي الحسين وصحبتهم جماعة من المجاهدين الصادقين. فلما هجم العجم أصدقهم المجاهدون الرمي مع عقول رازحة فانهزمت العجم، ثم عادت إلى الهجوم مرة ثانية فرماهم المجاهدون، فلما رأوا كثرة القتلي وأنه لاسبيل إلى أخذ ذلك عنوة انهزموا إلى مطرحهم في محل الشيخ سعد مقبل الهناني، وصاروا يرمون بالمدافع واستمر الحرب من الفجر إلى الليل، فلما كثر وقع رصاص المدافع على الحصن انهدم، وصار من فيه لايرتاعون لذلك بل ثبتوا فيما بقى منه بغير هدم، فلما دخل الليل هجم العجم في وقت العشاء، فاختلطوا هم والمجاهدون حتى تراموا.

بالحجارة فلما رأى العجم إن العرب لايخرجون «ق٩٩ب» من الحصن حتى ينزعوا مجاريحهم وأدواتهم، صاح النفير أن أفرجوا لهم الطريق حتى يخرجوا، فخرجوا وحملوا المجاريح وانتقلوا إلى الحصن المسمى درب الشحب قريباً من الأول وإلى المرابطة ولله درهم من عصابة بانوا عن شجاعة ونجابة طولوا عنق الجهاد، وفازوا برضى رب العباد، واستشهد حفيد الشيخ محمد بن علي جعفر، والشيخ غالب مليح والمجاريح كثير، وأما

---

(١) المعمر : قرية في عزلة بني طلق ناحية السود، محافظة صنعاء. (التعداد : ص ١٩٥) .

(٢) أخطأ المؤرخ أو الناسخ في التاريخ والصحيح هو ١٣١٩هـ.

(٣) إسماعيل بن احسن الوادعي : ولد ١٢٨٨هـ تلقى علومه عن أحمد بن قاسم حميد الدين بقرية القابل، وأخذ عن علماء ذمار وصنعاء جُل علومه في الحديث والأصولين والفروع والنحو، توفيَّ سنة ١٣٦٦هـ. (زبارة: نزهة النظر، ص ١٨٥) .

العجم ففيهم نحو أربعمائة قتيل على ماقيل. فلما رأت العجم هول ما أنـم، واستغار المجاهدون صبح الجمعة والسبت من كل جهة أيقنوا بالقاضية، وعلموا أنهم لاطاقة لهم بالفرقة الناجية، فبادروا بالارتحال والرجوع إلى الخدرة، وتبعهم المجاهدون بالحرب، وكان ارتحالهم يوم الأحد ٢٢ شهر الحجه ثم ارتحلوا من هنالك عمران وقد ذاقوا طعم الضرب والطعان.

وفي هذه المدة، وقعت الفاقرة العظمى من أهل مستبا التى في ضمنها الكرامة العظيمة التى لم يعهد مثلها. وصفة ذلك أن أهل مستبا[1] بعد أن دخلوا في الطاعة ورهنوا، سوّل لهم الشيطان، وساعدهم على ذلك الخذلان، بني سعد وبني رزق، بأن يغدروا بالمقدمي صفي الإسلام أحمد بن مثنى عنتر رحمه الله، ولعله كما يقال قد كانوا أخذوا جُعلاً على ذلك من الشقى محمد هادي الخميس، وكان المقدمي حينئذ في أطراف بلادهم وعنده جماعة يسيرة لايجاوز من العشرة. فكتب إلى السيد الصفي بعض مشايخ البلاد المذكورة يطلب منه الاتفاق إلى قرب البيت الذي هو فيه، فأسعدهم السيد الصفي إلى ذلك، وكان قد وصل إليه صبح ذلك اليوم سبعة مشايخ من الذي أولادهم رهاين، وطلبوا منه الوصول إلى أولادهم، فقبض بنادقهم وأرسل معهم رجلين إلى اولادهم ليعزموا معهم إلى أولادهم.

وكان الرهاين في بيت التهامي، وكانوا قد تمالوا على أن الذين طلبوا الوفقة من المقدمي، يقضوا غرضه وهم يخرجون الرهاين. فلما خرج السيد الصفي للقاء الجماعة قعد يحادثهم، فغدروا وعشَّروا بها في أجواف البنادق إليه، وإلى الجماعة الذين معه فأماهو فوقعت فيه نحو خمس رصاص تساقطن منه مثل حصا الخذف، وأما من معه من المجاهدين فاستشهد منهم أربعة وهم الشيخ محمد بن علي جغمان من رجال الأهنوم أهل الصدق والإيمان، والشيخ عبدالرحمن حشيش من رجال سفيان، وسعد الجرافي، وعلي بن محمد جياش، من رجال الحيمة وقعت فيه رصاصة وكان إلى جانبه شيخ من أعداء الله أهل الغدر بل هو المحرض على الغدر فجرّد النصلة على محمد جياش وطعنه وماتا جميعاً في ساعة واحدة، وبان بذلك عن شجاعة باهرة.

---

(١) مستبا: ناحية من لواء حجة في الشمال الغربي منها. (المقحفي : المعجم، ص ٦١٩، التعداد: ص ٣١٠) .

ثم إن المقدمي صفي الإسلام دخل البيت الذي هو فيه وكان الباقي معه ثلاثة نفر فأصدقوا أهل الغدر بالرمي وقتلوا من أعداء الله كثيراً واستشهد أحد اولئك النفر في حال المحاصرة. ثم إن السيد الصفي أرسل أُمراء إلى رجال عاهم يطلب منهم الغارة، فلما وصل إليهم الصوت أسرعوا إلى صفي الإسلام صحبة السيد الأجل الهمام قاسم بن إسماعيل. فلما رآهم الغادرون سقط في أيديهم، وفروا من حول البيت بعد أن وقع بينه وبينهم حرب يسير، فلما انهزموا دخل السيد العلم[1] فأخرج سيدي الصفي من البيت ودفن القتلى. وأما السبعة المشايخ الذين عزموا إلى الرهاين فإنهم لما وصلوا إلى هنالك سمع العسكر الذين. كانوا عند الرهاين «ق١٠٠أ» الحرب، فأغلقوا عليهم الباب وخسر أملهم وخاب، ولله الحمد، وحين سمع أهل حجور بما وقع من هذه الكرامة العظماء التى تخلد في بطون الأوراق، وتعلن شأنها في الآفاق، صلح كل من كان من أهل النفاق، ونفد حكم الله وأمره في تلك البلاد بالوفاق، وكأن لايعرفون من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، من جملة ذلك ماذكرنا من أمر النبار[2]، وكذلك استحلال الربا، الذي هو من الذنوب الكبار، وكذلك تبرج النساء والاختلاط، وعدم السراويل، فألزم الإمام عليه السلام بالتستر ولبس السراويل، وألزام بنحو خمسمائة سروال فخيطت في شهارة، وغيرها. من المنكرات ختانهم بدحس العانة من أعلاها فنهاهم الإمام عن ذلك وجعل على من عاد إلى ذلك أدباً بالغاً.

كرامة : وفي هذه المدة، وقعت كرامة عظيمة للإمام عليه السلام، كما أخبرنا بذلك الأخ العلامة وجيه الدين[3] عبدالوهاب بن محمد المجاهد وهي أن رجلاً من سادة شهارة الذين كانوا يعتادون أخذ الزكاة، نزل بلاد حجور المحل الذي كان يعتاد أخذ الزكاة منها، وصار يقدح في عرض الإمام صانه الله ويطلب من الزرعة المعتاد فوثب عليه كلب فأخذ بيضتيه.

مفاخرة بين ماء بير غارب أثلة ماء قفلة عذر:

---

(١) السيد العلم: لقب لكل من كان اسمه قاسم، وهي من الألقاب المتعارف عليها في اليمن.

(٢) النبار : مفردها ألنّبْر القليل الحياء الذي ينبر الناس بلسانه (المنجد : ص ٧٨٥) .

(٣) وجيه الدين: ويطلق على كل من كان اسمه يبدأ بعبد مثل عبد الملك، عبد الوهاب وغيرها ويقال اختصاراً الوجيه.

وبين بير الباشا في صنعاء وفي هذه المدة قال الحقير راقم الأحرف في المفاخرة بين البئرين:

طال افتخاراً ماء بير الغارب وسما وقال أنا رحيق الشارب
فقت المياه بخفتي وعذوبتي فأنا إذاً من مفردات الراغب
أصلي من الماء المبارك زمزم فاشرب لما قد شئته ياصاحبي
لم يعرفوا للماء لوناً ما خلا مائي فذلك أبيض كالرايب
ومتى رأيت عذوبة في أي ماء فالأصل يجري من مدام ترايبي
قل للموارد في الموارد كلها من ذا الذي يدلي ببعض مناقبي
لم يبق للباشا بعدي مفخر ذهبت محاسنه كأمس الذاهب
فأجابه الباشا وقال له صهٍ لابد أن يسود وجه الكاذب
فأنا الذي فقت المياه بلامرا وصفت على رغم الحسود مشاربي
وعدول صنعا يشهدون جميعهم أن المعتق من رذاذ سحايبي
نسبي إلى الباشا كفاني مفخراً وبذاك طالت لحيتي وشواربي
وانظر إلى الوراد حول مشارعي كم من شباب يستقون وشايب
فعلي تفخر يا أُبَيّرُ مطاولاً فاحذر بأن ينشبن فيك مخالبي
ولقد نظرت إلى حماك فلم أجد غير القرود وباقر وثعالب
فأجابة البئر المبارك قائلاً الآن صح لنا بأنك ناصبي
أعليَّ تفخر بالعلوج وإنهم أهل لكل معايب ومثالب

«ق١٠٠ب»

أوماعلمت بأن رهطي حاشد أسد الشرى بمشارق ومغارب
ولنا بأهل البيت أعلا مفخر كم من إمام قد أقام بجانبي
فأنا محب للنبي وآله قالٍ لكل منافقٍ ومشاغب

أو ماعلمت الروم حين تجمعوا ... حولي فامتدت عليه ذوابتي

وأزلت عنهم صورتي وتركتهم ... يتلاهثون وذاك بعض عجايبي

حسبي من المجد المؤثل أنني ... أصبحت ورداً للإمام الطالب

أعني أمير المؤمنين ومن له ... فضل يطول على الشهاب الثاقب

يعسوب آل محمدٍ منصورهم ... خير الخلايق من سلالة غالب

هذا الذي أحيا معالم ديننا ... حقاً وقام بندبه والواجب

وأذل أعلاج الأعاجم كلهم ... حتى غدوا غرضاً لسهم الثالب

من بعد هذا هل بقى لك مفخرٌ ... فاذهب أبا الأوساخ شر مذاهب

واحذر من الظلم الوخيم وكسبه ... لايجحدون فضائلي ومناقبي

فهنالك الباشا راح مغاضباً ... ومواذناً بتناضل وتجارب

جمع الجيوش من الأعاجم واعتدا ... بينادق ومدافعٍ وكتايب

وتجمعت آساد حاشد كلها ... كم من همام كالهزبر الواشب

فتحاولوا وتقاتلوا وتحاولوا ... وتناضلوا وتحاذفوا بالذايب

ثم انجلت تلك المعارك كلها ... والباشا المغلوب غير الغالب

من بعد ذلك ضمنوا وتحاكموا ... شرعاً إلى سيف الإله القاضب

أعني عماد الدين مولانا الذي ... حاز الكمال بفطنة وتجارب

العالم العلامة الطود....... ... .[1]

الله يحفظه ويحرس ذاته ... ويقيه كل نوايب ومصايب

ثم الصلاة على النبي وآله ... شهب الدجا من طالع أو غارب

يتلوا ذلك حكم سيدي العلامة سيف الإسلام عماد الدين، يحي بن أمير المؤمنين حفظه الله تعإلى.

من بعد حمدي للإله الغالب ... ثم الصلاة على النبي الغالبي

---

(١) بياض في الأصل.

والآل ماذكر العذيب وما جرى الـ ... ـعذب الزلال من عيون الغارب

فلقد جرى التحكيم لي من جانبي ... مائين بينهما قليل تناسب

من بعد أن حضرا وطال عليهما ... حبل الشقاق فليس بالمتقارب

حضرا لدى قاضي القضاة وأبرزا ... حججاً ولما يأتيا بثواقب

فتكافيا عند الخصام وحاولا ... أن يحضرا إذ ذاك عند الكاتب

فأتا على بعد المزار ملفعاً ... باشيهم بمطارفٍ ومطالب

ويجيبه الأثلي وقال أنا الذي ... قد حقق القاضي ببعض مناقبي

والعرب تعرفني وتعرف محتدي ... ويطول فخراً في البرية شاربي

خص الإله بي المدينة حيث لا ... غيري يقارب أو يداني جانبي

وكفى بمن هو عامري فخراً إذا ... فاخرت يوماً بالإمام الضارب

يحيي الهدا الهادي إلى....[١] العلى ... هل من مقالٍ بعده لمشاغب

وهوا الذي رفع افتخاري والذي ... بدأ البناء لكوتي ياصاحبي

ولذا ترى الأشياع يقصد كوتي ... للاغترا والفعل ذاك الطالب

والمسجد المشهور للهادي الذي ... بلغ العلا بمضارب ومواهب

في ساحتي وشهود قولي كل من ... لدفاتر التاريخ خير مصاحب

وآزال تشهد لي ومن قد حلها ... من مؤمن متشيع أو ناصبي

والواردون لصفو مائي معشر ... هم أهل كل رفاهة وتجارب

فبهم فخاري والزلال شرابهم ... ليسوا من الأعراب أجهل شارب

لو يعلمون بأن مثلي في الدنا ... لأتوا إليه كتايباً بمقايب

ثم انبرى الأثلي يزهو قائلاً ... ياماء صنعاء قلت قول الكاذب

«ق١٠١أ»

والحق يعلوا والشريعة شأنها ... فصل الخصومة فاسمعن مناقبي

---

(١) بياض في الأصل.

مـــآئي هـــو العـــذب الـــزلال وخفتـــي		معروفـــة وأنـــا ســـلاف الـــشارب
وأنـــا الـــرئيس لكـــل جـــارٍ طـــاهر		والفخـــر لي والمـــاء بعـــض كتـــايبي
وانـــا الـــدواء لكـــل داءٍ معـــضلٍ		وانـــا لأهـــل الـــدين أي مـــصاحب
كـــم طـــاهر متطهـــر كلفتـــه		تجديـــد تطهـــير لغـــير الواجـــب
دع عنـــك تطهـــير الفـــروض فإنهـــا		لم تخـل مـن أهـل الفـروض جـوانبي
لا فـــضل فيـــك عـــليَّ إلا أن فيـــك		خصايـــصاً فـــافخر بهـــا ياصـــاحبي
منهـا اقترابـك مـن حـشوش القـصر		وهـــي بطينـــة مـــن ذاك حاشـــا جـــانبي
ثـم اقترابـك مـن دكـاكين النـصارى		كـــم معـــل بالعقـــار وشـــارب
ولكـــم غنـــاءٍ في فنـــاك وقينـــة		كـم راقـصٍ كـم زامـرٍ كـم طـاربِ
لا يعرفـــون ســـوى الـــسفاهة ســـنة		لا يرغبـــون لـــسنةٍ ولواجـــب
كـم عاقـلٍ عـن شرب مائـك زاهـد		كم مـؤمن عـن قـرب سـوحك هـارب
أولـست أنـت مـشقق الأطـراف مـن		أهـــل العبـــادة ياعـــدو الراغـــب
روجـــت ياجـــار البوالـــع للـــورى		تـــرك الـــصلاة فعلـــت فعـــل الخائـــب
لـــو أن فيـــك شـــهامة وســـعادة		مـــا احتجـــت يومـــاً كـــوةً للطالـــب
ماطـاب مـن طيـب شرابـك غـير أن		النـــاس تـــشغف بالبعيـــد الهـــارب
أبرمـــت في تحـــسين ذلـــك حيلـــة		وأردت أن تـــسمو بـــامرٍ كـــاذب
لـــو كنـــت مـــثلي لم تمـــانع شـــارباً		لعرفـت جانبـك الوضـيع وجـانبي
ولأنـت تـدني مـن لمائـك شـارب		وتقـــوده للـــترك يـــابن العايـــب
كـم مـن كـريم الأصـل قـد ذللتـه		كـاين تـرى مـا شـارب لـك سـايب
أمـــا شـــهودك فالعـــدول ســـواهم		أهـل النفـاق وأهيـل مـاء الغـارب
لـــو أنهـــم أعنـــى شـــهودك راقبـــوا		أمـــر الإلـــه لبـــادروا بالواجـــب
ولهـــاجروا ولمـــا تولـــوا معـــشراً		سـاموهم سـوء العـذاب الـلازب
ولأكرمـوا تلـك النفـوس وحـاولوا		عـــزاً وفخـــراً وارتفـــاع مراتـــب
ولمـــا رضـــوا بـــالمنكرات ولا أتـــو		ياجـــار ذاك بفريـــة ومثالـــب

وأنـــا الكـــريم وبالائمـــة مفخـــري ... وبكـــــل آب للهـــــوان مجانـــــب

كـــائن تـــرى بفنـــا مـــشيدي عالمـــاً ... كـم عامـلٍ كـم واعـظ كـم خاطـب

وأنـــا بنـــصرهم الكفيـــل وســـل بـــذا ... يـــوم الحـــسين وذاك بعـــض غرايبـــي

كـــم مـــن بغـــاةٍ قـــد أرقـــت دمـــاءهم ... وأتيـــــتهم بمقانـــــب وســـــــلاهب

ولكـــم أســـير زم نحـــو شـــهادةِ ... ولكـــم ســـليب مـــنهم للـــسالب

أعـــليّ تبغـــي أن تكـــون مُفـــضلاً ... يـــأبى الإلـــه وعـــسكري وقواضـــبي

يـــأتي إمـــام العـــصر مـــن ســـاد الـــوري ... بـــــسيادة وعبـــــادة ورواتـــــب

أعنـــى بـــه المنـــصور أكـــرم مـــن دعـــا ... للهّ فاحـــــذر ســـــطوتي وعـــــواقبي

وأقـــول إن الأمـــر في ذا واضـــح ... لموافـــق ومخـــالف ومـــشاغب

ألمـــاء جـــنسٌ واحـــد ذا قـــول أهـــــ ... ــــل المـــذهب المـــشهور خـــير مـــذاهب

وبـــه يقـــول محمـــد وهـــو الـــذي ... أقـــضى بـــه والحكـــم أخطـــر واجـــب

هـــذا الـــذي عنـــدي ولـــست بحـــاجر ... عـــــن رفعـــــة للحـــــاكم المتكالـــــب

والله يرحمنـــــا ويـــــرحم ضـــــعفنا ... ووقوفنـــا عنـــد الحـــساب لحاســـب

ثـــم الـــصلاة عـــلى النبـــي وآلـــه ... مـــادام يـــشرب مـــاء بـــير الغـــارب

وعارض ذلك كثيرون من أدباء العصر وليس بذاك فلا يطول بذكرها.

كرامة : وفي هذه المدة وقعت فتنة، فيما بين السادة الذين تمالوا على الغدر بالمقدمي السيد الصفي أحمد بن مثنى، فاقتتلوا فيما بينهم وهلك منهم إثنان وبقى واحد.

وكذلك وقعت فتنة أخرى فيما بين العقال الذين ساعدوهم على الغدر، فـاقتتلوا وفـرق الله شملهم.

وفي هذه المدة كتب الإمام عليه السلام مكاتيب كثيرة إلى قطر الشام. وأرسـلها صـحبة النظام الهاربين من عسكر العجم، وكانوا يهربون مـن معـسكر العجـم، ويرمـون بالبنـادق وبعضهم يأخذها ويصلون «ق١٠١ب» إلى الإمـام الـشريف، فينفـق علـيهم الإمـام عليـه

السلام في المقام، ونفقة الطريق ويكسوا بعضهم الـذي كـان الأعـراب يأخـذون كـسوتهم في الطريق.

وصورة المكتوب :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَآأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ارْكَعُواْ وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۞ وَجَاهِدُواْ فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَاجَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَءَاتُواْ الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُواْ بِالله هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [1] .

حمداً لمن نصب الدليل ورفع السبيل المستقيم للسالك، وبيَّن المحجة البيضاء فلن يهلـك إلا هالك، والصلاة والسلام على من أنار أعلام الرشاد للعباد، وأسـس المـدارك وخفـض رايات الكفر، وطمس سواد ليلة الحالك، وعلى آله سفن النجاة، ونجوم الاهتداء الـذين لم يشاركهم في مناقبهم مشارك، صلاةَ وسلاماً متلازمين إلى يوم العرض عـلى الـرب المالـك، أما بعد فإنا نحمد الله اليكم الذي لاإله إلا هو، وننهى إلى جماعة أهل الإسلام، ومن جمعتنـا وإيـاهم دعـوة الحـق في قطـري العـراق والـشام، ومـن وفقَّـه الله فرفـع رأسـه إلى الحـق من الأروام.

إن الله سبحانه وتعالي افترض على كل مسلم موالاة أهل البيت النبوي، وبـذلك المـودة لأسرة العنصر المصطفوي والتمسك بهديهم القويم السوي، كـما نـص عـلى ذلـك في كتابـة المجُتبي، فقال تعالى ﴿قُل لاَّ أَسأَلُكُمْ عَلِيْهِ أَجْرَاً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [2] واخـرج الإمـام أحمد والحاكم والطبرانى وابن أبي حاتم أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم (مـن قرابتـك الـذين أوجبـت علينـا مـودتهم فقـال صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم عـليٌ وفاطمه وابنائهما)[3].

(١) سورة الحج آية رقم ٧٧، ٧٨.
(٢) سورة الشورى، آية رقم (٢٣) .
(٣) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

وأخرج الثعلبي عن جعفر بن محمد قال نحن حبل الله الذي قال الله ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُواْ**﴾ [1] وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخباراً كثيرة مختلفة الآلفاظ متفقة المعاني، منها حديث (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابداً كتاب الله وعترني أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) [2] .

أخرج ذلك أصحاب. الأمهات عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال الشريف الجرجاني (هذا الخير يفهم منه وجود من تكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كل زمان إلى قيام الساعة) حتى يتوجه الحث المذكور على التمسك به كما إن الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أمانا لأهل الأرض فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض. كذلك نقله الحافظ المناوي، ومن ذلك (أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق) [3] .

وحديث (أهل بيتي كتاب حطه من دخله غفرت له الذنوب) [4] .

إلى غير ذلك من الأحاديث والأخبار التى سارت مسير الشمس في الأقطار.

فأهل البيت النبوي هم أمناء الله على إبلاغ الحجة وتأويل الحكمة، وهم الأئمة أبناء الأئمة حتى يقاتل آخرهم الدجال.

وقد أخرج أبو الحسن المعازلي الشافعي عن علي بن الحسين رضي الله عنه قوله تعالى ﴿**كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ**﴾ قال المشكاة فاطمة والشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام، و﴿**لاشرقية ولا غربية**﴾ لايهودية ولا نصرانية، ﴿**يكاد زيتها يضيء ولم تمسه نار نورعلى نور**﴾ . قال منها إمام بعد إمام ﴿**يهدى الله لنوره من يشاء**﴾ ، قال يهدي

---

(١) سورة آل عمران، آية رقم ١٠٣ وتمامها : ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنَعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنَ الله لَكُمْ ءايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ .

(٢) المناوي: فيض القدير، ج٣، ص١٤.

النووي: رياض الصالحين، ص١٤٣.

(٣) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

(٤) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

لولايتنا من يشاء والأحاديث في هذه المعاني قد بلغت حد التواتر، ونقلها

أساطين المحدثين الأكابر، فلا ينكرها إلا حسودمكابر، وقد أعتنى بجمعها العلماء الأوائل ولم يردعهم عنها صولة أهل الباطل حتيطال الأمد «ق١٠٢أ» وانطوت قلوب أقوام على البغي والبغضاء والحسد، فأخرجوا تلك الأحاديث عن كتب التعليم خشيةً أن يتلفظ لها ذو القلب السليم، فيقوم بما أفترضه العزيز العليم من واجب الموالاة والتمسك بسفينة النجاة، ولقد صارت تلك الأخبار، بعد ظهورها أخفى من ألسعها بعد أن كانت أجلى من أين جلى وأبهى.

ومعلوم قطعاً أن ليس المراد من تلك الأحاديث الصحيحة الإسناد التى أقتضت فرضية الإقتداء بأهل البيت، وموالاتهم على جميع العباد، إلا متابعة إمامهم الداعي إلى الله والقائم بما يجب لله في أي قرن من القرون، فهم ألآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر وهم السواد الأعظم والجماعة الناجون. وإن كانوا بالنسبة إلى العامة هم الأقلون فالكثرة غير معتبرة. كما أشار إلى ذلك العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه مغيث اللهفان [1] .

وانا لما رأينا ما أحدثه المأمورون في القطر اليماني من المنكرات والظلم الوبي الدني، تحتّم علينا القيام ولم يسعنا السكوت خوفاً من إندراس معالم الإسلام، وأداءً لفريضة الله التى حتمها على ألانام، أعني وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحينئذ فوّق إلينا العدو سهام المحاربة، وجمع من الأقطار الشاسعة جنوده وكتايبه، حتى صارت عنده محاربة أولاد النبي المختار أهم وأقدم من محاربة الكفار الذين قد علت كلمتهم في جيمع الأمصار. ولعله لم يبلغ إلى المسامع ماصح عن مُعلم الشرايع وتواتر بالبرهان القاطع إنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأهل بيته: (أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم) .

---

(١) ابن قيم الجوزية : محمد بن أبي بكر، ٦٩١٧٥١هـ- ١٢٩٢١٣٥٠م من أركان الإسلام والإصلاح ومن كبار علماء دمشق تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لايخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع مايصدر عنه، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه وسجن معه وأطلق بعد موت ابن تيمية. جمع الكثير من الكتب ونسخ بخطه الجميل الكثير. من تصانيفه (إعلام الموقعين) (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) (مفتاح دار السعادة) (زاد المعاد) (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) (الكافية الشافية) . والكثير من الكتب منها: (إغاثة اللهفان) . (الزركلي: الأعلام، ج السادس، ص٢٨١) .

وكما آخرج ذلك أحمد والحاكم والطبراني، وغيرهم من أساطين المحدثين، على إنا قدر رفعنا حقيقة الحال إلى حضرة السلطان. رجاءً بأنه سيلتفت إلى تغيير ما وقع من الأعوان، فلاح بعد البحث والفحص بأنه قد كُتم عنه جميع ماكان، من طريق المأمورين أهل الفساد، حتى صار دون رفعه إليه خرط القتاد، والظن إنه لورفع ذلك إلى سمعه لبادر إلى رفعه وقطعة، فحين وقع البغي علينا والإعتداء من الظالمين لم يسعنا الا المدافعة والمفارعة، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

هذا وأن المقصود أولاً وبالذات من تحرير هذه التسويدات الإعلام لمن أكره على حربنا من أهل البلاد الشاسعة ممن جمعتنا وإياهم ملة الإسلام ونعمة الجامعة المانعة، بأنه يسؤنا سفك دماكم على إنه لايُنسب إلى من إنتمى إلينا غير المدافعة، وأن معظم القتل الواقع في العسكر صادر من الضباط، وذلك بأنهم يقدمون العسكر لحرب المسلمين، ثم من نكص منهم أو تأخر، رمته الطوبجية بالمدافع وضربته الضباط بالسيوف القواطع، فسقته زعاف الموت وسمه الناقع فخسر أعظم الخسران، وأنقلبت روحه إلى النيران فأياكم ثم إياكم أن تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، أو تردون حياض الموت المهلكة وإن كنتم لاتستطيعون الذب عن أنفسكم فلا أقل من الهرب والفرار، وقوا أنفسكم النار والعار. ولا تكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُواْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً**﴾[1].

فهذا ما أوجبه الله علينا من التبليغ، والإعلام لمن جمعتنا وإياهم دعوة الإيمان وملة الإسلام، معذرةً إلى ربكم فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد، والسلام تاريخه.

«ق١٠٢ب» وفي هذه المدة أيضاً وصل إلى الحضرة الشريفة جماعة من رؤساء بني جُماعة من السادة العرب، منهم السيد جمال الدين فايع والقاضي الأجل مصلح المحرى وغيرهما من رؤساء بني جُماعة، فأعلنوا بالطاعة وأظهروا الندم على ماسلف من الإضاعة، وطلبوا

---

(١) سورة النساء أية رقم (٩٧) .

من الأمام عليه السلام أن يرسل صحبتهم، عاملاً لإقامة الشريعة وقبض الواجبات ورَرقَمَّوا عهودهم بذلك. وكان مرام الإمام عليه السلام لايقع إرسال العامل حتى يقدموا الرهاين، إحترازاً من أن يثقل عليهم الحق، فيظهر التمرد كل خاين فالحوا على الإمام بأنه لايحتاج إلى ذلك، وأن وجوههم وعهودهم مغنية.

ووصلوا ايضاً بكتب من علماء ضحيان، تضمنت الإذعان. وقد كان الإمام عليه السلام كتب إليهم سابقاً وأقام عليهم الحجة، وأن فايدة العلم العمل، وإرشاد الضال، والدعاء إلى الله عز وجل. وكانت الإجابة بالإذعان، وإظهار التوبة إلى الملك الديان، ثم استقر الأمر بأن أرسل الإمام عليه السلام صحبة الواصلين السيد شرف الإسلام حسين بن قاسم عامر.

دخلت سنة ١٣١٨هـ[1] وفي شهر محرم مفتاح السنة المذكورة إنتدب جماعة من المجاهدين الذين في السود بنحو عشرين، منهم سيدي الفخري عبدالله بن يحي أبو منصر، والسيد يحي بن أحمد القدامي، والشيخ أحمد بن مساعد، فقصدوا أعداء الله العجم إلى حمده، فلما وصلوا إلى جبل قنة المشرف على حمدة، فثبطهم المطر من الوصول إليها، فباتوا تلك الليلة في قرية من الأكهوم الأعلى، وتوجهوا إلى الجبل المذكور يوم ثاني صباحاً، فلما خرجت العجم من حمدة رماهم المجاهدون، وغارت العجم من مطرح دعان[2] .

ووقع حرب عظيم. ثم أن المجاهدين صاروا يترددون في بني صريم حول التسيع، ثم قصدوا العجم ليلة الإثنين إلى دعان، ثم ليلة الثلوث أيضاً حتى وصلوا إلى أبواب البيوت، وخرج العجم يريدون القبض على المجاهدين وظنوا أنهم قادرون على ذلك فثبت الله المجاهدين، وخرجوا من الغزوة في سلامة، بعد أن حصلت النكاية العظيمة في العجم ولله الحمد على ما مَنَّ به وأنعم. ثم إن العجم انتقلوا إلى الخدرة، وبعضهم في دعان، وفرَّغوا السود، وطلبوا من أهل الخدرة ودعان تَحَصُّل المحتاج، وعينوا عليهم ستين ألفاً. وكان أهل

---

(١) قام المؤرخ أو الناسخ بتأخير أحداث هذه السنة إلى مابعد سنة ١٣١٩هـ.
قد يكون لأهمية الأحداث التي دارت في تلك السنة، أو ربما أن حوادث هذه السنة لم تصله الأ متأخره ١٣١٨هـ ١٩٠٠م.

(٢) دعان: قرية في عزلة الثلث، ناحية جبل عيال يزيد، محافظة صنعاء. (التعداد: ص ١٧٥) .

القـريتين مـن ذوي النفـاق يزعمـون لـو تـابعوا الحـق لـضربهم العجـم فوقعـوا أيـنما كانوا يحذرون.

وفي شهر صفر من السنة المذكورة، وصل المشايخ آل كبـاس مـن رجـال سـمار معلنـين بالطاعة، وبذلوا الرهاين والدخول فيما دخل به الناس والإمتثال لأوامـر الـشريعة، وتـرك الطاغوت وأعمالهم الفضيعة الشنيعة، وطلبوا من الإمام أن يصحبهم من يعلمهم الـشرايع، فأرسل صحبتهم السيد الصفي أحمد بن يحي القاسمي.

وفي يوم الربوع ثامن شهر صفر سنة ١٨، وثب قـائم قـام العُـدين عـلى الـوالي حـسين حلمي فرماه بفرد[1] في درجة بيت الحكومة في صنعاء، فدخلت الرصاصة من فوق الثـدي، ووقفت تحت الصلب وسقط الوالي وحصل معه حاصل، ووثب بعض الضبطية على قـائم قام فرماه حالاً فقتله. وحمل الوالي إلى بيته في بـير العـزب، وحـل أن الأجـل قـد اقـترب، وارتجت صنعاء، وكان السبب لهذا أن الوالي عزل قائمقام من العـدين وحبـسه، وقـد أتهـم جماعة من المأمورين بالموالاة على ذلك الصنع.

وفي يوم السبت تاسع عشر صفر أخذت قائمة مدفع من العرضي.

ومونة من الدبابة ولم يُعلم من اختلس ذلك ولعلها وصلت إلى الحضرة الشريفة واتهموا «ق١٠٣أ» في ذلك جماعة من البوش، فقبضوا عليهم وأدخلوهم تحت الحفظ إلى اسـتانبول من جملتهم علي مثنى الحسيني الياور المذكور سابقاً.

هذا وأن هذه الحوادث التى ألمت بهذا الوالي الخبيث فيها من حسن صنيع الله مالا يخفـى فإنه خرج مفوضاً في اليمن وصار تارة يهم بمخاطبة الناس بالنظام وتـارة يـزعم أنـه لابـد يجعل على كل بيت شيء معلوم وعلى كل حانوت كذلك، وعـلى الأراضي، وتـارة يخاطـب الناس يدخلوا أولادهم الرشيدية، فلم يتم له المرام.

إلا أن كثيراً من أهل صنعاء أدخلوا أولادهـم المكاتـب، مكتـب الرشـيدية للأطفـال، ومكتب المعارف، ومكتب الإعداديه، ومكتب الصنايع، ومكتب العربية.

---

(١) الفرد: هو المسدس.

كل هذه المكاتب فيها كثير من أهل صنعاء، وعلى الجملة قد افسدوا أهل صنعاء حتى لم يبق منهم من لم يخالط الدولة إلا مثل الشامة بجلد الثور الأسود.

وفي هذه المدة وصلت الأخبار أن حلمي شفي من الكون، بعد أن أشرف على الموت، وأظهر أهل صنعاء الفرح والسرور وطلع بيت الحكومة. وكان هو الذي عمره عمارة متقنة، وكان من الاتفاق إنه لم يدخله بعد كماله إلا يوم رُمي.

وفي هذه أيضاً مات حاكم صنعاء من جهة العجم فجأةً واتهم بأنه مسموم، وعند الله يجتمع الخصوم.

وفي يوم الأحد ٢٥ شهر ربيع أول سنة ١٨هـ، رأى الناس شيئاً نزل من السماء مثل عنق الجمل من فوق شهارة، حتى وقع في البطنة، وصار كلما وقع عليه من الزرع والسدر أقتلعه حتى استف التراب من الأرض، ثم ذهب ذلك إلى جهة المشرق.

وفي هذه المدة تواترت الأمطار التى لم يعهد ملثها في بلاد القبلة، وكثرت السيول، ونزل سيل عمران، فاجتحف قرية اليهود بأهلها وما فيها. وكاد أن يدخل مدينة عمران حتى أيقن أهلها بالهلاك.

وقعة بلاد السود:

وفي ٢٢ شهر جماد آخر سنة ١٨هـ كانت وقعة بلاد السود وصفتها أن العجم أعملوا الحيلة، وانتهزوا الفرصة بمرض الناس وحصول الثمرة، فخرج رجب أفندي من صنعاء، وصحبته طابورين، وأظهر أنه قاصد لحجة، وخرج طابوران من طريق عيال يزيد، وسروا ليلاً من قارن[١] . فما طلع الفجر يوم الثلاثاء ٢٢ جماد آخر إلا وهم محيطون بالمقدمي السيد الفخري عبد الله بن يحي أبو منصور وهو في بيت الوالي[٢] . فنصبوا المدافع ورموا بها إليه، ولم يكن غير عشرين نفر لديه، فثبتهم الله وأنزل السكينة عليهم، وقاتلوا قتالاً شديداً، لم

(١) قارن: قرية في البون الأعلى، في ناحية جبل عيال يزيد . (المقحفي: المعجم، ص ٥٠٧) .
(٢) بيت الوالي: قرية في عزلة البدو، ناحية السود، محافظة صنعاء. (التعداد: ص ١٨٨) .

تعهد مثله. ثم انهزمت العجم واستدام الحرب بالمدافع والبنادق من دون هجوم إلى نـصف الليل، واستعادت (....) [1] مع المجاهدين.

وفي يوم الأثنين هجم العجم إلى بيت السريحي على من فيه من المجاهدين من كـل جهـة واستدام الحرب إلى بعد العشاء. ثم أن المقدمي السيد الفخري خرج ليلاً من بيت الـولي إلى محل يسمى غمير[2]، فلحقهم العجم وتلاحم القتال طول يوم الربوع، ووقـع في أعـداء الله مقتلة عظيمة.

ثم انتقل المجاهدون إلى بيت عتيق وتبعهم العجم، واستمر الحرب يوم الخميس ثم يوم الجمعة ثم يوم السبت، والغارات متواترة ولـوايح النـصر والثبـات ظـاهرة وكانـت جملـة المقاتيل من العجم مائة قتيل والمكاوين كثير. ثم إن المجاهـدين صـاروا يغـزون أعـداء الله كل ليلة.

وقعة بيت السريحي:

وصفتها أن العجم لما أرادوا رفع المطرح من بيـت الـسريحي ومغـراب شـالف وبيـوت العقاري وقرن عفيف، وكان المقدمي السيد الفخري قد أرسل الدسـايس[3] ينظـرون متـى عزمهم ليلحقهم المجاهدون. فلما كان ليلـة الثلـوث ٢٣ شـهر رمـضان، ارتحلـوا وتـبعهم المجاهدون من قصبة الطوف (....) [4] حتى دخلوا قرية الخدرة، وقطعوا منهم ثمانية روس، وأرسروا. «ق١٠٣ب» نفرين أحدهما ملازم. وغنموا من عفشهم ومونتهم، ووقـع بـذلك الإشعار بالبشارة أُشعلت النار.

وفي هذه المدة وصل رسول الأمير علي بن محمد بـن عـايض العـسيري إلى الإمـام عليـه السلام، رجل يسمى الحاج حسن العسيري فكان صـورة ماكتبـه الإمـام عليـه الـسلام إلى الأمير علي بن محمد مالفظة : بعد البسملة.

---

(١) بياض في الأصل ونرجح أنها بيت الولي.

(٢) غمير: من قرى عزلة الرحبين، ناحية السود، محافظة صنعاء. (التعداد: ص ١٩١) .

(٣) الدسايس: الجواسيس أو العيون للاستطلاع.

(٤) بياض في الأصل.

تاج ذوي المعالي ويعسو بها، وبغية الرايدين ومطلوبها، من كشفت له العناية ستورها، وقابلته مطالع السعد بنورها، وأينعت له ثمار المحاسن، وتعطرت بنشر رايحته المجالس والمساكن الأمير ابن الأمير ابن الأمير علي بن محمد عايض. أفاض الله عليه أقران الرعاية العامرة، وخصّه من الخيرات بالسهام القامرة، وجعله للمجاهدين حرزاً مكيناً وحصناً والسلام عليه ورحمة الله وبركاته وصلى الله وسلم على محمد الذي انتشر دينه القويم، ومشى على الصراط المستقيم وعلى آله وعترته، الذين صرفت بهم المحن، وثبتت أقدامهم عند موجات الفتن. وبعد فلما ركبت أيها الرئيس جواد العز المبين، ولبست قميص المجد الرصين، وجانبت مركز الباطل المهين. أدركه درجة الرجاء وقد تفاوتت فيها الرتب، وتحاكت في إدراكها الركب، فأصبحت مخيماً في قلة اليقين، وقوضت خيامك عن أوهاد الأسفلين، فأنت اليوم لم تعرف بعيب، ولا دنست ثوبك حين نشأتا، ولا سابقت في ميدان زورٍ، ولا أهل الغواية قد صحبتا، لذلك صرت عيناً ناظرة ودة فاخره، وأنه قد بلغنا تشميرك للساق، والعزم للجهاد الشاق اكُتب عليكم القتال وهو كره، فتعمم بالسحاب وتمنطق بألة الطعن والضراب، وقد ذللنا لكم العُداء، وجرعناهم كؤؤس الردى، وحفرنا في عرض العز ماينبى عليه أساس ماوعدنا الله بقوله **﴿وَعَدَ الله الَّذِّينَ ءَآمَنُوا مِنكُمْ وَعَمُلُوْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلَفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَاَ أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِيَنهُم الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِلَ لَنَّهم مِّنَ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنَا يَعْبُدُوَنَنَى لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ، بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلِئَّكَ هُمُ اَلْفَاسِقُوَنَ﴾** [1]، وقد علمت أنهم خرجوا علينا في العام الماضي سبعين ألفاً كالجراد المنتشر، فغلبوا هُنالك وانقلبوا صاغرين بعد تقليل أعدادهم، وذهاب إمدادهم. وحيث وقد ألهمك الله بالغارة على الدين والدنيا، فابشر بالبلوغ إلى الغاية القصوى **﴿إِنْ تَنصُرُوْا الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِتْ أَقْدَمَكُمْ﴾** [2]، ومع مكانتك في سرج المحاربة، لايخشى إلا من المخادعة والمجاذبة، فقد عرفت عمك الطريد، المسمى غير سعيد، وعرفت دليم الذي هو أغشم من غشيم، ونحن بعد الله في ظهوركم، فقطعوا قلوبهم بقطع المسالك حتى تكونوا مابين مأخوذٍ وهالك.

---

(١) سورة النور، أية رقم (٥٥) .

(٢) سورة محمد، آية رقم (٤٧) .

أســــمعاني بحجــــم الـــــصافنات وارتجـــاز الكـــماة فـــوق الكـــماة

أســـمعاني الولـــوال تحـــت العجـــاج وضـــــجيج النـــــسا عـــــلى الأزواج

أسمعنا الله عنكم خيراً ورفع عن المجاهدين بؤساً وضيراً والسلام.

وهذا مع الأبيات معروض على الأماجد الكماة وعلى من صدق وأناب إبـراهيم بـن عبدالوهاب، وهذه الأبيات:

اذا صــــدق المخـــبر عـــن عـــلي نـــصير الـــدين فابـــشر بالنجـــاح

فـــإن عـــسير ترمقـــه بخـــير لكـــشف لثـــام مبـــيض الـــصباح

فقـــد طمـــس الأعـــاجم ديـــن طـــه بجـــنح ظـــلام مـــسود القبـــاح

وقـــد أخـــذوا نـــساء مخـــضبات فـــأين رجـــالهن أولـــوا الكفـــاح

وقـــد أخـــذوا الرجـــال عبيـــد سـوءٍ وأربـــــاب الحميّـــــة في نيـــــاح

فمـــن تلـــد الـــذكور فهـــم نظـــام ومـــــن يلـــــد الأنـــــاث فللـــسفاح

«ق١٠٤أ»

ومـــن يكـــسب مـــن الأمـــوال شـيئاً فللخَـــــمّار يعلـــم كـــل صـــاح

فـــشمر ســـاق عزمـــك ثـــم أذن بقحطـــــان وألمـــــع بـــــالفلاح

وكـــرر في النـــداء عـــلى عـــسير أولي الرايـــــات في روس الرمــــاح

وأنـــا نـــشغل الأعـــداء عـــنكم ونعـــضدكم بمـــصقول الـــصفاح

ونحيـــي ديـــن خالقنـــا جميعـــاً ونـــصر الله يـــأتي كالريـــاح بالجنـــاح

وقعات حطب والشرفة وجبل قعب من بلاد لاعة:

وصفة ذلك أن أهل بلاد لاعة كتبوا إلى حضرة الإمام عليه السـلام يطلبـون منـه المـدد وأنهم قد عزموا على الخروج من طاعة العجم، وبذلوا نفوسهم ونفيسهم للجهاد وأرسـلوا

بالرهاين إلى الإمام تصديقاً لذلك المرام، فأجاب عليهم الإمام بالمساعدة ولكـن أمـرهم أن لايظهروا شيئا حتى يقع تدبير الحرب بأمور محمودة العواقب، فوقع العجل من بعض أهل البلاد وكان هناك نحو ثمانين من العجم فبادروهم بالحرب فانحازوا إلى الدقانق[1] وأواهـم الحاج صالح شرف الدين وفتح لهم الحصن، وبعـد أخـرجهم إلى سـوق العريـف يـصلح، ومن سوق العريف إلى بني العوام وحاصروهم هنالك، فلما بلغ العجم مـا ألم تجمعـوا مـن جميع المراتب وكان المجاهدون قد قبضوا حصن عولي والـشرفة وحقيـل وقعـب والحطـب ورتبوا تلك الجبال بالأبطال من الرجال.

وفي يوم السبت سابع شهر رمضان سنة ١٨ بعد أن تجمع العجم إلى حجة تقـدموا عـلى من في الشرفة وقعب فكسرتهم المجاهدون ثم هجموا مـرة أخـرى ودام الحـرب إلى الليـل وخرج المجاهدون وانتقلوا إلى عولي.

وفي يوم تاسع رمضان وقع الحرب في الحفكه وبيت غروان والريدي وكان فيها جماعـة من المجاهدين، ودام الحرب إلى الليل ونفذت المونـة عـلى المجاهـدين فخرجـوا لـيلاً وقـد حصلت النكاية في أعداء الله فكان جملة المقاتيل مائتين وستين قتيلاً من العجم ومن العرب ثلاثة عشر قتيلاً قطعت رؤسهم، ومما ينبغي الإحـتراز عنـه في حـرب العجـم وغـيرهم أن العجم في هذه الوقعات أظهـروا الهزيمـة خديعـة ليخرجـوا العـرب مـن متارسـهم، فلـما لحقوهم وتركوا متارسهم ومن يحمي ظهورهم عطفـت علـيهم العجـم واخرجـوهم مـن حول الحطب ثم وقع القدوم على الشرفة وقعب وقد خلا لهم الجو.

وقعة الحرنة:

ثم بعدما وقع من الحرب في قعب و الشرفة استقر العجم نحو نصف شهر ثم تقـدموا على الحرنة وكان هنالك قايد عروان وجماعـة فهجمـت علـيهم العجـم بالمـدافع والرجـال وحصل في الترك قتول كثير ومن المجاهدين الشيخ غالب صليح ثم خرج المجاهدون منها.

---

(١) الدقانق: قرية في عزلة ردمان، ناحية بني العوام، محافظة حجة. (التعداد: ص٥٥) .

وقعة السَّامخ:

وصفتها أن حصن السَّامخ للنقباء آل النفيش من خارف، ثم من بني جبر فتوجه لترتيبه النقيب أحمد بن يحيى بن فارع والشيخ سرحان المحجابي والشيخ صالح بن يحيى الأخرم وجماعة من أصحابهم وكانوا رتبوا جبل الرخم بجماعة من بني صريم فخرجوا منه بغير حرب ورتبه العجم.

ثم كانت وقعة بني شاور[1]، وكان فيه رتبه من المجاهدين فهجم عليهم العجم تعدوا بقتلها وأهدر قتولهم والمقاتيل السابقة من الفريقين. وكان جملة ذلك نحو عشرين ألفاً تنجمت ثلاث سنين، وثبت الأمر وظهر دين الله على الخاص والعام ومضت الأحكام الشرعيَّة في كل قضية ولله الحمد، وكل ذلك من آثار بركة الإمام عليه السلام.

ذكر عود الجهاد في البلاد الآنسية:

على يد نصير الدين الشيخ علي المقداد راجح وذلك في شهر رمضان ١٣١٨هـ[2] قد ذكرنا فيما سبق شأن الصلح الواقع بين الشيخ علي المقداد والعجم ومع ذلك فإن الشيخ علي لم يأمن غدر العجم ولم يمكنه مواجهتهم بل كان الذي تم الصلح السابق الشيخ عزيز بن عبدالله، ثم لما فارق الشيخ عزيز ووصل المقام طلباً للجهاد هو ووالده، وبقيا هنالك مدة وجعل لهم الإمام أمراً بالجهاد وعزما وقد حرر النيّة، فلما وصلا البلاد كاتبوا إلى الرعيَّة وصاروا يتربصون الفرصة من العجم. ثم إن الشيخ فخر الإسلام عبدالله بن عبدالواسع راجح كتب إلى الإمام، يجعل له أمراً في الجهاد ومضايقة أعداء الله في الأغوار والأنجاد، ومازال يتبرم كثير من أهل البلاد ومن سكون الجهاد فإجاب الإمام عليه السلام على الشيخ الفخري بتحصيل ماطلب من المونة وأرسل له عصابة من رجال أرحب رئيسهم النقيب سنان بن حسين بن سنان والشيخ محمد بن أحمد القرماني، فلما وصلوا إلى الشيخ الفخري إلى بيته المسمى المَحْرى[3] فحينئذ كتب إلى الشيخ الجمالي علي المقداد بأنها قد

---

(١) بني شاور: قرية في عزلة بني القدمي، ناحية بني العوام، محافظة حجة، (التعداد: ص٥٣) .

(٢) ١٣١٨هـ ١٩٠٠م.

(٣) المَحْرى: قرية في موسطة، جبل الشرق آنس.

وصلت إلينا من الحضرة الشريفة عصابة نافعة من أهل الجهاد فإن رجعت إلى مناصرة الحق واجتماع الكلمة هو المراد وأنت المقدم كما كنت في الإصدار والإيراد وإلا فإن لانترك «ق١٠٥أ» السعي في مرضاة رب العباد، وإن أدى ذلك إلى هلاك النفوس والأموال والأولاد. فأجابه الشيخ الجمالي بطلب الاتفاق إلى مدينة العبيد، وفي الوعد لم يصل الشيخ الفخري للإتفاق لحصول ماعاق فلما وصل الشيخ الجمالي إلى المدينة أمر الدوشان[1] بالإعلان بأن الشيخ علي يقول ويعلن إلى الخاص والعام أنه فاتح الجهاد وراجع إلى مرضاة رب العباد و وإن من لم يجاهد من أهل السلاح في البلاد فهو هدر، فبدر إليه الناس من كل مكان، لمَّا سمعوا ذلك الإعلان وراجعه بعض من يحب الراحة والدعة فأبى إلا معاودة الجهاد ولزوم طريقته المرتفعة، وعزم الشيخ الجمالي بمن إنضم إليه من أهل الجهاد إلى الشيخ الفخري إلى بيته قريب المَحْرى وبعد اجتماع الرأي واتفق المراد على نشر رأية الجهاد، فلما بلغ أعداء الله العجم مااجتمع عليه أمر أولي الكرم أيقنوا بأنه قد انفتح لهم باب الشر الأعظم، فكتبوا إلى الشيخ الجمالي بالمراجعة، فأجاب عليهم إنكم أنتم الذي نقضتم الصلح ونهبتم الجبر وجرى منكم مايوذن بقصد الشر فلما علموا أنه غير راجع، اجتمعوا وبادروا المجاهدين بالحرب وقدموا من الجمعة[2] إلى ضبر رشيدة[3] وكان خراباً واستمر فيه الحرب من الصبح إلى بعد العشاء وخرج منه المجاهدون وانتقلوا إلى قرية بخدر[4] وإلى قرية مقعده وكن ونجده وكان الحرب في مقعده ونجده يوم وليلة. وكانت الهزيمة في العجم ووقع في العجم قتول كثيرة ثم خرج المجاهدون من هنالك ليلاً إلى قرية بخدر، ووصل الشيخ

---

(١) الدوشان: جمعه دواشين اسم لطائفة مخصوصة ليس لها مال ولا حرفة إلاَّ الدوشنة عند الرعية والدولة. والدوشنة أن يقوم الدوشان ويصيح بأعلى صوته بالمدح للقبائل في أعراسهم وأفراحهم ومجامعهم بما يناسب الحالة التي هم فيها: ولذا فهم أحفظ الناس بأنساب الأسر وأصولها ومهنتها. وفي أعمال الدولة يصيح بالأوامر عند تجمعات القبائل وفي الأسواق ومحلات التلاقي، ويمشي بين الفئات المتقاتلة بالرسائل ونحوها آمناً مطمئناً ولايمس بأدنى أذى، ولكل دوشان قبائل ونواحي مخصوصة يتقاسمونها بينهم بوثائق ورقومات فيما بينهم. (مجهول: صفحات من تاريخ اليمن، تحقيق: حسين السياغي، ه.ص٧٩) .

(٢) الجمعة: وتسمى جمعة العاوي في عزلة بني قشيب، ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٣١، الحجري: المجموع، ج١، ص٢٦) .

(٣) ضبر رشيدة: قرية في ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٢٢) .

(٤) بخدر: قرية في ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٢٩) .

الحسام محسن المقداد مدداً من الشيخ الجمالي وكـان باقيـاً في المحـرا. وبعـد وصـول الـشيخ الحسام بخدر حرض المجاهدين على الحرب ورتب لهم المراتب في العقري والقصبة. ثـم إن العجم تقدموا على الرتبة التي في القصبة، فأصدقهم المجاهدون وثبتوا فانهزم العجم وبعـد تقدموا على الرتبة التي في العقري ورموا المجاهدين بالمدافع والبنادق، وبعد هجموا عليهم صحوة النهار فلم يقدروا عليهم فانهزموا، ووقع كثير من المقاتيل مـن جملـتهم أربعـة مـن ضباطهم وسبعة مكاوين وقتل من العسكر كثير، وغنم المجاهـدون مـن أسـلحتهم ذهبـاً. وبعد ذلك توقفت العجم عن الحرب نحو ثمانية أيام، لَمَّا علموا عجزهم عـن بلـوغ المـرام، وكتبوا إلى ضوران وإلى صنعاء فوصل زكريا باشا وصحبته طابور ومدفع وتقدم يـوم ثـاني وصوله على القصبة، وكان أكثر الرتبة قوم قدموا في سوق مدينة العبيد لدى الشيخ الجمالي، فهجمت العجم على القعبة والرتبة فيها قليل وأخذوها وقت الظهر بعد أن وقع منهم خمسة عشر قتيلاً.

وقعة بخدر:

وصفة ذلك أن العجم بعد أن أخذوا القعبـة طمعـوا في بخـدر فهجمـوا عليهـا وفيهـا الشيخ الحسام وجماعة من المجاهدين الكرام واستمر الحرب طـول ذلـك اليـوم إلى نـصف الليل، وأحاط العجم لكثرتهم بقرية بخدر من كل جانب فخرج المجاهدون منها فجـراً لمـا علموا إنه لاسبيل إلى البقاء وذلك بعد أن وقعت النكاية في أعداء الله بـالقتول الكثـير. ثـم احتمع المجاهدون إلى قرية المحرا بيت الشيخ الفخري.

وقعة المحرا:

وصفتها أنه لما كان إلى يوم الخميس سادس وعـشرين شـهر رمـضان ١٨ تقـدم العجـم بفخرهم وخيلائهم ومدافعهم على المحرا ووقع الحرب الخمـيس وليلـة الجمعـة. وفي يـوم الجمعة هجم أعداء الله على المجاهدين وبقى الحرب إلى ثلث ليلة السبت، ووقعت في أعداء الله مقتلة عظيمة نحو مائة والمجاريح كثير نقلوهم ثلاثة أيام إلى الجمعة. وخرج المجاهدون نصف الليل من المحرا إلى مدينة العبيد وأقاموا هنالك طوال النهار. وفي اليوم الثاني عزمـوا

باب (....)[1] فظن العجم أن المجاهدين قاصدون الجمعة فرجعوا إلى الجمعة ورجع «ق١٠٥ب» الشيخ الجمالي ومن معه إلى بير قراعة في الحميضه، وأقاموا هنالك يومين به. وبعد عزم الشيخ الجمالي بمن معه إلى بير قراعة في الحميضة، وأقاموا هنالك يومين به، وبعد عزم الشيخ الجمالي بمن معه إلى عتمة قاصداً للمقرانة، لما ظهر منهم المخالفة والخيانة وعدم الإمتثال والبغض للآل، فغزاهم ليلة الخميس ثالث عيدالفطر فلما وصلوا إلى قفر ذران طلع عليهم الفجر فأقاموا هنالك كامنين طول يوم الخميس إلى الليل وعزموا المقرانة فأخذوها وقت السحر ونهبوا جميع مافيها وأسروا الرجال جميع مع شيخهم صالح بن صالح المقراني وبعد قتلوا الشيخ المذكور هو وابنه صبراً ومن أصحابه ثلاثة وعشرون رجلاً. وقتل من المجاهدين النقيب سنان بن حسين سنان وأحمد زاهر الأرحبي وجماعة، وغنموا من تلك القرية بما يقوم بثلاثين ألفاً. فلما بلغ العجم خبر هذه الوقعة شدّوا أثقالهم وقصدوا المقرانة، فلما بلغ الخبر إلى المجاهدين أحرقوا القرية ورجعوا قاصدين ظهر الهان. فلما وصل العجم إلى المقرانة ورأوا المجاهدين قد إنتقلوا أسفوا لعدم الفايدة من تلك الرحلة مع مايلحقهم من مونة النقلة. ثم إن المجاهدين لما وصلوا ظهر الهان قبضوا قرية الأحصم وعرجز[2] وبيت العنسي[3]، فرجع العجم قاصدين للمجاهدين إلى تلك المحلات وقد أصابتهم في طريقهم المشقات.

وقعة عرجز :

وصفة ذلك أن المجاهد لما قبضوا تلك المحلات كما ذكر قصدهم العجم بعد رجوعهم من المقرانة[4] إلى حصن عزجز واستمر الحرب بينهم ثلاثة أيام بلياليها حتى أحاطوا عليهم العجم وحالوا بينهم وبين الغارة، وبعد إستغارة الشيخ شجاع الدين عم عاطف وصحبته جماعة ليلاً لقصد التفريج على من في عرجز ولم يمكن دخولهم، ووقعت ملحمة عظيمة في

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) عرجز: قرية في عزلة عرجز وثمانة، ناحية ضوران، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٠٠) .

(٣) بيت العنسي: قرية عزلة بيت العنسي، ناحية ضوران، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٠٢) .

(٤) المقرانة: وتسمى قرية العارضة والمقرانه وهي تتبع عزلة بني علي، ناحية وصاب السافل، محافظة ذمار. (التعداد: ص ٢٦٠) .

الليل نحو مائتين قتيل وخمسة وأربعين جريح. واستشهد من المجاهدين الشيخ صلاح مذكور وكان في الجهاد كأسمه مذكور، والشريف دحان وغيرهم، وخرج المجاهدون من الحصن المذكور بعد أن ظن أعداء الله أنهم قادرون عليهم.

وقعة الأحصم :

ثم أن المجاهدين انتقلوا إلى الأحصم وتبعهم أعداء الله العجم، فوصلوا يوم الخميس ثالث شهر العقدة، وأحاطوا بقرية الأحصم من جميع الجهات وأعانهم على ذلك كثير من القبائل الغواة. فاستمر الحرب سبعة أيام فلما علموا أنه لاملجأ لهم غير الخروج خرجوا نهاراً، واستشهد من المجاهدين عشرة، وعشرين مكان، وقتل من العجم سبعون قتيلاً.

صورة مكتوب كتبه الإمام عليه السلام: بقلمه بعد وقوع بعض هذه الوقعات الحمد لله الذي جعل في كل زمان أوساً وخزرجاً وصدق فيهم قوله: ﴿**وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾[1] . والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الجامعين بين الخوف والرجاء، وبعد فإنه ورد إلينا كتاب الشيخ الهمام المجرد نفسه ونفيسه لنصرة الإسلام جمال الملة علي المقداد راجح أفاد رجوعه إلى حمل الراية العلويَّة، ونصرة الملة الأحمديَّة وصدق قوله بالفعل الحميد المشكور المنادي بلسان الحال إنك منصور، وإنا عند ذلك سجدنا شكراً وأمرنا المجاهدين أن لايخالفوا له أمراً وعليه الموافقة لأوامر الله سراً وجهراً حتى يرى في المعارك غلبةٍ على العدو ونصراً، كما شاهد ذلك مرة بعد أخرى، وسوف نحث المجاهدين بالنفر إليه ونأمر المصدقين بتسليم ماقبضوه إلى الوكيل المنصوب لديه والسلام. وصدرت المونة حسب بيانها وقد سبقت مونة أولى مصدرة إلى الشيخ الهمام عبدالله عبده راجح يكون وصولها إليكم عقيب الحرب في بخدر. انتهى الخط بلفظه.

فصل:

قد ذكرنا فيما سلف من هذه السيرة بعض إشارة إلى «ق١٠٦أ» الوقائع الآنسيَّة، ولم

---

(١) سورة الطلاق آية رقم(٢) .

يستقصي ذلك حيث لم يكن عندنا حال رقم ذلك كيفية ذلـك، وتفـصيل الوقـايع هنالـك، وبعد ذلك منَّ الله سبحانه بالاتفاق ببعض المجاهدين الثقات الذين شاهدوا تلك المعـارك، وعلموا تفاصيل ماوقع من ذلك، فاقتضى الحـال أن نـذكر جميـع مـابلغ الينـا مـن الوقـايع الآنسية في هذا الفصل مجموعة. ولم يتفق لنا العلم بتاريخ كل وقعة على جهة اليقين فجانبنـا الوقوع في التخمين، وقد ورد النهي عن القول بلا علم قال الله تعالى: ﴿وَلاَتَقْـفُ مَـالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾(١) .

ونستغفر الله من الزيادة والنقصان ونعـوذ بـه مـن إتبـاع الهـوى وذرب اللـسان. اعلـم أرشدنا الله وإياكم أنا قدمنا لك أن أهل البلاد ألآنسيَّة فطرهم الله على التشيع ومحبـة القـائم من العترة الزكيَة وسلوك ما قرره أئمة الزيديَّة، فهم عـلى ذلـك مـن قـديم الزمـان إلى الآن لايردعهم عن ذلك تواتر البوس، ولا هلاك الأموال والنفوس. وأنه لما ظهر طالع الـسعود ونجم بدر الإمام الموجود كتب إليهم كتاباً جامعاً وأمرهم بجهاد أعـداء الله فبعـد وصـول ذلك الكتاب تلقاه الجيمع بالقبول وأشعلوا النـار، وأظهـروا الفـرح والاستبـشار، وكـان الشيخ نصير الدين علي المقداد، هو المجد في تحصيل المراد، ورأسهم في الإصـدار والإيـراد، فكاتب أهل البلاد وأرسل بالرهينة إلى حضرة الإمام عليه السلام. ورجع الأمـر لمحـاصرة معقل ضوران وعند وصول الأمر أجمع أهل البلاد وتقدموا على مدينة ضوران وطرحـوا في الخنق وكان قدرهم قدرهم ألفين نفرا، واستمر المطرح إلى أسفل مدرج المدينة. وفي خـلال تلك المحاصرة وهل سيف الإسلام محمد بن الإمام المتوكل بالأمر في محـاصرة صـنعاء. ثـم إن شيخ مدينة ضوران الشيخ يحي بن أحمـد غـيلان وسـادات المدينـة وعقالهـا راسـلوا إلى الشيخ الجمالي بالطاعة وبذلوا الرهاين والعقاير وبايعوا بالسمع والطاعـة عـلى يـد القـاضي العلامة أحمد بن محسن الحـضراني، والتزمـوا بحفـظ مـن لـديهم مـن المـأمورين والـسلاح والذخيرة وجميع مافي حكومة العجم. ثم بعد ذلك الطلاب للشيخ الجـمالي وأعيـان الـبلاد من سيف الإسلام فبادروا إلى ذلك المرام فمكثوا هنالك أعني لـدى سـيف الإسـلام مـدة يسيرة وأخذ منهم البيعة ثم أصحبهم بأخيه سيف الإسلام علي بـن الإمـام لإيـصال جميـع

(١) سورة الإسراء، آية رقم (٣٦) .

المأمورين في مدينة ضوران وما فيها من السلاح والذخاير، وأرسل صحبتهم أيضاً القـاضي الأجل سعد بن محمد الشرقي عاملاً على الجهة الآنسيَّة، فلما وصلوا إلى طرف البلاد تلقاهم أهل مخلاف حاتم بقدر سبع مائة نفر، ودخلوا صـحبتهم مدينـة ضـوران وأسروا قائمقـام محمود رؤف وأحمد أغا وجماعة صحبتهم، وأخذوا جميع مافي الحكومة من سلاح ونفـايس، وشَدَّوا ذلك صحبة سيدي الجمالي إلى دار الحيد، ثم أن القاضي سعد والشيخ الجـمالي رتبـوا المدينة والجبل برتبة من أهلها وأخذوا منهم المواثيق والعهود، وجعلوا رئيس المرتبـة الـسيد عبدالله بن يحي صاحب ضوران، وانتقل العامل والشيخ الجـمالي إلى مطـرح الجمعـة لحـث الناس على الجهاد وقبض الواجبات من البلاد، فلما استقر العامل في مطرح الجمعة أذعن له الناس بالطاعة والإمتثال وسوق الواجبات، ومكثوا على تلك الحال مدة يـسيرة. فلـما بلـغ رتبة ضوران خروج غارة العجم مع أحمد فيـضي أظهـروا الخـلاف. ونـسوا ماعاهـدوا الله عليه، فلما ظهر منهم الخابق[1] طلب «ق١٠٦ب» العامل والشيخ الجمالي قوماً من بنـي جـبر وبني شداد وتقدم الشيخ الجمالي لمحاصرة المدينة فأخذ جميـع المدينـة إلا المـصينعة. ثـم إنهـا وصلت غارة العجم خمسة وعشرون مائة فحصل الفشل مـع المجاهـدين مـن أهـل الـبلاد وتفرقوا كل أحد خايف علي بيته ولم يبق على الشيخ الجمالي في نفر يسير إنتقل بمن بقي معـه إلى مطرح أسلع[2] بعد وصول غادرة العجم بثلاثة أيام تقدموا علي الشيخ الجمالي ومن معه، وكان الشيخ الجمالي قد إنتقل إلى جرف الطاهر[3] ، فكانت :

وقعة جرف الطاهر:

قتل فيها كثير من العساكر وسلب المجاهدون بندقين من سـلاح العجـم. وبعـد انتقـل المجاهدون إلى بيت العميسي[4] ، وبعد وصول عدو الله صالح عشيهم إلى طرف حميَّر لقصد المخادعة، فأجمع الرأي هو والشيخ علي بن يحي العميسي على المخادعة. فلـما كـان إلى ثلـث

---

(١) الخابق: كلمة عامية ومعناها الفاسد.

(٢) أسلع: قرية في عزلة السلف، ناحية ضوران، محافظة ذمار. (التعداد: ص٢٨٩) .

(٣) جرف الطاهر: قرية في عزلة القطم، ناحية ضوران، محافظة ذمار. (التعداد: ص٢٩٠) .

(٤) بيت العميسي: قرية وعزلة في ناحية ضوران، محافظة ذمار. (التعداد: ص٢٩٩) .

الليل أرسلوا من يصيح أن الترك فيكم فقام المجاهدون مرعـوبين مـع عـدم إختبـارهم في البلاد، وخرجوا منتظرين وصول العجم، فلم يصل أحد، فلما علموا بمخادعة أهل الـبلاد ارتحلـوا عنهـا لـيلاً، وأصـبحوا في مطـرح الجمعـة ثـم إنتقلـوا إلى قريـة كـن عزلـة بنـي راجح. وكانت :

وقعة كن:

وصفة ذلك إن العجم تبعوهم على الأثر، فلـما وصـلوا الجمعـة كتبـوا إلى جميـع الـبلاد بوصول العَقال والمشايخ، فوصلوا إليهم الجميع إلا الشيخ الجمالي، فأجـاب العجـم بعـدم الطاعة فمكثوا في مراجعته خمسة أيام وفي اليوم السادس تقـدموا عـلى قريـة كـن وهجمـوا عليها بعد خراب حصونها بالمدافع. ووقع في العجـم قتـول كثـيرة عنـد الهجـوم إلى حـول البيوت، وبعد خراب كن بالمدافع، انتقل المجاهدون إلى قرية الشرف، وكانت :

وقعة قرية الشرف[1] :

وذلك أن أعداء الله تبعوا المجاهدين إلى قرية الشرف، وطرحوا في ضبر حـضران وعنـد وصولهم هجموا على حصن الشرف، وهم يظنون أنهـم لابـد يأخـذوة في أسرع وقـت لأن أعوانهم من العرب عشيم والعميس والعامري هوَّنوا لهم الأمر، وحقَّـروا أمـر المجاهـدين فوقع حرب من الحصن والقرية إلى بعد الظهر، وبعد خرج المجاهدون حتى إختلطـوا هـم والعجم فأنهزموا العجم ووقع فيهم قتل كثير وسلبوا من أسلحتهم ورجعوا إلى مطرحهم. ثم صاروا يرمون بالمدافع إلى البيوت ويهجمون الكرة بعد الكرة، ولم يقدروا على أخذ ذلك عنوة، فلم يتيقنوا عدم القدرة عادوا إلى المخادعة بالمصالحة. فتوسط السيد علي بن اسماعيل الطالعي من مخلاف المنار[2] وسعى بالصلح وأسعدْ الشيخ الجمالي وطلـع إلى مطـرح العجـم وصحبته قدر سبعين رجلاً من المجاهدين، ورجع من عند العجم يعرف المحبين بتحـصيل المونة والزاد، ثم طلب العجم وصوله في اليوم الرابع فلم يسعد فثار بحرب من ثاني سـاعه

---

(١) الشرف: قرية في عزلة غبان، ناحية ضوران، محافظة ذمار. (التعداد: ص ٣٠٧) .

(٢) المنار: هي هجرة "المنارذي حود"، في ناحية ضوران، ذمار. (القداد: ص ٢٩١) .

في النهار وهجموا إلى حول الحصن، فخرج المجاهدون حتى اختلطوا ووقعت الهزيمه، وتبعهم المجاهدون حتى وصلوا إلى قرب محطتهم، ووقع فيهم قتول كثير، ثم توقفوا نحو ثمانية أيام حتى وصلت لهم المونة من مناخة وزيادة عسكر، فتقدموا تاسع يوم ورموا بالمدافع في ذلك اليوم ثلاث مائة وستين ضربة، وفي آخر النهار هجموا على الحصن من كل جهة وقد هدموة بالمدافع من جهة القلة، فاختلطوا هم المجاهدون في حوثرة[1] الحصن ووقع في العجم فتول كثيرة جملتهم مائة وخمسة وعشرون في جميع المحارب في الشرف بعد التحقيق، واستشهد من المجاهدين أربعة وعشرة مجاريح، ثم خرج المجاهدون من الحصن بعد أن كان غير حصين. وصاروا ينتقلون في البلاد من وادٍ إلى واد. ويقطعون الطرقات التى ينساق منها إلى العجم المحتاجات. «ق١٠٧أ» ثم انتقل العجم من الشرف إلى الجمعة ثم إلى مطرح أسلع. وفي هذه المدة بعد إرتفاع العجم بقدر شهرين وقع قتل فيما بين أهل صرب خباب وأهل بني سلامة[2] . فاستغار الشيخ الجمالي ومن معه إلى صرب خباب، فلما كان وقت الظهر أتي إليه رجل فأخبره أن ثمة ملازم[3] وضبطية وشيخ من مشايخ عتمة نازلين عتمة. فقام الشيخ الجمالي يخبر أصحابه ويشاورهم كيف يكون التدبير، فما سمعه أصحابه إلا ووثبوا عليهم من دون مراجعة في كيفية التدبير، فأدركهم المذكورون فرموهم وهم قدر خمسة عشر نفرا، فلحقهم المجاهدون من الظهر إلى أخر النهار وأحاطوا بهم في شعب، وأخذوا جميع سلاحهم وأسروهم جميعاً، وقتل من المجاهدين خمسة الشيخ علي بن يحي راجح وأحمد صالح الهندي وعلي بن علي الظاهري وابن عمه، وثلاثه مجاريح الشيخ عبدالله بن علي راجح وأحمد مسعول والديح. والأسرى من العجم صاروا في يد أهل المنار والسيد عبدالله بن يحي والسيد علي الطالعي، واستلموا منهم بعض الأشقاذ[4] وكتبوا للعجم، وحفظوا الأسرى حتى وصلوا الترك، وقَبَّضُوهم الملازيم وبعض الأسلحة، قصدوا بذلك إتخاذ يد عند العجم فكان ذلك سبباً لقبضهم وإدخالهم ردوس وهم الآن في أخس الحبوس، ومن أعان ظالماً أغرى به.

---

(١) الحوثرة الأساس، وحوثرة الحصن أي أساس الحصن.

(٢) بني سلامة: مخلاف في ناحية ضوران، ذمار (التعداد: ص ٣١٤) .

(٣) ملازم: يقال لزم فلان على فلان بمعنى حكمه على غريمه، أما هنا فلم أتبين معناها.

(٤) الأشقاذ: جمع شقذ، وهي ما يحمله الرجل من سلاح ومال وغيرها (عاميه) .

وقعة شوحاط:

قد ذكرنا شطراً منها فيما تقدم واقتضى الأن ذكرها عند تعداد الوقـايع الآنـسيَّة. وصـفة ذلك أن السيد الهمام عز الإسلام محمد بن حسين بن العباس رحمه الله لما رجع مـن كحـلان كتب إلى الشيخ الجمالي أن يوافقه إلى بعض الطريق فوافقه إلى مطرح أسـلع، ثـم أنتقلـوا إلى الجمعة، ولحقهم العجم على جهة السرعة وقايدهم إلى النار الـشيخ عـلى بـن محمـد البلـيلي فطرح العجم في الـسويل وترتـب المجاهـدون في رأس نقيـل شـوحاط وفي جبـل الـشمة، والمقدمي عز الإسلام في نمارة، والشيخ المجاهد وأثقال المجاهدين في الجمعة، فتقدم أعـداء الله العجم متكبراً فخراً فما شعر المجاهدون الا وقد طلع البليلي والعجم من بعض الـشرط وأكثرهم نائمون فما إنتبهوا الإ والعجم على رؤسهم فـصاحوا علـيهم فاشـتد الحـرب، ولم يكن مع المجاهدين من السلاح العجمي إلا القليل، فاختلط المجاهدون والعجـم ولم يُـنْجِ المجاهدين الا الطعن فلما عرفوا الشقى علي بن محمد البلـيلي وثبـوا عليـه، وقتـل أشر قتلـة وكان من أعداء الإسلام ومبغضي الآل الكرام ثم أخذوا سَلْبَةُ[1] ، وكان سَـلْبَهُ نـصلة[2] مـن الغاليات وخاتم وبندق أبو حلقة وساعة، وغير ذلك. ثم دام الحرب من الفجر إلى العـشاء ووقعت في أعداء الله مقتلة عظيمة. وأستشهد من المجاهـدين إثنـى عـشر نفـرا واستبـشر المجاهدون بقتل عدو الله البليلى، وأُضرمت النار. ثم إنتقل المجاهـدون إلى ضـبرة رشـيدة، والعجم رجعوا مطرح أسلع ونهبوا قرية أحلال[3] ووقع فيها من أهلها بعـض قتـال، وأمـا المقدمي عز الإسلام فأنه إنتقل من ضبرة رشيدة إلى بيت الجمرة[4] وقرية بطـرات وانـساقت إليه من أهل البلاد المحتاجات وأدركه العيد في هذه المحلات، ثم إنتقل بعد العيـد إلى بنـي أسعد[5] وبقي مدة شهر ونصف وتقدم على أحمد بن احسن الغشم وهو من أعـوان العجـم فأسره وأخذ بيته وأوصله حضرة ولي النعمة. ثم إن المقدمي عـز الإسـلام رحمـه الله هجـم

---

(١) سَلْبَهُ: أي ما يملكة من سلاح وحلي، وسلبوه وسلبه أي نهبوه.

(٢) نصلة: الجزء الحاد من الجنبيَّة.

(٣) إحلال: قرية وعزلة في ناحية ضوران، ذمار. (التعداد: ص٢٨٦) .

(٤) الجمرة: قرية في عزلة عدني جبل الشرق، ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٢٢) .

(٥) بني أسعد: عزلة في ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص ٣٢٠) .

عليه المرض فنقل إلى الشنبلي[1] في بلاد خولان، وتوفاه الله شهيداً في ذلك المكان كما سبق ذكر ذلك. وأما الشيخ الجمالي فإنه وقع معه أثر[2] وصار يتنقل من شاهق إلى شاهق، وبعد مدة وقعت المصالحة بينه وبين العجم من طريق المدير الساكن في حصن محمر. ثم عمر في حصن الشرف «ق١٠٧ب» وأعانه أهل البلاد، فلما بلغ ألعجم أعداء الله بأنه قد عمر طبقتين وأستقر جهزوا، عليه طابورين وكان مطرحهم في محل غراب، فصالحهم حيث لم يكن لديه للحرب نصاب وبعد مدة يسيرة كتب إلى مقدمي الإمام الذي وصل الحقيبة[3] السيد علي بن صلاح، وذلك عند رجوعه من حقيبة عُتمة، فاتفقوا إلى مدينة العبيد ثم أنتقلوا إلى مطرح الجمعة. ثم إن اكثر ألقوم تفرقوا ولم يبق إلا المقدمي وصحبته جماعة يسيرة إنتقل بهم هم الشيخ الجمالي إلى حصن الشرف، ثم كانت:

وقعة حصن الشرف:

وصفة ذلك أن المقدمي والشيخ الجمالي لما وصلوا حصن الشرف ورتبوا ضبر حضران، وتبعهم العجم على الأثر، فلما وصل العجم إلى محل غراب التقاهم المجاهدو إلى قرب المحل المذكور ووقع الحرب. ثم أن العجم انهزموا حتى عادواإلى مطرحهم واستمر الحرب إلى ثلث الليل وعاد المجاهدون إلى مطرحهم، واستشهد في ذلك اليوم الشيخ فرحان بن صالح الهندي من مخلاف بني خالد[4]، وأما القتلى من العجم فكثير.

وفي اليوم الثاني، تقدموا أعداء الله على لكمة حضران والضبر، وهنالك من المجاهدين الصابرين عصابة يسيرة، فتقدمت العجم أولاً على الأكمة وجمعوا عليها بالمدافع، وبعد هجم العجم إلى قربها ثم هزموا، فلما علموا أنها متعسرة عليهم بنوا عليها خالفة من رأس المحطة حتى خرجوا إلى قرية شقدم من جهة قبلة، وحين وصلوا إلى قرية شقدم صاح النفير بأنهم يحركوا الرمي بالمدافع، فلما كثر الرمي بالمدافع طلعوا الترك الذي خلفوا من جهة قبلة

---

(١) الشنبلي: قرية في عزلة اليمانية العليا، ناحية خولان، محافظة صنعاء. (التعداد: ص ١١٩).

(٢) أثر: مرض.

(٣) الحقيبة: قرية في عزلة نعمان، ناحية وصاب العالي، محافظة ذمار. (التعداد: ص ١٢٤).

(٤) مخلاف بني خالد: في آنس، محافظة ذمار، ومن قراه المرون. (الحجري: المجموع، ج١، ص ٢٢).

حتى قربوا من المجاهدين، فخرج المجاهدون إلى قرية (.....) [1] واستشهد نفـرين وتكـوَّن الشيخ عبد العزيز وآخرون. وأحاط العجم على ضبر حضران وفيه السيد عـلي بـن صـلاح وعصابة يسيرة، فاستمر الحرب إلى ثلث الليل، وأحاط العجم حتى وصلوا إلى باب البيـت الذي فيه المقدمي، وأخذوا نصف القرية. وإستغار جماعة من آل راجـح مـن قريـة الـشرق ومثلهم من قرية شقدم، واستصحبوا معهم زاداً للمقدمي وجماعته، ثم رخموا[2] على العجـم من جهة القبلة ومن جهة العدن حتى هُزموا من حـول البيـت، وتوافـق الغارتـان في بـاب الحصن، وكان كل أحدٍ لايعلم بالآخر، فلما عرف بعضهم بعضاً قال كل فرقـة مـنهما غرنـا على المقـدمي وقـال الآخـرون ونحـن كـذلك، فـدخلوا جميعـاً عـلى المقـدمي وأصـحابه، وأعطوهم الزاد والماء، وحملوا الشهداء والمجاريح حتى أوصلوهم قرب الشرف. ثم انتقلوا بيت الشيخ حسين بن علي العيل على جهة الكتمان، وتفرق المجاهدون بعد ذلك فلم يبق إلا اليسير، فأجمعوا أمرهم على العزم إلى حضرة فئة المسلمين أمير المؤمنين عليه السلام[3] ، فلـما وصل الشيخ الجمالي إلى المقام تلقاه الإمام بما يليق به من الإجلال والإكرام وبقـى في المقـام عام ونصف، وبعد ذلك جهزه الإمام عليه السلام بعصابة يسيرة مـن خُلَّـص المجاهـدين، ومنحهم الدعاء الذي هو سلاح المؤمنين، وأصحبهم كثيراً من المال والذخيرة، وبقـى مـدة يسيرة في بلاد أرحب. والعجم قد أخذوا أفواه الطرق، لما بلغهم عـزم الـشيخ الجـمالي مـن المقام، وكان من خفي لطف الله وبركات دعاء الإمام عليه السلام إن الشيخ الجمالي لمـا بلـغ إلى الطريق حول صنعاء إذا هو بجماعة معاهم عروس، وهـم يسيرون بها، ويرمون بالبنادق فدخل الشيخ الجمالي وأصحابه بينهم، وصاروا يرمون بيـنهم وأوهمـوا أنهـم مـنهم، ولقـوا هنالك حرس العجم والعروس راكبة والشيخ الجـمالي راكـب أيـضاً فـسألوا عـن الراكـب الآخر فقالوا لهم والد العروس، فلم يلحوا علـيهم وقطعـوا الطريـق. الـذي فيهـا الخـوف «ق١٠٨أ» ولم يصبحوا إلا في آخر حد بني مطر. ووقعت طريقهم فرش بني سويد[4] وبقـوا

---

(١) بياض في الأصل

(٢) رخموا: ربما تكون من الكلمات العامية ولم أتوصل إلى معناها.

(٣) هذه هي المرة الأولى التى يورد فيها لقب أمير المؤمنين على الإمام.

(٤) فرش بني سويد: عزلة في ناحية عتمة، محافظة ذمار. (التعداد: ص ٦٢)

فيه مدة يسيرة ثم إنتقلوا إلى بعض مخلاف جبل الشرف، فكتب شقدم[1] إلى العجم إن المقداد قد وصل البلاد، وأظهر في الأرض الفساد، فسارعوا بالغارة، وتقدموا على الشرف وهو يومئذ خراب، والتقاهم المجاهدون إلى تحت ضبر حضران[2] وكانت هنالك وقعة :

وقعة ضبر حظران ودار الحيس:

وصفة ذلك إنه لما ترآى الجمعان ووقع الحرب الذي سمع به سامع الأنس والجان وهُزم العجم، وبعضهم قد كان وصل الشرف والآخرون إحتازوا ورجعوا قرية حضران محل شقدم، ثم نزل المجاهدون إلى محطتهم دار الحيس فوق وادي حباب.

وفي اليوم الثاني تقدم العجم على المجاهدين إلى دار الحيس، أقتسموا نصفين، نصفهم أتوا من نقيل القضاة وخرجوا إلى رأس وادي حباب، واطلعوا من جهة شرق والنصف الاخر من نقيل القدوم، وأبقوا المدافع في الشرف يرمون بها إلى دار الحيس، وقدر العجم أربعة عشر مائة، والمجاهدين خمسة وثلاثين نفرا لاغير. وهجم أعداء الله على البيوت، وعمارة البيوت غير متقنة ولكنها بيوت بدو تخرب من هب الرياح، فلولا بركة الإمام، لظفر العجم بالمرام، فلم تؤثر المدافع في تلك البيوت، ولم يكن عند المجاهدين في ذلك اليوم لازاد ولا ماء وكادوا يهلكون من العطش، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت على المجاهدين خاصة فشربوا وصلَّوا، وكان في ذلك عبرة لأهل الاعتبار. ثم إنه هجم العجم في وقت العصر من جميع الجهات، والطوبجية يرمون بالمدافع كل من نكص من العسكر، فصار الموت من أمامهم و ورائهم فوقع في العجم قتل لايحصى، ولما رأى الناس المتفرجون ما وقع أيسوا من سلامة المجاهدين. فلما وصل العجم إلى باب البيت الأعلى خرج من فيه من المجاهدين، وكان فيه القاضي أحمد الشرعي وجماعة من بكيل، والشيخ الحسام محسن المقداد وجماعته في البيت الأسفل، يظنون القاضي أحمد ومن معه باقيين بالبيت الأعلى، حتى هجم العجم على من في البيت الأسفل ووصلوا إلى الباب فخرج منه الشيخ الحسام وجماعة، وبقى آخرون فيه إلى نصف الليل، وخرجوا

(١) شقدم: ربما التبس على المؤرخ الاسم فتارة يوردها كاسم لقرية وتارة أخرى اسم لشخص.
(٢) ضبرحضران: من قرى جبل الشرق في آنس (الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٢٦٣) .

وقد كان غارعليهم النقيب أحمد راشد سراج من رجال بني جبر، وكان لدى الشيخ الجمالي، فلما وصل إليه الذين خرجوا وأخبروه، أرسل النقيب أحمد غارة، فوصلوا إلى من في البيت، وتفرق العجم، وخرج المجاهدون فى سلامة لم يتشهد[1] غير واحد من المعاطرة[2].

وكانت هذه الوقعة من أجلَّ الوقعات هلك فيها كثير من أعداء الله العجم.

وقعة بيت شقدم:

وصفة ذلك أن المجاهدين بعد ماذكرنا إنتقلوا إلى شعب بورة، وإنتقل العجم إلى محل روافة، من مخلاف بني قشيب، فغزاهم المجاهدون إلى هنالك، ووقع حرب إلى نصف الليل، وأسر أصحاب شقدم رجلين من المجاهدين ناصر مجلي راجح وعبدالله يحي راجح، وسبب أسرهما أنهما مضيا على محل البوة محل شركاء شقدم، فوجدا حملاً من جمال العجم هنالك، فأرادوا نهبه وكان ذلك على حين مضي شقدم وأصحابه من هنالك، فرموهما، فتكوَّن أحدهما وهو ناصر مجلي وهرب الآخر، فلما أسروا ناصر مجلي أوصلوه حضرة العجم، فحين وصل الخبر إلى الشيخ الجمالي أرسل غارة من أصحابه، ثم أنه حضر بعض القضاة بني الحضراني فتوسط على أن شقدم تخرج ناصر مجلي من لدى العجم وأوعد بذلك لقصد المخادعة، فلما لم يحصل الوفاء بالوعد غزا الشيخ الجمالي علي شركاء شقدم إلى البوة، فلما وصل الخبر إلى شقدم إستغار بمن أطاعه، فاحتربوا هم والشيخ الجمالي وهزم أصحاب شقدم واحتصروا «ق١٠٨ب» في بيت وأحاط بهم المجاهدون حتى وصلوا تحت البيت، واستشهد النقيب أحمد راشد سراج والنقيب داحش الحباري من أرحب، والنقيب علي بن أحمد مرح ومحسن الهمداني، وبعد ذلك حصلت المخادعة من طريق محمد درويش، والقاضي أحمد العكام، بواسطة أن من في البيت يسلمون رأس بقر عقيرة، وخرجوا وراحوا بيوتهم. وفي اليوم الثاني قبض المجاهدون الأكمة فوق بيت شقدم وقبضوا حصن مهدّر، وحوَّزوا الماء حق قرية حضران، فصار شقدم يخادع المجاهدين بالصلح، وكَتب إلى العجم وكانوا حينئذ في مطرح أسلع. وإستمر الحرب ثمانية أيام، حتى أيقن عدو الله بالهلاك

(١) يتشهد: هكذا وردت في الأصل.
(٢) المعاطرة: اسم لقبيلة من قبائل برط، (المقحفي: المعجم، ص ٦٣٦).

والانتقام فلما وصلت غارة العجم، إرتفعت مطارح المجاهدين محل الغراب، وصار العجم يرمونهم بالمدافع، فلما كان بعض الليل خرج المجاهدين على العجم ووقع حرب شديد، حتى أخر[1] العجم من حول الحصن مسافة بعيدة، وقع فيهم قتل كثير وسلب، وخرج من هنالك المقدمي والمجاهدون ليلاً.

وقعة هجرة الشَّرْقي[2]:

وصفه ذلك أن الشيخ الجمالي والمجاهدين صاروا يتنقلون بعد ذكرنا من الوقايع. وكان ممن قصدوه هجرة الشرقي فلما وصلوا إلى هنالك منعهم أهلها عن الدخول فيها، ثم أن العجم بلغهم أن الشيخ الجمالي في أسلع فعزموا على قصده، فلما وصلوا أسلع ولم يجدوه، تقدموا على هجرة الشرقي فلما وصلوا الهجرة التقوهم أهلها بالحرب، وقاتلوا قتالاً شديداً. وفي الليل عزم العجم على الهجوم عليهم، فخرجت إمرأة تجلب الحطب وقت الفجر، فرأت العجم فصاحت لأهل الهجرة فخرج منهم خمسة أنفار، فأحربوا العجم حتى هزموهم، وقطعوا من رؤسهم وأخذوا من سلاحهم، فأخذت إمرأة منهم رأساً وفزعت إلى الشيخ الجمالي وكان (ح في القرين)[3] فأرسل الشيخ الحسام والشيخ عبدالله علي أحمد راجح وصحبتهم قدر خمسة وعشرون رجلاً فدخلوا ليلاً وبقي الشيخ محسن وجماعة في قرية الهجرة، والشيخ عبدالله بن علي أحمد، وجماعة رتبوهم في جبل دقان فوق القرية. وفي اليوم الثاني ثار الحرب العظيم وهجمت العجم الكرة بعد الكرة وكلما هجموا انهزموا.

ومن الكرامات: إنه انقطع عليهم الماء حتى أضرَّ بهم العطش،فهرب بغل من بغال العجم متحملاً ماءً حتى وصل باب القريه ثم رماه عبد الله بن علي أحمد من رأس الجبل فتكوَّن البغل ودخل القرية، وخرج المجاهدون من البيوت يستسقون حتى ثارت الفتنة، فقال لهم الشيخ الحسام إن الله قد أغاثكم بالماء، وإبليس أراد أن يفتنكم عليه، فاشربوا

---

(١) أخَّر: أي بَعُدَ وتَنَحَّى (عامية).

(٢) هجرة الشرقي: قرية عامرة في الجانب الشرقي من جبل هداد في آنس وكان يسكنها بنو الكاملي وبنو المغربي. (الأكوع: هجر العلم ومعاقله، ج الثاني، ص١٠٤٥).

(٣) هكذا وردت ولم أتبين معناها.

واحداً بعد واحد، ففعلوا وشربوا كلهم وبقى ماء كثير، وبقي الحرب إلى نصف الليل. ثم أن المجاهدين أخرجوا قُرَاشْ[1] أهل الهجرة، وجميع أثقالهم، وخرجوا من وسط مطرح العجم وكان مقرهم في فرش بني سويد. واستشهد رجل من بني قشيب، وأما المجاريح فكثير، ووقع في العجم قتول كثيرة. ثم مازال المجاهدون يتنقلون إلى سفل بني حكيم، ثم إلى مغربة العنب[2]، ثم غزا الشيخ الحسام إلى مطرح محمد نصيف في قاع العويل، ووقع حرب في الليل. ثم أن العجم غزوا على مغربة العنب بسبب أن المجاهدين بقوا فيها، فنهبوا جميع مافيها وأحرقوا فيها، ثم إرتفعت العجم ضوران، ومازال يحيى أحمد غيلان يسعى بالمصالحة حينئذ فلم يتم المرام. وبعد ذلك ثار الحرب فيما بين الشيخ الجمالي وبين شقدم في قاع البوة فهزموا شقدم وغنم المجاهدون منهم قراش وسلاح وبغلة، ثم أنه توسط محمد علي راجح وعقال جبل الشرف وعقروا على أن الشيخ الجمالي يكف الحرب عن الناحية وينتقل إلي غيرها، والتزموا بحفظ أهله وأقاربه.

وقعة المحيام:

وصفها «ق١٠٩أ» أنها وصلت الكتب إلى الشيخ الجمالي من بعض المجاهدين الصادقين، ان ثمة عسكر عجم في كحلان مابين المحيام وعانز وريمة، وهم آمنون فيحسن غزوهم، فشاور الشيخ الجمالي المجاهدين وَ أَوْهم عليهم أنه ثمة حمولة للعجم طالعة من الحجلية، ففرح بذلك المجاهدون، وعزموا على بركة الله حتى وصلوا مدينة العبيد .وفي الليلة الثانية سروافما أصبحوا إلاقفرة بني أسعد ،وقلَّ عليهم الزاد،وقدرهم ثلاث مائة،وفي آخر ذلك النهار لم يشعروا إلابوصول مسافرين معهم حمولة طعام ،فأراد بعض المجاهدين نهب ذلك، فنهاهم الشيخ الجمالي عن ذلك، وأخذ حمل جمل بالقيمة، وقسمه بين المجاهدين، ثم أرسل الجواسيس إلى مطرح العجم، فرجعت الجواسيس وأخبروا أن قدر العجم ست مائة ومشايخ حراز وريمة هنالك، فقال للجواسيس لاتخبروا المجاهدين بهذا بل حقَّروا أمرهم، فأخبروا لَمَّا سألهم المجاهدون بأن قدرهم سبعون رجلاً، ولديهم حمولة

---

(١) القُرَاشْ: أي الدواب والحيوانات.

(٢) مغربة العنب: قرية في ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار، (التعداد: ص٣٢٥) .

وغنائم، فاشتاق المجاهدون وتوكلوا على الله، وسروا ليلاً فوصلوا قرب المطرح وقت السحر، ورتبهم الشيخ الجمالي ثلاثة أقسام، فبني جبر رايسهم علي بن صالح المنظوري، على خيمة الغفر وهي في رأس كوله، فأخذ الخيمة وبعض مافيها، والقسم الثاني دخلوا على العرضي من جهة الشرق وكان أولهم خماش الأبيض، فسمع كلباً يجري في الزرع فظن إنها خيل وصاح بالقوم فتوقف الشيخ عمر عاطف ثم ظهر لهم، فتقدموا على أعداء الله حتى وصلوا ثلث المطرح، وأخذوا من السلاح وغيرها أشياء كثيرة، وثبت الحرب والطعن في أعداء الله إلى أن لاح الصباح، واستشهد من المجاهدين الشيخ يحيى بن صالح حوبن وولده وعبدالله بن علي رسام ورجل من بني جبر، وتكوَّن سيد من دار الشريف، فتركه أصحابه فحمله رجل من بني أسعد يقال له حمادي الزاعق. وقد كان حمل طاقته من الغنايم فترك أكثرها وحمل السيد وبندق غنمها الرجل المذكور، فلما وصل إلى خُبرة السيد قالوا إن البندق غنمها السيد وأرادوا أخذها فقال لهم الرجل أن لم تتركوني فقد نويت قتالكم فتركوه.

وبعد هذه الوقعة إنتقل المجاهدون إلى مخلاف بني أسعد، وبقوا هنالك نجو عشرة أيام وكتبوا بصفة هذه الوقعة إلى حضرة الإمام عليه السلام، فلما وصلت الكتب إلى الإمام وكان بحضرته الشيخ أحمد بن حوبن، فأرسل الإمام ثلاث مائة نفر من حاشد مقدميهم السيد الأجل حسين بن محمد مجد الدين، من سادات هجرة حوث.

وقعة قرف [1]:

وصفه ذلك أن رئيس العجم محمد نصيف لما بلغه وصول المدد من الإمام عليه السلام بالسيد شرف الإسلام، نزل الجمعة وصحبته عسكر كثير واستقر المجاهدون في بني أسعد نحو نصف شهر، وبعد قصدوا المجاهدون العجم، وطرحوا في قرية قرف والشيخ الحسام وجماعة من رجال بكيل غزوا إلى نهارة بيت الواسعي، وخرج العجم من الجمعة قاصدين قرف فوقع الحرب من وقت العصر إلى الليل، وانهزمت العجم حتى رجعوا إلى مطرح الجمعة.

---

(١) قُرُفْ: قرية في ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٢٦).

وفي اليوم الثاني تقدم العجم على الشيخ الحسام إلى نمارة، ووقع هنالك حرب شديد وقتول كثيرة في العجم، وسلبوا منها بنادق، وفي العرب شهداء. واستمر الحرب يومين في نمارة لحتى خربت البيوت بالمدافع، فخرج منها الشيخ الحسام وانظم بمن معه إلى المجاهدين في قرف. وبعد تقدمت العجم على قرف وصاروا يرمون بالمدافع ولم يهجموا خوفاً أن يقع ماوقع في اليوم الأول، واستمر الحرب والرمي بالمدافع يومين. وبعد خرجوا منها، ونهب من كان من حاشد ماقدر عليه من القرية وعزموا بلادهم، ولم يبق غير السيد الشرقي وتسعة أنفار، وبعد أن فرغها المجاهدون دخلها العجم. وكان الشيخ الجمالي قد إنتقل بمن معه من المجاهدين إلى قرية مصطلح، فلما وصل إليه الشيخ محسن ومن بقي معه من المجاهدين، أمرهم الشيخ الجمالي أن يرجعوا «ق١٠٩ب» إلى قرف، فلما رآهم العجم فروا من البيوت، ووقع الحرب الشديد ودام ثلاثة أيام حتى أخربوا البيوت بالمدافع، وخرج المجاهدون وإنتقلوا إلى بني خالد، ثم انتقلوا من هنالك إلى أسلع. ثم إن الشيخ الجمالي غزا على الشيخ أحسن بن عبدالله قرعه وكان من أعوان العجم، فقتلوه هو وصنوه وأخذوا جميع مامعهم.

وقعة ميوان في بني سلامة [1]:

ثم إن المجاهدين أنتقلوا إلى قرية ميوان وتقدمت عليهم العجم ودام الحرب هنالك ثمانية أيام، وكانت تلك الوقعة من الملاحم العظام حتى إنقطع الزاد على أهل الجهاد، فخرجوا وانتقلوا إلى وادي حباب،ثم منه إلى مدينة العبيد. وبعد ذلك وقع مرض في المجاهدين بسبب الوخم[2] ، فانتقلوا إلى ضبر رشيدة، وإنتقل العجم إلى مضرات، وكان هنالك أهل الشيخ الجمالي فأسروهم إلى ضوران، ولما حدث المرض كما ذكرنا توقف الحرب في الجهة الآنسية. ومازال العجم يطلبون الشيخ الجمالي فلم يقدروا عليه، ثم إن الإمام عليه السلام أرسل بجماعة مجاهدين من رجال أرحب إلى الشيخ الجمالي، فلما وصلوا إلى الشيخ

---

(١) بني سلامة: عزلة في ناحية ضوران، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣١٤) .

(٢) الوخم: أرض وخام ووخمة ووخيمة لاينجع كلأها، وشيء وخم وبيء، وبلدة وخم إذا لم يوافق سكنها فقد استوخمها. (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٨٩٥) .

الجمالي، أرسل صنوه الحسام وجماعة منهم يكمنـوا لـشقدم أو أبنـه فـصادفوا ابنـه فقتلـوه، وسلبوه. ثم إن العجم إرتفعوا إلى ضوران، وإنتقل الشيخ الجـمالي وصـنوه إلى بنـي أسـعد، وبعد غزا إلى محل المنهيب وأسره هو وأولاده وأوصلوه إلى حضرة الإمام، وبعد ذلك غـزوا على شقدم إلى محل غراب ووقع الحرب بينهم واستغار جماعة من العجم مع شقدم.

وقايع بني فضل (1):

وصفة ذلك إن العجم كانوا يحصلون الدفعة(2) في بني فضل، فطلب بنـو فـضل الـشيخ الحسام للجهاد، ومنع أرباب الظلم والفساد فترك حـرب شـقدم وعـزم بمـن معـه لجهـاد العجم، وعَرَّفَ لصنوه الجمالي فلحقه لبني فضل، فلما بلـغ العجـم ماقـد ألم اسـتغاروا مـن ضوران محمد نصيف القومندان وعبدالله بك القائمقام عسكرية بمـن معهـما مـن العـساكر العجمية، واستمر الحرب بينهم وبين المجاهدين في عزلة[3] ثلاثة أشـهر، وكـان المجاهـدون كلما أخرب العجم قرية بالمدافع، خرجوا إلى القرية الأخرى، حتى خربت جميع بيـوت بنـي فضل، وحصل لهم وللمجاهدين بذلك الأجر والفضل، وقتل الطاغية عبدالله بك هنالك، وكثير من العساكر والضباط فيالها من ملاحم، أنكت أعداء الله الأعاجم.

وهذه عدد الوقايع التي وقعت هنالك، الوقعة الأولى في القصبة في بني السهالي، الوقعـة الثانية في قرية كرن، الوقعة الثالثة في حرف بني فضل، الوقعـة الرابعـة في العـوالي، الوقعـة الخامسة في موثب الوقعة السادسة في بيت الحاج، الوقعة السابعة في المضحي، الوقعة الثامنة في السفال بيت عيال الفقيه، الوقعة التاسـعة في سـوقبة، الوقعـة العـاشرة في قريـة ظلـمان. ومازال الإمام عليه السلام يمدهم بالمال والرجال والمونة، حتـى بلغـت المجاهـدون نحـو ألف رجل وكان قتل قائمقام عسكرية عبـدالله بيـه هنالـك، وقتـول آخـرون مـن العجـم لايحصون، وسلبوهم بنادق كثيرة حتى هُدمت جميع القرى، ولم يبق فيهـا ميـدان للحـرب. وقد سمعت من الإمام عليه السلام مراراً يقول إن الله سبحانه سـلط العجـم عـلى العـرب

(١) بني فضل: عزلة في ناحية ضوران، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣١١).

(٢) الدفعة: الضريبة أو الزكاة.

(٣) لم يذكرها.

تسليطاً لم يكن فيما مضى، من جملة ذلك هذه المدافع التي تبطل عندها شجاعة الشجعان، وكذلك البنادق المرت والشاشخان. ومن ذلك أنه كان لايصل الخبر إلى استانبول محل الدولة العثمانية ويعود إلا بعد ستة أشهر، وفي هذه المدة يصل بالسلك مجرد لحظة، ومن ذلك البوابير[1] فإنها كانت لاتخرج الغارة إلا بعد نحو سنة، والآن في هذه الأزمنة مع المراكب البابورية في أقل من شهر.

هذا ثم إن الشيخ الجمالي غزا بعد ذلك قرية المغربة، وكان شيخهم علي بن علي العرقبي من أعوان العجم، فأخذها المجاهدون بما فيها عنوة وغنايم كثيرة، واستشهد من المجاهدين «١١٠أ» خمسة عشر، ومن أهل المغربة قدر خمسة وعشرون، واستقر الشيخ الجمالي هنالك قدرنصف شهر ولحقهم العجم إلى الجمعة، ثم إن الشيخ الجمالي صار يتنقل في جبل الشرق.

وقعة دُمام[2]:

وصفة ذلك أن الشيخ الجمالي أرسل الشيخ عزيز بن عبدالله وجماعة صحبته إلى جبل الدخينة، وهو جبل دمام ورتبه، ورتب الحمامي وفرن حطب وديرة. وأما العجم فإنهم إنتقلوا من الجمعة إلى المشاهد، وصاروا يرمون المجاهدين إلى جبل دمام، ثم إن الشيخ الجمالي غار بجماعة وطرح في الخربة وعلول. ثم إن العجم بعد أن أخربوا الحمامي وفرن حطب وديرة هجموا على جبل دمام، ووقع هنالك حرب عظيم وملحمة عظيمة، قتل فيها من الفريقين جم غفير. ثم إنتقل الشيخ عزيز بمن معه إلى الشيخ الجمالي، ورتب العجم الجبل وتقدموا على الشيخ الحسام إلى الوثن.

وقعة الوثن [3]:

وصفة ذلك إن الشيخ الحسام كان باقياً في الوثن، فتقدمت عليه العجم وأخربوا

---

(١) البوابير: السفن البخارية.

(٢) دمام: عزلة في ناحية جبل الشرق، وتتبعها العديد من القرى/ محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٢٤) .

(٣) الوثن والخربة قريتان في عزلة موسطة جبل الشرق، ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣٢٩) .

البيوت بالمدافع، ووقعت هنالك ملحمة عظيمة، وبعد أن خربت البيوت إنتقل الشيخ الحسام إلى قرية الخربة وكانت

وقعة الخربة:

قتل فيها من العجم جمع غفير، وبعد خرج المجاهدون منها وكان الشيخ الحسام قد عاذل الشيخ عبدالله عبده راجح، أن ينتقل المجاهدون إلى بيته حصن المحرا، فأبى ومنع عن ذلك، وبعد ذلك دخله العجم وأحرقوه وكان على خمسة سقوف. وبعد ذلك إنتقل الجميع إلى عند الشيخ الجمالي إلى خربة دمام، وبقوا هنالك قليلاً من الأيام، واجتمعت العجم إلى جبل دمام، وحضر حينئذ القاضي الصفي أحمد بن مطهر الغشم[1]، فطلب المصالحة بين الشيخ الجمالي والعجم على أن المجاهدين يرتفعون من مطرحهم والعجم يرتفعون إلى ضوران، وذلك خديعة من طريق العجم، فانتقل الشيخ الجمالي إلى فراح في بني أسعد[2]، وإنتقل العجم إلى الجمعة وطلبوا مشايخ بني أسعد، وأبى الشيخ محمد حوبن عن الوصول إلى العجم، وبعد أن أهلَّ بني أسعد طلبوا من الشيخ الجمالي أن يرتفع من محلهم لتسلم ثمرتهم، وكان حينئذ وقت حصادها، واستبقوا الشيخ الحسام والشيخ الفخري عبدالله بن عبده راجح، فساعدهم الشيخ الجمالي على ذلك وارتفع إلى حباب. ثم إن العجم تقدموا على بني أسعد، ولم يصح من ذلك الصلح شيء وكانت

وقعة رلف:

في طرف بني أسعد وصفة ذلك أن العجم تقدموا بعد انتقال الشيخ الجمالي على الشيخ الحسام ومن معه وكان في القرية المذكورة ودام الحرب نحو يومين، وخرج المجاهدون من

---

(١) القاضي أحمد بن مطهر الغشم: حاكم ضوران مولده سنة ١٢٧٢هـ بمدينة ضوران وكان مثالاً في التقوى وحسن الخلق تلقى تعليمه من أساتذته القاضي أحمد بن عبد الرحمن المجاهد، والقاضي علي بن حسن المغربي والقاضي عبدالملك بن حسين الآنسي وأخذ عن علماء ذمار، تولى القضاء في عتمة وذمار وضوران في عهد الدولة العثمانية، وعمل على فصل الخصومات إلى أن أدركته الوفاة سنة ١٣٥٧هـ. (زبارة: نزهة النظر، ص٦٥).

(٢) بني أسعد: عزلة في ناحية جبل الشرق، محافظة ذمار. (التعداد: ص٣١٨).

رلف بني أسعد، واستولى عليه العجم، وانتقل المجاهدون إلى بيت الشيخ محمد حوبن، وإلى الخميس والشرف ولحقهم العجم إلى هنالك، وكانت:

وقعتا الخميس والشرف:

وصفة ذلك أن العجم هجموا أولاً على الخميس، وخرج منه المجاهدون إلى بيت الشيخ محمد حوبن، واجتمع المجاهدون هنالك، ووقع الحرب هنالك ثلاثة أيام وتكوَّن الشيخ الحسام في رجله، ووقعت هنالك ملحمة عظيمة وبعد أن أخرب بالمدافع أخرج المجاهدون إلى حصن الحتر وكانت:

وقعة حصن الحتر:

وصفة ذلك أن الشيخ الحسام بعد أن تكوَّن إنتقل إلى الشيخ الجمالي وخرج الشيخ محمد حوبن ومن صحبه من المجاهدين إلى حصن الحتّر، وأدام الحرب بينه وبين العجم ثلاثة أيام وقتل منهم جم غفير، فلما أخربوه بالمدافع، خرج الشيخ محمد حوبن إلى حصن دهمان وكانت:

وقعة حصن دهمان:

فإن الشيخ محمد لما خرج إلى حصن دهمان بيت صبر في بني أسعد لحقه العجم، ووقع هنالك حرب عظيم ووصلت إلى هنالك زيادة عسكر ومونة الإمام عليه السلام، وأحاط العجم بالمجاهدين. «ق١١٠ب» حتى كادوا أن يأسروهم، لولا ما أنزل الله من النصر والصبر، واستشهد هنالك الشيخ محمد حوبن، وتكوَّن ابن أخيه عبدالله بن علي، ومجاريح كثير. وفي الترك قتول كثير لأنهم هجموا على الحصن مرات، وبعد خرج المجاهدون من الحصن المذكور بعد أن صار قاعاً صفصفا، ولحقوا بمطرح الشيخ الجمالي والذي من حضرة الإمام عليه السلام، رجعوا إلى الإمام وبعد حدث جرح في رجل الشيخ الجمالي فمرض منه مرضاً شديداً، فانتقل إلى قفر ذران، مابين عتمة وآنس، وبقي هنالك مريضاً ولم يبق عنده

إلا قليل من المجاهدين، ومكث العجم في الجمعة يحصلون الدراهم من البلاد. وبعد مدة نحو شهرين أرسل الإمام عليه السلام الشيخ علي مهدي شديق وصحبته قدر ستين رجلاً، فوقعوا لدى الشيخ الجمالي في القفر المذكور. واجتمعت أهل عتمة إلى سوق السبت حتى الدنة، وتكاتبوا هم والعجم بأنهم يغزون الشيخ الجمالي ومن بصحبته من المجاهدين ويكون جهة العرب من شق والعجم من الشق الآخر، وكان الشيخ الحسام حينئذ مريضاًفنقلوه إلى بني الجرادي والشيخ الجمالي إلى جرف بالقرب منهم.

وقعة سوق الدَّنة:

وصفتها إن الشيخ عزيز بن عبدالله لما بلغه تجمع أهل عتمة غزاهم هو ومن صحبته من المجاهدين إلى سوق الدّنة، وقتلوا منهم أربعة وغنموا غنايم كثيرة، وأخذوا سلاحهم، وانهزم أهل عُتمة هزيمة فاضحة، ورجع المجاهدون إلى مطرحهم سالمين، وبقوا هنالك أربعة، وتقدمت عليهم العجم ولم يصل النذير إلا والعجم على إثره، فحملوا الشيخ الجمالي ومن صحبته من الأمراض إلى حدة الذاهب، وبقى الشيخ عزيز والمجاهدون في المطرح، ووقع الحرب بينهم وبين العجم حرباً عظيماً، واستغارت أهل عُتمة مع العجم ودام الحرب من الصباح إلى الليل، ولحق المجاهدون بالشيخ الجمالي فما بقوا هنالك إلا مدة تحصيل الغداء، ولحقهم العجم على الإثر، فنقلوا الشيخ الجمالي ومن معه من الأمراض إلى وادي حباب، وبقى الشيخ عزيز والمجاهدون واستمر الحرب بينهم إلى الليل، ولحق المجاهدون الشيخ الجمالي وبعد أن عجز العجم عن إدراك الشيخ الجمالي رجعوا إلى الجمعة وقد خيَّب الله أملهم هم وأهل عتمة. وانتقل الشيخ الجمالي ومن معه من حباب إلى فرش بني سويد وبقى هنالك مريضاً مدة طويلة.

وقعة بيت الموعل:

في عتمة وصفة ذلك أن الشيخ قايد الموعل كتب إلى الشيخ الحسام إنه فاتح بيته للجهاد وأرسل الرهينة، فعزم الشيخ الحسام والشيخ عزيز بن عبدالله إلى بيت الشيخ قايد، واجتمعت أهل عتمة جميعاً، نحو ثلاثة آلاف، وتلقاهم الشيخ عزيز وصحبته قدر عشرة

أنفار، ووقع هنالك حرب وخطب جسيم قتل فيه من مشايخ عتمة الشيخ حميد بن أحمد المطبابة وجماعة صحبته نحو خمسة عشر رجلاً من دون المجاريح، وغار الشيخ الحسام بمن معه، وقُتل من المجاهدين رجل واحد لاغير. ثم إن أهل عتمة استدعوا العجم واستنصروا بهم لذلك الخطب الذي ألم ووقع الحرب في اليوم الثاني في بيت الموعل بعد وصول العجم حرب عظيم حتى أخربوا البيوت بالمدافع، وخرج المجاهدون منها وانتقلوا إلى وادي الصافية بين آنس وعتمة، وصادف طلوع حمولة للعجم صحبتها عسكر فغزاهم الشيخ الحسام ووقع بينه وبينهم حرب، وانتقل الشيخ الحسام إلى (ححف في طهر) [1]، وبقوا هنالك والشيخ علي مريض في المرجوم في بني أسعد، ثم إن العجم من بعد هذه الوقعات نهكتهم الحرب فكانوا «ق١١١أ» لايتعرضون للمشايخ آل راجح بل إذا بلغهم أنهم في أي قرية من القرى تركوا وتحولوا إلى محل آخر كأنهم لاخبر عندهم منهم فمكثوا مدة لايتعرضون لهم بشيء. ثم إنتقل الشيخ الحسام إلى بني جحدر. وبعد أن العجم كاتبوا أهل عتمة وأهل ريمة ومن أحبهم من بلاد آنس على استيصال شأن آل المقداد، فلما أُخبر آل المقداد بذلك المراد وقع الرأي بأن الشيخ الجمالي ينتقل من المرجوم على جهة الكتم، ويظهروا للناس أنه عزم إلى بني جحدر، فاجتمع من عنده وكانوا نحو أربعين وصحبتهم الشيخ عزيز وعزموا ليلاً والناس يظنون أن الشيخ الجمالي معهم فلم يظهروا لهم إلا في بني جحدر، وبعد عزمهم عزم الشيخ الجمالي مريضاً وصحبته الشيخ عبدالله المقداد وصحبتهما نحو أربعة أنفار فاختبوا في جرف والنساء في جرف.

وقعة اللَّكَمة:

وصفة ذلك أن الشيخ عزيز لما وصل إلى بني جحدب حضرة الشيخ الحسام، قصدتهم العجم والعرب واقتسمت فرقتين فرقة صحبة القومندان محمد نصيف طرحوا في بني جابر وما يليها، وفرقة من العجم والعرب أهل السلفيَّة طرحوا في لكمة العرب بعد أن أخذوا قراش أهل ظهر، وفي الليل غزاهم الشيخ عزيز والشيخ غالب بمن معهما من المجاهدين إلى اللكمة وافتراق المجاهدون فرقتين فرقة من جهة جبل فوحر، وفرقة من جهة القرية فلما

(١) هكذا وردت في الأصل.

وصل الشيخ عزيز من جهة جبل فوحر ووقع الحرب أفتشل العجم وفكوا للقراش التي قد كانوا نهبوها من ظهر. وأتاهم الشيخ غالب بن علي من جهة القرية وأخذوا القراش ووقع الحرب إلى طلوع الشمس ورجع الشيخ عزيز والمجاهدون إلى مطرحهم.

ثم انتقلت العجم من اللكمة إلى الظهر وغزاهم المجاهدون إلى هنالك وهربت العرب الذين من ريمة وعتمة ولم يبق إلا العجم.

وقعة بني جحدب:

وصفة ذلك أن العجم تقدموا على من في بني جحدب من المجاهدين ووقع هنالك ثمانية أيام، واستشهد من المجاهدين أربعة شهداء، وأما العجم فلا يحصون عددا. وبعد انتقل الشيخ الحسام ومن صحبه إلى بني خالد ثم إن العجم دخلوا بني أسعد يدوروا[1] الشيخ الجمالي، فلما أُخبر الشيخ الجمالي وكان مريضاً في الجرف إنتقل ليلاً إلى طرف قفر عانز. ثم إن الشيخ الجمالي وصل إليه النذير أن العجم الذي في جعيرة قاصدون له فانتقل إلى الجرف الأول الذي كان فيه.

وفي خلال ذلك وصلت العجم إلى المحل الذي كان فيه ثم تقدموا إلى سهام وكلما وصلوا إلى قرية أخربوها ونهبوا مافيها من الأثاث والأنعام فتلقاهم الشيخ صالح بن مهدي صاحب الهجرة بالحرب وسلب منهم وقتل.

وقعة بني سويد:

وصفتها أن العجم لما صاروا يخربون البيوت وينهبون الأموال في سهام تلقاهم الشيخ الهمام عمر عاطف وصحبته جماعة وأمدهم الشيخ الحسام بالحاج المجاهد صالح الحميدي وصحبة جماعة من المجاهدين فوقع حرب عظيم، واستشهد هنالك الحاج الفاضل صالح الحميدي رحمه الله من رجال بني ضبيان وكان من أركان الجهاد ومن أهل الصدق والإيمان، وتكوَّن ابنه الشيخ محمد بن صالح. ووقع في العجم قتل عظيم وسُلِبوا من بنادقهم، وكان

---

(١) يدوروا: أي يبحثوا (كلمة عامية).

الشيخ الحسام حينئذ في بيت الحجري، فانتقل إليه المجاهدون وبعد عَقَر عندهم أهل المحل أن ينتقلوا، فانتقلوا منها إلى قرية بوقة ثم إلى المنار واجتمعت العجم إلى أسلع.

وقعة المنار:

وصفة ذلك أن العجم بعد اجتماعهم إلى أسلع، تفرقوا فبعضهم عزم عتمة وبعضهم السلفية ومحمد نصيف «ق١١١ب» وبعض العسكر رجعوا ضوران وبقى الشيخ الحسام في المنار، ثم إن الشيخ عزيز بن عبدالله ألتقى العجم الذين عزموا عتمة إلى الجميمة ووقع بينه وبينهم حرب. ثم بعد مدة تقدم محمد نصيف بمن معه من العساكر على الشيخ الحسام ومن معه إلى المنار. وكان مطرح المجاهدين في صُباحة وسل وبيت الحي وقرية المدارين، وهجمت عليهم العجم محمد نصيف ومن صحبته من البوش واستمر الحرب هنالك قدر شهرين ووقعت ملاحم عظيمة يشيب لها الوليد، ويوصي بها رب العبيد، وقتل هنالك من كبار العجم محمد علي بيه قومندان وخرشد بيه، واستشهد من العرب المجاهدين جماعة. ومن الوقايع في هذه المدة إن العجم تجمعوا إلى ليلة العيد وأرادوا الغدر بالشيخ الحسام ظناً منهم إن المجاهدين يتفرقون في العيد، فحين قصدوا المجاهدين وقع الحرب وثبت الله المجاهدين وهزموا العجم وقتل أحد البوش المذكورين. ثم عادوا الحرب بعد ذلك بالمدافع حتى خربت المواضع حتى وصل المجاهدون إلى قرية صباحة وبقوا هنالك، وقد كان نفذ عليهم الزاد فَفَرَّجَ الله عليهم أن وصل الطلاب للعجم إلى ضوران فرجعوا للمحافظة على ضوران حين بلغ العجم أن الإمام عليه السلام أرسل المقادمة سيف الإسلام محمد بن الإمام المتوكل، وسيدي العلامة صفي الإسلام أحمد بن قاسم بن الإمام وذلك في شهر محرم سنة ٣١٦ه وبعد ذلك لقي الشيخ الحسام في المنار فوصل إليه من مشايخ المغرب الشيخ يحيى بن عبدالله الشجني والشيخ أحمد بن محمد الشجني. وأعلنوا بالطاعة وطلبوا مقدمياً صحبتهم، فأرسل صحبتهم الشيخ المجاهد غالب بن علي راجح وصحبته نحو مائتين وغزوا إلى بيت نصر في مغرب عنس محل حكومة العجم هنالك فقتلوا مدير العجم ونهبوا

جميع مافي الحكومة، وطرحوا هنالك وتبعهم الشيخ الحسام إلى هنالك. ولما وصـل هنالـك طلب مشايخ عنس فوصلوا إليه مطيعين ورهنوا ثم انتقل إلى بـلاد عتمـة وكتـب لمـشايخها وأطاع من أطاع ورهن، وأعلن بالفساد الشيخ مـصلح الريمـي ووقـع الحـرب بينـه وبـين المجاهدين وكان مدير عتمة لديه فلما رأى أنه لاطاقة له بجنود الحق أظهـر الطاعـة ورهـن وسلك كُرهاً سبيل الجماعة، وسلم المدير إلى يد الشيخ الحسام. ثم إن الشيخ الحـسام أنتقـل إلى الربوع وكثرت لديه الجموع، وأطاعت جميع البلاد لما رأوا أنه لاطاعة لهم بآساد الجهاد، وكانوا نحو سبعين مائة. وأما الشيخ الجمالي فكان في هذه المدة في بني أسعد والـشيخ عزيـز بن عبدالله في مصفرات، وغزا في هذه المدة على القاضي حباشة كاتب مـدير جبـل الـشرق، فقتله ونهب جميع مافي بيته. فلما علم بذلك المدير هرب إلى عند العامري فغزاه الشيخ عزيـز وحاصر بيت العامري وتبعه الشيخ الجمالي من بني أسعد وأحاطوا عليهم وطابقوهم ووقع الحرب بينهم وقتل رجل من المجاهدين. وبعد وقع الصلح من طريق الفقيه صـالح الجبـى وخرج المدير والعامري بوجه الشيخ علي، وطلع المدير ضوران وبقي الشيخ الجمالي هنالـك في محل السعدي، وحصّلوا عُقال الناحية وعقروا ورهنوا. وبعد قدم الشيخ عزيز وصـحبته نحو تسعمائة إلى أسلع فطرح هنالك ولحقه الشيخ الجمالي وطلـب مـشايخ حمـير ونواحيهـا ورهنوا. وكان الفقيه أحمد السفياني من أعوان العجم فهرب إلى القارة فلحقه الـشيخ عزيـز وجماعة إلى القارة محل القضاء آل الغـشم وأخرجـه مـن عنـدهم لـيلاً وأوصـله إلى بعـض الطريق وقتله صبراً به.

حصار ضوران:

ثم إن الشيخ الجمالي «ق١١٢أ» ومن معه من المجاهدين شمروا الهمة لحـصار ضـوران. وكان مطرح المجاهدين إلى اللحج، وخرجت العجـم مـن ضـوران ووقـع هنالـك حـرب عظيم يوم وليلة، واستشهد من المجاهدين نحو سته ومثلهم قتل من أعوان العجـم، ومـن العجم كثير. ثم إن المجاهدين لم يروا اللحج ميـدان حـرب فـارتحلوا منهـا لـيلاً ورجعـوا

أسلع. وبعد ذلك وصل الشيخ يحيى العميسي إلى الشيخ الجمالي وطرح رهينة وجر[1] القوم. وكانت المطارح إلى النسمي[2] «وبيت الربح والى سار»[3] وخرجت العجم من ضوران ووقع الحرب في النسمي وبعد في بيت «الربح» ووقع حرب عظيم وقتل من العجم خلق وأسروا تسعة. ثم إن محمد نصيف قومندان عزم من ضوران إلى صنعاء ليلقى الرديف، وأخذ الرأي والحصار مستمر على ضوران من جميع الجهات. ثم إن الشيخ الجمالي بلغه أن ثمة خيَّالة في العدوية، فأرسل الشيخ الفخري عبدالله عبده راجح وصحبته نحو مائة وخمسين، فلما وصل العدوية ولم يلق أحداً كاتب أهل بلاد الروس، ففتحوا البلاد وأعلنوا بالجهاد، وكانت وقعة سامك وقد ذكرنا صفتها سابقاً ثم إن محمد نصيف لقي بالرديف إلى نقيل الشلل، واستجر منهم عصابة ودخل بهم من الفرش.

وقعة الفرش:

ولما وصل محمد نصيف الفرش تلقاه الشيخ المجاهد عمر عاطف ومن صحبته من المجاهدين، ووقع بينه وبين العجم حرب عظيم واستغار عليه جماعة من أصحاب الشيخ علي، ودام الحرب ثلاثة أيام وقتل من العجم قتلى كثير وأستُلبوا من البنادق، وعزم العجم من هنالك إلى ضوران، وكتب الشيخ الجمالي إلى صنوه الشيخ الحسام إلى بلاد عتمة بالمبادرة بمن معه من المجاهدين. فلما وصل إلى حضرة صنوه، أنفذه إلى قرية إحلال مدداً للشيخ عزيز، وبقي هنالك. وعزم الشيخ عزيز حضرة الشيخ الجمالي إلى أسلع. وبعد ذلك تقدمت العجم وكانت أول وقعة في الحرف، وقع هنالك حرب عظيم يومين وليلتين لحتى ضرب بالمدافع، ووقع في المجاهدين أكوان كثيرة، وقتل من العجم الكثير. ولما خُربت البيوت بالمدافع إنتقل المجاهدون إلى إحلال، وأحاطت العجم بالمجاهدين من يمين وشمال، ووقع حرب عظيم وقتل من العجم كثير حتى أخربوها بالمدافع وخرج المجاهدون منها بعد

---

(١) جَرْ: أي أخذ واشترى.

(٢) النسمي: قرية في عزلة هداد، ناحية ضوران، ذمار. (التعداد: ص٢٨١) .

(٣) هكذا وردت في الأصل بدون تنقيط.

الخراب ومصابرة الجهاد إلى حلة هداد، وتبعهم العجم ووقع الحرب هنالك يوم، وحصل في العجم قتل كثير، وخربت البيوت بالمدافع وإنتقل المجاهدون إلى أسلع وقبضوا بيت السفياني والمنظر، ولحقهم العجم ووقع الحرب في المنظر وفيه الشيخ عزيز، ودام الحرب يومين، وأصاب الشيخ عزيز جرح وإنتقل المجاهدون إلى هنالك إلى مخمر حضرة الشيخ الجمالي ومكث العجم في أسلع نصف شهر.

وقعة مطار:

وفي هذه المدة غزا الشيخ الحسام إلى مطار، قاصداً الغشيم وطرح في بيت العبل، تحت الحصن. وتقدم الشيخ عبدالله عبده والمجاهدون ووقع الحرب بينهم وبين غشيم، وأخذت القرى التي حول الحصن وغارات البلاد مع غشيم ووقع الحرب وقتل جماعة من أهل البلاد، واستشهد النقيب الأجل محمد علي السليف من رجال نهم، وكان من الصادقين. واستغارت عسكر العجم، وآل الأمر أن إنتقل المجاهدون وقد أسروا ابن الشيخ علي بن عبدالله غشيم، ورجع المجاهدون مخمر وبقوا هنالك مدة وتبعهم العجم، ووقع هنالك حرب عظيم. وكان الشيخ عبدالله بن علي راجح وصحبته جماعة قد انتقل إلى بيت الجبر وتقدمت العجم ووقع الحرب، واستغار الشيخ عبدالله عبده فلما خربت البيوت بالمدافع، إنتقل المجاهدون ليلاً إلى بيت معوضة وكانت:

وقعة بيت مَعُوضَة:

وصفتها أنه لما انتقل المجاهدون بيت معوضة، تبعهم العجم على جهة السرعة إلى بيت معوضة فوقع الحرب، «ق١١٢ب» وانهزمت العجم وقتل الضابط وسلب هو وغيره من العجم، وبعد ذلك صارت العجم يرمون البيوت بالمدافع حتى خربت، وخرج منها المجاهدون إلى عران، ووقع هنالك حرب عظيم وقتلوا من العجم قتولاً كثيرة، وسلبوهم البنادق وبعد رموا البيوت بالمدافع حتى خربت، فانتقل المجاهدون إلى اللفيق حضرة الشيخ الجمالي. وبعد هذه الوقايع وقع الرأي بأن يعزم الشيخ الجمالي والمجاهدون إلى بلاد

المغرب لتشتيت أفكار العجم، فلما وصل الشيخ الجمالي إلى طرف بلاد مغرب عنس، تلقاه أهل البلاد وفتحوا بيوتهم للجهاد، وكانوا قد رهنوا سابقاً، وصار المجاهدون يتنقلون في البلاد. ثم إن العجم تبعتهم من بلاد آنس وخرج جماعة من مدينة ذمار واجتمع الجميع إلى مغرب عنس.

وقعة جبلة:

وصفة ذلك أنها لما تجمعت العجم ارتاعت أهل بلاد المغرب لم يبق غير السيد الأجل الماجد أحمد (............)[1] الساكن في قرية جبلة، فاجتمع المجاهدون إليها، واجتمعت العجم عليها من كل جانب، واجتمعت العجم عليها من كل جانب، وصبر المجاهدون وصابروا واستشهدوا من المجاهدين عشرة، وتكوَّن القاضي المجاهد جمال الدين علي بن عبدالله الريمي أكوان كثيرة، كانت سبب وفاته رحمه، بعد أن نُقل إلى بلاد الحدا، وأما القتول من العجم فكثير. وبعد أن أخربت بالمدافع البيوت، خرج المجاهدون منها بعد أن أبلوا بلاءً حسناً، واستاهلوا عظيم المدح والثناء. وبعد ذلك عاد الشيخ الجمالي بمن معه من المجاهدين إلى جبل الشرق، ومازال يتنقل في القفار وتبعه العجم إلى براح ووقع هنالك حرب يسير، ورجعت العجم الجمعة وبقى الشيخ الجمالي في مجبن والشيخ محسن في نجد عانز.

وقعة قفر ذران:

وصفتها إن الشيخ عبدالله بن علي راجح كمن هو وجماعة من المجاهدين للعجم في قفر ذران حين نزولهم من ضوران، وعشَّروا بهم، ثم وقع الحرب بينهم إلى الظهر. وفي اليوم الثاني هجمت العجم على الشيخ عبدالله وجماعته إلى القفر المذكور، فانقسم المجاهدون فرقتين الشيخ عبدالله وجماعة في كولة، وكولة فيها جماعة من بني جبر، فقصد العجم الكولة

---

(١) غير واضح في الأصل.

التي فيها بنو جبر، فانهزموا ولحقهم العجم حتى صار الشيخ عبدالله ومن معه من خلف العجم فبادروا بالحرب وانهزمت العجم ودام الحرب من الصبح إلى الغروب.

وقعة نزاح:

وصفتها إن العجم نزلوا من خميس بني أسعد، قاصدين قرية نزاح فباشرهم أهل نزاح بالحرب، واستغار عليهم الشيخ عزيز بن عبدالله وصحبته جماعة من المجاهدين، ووقع الحرب من الصبح إلى الليل ورجعت العجم إلى مطارحهم وبعد ثمانية أيام كانت:

وقعة حصبان وجعيرة:

وصفتها أن العجم قصدوا حصبان وجعيرة، والتقاهم المجاهدون بالحرب ووقع الحرب هنالك يومين، وأخرب العجم بيت البوص وذلك في شهر الحجة سنة ١٦. ثم إن العجم لما أعياهم الشيخ الجمالي ومن معه من المجاهدين رجعوا إلى بني أسعد يتربصون الرأي الأيد(١).

وقعة خربة بني أسعد والخميس:

وصفة ذلك أن العجم قصدوا الشيخ عزيز ومن معه من المجاهدين إلى المواضع المذكورة ووقع الحرب بينهم وكان ذلك آخر الوقايع السابقة على مدة الصلح وبعد ذلك، إن العجم أرسلوا إلى الشيخ الجمالي بطلب الصلح من طريق قائمقام مناخة عبدالرشيد بيه، وطلبوا وصوله إليهم، فلم يثق بأمانهم بل أرسل إليهم الشيخ عزيز، فدخل مناخة وتم الصلح على تأمين الشيخ علي ومن يلوذ به. وجعلوا له ولمن يلوذ به معاشاً في كل شهر، واستمر ذلك إلى شهر رمضان ١٣١٨هـ(٢).

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

(٢) ١٣١٨هـ ١٩٠٠م.

وعاد الشيخ الجمالي إلى نشر رأية الجهاد وكما ذكرنا سابقاً «ق١١٣أ» واعتذر عما سبق من التفريط.

ذكر ماتجدد من الوقايع في البلاد الآنسيَّة وغيرها:

وذلك في سنة ١٣١٩هـ[1] وما بعدها.

وقعة المضياع:

في شهر جماد أول سنة ١٩هـ:

وصفة ذلك أن الشيخ الجمالي على المقداد ومن معه من المجاهدين، قصدوا المضياع بيت القامص، ومكثوا هنالك قدر خمسة أيام ثم قصدهم العجم، ووقع هنالك حرب عظيم واستدام الحرب سبعة أيام فكان المجاهدون كلما هجم عليهم العجم تلقوهم بالحرب حتى أثخنوهم بالقتل والجراحات، فتركوا الهجوم وصاروا يرمون القرية بالمدافع وحتى أخربوها وقتل من العجم في هذه الوقعة خلق كثير من جملتهم إثنان من كبارهم، واستشهد من المجاهدين جماعة منهم النقيب الأجل عايض سراج من بني جبر والنقيب الأجل علي بن محمد أبو راس والفقيه الأجل عبدالله بن علي الشامي. وقبل هذه الوقعة كانت:

غزوة كريفه:

وصفة ذلك إن الشيخ الجمالي أرسل الشيخ ناصر بن علي راجح وجماعة يتلقون الشيخ الشريفي ويأخذون مامعه من السياق الذي للعجم، فعزم بعض المجاهدين إلى السوق لشراء بعض محتاجات فقام عليهم من في السوق من الشوافع وصاحوا وأرادوا القبض عليهم، فانحازوا وقتلوا واحداً من أهل السوق ونُهب السوق بما فيه بسبب ذلك. ورجع المجاهدون إلى الشيخ الجمالي وهو في المضياع وبعد خروج المجاهدين من المضياع إنتقل الشيخ الجمالي بمن معه إلى أسلع، ليدبر عملاً ينفع. وبقي الشيخ المجاهد محمد بن علي

(١) ١٣١٩هـ ١٩٠١م.

القامص ومن معه نحو ثلاثين رجلاً حول المضياع لمشاغلة العجم حتى شدوا العجم راجعين إلى ضوران فلحقهم إلى رمع ووقع حرب عظيم وحصل قتل كثير في العجم وسلبوا منهم بنادق كثيرة وارتفعوا أعني العجم إلى ضوران وعزم الشيخ الجمالي بمن بقى معه الفرش.

صورة أبيات: جعلها الإمام عليه السلام في صدر مكتوب إلى بني راجح الشيخ الجمالي وذويه بعد هذه الوقايع.

هكذا فليكن بنا المعالي	واكتساب الجزاء من ذي الجلال
يابني راجح جزيتم عن الدين	جزاءً من رامه لايبالي
لايبالي إذا المساكن هُدت	والأماني عفت بضرب النصال
لايبالي إن قاسم الوحش قفراً	طالباً للعدو في كل حال
ولهذا جاء الإله بنصرٍ	خارقاً للعقول عند المقال

حادثة في يوم السبت ثاني محرم سنة ١٩هـ:

أحرقت سمسرة علي يحيى صاحب وعلان، وكان فيها ناس كثير وبغال وحمير والسبب في ذلك أن رجلاً من أصحاب الشيخ محمود بن محمد صاحب الدار البيضاء إن بينه وبين الشيخ المذكور خصام فتربع عند الفلاحي صاحب الحداء ثم مازال ينتهز الفرصة في إنزال الضرر بالشيخ محمود، ويتربص له حتى اذا لاحت الفرصة في الليلة المذكورة وبات الشيخ المذكور في السمسرة المذكورة لدى المدير السيد محمد فايع مدير بلاد سنحان وبلاد الروس وكان صحبته جماعة من عقال وعلان وضبطية وترك فأخذ الرجل المذكور قاز حما وباروت، وتغرر[1] وأظهر أنه حَبْ وأنه مشتاط[2] ودخل السمسرة المذكورة حتى إذا

(١) تغرر: تنكر. (عامية).

(٢) مُشْتَاطْ: مُشتري، يشتاط يشتري، شَاطَ بَاعَ. (عامية).

غفل الناس وناموا فرق الباروت في جميع أركان البيت. وفي وقت الفجر صاح بالمسافرين فجر يامسافرين أخرجوا وكرر عليهم فخرج منهم من خرج وبقى من بقى وأشعل الرجل الباروت فهلك جميع من في السمسرة، خمسة وثلاثون رجلاً وما فيها من بغال وأخذ الله بذلك الثأر للحاج المجاهد علي بن محمد الأكوع رحمه الله. فإنه تمالا «ق١١٣ب» عليه أهل أهل وعلان في شهر رمضان سنة ١٨هـ فقتلوه وأدخلوا[1] رأسه إلى حسين حلمي تقرباً إليه فأصابهم سيئات مامكروا، وهلك تحت هذا الحريق أكثر من (......)[2] على ذلك، ويقال إن ذلك وقع بمفاوضة الإمام عليه السلام، وأيقن أعوان العجم أن ذلك وقع بأمر الإمام عليه السلام لأخذ الثأر وعظم ذلك وشاع في الأقطار بأن الإمام أخذ بالثأر والأمر ماذكرنا.

وفي هذه المدة خرج من صنعاء نحو ثلاثين رجلاً من الترك وأعوانهم يخرجون قصاً[3] فسقط فوقهم جرف القص وهلكوا عن آخرهم.

غزوة الروضة:

وما تسبب ذلك من الوقايع في بلاد أرحب.

وصفة ذلك وسببه، أن العجم طلبوا عقال أرحب، فدخل بعضهم من كان يعتاد الدخول، وتأخر عن الدخول من انتمى إلى الإمام عليه السلام، فلما دخل أولئك الجهال، طلب منهم العجم أموراً منها أن يمنعوا أصحابهم عن قبول مقادمة الإمام والمصدقين عن قبض الزكاة، وأن يمنعوا المجاهدين منهم عن الجهاد، فخرجوا من عند العجم على تحصيل هذه الأطراف، ورفع الخلاف. فلما وصلوا إلى البلاد، فتحوا على أصحابهم ذلك المراد، وأرادوا أن يتفاوضوا، فأمر الدوشان أن يصيح بأن يخرجوا أصحاب الإمام ويبقى من عداهم للمفاوضة، فخرج الناس الذي في السوق جميعاً ولم يبق إلا عقال العجم نحو

---

(١) من هنا تواصل المخطوطة (ب) سرد أحداثها.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) القص: هو الجس.

الخمسة. وكان الوالي حسين حلمي قد هدر رجال أَرْحَبْ في كل قضاء، فقبض بنو الحارث منهم جماعة وأدخلوهم إلى العجم. وكان بين بني الحارث وأرحب ضغاين سابقة، فكان جميع ماذكرنا من الدواعي بأن توالى جماعة من رجال أرحب على غزو الروضة، ففاوضوا الإمام عليه السلام في ذلك فأذن لهم بشرط أن لاتقع النكاية إلا فيمن عاون العجم، وتعدى وظلم، فعزموا وصحبتهم السيد الجمالي علي بن علي السراجي فغزوا إلى الروضة ونهبوا بيت الفقيه حسين مطير وأعوان العجم، وقتل هنالك من أرحب رجلان، ووقع الحرب مدة حتى غارت العجم من صنعاء وحصل لهذه الغزوة عند العجم والعرب وقع عظيم، وحسبوا أنهم سكتوا عن العرب، بعدها تجاروا على أمور عظيمة فاجتمع من عسكر لعجم نحو ستين مائة، وطرحوا في بيت دغيش، ثم تقدموا بلاد أرحب فافتشلوا وما قصد قوم إلى ديارهم إلا ذلوا. فلما وصلوا بَوْسَانْ أخربوا بيت الشيخ محمد القرماني وجميع بوسان وبيوت الشيخ راجح بن حسين بن سنان حتى وصلوا إلى بيت الحباري، فطلبوا منهم محتاجات وكانوا قد أمنوهم، فلما إشتد عليهم الطلب قال رجل منهم يسمى النقيب منصور الحباري للشيخ شريان الحباري أنت أمنتنا والآن قد الكلام غيره، فقال له الآن قاتل فدخل بيته. وكان العجم بين البيوت فقتل منهم نحو ثلاثين رجلاً حتى قُتِلْ رماه بعض العجم إلى سطح بيته، وكان لايُحْتَجى. ثم إن الإمام عليه السلام أرسل الكتب إلى رجال أرحب يحثهم على الجهاد وأمدهم بالمونة والزاد، وكان قد إشتغل كل واحد بنقل أثقاله، ولم يبق إلا نحو خمسين رجلاً شمروا الهمة لمناجرة العجم، ولازالوا بذلك المجد والكرم. وطار إليهم أساطين الجهاد كالشيخ المجاهد أحمد بن أحمد مساعد والشيخ الجمالي علي ناصر الشاوش، وجماعة من رجال خارف، وكانوا قد تعاقدوا هم وإياهم على الجهاد قبل ذلك، فلم يف منهم إلا القليل. ثم لما وصل العجم بوسان كما ذكرنا آنفاً ومعهم ثمانية مدافع وأخربوا بوسان بعد أن تلقاهم الشيخ محمد القرماني وصحبته نحو خمسة وعشرين نفراً، فوقع حرب يسير «ق١١٤أ» ثم فر الشيخ محمد القرماني ومن معه. وبعد أن أخربوا بوسان إنتقلوا بيت ابن سنان وأخربوا بيت الشيخ راجح وما إليه من الشيعة، ثم انتقلوا إلى المَشَامِيْن[1] بلاد ذيبان وأحرقوا للمشامين ثلاث قرى. ولما وصل الشيخ المجاهد أحمد

---

(١) المشامين ذيبان والرجو من قرى ناحية أرحب محافظة صنعاء.

مساعد وصحبته نحو سبعين رجلاً من خارف وقعوا في الرجو، ووجدوا البلاد خالية حتى أنهم لم يجدوا من يصنع لهم الزاد، وكان أرحب جميعاً قد فروا بأثقالهم. فكاتبهم الشيخ أحمد فاجتمع إليه منهم نحو ستين رجلاً وعزموا الجميع لمناجزة أعداء الله في المشامين وبيت الشلخ فاتفقوا هم وأعداء الله هنالك ووقع الحرب هنالك من العصر إلى العشاء، وبات العجم في المشامين والمجاهدون قريب منهم ثم لما لم يجدوا من يصنع لهم زاداً انتقلوا إلى الرجو، وتبعهم في اليوم الثاني إلى الرجو فوصلوا هنالك بعد الظهر ووقع الحرب بينهم وبين المجاهدين من الظهر إلى العشاء في السواد والقاطع بين الرجو وناعط ووقع في العجم قتول وبات المجاهدون في بيت الجالد[1] والعجم في الرجو. ثم إن المجاهدين صاروا فرقتين، فرقة عزمت روضة شعب لتلقى السياق الخارج من صنعاء، وفرقة غزت العجم إلى الرجو فباتوا يرمونهم إلى الصباح، ولما بلغ العجم إن المجاهدين في باب روضة شعب رجعوا بيت مران[2] في يوم الأحد رابع جماد أول وقع الحرب. وصفة ذلك إن المجاهد قصدوا مابين الغنمي وبيت دفع[3] لتلقى الحمولة الخارجة من صنعاء، فوصل النذير إلى العجم إن المجاهدين قد قطعوا الطريق، فقصدوهم بالعسكر والخيالة، ونشأ الحرب بين بيت دفع والغنمي، فانهزم المجاهدون والعجم من يمنتهم ويسرتهم حتى وصل المجاهدين إلى المشامين حَدْ بني جرموز حتى سمعوا الحرب إلى الروضة. ورجعت العجم بيت مران والمجاهدون يرمون حتى طمس الليل، وبات العجم في وسط السواد. وقد وقع فيهم نحو ثلاثة مقاتيل وخمسة وعشرين مجروحاً، ورجعوا بيت مران والمجاهدون إنتقلوا إلى قرية خبة. وتقدمت عليهم العجم في يوم الخميس نصف جماد أول سنة ١٩هـ[4]، ووقع الحرب من الظهر إلى عشاء، وبات العجم في خبة والمجاهدون فر الرجو، وبيت الحدر. ويوم ثاني تقدمت العجم على بيت النقيب حمود أبو غانم في عيال عبدالله، فأحرقوا وأخذوا من البيت حبوباً بقدر مائة وخمسين قدحاً. ويوم السبت رجعوا من بيت النقيب حمود إلى الرجو والمجاهدون في إثرهم يرمونهم ويقتلون فيهم، وأخذوا من سلاحهم بندقين. وفي بعض

---

(١) بيت الجالد: قرية في عزلة الخميس، ناحية أرحب، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٥٨).

(٢) بيت مران: قرية في ناحية أرحب، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٦٢).

(٣) بيت دفع: من قرى عزلة الثلث ناحية أرحب، صنعاء. (التعداد: ص١٦٠).

(٤) ١٣١٩هـ ١٩٠١م.

هذه الوقعات وُجد الفقيه علي بن علي البكولي وكان مـن المجاهـدين ميتـاً ولـيس فيـه أثـر سلاح، ثم إن العجم باتوا في الرجو. وفي يـوم الأحـد ١٧ جمـادى إنتقلـوا إلى ظهـر حـسان وبقوا هنالك يومين، ثم إنتقلوا إلى بيت الغنمي وأتباع[1] لهم المجاهدون إلى شـعب دغـيش، فغرتهم العجم إلى هنالك ووقع حرب عظيم تكوَّن النقيب محمد بـن حـسين العـذري مـن المجاهدين وجحاف، وصار في العجم قتل ورجعت العجـم بعـد ذلـك بوسـان يفـسدون الزرع. وفي مدة نحو ثلاثة أسابيع انقطع السياق[2] من صنعاء، وكانوا عنـد خـروجهم مـن صنعاء قد طلبوا النقيب عبدالله بن عبدالوهاب بن سـنان مـديرهم والعميـثلي وابـن مـوار وابن المهدي وابن يحيى مفلح وشريان الحباري، وبَقّوْهم في صنعاء، فلما إنقطع على العسكر السياق أخرجوهم من صنعاء لإصلاح البلاد والطريق، فـسعوا في إصـلاح الـبلاد وسـاق بعضهم كفايات للعجم، فلما ظنوا «ق١١٤ب» أنهم قد أنكـو[3] بـلاد أرحـب، وصـل لهـم الأمر بالعزم إلى بلاد السود، وقد كانت أرجفت منهم بلاد خارف، وظنـوا أنهـم واصـلون إليهم فراسلوهم بالمصالحة وتسليم بعض كفايات. وقد كـان الإمـام عليـه الـسلام أرسـل الحاج الفاضل حزام بن ناشر الروحاني بمونة كثـير ودراهـم في كفايـة المجاهـدين، وحـث خارف وأرحب على الجهاد فبقى الحاج حزام مدة في هجرة الصيد ولم يتم له ذلك المقصد.

وقايع بلاد السود[4]:

والسبب الباعث للتجهيز من العجم، هو أن رجلاً من أهـل قريـة الخـدرة تخاصـم هـو وتركي فقتل التركي، وهرب إلى مقدمي السود السيد الهمام الفخري عبدالله بـن يحيـى أبـو منصر متجوراً إليه. فلما كان إلى هذه المدة في شهر ربيع آخر سنة ١٩ه نزل ابن بدر الدين من الخدرة يعمل في أملاكه في الشطين[5]، فرآه الرجل الذي قتل التركي فرماه فهـرب، وعـرَّفَ أهل الخدرة إلى المقدمي بذلك، فبذل لهم شرع الله هم وغريمهم الشارد الذي قتل التركـي،

(١) هكذا وردت.
(٢) السياق: الإمدادت والمؤن.
(٣) إِنْكَوْا: في اللهجة العامية يُنْكِيْ يؤلم، وقد تعني العقاب.
(٤) السود: ناحية من نواحي محافظة صنعاء.
(٥) الشطين. قرية في عزلة الرحبين، ناحية السود، محافظة صنعاء. (التعداد: ص١٩١).

فسوَّل الشيطان لأهل الخدرة الإعتداء على أهل السود. ومكان المقدمي قد رتب بيت العفاري، فتناوشوا الحرب وانهزم أهل الخدرة، فلحقهم المقدمي إلى أن أدخلهم الخدرة وقتل منهم ثمانية. وكان ابن بدر الدين قد رتب بيته في الشطين بعشرة أنفار، فبقوا هنالك حين إنكسر أهل الخدرة، ولما غار أهل الأكهوم، عرَّفوا المقدمي فأجاب عليهم أن يخرجوا الذي في الشطين، فوقع الحرب بينهم وقتل من الرتبة واحد واستسلم الباقون وخرجوا، وقبض المجاهدون بيت ابن بدر الدين وأَخَذَ منه نحو سبعمائة قدحاً طعاماً وأثاثاً، فدخل ابن بدر الدين إلى عند العجم ومازال يحثهم على الخروج على السود، فعند إن قضوا وطرهم من أرحب، قصدوا بلاد السود. فلما بلغ الإمام عليه السلام إن العجم قاصدون للسود حث الناس على الجهاد، وأمدهم بالمونة الكثيرة والزاد. وكان من ألطاف الله ان العجم تحيروا في الطريق نحو عشرة أيام، حتى اجتمع المجاهدون من وادعة، وآل عمار، وحاشد، وأرحب.

ثم لما كان يوم السبت ٧شهر رجب سنة ١٩ه، تقدم أعداء الله وكبيرهم فريق باشا من قرية دعان قاصدين بلاد السود، وهم أربعة وسبعون مائة وثمانية مدافع، وألف بغلة تحمل المونات والمدافع والأثقال، ولما وصلوا بلاد السود، وقد اعجبتهم كثرتهم متكبرين على الله بمدافعهم ومونتهم، وكان المقدمي السيد فخر الإسلام عبدالله بن يحيى أبو منصر قد رتب المجاهدين، وفرقهم في محلات الحرب، فجعل الشيخ طلقى بن سعيد وقبائله بني طلق، والشيخ مقبل حزام وقبايله بني هنان، والشيخ حسين بن سنان البدوي وأصحابه، وحسين سعد الصعتري وجماعة من أصحابه، هؤلاء وقع عنوتهم في قرن عفيف قبلي السود، والشيخ صالح بن يحيى المراني وجماعته، والشيخ محمد لطف الله عطيفه وقبائله بنو موهب، والشيخ محمد بن محسن منصور، والسيد عبدالله بن نبيه والشيخ أبو علي صاحب بلاد حنب وأصحابه هؤلاء الجميع وقعت عنوتهم في ساقعة، والمقدمي السيد الفخري والسادة الأجلاء بيت أبو منصر وقعت عنوتهم الناصرة والحاج مصلح بن ناصر داجي وقبائله بني عبد، والشيخ صالح بن حسين العماري من آل عمار، والشيخ محمد بن ساوه وجماعته من وادعة الشام، والشيخ مبخوت بن علي البوني وأصحابه، والشيخ يحيى بن أحمد القفيلي والشيخ دحان القفيلي وأصحابهما وقعت عنوتهم في قرية اليهود وفي السوق. وقدْر الذين في

قرن عفيف وساقعة نحو مائة نفر. ثم تقدمت العجم أولاً على قرن عفيف وساقعة، فنزل أعداء الله العجم من جبل الطليلي «ق١١٥أ» حتى قربوا من قرية الولي عشَّر فيهم المجاهدون، فانهزموا ثم هجموا المرة الثانية ورماهم المجاهدون، فانهزموا ثم هجموا المرة الثالثة حتى إختلطوا ووقع في العجم قتل كثير. وقتل من المجاهدين الشيخ صالح بن سعد الوادعي ودريم من الأقهوم الأعلى، وخرج المجاهدون من قرن عفيف وساقعه. وتقدم أعداء الله على الناصرة، وقرية اليهود والسوق، من غرب وعدن وشرق، ومرامهم الإحاطة بالمجاهدين، وهجم أعداء الله أولاً على قرية اليهود وفيها بنو عبد، وآل عمار ووادعة، والبوني، والقفيلي، حتى اختلطوا فيها وخرج منها المجاهدون، بعد أن ملأوا الطرقات والصوالح قتلاً من العجم. واستشهد من المجاهدين الشيخ المجاهد صالح بن حسين العماري وكان ممن أصدق الله في هذه الوقعة، والشيخ دائل بن أحمد البوني، وناجي بن علي العشة، وناصر مصلح الذومحي، والنقيب محسن بن منصر المزَّاني. ثم هجم أعداء الله العجم على من في الناصرة والسيد الفخري وأصحابه ومن انصاف إليهم من الذين خرجوا من العِنَوْ السابقة، فصار كلما هجمت عليهم العجم هزموهم وصارت العجم يرمونهم بالمدافع ولا تؤثر. وكان من عظيم لطف الله ونصره المؤمنين إنه لما كان بعد العصر في ذلك اليوم، وقد اشتدت على المجاهدين وأحاطت بهم العجم من كل جهة أن وصل الشيخ المجاهد أحمد بن أحمد مساعد، وجماعة من رؤساء خارف الشيخ سرحان بن يحيى المحجاني، والشيخ شعلان الجشمي وجماعة من رجال أرحب والشيخ محمد بن علي ردمان والشيخ قايد جعفر والشيخ محمد القرماني، وجماعة من أصحابهم قدر مائة نفر، ففتحوا الحرب على أعداء الله من ورائهم من غربي قرية اليهود، فانهزم أعداء الله من عند قصبة الشاحذي إلى أن وصلوا قرية اليهود، وبعد تظافر المجاهدون على العجم إلى قُرب العشاء، فلما رأى فريق باشا الهزيمة صاح للعسكر بالنفير بأن يوقفوا الحرب ويرجعوا المطرح، ثم اجتمع المجاهدون إلى الناصرة وتفاوضوا في تدبير الحرب، ورأوا أنه لم يبق في السود موضعاً للحرب فانتقلوا ليلاً إلى قرية قلد في بني طلق، فدخلوا ليلة الأحد ثامن رجب سنة ٩١ه. وفي يوم الإثنين تقدمت أعداء على بيت حارب، وقرية رحبة، فأخربوها تلك القرى، وناوشهم المجاهدون خارفي وبوني الحرب. وفي يوم الثلوث عاشر رجب تقدمت العجم

على المجاهدين إلى بني طلق، وكان المجاهدون قد تفرقوا في العِنَوْ فارحب ومن إليهم في حصن المعمر[1] ، والشيخ أحمد بن أحمد مساعد وصحبته ثمانية أنفار من خارف في سمع، وصحبتهم الشيخ محمد القرماني، والحاج مصلح داحي وجماعة آخرون، ووقف المقدمي السيد الفخري وبقية المجاهدين في حصن قلد، فثبت الله المجاهدين وأنزل النصر عليهم ولم يقدروا عليهم، وانهزمت العجم ووقع فيهم قتول كثير، وجرح من المجاهدين خمسة رجال من كبار المجاهدين، واستشهد واحد. ثم لمَّا (لم) [2] يقدروا على الإستفاضة على قَلَد هجموا على المعمر وفيه أرحب، فقدموا من تحت سمع حتى وصلوا الضلعة التي مابين قلد والمعمر، فرماهم المجاهدون من المعمر وقلد وسمع، فتحيَّر العجم في تلك الضلعة حتى وقع فيهم نحو ستين قتيلاً، وانهزم بعضهم وبعض تحيَّروا في الضلعة إلى الليل ثم احتمع أعداء الله وهجموا على قلد وقت المغرب حتى اختلطوا هم والمجاهدين، وخرج المجاهدون منه ودخلوا حصن الدامغ في المربظه. وصبح الربوع وجه أعداء الله المدافع على الحصن، ومازال الحرب عليه بالمدافع الثمانية إلى وقت المغرب.

وصبح الخميس ١٣ «ق١١٥ب» شهر رجب، تقدم أعداء الله على الحصن ووقع حرب عظيم وقتل من أعداء الله مقتلة عظيمة، واختلط الباروت إلى ثلث اليوم، وخرج المجاهدون، وبقى العجم في المربظة. وفي يوم الجمعة ١٣ رجب سنة ٩١٠هـ، شد أعداء الله من المربظة والحرب ورائهم إلى قلد، وباتوا هنالك إلى صبح السبت، ورجعوا السود والحرب من ورائهم إلى أن وصلوا السود، وبقوا هنالك خمسة أيام وقد نهكتهم الحرب، ورأوا أنه لامقام لهم في السود، فارتحلوا عنه المدافع والقراش ليلاً، ولحقهم العسكر، فلما ظهر للمجاهدين سفرهم، لحقوهم بالحرب إلى أن وصلوا الطبري من قرى عيال حاتم، في وسط جبل عيال يزيد، وتحقق القتل في العجم أثنى عشر قتيلاً وأربعين جريحاً.

فهذه صفة الوقايع الواقعة في بلاد السود، وما يليها حسبما تحقق بذلك شفاهاً السيد فخر الإسلام وغيره من الثقاف الكرام، وحدثني أيضاً السيد فخر الإسلام أنه حدثه من

---

(١) المعمر: من قرى همدان في نواحي صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٤، ص٧١٤) .

(٢) تم إضافة مابين القوسين ليستقيم المعنى.

وثق به إن عدة القتلى من العجم في هذه الوقايع ألف رجل من غير المجاريح فلا يحصون، واستشهد من المجاهدين أحد عشر رجلاً.

ومن الكرامات:الذي ينبغي تسطيرها، أن المشايخ الذين اعتنوا بإخراج العجم، وحرضوهم على الخروج إلى السود ومنوهم الأباطيل كمنصر بدر الدين وعايض السنحاني وغيرهم، لما استحر القتل في العسكر صاروا يخاطبونهم وحبسوهم، وأهانوهم وأدخلوهم عمران محبوسين. وكان جملة المونة التي رمى بها العجم وقر[1] خمسمائة بغلة فوق كل بغلة ألفين والمونة التي رمى بها المجاهدون من حضرة الإمام عليه السلام عشرون ألفاً، ومن حينئذ عز جانب الإمام عليه السلام عند العجم وأيسوا من الغلبة، وتعجبوا من كثرة مونة الإمام، لأنه قد وقر في عقولهم إنهم يخضعون لصاحب القوة وأن الأمور بالقهر والغلبة. حتى إن النصارى اذا غلبوهم على بلاد بقوةٍ لايقاتلوهم.

وقعة المضياع:

في جماد أول سنة ١٩هـ:

وصفة ذلك أن الشيخ الجمالي علي المقداد، وصل بمن صحبته من المجاهدين إلى محل المضياع بيت القامص، وبقوا هنالك نحو خمسة أيام، وبعد ذلك تقدمت عليهم العجم ووقع الحرب العظيم، ودام سبعة أيام، ووقع في العجم قتول كثيرة عند الهجوم على القرية، فلما كثر فيهم القتل، تركوا الهجوم، وصاروا يرمون القرية بالمدافع حتى خربت، واستشهد من المجاهدين النقيب عايض سراج، والنقيب علي بن محمد أبو راس، وكانا من أركان الجهاد، والفقيه عبدالله بن علي السلامي.

قلت وعلى الجملة فإنه قتل في المضياع جميع المتسببين لأخذ سوق كريفة، فإنه في هذه الوقعة وقع القتل في المستضعفين من أهل المنار وسماه[2] وغيرهم، فقتل ابن الفقيه أحمد علي عجيل، وكان من الأخيار، وقتل من عتمة من بيت الجبري ابن عبدالله حزام الجبري، ومن

---

(١) وقر: أي حمولة البغل أو الحمار.

(٢) سماه: مخلاف مشهور من ناحية عتمة، ينسب إليه القضاء بنو السماوي. (الحجري: المجموع، ج٣، ص٤٣١).

سائر الناس قدر خمسة عشر نفرا، وأُخذَ من السوق بما يزيد على عشرين ألف من الأموال، لاجرم إن الله عجل بعقوبة من فعل هذه الفعلة القبيحة، فقتل محمدشيبة صاحب القحصة، وكان من أعظم المتسببين فإنه قتل أربعة أنفار من الضعفاء، ودُفن أربع مرات في قبره كلما دفن لفظته الأرض وصار عبرةً للمعتبرين، ومعجزة من معجزات رب العالمين. فإن قصته مثل قصة محلم بن (.....)(1) فنسأل الله السلامة، وكان«ق116أ» قبل هذه الوقعة قد أرسل الشيخ الجمالي الشيخ ناصر بن علي راجح، وصحبته جماعة من العسكر يقطعوا الطريق على الكفايات الواصلة للعجم من الشريفي. وكان من الاتفاق أنه عزم بعض العسكر السوق، يجر محتاجات فقام إليه بعض الشوافع، وصاحوا في السوق فأحدقوا عليه، فقتل فيهم واشتغل الناس بنهب السوق، وفر العسكري سالماً، ثم بعد خروجهم من المضياع، عزم الشيخ الجمالي أسلع، ليدبر عملاً ينفع، وبقى الشيخ محمد بن علي القامص وصحبته نحو ثلاثين دايرين حول المضياع حتى شد منه العجم عازمين ضوران، فلحقهم الشيخ محمد بمن معه إلى رماع(2)، ووقع حرب عظيم وقتول كثيرة، وسُلب من العجم بنادق وجمال.

وفي نصف شهر رجب من هذه السنة طلعت القمر كاسفة.

وفي يوم الجمعة ١٩ شهر رجب المذكور، توفى السيد العلامة محمد بن قاسم الحوثي في برط(3) ودفن في الرضمة خارج مطرح العنان، ووصلت تعزيته إلى مقام الإمام عليه السلام

---

(1) بياض في المخطوطة (أ) وفي المخطوطة (ب) محلم بن قثامة.

(2) رماع: وادي مشهور من أودية اليمن التي تصب في البحر الأحمر، وهو فيما بين وادي زبيد ووادي سهام، وفاصل بين جبال وصاب، وجبال ريمة. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٧٠).

(3) السيد العلامة محمد بن قاسم الحوثي: تلقى علومه على يد عُلماء عصره منهم محمد بن إسماعيل عشيش وغيره. كان محققاً في الفقه والعربية وعلم الكلام، وعند قيام الإمام المتوكل المحسن بن أحمد الشهاري ١٢٧٢هـ كان أحد مناصريه ومسانديه، ودخل صنعاء نائباً عن الإمام وتكنى باسم سبف الخلافة، ثم تصدر للنيابة عن شيخ الإسلام وكانت له سيرة حسنة ولما خرج الأتراك إلى اليمن كان الحوثي ممن قام الوالي التركي مصطفى عاصم بحبسهم في سجن الحديدة. حتى سنة ١٢٩٧هـ. وبعد خروجه من السجن رحل إلى برط ودعا لنفسه، وعارض قيام الإمام الهادي شرف الدين وتلقب بالمهدي. وبعد ذلك عارض قيام الإمام المنصور محمد ورفض إعطاءه البيعة، وجرت بينهما مراسلات ومعارضات حرص الإمام المنصور محمد على الرد عليها وإقامة الحجة عليه. ولكنه في آخر الأمر ركن إلى الدعة والسكنية حتى وفاته ١٣١٩هـ-١٩٠١م. (زبارة: نزهة النظر، ص٥٧١).

وفي صدرها شعراً

عـــلام تلـــوم ياهـــذا عـــلى مـــا	وقـــد فقـــدت أحبتـــه الإمامـــا
فقـــد مـــات الـــذي يرجـــا مـــلاذا	ليهـــدي واضـــح الـــنهج الأنامـــا
ويقفـــوا أثـــر مـــن أحيـــا علومـــاً	ويرفـــع مـــذهب الزيـــدي إمامـــا
إمـــام الفـــضل أفـــضل مـــن تجـــلى	بحليـــة جـــده أعنـــى الهمامـــا
حليـــف الـــذكر مفخـــر آل طـــه	اذا عـــدت مفاخرهـــا تـــساما
حبيـــب الـــصالحين قريـــب وصـــل	فـــإن لم يـــرتض قـــال الـــسلاما
قفـــا إثـــر الـــذي بلـــو بغمـــضٍ	بفـــضلهم ومـــا بلغـــوا حرامـــا
ومـــاهو بالـــذي يـــشكو زمانـــا	لرتبتـــه وشـــيبته تعامـــا
عفـــا مـــن تعزيـــه وبقـــى بـــأرض	فهـــا هـــو قـــدوة الآل الكرامـــا
واختـــار الجـــوار إلى كـــريم	تعـــالى جـــده عـــن أن يـــضاما
جـــزاك الله عنَّـــا ياحميـــد	بخـــير جـــزاء مـــن أوفى الـــذماما
وبلـــل تربـــة حليـــت فيهـــا	برحمتـــه وقـــال ادخـــل ســـلاما

فأجاب الإمام عليه السلام:

مـــصاب يمنـــع الجفـــن المنامـــا	وخطـــبٌ عـــم مـــن صـــلى وصـــاما
أعـــاد لنـــا بيـــاض الـــصبح لـــيلاً	ويمحـــو بعـــده البـــدر التمامـــا
لمـــوت شـــهاب أهـــل البيـــت حقـــا	وشـــمس الفـــضل كهـــلاً أو غلامـــا
حليـــف العلـــم والتقـــوى إذا مـــا	طغـــى بحـــر الـــضلال صـــحا وظامـــا
ســـليل الطـــاهرين إلى المعـــالي	وخـــير النـــاس خلقـــاً وابتـــساما
فيالـــك حـــادث قـــد حـــل حتـــى	يكـــاد الخـــف أن يعلـــو الـــسناما
وأعظـــم وحـــشةٍ أنـــا وجـــدنا	بنـــاء الفـــضل ينهـــد انهـــداما
وأهـــل العلـــم والإيـــمان ظلـــوا	وقـــال العلـــم يـــا أســـفى عـــلى مـــا

وأهـل الجهـل قـد فاشـوا وطاشـوا وشـدوا للجهـالات الحزامـا
سأنـصر ماحييـت كتـاب ربي ومـن يأبـاه تعرضـه الحـساما
فـصبراً أيهـا الأولاد صـبراً عـسى أن تـدركوا منـه المرامـا
فكـل فتـى سـتدركه المنايـا ومـا تبقـى عـلى أحـدٍ ذمامـا
سـلام الله تغـشاه بخـيرٍ ورحمتـه تحـف بـه التزامـا

الحمد لله الذي هداه نعمةً وفضلاً، وسلب حكمه وعدلا، وجعل الموت تحفة الأبـرار، وزلفةً للجوار، والصلاة والسلام على من أختار الرفيق الأعلى، وعلى آله الفايزين من التطير بالقدح المعلا، وما صعد عمود الإيمان، بصبح فضلهم وتجلى، وبعد فإنه ورد إلينا ماشرقت «ق١١٦ب» منه الإجفان بالدموع، واتقدت نيران الغضا في أجنا الضلوع، وفات من ألقت عليه الإمام شعاعها، وتألقت عليه أجناس الفضائل وأنواعها، فياله من خطب عم المتمسكين بصاحب الرسالة، وخص شيعة الوصي وآله، ولم يسع غير الصبر والرضا لما حكم به الخالق وقضاه، والموت حكم شامل فمن راحل ليومه ومن مدعو لغده، ولم يمت من خَلَّفْ بعده أطواد العلم الشريف، وأنصار الدين الحنيف، وأقمار المذهب المنيف، فهو كالخالد وإن أصبح في الثرى، وكالمقيم بأهله وإن أضحى فر العراء، وفي الله عزاء من كل مصيبة ودركاً من كل هالك، فباالله فثقوا وأياه، فارجعوا فإن المصاب من حرم الثواب، اللهم أرزقنا الإستعداد لمثل يومه ولاتنسنا ذكره ولا تحرمنا أجره، ونوصيكم بالتعاون والتعاضد على إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف، والأشتغال بالعلم الشريف الراقي بصاحبه إلى الشأ والمنيف والسلام.

ثم صدَّر لهم الإمام عليه السلام بعشرين ريال معاونة، ومواساه، وحيث قد تعرضنا لوفاة هذا السيد الجليل الأوحد النبيل، اقتضى ذلك أن أذكر شيئاً من خبره، فأقول إن هذا السيد الأفضل ممن نشأ في طلب العلم في مدينة صنعاء حتى حصل على علماً نافعاً مع ورع وتقوى، ثم بعد أن بايع جماعة الشيعة للإمام الهادي شرف الدين بن محمد رحمه الله، طعن بعض الناس عليه في أمورٍ لاتُعد من المطاعن إلا مجرد هوى، فبايعوا السيد العلامة محمد بن

قاسم رحمه الله ولقبوه بالمهدي، ووقعت مخاصمات فيما بينه وبين الإمام الهادي وحرب يسير، وذلك من أثر علماء السوء، وإلا فالسيد العلامة محمد بن قاسم كان من أهل الورع فحَسَّنَ له علماء السوء مالاطاقة له به، ﴿فَالله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُون﴾[1] ثم لما قام الإمام المنصور بالله كاتبه من صعدة، بعد أن وصل إليه علماء صعدة وضحيان، وزعموا أن في ذمتهم بيعة للسيد محمد بن قاسم، فأرسلوا إليه فتنحى لما علم عدم القدرة والأنهضية. ثم مازال بعض علماء السوء بعد ذلك يكاتبونه، ويحرضونه على عدم النزول والتنحي إلى أن توفى رحمه الله تعالى، وقد كان توفى قبله بنحو عام ولده السيد العلامة إبراهيم بعد رجوعه من حج بيت الله الحرام، ومضى على حضرة الإمام عليه السلام عند عوده من الحج باذلاً لنفسه للمعاونة على الجهاد وفي سبيل الله، ثم عزم إلى برط، وتوفى بعد مرض طويل رحمه الله. هذا وقد خلف السيد العلامة محمد بن قاسم الحوثي، ولدين نجيبين من المشتغلين بالعلم والعمل، وهما السيد العلامة محمد بن محمد، والسيد العلامة يوسف بن محمد، أبقاهما الله وكثَّر في السادة من أمثالهما.

وقعة نوقة وبيت الحجري[2]:

وصفة ذلك أن الشيخ الجمالي[3] أمر الشيخ الفخري عبدالله عبده، بأن يعزم لجمع المجاهدين في قبلي الجهة الآنسية، وعزم الشيخ الحسام الجهة العدنية المنار وما إليه، وكان طريق الشيخ الفخري من بني أسعد، وبني خالد، فاجتمع إليه الحاج علي بن أحمد الجبر والسيد أحمد الفهد، والشيخ قايد بن صالح الهندي والشيخ عمر بن أحمد عاطف، والشيخ أحمد فارع السفياني والسيد حميد بن يحيى، ومن بيت العنسي جماعة، فكان من اجتمع معه قدر مائتين وعند أن جمع الله الشمل وصاروا على قلب واحد وعضد ساعد، عزم المجاهدون من بني سويد. وطلع العجم من الجمعة عقيب وصولهم هنالك من ضوران، فالتقى الجمعان في قاع مرح، وشعب عياض، على غير ميعاد وثبت الله أنصار الحق ووقع

---

(١) سورة البقرة، آية (١١٣).

(٢) بيت الحجري: قرية وعزلة في ناحية ضوران، محافظة ذمار. (التعداد: ص٢٥٦).

(٣) المقصود علي المقداد.

الحرب من وقت الظهر «ق١١٧أ» إلى العشية واختلطت الأبطال، وقراش العجم تحمل الأثقال من حمير وبغال، فلما أظلم هجمت المجاهدون على العجم وهبت رياح النصر، ونزل بأعداء الله البؤس والخذلان، فقطع منهم لمجاهدين الروس، وغنموا الغنايم من المونة والبنادق والسيوف، وصناجق ونحاس وذهب ومحاسن غريبة وجمال وبغال، واستشهد من المجاهدين السيد علي بن محمد المروني وآخر من بيت الجبر. وأما العجم فامتلت من قتلاهم البقاع وشبعت النسور والسباع، ولم ينج أعداء الله سواء الفرار والرجوع إلى ضوران، وكانت الوقعة يوم الربوع ٤ شهر القعدة سنة ١٩[1]، ولما وصل التحقيق إلى المقام أمر الإمام عليه السلام، بإيقاد النيران وضرب الطبول، وضربت في تلك الليلة في كل مكان، حتى وصل التنصير إلى بلاد حجور وبلاد خولان.

وقعة الضبرة في الجهة الآنسيَّة:

وصفتها إن المجاهدين كان مطرحهم في وينان، وخافوا من هجوم العجم من جهة الضبرة، فجعلوا فيها جماعة من المجاهدين فهجم العدو، وحال بينهم وبين الذين في الضبرة، وأحاطوا عليهم وظنوا أنهم قد صاروا في قبضتهم، وصاروا أعني العجم يلعبون ويظهرون إمارات السرور، وبقى المجاهدون محصوين يومين حتى أيس الناس منهم حتى إذا كان ليلة ١٣ شهر القعدة سنة ١٩هـ شمر الهمة الشيخ الحسام محسن المقداد، والشيخ الهمام عزيز بن عبدالله، وهتفوا بالمجاهدين الذين صحبتهم وهجموا على العجم المحاصرين لمن في الضبرة، فثبت الله المجاهدين وأنزل السكينة عليهم، وقتلوا في العجم قتولاً كثيرة، وسلبوا من أسلحتهم حتى وصل المجاهدون قرية الضبرة، فلما وصلوا أسفلها خرج المجاهدون المحصورين، وكان كل مجاهد يزود بلكاً[2] من عسكر العجم، وغنموا السلاح الكثير نحو اثنين وأربعين بندقاً وغير ذلك، واستشهد من المجاهدين المحصورين حال خروجهم من القرية جماعة، منهم القاضي الأجل المجاهد أحمد بن علي السلامي وصاحبه، ونحو ثمانية أنفار أكثرهم من عسكر المقام، وأما المجاريح فكثير وفي العجم قتلى لايحصون.

---

(١) سنة ١٣١٩هـ ١٩٠١م.

(٢) البلك: فرقة، سرية عسكرية. (تركية).

وهذه الوقعة من أجل الوقعات ولولا تشمير همة الشيخين لاستولى العجم على من في الضبرة.

كرامة للإمام عليه السلام: وفي هذه المدة وصل رسول من صنعاء يسمى الفقيه أحمد بن محمد المحنى، قاصداً لحضرة الإمام، وصحبته كسوة ومحتاجات للإمام عليه السلام، إشترى ذلك من صنعاء، فتلقاه جماعة من أهل ضحيان بنى نجاد، وأخذوا تلك الأعيان. وبعد ذلك حكى لنا جماعة أنهم أعنى بني نجاد، صاروا في أشد حال، وحصل معهم حاصل حتى ظنوه النكال، فكانوا يرقدون في أماكنهم ولا ينتبهون إلا وهم في الأسفال والبقر في أماكنهم. وحكوا أيضاً من أفواههم بأن القصبة التي جعلوا المنهوب فيها صارت تهترهم[1] طوال الليل، وأنهم مازالوا يسمعون شيئاً يركب فوقهم طول الليل، وأنهم مازالوا يسمعون شيئاً يركب فوقهم طول الليل، فما وسعهم إلا وصلوا إلى المقام الشريف بعقير ناقة وأرجعوا المأخوذ.

كرامة أخرى: في الشهر المذكور لما أستفاض العجم على قرية وينان،بعد أن خرج منها المجاهدون،مازالت العجم يجاهدون بالعصيان ويلعبون في الجامع،ويفعلون ما يغضب الرحمان.فلما كان في بعض الأيام سقط عليهم دارٌ فوق المسجد فأهلك جميع من في المسجد من العجم،وكانوا نحو الثمانين.

وفي هذه المدة شاع وذاع في بلاد خولان الشام ورازح وجُماعة[2] ،أن السيد حسن بن يحيى القاسمي[3] من سادة ضحيان الشام وأهله من هجرة فلله[4] ، يريد أن يشق عصا

---

(١) الكلمة غير معجمة في الأصل ولعلها من اللهجة العامية ولم أتوصل إلى معناها.

(٢) جُماعة: من قبائل خولان صعدة. (الحجري: المجموع،ج١،ص١٩١) .

(٣) السيد حسن بن يحيى القاسمي: ولد بهجرة ضحيان في صعدة سنة ١٢٨٠هـ تلقى علومه على يد علماء عصره منهم العلامه عبدالله بن أحمد المؤيدي اليحوي، والقاضي العلامة محمد بن عبدالله الغالبي.وصفه زبارة بقوله "كان علامة خضعت له أعناق التحقيق وعبادة تلحظ إليه التوفيق، نبراس المدارس في اليمن، محيي الشرائع والسنن، وله التصانيف الفاخرة الفائقة والآراء الصائبة". وقد اشتهر بالانصاف وعدم التعصب وقد ذكر زبارة بأنه عارض الإمام يحيى سنة ١٣٢٢هـ بعد وفاة المنصور محمد ودعا لنفسه بالإمامة وجرت بينهما حروب كبيرة. لكنه في نهاية المطاف استقر بوادي قُراض من باقم بعد أن خذله جميع من بايعه، وركن يعمل بالتدريس حتى توفاه الله سنة ١٣٤٣هـ. (زبارة: نزهة النظر، ص٢٤١) .

(٤) هجرة فَلَلَّة: هجرة عامرة مشهورة في أعلا وادي فَلَله من ناحية جُماعة، وتقع في الشمال الغربي من مدينة صعدة على بعد نحو ١٥ كيلومتر تقريباً أسسها هجرةً علي بن المؤيد. (الأكوع: هجر العلم، ج الثالث، ص١٦١٨) .

المسلمين ويعلن «ق١١٧ب» بالعصيان لأمير المؤمنين، وصار يكاتبه بعض مشايخ خولان ورازح لما ظهر في بلادهم أمر الله وهم كارهون، وانطمست معالم الطاغوت التي كانوا إليها يلتجون، وعليها يعولون، ونقض عليهم شيء من الزكاة، التي كانوا يستحلونها ولها يأكلون، فثقلت عليهم وطأة الحق وظهور الشريعة، فصاروا يطلبون منجا أو مغارات أو مدخلاً يولون إليه لعلهم إليه يجمحون. فلما بلغ الإمام عليه السلام ماشاع في تلك البلاد، وخاف من ثوران الفساد، كتب إلى سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي، بتدارك ذلك، وكتب إلى السيد حسن المذكور، يحذره من شب نار الفتنة، والدخول فيما لايجوز من الأمور، فأرسل إليه سيف الإسلام فوصل إليه إلى مدينة ساقين[1]، وأخذ سيف الإسلام ماعنده، فوجده ينقم على الإمام عليه السلام أموراً لاتوجب الإعتراض، فرأوا أن يكتب بذلك إلى حضرة الإمام عليه السلام، لينظر هل يكون منها مخرجاً ويجد عذراً، ومضمون الاعتراض مذكور في جواب الإمام عليه السلام، فلما وصل ذلك إلى الإمام أجاب بما صورته:

ألا أيها المولوع باللوم والعتب ... فهل جائزٌ لوم البريء من الذنب

وكيف يذم الزاد من هو آكلٌ ... وكيف يذم الماء ذو المورد العذب

أقمنا قناة الدين بعد اعوجاجها ... وصلنا بأمر الله في العجم والعرب

وقد كان دين الله ينهد ركنه ... وعم ارتكاب الظلم في الشرق والغرب

وقد كان أحياء القبايل كلها ... يدينون للطاغوت في السلم والحرب

وقد كان أعلاج الأعاجم أزمعُوا ... بأن يعملوا السادات بالخفض والنصب

فقابلهم منا بلاءٌ وشدةٌ ... وكان قراهم علقم الطعن والضرب

وأيدنا الرحمن بالنصر والرضى ... بحسن الرجا فانقادت الشم بالرعب

فأصبح شرع الله يزهو بعزةٍ ... وكم ظالم قد صار في مرحب الكلب

وكم فتن فيها الدماء تدفقت ... خمدنا لظاها بعد ماكان ذا لهب

---

(١) ساقين: قرية مشهورة في خولان صعدة فيها مركز ناحية خولان. وبها قبر الإمام يحيى بن المحسن بن محفوظ المتوفي في سنة ٦٣٦ (الحجري: المجموع، ج٣، ص٤١٠).

أحبتنــــا كنـــــا نؤمـــــل أنكــــم	على مادها الإسـلام عونـاً عـلى الـصعب
فهــذا مــن الأفــرنج في مــاقط الــوغى	وهذا مـن الأتـراك في عـارض الـسحب
وأنــــتم بــــوادٍ ناضــــب زرعــــه الخنــــا	وتفريـق أوصـال الجحاجحـة النجـب
فحـــسبكم هـــــذا التفـــاوت بيننـــا	ومــذهبنا الزيــدي يبكــي مــن النكــب
أحبتنـــا هـــــذي الإعانــــة مـــــنكم	عـلى نفـي إلحـاد الأعـاجم والعـرب
ولا تحـــــسبوا هــــذا التـــودد أنـــه	لعجــز فإنــا في ذرى شــامخ خــصب
لنـــا مقلــــة ترعـــى الـــوداد ومقلـــة	بسوط الردى تحمـي النعـاج عـن الـذئب
وحـسب المنـاوئ مـايلاقي مـن النـوى	وعبــدٌ بــدينارين خــالٍ عــن الكــسب

وأنه وصل الكتاب من الأولاد الكرام النجباء والفخام جعلهم الله عوناً للـدين وقـوَّاداً وسيوفاً على الملحدين وذواداً، ونحيي محياهم بالسلام الأسنى مثنى مثنى، إشتمل الأخبـار بما هم عليه من الاستقامة، والمشي في طريق السلامة، وأفاد أنه قدح في بأنكم شـكاة ظـاهر عنكم عارها، وسألتم عـن أشـياء لم تـشد إلـيكم أوتارهـا، لكنَّـا لانترفـع عـلى الأخـوان، ولانجعل خوضهم فيما لايصيبهم سبباً للإضغان، بـل نقـول إن الله كلفنـا بمطابقـة الـسنة والقرآن، واتباع السيرة النبوية التي ليس فوق شأنها شأن، ثـم سـيرة الأئمـة المحققـين مـن عترة ولد عدنان، وقد دل كلام الله على تفضيل من كثـرت فيـه وجـوه الإسـتحقاق حيـث يقول ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِـنَ الله وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (1) وحيـث يقـول ﴿ **لِلْفُقَـرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ الله لاَ يَسْتَطِيْعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ**﴾ (2) وهلموا أيهـا الإخـوان لرؤيتهم في المدن المجاورة للإمام، مع أنا لم نترك غيرهم من مـؤمني فقـراء الـيمن والـشام، ولايجهل ذلك إلا من لم يفرق بين الخف والسنام، وإن كان «ق118أ» داخلاً في القـوى ذي المرة السوى، [وقد منع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأنـصاري الـذي سـأله وقـال مافي بيتك شيء قال بلى حلس بلبس بعضه ويبسط بعضه، وقعب يشرب فيه، قال أئتني بهما

(1) سورة الحشر، آية رقم(8) .

(2) سورة البقرة، آية رقم (273) . وتمامها ﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيماهُمْ لايَسْئَلُونَ النَّـاسَ إلحَافاً وَمَاتُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فإنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ﴾ .

فلما أتاه بهما قال من يشتري هذين فشراهما رجل بدرهمين، فقال للأنصاري خذ هذا الدرهم واشتر به طعاماً وانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً وأتني به فأتاه به فشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه عوداً بيده ثم قال له اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً ففعل فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (هذا خيرٌ لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامةٍ)[1]. رواه أبو داود والبيهقي وأخرج الترمذي والنسائي قصة بيع القدح مع أنه ساءل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك أحاديث منع السؤال ممن يجد ما يعيشه ويغذيه، رواهما الحافظ والطبراني[2] في الأوسط، وفي الزوايد على المسند[3] وأبو داود[4] ، وابن حيان[5] وهرثمة. وهذا بيان بعض المستند، للتفضيل في علّية المعتمد، مع أن أكثر المجاهدين من الفقراء والمساكين. وأما ظلم بعض النواظر فما قدروا على إمضاء

(١) سنن أبي داود، الجزء الأول، ص٣٨١.

(٢) الطبراني: (٢٦٠٣٦٠هـ/ ٨٧٣٩٧١م) هوسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم من كبار المحدثين، أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته ولد بعكا، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة وتوفى بأصبهان، له ثلاثة معاجم في الحديث منها (المعجم الصغير) رتب فيه أسماء المشايخ على الحروف، وله كتب في (التفسير) (الاوائل) (دلائل النبوة) وغير ذلك الكثير. (الزركلي: الأعلام، ج٨، ص١٨١) .

(٣) الزويد على المسند: ويطلق عليه مجمع الزوايد في الحديث للهيثمي هو علي بن أبي بكر سليمان الهيثمي، أبو الحسن نور الدين، المصري، القاهري. (٧٣٥٨٠٧هـ/ ١٣٣٥١٤٠٥) حافظ له كتب وتخاريج في الحديث منها (مجمع الزوايد ومنبع الفوائدط) عشرة أجزاء. (وترتيب الثقات لابن حبانخ) و (تقريب البغية في ترتيب أحاديث الحليةخ) و (مجمع البحر في زوائد المعجمين) و (المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصليخ) و (زوائد ابن ماجة على الكتب الخمسةخ) و (موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان) و (غاية المقصد في زوائد أحمد) . (الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٧٣) .

(٤) أبو داود: (٢٠٢٢٧٥هـ٨١٧٨٨٩م) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أبو داود، إمام أهل الحديث في زمانه أصله من سجستان، رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة له (السنط) جزءان وهو من الكتب الستة، جمع فيه ٤٨٠٠ حديث انتخبها من ٥٠٠.٠٠٠ حديث وله (المراسيلخ) رسالة، و (تسمية الأخوة) رسالة، وللجلودي كتاب يسمى أخبار أبي داود. (الزركلي: الأعلام، ج الثالث، ص١٨٢) .

(٥) ابن حيان: (٣٧٧٣٦٩هـ/ ٩٨٧١٠٧٦م) هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، أو أبو مروان، مؤرخ بحاث من أهل قرطبة، كان صاحب لواء التاريخ في الأندلس أفصح الناس بالتكلم فيه، وأحسنهم تنسيقاً له، من كتبه (المقتبس في تاريخ الأندلس) ويقع في عشرة مجلدات، وله المبين في تاريخ الأندلس أكبر من المقتبس وكتاب في (تراجم الصحابة) وجد منه الجزء الثالث. (الزركلي: الأعلام، ج الثاني، ص٣٢٨) .

العدل وبينهم وبين الظلم مسافات دونها خرط القتاد، على أنا صرنا نوفّي على بلاد الشام من اليمن والسلام. وحرر تاريخه ٢٠ شهر ذي القعدة سنة ١٣١٩هـ[١] .

فلما وصل الجواب سقط ما في يد السيد حسن ورجع عن مقصده وتاب وعاد إلى وطنه ملازما لسكنه، والأعمال بالنيات، وعلى ذلك ترتب الثواب والعقاب.

وقعة هجرة ذي حود[٢] : في الجهة الآنسية

وصفته أن المجاهدين بعد خروجهم من محل الحبس تفرق أكثرهم للعيد، كما ذلك عادة العرب قريب وبعيد، ولم يبق غير الشيخ الجمالي علي المقداد ومعه ثمانون نفراً، فطرحوا في هجرة ذي حود فلما علم العجم بذلك لاحت لهم الفرصة وسروا ليلاً من وينان، وكان وصولهم إلى ذي حود يوم الخميس عاشر الحجة يوم عيدالأضحى، ووقع الحرب بينهم وبين المجاهدين إلى يوم الإثنين حرب شديد، وضربوا الاحتياط على القرية، ودخلوا بعض البيوت والمجاهدون يتنقلون من بيت إلى بيت حتى ظن العجم أنهم قادرون عليه، ثم خرجوا من القرية صبح الإثنين ووقع في العجم قتولاً كثيرة، المكثر يقول أربعمائة والمقل يقول ثلاث.

واستشهد من المجاهدين ثمانية عشر رجلاً من رؤساهم النقيب عبدالله بن أحمد صبر وغيره.

وقعة معبر[٣] :

وهي وقعة يحق لها أن تُذكر، وصفة ذلك أن الشيخ فخر الإسلام عبدالله بن

---

(١) ٢٠ شهر القعدة ١٣١٩ فبراير١٩٠١م.

(٢) هجرة ذي حود: هجرة عامرة معروفة من مخلاف المنار في آنس غرب مدينة ذمار بمساف ثلاثين كيلومتر. (الأكوع: هجر العلم، ج الثاني، ص٧٦٠) .

(٣) معبر: قرية بجهران مشهورة، ذمار وهي المقصودة. وهناك معبر: قرية في ماوية. والمعبر: قرية في خبان في يريم من قرى جبل عصام. والمعبر قرية في عزلة المقاطن من مخلاف بعدان. ومعبر في عزلة شعب يافع في مخلاف الشوافي في إب. (الحجري: المجموع، ج٤، ٧١٢) .

عبدالواسع راجح بعد خروجهم من الحبس رجع إلى بيته المحرا، فلما وصل هنالك كتب إليه الشيخ الجمالي من ذي حود أن الغارة الغارة، إن العجم نحو أربعة آلاف قاصدين إلينا، فبادر الشيخ الفخري بمن معه فلما وصل إلى بعض الطريق وصله خبر غير صحيح، أن الشيخ الجمالي ومن صحبته من المجاهدين قد خرجوا من ذي حود، ووصلت إليه العيون أن ثمة حمولة طلعت من اليمن صحبة جماعة من أعوان العجم، وعزم الشيخ الفخري بمن معه على غزو معبد فوصلوا هنالك وقت الأسفار، فنهبوا جميع مافي المحطة من الذهب والدراهم، وكان ذلك شيئاً كثيراً، وأخذوا اثنين وعشرين بغلة وغارت بلاد جهران مع العجم وقتل منهم ستة عشر رجلاً، ومن المجاهدين ثمانية. وتكوَّن الشيخ الفخري كون عسر، أخذت الرصاصة جميع لحيته الأسفل، وكان ذلك «ق١١٨ب» سبب وفاته رحمه الله، فإنه بقي بعد ذلك شهرين وتوفى رحمه الله. ثم إنه طار خبر هذه الوقعة في جميع البلاد، وأخافت العجم في الحاضر والباد.

هذه معظم حوادث سنة تسع عشرة، ومايلتحق بذلك الحوادث الواقعة في اليمن الأسفل:

وصفة ذلك أنه وصل إلى الحضرة الشريفة القاضي أحمد بن محمد العكام البرطي، والنقيب علي بن ناصر جزيلان المعروف بأبي حرب وجماعة صحبته، وطلبوا من الإمام حفظه الله أمراً في إنشاء الجهاد في اليمن الأسفل فجعل لهم الإمام ذلك واشترط عليهم أن لايتركوا الضرر إلا في أعداء الله وأعوانهم، وحذرهم عن الظلم والتعرض للضعفاء، فعزموا إلى هنالك ولما وصلوا إلى هنالك ثارت قبايل المشرق الذين كانوا قد استوطنوا اليمن الأسفل، فعاثوا في البلاد وصاروا يتعرضون للطرقات، وينهبون الضعفاء من الرَّعية ويتخطفون كل من ظفروا، حتى اشتعل اليمن ناراً، وسفكت الدماء. ونسبَ ذلك إلى أصحاب الإمام من لايعرف الحقيقة، ولايهتدي إلى طريقة. لاجرم أن ذلك وقع سبباً لإهانتهم إي العسكر وإجلاء أكثرهم عن بلاد اليمن، فطلعوا بنساهم وذراريهم إلى المشرق وبقي من بقي في ذلة وهوان، وذلك عقوبة التعدي والعصيان ووقعت في اليمن في غضون

ذلك وقايع فيما بين النقيب علي بن ناصر وجماعته وبين العجم حتى حاصروا مدينة إب، واضطربت اليمن اضطراباً كثيراً حتى أرجف الأفرنج في بندر عدن[1] . فعند ذلك كتب أمراء العجم من تعز وغيرها إلى صنعاء، فنزل محمد علي بيه ومعه عسكر يسير وانظم إليه من حبيش وغيرها من عسكر العجم، فلما علم بذلك أصحاب النقيب علي بن ناصر جزيلان، تركوا محاصرة إب وأرجفوا وكان مطرحهم عدني إب في العقبة. وقد كان حصل الإرجاف على أهل مدينة إب حتى بذلوا لهم مالاً ويتنقلون من المطرح المذكور. ثم إنه أرجف عليهم انتقلوا إلى جبل بعدان[2] إلى بيت المشايخ بني الوجيه، وتبعهم العجم على الأثر قبل أن يستعدوا، فوقع الحرب هنالك ثلاثة أيام، وحصل في الترك قتلى كثيرة، وخرج المجاهدون من بيت الوجيه ونهب العجم جميع مافيه من طعام وغيره، وتفرق الناس شذر مذر، ووصل جماعة من بني الوجيه منهم الشيخ عبدالله الوجيه إلى المقام الشريف ملتجيين ومستجرين بمولانا ذي القدر المنيف، وبقيوا هنالك مدة وعزموا من المقام وتلقاهم جماعة من شياطين الحداء، فقتل الشيخ عبدالله غدراً في سلاحه، وقُتل ابن عمه الشيخ ملهي بعد أن قتل رجلين منهم (....)[3] ثالثهم فهذا ماوقع.

وفي شهر القعدة سنة ١٩هـ ورد رجل بمكتوب مختوم إلى حضرة الإمام عليه السلام، وصحبته كتابان مطبوعان لابد اذكر ماتضمن بعد ومضمون الكتاب التنويه بمدح الإمام عليه السلام وأتباعه وإنه لم يبق غيرهم في البلاد الإسلامية محافظاً على القوانين الشرعيَّة، ذائباً في المحافظة على الشريعة المحمديَّة، وأشار إلى ضعف الإسلام، وأنه سمع بعض النصارى يقول الآن حان دفن القرآن، وسمع به آخر من النصارى يقول لاينحسم ضرر المسلمين، حتى تخرب قبلتهم، وينبش قبر نبيئهم، ثم أنه أورد في المكتوب نصايح كثيرة، ومنها أنه يحسن أن الإمام عليه السلام يجمع من المؤمنين الصادقين ألف رجل ممن الواحد يغلب عشرة، يكونون بطانة للإمام ونصرةٌ للإسلام، ومن النصايح إنه حث الإمام على

---

(١) بندر عدن: سميت بعدن بن سبأ بن يشجب من يعرب بن قحطان، وهي ميناء هام، احتلها البريطانيون سنة ١٨٣٩م، ويقال لها عدن أبين للتمييز بينها وبين عدن لاعة في حجة. (المقحفي: المعجم، ص٤٤٠) .

(٢) جبل بعدان: جبل مشهور مطل على مدينة إب شرقاً. (المقحفي: المعجم، ص٨٤) .

(٣) بياض في الأًصل.

جعل مكاتيب ورسايل إلى جميع أقطار الإسلام، وأنه يوضح لهم مايدعو إليه وما يعتقده أهل المذهب الشريف[1]، وليزول مايقوله العدو، وينسبه من الأقوال التي تَنَزَّهوا عنها، وحث أيضاً أن الإمام يشيع مؤلفات الأئمة من أهل البيت بالطبع، «ق١١٩أ» ليعرف الناس مذاهب الأئمة لأنهم صاروا يتكلمون بما ليس فيهم، وينسبون إليهم أشياء هم منزهون عنها. وذكر أن كُتب الشيخ الشوكاني أظهرها الطبع حتى شاعت وذاعت، والمذهب الشريف لعدم إنطباع كتبه خفيت أقواله ومحاسنه. ثم أشار أن الإمام عليه السلام إذا احتاج لمطبعة أرسل لها إلى محل عرفه. ثم قال في آخر المكتوب وصدر كتابان تدخلكم في الحكمة السياسيَّة، لأنكم عرفتم الحكمة العلمية ولم تعرفوا الحكمة السياسية، ثم طلب كتم المكتوب لأن خطه معلوم عند الفريقين. هذا مضمون الكتاب الواصل به رجل من طرف(....) [2] شيخ الضالع، ويذكر أنه أخرجه من عدن، وتاريخ المكتوب محرم سنة ١٩ه ولم يصل إلا في القعدة، وأما الكتابان الطابع فأحدهما مائتان واحد وعشرين صفحة بربع القطع، تضمن بعد البسملة والحمد له، أما بعد فأقول وأنا السيد الفراتي[3] إنه لما كان عهدنا هذا وهو أوائل القرن الرابع عشر عهداً عم فيه الخلل والضعف كافة المسلمين، وكان من سنة الله في خلقه أن جعل لكل شيء سبباً، ولابد لهذا الخلل الطارئ والضعف النازل من أسباب ظاهرية غير سر القدر الخفي عن البشر، فدعت الجهة بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب، للبحث عن أسباب ذلك ثم بدالي أن أسعى في توسيع هذا المسعى بعقد جمعية

(١) المذهب الشريف: المقصود هو المذهب الزيدي.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) السيد الفراتي: هو لقب اشتهر به الأديب عبدالرحمن الكواكبي. ولد في سنة ١٢٦٥هـ١٨٤٨م وتوفي ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، في حلب. تعلم اللغة العربية والفارسية والتركية والعلوم الدينية في المدرسة الكواكبية في حلب، خدم في الإدارة العثمانية، وامتهن الصحافة واضطر إلى ترك حلب بسبب إرهاب السلطان عبدالحميد، ولجأ إلى القاهرة، وتنقل في كثير من البلدان في العالم العربي والإسلامي. عمل محرراً في جريدة "الفرات" الرسمية التي كانت تصدرها الحكومة آنذاك باللغتين العربية والتركية، وأنشأ جريدة الشهباء وهي أول جريدة عربية صدرت في حلب ١٨٧٨م وفي ١٨٧٩م أنشأ جريدة أخرى سماها الاعتدال بالعربية والتركية، وعين عضواً فخرياً في لجنة المعارف ثم محرراً للمقاولات، وفي سنة ١٨٨٦م إستقال من وظائف الحكومة وفتح له مكتباً للمحاماه ولقب بأبي الفقراء، له كتابان الأول "طبائع الاستبداد" في نقد الحكومات الإسلامية، والثاني "أم القرى" في نقد الشعوب الإسلامية. (أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص٢٤٩، حنا فاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص٨٤) .

من سراة الإسلام على جهة الهداية، أعني مكة فعقدت العزيمة متوكلاً على الله إجراء سياحة مباركة لزيارة أُمهات البلاد البلاد العربية، لإستطلاع الأفكار، وتهيئة الاجتماع في موسم أداء فريضة الحج، فخرجت من وطني أجد مدن الفرات في أوائل محرم سنة ١٣١٦ وكلي ألسن تنشد:

دراك فمن (يدنف)(١) لعمري يدفن	وما نافع نوح متى قيل قد فنى
دراك فإن الدين قد زال عزه	وكان عزيزاً قبل ذا غير هيّن
فكان له أهل يوفون حقه	بهدي وتلقين وحسن تلقن
إلام وأهل العلم أحلاس بيتهم	أما صار فرضاً رأب هذا التوهن
هلموا إلى فصل التعاون إنه	بإهماله أثمٌ على كل مؤمن
هلموا إلى أم القرى وتآمَّروا	ولا تقنطوا من روح رب مهيمن
فإن الذي شادته الأسياف قبلكم	هو اليوم لا يحتاج إلا لألسن

وهذه الأبيات بعينها مكتوبة في صدرا المكتوب الوارد، ثم ذكر أنه سافر إلى اسكندرون، معرجاً على بيروت، فدمشق ثم يافا فالقدس ثم اسكندرية فمصر ثم من السويس إلى الحديدة فصنعاء، فعدن ومنها إلى عُمان فالكويت، ومنها إلى البصرة ومنها إلى حائل(٢) ثم إلى المدينة ثم إلى مكة، فوصلها في أوائل القعدة.

ثم ذكر الاجتماع الأول يوم الإثنين خامس عشر القعدة ١٣١٦(٣) ، في اليوم المذكور إنتظمت الجمعية للمرة الأولى وأعضاؤها إثنان وعشرون فاضلاً، ثم ذكر أعضاء الجمعية، وهم السيد الفراتي، والفاضل الشامي، البليغ القدسي، الكامل الأسكندري العلامة المصري، المحدث اليمني، الحافظ البصري، العالم النجدي المحقق المدني، الأستاذ المكي، الحكيم التونسي، المرشد الفارسي السعيد الإنكليزي، المولى الرومي، الرياضي الكردي، المجتهد التبريزي، العارف التاتاري، الخطيب القازاني، المدقق التركي، الفقيه الأفغاني،

(١) الكلمة معجمة ولم أتوصل إلى معناها.
(٢) حائل: موضع بين أرض اليمامة وبلاد باهلة، أرض واسعة قريبة من سوقة. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢١٠) .
(٣) ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م.

الصاحب الهندي، الشيخ السندي الإمام الصيني، ثم إن السيد الفراتي بادر الإخوان بكلمة شعار الأخوة وهو: ألا نعبد إلا الله على عهد الله بالجهاد والأمانة. ومن كان لايطيق العهد فليعتزلنا، فتسارعوا إلى عقد العهد واختار الفراتي للرياسة والأستاذ المكي. اختار نفسه لخدمة الكتابة تفادياً عن أتعاب غيره في الخدمة الذي يمكنه القيام بها. فأجمعوا على ذلك.

ثم إختطب الأستاذ الرئيس المكي فقال: الحمد لله عالم السر والنجوى الذي جمعنا على توحيده ودينه، وأمرنا بالتعاون على التقوى والصلاة والسلام على نبيئنا القائل «ق١١٩ب» (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) [١] وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله انتصاراً لدينه لم يشغلهم عن أعزاز الدين شاغل، وكان أمرهم شورى بينهم، يسعى بذمتهم أدناهم، اللهم إياك نعبد لانخضع لغيرك وإياك نستعين لانتظر نفعاً من سواك، ولاضراً، إهدنا الصراط المستقيم الذي لاخفّيات ولاثنيّات فيه، صراط الذين أنعمت عليهم بنعمة الهداية إلى التوحيد غير المغضوب عليهم بما أُشركوا ولاالضالين، بعدما إهتدوا، سبحانك آتنا من لدنك رحمةً وهيء لنا من أمرنا رشدا، ثم قال: وأقول أن مسألة تقهقر الإسلام ثبت ألف عام أو أكثر، وماحفظ عن هذا الدين المبين كل هذه القرون المتوالية إلا مثابة الأساس مع انحطاط الأمم السائرة عن المسلمين إلى أن فاقتنا بعض الأمم في العلوم والفنون فنشرت نفوذها على أكثر البلاد والعباد، ولم يزل المسلمون في سباتهم إلى أن استولى الشلل على كل أطراف جسم المملكة الإسلامية [٢]، وقرب الخطر من القلب، وهو جزيرة العرب فتنبهت أفكار من رزقهم الله بصيرة العواقب، ووفقهم لنيل أجر المجاهدين، فهبوا ينشرون المواعظ، والتذكرة والمباحث المنذرة، فكثر المنتهبون وتحركت الخواطر. ثم ذكر إن الأمور دائرة على أربعة مقاصد ثم ذكر المقاصد.

الأول بيان الحالة الحاضرة: والثاني بيان أن سبب الخلل النازل هو الجهل الشامل، والثالث إنذار الأئمة بسوء العاقبة، والرابع توجيه اللوم والتبعية على العلماء والأمراء. ثم ذكر الاجتماع الثاني يوم الربوع سابع عشر ذي القعدة سنة ١٦هـ، تضمن وصف داء الفتور وما منشأه حتى قال الحافظ الشامي: إني أرى منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الإعتقادية

(١) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

(٢) ربما كان المقصود هي الخلافة العثمانية.

مثل العقيدة الجبرية، ثم كان يذكر بعض كلام، ويقول مرحي بالراء المهملة والحاء المهملة والياء، قال في حاشيته مرحى كلمةتعجب تقولها العرب عند إصابة الرامي. ثم قال في أثناء كلامه، إذا تتبعنا كل ماورد حاثاً على الزهد نجده موجهاً إلى الترغيب بالأثرة العامّيَّة أي بتحويل المسلم ثمرة سعيه للمنفعة العمومية دون خصوص نفسه. ثم ذكر كلام المجتهد التبريزي إن سبب الفتور ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الاجتماع الثالث: يوم الخميس ثامن عشر شهر ذي القعدة، وفي ذلك الاجتماع الخوض فيما هو سبب الفتور، ثم ذكر في أثناء كلام الإمام الصيني أنه قال: أني أرى السبب الأكبر للفتور هو تكبر الأمراء، وميلهم للعلماء المتملقين المنافقين، الذين يتصاغرون لديهم ويحرفون أحكام الدين ليوفقوها على أهوائهم، وهذا داعياً صعب المداواة فلا شك إن هذا الزمان أفضل الجهاد في الله، الحط من قدر العلماء المنافقين عند العامة وتحويل وجهتهم.

الاجتماع الرابع: يوم السبت عشرين شهر القعدة: ذكر فيه كلام العالم النجدي،كلاماً طويلاً نفيساً أفاد فيه إن سبب الفتور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وارتكاب البدع من المتدينين.

الاجتماع الخامس: يوم الأحد والعشرين من ذي القعدة سنة ١٦: تضمن كلام السعيد الأنكليزي، وقوله إننا مسلمون حديثو عهد بالإسلام ولنا إشكالات مهمة يتعلق ببحث اليوم، أعني بطريقة الاستهداء من الكتاب والسنة لأن قد اهتدينا والحمد لله إلى الإسلامية متنقلين إليها من الطائفة الإنجبلية، لامن الطائفة التقليدية، فنميل طبعاً لاتباع الكتاب والسنة فقط، ولانثق بقول غير معصوم فيما ندين، وقد تركنا دين آبائنا لنتبع دين محمد نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، ولا نتبع الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي وان كانوا تقاة ناقلين، ولنا جمعية منتظمة، ونحن نسعى سعياً حثيثاً في الدعوة للدين السامي الإسلامي، وأكبر أملنا معقود لهداية فئتين الأولى البروستان، والثانية الزنادقة، أما البروستان[1] فلأنهم

(١) البروستان: البروتستانت اسم يطلق على كل فرق مسيحية تتناول كل المسيحيين ماعدا الكاثوليكيين والأرثوذكس الشرقيين. والبروتستانت هو المذهب الغالب في جميع البلدان الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية. (بطرس البستاني: دائرة المعارف، ج٥، ص٣٧٩) .

منقلبون من الطايفة التقليدية إنقلاباً ناشئاً عن ترجيحهم الإقتصار على الإنجيل، ومجموع الكتب المقدسة متوناً فقط أي بإهمال الشروح والتفسيرات التي لايوجد لها أصل صريح في الإنجيل وهم يزيدون على مائة مليون من النفوس كلهم منظورون على اليدين.

وأما الزنادقة فهم المارقون من النصرانية كلياً لعدم ملاءمتها للعقل وهم لايزيدون على مائة مليون، مستعدون لقبول ديانة معقولة حرة سمحاء، وكلما بعدوا من النصرانية نفوراً من تركها وخرافتها، تقربوا طبعاً من التوحيد والإسلامية، وحكمتها وسماحتها فبناء على هذه الحال نرى للجمعية أهمية لتحرير مسألة الإستهداء من الكتاب والسنة، وتصوير حكمه وسماحة الدين الإسلامي، فأرجوا حضرة الأستاذ الرئيس أن تستمتع إلى تفهّم مسألة الإستهداء على أسلوب المجاورة والمساجلة، مع بعض الإخوان في هذا المحفل. فأجابه الأستاذ ساجل من شئت. فقال السعيد الإنكليزي مخاطباً للعالم النجدي: إنك يامولاي قد صورت في مقدمة خطابك في التوحيد من هو المسلم، وألزمته العمل بالكتاب والسنة، فعرَّفني ماالكتاب والسنة.

فأجابه العالم النجدي: أما الكتاب فهو القرآن الذي وصل إلينا بطريق لايحتمل الشبهة فيه، لاجتماع الكلمة وإتفاق الأمة عليه، وتناقلها إياه جيلاً بعد جيل، حفظاً في الصدور، وضبطاً في السطور، مع الحرص العظيم على كيفية أدائه لفظاً، وعلى هيئة إملائه كتابةً ومع الإعتناء في تحقيق أسباب النزول ومكانه ووقته، ومع حفظ اللغة العربية، وبقاء القرآن محفوظاً من التحريف إلى الآن، هذا أحد وجوه إعجازه حيث جاء مُصدقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1] . وأما السنة بما عرفوها الأصوليون، ثم قال: وقد وصلتنا بكمال الضبط خصوصاً منها الكتب الستة.

قال السعيد الإنكليزي: لايشك أحد حتى العدو المعاند في أنه لم يبلغ ولن يبلغ أمة من الأمم شأو المسلمين في حفظ القرآن العظيم، وضبطهم التاريخ النبوي أي السنة، ولذلك كان تحرير الشريعة الإسلامية أحسن تحرير، فلا يوجد فيها ماوجد في غيرها، بسبب عدم

(١) سورة الحِجْر، آية رقم (٩) .

أصولها، فأرجوا أن يبين لي ماهو منشأ هذا التشتت الذي نراه في الأحكام فأجابه النجدي المرة ثانية بما مضمونه: إن الاختلاقات التي في الشريعة ليست كما تظن شاملة للأصول بل أصول الدين كلها، والبعض من الفروع مُتفق عليها، لأن لها في القرآن والسنة أحكاماً صريحة قطعية، أما الخلافات فهي في فروع تلك الأصول، وفي بعض الأحكام التي ليس لها في الكتاب والسنة نصوص صريحة، بل أخذ تلك الأحكام المجتهدون من نصوص الكتاب والسنة بالمدلول المحتمل، أو بالمفهوم أو بالاقتضاء، أو من قراين الحال أو قراين المقال، أو بالتوفيق أو بالتجرح، أو بالتفريع، أو بالقياس أو باتحاد العلة أو باتحاد النتيجة أو بالإستحسان. ثم إن أكثر الخلافات هي في مسائل المعاملات، وعلى كل حال جاحدها لايكفر باتفاق الأئمة بل المتخالفون لايفسق بعضهم بعضاً، اذا كان التخالف عن اجتهاد لاعن هوى نفس أو تقصير في التتبع. قال السعيد الإنكليزي: إني أشكك على ما أجملت وأوضحت «ق١٢٠ب» غير أنك لم تذكر في جملة أسباب الاختلاف في اعتبار الناسخ والمنسوخ بين آيتين أو حديثين أو آية وحديث، وإني أظن ذلك من أعظم أسباب الإختلاف في الأحكام. فأجابه: أن نواسخ الأحكام قليلة والخلاف فيها أقل لأن النسخ في زمن التشريع لم يحصل إلا عن حكمة ظاهرة كالدعوة في الأول للتوحيد والدين لمجرد الموعظة بدون جدال، ثم به بدون صدع، ثم به بدون قتال، ثم به في أهل جزيرة العرب فقط شرع الإسلام والسيف خاصاً بأهل جزيرة العرب، بقصد إحكام الوحدة السياسية في الوحدة الجنسية، لاكما يتوهم الطاعنون في الإسلام، انه لم يقم إلا بالسيف. إنتهى من الأم[١] .

ثم بتعميمه مع قبول الجزية والخراج من غيرهم. قال السعيد الإنكليزي: إن ماوصفت من أصول الاجتهاد وقوانين إستنباط الأحكام، قد انتج خلاف ما أمر الله به في قوله تعالى ﴿أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [٢] وخلاف ماتقتضيه الحكمة فهل من وسيلة سهلة لرفع هذا التفرق.

---

(١) هذه الفقرة كتبها الناسخ في حاشية الكتاب.

(٢) سورة الشورى، آية رقم (١٣) .

أجابه العالم النجدي: اني لااستطيع لذلك سبيلاً، ولعل في الأخوان من يتصور وسيلة لهذا الأمر المهم. [قال في الأم المطبوعة الأديان والمذاهب كلها مصابة بالإنشقاق لمنحنةٍ][1] .

قال العلامة المصري: رفع الخلاف غير ممكن مُطلقاً ولكن يمكن تخفيف تأثيراته، ثم ذكر كلاماً حتى قال فيه، بناءً على ذلك أرى لو أن فقهاء الأمة كما فرقوا مراتب الأحكام على المسائل، يفرقون المسائل على المراتب في فنون مخصوصة، فيعقدون لكل مذهب من المذاهب كتاباً في العبادات، ينقسم إلى أبواب وفصول، يذكر في كل منها الفروض والواجبات فقط، وينطوي ضمنها الشرايط والأركان، بحيث يقال إن هذه الأحكام في هذا المذاهب أقل ماتجوّز به العُبَّادْ. ثم كتاب آخر يذكر فيه السنن الذي ينبغي ضرب مراعاتها في أكثر الأوقات، ثم كتاباً ثالثاً يذكر فيه سنن الزوايد وعلى هذا النسق، يوضح كتاب للمنهيات تعد فيها المكفرات والكباير وكذا الصغاير والمكروهات، ومثل ذلك نقسم كتب المعاملات على طبقات من الأحكام الاجماعية والاجتهادية أو الاستحسانيَّة، فبمثل هذا الترتيب يسهل على كل من العامة أن يعرف ماهو مُكلف به في دينه، ولهذه الصورة تظهر سماحة الدين الحنيف.

ثم ذكر كلام المحدث اليمني فقال: قال المحدث إننا معاشر أهل اليمن، ومن بيننا من أهل الجزيرة، كما أننا لم نزل بعيدين عن الضياع والفنون، فكذلك لم نزل على مذهب السلف في الدين، بعيدين عن التفنن فيه ومسلكنا مسلك أهل الحديث، وأكثرنا يخرج الأحكام أصول اجتهاد الإمام زيد بن علي بن زين العابدين، أو أصول الإمام أحمد بن حنبل، وإني أذكر للإخوان حالتنا الاستهدائية، إن عسى الذكرى تنفع المؤمنين وعسى أن يعلم المسلمون ولاسيما الأتراك، ومن يحكمون إننا من أهل السنة لاكما يوهمون أو يتوهمون، فأقول إن المسلمين على ثلاثة مراتب، الطبقة الأولى العلماء، وهم كل من كان مُتصفاً بخمس صفات: الأولى أن يكون عارفاً باللغة العربية معرفة كفاية لفهم الخطاب لامعرفة إحاطة بالمفردات ومجازاتها، وبقواعد الصرف وشواذه، والنحو وتفصيلاته والبيان

(١) هذه الفقرة، أضافها الناسخ في حاشية الكتاب.

وخلافاته، والبديع وتكلفاته، مما لايتيسر إتقانه إلا لمن يفنى ثلثي عمره فيه، مع إنه لاطائل تحته ولا لزوم لأكثره، إلا لمن أراد الأدب.

الثاني: أن يكون قارئاً لكتاب الله قراءة فهم للمتبادر للمعاني من مفرداته وتراكيبه، مع الإطلاع على أسباب النزول، ومواقع الكلام وكتبها المدونة، المأخوذة من السنة والآثار، وتفاسير الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، أو تفاسير الصحابة، ومن المعلوم إن آية الأحكام لاتتجاوز المائة والخمسين.

الثالث: إن يكون متظلعاً في السنة النبوية المدونة على عهد التابعين وتابعيهم أو تابعي تابعيهم فقط بدون قيد بمائة ألف أو مائتي ألف حديث، فليكفي مالقي مالكاً «ق١٢١أ» في موطأة، وأحمد في مسنده، ومن المعلوم أن أحاديث الأحكام لاتتجاوز الألف وخمسمائة. (قال في الأم قد أحاط بها الإمام الشوكاني) [1] .

الرابعة: أن يكون واسع الأطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وأحوالهم من كُتب السيرة القديمة لأهل الحديث كالذهبي وابن كثير وابن جرير وابن قتيبة والزهري.

الخامسة: أن يكون صاحب عقل سليم نظري، لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعليميين والفلسفة اليونانية، وأبحاث الكلام وعقايد الحكماء، وتبرعات المعتزلة واغراءات الصوفية، وتشديدات الخوارج وتخريجات الفقهاء المتأخرين، وحسوبات الموسوسين، وتزويقات المُراهن، وتحريفات المتدينيين، فأهل هذه الطبقة لايقلدون أحداً إلا بعد الوقوف على دليل من يقلدون، فإذا وجد في المسألة قرآناً ناطقاً لايتحولون عنه إلى غيره، وإذا كان القرآن محتملاً لوجوه فالسنة قاضية عليه مفسرة له. ثم قال فإن يجدوه في كتاب الله أخذوه من صحيح سنة رسول الله ولايعدلون عن الحديث الصحيح إلى اجتهاد، ثم إذا لم يجدوا في المسألة حديثاَ يأخذون بإجماع علماء الصحابة، ثم بقول جماعة من الصحابة والتابعين، ولايتقيدون بقوم دون قوم، فإن وجدوا مسألة يستوي فيها قولان رجحوا أحدهما بمرجح يقوم في الفكر، لايتبعون فيه أصولاً موضوعة غير مشروعة أو طرقاً مقررة غير مرفوعة،

(١) هذه الفقرة أضافها الناسخ في حاشية الكتاب.

وأهل هذه الطبقة عندنا يُنَوِّرونَ أذهانهم بأصول إستدلالات الإمام زيد بن علي رضي الله عنه أو غيره من الأئمة في تخريجهم الأحكام، واستنباطها من النصوص، بدون تقييد بتقليد أحدهم خاصة دون غيره، لأنهم لايجوزون إتباع إمام اذا رأوا ماذهب إليه في المسألة بعيداً عن الصواب فلا يقلدون أحداً تقليداً مُطلقاً كأنه نبي مرسل.

الطبقة الثانية: هم القُراء وهم الذين يقرأون كتاب الله تعالى قراءة فهم بالإجمال، مع الإطلاع على جملة صالحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهولاء يستهدون في أصول الدين بأنفسهم لأنها مبنية غالباً على قرآن ناطق، أو سنة صريحة أو إجماع عام، وأما الفروع فيتبعون أحد العلماء الموثوق بهم عند المستهدي من الأقدمين أو لمعاصرين بدون إرتباط لمجتهد مخصوص، مع سماع الدليل والميل إلى قبوله كما كان عليه جمهور المسلمين قبل وجود التعصب للمذاهب.

الطبقة الثالثة: هم العامة وهؤلاء يهديهم العلماء مع بيان الدليل مصدر الإقناع، فالعلماء عندنا لايحسدون على أن يفتوا في مسألة مطلقاً مالم يذكروا معها دليلها من الكتاب والسنة والاجماع، ولو كان المستفتي أعجمياً لايفهم، والتزم علمائنا هذه الطريقة مبني على مقاصد مهمة، أعظمها تضيق دائرة الجرأة على الإفتاء بدون علم، وفي هذه التضييق توسعةً على المسلمين، وسدٌ لباب التشديد في الدين، والتشويق على القاصرين، ولهذه الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله في النكير على المتجاسرين على التعليل والتغريم والمستسلمين لمحض التقليد، فالعالِمْ عندنا لايأنف أن يقف عند لاأدري بل يحذر، ويخاف من غشى السائل وتعزيره، إذا أجابه بأن فلان المجتهد يقول: إن الله أحل كذا وحرم كذا، لأن السائل لايعلم مايعلم هو من أن هذا المجتهد الذي ليس بمعصوم، كثيراً مايخالف في قوله من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين. ومن أنه يتردد في رأيه وحكمه، كم أجتهد وكم رجع، ومن أن أكثر دلائله إما ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة أو ظنيهما، ومن أنه لم يدون ماقاله، ولكن نقله عنه الناقلون، وكم إختلفوا «ق١٢١ب» في الرواية عنه بين سلب وإيجاب، ونفي وإثبات، وكم زيف أصحابه اجتهاده، ورأوا غير مارآه، ومن أنه أي المجتهد، اجتهد لنفسه، وبلغ عذره عند ربه، وصرح بعدم جواز أن يتبعه أحد فيما إجتهد، وتبرأ من تبعة الخطأ. ثم ذكر

كلام الإمام مالك في التبري، وكلام أبي جنيفة والشافعي وأحمد، وسفيان الثوري لما مرض مرض الموت دعى بكتبه فغرقها جميعاً، وكلام أبي يوسف وزفر. ثم قال أيها الأخوان الكرام، قد أطلت المقال فاعذروني فإني من قوم ألفوا ذكر الدليل، وإن كان معروفاً مشهوراً. وقد ذكرتُ علماء العرب منوهاً بفضلها لابفضلهم على غيرهم كلا بل غالب علماء سائر الجهات، أَحدُ ذهناً وأَدَقُ نظراً، وأَغزرُ مادةً، وأوسع علماً، ولذلك لم تزل نحن في تعجب وحيرة، من نظر أولئك العلماء المتبحرين في أنفسهم العجز عن الإستهداء، وقولهم لسد باب الاجتهاد. نعم لم يبق في الإمكان أن يأتي الزمان بأمثال ابن عمر وابن عباس والنجفي وسفيان الثوري والشافعي، وعدد جملة من العلماء، ولكن متى كلف الله عباده بدين لايفقهه الا امثال هؤلاء النوابغ العظام، أليس أساس ديننا القرآن، وقد قال تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] . أما السنة أفلم تصل إلينا مجموعة مدونة بهمة أهل الحديث جزاهم الله خيراً، جابوا أقطار البلاد التي تفرق إليها الصحابة، فجمعوا متفرقاتها ودوَّنوها، وسهلوا الإحاطة بها، بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير أفراد من علماء الصحابة، الذين كانوا ملازمين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكذا أسباب النزول، ومواقع الخطاب، ومعاني الغريب في القرآن والسنة، فإن العلماء لم يألوا جهداً في ضبطها، وكذا الأئمة المجتهدون، والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاجتهاد، والإستنباط، والتخريج وقياس النظر على النظير، ثم إننا إذا أردنا أن ندقق النظر في مرتبة علم أولئك المجتهدين العظام، لانجد فيهم علما وهبياً أو كسبيا خارقاً للعادة، فهذا الإمام الشافعي وهو أغزرهم مادة، وأول وأعظم من وضع أصول الفقه، نجده قد أسس مذهبه على اللغة فقط من حيث المشترك، والمتباين والترادف والحقيقة والمجاز والإستعارة والكناية والشرط والجزاء، والإستثناء المتصل والمنقطع، والعطف المرتب وغير المرتب، والفوز والتراخي والحروف ومعانيها. وأتبع أبا حنيفة في إدخاله في أصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل دلالة المطابقة، والتضمن والإلتزام، ومعرفة الجنس والنوع والفصل والخاصة، والمقدمتين والنتيجة والقياس المنتج، وأتبعه أيضاً في قياس مالم يرد فيه قرآن أو حديث على ماورد، وهكذا فتح كل من أُلئك الأئمة لمن بعده ميداناً واسعاً. فجاء أتباعهم ومدوا الإطناب،

---

(١) سورة الزخرف، آية رقم(٣) .

وهذا التوسيع كله، ليس من ضروريات الدين بل ضرره أكثر من نفعه، وما أشبه الأمور الدينية، بالأمور المعاشية، كلما زاد التأنق فيها بقصد إستكمال أسباب الراحة، إنسلبت الراحة والقول الذي فيه فصل الخطاب، إن الله سبحانه وله الحكم لم يرض منا أن نتبع الأعلم الأفضل بل كلفنا بأن نستهدي من كتابه وسنة رسوله على حسب إمكاننا وطاقتنا.

الاجتماع السادس: يوم الإثنين ٢٢ شهر القعدة مضمون ذلك، إن الاستاذ الرئيس، خاطب الشيخ السندي، إنه لم يشاركهم في البحث وطلب منه ماعنده. فقال: الشيخ السندي مامضمونه، إنهم قد «ق١٢٢أ» أفادوا وأنه يجب أن يذكر لهم حالته، وأنه كان من خلفاء الطريقة النقشبندية[1] وأنه صار مرجعاً لعامة خلفاها في الأقاليم الشرقية والجنوبية في الهند، وحكى أنه لم يفكر قط في أن الذكر وقراءة الوِرْد على وجه راتب فيه مظنة البدعة والزيادة في الدين، ولأن المراقبة والإستفاضة والإستمداد من أرواح الأنبياء والصالحين فيها مظنة الشرك، إلى أن حضرت تلك الاجتماعات فسمع وقنع، وأقلع وعزم أن يتلطف في الأمر بالنصيحة والموعظة الحسنة، وعسى أن نوفق لهداية جماهير النقشبندية، وإلى تصحيح وجهنهم بأن يذروا الله قلباً ولساناً، بدون عدد مخصوص قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، بدون هيئة فرادى ومجتمعين بدون تداع، وأن يتركوا المراقبة ويستعوضوها بالدعاء بالغفران والرحمة، لكن من الشيخ بهاء الدين النقشبي مرشدهم الأعلى، وخليفته مرشدهم الأدنى، وقد فتح الله عليَّ ببركة جمعتنا هذه فَهْم أَسباب ميل المسلمين إلى التصوف صالحهم وفاسقهم، وهو أن الشافعية والحنفية قد ضيقوا على المسلمين العبادات تضييقاً، لايعلم إن الله يطلبه من عباده، وكثروا الأحكام في المعاملات تكثيراً ضيَّع الناس، وشوش الإفتاء والقضاء، حتى صار المسلم لايمكنه أن يصح معاملته وعبادته، فصارت الأمة في

---

(١) الطريقة النقشبندية: الشيخ خالد النقشبندي (١١٩٠١٢٤٢هـ/ ١٧٧٦١٨٢٧م) وتنسب إليه الطريقة . وهو خالد بن أحمد بن حسين أبو البهاء ضياء الدين النقشبندي المجددي، صوفي فاضل، ولد في قصبة قرة طاغ من بلاد شهرزور، والمشهور أنه من ذرية عثمان بن عفان وهاجر إلى بغداد في صباه، ورحل إلى الشام في أيام داود باشا. (والي العراق) وتوفي في دمشق بالطاعون. من كتبه (شرح مقامات الحريري) لم يتمه (شرح العقائد العضدية) ورسالة في (إثبات مسألة الإدارة الجزئية) و (جلاء الأكدار) ذكر فيه أسماء أهل بدر على حروف المعجم، وديوان فارسي، وجُمعت رسائله في كتاب سمي (بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد) . (الزركلي: الأعلام، الجزء الثاني، ص٣٣٤) .

ارتباك، وجعل المسلم لايكاد يمكنه أن يعتبر نفسه مُسلماً ناجياً، لتعذر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته على مايطلبه منه الفقهاء بناءً على ذلك أصبح الجمهور يعتقدون في أنفسهم التهاون إضطراراً، فيهون عليهم التهاون إختياراً كالغريف لايتحذر البلل. ثم ذكر أمثالاً من ذلك كثيرة، إلى أن قال حتى صفرة بقرة بني إسرائيل مثلاً لكيلا يعتقد خلافه، فيكفر فيحيط عمله وينفسخ نكاحه بناء على هذا التضييق، صار المسلم لايجد لنفسه فرجاً إلا بالالتجاء إلى الصوفية، الذين يهونون عليهم الدين كل التهوين، وهم القائلون: «إن العلم حجاب، وبلمحة تقع الصلحة وبنظرة من المرشد الكامل تصير الشقي ولياً وبنفخة في وجه المريد، أو تفله في فمه تطيعه الأفعى وتحترمه العقرب التي عن صاحب الغار»(١)، وهم المقررون بأن الولاية لاينافيها إرتكاب الكبائر كلها إلا الكذب، وأن الإعتقاد أولى من الإنتقاد، وأن الإعتراض يوجب الحرمان، أي تحسين الظن بالفُساق، أولى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى غير ذلك من الأقوال المهونة للدين، على أن الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين وإين هم؟ كفروا منهم فرارهم من الأُسْد، لأن ليس عند أؤلئك إلا التوسل بالأسباب الغادية الشاقة لتطهير النفوس من أمراض إفراط الشهوات، وتصفية القلوب من شوائب الشرة وحمل الطبايع بوسائل القهر والتمرن على الاستيناس بالله وبعبادته.

ثم كلام الأستاذ الرئيس مضمون ذلك: أن قد التنسك في المسلمين شيمة لأكثر الصحابة والتابعين، ثم إن التوسع في الدنيا قلل عدد المُتنسكين، وصار بعض المتفرعين يقصدون نوال هذه الجرأة بالتلبس بالتنسك.

ثم ذكر كلام الخطيب القازاني: إن الأخوان الأفاضل لم يتركوا مقاماً لقائل ولذلك لا أجد ما أتكلم فيه، وإنما أقص عليهم مساجلة جرت في الاستهداء بين مفتي قازان، وإفرنجي روسي من العلماء المتشرقين، وقد هداه الله إلى الدين المبين، فاجتمع بمفتي قازان وقال له: انه أسلم جديدا وهو بالغ في معرفة لغة القرآن والسنة مبلغاً كافياً، وعالم بموارد ومواقع الخطاب علماً وافياً، يريد أن يتبع القرآن وما يمكنه أن تحقق في وروده عن رسول

---

(١) هذه الفقرة معجمة ولذا فقد حاولت أن أتبين بعض كلماتها واستخراج معانيها من السياق.

الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيعملوا بما يفهم ويمكنه تحقيقه حسب «ق١٢٢ب» طاقته، لأنه لايرى وجهاً معقولاً للوقوف بزيداً أو بعمرو أصحاب الأقوال المتضاربة المتناقضة، لأن حكم العقل في الدليلين المتعارضين التساقط، وفي البراهين المتباينين التهاتر، فأجابه المفتي بما تضمنه: إن أكثرية الأمة مطبقة على لزوم إعتماد ماحرره المجتهدين الأربعة قاطباً، الأكثرية دليل على الصحة فلا يجوز الشذوذ، فقال المستشرق لو كان الصواب قائماً بالكثرة والقدم، وإن خالف المعقول ولا قتضى ذلك صوابية الوثنية ورجحان النصرانية، ولأقتضى كذلك خلاف ماصح وروده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن [أمته تفرق إلى ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدةٍ] [1] ولاهي التي هو وأصحابه عليها شك إن الأثنين والسبعين أكثر من أي واحدة كانت منها، فأين يبقى حكم الأكثرية. فأجابه المفتي إنه قد سبقنا من أهل التحقيق والتدقيق ألوف من الفضلاء وكلهم اعتمدوا لزوم إتباع أحد المذاهب، لأن مداركنا قاصرة عن أن توازن الدلائل، وتميز الصحيح والراجح، ثم مَثِّل ذلك بالطيب لايلزم أن يجرب طبايع المفردات، بل يأخذ علمه بطبايعها عما دونَّهَ أئمة الطب. فأجابه المستشرق نعم، إن الطبيب يعتمد على ماحققه الأولون، ولكن فيما إتفقوا عليه، وأماما ختلفوا فيه على طرفي نقيض نافي أو مسم فلا يعتمد فيه على أحد القولين، بل يهملهما ويجدر التجربة. ثم ذكر أن الأئمة المتقدمين لم يطلعوا على غيرما اطلع عليه المتأخرون. والحاصل إن الإنسان الذي يتقيد بتقليد أحد أولئك الأئمة، لايتخلص من قلق الضمير، أو يكون يخاطب الليل. أجابه المفتي نحن لانُختم بأن الصواب مقطوع فيه في جانب أحد تلك المذاهب، بل المُقلد منا يقول بإصابة الكل، أو يرجع الخطأ في جانب مَنْ ترك إحتمال الصواب. فقال المستشرق: هذا القول يستلزم تعدد الحق عند الله، والقول بالترجيح بلا مرجح لأنكم تتحامون المفاضلة بين الأئمة، واعترافكم باحتمال الجميع للخطأ يقتضي جواز تركتها كلها مع أنكم توجبون إتباع أحدها، فليست هذه قضايا لاتتطابق ولا تعقل؟ فلماذا وأنتم على هذا الإرتباك لاتجوزون للمبتلي أن يستهدي لنفسه؟ فإن تحقق عنده شيء عن يقين، أو غلبة ظن إتبعه، وإلا كان مُختاراً. وهل يكلف الله نفساً إلا وسعها، فأجابه المفتي: إنَّا لبُعد لعهد لم يبق في إمكاننا التحقيق فما لنا من سبل غير اتباع أحد

(١) سنن ابن ماجه، الجزء الثاني، ص١٣٢١، سنن الدارمي، المجلد الثاني، ص٢٤١.

المتقدمين، ولو كان تحقيقه يحتمل الخطأ. قال المستشرق ماالموجب لتكليف النفس مالم يكلفها الله، أليس من الحكمة أن يحفظ الإنسان حريته واختياره، فيستهدي لنفسه بنفسه، فإن أصاب كان مأجوراً وإن أخطأ كان معذوراً، ويكون ذلك أولى من أن يأسر نفسه للخطأ المحتمل من غيره. أجابه المفتي: إن هذا الغير أعرف بالصواب، وأقل منا خطاءً، فتقليده أقرب للحق. قال المستشرق: هذا مُسلم فيما اتفق عليه المتقدمون، أما في الخلافيات، فالعقل يقف عن الترجيح بلا مرجح، ولاسيما إذا كنتم لاتجوزون أيضاً البحث عن الدليل. أجابه المفتي: إننا إذا أردنا أن لانَعُدَّ من شرعنا إلا ما يتحقق بأنفسنا دليله من الكتاب أو السنة أو الاجماع، تضيق حينئذ علينا أحكام الشرع فلا يفي لحل إشكالاتنا في العبادات، ولا لتعيين أحكام حاجتنا في المعاملات، فيحتاج كل منا أن يعمل برأيه في غالب دقايق العبادات والمعاملات، ويصير القضاء غير مقيد بإيجابات شرعية، وهل من شك في أن إطراد الآراء وانتظام المعاملات، أليق بالحكمة من الأطراد وألاَّنظام. قال المستشرق: لاشك في ذلك ولكن أين الإطراط والإنتظام منكم، ولايكاد يوجد مسألة عندكم في العبادات أو المعاملات غير خلافيه، وربما يقال أن توفيق العمل على قول من إثنين أو أكثر أقرب للإطراد من الفوضى المحضة في تفويض الأمر رأي المبتلى، أو تفويض الحكم لحرية القاضي فيجاب عن ذلك، أن الأمر أمر ديني ليس لنا أن نتصرف «ق١٢٣أ» فيه برأينا ونعزوه إلى الله ورسوله كذباً وافتراءً، وافساداً لدين الله على عباده، ولو أن الأمر نظام وضعي لما كان أيضاً من الحكمة أن يلتزم أهل زماننا بآراء من سلفوا من عشرة قرون، وعند أن هذا التضييق قد إستلزم ماهو مشاهد عندكم من صعب حرمة الشرع المقدس، وأعيد قولي انكم تحبون أن تكلفوا أنفسكم بما لم يكلفكم الله به، ولو أن في الزيادة خير لاختارها الله لكم ولم يمنعكم منها، ولكن علم الله الخير في القَدْر الذي هداكم إليه، وترك لكم الخيار على وجه الإباحة في باقي شؤنكم لتوقفوها على مقتضيات الومان إلى الغير، وموجبات الأحوال التي تستقر. ثم قال أعلم أيها المفتي المحترم إن هذه الحالة التي يتم عليها من التشديد والتشويق في أمر الدين، هي أكبر أسباب إنحطاط المسلمين، كما إنحط قبلهم الإسرائيليون، أما الإسلامية هي أحكام القرآن، وما يثبت من السنة وما أجتمعت عليه الأمة في الصدر الأول، لايوجد فيها ما يأباه عقل، أو يناقضه تحقيق علمي، وكفى شرفاً

للقرآن العزيز أنه على إختلاف مواضيعه من توحيد، وتعليم وانذار وتبشير، وأوامر ونواه، وقصص قد مضى عليه أثنى عشر قرناً، لَمَحْضةِ أفكار الناقدين المعادين، ولم يظفروا فيه ولـو يتناقص واحد، بل الأمر كما تنبه إليه المدققون المتأخرون أنـه كلـما أكتـشف العلـم حقيقـة، وجدها البـاحثون مـسبوقة التلمـيح أو التـصريح في القـرآن، أودع الله فيـه ذلـك ليتجـدد إعجازه، ويتقوى الإيمان به إنه من عند الله لأن ليس من شأن مخلوق أن يقطع برأي لايبطله الزمان، فهذه القضايا التي قررها حكماء اليونان على أنها حقائق ولم تـرد فيهـا عقـول عامـة البشر ألوف سنين، أصبحت محكوماً على أكثرها بأنهـا خرافـات، وكـذا يقـال كفـى الـسنة النبوية شرفاً إنه لم يوجد في أعاظم الحكماء المتقدمين والمتأخرين من يربو عدد مـايعزي إليـه من الحكم التي قررها غير مسبوق بها عـلى عـدد الأصـابع. مـع أن في الـسنة النبويـة عـلى صاحبها أفضل التحية من الحكم والحقايق الأخلاقيـة والـشرعيَّة والـسياسية والتعليميـة، ألوف مقررات مبتكرة تتجلى عظم قدرها مع تجدد الزمان، وترقى العلم والعرفان، وكفـى بذلك ملزماً لأهل الإنصاف، بالإقرار والإعتراف لصاحبه أفضل الصلاة والسلام بـالنبوة والسلام بالنبوة والأفضلية عـلى العـالمين عقـلاً وحلـماً وحكمـة وحزمـاً وأخلاقـاً وزهـداً واقتداراً وعزماً ، وكفى أيضاً بهذه المزايا العظمى ملزماً بتصديقه لكل ماجاء به، لأن الدهر لم يأت بمرشد للبشر أكمل وأفضل منه. ثم قال المستشرق للمفتي: وهذا مادعاني للإسـلام والحمد لله، وعندي أنه لو قام في الإسلام سراة حكماء، دعاة مقدمون، لمـا بقـي عـلى وجـه الأرض عاقل يكفر بـالله ثـم قـال: وإني أرى إنـه لايمـضي قـرن الا ويكثـر المهتـدون مـن المستشرقين، ويرسخون في الدين فيقولون تحرير شريعة الإسلام، ويقبضون بها على الأنـام، ولايبعد أن تأتي الأيام، بالبرنس محمد المهتدي مثلاً قائماً مقام الإمـام معيـداً عـز الإسـلام. أجابه المفتي: لامانع ممـا ذكـرت ﴿**ذَلِـكَ فَـضْلُ الله يُؤْتِيـهِ مَـنْ يَـشَآءُ وَالله ذُو الفَـضْلِ العَظِيمِ**﴾ [1] ثم قال المستشرق لايطاوعني لساني أن أدعى الغـيرة عـلى الملـة البيـضاء أكثـر منك، إنما أناشدك بالله وبحبك لدينك، أن تترك هذه الأوهام التقليدية وتُعينني على تـأليف كتاب (....) [2] حكمة دين الإسلام وسماحته، ليكون سعينا هذا ذخراً عضيماً ننال به فخـراً

(١) سورة الحديد، آية رقم (٢١) .

(٢) بياض في الأصل، ونرجح كلمة "يتضمن".

وثواب إهداء عشرات من الناس لهذا الدين المبين، ولايكبرن على ما أقول على فكرك فإن أهل هذا الزمان المتنورين الأحرار، لايقاسون بأهل الأزمنة المظلمة الغابرة، نعم وننال أيضاً ثواب حفظ الملايين الكثيرة من أبناء المسلمين العريقين، تلامذة «ق١٢٣ب» المدارس العصرية من هجر الإسلامية على صورتها الحاضرة المشوهة باختلاط الحكم بالخرافات المعطلة، تثقل التشديدات المبتدعة. فالبدار البدار لأن يفوز بهذه الخدمة التي يعادل أجرها أجر نبي مرسل. أجابه المفتي: أصبت فيما افتكرت، ولنعم ما أشرت به ولكن هذا عمل مهم يحتاج القيام به لعناية جمعيّة يتكون من تضلع أعضائها في فروع العلوم الدينية علم كاف، للإحاطة وحصول الثقة. ولسوء الحظ لايوجد من فيهم الكفاية في هذه البلاد، ولذلك تحتم علينا أن نترك هذا الفكر آسفين، وندعو الله أن يلهم علماء مكة أو صنعاء أم مصر أو الشام، للقيام بايفاء هذا الواجب.

قال الخطيب القازاني: وقد سمعت المفتي يقول إنه اجتمع بكثير من المستشرقين، فوجدهم كلهم يحسنون العربية أكثر من علماء الإسلام العرب، وما ذلك إلا من ظفر مدارس اللغات الشرقية الافرنجية بأصول التعليم العربية أسهل من الأصول المعروفة عندنا.

قال المجتهد التبريزي: إني أرى فتنة الإسلام فتنتان عظيمتان، ولولا قوة أساسة البالغة فوق مايتصوره العقل، لما ثبت الدين إلى الآن. أما فتنة الأولى فقد مضت وهي حين تشاجروا في الخلافة والملك، وانقسموا على أنفسهم بأسهم بينهم يقتل بعضهم بعضا. وأما الفتنة الثانية فلم تزل مستمرة وهي أن الخلفاء العباسيين مالوا إلى تعميق النظر في العقايد، فخدمهم من خدمهم من علماء الأعجام تقرباً إليهم وأكثروا من القيل والقال، ثم سرت العدوى إلى المناظره في الفقه، وبيان الأولى من المذاهب، فاقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافيات بين أبي حنيفة، والشافعي، وأثاروا بينهما فتنة عمياء وحرباً صماء، وتركوا بقية المذاهب فاندرست ولم يبق سوى مذهب أحمد وزيد[1] في جزيرة العرب، ومذهب مالك في الغرب، ومذهب جعفر[2] في بلاد الجزر وفارس، فأكثروا التأليف والتصنيف في هذه

---

(١) زيد: هو المذهب الزيدي، فرقة من فرق الشيعة أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٢) مذهب جعفر: فرقة من الفرق الإمامية القائلون بإمامة أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق. (الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٦٥).

المذاهب، كل مولوع يحب أن يبدي ماعنده ليشهر فضله، وينال حظه من دنياه، زاعماً أن غرضه إستنباط دقايق الشرع، ويقرر علل المذاهب فتزاحموا وتخاذلوا، وناقض بعضهم بعضا. وكان من العلماء الصلحاء الغافلين فشاركوهم في الفتنة وهو لايشعرون، كما قال تعالى ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَتُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[1] وهكذا اتسعت دائرة الأحكام في الشرع، فصار الخلق عاجزين عن التقاط الفروع فضلاً عن الرجوع إلى الأصول، فاطمأنت الأمة إلى التقليد، وأقبل العلماء على التعمقات في الدين لغرب المفسر، ويتفنن ولو بحكاية قآصي الجن لأنه غير مطالب بدليل، ويتفحص المحدث عن نوادر الأخبار والآثار ولو موضوعة لأنه غير مسئول عن سنده، ويستنبط الفقيه الحُكْم ولو بالشبه من وجه لازم اللازم للعلة، لأن مجال التحلّم واسع. وهذه الفتنة لم تزل مستمرة إلى أن أوقفها قِصر الهمم عند الأكثرين، على أن هؤلاء المتأخرين أخلدوا إلى التقليد الصرف، حتى في مسألة التوحيد التي هي أساس الدين، ومسند الإيمان واليقين، والفارق بين الكفر والإسلام، وجعلوا أنفسهم كالعميان،وصاروا يحسنون الظن في كل مايجدون مدوناً بين دفتي كتاب، لأنهم رأوا التسليم أهون من التبعد، والتقليد أستر للجهل، وصار أهل أقليم أو بلد يتعصبون لمؤلفات شيوخهم الأقدمون، لايبالون بحمل أثقال الناس في الدين على عواتقهم، يزعمون أن التسليم أسلم وإن خالف ظاهر النص، وأن إختلاف الأئمة رحمة للأمة، نعم إختلاف الأئمة يكون رحمة أذا أُحسن إستعماله، ويكون نقمة إذا صار سبباً للتفرق والتباغض، كما هو الواقع بين أهل الجزيرة السلفيين[2] وبين أهل مصر والغرب والشام والترك المستسلمين، وبين أهل عراق العجم «ق١٢٤أ» وفارس، والصنف الممتاز من أهل الهند الشيعيين، وبين أهل زنجبار ومن حولهم من الأباضيين[3] . فهذه الفرق تعتقد كل منهم أنهم وحدهم أهل السنة والجماعة، وأن سواهم مبتدعون. وكذلك إختلاف المجتهدين في كل فرقةٍ من تلك الفرق، لايتصور العقل أن يكون رحمة إلا بقيد حسن إستعماله، وإلا فيكون نقمة. والمراد من حسن استعمال الخلاف هو أن كل قوم من المسلمين

---

(١) سورة البقرة، آية رقم (١١) .

(٢) السلفيين: نسبة إلى السلف، وفي الاصطلاح الفقهي السلفي هو من يرجع في الأحكام الشرعية إلى الكتاب والسنة ويهدر مادونهما. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٣، ص٤٣٨) .

(٣) الأباضيين: هم أصحاب المذهب الأباضي، وهي فرقة من فرق الخوارج. والأباضية أصحاب عبدالله أباض الذي خرج أيام مروان بن محمد. وهم عدة فرق: الحفصية، الحارثية، اليزيدية. (الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٣٤) .

قد اتبعوا مذهباً من المذاهب ترجيحاً أو تعصباً أو وراثة، ولابد أن يكون المذهب الآخذ بـه كل قوم (به) بعض الأحكام الاجتهادية التي لاتناسب أخلاق أولئـك القـوم، أولا يلايـم أحواله المعاشية أو طبايع بلادهم، فيضطرون إلى الإقدام على أحد أمرين إما التمسك بتلك الأحكام وإن أضرتهم، أو الجنوح إلى تقليد مذهب إجتهادي آخر في تلـك الأحكـام فقـط، وإن كان أكثر علماء المسلمين إلى القرن الثامن بل التاسع يختارون الشق الثـاني، فيقلـدون في هذه الحالة المذاهب الأخرى، ولكن بعد النظـر والتـدقيق في الأدلـة لـئلا يكونـوا مقلـدين تقليداً أعمى، لايجوزه الدين أساساً إلا للجاهل بالأدلة، وهذه الطريقة هي الطريقة المتبعـة إللا الآن في بلاد فارس، والعلماء المتصدرون لذلك هم أفراد من توابع العلماء المتضلعين في علوم مآخذ الدين، وأكثرهم لاسيما الإيرانيون منهم متفقهون، ومتخرجـون عـلى مـذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام المدون عندهم، ويطلق أهل فارس عـلى هـؤلاء العلـماء أنهم مجتهدون، تجوزاً واتباعاً لعادة الأعاجم في التغالي، والتبجيل ونعوت الإحـترام. ومـن ذلك تعلم أنه ما يظنه فيهم إخوانهم المسلمون غير الواقفين على أحوالهم إلا مـن تفوهـات السياسيين غير صحيح فماهم كما يقولون عنهم مجتهدون في أصول الدين، يجوزون الرأي في الاجتماعيات، مخرجون الأحكام آخذ من الدلائل الظنية، ثم اعترض على مانعي التلفيق في التقليد، لأن القياس إنه يجب على كل مسلم عاجز عن الإستهداء في مسلة دينيـة بنفـسه أن يسأل عنها من أهل الذكر أي يقلدونها مجتهد وعلى هذا الإعتبار ما المانع للمسلم المقلـد أن يتعلم كل مسألة من مجتهد، أو فقيه تابع لمجتهد فإذا اغتسل بـما دون القليـين بحفنـة قطـرة خمر، واعتبره طاهراً كما علَّمه عالم شافعي، بعد خروج دم قليل منه كـما علَّمـه عـالم حنـبلي، ووصل الفرض بصلاة أخرى كما علَّمه عالم جعفري، فهلاَّ يكون هـذا المقلـد صـلّ صـلاة صحيحة تجزيه عند الله بلى ثم بلى تجريه بالضرورة، حتى لايقوم دليل على أن ذلـك خـلاف الأولى. كما يقال في حق الخروج من الخلافات، لأنه لايعقل أن يُكلف هذا المقلد بأخذ دينـه كله من عالم واحد، لأن الصحابة رضي الله عنهم مع اجتهادهم وتخالفهم في الأحكـام كـان يصلي بعضهم خلف بعض، مع حكم المؤتم منهم على حسب إجتهاده، بعدم صـحة صـلاة إمامه، واشتراط صحة صلاة المأمون إستيفاء، وإنما أوردت هذا المقدار بقـصد بيـان جـواز التلفيق اذا كان عن غرض صحيح، ولاشك أن ضرورة التلفيق

أهم من الضرورة التي لأجلها جوّز الفقهاء الحيل الشرعية مع أنهـا وصـمة وعـار عـلى الشرع حيث لايعقل أن الشفعة مشروعة، ولكن يجوز التحيل لها إلى غير ذلـك مـن أبطـال

الشرع، بناءً عليه من الحكمة أن نلتمس للضرورات أحكاماً إجتهادية، فيأمر بها الإمام إن وجد، وإلا فالسلطان ليرتفع الخلاف فتعمى به الأمة، وبنحو ذلك يسلم شرعنا من التضارب والتلاعب، ويتخلص القضاء والإفتاء من التوفيق على الأهواء، وحينئذ يتحقق أن الخلاف في الفروع رحمة «١٢٤ب» أن يقاوموا فكر التعصب لمذهب دون الآخر، فيكون سعيهم مفتحاً للتأليف وجمع الكلمة في الأمة.

الاجتماع السابع: يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٦ وفيه مامعناه، إن هذا الفتور ناشئ عن أمور كثيرة، ثم قُسِّمَ ذلك ثلاثة أنواع، أسباب دينية، أسباب سياسية، أسباب أخلاية، ثم ذكر الأسباب التي استخرجها من مباحث الجمعية السابقة مرتبة على حروف المعجم، ثم ذكر موارد الخلل في السياسة والإدارة الخارجيتين في الدولة العثمانية، قال فقد جاءها أكثر الخلل في الستين سنة في الأخيرة، بعد أن اندفعت التنظيم أمورها فعطلت أصولها القديمة ولم تحسن التقليد ولا الإبداع، فتشتت حالها ولاسيما في العشرين سنة الأخيرة التي ضاع فيها ثلثا المملكة، وخرب الثلث الباقي، وأشرف على الضياع لفقد الرجال، وصرف حضرة السلطان قوة سلطنته كلها في سبيل حفظ ذاته الشريفة، وسبيل الإصدار على سياسة الإنفراد. وأما سائر الممالك والإمارات الإسلامية فلا تخلوا من بعض هذه الأصول، كما أن فيها أحوالاً أخر أضر وأمر يطول بيانها، ثم ذر الأسباب السياسية والإدارية العثمانية ثم ذكر منها عدم التطابق في الأخلاق بين الرعاة والرعية، فله شأن عظيم كما يظهر للتأمل المدقق في تواريخ الأمم، من أن أعاظم الملوك الموفقين كالأسكندر وصلاح الدين لم يفوزوا في تلك العظايم إلا بالعزايم الصادقة، مع مصادقة تطابقهم مع رعاياهم وجيوشهم في الأخلاق والمشارب تطابقاً تاماً، بحيث كانوا رؤساء حقاً لتلك الأجسام، لاكرأس على جسم ثور، وهذا التطابق وحده يجعل الأمة رأيها رأسها، فيتفانى دون حفظه ودون حكم نفسه بنفسها حيث لايكون لها في غير ذلك فلاح أبداً. كما قال الحكيم المتنبي:

وإنما الناس بالملوك وما   تفلح عرب ملوكها عجم

ومما لاخلاف فيه أن من أهم حكمة الحكومات أن تتخلق بخلق أخلاق من الرعية،

وتتحد معها في عوايدها ومشاربها ولو في العوايد الغير المستحسنة في ذاتها، ولاأقل مـن أن «تجانب هي الحكومة» [1] الأجنبية أخلاق الرعية ول تكلفاً وقتيا إلى أن تتوفق لإجتـذابهم إلى لغتها فأخلاقها فجنسها كما فعل الأمويون والعباسـيون، وكـما يهـتم بـه الـدول المـستعمرة الأفرنجية فلم يـشذ في هـذا البـاب غـير المغـول الأتـراك أي العثمانيـين، فـإنهم بـالعكس يفتخرون بمحافظتهم على غيرة رعاياهم، فلـم يـسعوا باسـتتراكهم كـما انهـم لم يقبلـوا أن يستعربوا، والمتأخرون منهم قبلوا أن يتفرنسوا. ولايعقل لذلك سبب غـير شـديد بعـضهم للعرب كما يستدل عليه من أقـوالهم التـي تجـرى عـلى ألـسنتهم مجـرى الأمثـال، والعـرب لايقابلوهم على كل ذلك سوى بكلمتـين ثـلاث خلقـن للجـور والفـساد القمـل والـترك الجراد، والكمة الثانية تسميتهم بالأروام كناية عن الريبـة في اسـلامهم، وسـبب الريبـة أن الأتراك، لم يخدموا الإسلامية بغير إقامة بعض جوامـع، لـولا حـط نفـوس ملوكهـا بـذكر اسمائهم على منابرها لم تقم، وإنهم أتوا الإسلام بالطاعة العمياء للكبراء.

وذكر من الأسباب السياسية تضييع حرمة الشرع، وقوة القوانين بالتزام عـدم اتباعهـا، وتنفيذها، والإصرار على أن يكون الإدارة نظامية إسماً، إراديّة فعلاً، وتعطيل أحكام الشرع كاف لجرف حرمته.

ثم ذكر الاجتماع الثامن: في يوم الخميس خامس وعـشرين مـن شـهر القعـدة سـنة ١٦ وذكر فيه كلام السيد الفراتي، أن من أعظم أسباب الفتور في المـسلمين غـرارتهم، أي عـدم معرفتهمكيف «١٢٥أ» يحصل إنتظام المعيشة والإرشاد إلى الحكمة في شـئون الحيـاة، ومـن أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولية والصبوة، ومن الغـرارة اللـوث في الأمور أي تركها بلا ترتب. والحكمة قاضية على كل إثنـان ولـو كـان زاهـداً منفـرداً في كهف جبل، فضلاً عن سايس رعية أو صاحب عايلة أن يتخذ له ترتيبـاً في شـئونه، وذلـك أولاً بأن يرتب أوقاته حسب أشغاله ويرتب أشغاله حسب أشغاله، والشغل الذي لايجد له وقتاً كافياً يهمله بالكلية أو يفوضه لمن يفى حق القيام به عنه.

ثانياً: يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه، فإن ضاق دخله من خرجه يغـير مـن

(١) في المخطوطة (أ) بياض، وتم إضافته من المخطوطة (ب) .

طرق معيشته، ولو بالتحول مثلاً من بلدة الغالية الأسعار والتـي مطهـره فيهـا يمنعـه مـن الإقتصاد، إلى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه.

ثالثاً: يرتب تقليل عايلته عند أول فرصة ملاحظاً إراحة نفسه مـن الكـد في دور العجـز من حياته، فيربي أولاده ذكوراً واناثاً على صورة أن كلاً مـنهم متـى بلـغ أشـده، يمكنـه أن يستغني عنه بنفسه، معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه.

رابعاً: يرتب أموره الأدبية على نسبة حالتها المادية، أعنى يرتـب أمـوره الدينيـة ولذاتـه الفكرية، وشهواته الجسمسة ترتيباً حسناً فلا يحمل نفسه منها مالا تطيق الإستمرار عليه.

خامساً: يترتب ميله الطبيعي للمجد والتعالي على حسب استعداده الحقيقي، فـلا يـترك نفسه تتطاول إلى مقامـات لـيس مـن شـأن قوتـه الماديـة أن يبلغهـا إلا بمحـض الحـظ أي الصدف، ثم قال: إن الخلل أخلاقنا سبب مهم أيضاً يتعلق بالنساء وهو تركهن على خلاف ماكان عليه أسلافنا حيث كان يوجد في نساءنا كـأم المـؤمنين عايـشة رضي الله عنهـا، التـي أخذنا عنها نصف علوم ديننا، وكمائة من الصحابيات والتابعيـات الـلاتي في وجـودهن في العهد الأول من دون إنكار حجة دافعة، ترغم أنف غيره الذين يزعمـون إن جهـل النـساء أحفظ لعفتهن، فضلاً عن أنه يقوم لهم برهان على مايتوهمون حتى يصح الحكم، بأن العلـم يدعو للفجور وان الجهل يدعو للعفة، نعم ربما كانت العالمة أقدر على الفجور مـن الجاهلـة أجسر عليه. ثم إن ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في أخلاق البنين والبنـات أمـر واضـح، وأما تأثيره على أخلاق الأزواج، فالرجال ميّالون بالطبع لزوجاتهم، والمرأة أقدر من الرجل في ميدان التجاذب للإخلاق، ولايتوهم عكس ذلك إلا من إستحكم فله تغرير زوجته لـه لأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لإرادته حال كون حقيقة الأمر أنها قابضة على زمامـه لـسوقه كيف شاءت، وما قدّر قّدْرَ دهاء النساء مثل الـشريعة الإسـلامية، حيـث أمـرت بالحجـب الشرعيين حصراً لسلطنتهن، وأمرت باسـتقرارهن في البيـوت، ولاشـك ان مـاوراء هـذه الحدود الافتح باب الفجور، وماهذا التحديد الا مرحمة للرجـال. والـصينيون وهـم أقـدم البشر، الزموا تصغير أرجل البنات بالضغط عليها، لأجل أن يعسر عليهن المشي والـسعي في افساد الحياة الـشريفة وقـد أمـرت الـشريعة برعايـة الكفـاءة في الـزوج، وأكثـر الأئمـة

المجتهدين أغفلوا لزوم تحري الكفاءة في المرأة للرجل أيضاً موجبات مهمة منها التخير لتربية النسل وللتساهل في ذلك دخل عظيم في إخلال الأخلاق في المدن لأن التزوج لمجهولات الأصول أو الأخلاق، أو بالغربيات جنساً أو الرقيقات مفاسد شتى لأن الرجل ينجر أو كرهاً لأخلاق زوجته فإن كانت سافلة ينسفل لامحالة، وإن كانت غريبة بغضته في أهله وقومه وجرنه «١٢٥ب» لموالاة قومها والتخلق بأخلاقهم ولاشك إن هذه المفسدة تستحكم في الأولاد أكثر من الأزواج.

ثم ذكر الاجتماع التاسع: يوم السبت سابع وعشرين ذي القعدة واستغرق ذلك الاجتماع قراءة قانون الجمعية. وكذلك جلسة الاجتماع العاشر، وجلسة الاجتماع الحادي عشر، ثم ذكر الاجتماع الثاني عشر يوم الإثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة، واشتمل الاجتماع لقراءة القانون الذي تقرر في الاجتماعات الثلاثة السابقة ثم ذكر متناً مجرداً وقال المقدمة قد تقرر في الجمعية المنعقدة بمكة المكرمة في ذي القعدة المسمى جمعية أم القرى النتائج الآتية:

١- المسلمون في حالة فتور مستحكم عام.

٢- يجب تدارك هذا الفتور سريعاً وإلا فتنحل عصبيتهم كلياً.

٣- سبب الفتور تهاون الحكماء ثم العلماء ثم الأمراء.

٤- جرثومة الداء الجهل الملق.

٥- أضر فروع الجهل الجهل في الدين.

ثم ذكر جمعية تعليم الموحدين[1] وقضيتها وشروطها وماليَّة الجمعية. ثم السيد الفراتي: أخبركم أيها السادة أني أخذت بالأمس رسالة من أخينا الأديب البيروني الذي لم يمكنه

---

(١) الموحدين: كان أنصار هذه الحركة لايستسيغون تسميتها بالوهابية ويرى أنصار الحركة أن معارضيهم هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم، والقصد في ذلك تنفير الناس من الدعوة أو اتهامهم بالدعوة إلى دين جديد أو مذهب جديد، لذلك يفضل أنصار الدعوة أن يسمحوا بالموحدين، وأن يطلق على حركتهم اسم الحركة السلفية. (إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي، ص٢٥١) .

القدر من موافاة الجمعية كما بينت ذلك قبلاً وهو يقرئكم السلام ويدعو (لكم) [1] وللجمعية بالتوفيق ويطلب أن أتلو عليكم قصيدة له يخاطب بها المسلمين فقال الاستاذ الرئيس وعليه السلام وأمر بقراءة القصيدة، فقرأت وأتيت منها بإشارة الإستاذ بعض الأبيات وهي:

أغيرتموا ياحيارى ما بأنفسكم ... فغيَّر الله عنكم سابغ النعم
الله لايهلك القرى إذا كفرت ... وأهلها مصلحون في شئونهم
ترك التأمر بالمعروف أورثكم ... ما حاق من نذر يا زلة القدم

إلى أن يقول:

يامؤمناً صححوا توحيد بارئكم ... من دون إشراك أحياء ولا رمم
ونقحوا الشرح من حشو ومخترع ... رجعي إلى دين أسلاف ذوي ذمم
خذوا بمحكم آيات منزلةٍ ... وسنةٍ جادتنا بأفصح الكلم
دعوا البدايع في الدين وإن حسنت ... ولايغرنكم تأويل محتكم
سماحة الدين في فكر وفي عملٍ ... خير من الإصر والأغلال والسقم
سماحة الدين منَّ الله خالقكم ... بها عليكم دعوا الكفران بالنعم
وحافظوا ملةً بيضاء ساطعة ... سمحاء جاءتكم بكل مغتنم
راقت فضائلها في كل فلسفةٍ ... قوامها حكمة تفضي إلى شمم

حتى يقول:

هذي وسيلتكم لاغيرها أبدا ... فاسعوا النهضتكم ياخير الأمم
في غير جامعة التوحيد لن تجدوا ... من جامع لكم لستم ذوي رحم
سياسة الدين أولى ما تأس به ... شتى الخلايق من عرب ومن عجم
فيها الحياة وفيها حفظ رايتكم ... خضراء سوداء حول الركن والحرم

---

(١) وردت في المخطوطة (كم) وتم تصحيحها إلى (لكم) لكي يستقيم المعنى.

ثم ذكر قرار الجمعية وأنه بعد البحث والتدقيق والنظر العميق في أحوال جميع المسلمين، وُجد أن لجزيرة العرب وأهلها بالنظر إلى السياسة الدينية مجموعة خصايص وخصال، لم يتوفر في غيرهم، بناءً عليه رأت الجمعية إن حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم لايقوم فيها مقامهم غيرهم وأن إنتظار ذلك من غيرهم عبث محض، وحيث كانت الجمعية لايعنيها أمر النهضة الدينية. بناءً رأت الجمعية من الضروري أن تربط آمالها بالجزيرة ونا يليها وأن تبسط لأنظار الأمة ماهي الخصايص للجزيرة وأهلها العرب عموماً فنقول الجزيرة:

١- هي مشرق النور الإسلامي.

٢- فيها الكعبة المعظمة.

٣- فيها المسجد النبوي.

٤- أنسب المواقع أن يكون مركز السياسة الدينية لتوسطها بين أقصى آسيا شرقاً أفريقيه غرباً.

٥- أسلم الأقاليم من الأخلاط جنسياً وأديانا ومذاهب.

٦- أبعد الأقاليم من مجاورة الأجانب.

٧- أفضل الأراضي أن تكون ديار أحرار لبعدها عن الطامعين والمزاحمين نظراً لفقرها الطبيعي.

٨- أسلم مؤسسوا الجامعة الإسلامية لظهور الدين.

٩- أنه مستحكم فيهم التخلق بالدين لأنهم مناسباً لطبيعتهم الأهليَّة أكثر من مناسبته لغيرهم.

١٠- وهم أعلم المسلمين بقواعد الدين، لأنهم أعرقهم فيه ومشهود لهم بأحاديث كثيرة ولمتانة الأيمان.

١١- وهم أكثر المسلمين حرصاً على حفظ الدين وتأييده والفخار به، والعصبية النبوية لم تزل قايمة بين أظهرهم في الحجاز واليمن وعُمان وحضرموت والعراق وأفريقيا.

١٢- وهم أقوى المسلمين عصبية وأشدهم أنفة لما فيهم من خصايص البدوية.

١٣- وأمرأؤهم جامعون بين شرف الآباء والأمهات والزوجات فلم يختل عزهم.

١٤- وهم أقدر المسلمين على تحمل قشف المعيشة في سبيل مقاصدهم وأنشطهم على التغرب والسياحات لبعدهم عن الترف المذل لأهله.

١٥- وهم أخربوا الإمم الإسلامية على الحرية وإباة الضيم. وهذا سبب عدم (رضو[1] أهل اليمن ومن يليهم للعثامنيين، ولغتهم أعنى العرب عموماً أغنى لغات المسلمين في المعارف ومصونة بالقرآن العظيم من أن يموت.

١٦- والعرب لغتهم هي اللغة العمومية بين كافة المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠ مليون ولغتهم اللغة الخصوصية لمائة مليون من المسلمين وغير المسلمين وهم أقدم الأمم اتباعاً لأصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية.

١٧- والعرب من أحرص الأمم على احتراك عهود عزةً واحترام الذّمة إنسانيةً واحترام الجوار شهامةً وبذل المعروف مروةً.

فهذه هي الأسباب التي جعلت حمية أم القرى أن تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية، نسأل الله أن يوفق ملوك المسلمين وأمرائهم للتصلب في الدين، وللحزم والعزم عساهم يحفظوا عزهم وسلطانهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأن يحميهم من التعصب السيء للسياسات والجنسيات ومن الكبر والأنفة ومن التخاذل والإنقسام، ومن الأنقياد إلى وساس الأجانب الأضداد وإلا فينالهم الخطر القريب المحدق بهم، وتتخاطفهم النسور المحلقة سمائهم، والله الموفق وإليه ترجع الأمور. وهكذا تمت الاجتماعات، وختمت المذكرات وأرفض الجمع على وعد التلاقي في ثالث عشر ذي الحجة بعد بدء أداء المناسك.

لاحقة: يقول السيد الفراتي إن بعد تفرق الجمعية بنحو شهرين، ورد إليَّ من الصاحب الهندي كتاب، يذكر فيه أنه بعد مفارقة مكة المكرمة اجتمع بأمير جليل من أعاظم نبلاء الأمة، ورجال السياسة فاستطلع رأي الأمير في خصوص النهضة الإسلامية، ثم ذكر

(١) تم إضافة مابين المعكوفين ليستقم المعنى.

سرور الأمير بعد إطلاعه على جمعية أم القرى، وأنه طال ماكان يتمنى ذلك، وأنه قال أعظم إعجازي هو في هذا الرجل الملقب السيد الفراتي، كيف إهتدى في رحلة قصيرة لإنتخاب هؤلاء الأعضاء الأجلاء. قال الصاحب: إن استفيد من ملاي الأمير وجوه إعجابه بهذه الجمعية، لأصحح رأيي في بعض إنتقادات تختلج في فكري، فأدلة مسلة ومن جملة ذلك الإنتقادات. قال الصاحب: أليس بعض الأعضاء كالعالم النجدي والمجتهد التبريزي قد أسهبا كثيراً بما كان بعضه يكفي.

قال الأمير إن مسألتي التوحيد والإستهداء، ركنان مهمان في الدين وقد تطرقت إليهما الخلل منذ قرون كثيرة، فصار إصلاحهما وردهما إلى أصلهما من أصعب الأمور، وفي مثل ذلك لابد من الإسهاب في البحث والتعميق فيه، أولى نرى ولله المثل الأعلى كيف جاء القرآن الكريم بألف أسلوب في تأييد التنزيه والتوحيد والحث على اتباع الكتاب والنبي ١٢٦ب» دون التقليد، قال الصاحب: يأدري هل أصابت الجمعية أم أخطأت في تعليق أكبر أملها في إعزاز الدين بالعرب دون دولة آل عثمان وملوكها العظام، قال الأمير: لاشك أن لايقوم بالهدى الدنيا، ولايغار على الدين أمة مثل العرب. قال الصاحب: اليست دولة راسخة المُلك إدارةً وعسكرية وسياسة، وافرة القوى أقدر على اعزاز الدين من العرب الضعفاء، قال الأمير: إن حضرة السلطان يصلح أن يكون عضواً في الأمر، أما أراد أن يكون هو القايم به فلا يتم قطعاً، لأن الدين شيء والملك شيء آخر والسلطان غير الدولة.

قال الصاحب: مافهمت المراد من أن الدين غير الملك وأن السلطان غير الدولة، قال الأمير: أريد أن إحترام الشعاير الدينية في أكثر ملوك آل عثمان ظواهر محضة وليس من غرض أن يقدموا الإهتمام بالدين على مصلحة الملك، وهذا مرادي بأن الدين غير المُلك وعلى فرض ارادتهم تقديم الدين على الملك، لايقدرون على ذلك، ولاتساعدهم الظروف المحيطة بهم، حيث دولتهم مؤلفة من لفيف أهل أديان ونحل مختلفة.

قال الصاحب: قد وُجِدَ في هذا البيت الكريم بعض أعاظم، خدموا أعزاز الدين وإدارة الملك لم يتدا في الإسلام تماماً إلا في عهد الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبدالعزيز فقط

رضي الله عنهم، واتحديا نوعاً في الأمويين والعباسيين، ثم افترقت الخلافة عن الملك، وأما سلاطين آل عثمان فني أكثر لك نموذجاً من أعمالهم أتوها رعايةً للملك، فأقول هذا السلطان محمد الفاتح وهو أفضل آل عثمان قد قدم الملك على الدين فاتفق (مع) [1] فرديناند ملك الأراغول الأسبانيون ثم مع زوجته اليزابيلاي[2] على تمكينها من إزالة ملك بني الأحمر آخر الدولة العربية في الأندلس، ورضى بالقتل العام والإكراه على التنصر بالإحراق وضياع خمسة عشر مليوناً من المسلمين باعانتهما بإشغاله أساطيل أفريقيا على نجدة المسلمين، وقد فعل ذلك بمقابلة ماقامت له به روميا من خذلان الإمبراطورية عند مهاجمة مكدونيا ثم القسطنطينية. وهذا السلطان سليم غدربال العباس واستقصاهم حتى إنه قتل الأمهات لأجل الأجنحة. وبينما كان يُقتل العرب في الشرق كان الأسبانيون يحرقون بقيتهم في الأندلس. وهذا السلطان سليمان ضايق ايلان حتى ألجاهم إلى إعلان الرفض المكفر، ثم لم يقبل تكليف نادرشاه لرفع التفرقة لمجرد تصديق مذهب الإمام جعفر كما لم يقبلوا من أشرف خان الأفغاني إقتسام فارس كيف لايجاورهم ملك سنى، وقد سعوا في انفراض خمسة عشر دولة إسلامية. ومنها أعانوا الروس على التاتار المسلمين وهولانده على الجاوه والهنديين، وتعاقبوا على ترويخ اليمن، فأهلكوا إلى الآن عشرات ملايين من المسلمين بقتل بعضهم بعضا لايحترمون فيما بينهم ديناً ولا أخوة ولا مروة ولا إنسانية، حتى أن العسكر العثماني باغت المسلمين مرة في صنعاء وزبيد: وهذا السلطان محمود اقتبس على الإفرنج في كسوتهم وألزم رجال دولته وحاشيته بلبسها ولم يشأ الأتراك أن يغيروا منها الأكمام رعايةً للدين لأنها مانعة من الوضوء أو حسرة. وهذا السلطان عبدالمجيد رأى من مؤيدات إدارة ملكه إباحة الربا والخمور وإبطال الحدود، ورأى مصلحته في قهر الأشراف وإذلال السادات. وفي هذا المقدار كفاية إيضاح أن مؤيدات الملك عند السلاطين مقدم على محافظة الدين.

---

(١) تم إضافة (مع) ليستقم المعنى.

(٢) بياض في المخطوطة (أ) وتم إضافة الاسم المذكور من المخطوطة (ب) والمقصود بها إيزابيلا ملكة أسبانيا.

أما صفة خدمة الحرمين وألفت مسامع العثمانيين للقب الخلافة، فلا يفيد الدين وأهله شيئاً وليس لهم مايتوهم البعض من الإجلال عند الأجانب لأنهم لايتفوهون بأن السلطان خليفة إلا عندما يريدون أن يقيموا الحجة على المسلمين المحكومين لهم ببعض أعماله في مُلكه. ولو أن حضرة السلطان أخذ عليه تأييد الدين بما أمده «١٢٧أ» به من القوة لتمكن من أن يخدم دينه ومُلكه خدمة مقبولة عند الله، ولرُفعت له راية الحمد في شرق الأرض وغربها وأظنه قد قرب اليوم الذي يتنبه فيه فيتروى في الأمر ويضرب على فم الغشاشين المتملقين الخائبين الذين ينسبون حضرته إلى مالم ينتسب هو إليه. وكان هؤلاء الغشاشين يريدون لهذه الدسايس أن يجعلوا حضرة السلطان نظيرهم ذي نسب كدعواهم لأنفسهم السيادة والولاية والقطبانية في أنفسهم وآبائهم ويستطردون حكايات لآبائهم مخترعة لايعترف لهم أحد من المسلمين. ومن المعلوم عند أهل الوقوف أن التلقب بالخلافة والإمامة وامراة المؤمنين في آل عثمان العظام حدث في عهد المرحوم السلطان محمود حيث صار بعض وزرائه يخاطبون بذلك غلواً في التعظيم ولذلك حضرات السلاطين أنفسهم لم يزالوا إلى الآن مُتحفضين عن التلقب بالخلافة إنما يمضغها أفواه البعض فيلوكها التركي تعظيماً لقومه، والعربي نفاقاً لسلطانه: والمصري إتباعاً للمرابين، والهندي إغتراراً بالوهم بخلاف سلطان مراكش وأمير عمان، وإمام اليمن المتنازعين في هذا المقام رسماً المتقاطعين لأجله. ثم ذكر قول الأمير في القواعد الأساسية التي يبني عليها الجامعة الدينية وهي ثمانية عشرة. قال الصاحب: نستنشق من ظتهر فكر مولاي الأمير إنه لايجوز الإتكال على الملوك العثماني في أمر الخلافة، قال الأمير إني أحب العثمانيين للطف شمائلهم، ولكن النصيحة والدين تستلزم قول الحق وعندي أن آل عثمان إذا تدبروا لا يجدوا وسيلة لتحديد حياتهم أفضل من اجتماعهم مع غيرهم على خليفة قرشي. قال إن ما ذكر مولاي من حصر صفة الخلافة في خليفة قُرشي في مكة ترتبط به جميع السلطنات والإمارات الإسلامية لأمر عظيم جداً والغالب إن الدول المسيحية التي لها رعايا من المسلمين تتحذر من أن يجر جمع الكلمة الدينية إلى رابطة تولد حروباً دينية فتتعمد هذه الدول إلى عمل الدسايس تمنع حصول هذا

الإرتباط فما هو التدبير الذي يقتضي إتخاذهم أمام تحذر الدول؟. قال الأمير: لايفتكر لهذا الفكر غير الفاتكان واخوانه الجوفزيت[1]. وأمثالهم. أما رجال السياسة في إنكلترا وروسيا وفرنسا وهي الدول العظام الذي يهمها الإفتكار في هذا لشأن فقد علمتهم التجارب النتائج العامة، وهي إن المسلمين لايتنصرون أبدا لاسيما في زمان يبتعد فيه النصارى عن نصرانيتهم. أن المسلمين أفراداً وجموعاً أبعد عن الفتن من الجاهلين، إن العرب من المسلمين أقرب من غيرهم للألفة وحُسن المعاملة والثبات على العهد، فإذا أرشد أولئك السياسيون إلى أن نظراً إلى معرفتهم هذه علمهم أيضاً بالأحكام الإسلامية في مسألة الجهاد التي يتهيبونها علماً يستخرجونه مما عندهم من تراجم القرآن الكريم لا من مؤلفات متعصبي الطرفين يجدون نحواً من خمسين آية بأساليب شتى كلها تنهى عن الإلحاح في الهداية إلى الدين كقوله تعالى ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ [2] ﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [3] ويجدون آيتين في التشديد أحدهما ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾ [4] والأخرى ﴿**وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾[5] وبمراجعة أسباب نزول هاتين الآيتين، يعلمون أنهما نزلتها في حق المشركين والكتابيين من العرب ولا يؤخذ في القرآن ملزم الأعتبار عمومية حكمها، وبذلك يعلمون أن قَصْر معنى الجهاد على الحروب كان مبيناً على إرادة الفتوحات والتوسل للتشجيع حق، كان مجالاً للفتوحات. كما أعطى إسم الجهاد لأسم الحروب الصليبية التي أصلى نارها المسيحيون ثم بعطف نظرهم إلى التاريخ يجدون إن العرب منذ سبعة قرون لم يأتوا حرباً «١٢٧ب» باسم الجهاد. ولذا الرجال السياسة دليل منهم آخر على أن أصل الإسلامية لاتستلزم الوحشة بين المسلمين وغيرهم بل تستلزم الألفة وذلك بأن العرب إينما حلوا من البلاد وجذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم ولغتهم، كما أنهم لم يَنْفِروا من

(١) في المخطوطة (أ) بياض وتم نقل الاسم من المخطوطة (ب) وصحتها الجزويت.
(٢) سورة القصص، آية رقم(٥٦) .
(٣) سورة النحل، آية رقم (١٢٥) .
(٤) سورة الحجر، آية رقم (٩٤) .
(٥) سورة الأنفال، آية رقم (٧٤) .

الأمم التي حلت بلادهم فلم يهاجروا منها كعدن ومصر وتونس بخلاف الأتراك، بل يعتبرون دخولهم تحت سلطنة غيرهم من حكم الله لأنهم يذعنون لكلمة ربهم تعالى ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[1] فإذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابعها لايتحذرون من الخلافة العربية بل يروا من صوالحهم الخصوصية وصوالح النصرانية وصوالح الإنسانية ليؤيدوا الخلافة العربية. قال الصاحب استنشق من كلام مولاي الأمير إن أمله ضعيف في تشكيل جمعية تعليم الموحدين. قال الأمير: إن دون تشكيل الجمعية بعض عوايق مالية فقط شتى وأرجوا الله تعالى أن يزيلها، انتهت المحاورة.

يقول السيد الفراتي: قد ألحقت هذه المحاورة سجل المذكرات وكتبت بها إلى باقي الإخوان رجاء من يؤمن بالله واليوم الآخر وعنده شيمة حمية ومروة فلا يتجسس عن جمعية أم القرى بقصد إيصال سوء إليها في أمان الإخلاص، ولايحيق المكر السيء إلا بأهله إعلان ومن يحب أن ينجد مقاصد جمعية أم القرى برأي فايق وعمل مهم أو رغبة في تعضيدها بجاهٍ أو مال وأراد مراسلة لجمعية أمكنه أن يراسل وكالة الجمعية بدون إسم بل بإرسال كتاب مُعَنوَّنْ إلى مدينة مصر إلى صندوق البوستة عدد ٥١٧. وإذا أراد أمكنه أن يخابرهم بأسم له مختلف ثم بعد أخذه الجواب تُستَعمل الكتابة الجفرية الموضحة في الجدول ثم ذلك بعد ذلك فهرسة أكثر المباحث المتقدمة الوارده في سجل المذاكرة.

وهذه صورة الجفر حيث البوستات مادوَّنَه رسماً يفتح المكاتيب التي يشتبه منها فالجاحة ملجئة لاستعمال كتابة جفرية مامونة.

بناء عليه صار وضع هذا الجدول تسهيلاً للمخابرة السرِّية بجفر لايمكن كشف سرها بدون معرفة حروف المفتاح المتفق عليه بين كل متخابرين.

طريقة الكتابة هو أن يتفق المتخابران على كلمة ولو سادحه تسمى المفتاح ولا حاجة أن يكون أكثر من ثلاثية أو رباعية وعندما يريد أحدهما أن يكتب عبارة فعليه أن يحررها بحروف مقطعة على ورقة يضعها أمامه، ويضع بين يديه هذا الجدول فينظر ماهو الحرف

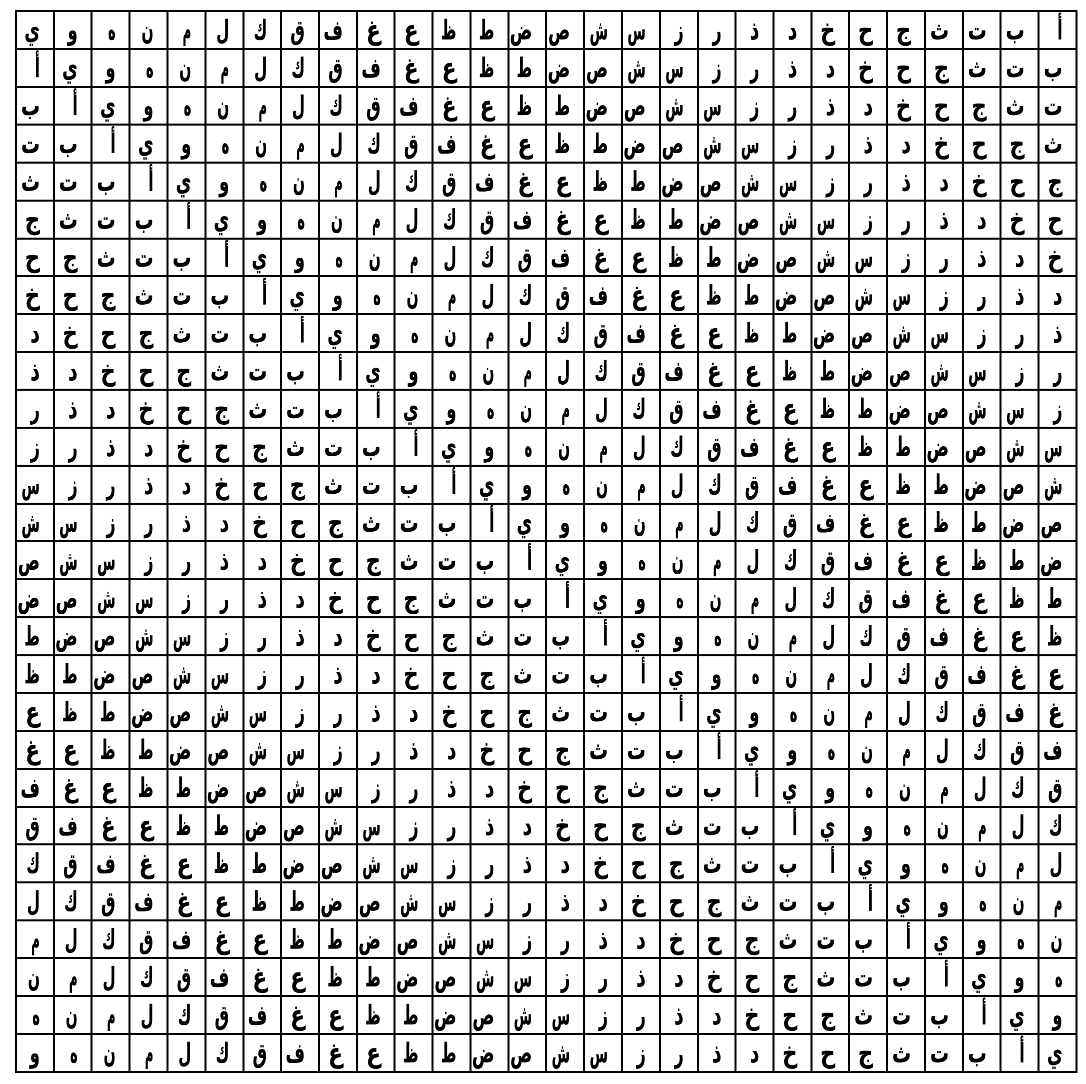
---

(١) سورة آل عمران، آية رقم (١٤٠).

الأول من المفتاح فيضع أصبع يده اليمنى على الحرف الماثل لـه المرسـوم في الجـدول الأول العامودي الأيمن الأسود ثم ينظر ماهو الحرف الأول من العبارة المراد كتابتها فيضع أصبع يده اليسرى على الحرف المماثل من الجدول الأول الأفقي الأسود، ثم يُمـشي أصـبعه يـساراً ونازلاً حتى يلتقيا في نقطة زاويتها فحينئـذ ينظـر مـاهو الحـرف المرسـوم في نقطـة الملتقـى فيكتبه ثم ينظر ماهو الحرف الثاني من المفتاح ويستمر في الأخذ من حـروف العبـارة إلى أن تنتهي وعندئذ يجد أنه قد تصدر معه حروف مبدلة عوضاً عـن الحـروف الأصـلية للعبـارة ومن يريد الاختصار يمكنه أن يحرر بعض العبارة كتابة عاديـة، ويكتـب بعـض كلـمات أو جمل من خلالها بهذه الطريقة ولابأس أن يحررها أيضاً ما يعد جفراً به.

طريقة الحل هي أن من يأخذ الرسـالة الجفريـة يحلهـا بـأن يـضع أصـبع يـده «١٢٨أ» اليمنى على مثل الحرف الأول من المفتاح في الجدول العامودي الأيمن الأسـود ثـم يـسري بأصبعه حتى ينتهي الجدول الأفقي الأعلى الأسود فيأخذ الحرف الذي يجـده فيـه فيـصدره فيكون هذا هو الحرف الأصلي المستبدل ثم يعمل مثل ذلك باعتبار الحرف الثاني من المفتاح والحرف الثاني من الرسالة وهذا ثم يعيد الكرة على حروف المفتاح المرة بعد الأخـرى إلى أن يستدل حروف الجفرة كلها بالحروف الأصلية.

تنبيه قد وضع هذا الجدول للكتابة العربية كما أنه يكتب به التركية والفارسـية باعتبـار تفريق (ب ح د ل) من أخواتها العربية بالقرينة، وكذلك نستغني عن الحركات في الأوردية ببعض الحروف العربية التي لادخل لها فيها، ومن يريد إستكمال ذلك يمكنه أن يضيف لهذا الجدول على نسق ترتيبه مايشاء من الحروف والأرقام والرموز والأشكال.



أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي
ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ
ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب
ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت
ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث
ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج
خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح
د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ
ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د
ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ
ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر
س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز
ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س
ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض
ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط
ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ
غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع
ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ
ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف
ك	ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق
ل	م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك
م	ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل
ن	ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م
ه	و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن
و	ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه
ي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و

هذا مضمون ماحواه أحد الكتابين والكتاب الآخر ذكر فيه مصارع الإستبداد ومضراته. ثم إن الإمام عليه السلام، أجاب على السيد بجواب بليغ لابد نلحقه إنشاء الله. وفي الكتابين مايوجب الشك ويثمر الظن أن ذلك إستطلاع ماعند المسلمين من الهمة والغيرة على الدين، ولعل ذلك مدسوس من جهة قران الإنكليز. وجواب الإمام عليه السلام قد ألمّ بما يومي إلى قطع أطماع الفرقة الكافرة النصرانية، لما وقع في خلده ذلك الوهم، والله المسئول أن يحفظ دين الإسلام ويؤيده.

ثم دخلت سنة عشرين وثلثمائة وألف[1]

وفي أوائلها توفى السيد المقام صفي الإسلام الغضنفر أحمد بن مثنى عنتر في بلاد حجـور وكان عاملاً هنالك من طرف الإمام عليه السلام، وأصله من بلاد العود من مخلاف قعطبة، هاجر من بلاده إلى ذمار، ثم إلى صنعاء وحصَّل طرفاً صالحاً من الفقه، وكـان شـديداً عـلى أهل المعاصي، بقي عاملاً في بلاد الشرفين، فأقام فيهم الحق بعد إندراسه، وكان مُهاباً فيهم. ثم لَّما وصل عبدالله باشا إلى بلاد الشرفين حسب ماشرح أولاً، وصل إلى المقـام وكـان مـن نيته إعادته إلى الشرفين، فعرض ما أوجب إرساله إلى بلاد حجور لإقامة الـشريعة هنالـك، وكانت قد إندرست فوقعت بينه وبينهم وقايع عظيمة يطـول شرحهـا قـد ذكرنـا بعـضها، فأقام فيهم الشريعة إلا ماكان من بلاد الهندي فإنها وقع بها حرب شديد، واستفاضتا عليهـا الأجناد المنصورية، وهرب الشيخ محمد الهندي إلى بلاد الخميس. ثم لما توفي السيد الـصفي أرسل الإمام عليه السلام السيد صفي الدين أحمد بن يحيى قاسم، عاملاً عـلى تلـك الـبلاد فساسهم أحسن السياسة وأنفذ فيهم أوامر الله مع كمال الحذق والكياسة.

وفي شهر ربيع الأول[2] وصل إلى صنعاء اليمن السيد حـسن بـن خالـد أبي الهـدى مـن حضرة السلطان عبدالحميد، وأظهر أنه وصل لإصلاح الشأن بين السلطان والإمام، وذلك لما بلغ إلى مسامع السلطان إضطراب اليمن، وفرار العساكر النافـذة إلى الـيمن، حتـى أنهـا مازالت تخرج العساكر المتكاثرة من الشام فلا يبقون إلا مـدة يـسيرة ويهربـون مـن الـيمن، ويكون طريقهم إلى حضرة الإمام ثم إلى صعدة، ونجران، وبلاد نجد، ويـدخلون بلادهـم راجعين. وكانوا المأمورين يموهون عليهم أن الذين يخرجون إلى قتالهم كفـار، فلـما عرفـوا الحقيقة وأرسل معهم الإمام عليه السلام كثيراً من صور الكتاب الذي ذكرناه سـابقاً حتـى اتضح الأمر لجميع بلاد الشام، وعرفوا إن الأمر بخلاف ماكان يفتري المـأمورون، فحينئـذ

(١) ١٣٢٠هـ ١٩٠٢م.

(٢) ١٣٢٠هـ ١٩٠٢م.

كتبوا إلى حضرة السلطان من جميع بلاد الشام وبـلاد العجـم عروضـات أحـوال لاتحـصى حاصلها إنكم ترسلوننا وتأخذوا أولادنا لقتال قوم مؤمنين في اليمن. فبسبب ذلك أرسـل السلطان السيد اليمني، ولما وصل إلى صنعاء كتـب إلى الإمـام عليـه الـسلام كتابـاً صـحبة الحاج علي بن يحيى النحوي من أهل صنعاء. مضمون الكتاب طلـب الوصـول إلى حـضرة الإمام، وأنه وصل مأمور من حضرة السلطان لايسعها إلا المشافهة، وقد رأى الإمام بتنوير البصيرة، بأن ليس للعجم قصد فيما فيه صلاح الإسلام والمـسلمين، وإنـما يريـدون بـذلك المراوغة لأمور لاتخفى على اللبيب.

وكان جواب الإمام على السيد المذكور بما لفظه بعد البسملة: الجناب الرفيع الشريف، والمقام الرحيب بالعلم المنيف والمتزين بالدين جناب السيد العالم الأفضل الجـاري في مجـرة العلم والعمل السيد حسن خالد بن محمد بن أبي الهدى، أحسن الله أقواله وأعمالـه، وبلغـه في دحض المنكرات آماله، والسلام عليه ورحمة الله، وأنه ورد إلينا كتابكم الكـريم توسـمنا فيه المقاصد الخيرية، ورجونا جبر مائل من الملة الأحمدية فلـم يـسمع في غـيره مـن مكاتبـه «ق١٢٩أ» المأمورين حسن الخطاب، والرد إلى محكم السنة والكتاب، فالحجة بهما عنـد أولي الألباب، أقطع من الطعان والضراب، وانا نقدم إليكم مقدمة نـستجلب بهـا حـسن الظـن لإسبال أمران الرعاية ونقيمها مقام الحد والموضـوع، بـل ومقـام الجزيـة والكليـة، ومقـام الأحكام الوضعية المشتملة على العلة والسبب، والمانع والشرطية، فنقـول: إنـا نـشأنا بعـد أسلافنا بصنعاء اليمن ليس بنا أمل غير العلم والعمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر، مع ثروة في المال من فضل الله كافية، ومزية في الناس بالجلالة وافيـة، حتـى وردت عـساكر السلطان الأعظم والخاقان المفخـم، نرجـوا معهـم إقامـة الأحكـام القرآنيـة، ومحـور آثـار المنكرات الشيطانية. ولما تمكن أمرهم دخل الخوف من باب الرجاء ولم نجد لتغيير المنكرات منهجا، مع العلم إن مشاهدتها خروج عن سفينة النجا، ولم نجد من أهـل هـذا الأمـر مـن

يمتثل أوامر الله ويخضع، ولاتقرر بينها وبينهم من النسب الأربع، إن قلت قال الله، قال الرسول، قالوا قالت الأصول، وإن قلت خافوا الله، قالوا أترك الفضول، وإن قلت أين أركان الإسلام، قالوا يكفي ضرب المدافع يوم مولد الرسول، وإن قلت هذه الخمر كالماء الزلال، قالوا هو مثلث الحنفي الحلال، وإن قلت هذا زنا ولواط، قالوا لاحد ولا حبس ولارباط. فانتظرنا مدة سبعة من المشيرين والولاة فلم نر الأمر إلا مقهقرا إلى وراه، والقرآن تتهافت حيطانه والإسلام تنهد أركانه، والظلم يمتد حرانه، وسمعنا الله يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (١) ويقول ﴿كُنْتُم خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأمُرُنَ بِالْمَعْروْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (٢) ويقول: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرآءِيل عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ۝ كَانُواْ لاَيَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَاكَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣) ويقول: ﴿وإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا الله مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِبُهُمُ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرةً إِلَى رَبَكُمْ وَلَعَلَهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٤) ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَاذُكِروُا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُوءِ وأَخَذْنَا الَّذِينِ ظَلَمُواْ بِعَذابِ بَئِيس بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٥) قال ابن عباس والله إن الفرقة الساكتة من الذين ظلموا. وقال عز شأنه حاكياً عن لقمان في وصيته لأبنه ﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكرِ وأصْبِرْ عَلَى مَآ أصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (٦) .

---

(١) سورة آل عمران، آية رقم(١٠٤) .

(٢) سورة آل عمران، آية رقم(١١٠) .

(٣) سورة المائدة، آية رقم (٧٨) .

(٤) سورة الأعراف، آية رقم (١٦٤) .

(٥) سورة الأعراف، آية رقم (١٦٥) .

(٦) سورة لقمان، آية رقم (١٧) .

وكم في القرآن من الزواجر التي تقشعر منها الجلود، ويذيب لها الجلمود. ﴿ألم۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَرَيْبَ فِيهِ﴾ [1] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [لتأمرون بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم] [2] .
وفي حديث حذيفة في رواية الترمذي [والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم] [3] قوله يوشك الله أي يسرع وليس من أفعاله المقاربة كما في غريب الحديث، وفي رواية أبي داوود والترمذي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم، لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) [4] .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان متكئاً ثم قال (كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق إطرا أو ليعمنك الله بعقاب) [5] . وفي حديث عايشة قالت (دخل عليَّ رسول الله «ق١٢٩ب» صلى الله عليه وآله وسلم فعرفت في وجهه أنه قد حضره شيء فتوضأ وماكلم أحداً، فلصقت بالحجرة أستمع مايقول فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: (ياأيها الناس إن الله يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم وتسألون فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم، فما زاد عليهن حتى نزل) [6] رواه ابن ماجه وابن حيان وصححه من رواية عاصم بن عمر بن عثمان بن عفان عن عايشة، وروى البخاري والترمذي من حديث النعمان بن بشير أنه قال صلى الله ليه وآله وسلم (مثل العالم في حدود الله والواقع

---

(١) سورة البقرة، الآيات (١٢) .
(٢) روى الحديث بروايات مختلفة، منها في سنن الترمذي، باب الفتن، المجلد الرابع، ص٤٦٨ .
(٣) روي الحديث بروايات مختلفة، منها في سنن الترمذي، باب الفتن، المجلد الرابع، ص ٤٦٨ .
(٤) سنن الترمذي، الجزء الخامس، ص٢٥٢ .
(٥) الحديث خلط بين حديثين السنن الكبرى للبيهقي، المجلد العاشر، ص٩٣، سنن الترمذي، الجزء الرابع، ص٤٦٧ .
(٦) السنن الكبرى للبيهقي، المجلد العاشر، ص٩٣ .

فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا إنا خرقنا في نصيبنا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وماأرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً) [١] .

فهذا بعض ماورد عن خاتم النبيين الذي لاينطق عن الهوى، وغير ذلك مما لايسعه المقام، ولما لم نجد عندالله رخصة خرجنا ندعوا الناس إلى كتاب الله وسنة رسول الله بنية يعلمها الله لانريد علواً في الأرض ولا فساد أو لامخالفة لسلطان الإسلام ولاعناد، لكنا كتبنا إلى حضرته مراراً أو عرفنا أن دون بلوغها إليه خرط القتاد من حيث سمعنا أن للمأمورين في اليمن عيوناً خفية في مجالس السلطان الأعظم يتطلعون لما ورد مما يضر بالمأمورين من عروضات ومضابط، فيحتالون لأخذها وإرجاعها إلى المأمورين، ولما ظهر أمرنا ازداد المأمورين فرحاً وسروراً، ليكون ذلك عذراً لهم في إتلاف الأموال الميرية، ومجاورة الحد في ظم الرعيَّة، وإفناء الآلات من العساكر الشاهانية، حتى لقد ضربوا من نكص منهم بالمدافع. ولازالوا يخرجون علينا في كل عام مرةً أو مرتين، ومع ذلك لم يعتبروا أنهم بتركهم لمحاربة الأجانب من الكفار واهتمامهم بمحاربة أولاد النبي المختار، ومن تمسك بحمايتهم من الشيعة الأخيار، يخذلهم العزيز الجبار، كما شاهدنا ذلك في المعارك الكبار، على إنا نسمع أن في خزاين الدولة العثمانية فردة نعل من نعلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتخرون بها على سائر الملوك، ويخرجون بها في المعارك، للإستنصار على الآلاف والملوك، فكيف يحاربون الذرية الطاهرة الذين هم بضعة منه مع تعضيمهم لنعله. ثم لم يكفهم إخراجهم لنا عن خضرة الدنيا وزيفها، ولاشفاهم سكوننا في مهاب الريح ومنابت الشجر لمجاورة الوحوش في القفار مع رضى الرب تعالى لمجابنة الأوطان والأوطار، لما علم الله بصبرنا كشف لنا من عظيم قدرته القناع، ولولا نصر دينه بما وقر في الأسماع، ومع ذلك فهم تارة ينسبوا إلينا الكفر الصريح وآونه إلى سب الصحابة والرفض

---

(١) سنن الترمذي، المجلد الرابع، ص٤٧٠.

القبيح، ونحن نبرأ إلى الله من كل مايخالف الكتاب والسنة، أو يقوي طريق أهل البدع والظنة. ثم إعلم أيها السيد أن الملل الأجنبية صارت تزدري بأهل الملة الإسلامية، والدولة العثمانية، كما ترى الصادر إليك لفاً من بعض الجرايد الإنكليزية، ولقد أخذتنا بمطالعتها الحميَّة الدينية ولولا وجود المأمورين لقصدناهم بالجهاد إلى ديارهم الكفرية، لكنا نعلم أن في المأمورين لهم إخوان وأنه سيقول السفيه للشيطان، محاربة أولاد سيد ولد عدنان، أقدم من حاربة عبدة الصلبان. ثم لايغرب عن خاطركم الكريم إنها قد سبقت بيننا وبين المأمورين مقاولات، ويرسلون إلينا من يسعى بالمصالحة ثم ينكشف إن الإشعار بالمصالحات، نوع من المخادعات، فأزمعنا لذلك على عدم مقاولة كل سفيه، وقصد الجواب على الألمعي النبيه، حتى ورد مكتوبكم العزيز، المستجلب للمؤاذنة بيننا على الاتفاق في محل حريز[1]، ليكون المراجعة بلفظ مطنب أو وجيز ولله القائل:

أيا دارها بالحيف إن مزارها　　قريب ولكن دون ذلك أهوال

فما من قبيلة «ق١٣٠أ» من قبائل حاشد وبكيل إلا وهم موتورون من الترك بقتلى غير قليل، فنخشى أن تُخفى الذمة مارد من المردة، فلولا إن الله سخرهم في كل زمان لأولاد سيد ولد عدنان، كما سخر الشياطين لسليمان، لما دخل ضبطهم تحت إمكان، وطالِعُوا كلام صاحب «الإكليل» فيما جرى بينهم وبين ملوك حمِّير الذين ملكوا مابين مطلع الشمس ومغربها، حتى أعجزوهم وصالحوهم على قطع الإتاوة، فالتعويل على عزيز جنابكم أن ترفعوا إلينا مافي مرامكم بالقلم الذي هو أحد اللسانين، فإن كان مطابقاً لمراد الله تراجعنا للإتفاق إلى محل يليق بالجميع، ففي الإشاعة بشاعة، قبل أن يكشف كل أحد قناعه، ودمتم محروسين الجناب، عاملين بالسنة والكتاب والسلام وحرر تاريخه اثنى عشر ربيع أول سنة ١٣٢٠[2].

---

(١) محل حريز: أي آمن.

(٢) ١٣٢٠هـ ١٩٠٢م.

ولما وصل الجواب إلى السيد المذكور، أبى إلا المراجعة في الوصول، وطالت المراسلة بينه وبين الإمام في ذلك، والإمام مصمم على عدم وصوله ولم يزل يتوسل إلى الوصول بكل من يتوسم أن الإمام يقبل قوله، وبعد اللتيا والتي وأيس الذكور على الوصول، وبلوغ المأمول، طلب الاتفاق بأحد السادات الأعلام من خاصة الإمام، فأرسل الإمام عليه السلام السيد العلامة أحمد بن قاسم بن الإمام والسيد المقدام محمد بن أحمد الشامي وصحبتهما جماعة من حاشد قدر أربع مائة نفر، وانضم إليهم كثير من الناس تزيد على عشرة الآلاف يريدون الإطلاع على مايكون. فلما وصل سيدي الصفي إلى ريدة كتب إليه أي إلى ابن أبي الهدى إلى عمران فخرج بنحو ألف رجل، ومائة فارس، ووقع الاتفاق إلى جوب ووقع الإستخدام من العجم وتلقاه ابن أبي الهدى. ثم دخل سيدي الصفي وسيدي محمد بن أحمد الشامي، وابن أبي الهدى إلى بيت، ووقعت المفاوضة فيه، وألقى إلى سيدي الصفي مافي نفسه، ثم تفرقوا في اليوم الثاني ابن أبي الهدى رجع إلى عمران والسيدين إلى خمر، ودخل ابن أبي الهدى عقيب ذلك إلى صنعاء، فلما وصل سيدي الصفي إلى حضرة الإمام ألقى إليه مراد ابن أبي الهدى. ولاح للإمام أن المقصود ليس إلا المخادعة وتسكين الحرب، فاشترط الإمام شروطاً دخل بها ابن أبي الهدى إلى حضرة السلطان، عازماً إنه سيعود لإنجازها وكان دخوله في شهر شعبان سنة عشرين إلى الحديدة ثم إلى بندر عدن، ومن هنالك ظهر أن المراد تسكين البلاد عن الحرب ليتم لهم بيعها إلى الأفرنج الأنكليز أقماهم الله وكان قبل قد تحرك الأفرنج.

صفة تحرك الإفرنج:

وسبب المحرك لهم على ذلك إن الشيخ محمد بن ناصر بن مقبل شيخ الحجرية، عمر بيتاً إلى قرب البلاد التي ترجع إلى المشايخ الداخلين تحت حماية الأنكليز، فوقعت منهم إلى السركال الذي في عدن، فكتب السركال إلى الشيخ المذكور برفع العمارة فأجاب عليه: إن

البلاد بلاد الإسلام ولابد أن نأخذها إلى عدن، فخرج السركال ومعه نحو أربعمائة من العسكر، وأربعة من المدافع وانضاف إليه من تحت حمايته أحمد بن فضل العبدلي، والحوشبي، والعولقي، واجتمع معهم من أصحابهم قدر ثلاثة آلاف، وأرسلوا إلى عند محمد ناصر بأنه يقبل ألف ريال قيمة البيت. ثم أرسلوا إليه ثانياً جماعة ممن يزعم التصوف من أهل العيدروس، فأبى عن قبول ذلك وجمع أصحابه، وأنضاف إليه طابور من العجم وأربعة مدافع ورتب البيت المذكور في الدريجة بنحو ثلاثين نفرا من القبائل. وكان البيت في بقعة منخفظة ورتبوا حوله كولتين في كل كولة خمسين تركي وتقدم الفرنج ومن معهم على من في البيت المذكور، فلما قابلوهم رموا البيت بالأربعة المدافع أربع ضربات حتى وقع إلى الأرض بمن فيه، ثم تقدموا على من في «ق١٣٠ب» إحدى الكولتين من العجم فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل من الفرنج نحو عشرين، وقتل الذين في الكولة عن آخرهم، فلما رأى من في الكولة الأخرى أصحابهم قتلى طلبوا الأمان من الفرنج، فأخذ سلاحهم، وأسروا. فلما رأى ذلك من بقى من العجم والعرب لم يسعهم إلا الفرار، وبقي السركال ومن معه هنالك، وكتب السركال بذلك إلى السلطان وكذلك متصرف لواء تعز ورجع الجواب من السلطان بأن يعقدوا صلح سنة، فلما انتهى العام لم يزل الأفرنجي يخرج الأزراد والرصاص والباروت والمدافع وجميع الآلات إلى الضالع من شهر شعبان سنة ١٣١٩، ولم يظهر لأحد ما مرامهم بذلك هل قد حصل السداد بينهم وبين السلطان على الانسياخ في اليمن فوقعت المكاتبة من سلطان لحج وشيخ الضالع شايف بن سيف إلى الإمام عليه السلام، ويحرضونه على جهاد الترك، فظهر للإمام عليه السلام، إنهم يريدون بذلك أمرين، تخفيف ثمن اليمن على الأفرنج بسبب تحركات أولاً، وإستنهاض ماعند الإمام ثانياً. فأجاب عليهم الإمام عليه السلام بجوابات تضمنت إلزامهم بجهاد الفرنج والترك وعرفهم ماأوجب الله عليهم.

وصفة وقعة بيت جسار جهة بلاد آنس:

وصفة ذلك إنه لما توقف الجهاد بسبب سعي ابن أبي الهدى، وصار الشيخ الجمالي يتنقل في بلاد آنس، فلما وصل إلى بيت جسار بات هنالك ونيته الإنتقال اليوم الثاني إلى محل آخر، وكانت عيون العجم عليه في ورده وصدره، فلم يشعر إلا بهجوم العجم عليه إلى هنالك، وإنقسموا فرقتين فرقة قصدت صنوه الشيخ محسن ليشغلوه عن الغارة، وفرقة قصدت الشيخ الجمالي وكان صحبة الشيخ قدر ثلاثين نفراً، وأحيط به من جميع الجهات، ولم يشكوا في قبضه، وكان الذين في الحصن لايدركون من تحت الباب،فحصل من لطف الله الباهرة إنها وصلت (ج) [1] جماعة من المجاهدين من جهة الباب، فرموا من في الباب حتى هزموهم عنه، وخرج الشيخ ومن معه في سلامة ووقع في العجم قتلى كثيرة.

وفي شهر شعبان المذكور كتب إليَّ الإمام عليه السلام أنها وصلت كتب من بلاد عسير، أفادت أنه وقعت قتلتان بين قبائل قحطان، والأترك في بلاد غامد وزهران، قتل فيها من العجم تسعمائة وأسر ثلاثمائة، وأخذوا أربعة مدافع والبنادق والخزنة، وجميع ماحوته محطة العجم وقتل عدوالله هيف أبو مدرة، وكان من أعوان العجم في تلك البلاد، وكانت له عند الترك مرتبة عظيمة، وقد تحفظ أعداء الله في كتم الواقعة بإيهام العرب أن الحرب بينهم وبين النصارى في البحر وليس لذلك أصل بل هم من أعوان النصارى وخدمتهم.

وفي هذه المدة خرج إلى بندر ميدي طايفة الطليان من الإفرنج، وسبب ذلك أن رجلاً من بني مروان كان أجيراً عند بعض تجار الطليان، فقتلوه فدخل جماعة من بني مروان في سنبوك في البحر إلى جزيرة دهلك[2] ، وقتلوا القاتل وجماعة من أولاده وذويه، وأخذوا عليه

---

(١) هكذا أوردها الناسخ ولم أتبين مامعناها.

(٢) جزيرة دَهْلَكَ: اسم أعجمي معرب، ويقال دهيك أيضاً وهي جزيرة في بحر اليمن، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، وهي ضيقة حرجة حارة كان بنو أميه اذا سخطوا على أحد نفوه إليها. (الحموي: معجم البلدان، المجلد الثاني، ص٤٩٢) .

بنحو ثلاثين ألف ريال، وخرجوا إلى بلادهم، وقيل أن النصراني المقتول المأخوذ كان في بندر ميدي، فلما وصل الخبر إلى رئيس الطليان جهز على ميدي وبني مروان، وأعانهم الترك على ذلك، فلما قابل ميدي من البحر رماها بالمدافع الكبار، ووزنه حجرة المدفع فبلغت ستون رطلاً، وأحرقوها بالمرآه من البحر حتى هدمت بيوتها، وأحرقت عششها[1]، وكان تُرى الطلاعات من البحر إلى شهارة، وجبال الأهنوم. فلما وقع ماوقع تأهب بنو مروان للقتال فلما بلغ الأفرنج ذلك التأهب ضعفت قواهم وجبنوا وطلبوا الصلح على أن المال المأخوذ ودية القتلى بقطع قيمة البيوت التي خُربت في ميدي ويسلم بنو مروان البقية، وكانت قد تجمعت الأتراك وتكلفت للطليان بتربية بني مروان، فلما وقعت الواقعة المذكورة «ق١٣١أ» سابقاً في بلاد عسير أوهنتهم فضربوا صفحاً عن معاونة الطليان.

وفي هذه غدر رجال ولد عامر من بلاد عمر من بلاد خولان رازح، بأثني عشر رجلاً من خولان الشام، منهم الشيخ الأكمل المجاهد.......[2] بن روكان كبير خولان الشام، وبقية القتلى من جماعته، وكان رجال ولد عامر قد خالفوا عن الطاعة وارتكبوا عظيم الغلة والشناعة، ولم يزل السيد المقدام سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي يراجعهم، ويدعوهم إلى واجب الطاعة، فأبوا عن ذلك وعاضدهم سراً بعض رجال بني (نح)[3]، فأمره الإمام بمحاصرتهم في بيوتهم ومنعهم عن الحرث في وادي بدر حتى صلَبْ[4]. والغدر المذكور وقع في خلال هذا الحصار، كان الغدر المذكور، وذلك أنهم طلبوا من ابن روكان الاتفاق ثم التقوه إلى بعض الطريق، فلما وقع ذلك كتب الإمام عليه السلام إلى أرباع خولان بن عامر وكذلك سحار وجُماعة وخولان، وطلب منهم القيام على البغاة، فأجابوا بالسمع والطاعة فلما علم بذلك ولد عامر، حصلت منهم المراوغة

---

(١) العشش: هي أكواخ من القش تبنى بطريقة شبه هرمية وتشتهر بها معظم قرى وبراري تهامة.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) الكلمة معجمة لم تتضح.

(٤) صلَبْ: أرض متروكة بدون زرع.

في طلب الصلح.

وفي هذه المدة أو قبلها بيسير أراد الشيخ محسن المقداد الدخول إلى بني مطر طمعاً فيهم بإقامة الجهاد من هنالك لحسن الظن فيهم، فلما وصل هنالك أتفق بشيخ بني مطر ورئيسها الشيخ أحمد الرماح فلم ينعم بذلك، وكتب إلى الإمام عليه السلام إنا لانقبل المقداد إلا إذا كان الأمر بإرادة بإنشاء الجهاد في جهاتنا فهم على الرأي، ورجع الشيخ محسن بمن معه إلى جبل عانز، وكان هنالك يحيى بن إسماعيل الردمي وجماعة من همدان نحو أربعين، فغزاهم فاستلموا، وسلموا السلاح وجميع مامعهم ومقداره أربعون بندق شاشخان ومُونتها وجميع مامعهم من سلاح وغيره.

وفي هذه السنة كتب الإمام عليه السلام صحبة الحاج، وألزم الرسول بعرض ذلك على أمراء المحامل:

لفظه بسم الله الرحمن الرحيم، هذا بلاغ للناس ولينذروا وليعلموا إنما هو إله واحد، وليذكروا أولي الألباب، هذه ذكرى للمؤمنين، وإيقاضاً لكافة المسلمين، أصل لاإله إلا الله كلمة التوحيد والحصن الحصين، سلام عليكم وإنا نحمد الله إليهم الذي لاإله إلا هو ونصلي ونسلم على رسوله محمد المختار، وعلى آل بيته المصطفين الأخيار، وعلى صحابته السابقين الأبرار، أما بعد جمعنا الله وإياكم على رضاه وتقواه قد علمتم إن الله سبحانه وله الحمد أكرمنا بأجل الأديان إليه. الملة الحنيفة شرع الله الذي اختاره لنفسه وأنزل به كتبه، وأرسل به رسله، لن يزيغ عن الآصال جاحد ولن يهلك على الله هالك، وأنها مازالت هذه الملة في عزة ونماء قد حمى جانبها العزيز أكابر الملوك والعظماء وقام بنصرتها أساطين الفقهاء والعلماء دام ذلك برهة من الأعوام، ثم اعتورتها بعد ذلك أيدي النقص والأنثلام، وتطاول على عزيز جنابها أعداء الإسلام وحاول في طمس معالمها الكفرة الطغام، فبذلوا جهدهم في نقص ذلك الإبرام، حتى كادت أن تنهد أركانها، ويتهدم بنيانها، وتتهافت حيطانها، لولا

رحمة الله ببقاء الطايفة الذين لايزالون مع الحق ظاهرين قرناء الكتاب المبين، وأعلموا وفقنا الله وإياكم أن سبب هذا التسليط هو ماوقع من اقتراف قبائح الذنوب، وشؤم التخليط وقد ورد عن سيد العجم والعرب، مايدل على أن المعاصي بسبب التسليط والعطب، قال صلى الله عليه وآله وسلم [توشك الأمم أن تدعي عليكم تداعي الأكلة إلى قصعتها فقال قائل من قلةٍ نحن يومئذ قال لابل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غُثاء كغثاء السيل ولينـزعن الله من صدور عدوكم المهابة وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن قال حب الدنيا وكراهة الموتِ] [1] أخرجه أبو داوود. «ق١٣١ب» والتداعي التتابع أي يدعوا بعضها بعضا فتجيب. وقال صلى الله عليه وآله وسلم [إذا تبابعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لاتنزعه حتى ترجعوا إلى دينكمٍ] [2] أخرجه أبو داوود وعند أحمد والطبراني أدخل عليهم الذل لايرفعه عنكم حتى يراجعوا دينهم. وقد جعل صلى الله عليه وآله وسلم ماذكر بمنزلة الردة والخروج عن الدين لمزيد الزجر والتقريع فقال صلى الله عليه وآله وسلم [إذا رأيت أمتي تهاب الظالم إن تقول له أنت ظالم فقد تُودِّع منهمٍ] [3] بضم التاء وتشديد الدال أي تركوا وخذلوا وأسلموا لما يستحقونه من العقوبة أخرجه أحمد والحاكم والطبراني والبيهقي. وقال صلى الله عليه وآله وسلم (إذا ظلم أهل الذمة كانت الدولة دولة العدو، وإذا كثر الزنا كثر السبا يعني سلط العدو على المسلمين فيكثر السبي منهم وإذا كثرت اللوطية رفع الله يده عن الخلق ولايبالي في أي وادٍ هلكوا) . أخرجه الطبراني. وقال صلى الله عليه وآله وسلم،: (إذا أعظمت أمتي الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام»، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي، وإذا تسأبت سقطت من عين الله) [4] أخرجه الحاكم والترمذي وابن أبي الدنيا.

---

(١) سنن أبي داود، الجزء الثاني، الملاحم، ص٤٢٦.

(٢) سنن أبي داود، الجزء الثاني، ص٢٤٦.

(٣) الهندي: كنز العمال، المجلد الثلث، ص٧٣.

(٤) الهندي: كنز العمال، المجلد ١٦، ص٣٦.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء: إذا كان للغنم دولا، والامانة مَغْنما، والزكاة مغرما، وأطاع الرجل زوجته وعوامه، وبر صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وإكرام الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولَعَن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً) (1) أخرجه الترمذي. فهذا بعض ماورد عن الصادق صلى الله عليه وآله وسلم مما يدلُّ على أن اقتراف الذنوب والأوزار، هو الموجب لغضب الجبار، والتسليط والدمار. وقد وقع مثل ذلك للأمة الإسرائيلية من بعد أن فضلهم الله على سائر البرية لما أسترسلوا في المعاصي وأفسدوا في الأرض وعلوا على الداني والقاصي وعتوا عتواً كبيراً على مالك النواصي سلط الله عليهم بخت نصر مع أنهم أخبث منهم وأكفر كما قص ذلك في محكم القرآن، تحذيراً لهذه الأمة عن مفارقة العصيان. فما ردعت هذه الأمة قوارع التنزيل، عن إرتكاب فعلهم الوبيل، ولكنهم حذوا حذوهم في كل دقيق وجليل، واتبعوا سننهم في كل فعل وبيل، كما يعلم ذلك من له أدنى مسكة من دين وعقل أصيل. فهؤلاء العلماء قد صاروا في هذه الإعصار شر من تحت أديم السماء، من عندهم خرجت الفتنة، وفيها تعود، تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وداهنو أهل الدنيا وخالطوا الأمراء وهونوا عليهم إرتكاب المعاصي طمعاً فيما عندهم من الحطام، وكثروا سوادهم في كل مقام ونسوا ماتواتر عن نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال (من عشى أبوابهم وصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولايرد عليّ الحوضٍ) (2) وهذا شأن الكفار كما نص على ذلك بعض العلماء الأخيار، ولذلك هرب من هرب من السلف الصالح، ولم يقارفوا ماأقترفه المتأخرون من الفضايح والقبايح، وأما الملوك والأمراء وأعوانهم الذين هم شر الورى فقد استولى عليهم الطغيان واستحوذ عليهم الشيطان، حتى إرتكبوا جميع المحرمات، وعطلوا الحدود وأماتوا

(1) الهندي: كنز العمال، المجلد11، ص122.

(2) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

الأحكام الشرعيات، وصاروا السبب في كل بليّـة. وأمـا عامـة النـاس فقـد غلـب علـيهم الإسترسال في المعاصي وكسب الأوزار وعدم مراقبة الرب الجبار فصاروا يتعـاملون بالربـا ويعملون بالربا ويسارعون إلى اتباع الهوى. وعلى الجملة فلم يبـق مـن الإسـلام إلا اسـمه ولامن القرآن إلا رسمه، وأن ذلك هو السبب في تـسليط أعـداء الـدين وقهقـرة الإسـلام والمسلمين فالواجب على كل (من) ينتمي إلى الملة الإسلامية أن يقلع عن مفارقـة المعـاصي الوبية «ق١٣٢أ» التي هي سبب نزول البلية الدنيوية والأخرويـة، ويرجـع إلى رب البريـة، ويتمـسك بالـسنة الأحمديـة، ويـلازم الـشيمة والحميَّـة، بنـصرة الـدين وجهـاد الكفـرة والملحدين، ويرغب فيما عده الله الأجر للعامل في آخر الزمان، كما صح عن الـصادق سـيد ولد عدنان، بـأن للعامـل فيـه أجـر خمـسين شـهيداً وفي هـذا ترغيـب للعـاملين، وذكـرى للمؤمنين. وإعلموا وفقنا الله وإياكم إن نبيئكم سيد الثقلين، قال (إني تارك فـيكم خليفتـي كتاب الله حبلٌ ممدود مابين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لـن يفترقـا حتـى يـردا على الحوضِ)[1] أخرجه أحمد الطبراني وأبو يعلي والحافظ عبدالعزيز بن الأخضر ورواه مـن الصحابة مايزيد على عشرين نفساً ورجالـه موثوقـون وقـد وقـع ذلـك في حجـة الـوداع، فحصل من الرسول البلاغ، ومن أصحابه السماع والإتباع، فكيف بنا يـا إخـوان إذا وقفنـا غداً بين يديّ الرب الديان، وقد نكصنا عن إتباع خليفتي سيد المرسلين، ومالت بنا الأهوية المروية في سبل الشياطين، فما يكون الاعتذار يوم يقوم الناس لرب العالمين.

شعراً:

عـلام يـلام الـدمع إن صـار سـائلاً	وفـيم يـلام القلـب إن ضـل ذاهـلاً
وقـد أصـبح الإسـلام في كـل بلـدة	غريبـاً وحيـداً مـوحش الربـع خـاملا
تناوشـه الأعـداء مـن كـل جانـب	فهـم دائـماً يبغـون منـه العـوايلا
أرادوا معـاذ الله هـدم بنائـه	وأن يقفـروا منـه الربـا والمنـازلا

(١) الهندي: كنز العمال، المجلد الأول، ص١٧٢.

ولم يبق من أعوانه غير فرقة غثاء غثاء القطر إن بات سائلا

فما رفعوا رأساً لنصرة دينهم ولا قوموا منه الذي صار مائلاً

وما همهم إلا الحطام وجمعه يرون البخيل الخَبّ شهماً وفاضلا

فياويح أهل العلم كيف تغافلوا وصاروا يريدون الدنيَّة عاجلاً

رضوا بهوان لا يزول وذلة فأصبح جيد الدين والعلم عاطلا

لقد داهنوا أهل المعاصي ورخصوا لهم جرعات جُل منهم تساهلا

فمن شاء منهم تبجل مُحُرَّما أقاموا على ماقد أقام الدلائلا

فهذا هو الداء العضال الذي غدا به غصن دين الله في الناس ذابلا

فقل لبني الإسلام في كل منهل أفيقوا فإن الخطب قد صار هائلا

أقلوا أقلوا واذكروا الموقف الذي تلاقونه يوم القيامة آجلا

لعمري لقد أيقظت كل موفق ونبهت في ذا القول من كان غافلا

من العرب العربا والسادة الأولى بنصرتهم قد أصبح الدين كاملا

ومن زمر الأروام قوماً أعزةً هم الناس كل الناس حرماً ونائلا

جحاجحة من آل عثمان مجدهم على هامة الجوزاء قد صار طائلا

فمازال منهم ماجد بعد ماجد يكون لدين الله كهفاً وكافلا

ولكنهم قد داهنوا كل كافر وصاروا حما للملحدين وساحلا

فاجمعوا أمركم أيها المسلمون، ولا يهولنكم الشأن ويخوفنكم الشيطان، فإن أعداء الله الكفرة وإن أظهروا القوة المعتبرة بالآلات والخيل المجلوبة، لاتفارقهم الذلة المضروبة، ولاتزال عليهم شآبيب الغضب مصبوبة.

وفي هذه المدة كانت وقعة حمل في الجهة الآنسية

وصفة ذلك أن المقداد وأصحابه وصلوا إلى العر وبني نشوان والـدِرْوَع ووقـع الحـرب فيما بينهم وبين العجم في الدروع والعـر وبيـت نـشوان وانهـزم العجـم إلى قلعـة الجمعـة، وتفرق المجاهدون في تلك الجهات، وكان مقدارهم شتمائة، وبقى بعضهم في قرية حمل. ولما علم العجم بما وقع، وقعت الغارة من ضوران وعتمة ورئيسهم زكرى حتى بلغ مقـدارهم فدر ألفين، وتقدموا إلى قرية حمل فوقع فيها حرب شديد وإختلط العسكر ووقعـت الغـارة من الشيخ محسن والشيخ عزيز، واستمر الحرب من الصبح إلى «ق١٣٢ب» الليل. ووقعت كسيرة فاضحة في العجم عند وصول الغارة وقتل منهم قدر ثمانية أنفار، ورجع المجاهدون إلى العر وبني نشوان والدروع وقرن عرة. وبقوا هنالك قدر عشرة أيـام والحـرب مـستمرة بالمدافع حتى خربت تلك القرى وإنتقل المجاهدون إلى هجرة القارة، ولحقـتهم العجـم إلى هنالك ووقعت مناوشة حرب ورمي بالمدافع، وأرجفـوا عـلى المجاهـدين وخرجـوا منهـا وطلع العجم إلى القارة وأحرقوها بالنار وفي خـلال ذلـك خـرج الـشيخ الحـسام إلى حلـة هداد، ومقاربة ضوران للتنفيس على أهل البلاد والمجاهدين. فأخذ المحل المـذكور بـما فيـه من المواشي وغيرها ولحقتهم العجم، فانتقل إلى قرية نويد من مخلاف بني حاتم، ثم طلعـوا إلى خدار وأخذوا شيخها القملي ووقع قتل يسير من الجهتين وَوَصَّـلوا الـشيخ المـذكور إلى الحضرة، ورجع المجاهدون إلى المنار وهم قدر سـتمائة فأخـذوا ذي حـود. وكـان طـريقهم غربي مخلاف ضوران من الجاهلي وحصل بينهم وبين المشايخ بني غيلان مناوشة حرب قتل فيه اثنان من أهل البلاد وواحد من المجاهدين. ثم أخذوا ذي حود أخذةً رابيـة ولم يفرقـوا بين عدو وموالي بسبب الشيخ إسماعيل بن عبدالله الشبيبي فأخـذوه أسـيراً وأخـذوا جميـع مامعه ومن صحبته من الرتبة لديه ووصلوا بهم إلى حضرة الإمام ثم تـبعهم العجـم إلى ذي حود، فأخربوا ماقد عُمِّر فيها بعد خرابها الأول، وصار أهلها شذر مذر. ثـم رجـع بعـض المجاهدين لإرادة أخذ شرارة، وكـان رأيهـم غـير سـديد فـإن أهـل شراره بلغهـم مـأرب المجاهدين، فاستعدوا لهم قبل الوصول، واجتمـع علـيهم العجـم وأهـل الـبلاد فوقـع في

المجاهدين قتل قدر ستة عشر رجلاً وفر الباقون، وأدخلت روس القتلى إلى صنعاء، وحصل الوهن العظيم في جانب المجاهدين وبعد وقوع ماذكر رجع المجاهدون إلى الفرش وكانت طريقهم قرية نويد، ثم بعد عشرة أيام غزا العجم قرية نويد وقتلوا أهلها وأخذوا جميع مافيها.

حادثة: وفي شهر ربيع آخر من هذه السنة سنة ٢١[1] كانت وقعة سوق بوعان من بني مطر وصفتها إن العجم أحاطوا بسوق بوعان من جميع الجهات ومرامهم طلب السلاح والأعيان. وفي السوق المذكور، في يوم السوق نحو أربعة الآف نفس من همدان وحاشد وعيال سريح وبلاد البستان وصنعاء والحيمة وحراز، فأخذوا أعني العجم ست بنادق على ناس من بيت خصرف وربطوا رجلاً يقال له العشربي، وحاولوا أخذ بندق ابن ياسين، فحصل منه بعض التمنع ونزق[2] الحرب، ووقعت قتلة عظيمة فرموا أعني العجم من القشلة بنحو ثلاثة مائة بندق فقتلوا من العرب فوق المائة منهم ثلاثون نفراً من الحيمة وأربعة أنفار من بني صريم حاشد وسبعة من البروية، وعشرة من الحدب، وخمسة من همدان وأرحب وأربعة من صنعاء، وخمسة يهود وثلاث نساء والبقية من أخلاط الناس. ونهبت العجم السوق وفيه بقدر مائتي ألف ريال ولم ينج من السوق إلا من هرب بنفسه. وأما القتول من العجم فالمكثر يقول ثمانيين والمقل إلى الثلاثين والعشرين. ثم غارت العجم من صنعاء وتجمعت بنو مطر قاصدين للجهاد إلا أن شيخهم أحمد الرماح قد أخلد إلى الأرض وحاد عن سلوك طريق الفلاح، فلما رأى تجمع العجم وتجمع أصحابه نقل أداته وأولاده إلى صنعاء، فحينئذ أيقنت العجم أنه من المحبين لهم، ووقع السعي بالصلح ولم ينتصح فيها، غير أن بعد أن كان ماكان، فنعوذ بالله من الخذلان.

وفيه أيضاً كانت وقعة بني مديخة وصفتها أنه لما كان صبح الربوع ٢٦ شهر ربيع آخر

---

(١) سنة ١٣٢١هـ ١٩٠٣م.

(٢) نزق: نزقاً ونزوقاً: نشط وطاش وخف عند الغضب. (المنجد في اللغة، ص٨٠٢) .

سنة ٢١، ثارت القبائل على العجم الذين في جبل مديخة وكان رئيس القبائل حسين ابـرط وعلي غالـب الـصباحي، وصـحبتهم جـيش عظـيم مـن أصـحابهم فَـصَبَّحوا العجـم إلى «ق١٣٣أ» العرضي ونهبوا جميع مافي المحطة مـن بنـادق ومونـة وغـير ذلـك مـن الفـراش والنحاس والقراش، وظهرت من البنادق ثلاثة مائة بندق وقتل من أعداء العجم مائة قتيل أو أكثر كما قيل، وأربعون جريحاً، وفر من العجم بين الجيش نحو الأربعين ولم يقتل القبائل غير خمسة. ثم أنه بلغ الصوت إلى بلاد أفلح وأسلم فأقبلوا من كل فـج وحـاصروا العجـم الذي في مركز بني جل مدة ثمانية أيام. ومازالوا يكاتبون الإمام عليـه الـسلام لطلـب المـدد فبذل ذلك مدة ثمانية أيام. ومازالوا يكاتبون الإمام عليه الـسلام لطلـب المـدد فبـذل ذلـك وطلب الوثائق فلاح له أن العزم غير صادق، وأن المقصود غنيمة البنادق حيـث لم يـذعنوا ببذلل الوثائق. ثم إن العجم غارت من صـنعاء لايلـوون عـلى شيء. فلـما وصـلوا هنالـك أظهروا مسالمة القبائل وأنه لاقلق مما وقع وهذا دأبهم في كل معركة إذا ظنوا أنها مهلكة.

وفي شهر صفر أو ربيع تجهز سيف الإسـلام عـماد الـدين حفظـه الله إلى مدينـة حبـور، لتدبير أمور، وإرهاباً لأعداء الله العجم فأنهم قبل وصوله هنالك قد أفظعوا في ظلـم رعيـة بلاد حجة ولاعة وماوالاهما. فلما وصل حفظه الله حبور سكنت تلك الـشرور وظنـوا أنـه يقصدهم في ذلك الجيش المنصور. ثم مكث هنالك خمسة أشهر فأقـام الـشريعة وأزال كـل خلة قبيحة شنيعة، وإستخرج أمولاً من صوافي بيت المال، قد كان أسـتولى عليهـا الجهـال، وحصل فيها التصرف والانتقال وكادت أن تنطمس تلك الأطلال. ثم لما فرغ مولانا سيف الإسلام وعماده حفظه الله وتم له من تلك الأمور مراده وأصلح ماكان بين أهل تلك البلاد من الفتن وحسم مادة القتول، وبلغ غاية المأمول، كتب إلى والده الإمـام المنـصور حمـاه الله من الشرور قصيدة طنانه يطلب الأذن بالرجوع إلى المقام ويصف شوقاً إلى الأهل والأولاد الكرام وهي هذه:

مـــن لمـــن شـــاقه الحمـــى والمـــصلى وأهيــــلُ العـــذيب حـــالاً وقـــبلا
كـــل مـــامرَّ ذكـــر أهـــل المغـــاني تلـــك روَّى الأســـماع والقلـــب جهـــلاً
عجبـــاً كيـــف خـــاطرٌ يتمـــشىَّ بـــين أهـــل الكـــمال حلـــماً وعقـــلا
فيـــصيد القلـــوب كرهـــاً ويـــسبيْ كـــل حلـــمٍ طوعـــاً وإن شـــاءَ خَـــتْلاَ
وعيـــون المهـــا بأجفـــان بَـــدْرٍ فـــوق كـــأسٍ بـــالنيرات مُحَـــلاَّ
كيـف شَـكتْ تلـك القلـوب بـلا شـكٍ فأهـــــل الآداب فـــــيهنَّ قـــــتلىَ
وهـــي أوهـــى الأشـــيا كـــصبري مَهْـــمَا لـــجَّ في الهجـــر مـــن أحـــبُّ وَوَلىَّ
فـــلي الله كـــم أخـــاطر يومـــاً بفـــؤادٍ يـــسيل بالـــشوق سَـــيْلاَ
فـــأرَامي بهـــا المـــلاح مـــن العِـــين فـــــألفى في أسرهـــــنَّ فـــــأُبْلى
وأنـــا الكـــيس الـــذكي ولكـــن ضـــاع منـــي الـــدّها هنـــاك وَوَلىَّ
والغـــرام الغـــرام لاعـــذب الله بـــه مـــن أحـــب يـــسلبُ عقـــلا
كـــلُ ملـــك في أسْرهـــا قـــد أذاقتـــه مـــن الـــصَّد والمـــرَارَاتِ كِفْـــلاَ
وبروحـــي مـــن الغـــواني مـــن لـــو لم يـــصنها الخُبـــاء لـــيلا تجـــلى
ولـــو ان الحـــصور يحيـــى رآهـــا أو رأى عينهـــا دنـــى فتـــدلى
أو رآهـــا الخـــسيس إبلـــيس مـــع آدم لاستحـــسن الـــسجود وصـــلى

«ق١٣٣ب»

قلـــت إذا قبلـــت وزهـــرٌ تهـــادى كنعـــاج المـــلا تعـــسفن رَمْـــلاَ
قـــد تنقـــبن بـــالحرير وأبـــدين عيونـــاً حـــور المـــدامع نجـــلا
ولـــو رْق الحُـــلي فـــيهن سَـــجْعٌ يـــترك القلـــب في الحـــرارات يـــصلى
الأمـــان الأمـــان للقلـــب فالقلـــب ضـــعيف لم يقـــو للـــصد حَمْـــلاَ
وتعـــالين للقـــاء ولاتمـــنعن منـــى مـــن للجـــمال تـــولى

مــن لــه في القلــوب مقعــد صــدق ولـــه القـــدح في النفـــوس المعـــلاَّ

جمــع الحـــسن فيـــه وهـــو مـــشاعٌ بـــين كـــل الأنـــام حـــالاً وقـــبْلا

فلهـــذا قـــد صرت فيـــه عميـــداً مـــستهاماً لا أعـــرف النـــوم لـــيلا

آح كـــم لي جـــوارح منـــه تعنـــي يمتحنـــي بتلـــك جِـــدّاً وهَـــزّلا

بعيـــون دعـــج تـــذيب المـــواقي ومحيَّـــا كالبـــدر بـــل هـــو أجـــلى

وجبـــينٌ مثـــل الهـــلال وثغـــرٌ جـــوهري بـــه دم الـــصَّب طُـــلاَّ

ورضـــاب يامـــا أحـــيلاه عنـــد المـــص أحـــلى مـــن العقـــار وأحـــلا

ويـــصدغيه والـــسوالف واوات وإن أرســـل الغـــداير ضـــلاَ

لي منـــه بموكـــب الـــشوق أفـــراسٌ فخيـــل الغـــرام تطـــرد خَـــيلا

وتـــراه يقـــول مالـــك لاتـــسْلوا وتلهـــو فقلـــت في الـــرَّدِ فَـــضْلاَ

كيـــف أسـلوا وأنـــت حقـــف وغـــصن وغـــزال قـــداً وجيـــداً وكَفْـــلاَ

كيـــف يـــسلوا مـــن بـــالغرام تـــردَّى كيـــف يـــسلوا مـــن للـــصبابة عـــلاَّ

لـست أنـسى إذ زرتـه وهـو كالـشمس ســـنا ثـــم قـــال أهـــلاً وســـهلا

فاعتنقنـــا حتـــى إذا مابـــدى الـــصباح بـــسيف يقـــدُّ لـــيلا ووصـــلا

بـــادر الـــدمع مـــن عيـــوني كخيـــلٍ في ســـباقٍ وأصـــبح القلـــب يَغْـــلاَ

فافترقنـــا بعـــد الـــوداع ولكـــن صـــار ذاك الـــوداع للـــسقم أصـــلا

فترامـــى بنـــا الزمـــان فأضـــحى بـــبلاد فـــردا يحـــن كـــشكلا

وتوحلـــت في البقـــاء بـــأرض حيـــث فيهـــا صـــحائف الـــشوق تـــتُلا

فقـــرأت الغـــرام حتـــى تفـــردت وحققـــت فيـــه وصـــلاً وفـــصلا

فأنـــا اليـــوم أوحـــد النـــاس علـــماً بغـــرام وأبعـــد النـــاس شـــملاَ

لـــست أســـلوا عـــن الـــصبابة إلاَّ بمـــد يحـــي لأكـــرم النـــاس فعـــلا

مـــن تـــردى بالمكرمـــات وأردى كـــل قـــرن أســـاء فعـــلا وقـــولا

وهـــو بـــاكورة الزمـــان سَـــخَاءً وهـــو نـــاظورة الأيمـــة نُـــبلاَ
ولـــه في العلـــوم أوفـــر حـــظ كـــم لمعنـــى يـــدقُّ يفْـــتَحُ قُفْـــلاَ
وهـــو في العلـــم حيـــدري وفي الحلـــم اذا ماصـــلى الأحليـــف جَـــلاًّ
«ق١٣٤أ»
وهـــو بـــدر الفخـــار فالعـــالم النحريـــر ذو الفهـــــم أن رآه اســـــتهلا
سـيد النـاس أسـلم النـاس خـير النـاس للنـــاس أحـــسن النـــاس قـــولا
ماجـــدٌ زاهـــدٌ كـــريم همـــام عـــالمٌ عامـــل إذا صـــال جـــلاًّ
لم يزنـــه الأنـــام عزمـــاً وحزمـــاً وارتفاعـــاً مجـــداً وقـــدراً أجـــلاًّ
فهـــو التـــاج للأئمـــة جمعـــاً وهـــو في العلـــم قـــد غـــدا مـــستقلاًّ
الإمـــام الـــذي لـــه الله قـــد أعطـــاه فـــضلاً في العـــالمين وطـــولا
لـست أحـصى صـفاتك الغـر لـو أني أعطيـــت ألْـــسن النـــاس كـــلا
فـــسواءٌ عنـــدي المكثـــرُ والمقـــل في المـــدح ذا وذاك أقـــلا
فليكـــف الـــيراع مـــذ وده في الـــمـــدح وليـــبد مـــا بقلبـــي اســـتقلا
طـــال مثـــواي في جبـــور إلى أن ملنـــى مجلـــسي وصـــبري تـــوَلاًّ
لـــست في حلبـــة الجهـــاد فـــأرضى بـــأمر الأشـــياء حَـــوْلاً فَحـــولا
وكـــذا لم يكـــن جليـــسي أســـفا و مـــن العلـــم تلهنـــي أن أمـــلاًّ
صـــار مكثـــي فيـــه لمحـــض ســـؤالٍ كـــم وفـــود تـــأتي لتبلـــغ ســـؤلا
يـــا أبـــا المجـــد والمكـــارم والـــسؤدد والعلـــــم زادك الله فَـــــضْلاَ
يـــا إمـــام الأنـــام يـــا واحـــد الأيـــام لازلـــت في العـــلا مـــستظلا
اعفنـــي مـــن جبـــور دام لـــك العـــز وعافـــاك رَبُّنـــا وتـــوَلاّ
فلقـــد ضـــاق بهـــا البقـــاء مقـــامي وســـئمت البقـــاء والفكـــر كـــلاًّ

قـــد فرغنـــا وصـــار كـــل شـــجار	بالـــدما والأمـــوال بالفـــضْلُ أجْـــلاَ
وإذا كنـــــتم تـــــرون صـــــلاحاً	بالبقـــــاء فيـــــه فـــــالتردد أولى
أو يبقـــى فيـــه الخليـــل حـــسين	نجـــل إســـماعيل الرفيـــع محـــلا
فاســـمحوا بـــالجواب والإذن فيـــه	واحكمـــوا في المملـــوك عقـــداً وحـــلا
وصـــلاة مـــن المليـــك تعـــالى	وســـلام مادامـــت الـــصحف تـــتلى
يبلغـــان النبـــي خـــير المعـــالي	وكـــذا الآل أطهـــر النـــاس فعـــلا

أ الوثائق:

رمــوز عنــاوين الوثــائق العثمانيــة مــن الــدفاتر المختلفــة في الأرشــيف العــثماني

. Osmanli Arsivi

١- أوراق يلدز الخصوصية **Y.A.Hus**

٢- أوراق يلدز الأساسية **YEE**

٣- أوراق يلدز الرسمية **Y.A.Res**

٤- أوراق يلدز المتنوعة **Y.M.To**

ب المخطوطات والمصادر والمراجع:

١- أحمد بن عبدالله الجنداري: الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير برقم ٢٥٢٤.

٢- إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، ١٥١٦-١٩١٦م، جامعة الموصل، كلية التربية ١٩٨٣م.

٣- أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، بيروت، دار الكتاب العربي١٩٧٩م.

٤- الإمام أحمد بن حنبل: مسند أهل البيت، تحقيق: عبدالله الليثي الأنصاري، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥- أحمد فضل بن علي محسن العبدلي: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، الطبعة الثانية، بيروت، دار العودة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٦- أحمد حسين شرف الدين: الطرائف المختارة من شعر الخفنجي والقارة، الطبعة الثانية، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

٧- إريك ماكرو: اليمن والغرب، ١٥٧١هـ/ ١٩٦٢م، نقله وعلق عليه الدكتور حسين بن عبدالله العمري (ب.د،ت).

٨- أحمد بن يحيى جابر بن داود البلاذري: كتاب فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

٩- إمام المحدثين الحافظ الجليل أبي بكر أحمدبن الحسين ابن علي البيهقي: السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجواهر النقي، المتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة رضي الله عنه، الطبعة الأولى، ١٣٥٥هـ (ب.د).

١٠- الجرافي : حوليات العلامة الجرافي (١٣٠٧-١٣١٦هـ/ ١٨٨٩-١٩٠٠م). تحقيق ودراسة: الدكتور حسين عبدالله العمري، بيروت، دمشق، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١١- حسين بن علي الويسي: اليمن الكبرى، صنعاء، مكتبة الإرشاد، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٨٩م.

١٢- القاضي حسين بن أحمد العرشي: بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى مُلك اليمن من ملك وإمام، عني بنشره الأب إنستاس ماري الكرملي (ب.د.ت).

١٣- الدكتور حسين عبدالله العمري: مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، (١١٦١-١٢٦٤هـ/ ١٧٤٨-١٨٤٨م) الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

١٤- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)، بيروت، دار الجليل، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

١٥- حسين بن محمد حسين الأبريقي الحباني الحضرمي: الآداب المحققة في معتبرات البندقة، تحقيق ودراسة: عبدالله أحمد محيرز، عدن.

١٦- الحرازي: فترة الفوضى وعودة الأتراك إلى اليمن (١٢٧٦-١٢٨٩هـ/ ١٨٥٩-١٨٧٢م) (السفر الثاني من تاريخ الحرازي رياض الرياحين)، تحقيق: د. حسين عبدالله العمري، دمشق،دار الفكر، صنعاء، دار الحكمة اليمانية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٧- الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النوري الدمشقي: رياض الصالحين (٦٣١-٦٧٦هـ) تحقيق: محمد الصادق بسيس، تونس، المكتبة العتيقة، القاهرة، دار التراث، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٨- ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٥م.

١٩- أ.د. سيد مصطفى سالم : وثائق يمنية (دراسة وثائقية تاريخية)، ١٩٨٢م.

٢٠- أ.د. سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث. (١٩٠٤-١٩٤٨م)، القاهرة، الناشر: مكتبة سعيد رأفت، الطبعة الثانية، ١٩٧١م.

٢١- أ.د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨-١٦٣٥م)، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.

٢٢- الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق الأزدي السجستاني: سنن أبي داود، جزءان، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م.

٢٣- أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق: د. زينب إبراهيم القاروط، بيروت، دار مكتبة الهلال.

٢٤- العلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتوفي سنة ٩٧٥هـ، مكتبة التراث الإسلامي، مؤسسة الرسالة.

٢٥- عبدالواسع بن يحيى الواسعي اليماني: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، صنعاء، مكتبة اليمن الكبرى، الطبعة الثانية، ٩٠١-٩٩١م.

٢٦- العقاد: إسلاميات عباس محمود العقاد، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب.

٢٧- علي بن الحسن هبة الله الشافعي، ترجمة حياة الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الثانية، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، ١٩٧٨-١٩٨٠م.

٢٨- عبدالله بن عبدالوهاب الشماحي: اليمن الإنسان والحضارة، صنعاء، دار الكلمة، ١٩٨٤م.

٢٩- الإمام الكبير أبو محمد عبد الله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي: سنن الدارمي، المتوفي سنة ٢٥٥هـ، نشر دار إحياء السنة النبوية.

٣٠- عبدالله الحبشي: فهرس مخطوطات بعض المكتبات الخاصة في اليمن، تحقيق جوليان يوهانسن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

٣١- عبدالله الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، صنعاء، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية.

٣٢- عبدالله بن عبدالكريم الجرافي اليمني: المقتطف من تاريخ اليمن، بيروت، مؤسسة الكتاب الحديث، ١٩٨٤م.

٣٣- عبدالله بن عبدالكريم الجرافي: تحفة الإخوان بحلية علامة الزمان حليف السنة والقرآن المولى شيخ الإسلام الحسين بن علي العمري، المتوفي في شوال ١٣٦١هـ، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٦٥هـ

٣٤- أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ٥ مجلدات.

٣٥- أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي: صحيح البخاري، دار مطابع الشعب.

٣٦- د. فارق أباظه: الحكم العثماني الثاني لليمن، ١٨٧٢-١٩١٨م، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

٣٧- مجهول: صفحات مجهولة من تاريخ اليمن، تحقيق وتقديم: القاضي حسين بن أحمد السياغي، صنعاء، مركز الدراسات اليمنية، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م/ ١٣٩٨هـ.

٣٨- محمد عبده غانم: شعر الغناء الصنعاني، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمنية.

٣٩- مفرح بن أحمد الربعي: سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، (نص تاريخ يمني من القرن الخامس الهجري، تحقيق ودراسة: د.رضوان السيد، د.عبدالغني محمود عبدالعاطي، دار المنتخب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٤٠- د.محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م.

٤١- أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه: سنن الحافظ ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٥م/ ١٣٩٥هـ.

٤٢- محمد عبدالرؤوف المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ٦أجزاء.

٤٣- د.محمد زيان عمر: دراسات تاريخية، دار الهنا للطباعة.

٤٤- مجهول: حوليات يمانية (١٢٢٤-١٣١٦هـ) تحقيق: عبدالله الحبشي، ج.ي، منشورات وزارة الإعلام والثقافة.

٤٥- محمد أحمد العقيلي: المخلاف السليماني، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الرياض، من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٦- د.محمد عبدالملك المتوكل: الصحافة اليمنية، مصر، مطابع الطوبجي التجارية، ١٩٨٣م.

٤٧- موفق بني المرجه: صحوة الرجل المريض أو السلطان عبدالحميد الثاني والخلافة الإسلامية، الكويت، مؤسسة صقر الخليج، ١٩٨٤م.

٤٨- محمد بن علي بن محمد الشوكاني: قطر الولي على حديث الولي أو ولاية الله والطريق إليها، (١١٧٣-١٢٥٠هـ)، تحقيق: إبراهيم إبراهيم هلال، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٩م.

٤٩- القاضي العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن بمن بعد القرن السابع المتوفي سنة ١٢٥٠هـ، بيروت، لبنان، دار المعرفة، مجلدان.

٥٠- محمد بن محمد زبارة: نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، صنعاء ج.ي. مركز الدراسات والأبحاث اليمنية.

٥١- محمد بن محمد زبارة: أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة، صنعاء، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٥٢- محمد بن محمد زبارة: نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، صنعاء ج.ي: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية.

٥٣- محمد بن أحمد الحجري: مساجد صنعاء عامرها وموفيها، صنعاء، مطبعة وزارة المعارف، ١٣٦١هـ، الناشر مكتبة اليمن الكبرى.

٥٤- الفقيه العارف محمد بن لطف الباري قاضي الحيمي اليمني: الروض البسام في

ماشاع في قطر اليمن من الوقائع والأعلام. (القرن الثالث عشر الهجري) تحقيق: عبدالله الحبشي، صنعاء، مطابع المفضل للأوفست، ١٩٩٠م.

٥٥- محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م (ب.د.،ت).

٥٦- الإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير: سبل السلام (شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام) المجلد الأول، (ب.ت) دار الفكر.

٥٧- أبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار صعب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥٨- نشوان بن سعيد الحميَّري: منتخبات من أخبار اليمن (من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب). الطبعة الثالثة، دار التنوير للطباعة والنشر ١٩٨٦م.

٥٩- النعمي: حوليات النعمي التهامية (١٢١٥-١٢٥٨هـ/ ١٨٠٠-١٨٤٢م)، تحقيق: د.حسين بن عبدالله العمري، دمشق، دار الفكر ، صنعاء، دار الحكمة اليمانية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٦٠- هارولدف يعقوب: ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة: أحمد المضواحي، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٣م.

٦١- اللفتنانت كولونيل سيرولسيلي هايج: جدول لمقارنة السنوات الهجرية بالسنين الميلادية، نشره بالعربية: عبدالعزيز مصطفى المراغي، مطبعة الشرق.

٦٢- مجلة العرب: مجلة شهرية جامعة، دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة، الجزء التاسع، السنة السادسة، ربيع الأول ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، صاحبها حمد الجاسر، السعودية.

٦٣- **Walter.B. Harris: Journey through the Yemen, london,**1893

ج – المعاجم والموسوعات:

١- إبراهيم أحمد المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٢- ابن منظور: لسان العرب المحيط (معجم لغوي علمي)، بيروت، دار لسان العرب، ٤ أجزاء.

٣- أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول: موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، ١١جزء، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٤- القاضي إسماعيل بن علي الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن، بيروت دمشق، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. خمسة أجزاء.

٥- أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي (موسوعة للتعريف بمصطلحات الفكر الإسلامي، ومعالم الحضارة الإسلامية وتاريخ الدول الإسلامية، وتراجم الأعلام والمشاهير مع التعريف بأشهر المؤلفات في المكتبة العربية والإسلامية) ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، خمسة مجلدات.

٦- حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، القاهرة، مكتبة الأنجلوا المصرية.

٧- حسن الأمين: بيروت، دائرة المعرف الإسلامية الشيعية، ط٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٨- خير الدين الزركلي: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٩-١٩٧٠م، ١١جزء.

٩- الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر.

١٠- عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١١- د.محمد التونجي: المعجم الذهبي. (معجم فارسي عربي)، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.

١٢- محمد بن أحمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائله، تحقيق وتصحيح ومراجعة: القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، صنعاء، منشورات وزارة الإعلام والثقافة.

١٣- ونسنك، منسنج: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، (عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي، وموطأ مالك، ومسند أحمد بن حنبل)، مطبعة بريل في مدينة ليدن، نشر بروخمان، ١٩٦٥م، ٧مجلدات.

١٤- بطرس البستاني: دائرة المعارف، بيروت، دائرة المعرفة.

١٥- نتائج التعداد العام للمساكن و السكان لسنة ١٩٨٦م. (وزارة الإسكان والتخطيط الحضري.

١٦- الموسوعة اليمنية: مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، الجمهورية اليمنية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار الفكر المعاصر، بيروت.

١٧- المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار المشرق، الطبعة الثالثة والثلاثون.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الزاي

حرف السين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

فهرس البلدان

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحال

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الأسر والقبائل

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الدال

حرف الراء

حرف الشين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الميم

حرف الهاء

فهرس الفرق والمذاهب

حرف الطاء

حرف العين

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الجبال والوديان

فهرس القلاع والحصون

فهرس الوقائع والأحداث

فهرس الكتب

فهرس الأبيات الشعرية

شطر البيت	عجز البيت	الصفحة
عـــلام تلـــوم ياهـــذا عـــلى مـــا	وقـــد فقـــدت أحبتـــه الإمامـــا	٥٥٦
عــلام يــلام الــدمع إن صــار ســائلاً	وفــيما يــلام القلــب إن ضــل ذاهــلاً	٦١٣
عــلام يــلام الــدمع ان صــار ســائلا	وفــيهم يــلام القلــب إن ظــل ذاهــلا	١٤٣
علــوت عــلى العليــا يــا ابــن الأكــارم	ورثــت مــن الآبــاء كــل المكــارم	٤٣٣
عــلى هــام الــسماك ســموت قــدرا	وفــوق القطــب طــال عــلاك فخــرا	٣٨٤
فتــى تــردًّا رداء المجــد أجْمعُــه	وردّ منــه عــلى العليــاء صــوانفه	١٦٢
ففــي الــشرف الــشريف وفي ظفــيره	ونجــرة والــشغادر قــوم حمــرا	٦٧
قــد عملــوا الأســفار فــوق متــونهم	بــئس المثــال وبــئس قــوم خــافوا	٤٤١
قــوم هــم النــاس لايــشقى جليــسهم	فــانزل بهــم أن تُــرد أن تعــرف النــاس	١٤٩
لاحــت لنــا بُــرقٌ فأهــدت نــورا	مــن ثغــر مــن جعــل المقــال بحــورا	٣٦١
لادرّ درّ زمــان أغــمــدت يـــده	ذاك الحــسام ولا حيــاة بــالمطر	١٧١
-لقــد فجــع الــدين الحنيــف بمــفرد	تناهــت بــه غاياتــه ومراكبــه	١٦٣
لله در العـــالم الحـــبر الـــذي	قـــد ســـاغ نظـــماً ذاقـــه العـــرّاف	٦٩
لم يعلمـــوا أن الإمـــام مؤيـــد	حقـــاً وإن رغمـــت بـــذا الأنـــاف	٤٤٠
مـــا شـــجاني بـــارق الأضـــم	لا ولا ذو البـــان والعلـــم	٤٦٨
مـــال ماتـــشتهيه الأنفـــس التلـــف	ولا يـــرد عليـــك الفائـــت الأســـف	١٤٢
مـــديحك أرضى في فـــؤادي وأوجـــب	وأولى وأحـــلى عنـــد نفـــس وأنـــسب	٣٨٧
مُــرْ وانْــه واحكــم فــأنت اليــوم مُمتثـل	والأمــر أمــرك لا مــا تــأمر الــدول	٨٧
مُــرْ وأنّــه واحكــم فــانتَ اليــوم مــمتثلُ	والأمـــر لا مـــا تـــأمر الـــدول	٣٤٦

فهرس الموضوعات